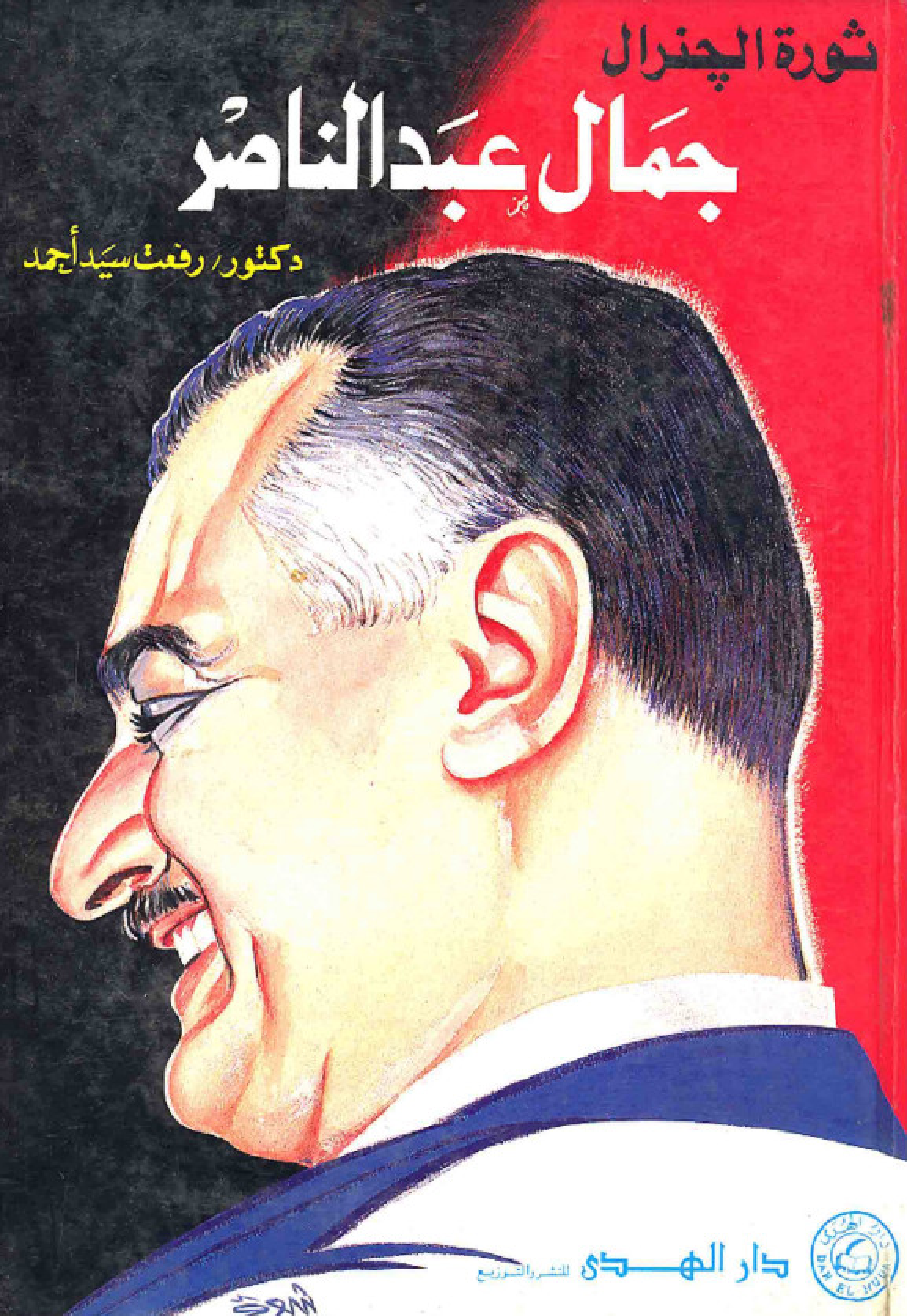
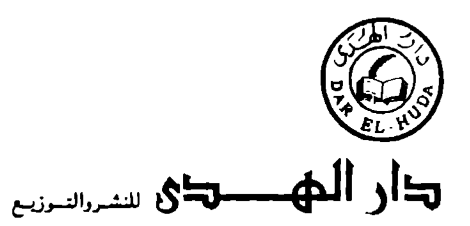

ثورة الجنرال
جمال عبد الناصر
دكتور/ رفعت سيد أحمد
دار الهدى للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

تصميم الغلاف
للفنان الأستاذ/ شوقي متولي



المكتب : ٢٥ ش محمد طلعت سالم - المنطقة الأولى - مدينة نصر ت : ٢٦٢٥٧٠٨

Off. 25 Mohammed Talaat Salem St., First Area Nasr City Tel.: 2625708

د / رفعت سيد أحمد

ثورة الجنرال

قصة جمال عبد الناصر كاملة

من الميلاد إلى الموت

١٩١٨ - ١٩٧٠

موسوعة فكرية وسياسية

دار الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣



إلى روح الشهيد الإمام .. الحسين بن على (رضى الله عنه الذى جمع فى استشهاده بين الدين والثورة ذلك الجمع الذى نفتقده حتى يومنا هذا .

رفعت سيد أحمد

□ المقــدمــة □

* هذه الموسوعة عن جمال عبد الناصر ، لم تكتب لكى ترضى أحداً بعينه ، شخصاً كان أو تياراً فكرياً أو سياسياً .

* ولكنها على النقيض من ذلك تماماً ...

* كتبت لتقول الحقيقة ، ولكى تكتشفها ، ولذلك فهى ستغضب أو على الأقل لن ترضى غالب الآراء ، والاتجاهات ، وبخاصة تلك التى تتخندق خلف مصالح وإيديولوجيات بعينها ، ولا تحيد عما آمنت به من أفكار ، بشأن عبد الناصر ، حتى لو ثبت لها بالوثائق ، والحقائق الجديدة أن ما تتخندق من أجله ، وما آمنت به .. غير صحيح .

* إن هذه (الموسوعة) أتت لتصدم ، وتكشف وتضىء ، وفى سبيلها لذلك ، لم تلو جهداً فى استقصاء رؤى وأفكار كافة القوى والتيارات المعارضة ، والمؤيدة للتجربة الناصرية ، ولم تلو جهداً فى التفتيش عن كل صغيرة وكبيرة بشأن شخصية جمال عبد الناصر .. منذ ميلاده وبداياته الأولى عام (١٩١٨م) وحتى وفاته عام (١٩٧٠م) .

* لقد تحدثنا فى هذه (الموسوعة) عن البدايات الأولى لجمال عبد الناصر ومصادر ثقافته ، وتنشئته الاجتماعية ، وأسلوب حياته ، وكفاحه صغيراً فى صفوف بعض الأحزاب والجماعات السياسية المصرية ، وتناولنا بالتحليل تشكيل تنظيم الضباط الأحرار، والرؤى المختلفة بشأن هذا التنظيم ، وبخاصة الرؤية الإسلامية التى نسبته (أى التنظيم) إليها ، وتحديداً إلى جماعة الإخوان المسلمين .

* وتعرضت الموسوعة بالتفصيل إلى السنوات الأولى من حكم الثورة ، وممارسة أهل الحكم وأفكارهم تجاه قضايا الأمة على اختلافها .

* وفى فصل متميز ، يعد أكبر فصول هذه الموسوعة ، تعرضنا بالتحليل لعلاقة عبد الناصر بالإخوان المسلمين ، والصدام الأول معهم (صدام ١٩٥٤م) وأرفقنا مع نهاية الفصل تلخيصاً وافياً للتحقيق مع أبرز قيادات الإخوان فى (حادث المنشية ١٩٥٤م). والصدام الثانى عام ١٩٦٥م .

* وتعرضنا بالتحليل ، وباستعراض كافة الرؤى أيضاً – وهو منهجنا فى هذا العمل – لحرب السويس ١٩٥٦م ما حدث فيها ، وما حدث بعدها .

* بعد ذلك تناولنا معارك الوحدة العربية كما خاضها عبد الناصر وكما أدركها وفكر فيها وموقف الإسلاميين الراديكاليين من هذه (الوحدة) كما فهمها وسلكها عبد الناصر .

* وقدمت الموسوعة سجلاً علمياً نقدياً لإنجازات عبد الناصر على صعيد الداخل المصرى ، ومعارك التنمية والإصلاحات السياسية مع تقديم الانتقادات الإسلامية ، والوطنية المختلفة بشأن هذه الإصلاحات ، مع إضافة قوائم تفصيلية بالتشريعات والإنجازات . لكل ما قدمته التجربة الناصرية على صعيد التنمية .

* أما عن علاقة عبد الناصر بالغرب ، فلقد أوفينا هذا الجانب حقه بالعرض التفصيلى ، ومن أوراق ووثائق عربية وغربية تكشف أسراراً هامة عن تفاصيل تلك العلاقة التى كان طابعها الحذر ، والشك ، ثم الصراع بعد ذلك .

* وعن الغرب ، كان التجسس لصالحه ، وارداً ، وجاهزاً ، ولقد قدمنا تحليلاً وافياً عن واحدة من قضايا التجسس لصالح الغرب لما لها من دلالات هامة ، وهى قضية الكاتب الصحفى (مصطفى أمين) ومهدنا لذلك بتحليل نشأة وتطور جهاز المخابرات العامة فى مصر بقيادة صلاح نصر .

ولم ننس (مايلز كوبلاند) العميل الأمريكى السابق فى المنطقة ، وصاحب كتاب (لعبة الأمم) ، ولم ننس رأيه عن عبد الناصر وشخصيته ، وهزائمه وانتصاراته .

* وكان للصراع بين عبد الناصر والشيوعيين ، ثم الإخوان المسلمين (الصدام الثانى ١٩٦٥م) موقعه التفصيلى فى هذه الموسوعة ، فأعطيناه حقه ، ومن أوراق أصحاب الصراع أنفسهم .

* أما علاقة عبد الناصر بالدين : فكراً وممارسة فلقد أفردنا لها فصلاً ، تناولنا فيه مدركات عبد الناصر الدينية ثم تناولنا سلوكه السياسى تجاه المؤسسات الدينية وبخاصة المحاكم الشرعية - المجالس الملية القبطية - الأزهر - الطرق الصوفية - المساجد - الكنائس ، وغيرها وما وجه إلى هذا السلوك من انتقاد أو تقريظ ، وموقفنا نحن من ذلك .

* أما قضية فلسطين ، فلقد أفردنا لها - هى الأخرى - فصلاً مستقلاً تتبعنا فيه رؤى وسلوكيات عبد الناصر تجاهها ، مع التحليل النقدى لهذه الرؤى ، وكيف أنها على دقتها ، وأهميتها ، لم تنجز بالمقابل شيئاً ذا قيمة على صعيد لب القضية ذاتها ، تحرير فلسطين وإزالة الوجود الصهيونى منها .

* وتعرضت الموسوعة أيضاً للتنظيمات السياسية السرية التى أنشأها عبد الناصر أثناء الثورة وتحديداً إلى تنظيم (طليعة الاشتراكيين) ، ولقد قدمنا لهذا عرضاً تفصيلياً لاجتماعين من اجتماعات عبد الناصر السرية برجال التنظيم السرى بالقاهرة والجيزة ، تتكشف فيهما العديد من المعارك والمفاهيم والقضايا التى عاشتها الأمة وقتذاك

* وأخيراً تناولت الموسوعة (هزيمة ١٩٦٧م) بالتحليل النقدى العلمى ، واضعة إياها فى السياق التاريخى الصحيح لعلاقة مصر بالغرب ، وصراعها مع إسرائيل ، وفساد أجهزة الإدارة العسكرية قبل الهزيمة مباشرة ، ومستعرضين كافة الرؤى المؤيدة ، والمعارضة لعبد الناصر بشأن هذه الهزيمة ، والتى مثلت بحق ، الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر ، وهو الموت النفسى الذى عجل بالموت الجسدى بعد ثلاث سنوات عام ١٩٧٠م .

* هذا ولقد أرفقنا مع نهاية كل فصل ملحق وثائقى يتصل بعبد الناصر سواء خطبه أو تشريعاته أو غير ذلك مما يزيد العمل عمقاً ودقة .

* وبعـد ...

لقد حاولنا فى هذه (الموسوعة) أن نقدم (الحقيقة) كما وقعت بالفعل فى (الماضى) ، وأعيننا فى هذه المحاولة ، على (المستقبل) ، فنحن أبناء هذا (المستقبل) ، ومن حقه علينا ألا نخاصمه ونعانده ، باستغراقنا فى (الماضى) .

لقد حاولنا أن نقدم ، تجربة عبد الناصر ، بما لها وما عليها ، بأفراحها ، وأحزانها ، بأخطائها وإيجابياتها ، واستخدمنا فى محاولتنا المنهج العلمى النقدى القائم على البحث الدؤوب عن الحقيقة ، وبتجرد وموضوعية كاملين ، وطرحنا فى بحثنا كل الرؤى والاتجاهات على طاولة البحث أخذنا منها ما يدعم (موضوعيتنا) ويؤكدها ، واستبعدنا ما يناقض ذلك .

* لقد حاولنا ... وهذا ما نستطيع أن نقوله بشأن تجربة لازالت (موضوعاً) للصراع وليست (طرفاً) فقط فيه ، وموضوعاً للصراع بين الإسلاميين والناصريين ، بين الوفديين والقوميين ، وبين من ليس لهم اتجاه ، ومن يحاولون أن يكون لهم بوصلة تحدد الطريق .

* لقد حاولنا .. والمحاولة تحتمل الصواب والخطأ فإذا كنا قد أصبنا .. فلنا أجر ... وإذا كنا قد أخطأنا فلنا أجران .

(والله عليم بذات الصدور) .

د . رفعت سيد أحمد
القاهرة ١٩٩٢/٦/١٥ م

الفصل الأول

عبد الناصر البدايات الأولى



عبد الناصر .. البدايات الأولى

طويلة هى قصة (عبد الناصر) الانسان ، والسياسى ، ولأن الحياة لا تنفصل عن محيطها الانسانى ، فالانسان لا ينفصل بأى حال عن المحيط السياسى العام لوطنه بل ربما كان للتنشئة الأسرية ، والمؤثرات الاجتماعية الأولى ، تأثيرها الأول على سلوك ذلك الإنسان السياسى وعلى قراراته وتعاملاته الكبرى .

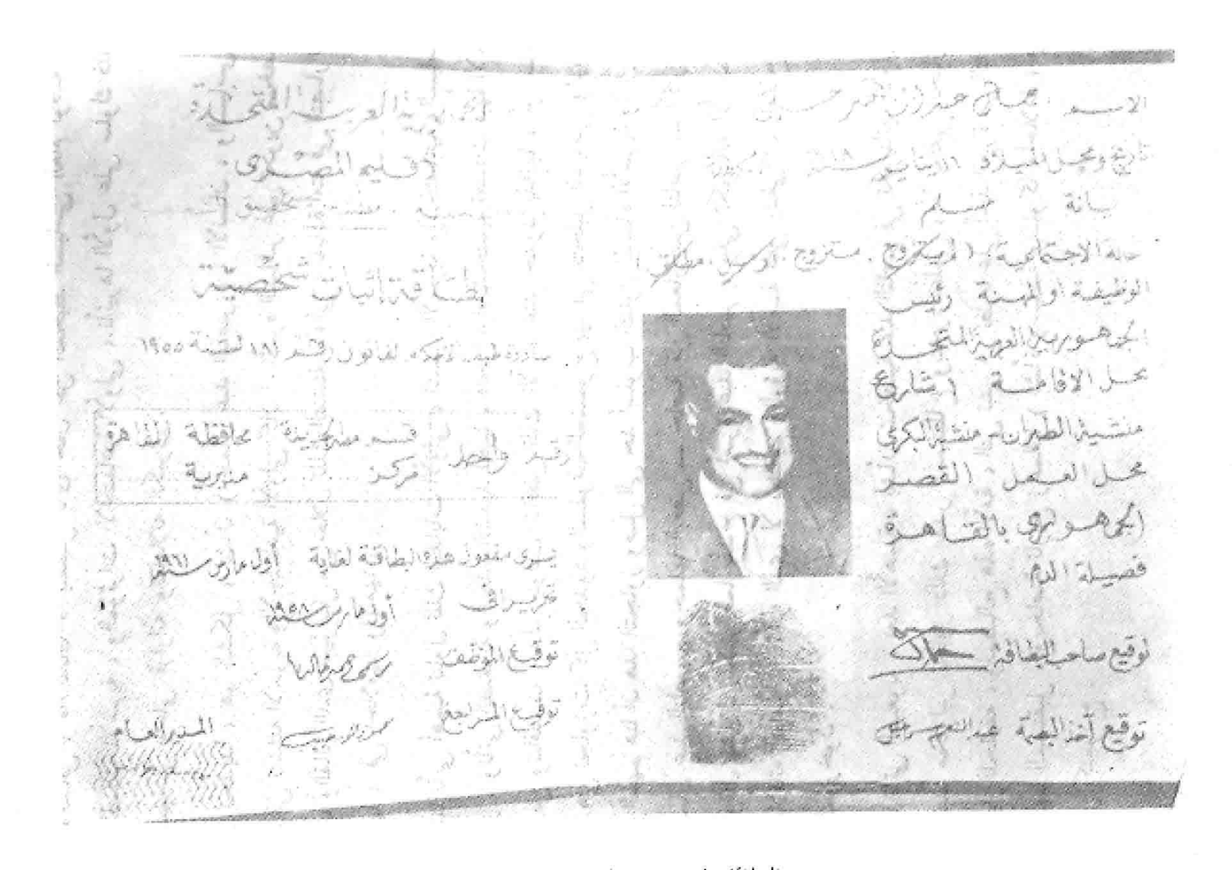
* وذلك تحديدا ، هو الشكل ، بشأن (جمال عبد الناصر) ، الانسان ، والسياسى ، فما حدث فى تنشئته الاسرية وإلاجتماعية الأولى كان له تأثيره المباشر على تكوين شخصية (الزعيم) ، والقائد الذى سيؤصل من خلال تلك التنشئة الأولى ، لقيادة أمته فى انتصاراتها وانكساراتها ، فى أحلامها وآلامها .

* ومن هنا تأتى أهمية تناول تلك البدايات الأولى ، التنشئة الأسرية وإلاجتماعية والسياسية لعبد الناصر ، وتأتى الصعوبة والحذر الشديد أيضا ، فنحن ازاء شخصية تعددت فيها الآراء واختلفت بل وتناقضت ، ولم يتوقف تناقض تلك الآراء عند حدود بذاتها ، أو سقف بذاته ، بل هى تجاوزت كل الحدود والسقوف المسموح بها فى التحليل السياسى والبحث العلمى ، والمهم هنا أن هذا التجاوز وصل الى حد أسلوب التناول للنشأة الأسرية والسياسية الأولى لجمال عبد الناص ، وحملها البعض ـ خاصة من المعارضين لناصر ـ أكثر مما تحتمل ، وقال بشأنه الكثير مما يقدح فى أسرة عبد الناصر ، وفى تكويناته الأجتماعية الأولى وعلاقاته العامة .. الأمر الذى لا يستقيم والرؤية الأمينة التى ينبغى أن يتسلح بها العلماء والمؤرخون .

* من هنا تأتى الصعوبة ، بعد الأهمية ، بشأن شخصية عبد الناصر فى تكويناتها الأولى ، ومن هنا نبدأ محاولين تجاوز ذلك بقدر المستطاع وبتجرد علمى ، لا يخفى انحيازه ، ولكنه انحياز للحقيقة ، ولمصالح هذه الأمة ، التى تبنى فى نظرنا على أخذ العبرة من التاريخ من أجل فهم المستقبل ، وبخاصة تاريخ زعمائنا (نشأة وسياسة وسلوكا وأحلاما) وإلى عبد الناصر كنموذج .

البدايـــة :

وُلِدَ جمال عبد الناصر فى بنى مر من أعمال أسيوط فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ .



الجمهورية العربية المتحدة
الإقليم المصري

بطاقة إثبات شخصية

صادرة طبقاً لأحكام القانون رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٥

رقم واحد	قسم مصر الجديدة / مركز	محافظة القاهرة / مديرية

يسري مفعول هذه البطاقة لغاية أول مارس سنة ١٩٦١
تحريراً في أول مارس سنة ١٩٥٦
توقيع الموظف
توقيع المراجع
المدير العام

الاسم جمال عبد الناصر حسين
تاريخ ومحل الميلاد
الديانة مسلم
الحالة الاجتماعية متزوج
الوظيفة أو المهنة رئيس الجمهورية العربية المتحدة
محل الإقامة ١ شارع منشية الطيران - منشية البكري
محل العمل القصر الجمهوري بالقاهرة
فصيلة الدم
توقيع صاحب البطاقة
توقيع آخذ البصمة

البطاقة الشخصية لجمال عبد الناصر

ولد فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ مصر .. بل وتاريخ العالم كله ...

فى هذا العام انتهت الحرب العالمية الأولى ، وأعلن «ولسون» أمام قبر واشنطون مبادئه التى خدع بها المصريون ، قال ولسون : «ان عهد الفتوحات والتوسعات قد مضى وانقضى ، وأصبح من الممكن لكل أمة تتفق أمالها مع العدل وسلام العالم أن تصرح الآن ، أو فى أى وقت من الأوقات بالأغراض التى تصبو إليها ... وأن دعائم العدل الدولى يجب أن تركز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ولكل الجنسيات لا فرق بين قويها وضعيفها» .

وفى هذا العام عقدت الهدنة «١١ نوفمبر ١٩١٨» .

وكان فؤاد قد ولى سلطانا على مصر بتبليغ بريطانى ....

وكان أبطال الوطنية المصرية فى منفاهم خارج مصر وفى مقدمتهم الزعيم قديس الوطنية محمد فريد ، وكان لكفاحه مع زميله مصطفى كامل الأثر القومى فى روح الثورة المصرية التى اندلعت .

وفى هذا العام وقعت مقابلة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى لممثل دار الحماية فى مصر السير رجلند ونجت المندوب السامى البريطانى ، وهى المقابلة المخزية التى ظلت الأحزاب تحتفل بها مدى ثلاثين عاما كيوم من الأيام الخالدة المشرفة فى تاريخ «الوطنية» المصرية حتى جاء جمال عبد الناصر فألغى هذا «العيد» المؤسف .

وتألف فى هذا العام الوفد المصرى ، وبدأ يجمع توكيلات من الأمة لها صيغة هزيلة هذا نصها : «نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنا ... فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا استقلال مصر تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها» .

وهكذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر ولد فى آتون الحوادث ، وفى اللحظات الحاسمة فى تاريخ مصر ، وفى فجر ثورة ١٩١٩ التى وضع الزعماء المتكالبون على الحكم الماء على نارها ، وقتلوا روحها التى كانت خليقة بأن تدفع مصر إلى الأمام بقوة .. لو قام على حراستها رجال فى مثل أمانة رجال ثورة ٢٣ يوليو .

وُلِد جمال عبد الناصر فى بلدة بنى مر ..

وهى قرية مصرية صميمة كانت قريبة من معمعان ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد أدى أهلها

دورهم كغيرهم من أبناء هذه المنطقة فى هذه الثورة التى اشتركت فيها جميع طبقات الشعب ، وأندلعت فى وقت واحد فى جميع أنحاء البلاد وفق أسلوب منظم مرتب ، تجلت فيه معنوية الشعب ، وأعتمدت على روحه وقوة إيمانه .

وشب جمال عبد الناصر فى هذه القرية ، وسمع من أهله أنباء هذه الثورة ، فقد ظلت حديث الشيوخ مدة طويلة ، ولابد أنه سمع من شيوخ بنى مر كثيرًا عن الدور الذى قامت به أسيوط والبلاد المجاورة لها .

ولقد هزت أحداث أسيوط الأنجليز ، ففى هذه المنطقة روح من الإيمان والاستماته فى سبيل مصر وحريتها ، هذه الروح التى تبلورت فى جمال عبد الناصر .

قامت أسيوط بدور ضخم استمر طويلا ، بدأ بحريق الكميات الهائلة من التبن المكدسة لحساب السلطات العسكرية ، فالتهمتها النار وتصاعدت ، وكان لها منظراً مفزعاً استمر عدة أيام ، وهجم الثوار على مركز البوليس فى المدينة وأخذوا منه السلاح ، وهاجموا القوات البريطانية به ، وتفاقمت الحال فى أسيوط ، وهوجم المكان الذى أعدته السلطة البريطانية لتتحصن فيه ، فقد اخترق المهاجمون النطاق وأخذو يطلقون النار على الجنود البريطانيين .

وظل هذا الموقف الخطير بين أصرار أهل أسيوط وبين دفاع القوات البريطانية من ١٠ مارس سنة ١٩١٩م إلى ٢٤ مارس حيث وصلت طائرتان حربيتان مائيتان إلى أسيوط فأشتركتا فى أعمال الدفاع ، وألقتا بعض القنابل ، فأصابت بعض الأهليين وقتلت بعضهم .

وسارت النجدات الحربية مسرعة من القاهرة إلى أسيوط ، ولكنها لم تسر فى أمان ، بل لقيت مقاومة عنيفة بين ديروط وأسيوط من جماعات الثوار على ضفة النيل .

وبلغ عدد فصائل الجنود التى أرسلت إلى الوجه القبلى ست عشرة فصيلة .

ولابد أن جمال عبد الناصر سمع قصص هذه الثورة بعد أن شب ، وكان فى سن الصبا يتفتح للحياة ، وكان لهذه القصص أثرها فى تكوين شخصيته المكافحة المجاهدة .... وسمع إلى ذلك قصص تروى عن «واقعة» عرابى ، وعن هزيمته .

وتفتحت روح الشاب اليافع على شيئين خطيرين :

هذه القرية التى عاش فيها إلى سن الثامنة ، وهذه الحياة التى يحياها أهلها ، لم يكن جمال من عائلة غنية ، ولا إقطاعية ، وإنما كان من أسرة فقيرة شعبية متواضعة ، كل رجالها يكافحون ويعملون فى الأرض وفى التجارة .

ورأى جمال هؤلاء الذين يشقون الأرض ، ورأى مدى الظلم الذى يعانونه من السادة والاقطاعيين ، وسمع قصص القسوة والفقر والحاجة .

وفى هذه البيئة ترعرع جمال على مبادىء الرجولة مبادىء الصعيد فى الايمان ورعاية التقاليد ، وحماية الزمار .

وتحوط بنى مر الحدائق ، وجوها جميل ، وقد عرف أهلها بالكرم والوفاء والذكاء ، وهى متصلة بالنيل وخزان أسيوط من الجهة الغربية .

وفى هذه البيئة، وبين هؤلاء الرجال المؤمنين بوطنهم ورجولتهم ، تكون الطابع الأول لشخصية جمال عبد الناصر الصعيدى .

ولقد فتح عينيه على عالم قروى داخل منزل مبنى بأشياء الأرض البسيطة ، فى قرية «بنى مر» ، وقد كانت توجد فى هذه القرية مدرسة ابتدائية واحدة وثلاثة مساجد صغيرة وكنيسة ووحدة صحية . هذا كل ما كانت تعرفه هذه القرية من عناصر حضارية ، لأنها ككل قرى مصر فى ذلك الزمن نتاج مراحل طويلة من القهر والاستغلال والتهيمن التى عرفها الريف المصرى سواء من طرف النظام الاقطاعى أو ضمن الأشكال الجديدة للأستغلال التى أدخلها الإحتلال الإنجليزى .

تميزت قرية «بنى مر» من جهة أخرى بكون ثلث سكانها من الأقباط ، الأمر الذى جعل منها فضاء مصريا عربية يسمه التعاون والتعايش ، وشكل فيها تواجد كل من العنصر المسيحى والعنصر الإسلامى عوامل اخصاب واثراء للثقافة العامة التى كانت تتوزع داخل القرية ، خصوصاً وأن هذه الأخيرة لم تكن تتوفر على منشآت تعليمية أو ثقافية إلى حدود ١٨٩٠ إذ قرر جد جمال إنشاء كتاب قصد تعليم أبناء القرية القراءة والكتابة والحساب . وفى ١٩٢٢م بنيت أول مدرسة ابتدائية للبنين وفى سنة ١٩٤٤ أنشئت مدرسة أخرى للبنات .

داخل هذا الفضاء الريفى فتح جمال عينيه ، وبين أشيائه وناسه وترعرع ومع عناصره الثقافية العفوية تفاعل غير أن ما أثر فيه هو تلك العلاقة الوجودية الصميمية التر تربط إنسان تلك القرية مع الأرض . فهى رأسماله ومنها يستمد شروط استمراريته وبتدخله فيها تتشكل ثقافته ، تلك الثقافة التى تعكس بساطة العلاقة بين الإنسان كعنصر منتج والطبيعة باعتبارها قوة يتعين مصارعتها من أجل استعمال خيراتها .

كل هذه العناصر البيئية شكلت المناخ العام الذى فيه تربى جمال عبد الناصر ، وداخل هذه الظروف المادية القاسية استمد مقوماته الانفعالية واكتسب أساس شخصيته التى تجمع

بين مقاييس العزة والنخوة والعناد والإيمان بالعمل المبدع الذى يتجاوز الإيقاع الرتيب للحياة اليومية .

وعبد الناصر كان يؤمن بانتمائه الاجتماعى و لم يتنكر له فى يوم من الأيام ، كان يقول : «أنا أفخر بأننى واحد من أهالى «بنى مر» ، وأفخر أكثر من هذا بأنى واحد من عائلة فقيرة . وأنا أقول هذا لا سجل وأعاهدكم أن جمال عبد الناصر سيستمر حتى يموت ، فقيراً فى هذا الوطن» .

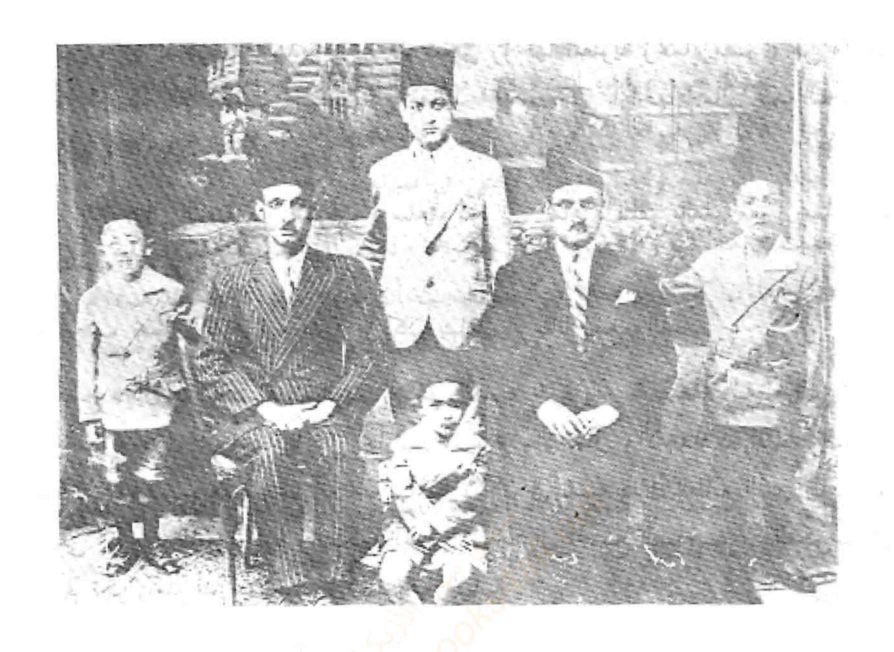
انتقل إلى مدينة أسيوط لمواصلة تعليمه ، ومع ذلك بقى على اتصال يومى مع قريته . و لم تنسه حركة المدينة ارتباطه العضوى مع العائلة والأرض والناس . وبعد ذلك ذهب إلى الإسكندرية مع والده الذى عين فيما بعد بالقاهرة مأموراً للبريد فى حى «الخرنفش» الموجود بين الأزبكية والعباسية . وفى هذا الحى يستأجر أبوه بيتاً فى ملكية أحد اليهود المصريين . حيث سينخرط جمال عبد الناصر ، شيئا فشيئا ، فى حركة الوعى التى أخذت تتشكل ضد المستعمر البريطانى الذى كان يهيمن بشكل مطلق على مقدرات الشعب المصرى ويحاصر كل إرادة ، تسعى إلى الانعتاق والتحرر .

لكن موت أمه كانت صدمة عنيفة زعزعت كيان الطفل واستدعته للتفكير فى وضعه الجديد المتميز باليتم ، وليست هذه أول علاقة له مع الموت . إذ أنه فى طفولته المبكرة تعلم أن جهنم هى مآل كل من ارتكب ذنبا أو معصية و : «أن كل الأطفال يدخلون الجنة تلقائيا . وكانت فكرة جهنم تخيفه إلى حد أنه ــ وهو فى السابعة - قرر مع صبى اخر أن لا يخاطر بالذهاب إلى هناك ، فقررا أن يقدما على الإنتحار . وهكذا ذهبا إلى مكتب البريد وسرقا شيئا من الشمع الأحمر الذى كان والده يحذره دوما من كونه ساماً . وأكلا الشمع ورقدا فى انتظار الموت»[1] .

هكذا عاش الطفل جمال تجربة الموت ، ولكن أنطفأ أمه أدى به إلى طرح سؤال الموت وإلى عزله وجوديه تمكن داخلها من إعادة صوغ كثير من الأشياء والتى تفتحت عليها شخصيته ونفسه ، ولقد شاهد ولمس فى هذا السن كيف تحولت الثورة - ونقصد هنا ثورة ١٩١٩م - إلى مطامع وصراع .

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك :
ــ مجلة الوحدة - المغرب - العدد ١٦ - لعام ١٩٨٦
ــ جان لاكويتر ، عبد الناصر ، دار النهار- بيروت ، ١٩٧١م .
ــ محمد حسنين هيكل ، عبد الناصر والعالم ، دار النهار - بيروت - ١٩٧١م .



قرب نهاية الدراسة الإبتدائية .. واقفا فى صورة تذكارية بين والده وعمه وعلى الجانبين وفى المقدمة أشقاؤه الثلاثة

ففى سن الثامنة — الذى يوافق عام ١٩٢٦م ، وهو العام الذى غادر فيه جمال عبد الناصر الريف إلى القاهرة كانت السياسة قد قضت على الوطنية ، ونقلتها من روح الجهاد ومقاومة المستعمر إلى هذا الاسلوب من المناورات السياسية والصراع الحزبى ، وتحول الكفاح من الخارج إلى الداخل ، فبعد أن كانت مصر تتجمع كلها لتحارب المستعمر ، انقسمت إلى صراع داخلى قوامه الشتم والسباب بين الأحزاب المصرية .

ورأى جمال عبد الناصر كيف أن ثورة ١٩١٩ التى سمع قصتها من شيوخ بنى مر ، والتى اشتركت فيها طوائف الشعب فى أسيوط وفى كل الأقاليم ... فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه فى القاهرة ... هذه الثورة قد سحق روحها المعنوية زعماء مصر ، من مدرسة السياسة الحزبية التى ظلت تسيطر على مقاليد الحكم حتى أزاحها جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولما بلغ جمال الثامنة من عمره ، أرسله والده إلى القاهرة لتلقى العلم معبراً عما يخالجه من مختلف المشاعر .

فأعجب بجمال القاهرة وكثيراً ما كان يتبادل الرسائل مع والديه .

ونضج جمال مبكراً ، أعطاه الريف ضعف عمره خبرة وتجربة ، هذه اليقظة التى تسمع وتستوعب وتختزن فى أعماقها كل تجارب الشيوخ والأعمال والأجداد .. فلما وصل إلى القاهرة لم يأخذه بهرها ، رغم أنه أعجب بها ، كان فى نفسه ذلك الطابع الذى ظل يعيش فيه حتى اليوم ، طابع الخلوة والتفكير العميق ، واعتزال المجتمع الصاخب ، والعكوف على آمال لم تكن بعد قد وضحت فى صورتها النهائية .

كانت رؤى تتمايل فى أعماق النفس ، كان وراء هذه الرغبة فى الخلوة وفى العكوف على النفس رسالة ومهمة وهدف ... مظهرها ما عرف عن جمال حيث كان فى المدرسة الثانوية يهيمن على الطلبة ويفكر فى مستقبل مصر ، ويبدى كراهيته العميقة للاستعمار .

وكان إلى ذلك يحب أن يستمع إلى رأى الناس ، كانت فى دمه القيادة ، وفى طبيعته الزعامة ، وأن القدر يهيئه لدور ، كان يؤمن بأنه يستطيع أن يعمل شيئاً ... ولعل هذا المعنى قد دفعه إلى آفاق الأحزاب والهيئات يريد أن يصل فيها إلى توجيه النصح للزعماء ، ليدرس إلى أى حد تستطيع هذه الأحزاب أداء واجب الوطن المقدس كان جمال يؤمن بنفسه ، ويؤمن بمصر ، ويؤمن بأنه لمصر ، ومن ذلك اليوم الذى وصل فيه إلى القاهرة ، كان قاسماً مشتركاً على جميع حركات التحرير والمقاومة .

وفى خلال هذا الاتجاه الذى كان يكشف شخصية جمال ، وقع حادث هام ... له أثره فى تكوينه واتجاهه .

ذلك أن والدته توفيت فى أواخر سنة ١٩٢٦م .

وكان جمال يحبها حباً خالصاً عميقاً ، فأثر ذلك فى نفسه أى تأثير ، وساعدة على الخلوة والتفكير .

وبدأت الحياة تأخذ فى نظره مظهراً جديداً .

وأمضى جمال عشر سنوات ، حتى كان عام ١٩٣٧م ، كان قد نال شهادة «البكالوريا» من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة ، وكنت درجاته ممتازة ، وكان قد اشترك فى ثورة ١٩٣٦م بعد تصريح هور ، هذه الثورة التى فقد فيها صديقه وزميله فى الكفاح الأول عبد الحميد مرسى الذى خر صريعاً للظلم والاحتلال ، فأنساه ما أصيب به فى نفس اليوم ، ورسم فى نفسه يومئذ أن عليه واجباً عليه أن يفنى فى سبيله .

فقد حدث فى هذا اليوم أن صحا جمال مبكراً ، وذهب إلى المدرسة وقال للطلبة زملائه : «أن الإنجليز يفعلون كل يوم عملاً منكراً ، فيجب أن نظهر شعورنا باحتقارهم» ثم وقف فى حوش المدرسة - بقوامه الطوال ، وعيناه اللامعتان ، وصوته الجهورى ، ولهجته الآمرة التى تحس فيها روح السيطرة والزعامة - وقال بأعلى صوت : «يسقط الإنجليز» .

«يسقط الإنجليز » .

وفى نفس هذه اللحظات اجتمع حوله الطلبة وساروا فى مظاهرة حتى وصلوا إلى الجامعة ، وهناك قامت الجامعة بأخطر مظاهرة حدثت فى ذلك الوقت .

وقاد جمال هذه المظاهرة ، ثم فجأة وبلا مقدمات أطلق البوليس الرصاص على الطلبة ، ورأى أحد الجنود جمال فجرى وراءه حتى لحق به وأصابه فى وجهه إصابة مايزال أثرها باقياً حتى الآن ، وما كاد يدخل المدرسة فى اليوم التالى حتى قابله الناظر وقال له : «أنت مفصول» .

هل كان هذا الحادث بداية القصة ومقدمة الكفاح .

إن جمال عبد الناصر نفسه لا يوافق على هذا ويقول : أن بذور الثورة فى نفسى كانت أبعد من الغور الذى عشت فيه طالباً أمشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣م ، وقد عاد الدستور سنة ١٩٣٥م ، وأيام أن كنت أسعى مع وفود الطلبة إلى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦م بالفعل على أثر هذه الجهود .

وفى خلال هذه الفترة كان جمال يقرأ بنهم عجيب ، كان يتطلع إلى تثقيف نفسه بكل ما تصل إليه يده ، وكان محباً لتاريخ الأبطال والزعماء من محررى البلاد وكان كلفا بأبطال الإسلام وشخصيات التاريخ ، وقد قرأ فى هذه الفترة كتب « الحركة القومية» للرافعى ، وقرأ «عودة الروح» لتوفيق الحكيم .

وكان يتوقق إلى دراسة الحقوق بعد الانتهاء من البكالوريا .

ولكنه عاد فى اللحظة الأخيرة فقرر دخول الكلية الحربية .

وفى التفرقة بين كلية الحقوق والكلية الحربية ... كان الفارق بين شخصية الشاب الذى كان قد فهم أن تحرير مصر ليس عن طريق القضية المصرية كما كان يطلق عليها المحامون الذين أتيح لهم أن يصبحوا زعماء مصر من تلاميذ المدارس الحزبية .

وكأنما كان القدر يرسم الخط العميق فى ثورة مصر وفى تحول التيار الوطنى من أسلوب المغالطة وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ... وهو ما أخذت به الزعامة السياسية المصرية من ١٩٢٣م إلى ١٩٥٢م ، وهو نفس الأسلوب الذى كانت تعرفه بعض الصحف المصرية خلال هذه الفترة فى الصراع بين الأحزاب على الاشلاء ، على المطامع الخاصة ، على كرسى الحكم ، على الفتات الذى ألقاه الإنجليز تحت أقدام المصريين ليتلهى به عن الهدف الأول الذى هو تحرير البلاد من الإستعمار .

فى هذه الأعوام ، كان جمال يتقدم من سن الثامنة عشرة ، وقد تكون طابعه النفسى على تلك الصورة ، الاعتكاف والازدراء للمتع الزائفة التى كانت تملأ نفوس الشباب فى هذا السن ، وتلك الملامح البراقة التى يعيشها الطلاب فى هذا العمر .

كان يحمل فوق أكتافه هذا الحزن العميق الذى صبغه موت والدته بطابع من الألم الدائم . بل أن قلقه سيتصاعد حين سيتزوج أبوه بعد موت أمه بمدة قصيرة ، فانخرط فى إيقاع اليتم وتولد لديه إحساس عام بالحرمان العاطفى ، الأمر الذى فرض عليه ضرورة الاعتماد على نفسه وترتيب شئون حياته ومستقبله لوحده بحيث اكتسب من هذه التجربة استقلالاً فى النظر والحكم ، وتميزاً فى أساليب التدخل والاختيار .

أما التجربة الثانية التى انكوى بها بعد الموت ، فتتمثل فى مغامرة السجن . إذ أنه لما انتقل إلى القاهرة وجد نفسه داخل حركة عامة تنطق بالاحتجاج والتذمر من واقع الحال الذى وصل إليه الإنسان المصرى والحجر الذى وجد نفسه محاصراً به . وفى إحدى المرات شارك فى مظاهرة ضد الإنجليز ، وشارك فيها من منطلق إحساس قوى بمعاداة هذه القوى

الاستعمارية ، وليس اهتداء بوعى دقيق بحقيقة الحركة الجماهيرية أو بطبيعة المرحلة التاريخية والسياسية التى كانت تمر منها مصر ، وانتهت المظاهرة باعتقال مجموعة كبيرة من المشاركين فيها من بينهم جمال عبد الناصر الذى لم يطرح سؤال الغاية من المظاهرة إلا داخل السجن ، حين علم من شاب معتقل أن المظاهرة نظمت من أجل المطالبة بالاستقلال وجلاء قوات الاحتلال الإنجليزى .

قرية «بنى مر» . ترحل أبيه الدائم . موت أمه . اعتقاله . ميله القوى نحو المعرفة والسؤال ، كل هذه الاعتبارات جعلت من جمال عبد الناصر شاباً متميزاً ورجلاً جسوراً . يقول عنه رفيقه حسن النشار وهو يروى ذكرياته مع عبد الناصر : «كان جمال عبد الناصر بالنسبة لنا كزملاء فى المدرسة وأصدقاء فى الحياة ، يمثل شيئاً مبهماً . فهو رائدنا فى كل شىء ، فى الدراسة ، وفيما بعد الدراسة ، كان أطول قامة منا جميعاً ، وكان رزيناً يستأنس بالوحدة والتأمل والصمت ، وكان دائم التفكير» .

لقد عرف عن عبد الناصر شغفه الكبير بالقراءة ، وكان اختياره للنصوص التى اطلع عليها يعكس الهموم الأساسية التى كانت تعتمل فى دواخله . وهكذا قرأ كتاب «المدافعون عن الإسلام» الذى قدمه المناضل المصرى مصطفى كامل ، واكتشف «طبائع الاستبداد» لعبد الرحمن الكواكبى وكذلك كتابه «أم القرى» الذى يتصور فيه مؤتمراً يتداول فيه المجتمعون موضوعات تتعلق بأسباب تخلف مصر والعالم العربى . كما قرأ لمحمد عبده وأحمد أمين وجمال الدين الأفغانى وشكيب أرسلان .

ويحكى «جان لاكوتير» أن عبد الناصر تأثر كثيراً بمصطفى كامل وبشخصية سعد زغلول كما غذته قصائد أحمد شوقى القومية .

ولم تقتصر قراءاته على الكُتّاب المصريين ، إذ تعدتها إلى الاطلاع على المفكرين الفرنسيين وحياة كثير من الشخصيات السياسية التى أثرت على مجرى التاريخ . وفى هذا الصدد يقول لاكوتير أيضاً أنه كان « يقبل على مطالعة مؤلفات مشاهير المفكرين والكتاب الأجانب ، حتى أننا نجد له فى هذه المجلة التى كانت تصدرها مدرسة « النهضة » مقالاً بعنوان « رجل الحرية » وفيه يبرز الكاتب دور فولتير وروسو كمفكرين حرين فى التمهيد للثورة الفرنسية وينوه بجهاد أولهما فى سبيل حرية الفكر والتعبير » بل انه تبين أن عبد الناصر أثناء التحاقه بالمدرسة الحربية ، قرأ كتاب : « بونابرت حاكم مصر » «لشارل رو » وكتباً أخرى عن الرجال الذين أثروا ، ان قليلاً أو كثيراً فى حركة الأحداث .

لم يكن عبد الناصر رجل قرار وسلطة وحسب ، بل كانت له علاقة خاصة مع الكتاب ،

ولم يتعب من القراءة بالرغم من التعب الجسدى الذى أصابه فى آخر أيامه . وفى هذا السياق ، يحكى أحمد بن بله أنه من بين القواسم المشتركة التى كان يلتقى فيها مع جمال عبد الناصر تأتى القراءة . إذ أنهما كانا يتبادلان الكتب والرسائل ويتناقشان فيها حول موضوعات استفادا منها عن طريق القراءة .

كل ذلك ، أنتج لديه شغفاً عارماً بالحياة وبمفاهيم الشرف والعزة والكرامة والحرية ، الأمر الذى أدى به إلى الاقتناع بضرورة الحركة من أجل بلورة هذا الشغف إلى ممارسة استمدت من ثورة الشعب المصرى مقومات مصداقيتها وجعلت من ملابسات المرحلة قاعدة استقطاب داخل صفوف الضباط والجنود التى انضم إليها بعد تخرجه من الكلية الحربية – كما سنفصل ذلك بعد قليل – وهكذا لم ينته عام ١٩٥١م ، كما يقول لاكوتير « حتى كانت النواة (أى نواة الضباط الأحرار) تضم نحو ٣٠٠ عضو يشكلون خلايا سرية على رأس كل واحدة منها ضابط ، وقد سارع عبد الناصر بعد حوادث القناة وحريق القاهرة إلى وضع منهج عمل يتركز على ست نقاط هى :

١ – تصفية الاستعمار والخونة الذين يؤيدونه فى صفوف المصريين .
٢ – تصفية الإقطاع الذى يملك أراض واسعة جداً ووضع حد لتحكم الإقطاعيين فى فلاحيهم .
٣ – وضع حد لسيطرة رأس المال على الحكم .
٤ – تحقيق العدالة الاجتماعية .
٥ – إنشاء جيش وطنى قوى .
٦ – إنشاء نظام ديمقراطى سليم .

هذه هى المبادىء الأساسية العامة التى على هديها تحرك تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى فى الفصل الثانى .

وبعودة إلى مرحلة الطفولة والتكوين العائلى بشتط البعض فى تفسيرها النفسى ، ومن هنا نحن نتفق فى الرأى مع رفض التحليلات والتفسيرات المبتذلة التى تنسب بشكل « ميكانيكى » ذاك النوع من الوعى القومى إلى ذاك الانتماء الطبقى ، باسم (ماركسية مبسطة) على سبيل المثال كما لو أن مجرد انتماء فرد إلى طبقة أو فئة اجتماعية معينة ، يولد لديه أيديولوجية تطابق حتمياً أيديولوجية طبقته الأصلية . وهذا لا يعنى أننا ننفى تأثير الطبقة أو البيئة الاجتماعية لفرد ما على تصوراته الأيديولوجية . لكن ما نريد أن نشدد عليه هو وجود تأثيرات أخرى ، كالممارسة السياسية والاجتماعية ، والوعى التاريخى ، والإرادة الثورية التى يمكن أن تدفع هذا

الفرد إلى تبنى أيديولوجية تختلف عن أيديولوجية طبقته أو بيئته الأصلية[1] .

هنالك تفسيرات أخرى كتحليل ديكمجيان ضخمت ، إلى حد ما ، تأثير العوامل النفسية – العائلية على وعى عبد الناصر السياسى والقومى . فقد كتب هـ . ديكمجيان يقول :

« لقد كانت حياته العائلية غير مستقرة ، وكانت علاقات الشاب عبد الناصر بأبيه متوترة ، خاصة بعد وفاة أمه . وأصبحت جياته العائلية تعيسة للغاية بعد أن تزوج أبوه للمرة الثانية ، لأنه أبعد لكى يعيش مع أقربائه (...) فزاد تغربه بتعمق ، فى الوقت الذى انتقل من أزمة عائلية إلى أزمة أوسع ، كانت تصيب كل المجتمع المصرى فى منتصف العشرينات والثلاثينات »[2] .

كما حاول الباحث الأمريكى ولفنشتاين أن يطبق التحليل النفسى الفرويدى فى هذا المجال ، فشدد على تأثير أحداث طفولة عبد الناصر على تصرفاته وسلوكه فيما بعد : وفاة أمه ، وخلافه مع أبيه ، مما أثر على نظرته للعالم ، فاعتبر أن مصر هى الأم الفقيدة التى يجب بعثها وإنقاذها من الدمار .

هذا لا يعنى أننا ننفى أى تأثير لحياة عبد الناصر العائلية على تكون وعيه القومى ، ولكننا نعتقد أنه يجب الأخذ بالجانب الاجتماعى لحياته العائلية وليس الاقتصار على جانبها النفسى – العاطفى ، والمعروف أن عائلة ناصر عاشت فى ترحال دائم ، على عكس العائلات الفلاحية التى كانت فى حال نزوحها من الريف إلى المدينة ، تثبت فيها بشكل نهائى ، ذلك الانسلاخ الدائم يعود إلى مهنة الأب الموظف فى البريد ، الذى كان عليه أن يتنقل حسب متطلبات وظيفته . غادر والد جمال ذويه الفلاحين وقريته بنيمر نهائياً ، إلى الإسكندرية حيث تزوج فى ١٩١٧م من ابنة أحد التجار . وبعد ولادة ، عبد الناصر فى ١٩١٨م ، اضطرت العائلة إلى الانتقال إلى أسيوط (١٩٢١م) ثم إلى حلوان وهى إحدى ضواحى القاهرة ، (١٩٢٨م) ، ثم عادت إلى الإسكندرية (١٩٢٩م) وأخيراً إلى القاهرة (١٩٣٠م – ١٩٣٦م) .

وقد أدى هذا التجوال الدائم فى مصر على حد وصف البعض ممن تختلف معهم وهى

---

(١) مارلين نصر : القصور القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢م – ١٩٧٠م) دار المستقبل العربى – ١٩٨١م ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) ويذكر دكمجيان عوامل أخرى كالمدرسة والإحتلال البريطانى والأحداث السياسية العامة التى أثرت على حياة عبد الناصر الشاب ، بالإضافة إلى العامل النفسى – العائلى (فى مارلين نصر) مصدر سابق .



البكالوريا : مدرسة النهضة بالظاهر عام ١٩٣٦



حلوان الثانوية لسنة واحدة عام ١٩٣١



كلية الحقوق فى بدايات سنة ١٩٣٧



جمال ملازم ثانى فى ١٧ يوليو عام ١٩٣٨



طالب فى الكلية الحربية فى أواخر ١٩٣٧

بعد أن انتقل إليها من الحقوق



حامل علم الكتيبة فى طابور احتفال عام ١٩٤٠

تمر فى مرحلة تحول من الاقتصاد التقليدى إلى اقتصاد سوق تجارى ، إلى اقتلاع أسرة عبد الناصر من جذورها وجعلها قبل الأوان عائلة صغيرة نواتية من الطراز الحديث السائد حالياً فى المدن الكبرى .

فلم يكن الارتباط الوحيد ، بالأرض - الإقليم ، الذى عرفه عبد الناصر فى شبابه ارتباطاً بالقرية أو بالحى فى هذه المدينة أوّ تلك ، على غرار ارتباط معظم المصريين ، وإنما امتد ارتباطه بالأرض إلى مجمل الأرض المصرية وبشكل خاص إلى المجال المدينى والضاحوى فى مدن مصر الكبرى ، تارة القاهرة ، وتارة أخرى الإسكندرية حيث تابع عبد الناصر دروسه بعيداً عن المنزل الأبوى ، فكانت علاقه العائلية التى عرفها علاقة بعائلة صغيرة من نوع العائلات النواتية المقتلعة من بيئتها الأصلية والمنقطعة عن العائلة الكبيرة الممتدة لتى كانت لاتزال ، آنذاك ، سائدة فى الريف المصرى . وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الارتباط العائلى ما لبث أن انفك باكراً بالنسبة للفتى عبد الناصر ، عندما أرسل وهو فى السابعة من عمره إلى بيت خاله فى القاهرة لمتابعة دروسة فى مدرسة « النحاسين » الابتدائية ، وما أن بلغ التاسعة من العمر حتى توفيت أمه وتزوج أبوه مرة ثانية وفقد بذلك حنان الأم وعرف الوحشة العائلية والعاطفية ، وهو بعد طفل .

أن عوامل التنقل أو عدم الاستقرار الجغرافى والانسلاخ الاجتماعى العائلى على حد وصف د . مارلين نصر لدى عبد الناصر كونت ، فى اعتقاد العديد من المؤرخين العلمانيين أرضية خصبة لبروز وعيه القومى[1] .

بل ويذهب هؤلاء إلى أن ضعف الروابط التقليدية والاجتماعية (الريفية والمدنية) لدى عبد الناصر وانسلاخه الناتج عن انهيار تلك الروابط وعن التنقل الدائم ، جعلاه يبحث باكرا عن هوية انتماء من نوع آخر وجدهما فى مصر بأكملها ، وطنه الوحيد وفى أفق الأمة العربية ، فيما بعد ، أمته الوحيدة . لقد وجد هويته التى بحث عنها منذ الصغر ، فى عزلته سبباً فى رغبته الجامحة بالوحدة . وحدة وطنية تجمع كل الشعب المصرى ، ووجدة قومية أوسع تجمع كل الشعوب العربية ، وتقضى نهائياً على «زمن العزلة» .

ونحن نختلف مع هذه الآراء ، ونرى أنها من قبيل ترهاتٍ وتخريجات خيالية لبعض القوميين العرب ذوى النزوع الماركسى العلمانى (الذى أفل زمانه وولى) ونؤكد فى المقابل ألا تناقض

(١) استمر عبد الناصر فى التنقل من مدرسة إلى مدرسة ومن مسكن إلى آخر بين القاهرة والاسكندرية حسب تنقلات عائلة أبيه ، وذلك حتى نهاية دروسه الثانوية (١٩٣٦م) ولم يعرف الاستقرار ، نسبيا ، إلا بعد دخوله الجيش ، فقد أمضى ثلاث سنوات فى السودان (١٩٣٩ - ١٩٤٢) ولم يثبت نهائيا فى القاهرة إلا بعد تعيينه مدرسا فى الكلية الحربية .

يذكر بين (الهوية القومية) بمعناها الصحيح وبين التأكيد على هوية الأسرة الصغيرة والانتماء الأسرى ، والمأساة التى ارتكبها د . مارلين نصر ومن حام حومها من القوميين العلمانيين - ونؤكد هنا على كلمة العلمانيين - أنهم لكى يؤكد قومية عبد الناصر ونزوعه الغروبى ، أرادوا تفتيت انتمائه الأسرى وتأكيد انسلاخه الاجتماعى لمحيطه الأسرى الصغير ، فهم من حيث أرادوا البناء هدموا ، إذ كيف يستقيم الانتماء القومى ومصداقيته لدى(عبد الناصر) وهو فاقد للانتماء بمعناه الأسرى الصحيح ، وكيف نعطى فكرة (زواج والده) بعد وفاة أمه - أكثر من حجمها وفكرة ترحال أسرته نتيجة وظيفة والده ، أكثر من حجمها الصحيح ، إن هذا تجنى ، وتحامل ليس فقط على (عبد الناصر) بل على الموضوعية العلمية ذاتها ، والتى أهدرها هؤلاء الباحثون دون وعى . إن الأدق هو التأكيد على انتمائه الأسرى - كما حدث بالفعل - وعلى رؤيته العروبية والإسلامية إن وجدت ، وأيضاً دون مبالغة مفتعلة كما يحاول البعض أن يصور عبد الناصر القائد المسلم ، ونموذج لذلك وصف الأستاذ/أنور الجندى ، أن محمد (صلى الله عليه وسلم) كان المثل الأعلى لعبد الناصر ، ووفقاً لذلك ظل دائماً يتبع هديه ، ويقتفي خطاه ، ويستهدى صورة نفسه وملامح شخصيته ، مستوعباً شمائل النبى ﷺ ، وهو يصفه بهذه العبارات التى تنبعث من أعماق نفسه :

(كان محمد عليه السلام نقى السر والعلن ، طهور الظاهر والباطن ، لا يوجد بين حياته الخاصة وحياته العامة حجاب ، فسيرته فى نفسه وفى بيته كسيرته بين الناس ، ودعوته التى يعرض على الناس أصولها ، كان أول الناس أحتكاماً إليها وأخذاً بها ، وقد ظل بارزاً للأصدقاء والخصوم سنين طويلة ، فما عرفت عنه ريبة ، ولا وقع تناقض بين سلوكه الخاص وسلوكه العام[1] .

إن الرسالة التى نادى بها هى الرسالة التى عاش فيها ، وهى التى ضبطت أحواله كلها سواء الذى أطلع عليه الناس ، والذى خفى عن أعين الناس .

ومثل ذلك لا يطيقه الأدعياء من أصحاب الشهوات ومن ذوى الرجولة المريضة ، والأخلاق الملتوية ، ولقد حاول خصوم رسالته أن يستدرجوه إلى المداهنة والمسلك المزدوج فأبى ، وهو القائل : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » .

ومن ذلك يقول القرآن : ﴿ **فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ .

---

(١) أنور الجندى : جمال عبد الناصر والثورة - ١٩٥٥م - دار الجمهورية للطباعة والنشر - القاهرة - ص ٩ - ٢٠ (جدير بالذكر أن الاستاذ / أنور الجندى - أمد الله فى عمره - من أهم وأبرز الكتاب الإسلاميين فى مصر اليوم ١٩٩٢م) المؤلف .

والحق أن صاحب الرسالة العظمى قد زوده الله بزاد من الشرف والصراحة والثبات ، وهى كفاء ما حمل من أمانة ، وبلغ من رسالة .

ثم يختم جمال عبد الناصر تصويره العميق القوى لشخصية الرسول بهذه العبارة : « ولن يصل صاحب رسالة نبيلة إلى غايته إلا إذا مشى فى هذا السبيل » .

حقاً أن ُجمال صاحب رسالة نبيلة ، وأنه يهتدى بمثله الأعلى ، ألم يواجه مجتمعاً أقرب إلى ذلك المجتمع الذى واجهه النبى العظيم ؟.. إذن فهو فى حاجة إلى أخلاقه وهداه ليستطيع أن يحطم الأصنام ويهدم صروح الطغيان ، ويقذف بالظالمين والإقطاعيين والمتسلطين خارج الموكب الذى يريد أن يندفع فى قوة إلى المجد .

حقاً ... لقد جاء جمال عبد الناصر ليطهر طريق مصر من الصخور والجنادل ، فهو فى حاجة إلى روح هذا النبى القوى ليهتدى به فى عمله العسير الشاق .

إنه يؤمن بما وصف به الرسول : أن طبيعة الرجل العظيم أن يعتمد دائماً على الصراحة والصدق ، ولا ينتهز الفرص لبناء مجد كاذب ، أو اكتساب عظمة زائفة ، إن محمدا يحب أن يدرس ويعرف ليدرك الناس من خلاله الذكية ونفسه النقية ، ما يعمر النفوس بالإخلاص والبر » .

لقد عاش جمال عبد الناصر شبابه يقرأ بشغف ، ويدرس حياة الاعلام والعظماء والفاتحين والحاكمين ، شأنه فى ذلك شأن كل من هيأ نفسه لعمل عظيم .

ولا شك أن النبى محمد ﷺ قد كان فى مقدمة هذه الشخصيات الضخمة التى قرأ عنها بإمعان ، واستقى منها خبرتها وتجاربها ، وحاول أن يقتدى بها حين أسلمت إليه الأمور مقاليدها . (والقول لأنور الجندى ونحن نشك فى هذه المبالغة[1]) .

أسس الاختيار للوظيفة العسكرية :

كان جمال عبد الناصر راغباً إلى التخرج من كلية الحقوق . ولكنه غير رأيه فى آخر لحظة واختار الكلية الحربية .. كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٧م ، فما هو السر الذى دفعه إلى هذا الإتجاه ؟.

كانت مصر قد عقدت معاهدة « الشرف والاستقلال » فى صيف ١٩٣٦ واستقبلتها الصحافة والبلاد واستقبلت أبطالها الذين وقعوا عليها استقبال الفاتحين .

---

(١) المؤلف .



١٥ ابريل عام ١٩٤٨ فى رحلة ميدانية لكلية أركان الحرب فى سيناء على قمة جبل موسى وبعد شهر واحد كان فى سيناء مرة أخرى فى طريقه للقتال فى حرب فلسطين حيث اختمرت فكرة الثورة وبدأت تنظيماتها وراح يشكل خلاياها الضباط الأحرار

كان جمال عبد الناصر قد اشترك فى دعوة الزعماء إلى الوحدة ، فلما رأى أن هذه الدعوة خلفت من وراءها غلاً جديد وقيداً حديدياً .. هو تحويل الاحتلال الذى كانت بريطانيا فيه غاضبة إلى احتلال شرعى بمقتضى وثيقة . أذهل هذا جمال ، بعد أن رأى جميع زعماء مصر فى ذلك الحين يوقعون معاهدة الشرق والاستقلال ، وقد حشدهم الاستعمار فيها حشداً : مصطفى النحاس . محمد محمود . إسماعيل صدقى . أحمد ماهر . على الشمسى . عبد الفتاح يحيى . واصف بطرس غالى . عثمان محرم . محمد حلمى عيسى . مكرم عبيد . حافظ عفيفى . محمود فهمى النقراشى . أحمد حمدى سيف النصر .

إذن لم يعد هناك أمل فى هذا الطاقم السياسى الذى خرجته كلية الحقوق ، وليس هذا هو الطريق الذى يؤدى إلى تحقيق آمال البلاد ، ورد حريتها وكرامتها ، ولابد من سلوك طريق آخر :

.. هو طريق القوة ..

ولن يتحقق هذا إلا بالتحول إلى الكلية الحربية .

لقد اقتنع جمال عبد الناصر بأن التفوق فى العلم هو أهم أسلحتنا ضد الأجنبى وأن مقابلة الرصاص الإنجليزى لا يكون بالمظاهرات ، ولكن بالحرب والتدرب على فنونها .

وكانت الصور التى قرأها للأبطال والأعلام والزعماء قد رسمت له صورة « البطل » فى صورة المحارب الفاتح الذى يحرر وطنه ويسوق المحتلين مورد الهلاك ، وزاده يقيناً بهذا الاتجاه وتأكيداً له ، قراءته لتاريخ عرابى .. فإن لعرابى عند مصر ثأراً ، وله فى عنق الجيش المصرى وديعة .

لقد فتح الطريق أمام الطامحين لمثل هذا المجد ، مجد تحرير البلاد من ظلم هذه الأسرة الطاغية الأجنبية التى لا يجرى فيها الدم المصرى والتى تحتقر المصريين .

ولا أستطيع أن أقول أن هذه المعانى كانت واضحة فى ذهن جمال عبد الناصر على هذه الصورة ، ولكنها كانت متجمعة كبؤرة من الضوء تدفع فى قوة إلى اتجاه معين ، وتدع الرؤيا تنبعث منها مع تطور الزمن ومرور الوقت .

وكل ما يمكن أن يقال أن جمال الشاب فى سن الثامنة عشر كان قد اقتنع بأن البلاد تمر بمرحلة مريرة ذليلة من تاريخها ، وأن بريطانيا تدوس بقدمها على عنق هذا الوطن فترغمه على أن يمرغ رأسه فى الوحل .

ويبدو هذا فى وضوح رسالة جمال إلى أحد أصدقائه ، وتاريخ هذه الرسالة ۲ ديسمبر سنة ١٩٣٥م ، وهو فى ابان الثورة النفسية التى دفعته فيما بعد إلى الإيمان بأنه لا سبيل إلى تحقيق هذفه إلا بالقوة والاتجاه إلى الكلية الحربية كجزء من إعداد هذه القوة التى يمكن بها مقاومة الاستعمار وتحرير مصر . ويحمل هذا الاتجاه معنى الوضوح والواقعية والاتجاه إلى الناحية العملية الصرفة دون الاعتماد على الخيالات والأحلام .

« أخــى » ...

قال الله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ ... فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم . إن الموقف اليوم دقيق ، وموقف مصر أدق . ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت . فإن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟..

إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة (وزارة توفيق نسيم) فأين من يغير هذا الحال .. إن الدستور معطل ، والحماية على وشك الإعلان . فأين من يقول للإستعمار قف عند حدك . فأن فى مصر رجالاً ذوى كرامة ، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام . أين الكرامة . أين الوطنية . أين الذى يسمونه رعونة الشباب . كل ذلك قد غاب فى الآفاق ، وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف والرقيم . فأين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون ؟

قال مصطفى كامل : « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » .. ولكننا نجد الآن حياة مع يأس ويأساً مع حياة . لقد انقلبت الآية يا أخى فرجعنا إلى الوراء . رجعنا خمسين سنة إلى الوراء . رجعنا إلى حكم كرومر ، ولكن كرومر وجد من أذله وشنع به فى عرض المعمورة ، فكانت النتيجة أن استقال . ولكن أين من يشنع الآن . إن الجميع يتمسحون بأذيال الإستعمار ولا يعرفون إلا الملق والتزلف . أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ، ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهو أثبت من الأطواد رأياً وقلباً ، إذا عز النصير وخيف الزيغ ، وأرهبته القوة الغشوم .. بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩م تشتعل ناراً فى الصدور . بل أين ذلك الذى بذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحياً الحياة والعمر فى سبيل الاستقلال .

وفى رسالة أخرى مضى جمال فى تصوير شعوره الوطنى الذى تثور فى أعماقه معركة توشك أن تحدد موقفه من الإستعمار ومن الإستبداد ومن الدجل السياسى جميعاً (وفقاً لقول أنور الجندى) ..

« .. لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة » واستقبلنا غبار الموت ، فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب ويعيد مصر سيرتها الأولى . يوم أن كانت مالكة العالم . أين من يخلق مصر خلقاً جديداً ، حتى يصبح المصرى الخافض الصوت ، الضعيف الأمل ، الذى يطرق برأسه ساكناً صابراً على حقه المهضوم .. يقظاً عالى الصوت ، عظيم الرجاء ، مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الحرية والاستقلال ؟..

يقولون : أن المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار . ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد ، تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد .. فكل روح سكنت جسماً جاء من أبوين مصريين لا ترضى بحالتنا الراهنة ، وتبذل نفسها قرباناً للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة .

قال مصطفى كامل : « لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل ، فلن أتغير عن المبدأ .

.. كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور . ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن .. » .

الحيـــاة العسكــرية :

دخل جمال الكلية الحربية ، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزون من قبل ٩٠ طالباً ، وعرف باستقامته والاعتزاز بنفسه وميله إلى الحياة الجدية .. ويصفه اللواء عبد الواحد عمار مدير الكلية بالآتى :

« الطالب جمال عبد الناصر حسين ذى النظرة الجدية للحياة منذ رأيته ومنذ التحق بالكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧م ، وأنا أراه لا يميل للمزاح ، فلا يأتى بحركات تخرج به عن حدود الرزانة والوقار . عرف جمع زملائه فى الكلية أنه رجل ، فلا يوقع بأحد ولا يخون أحداً . ومما عرفته أنه يعمل لكل شىء حسابا ، ويقدر العواقب ويعمل وفق ما يرضى ضميره وربه » .

حصل على ٧١ فى المائة فلم ترضى طموحه ، فالتحق بكلية أركان الحرب وسهر الليالى الطويلة مكباً على الدراسة العسكرية حتى هضمها .

كان ثائراً منذ تخرج من الكلية الحربية ، وكان ينتقد كل ما فى مصر من أخطاء .



جمال ضابطا برتبة الملازم أول فى الخرطوم فى نهاية سنة ١٩٤٠



وبين قادتها وضباطها عام ١٩٤٥ وقد أصبح برتبة اليوزباشى نفس السن التى بدأت فيها الأحلام الأولى للثورة تراوده

ولا أزال أذكر مناقشاته لأصحابه وزملائه ، فقد كانت لا تدور إلا عن مصر ومستقبلها .

وتخرج جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ والتحق بالكتيبة الثالثة بنادق ، ونقل إلى منقباد بأسيوط حيث تعرف بأنور السادات وزكريا محيى الدين .

وفى سنة ١٩٣٩م نقل إلى الإسكندرية حيث تعرف بعبد الحكيم عامر الذى تخرج فى الدفعة التالية له من الكلية الحربية .

وفى سنة ١٩٤٢م نقل إلى معسكر العلمين ، وكانت هذه فرصة ليرقب حالة التوتر التى كانت تسود مصر .

ثم نُقِل إلى السودان ، وصحبه عبد الحكيم عامر حيث عملا فى جبل الأولياء .

فى هذه السنوات الخمس تنقل جمال بين منقباد والإسكندرية والعلمين والسودان ، فكانت فترة خبرة لا شك فى أثرها البعيد فى تكوينه وإعداد الخطوط الرئيسية للخطة العملية التى كان يدرسها فى سبيل تحقيق الرسالة التى ملأت عليه آفاق حياته ، وهى بداية صفحة جديدة من تاريخ جمال الضابط داخل الجيش ... « فقد كان الضباط فى ذلك الوقت يكونون شبه أحزاب داخل كل كتيبة ، وكان كل حزب يحاول أن يستميل أكبر عدد من الضباط ليتغلب على باقى الأحزاب » .

وقال اللواء عبد الواحد عمار عن جمال وعبد الحكيم ، وكان يعمل معهما فى الكتيبة الثالثة بنادق بمدينة الخرطوم : « كنت لا أرى أحدهما بدون الآخر ، فجمال وعبد الحكيم روح واحدة فى جسدين ، وعندما نقل جمال وعبد الحكيم معاً مع القوة المسئولة عن حراسة منطقة جبل الأولياء فى السودان ، حمدا الله على أنه لم يفرق بينهما .. » .

ومن جبل الأولياء كتب لأحد أصدقائه فى مصر مصوراً آماله :

« .. سيكون أمامك المستقبل . ولكنه يحتاج إلى جهاد . ولا لذة لمستقبل دون جهاد . فالحياة الخاوية الخاملة ، أو الطريق المرسومة المعروفة تنعدم فيها اللذة . كل عيبى هنا أننى « دغرى » لا أعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ، ولا أتمسح بالأذيال ، إذ أن شخصاً هذه صفاته يحترم من الجميع ، ولكن الرؤساء يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم ، ويسوءهم ذلك الذى لا يتملقهم . فهذه كبرياء . وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف الإستعمار . يقولون : « كما كنا يجب أن يكونوا ، وكما رأينا يجب أن يروا .. والويل كل الويل لذلك المتكبر الذى تأبى نفسه السير على منوالهم .

ويحزننى أن أقول : ن هذه السياسية نجحت نجاحاً باهراً ، فهم يصهرون نفوس

الشبان . وكلهم شباب لم تضلهم الأيام بعد . ويحزننى أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم ، فأصبح منافقاً متملقاً . ويحزننى أن أقول أننا نسير إلى الهاوية بالرياء والملق والنفاق ..

أما أنا فقد صمدت . ومازلت . ولذلك تجدنى فى عداء مستمر مع هؤلاء الكبار .. » .

ولكن الأمور لم تسر طبيعية بعد ، فقد بدأ كبار ضباط الجيش فى ذلك الحين ينظرون إلى جمال كمنافس خطير .. جاء ليحطم الأصنام ، ويبشر بدعوة جديدة . فشنوا عليه حرباً لا هوادة فيها ، وحاكوا له الدسائس .

ولكنه استمر فى دعوته .. وإن كان قد أحس بأن الطريق شاق ، وأن كبار الضباط الذين عاشوا على الدس والوقيعة والحقد لن يتركوه ... فلما حان وقت الترشيح للنقل إلى السودان « الكتيبة الثالثة » وضعوا اسمه بها .

ورحب هو بذلك ...

وفى السودان توطدت صداقة جمال وعبد الحكيم عامر ، وعلى الرغم من عزلتهما فإنهما كانا يشعران بسعادة كبيرة ، واتحد تفكيرهما فى كثير مما كان يساورهما من الآراء نحو مصر وأوضاعها - هكذا يقول المؤرخون[1] - وتبلورت هذه المعانى فى صورة جديدة واضحة .. هى القضاء على الفساد الذى استشرى فيها .

وفى هذه الفترة قرأ جمال كثيراً .. والتهم وزميله عدداً من الكتب .

وكانت الكلية الحربية قد فتحت أمامه آفاقاً جديدة فى الدراسة ، دارسة الحروب والتكتيك والوقائع والأعمال الضخمة التى قام بها نابليون وخالد والاسكندر .

وكانت فرصة للتحضير لكلية أركان الحرب ..

حقاً .. لقد دخل جمال عبد الناصر فى دور صراع جديد ، هو الصراع مع الطبقة القديمة فى الجيش . أنه رفض أن يكون ذليلاً لهم . أن الذى يزعج جمال هو أن الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقاً متملقاً ، وأن الجيش لذلك يسير نحو الهاوية . على حد قول أنور الجندى فى كتابه سالف الذكر (ص ٢٧) .

ويبدو أن فترة التأمل الطويل التى أتاحها له الفراغ فى جبل الأولياء قد أكدت أفكاره وآرائه ، فهو يكتب فى أغسطس سنة ١٩٤١م إلى صديقه فى القاهرة خطاباً يبين هذا التطور

---

(١) انظر المصادر السابقة .

الجديد :

« .. إن الحياة الآن تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه فى الماضى ، وطبعاً فى هذا الاختلاف تأثير على النفس وعلى الفكرة التى كونتها عن الحياة . والحقيقة أن كل ما كانت أعتقده فى سنة ١٩٣٦م وما حولها من الأيام يتغير تغيراً مستمراً ، وتثبت لى الأيام أن تفكيرى فى الأيام الماضية كان خطأ ، وأن نظرياتى ونظرياتك أيضاً كانت كلها من بنات الخيال .. وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لى ..

تصور كلامى وتعجب .. جرى أيه لجمال عبد الناصر .. ولكن إذا عشت ربع المدة التى عشتها فى هذا الجو ، لكنت ألعن من ذلك . الإخلاص معدوم . والذمة مفقودة ، والضمير لا تسمع عنه . إذا كنت أنا الوحيد فى هذه البيئة أعترف بالضمير وأعترف بالذمة فطبعاً أكون مغبوناً جداً .. إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذى لا يرضى عن الذمة بديلا .

فى خلال هذه الفترة بدأ جمال عمله الفعلى . أشعل الجذوة فى ليالى منقباد . وكان فى صمته خلال نقله إلى السودان ، وبعد عودته ، يعد العدة لجذوة أخرى لا ينطفىء ضوؤها ولا يفرغ زيتها (على حد تعبير أنور السادات فى مؤلفه : « يا ولدى هذا عمك جمال ») .

كان جمال فى خلال هذه الرحلة الطويلة يبحث عن الرجال والأعوان ، عيناه الفاحصتان تبحثان عن الأعوان والرجال .

إن جمال يؤمن بالحكمة فى هذه الفترة المبكرة ، ولذلك فهو يقول لصديقه فى مارس سنة ١٩٤١م ، فى خطاب من الخرطوم : « أرجو ألا تكون قد اندفعت بغير عقل أو تندفع بغير روية .. » .

وهو بهذا التحفظ وهذه الأعصاب الهادئة ، يفكر طويلاً ، وتعيش الفكرة فى أعماقه حتى تنصهر وتستوى وتولد قوية حية .. لا تموت .

لقد فتح جمال هذا الباب الجديد .. باب الضابط المصرى المتحفظ بالكرامة الذى لا ينحنى ولا يتملق . والذى لا يخشى أحداً إلا الله . هذا النموذج الجديد الذى لا يعرف السهر ولا الشراب ولا اللذات الرخيصة ، المستقيم الذى يصلى ويصوم ويعبد الله ويخشاه .

لقد كسب خبرة ضخمة من معرفة الناس والبلاد ، وشاهد عن كثب أوضاع الإستعمار فى السودان والعلمين .

وعاد جمال عبد الناصر من السودان سنة ١٩٤٢م حيث عين مدرساً بالكلية الحربية ، والتحق بكلية أركان الحرب فنال شهادتها بتفوق ، والتقى من خلال دراسته بها بزملائه الذين أسس معهم تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى فى الفصل الثانى من هذه الموسوعة .



عبد الناصر مع والده فى الإسكندرية ١٩٦٤



فى صالون البيت ووراءه صورة الزفاف



مع حاتم صادق وقرينته هدى عبد الناصر وابنتهما الأولى هاله فى بيته بمنشية البكرى



منى عبد الناصر وابنها جمال فى استراحة القناطر وعبد الحكيم عبد الناصر فى الخلف وخالد عبد الناصر إلى اليمين يرقبان جمال الجد وجمال الحفيد



الأبناء خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر إلى يساره فى البيت بمنشية البكرى



ومع أصغر أبنائه عبد الحكيم ١٩٦٦

الفصل الثانى

الطريق إلى ثورة يوليو

تشكيل الضباط الأحرار



الطريق إلى ثورة يوليو
تشكيل (الضباط الأحرار)

فى الطريق إلى أحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م أو (حركة يوليو) كما يحلو للبعض تسميتها ، جرت تحت السطح مياه كثيرة ، وكان تنظيم الضباط الأحرار ، بعضاً من تلك المياه ، ولأن البعض رأى فيه امتداداً له داخل الجيش ، والبعض الآخر رأى فيه تنظيماً عميلاً لقوى أجنبية وبخاصة الولايات المتحدة ، بل وأسمى هذه الثورة بـ« ثورة يوليو الأمريكية» وبأن من لا يفهم ذلك فهو من المغفلين[1] لأن البعض رأى ذلك ولكى يستقيم الأمر ، وتتضح أبعاده ، فإننا سوف نقدم هنا نماذج من تلك الرؤى ، لعل فى إيرادها وبشكل أمين ونقدى ، أن نلم بكافة الجوانب التاريخية التى أحاطت بهذا التنظيم السياسى العسكرى .

من هنا سوف نمحور الحديث حول النقاط التالية :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة وتطور التنظيم .

خامساً : المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وبتفصيل ما سبق يستبين ما يلى :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها :

كان الجيش المصرى قبل ١٩٥٢م ، بيئة فاعلة ومؤثرة فى الحياة السياسية المصرية ، لم تكن مفاهيم مثل (الانضباط العسكرى) ، و(الالتزام بشرف العسكرية) تحول بينه وبين التفاعل الحقيقى مع هموم الوطن وقضاياه الكبرى ، وكان الحديث فى السياسة ،

---

(١) انظر كتابات محمد جلال كشك عن ثورة يوليو وبخاصة :
- ثورة يوليو الأمريكية - القاهرة - ١٩٨٨م .
- كلمتى للمغفلين : القاهرة - ١٩٨٩م .
- الناصريون قادمون - القاهرة - ١٩٨٩م .

شائع ، ومباح ، داخل الجيش ، بل كان بعض القادة السياسيين والإسلاميين يحاضرون فى تلك الوحدات ، دون حرج أو خوف . أو ادعاء زائف بما يسمى بالانضباط العسكرى . فلقد كانت مصر ذات هم واحد ، وقضية مشتركة ، ساهم الإحتلال الإنجليزى العسكرى فى بلورتها ووضوحها .

* هذا وبعودة إلى التاريخ ، تاريخ مؤسسة الجيش المصرى ، يؤكد المؤرخون أن وصول أحمد عرابى إلى رتبة القائمقام فى الجيش ، تعد بمثابة النقطة ذات الأهمية فى بروز دور الجيش فى كفاح مصر وثوراتها ، فقد أنشأ محمد على الجيش من المصريين بالرغم منه ... وبعد أن فشل فى تكوينه من أولاد المماليك والضباط الأرناؤوط ، وكان أن خرج من هذا الجيش أحمد عرابى وعبد العال حلمى ومحمد عبيد .

لقد ثار عرابى وزملائه الضباط الأحرار على الظلم والضيم فى أيام سوداء مظلمة ، كان طغيان أسرة محمد على فيها بالغاً غايته من العتو والاستعلاء ، ففتحوا ثغرة من النور فى الليل المظلم .

ولا يقلل من عظمة العمل الذى قام به عرابى أن الثورة المصرية إذ ذاك بدأت بالمطالبة بحقوق الضباط أنفسهم ازاء طغيان عثمان رفقى ، والاتجاه الظالم بتفضيل الجراكسة والترك والإجحاف بحقوق الضباط الوطنيين فى الجيش[١] .

ولا يغيب عن البال أن أول اجتماع عقده الضباط بمنزل أحمد عرابى وحضره عبد العال حلمى وخضر خضر وعلى فهمى الديب ومحمد عبيد وألفى يوسف وأحمد عبد الغفار ، قد ضمن عريضة المطالبة بتغيير نظام الحكم وعزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن ، وتشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمة وإبلاغ الجيش العامل إلى ١٨ ألف جندى .

وتبدو قوة هذه الحركة فيما قام به الضباط من الهجوم على ثكنات قصر النيل وإطلاق سراح الضباط الثلاثة الذين اعتقلهم الخديو ، وكان على رأس المهاجمين محمد عبيد ، فقد أمر الخديو بعد وصول هذه المطالب باعتقال عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ، وسرعان ما سار محمد عبيد فى قواته فضرب الحصار على قشلاق قصر النيل وهجم على الديوان فبادر الجنود إلى الفرار ، وفى مقدمتهم عثمان رفقى نفسه ، وفكوا أسر زملائهم وخرجوا بهم ...

(١) فى تحليل وتفسير ذلك انظر بعض الكتابات المبكرة والهامة :
١ - فتحى رضوان - كتاب (أخى المواطن) - القاهرة - ١٩٥٥م .
٢ - أنور الجندى - مصدر سابق .
٣ - عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية .

وعزل عثمان رفقى .. وبدأ النفوذ العسكرى يأخذ طابعاً قوياً أقلق الخديو وحاشيته الذين حاولوا إطفاء هذه الحركة بالتقرب إلى الضباط ورفع مرتباتهم ، ولم يكن عفو الخديو عن زعماء الحركة الذي قاموا بحادثة قصر النيل إلا خدعة تخفى وراءها الاستعداد لقمع الحركة والانتقام من مدبريها .

وفى هذه الفترة كانت الآمال قد تعلقت بعرابى وامتدت الأنظار إليه ، وبرزت رابطة قوية بين مطالب الجيش ومطالب الشعب الذى أحس فى صوت عرابى مخرجاً ومتنفساً من الحرج والضيق الذى كان يلقاه من الخديو الظالم .

وقد وصف عبد الرحمن الرافعى هذا الشعور فى صورة رائعة فقال : « ... كل هذه الأعمال جعلت من عرابى زعيماً قوياً اتجهت إليه الأنظار لتحقيق أمانى الشعب ولم يكن الجيش يصدر عن أفكار وعواطف تخالف أفكار الجماهير ، بل كان فى واقع الأمر يمثل الأمة فى أفكارها ونفسيتها .. ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياستها بل كانوا يتبرمون بمظالم الحكام . وينقمون من الوزارة استسلامها للنفوذ الأجنبى وخضوعها لأوامر القناصل ومحاباتها الموظفين الأجانب .. » .

ولم يأل عرابى جهداً فى التحدث مع العلماء والأعيان والعمد حتى كسبهم إلى صفه فأصبح قوة شعبية كبيرة لا يمكن تجاهلها . ومضى يوطد نفوذه بين صفوف الضباط وحدد مطالبه بتأليف المجلس النيابى وإحداث انقلاب فى الحكم يحل الشورى محل الحكم الاستبدادى .

وقد كان من نتيجة المنشورات التى وجهها عرابى إلى أهالى البلاد ما وصفه عرابى فى مذكراته « .. وبناء على ذلك وفدت علينا الوفود من جميع أنحاء القطر وسلمتنا عرائض النيابة عنها وفوضت إلينا العمل لما فيه سعادة البلاد وخلاصها من براثن الاستبداد معلنة تضامنها معنا فى كل ما نقوم به من أعمال الإصلاح ... » .

وفى خلال هذه الفترة بين واقعة قصر النيل (أول أبريل ١٨٨١م) و(٩ سبتمبر ١٨٨١م) يوم واقعة عابدين كان عرابى قد اطمأن إلى أن الجيش أصبح فى قبضة يده وأن الأمة من وراءه وهنا بدأ فى أحداث هذا الانقلاب بأن زحف بالجيش إلى ميدان عابدين فأزعج الخديو وهزه هزاً عميقاً وفشلت كل محاولاته فى منع المظاهرة أو تأجيلها وزاد الأمر خطورة عندما انضم حرس الخديو الخاص إلى صفوف الكتائب .

ونزل الخديو إلى الميدان ومعه القناصل الإنجليز والمراقب المالى الإنجليزى حتى إذا ما توسط

الميدان نادى عرابى فجاءه راكباً جواده شاهراً سيفه وخلفه نحو ثلاثين ضابط شاهرى السيوف .

ودار بين عرابى وبين الخديو حوار تبين فيه مدى الاحتقار الذى كان يكنه الخديو للمصريين .

الخديو – ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا .

عرابى – جئنا لنعرض طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة .

الخديو – وما هى هذه الطبات .

عرابى – عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية .

الخديو – كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا .

عرابى – لقد خلقنا الله أحراراً و لم يخلقنا تراثا وعقارا فوالله لا إله إلا هو أننا سوف لا نورث بعد اليوم .

وعاد الخديو إلى داخل السراى . وقبل مطالب عرابى وسقطت وزارة رياض وعين محمد شريف رئيساك للوزارة وكان هذا هو أوج النصر لحركة الجيش .

وتطورت ثورة عرابى تطوراً لم يكن فى يده ، فقد انتصر الإنجليز بفعل الخيانة لا بضعف الجيش ومال الخديو نحو الإنجليز وأسلم نفسه إليهم وأعلن خيانة عرابى الذى وقفت الأمة كلها من حوله لتفتديه بأرواح .

شتت الخديو والإنجليز عرابى وأنصاره وسحقوا هذه القوة الشعبية الضخمة سحقاً ، وظل عرابى إلى عهد قريب يوصف بالخيانة فقد كانت أسرة محمد على ماتزال تحكم البلاد وتقف بالمرصاد للتاريخ الحق لهذا البطل وتغض من قدر هذا العمل الخالد الذى هز هذه الأسرة هزة عنيفة وجعلها تتأهب للهزة الأخرى التى أسقطتها من مكانها .

وسرعان ما وضع الإنجليز يدهم على الأمور فى مصر وكان أول عمل لهم هو إلغاء الجيش المصرى بصفة عامة وإنشاء جيش صغير يرأسه ضباط من الإنجليز فما أن تم للإنجليز احتلال العاصمة فى ١٤ سبتمبر١٨٨٢م عقب هزيمة العرابيين حتى أصدر الخديو توفيق مرسوماً بإلغاء الجيش المصرى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢م بعد أن قبض على كبار الضباط لمحاكمتهم . كما صدر مرسوم بتجريد جميع الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ممن كانوا فى رتبة يوزباشى

وما هو أقل منها ، وحرمانهم أى حق فى المعاش أو مرتب الاستيداع .

وعهد بتنظيم الجيش الجديد إلى ضابط إنجليزى هو (فالنتين بيكر) ليكون خاضعاً للسياسة البريطانية الذى بدأ فى خلق جيش جيديد يكون أداة فى يد الإنجليز ، واقترح اللورد دوفرين عدد الجيش إلى ستة آلاف .

وانحط مستوى الجيش إلى أبعد حد وألغيت الصناعات الحربية كما ألغيت البحرية المصرية وظل كذلك حتى قال سعد زغلول لعبد الرحمن الرافعى فى برلمان ١٩٢٤م عندما سأله عن موقف مصر من بعض الحوادث فى السودان كلمته المعروفة « هل عندكم تجريدة » .

وبقى الجيش شيئاً بعيداً عن الميدان السياسى يسيطر عليه الإنجليز ولا يسمحون بتقويته أو زيادته .
وقد وقعت فى يونيه ١٩٢٧م أزمة سياسية حادة بين مصر وبريطانيا بشأن الجيش إذ تضمنت الميزانية تقريراً بإصلاح الجيش المصرى وترقية التعليم فى المدرسة الحربية . وقبل أن تتقدم اللجنة الفرعية للميزانية ببحث هذه المقترحات علمت بها دار المندوب السامى والصحف البريطاية فهبت ترعد وتبرق وتهدد وتتوعد ونشأت أزمة ضخمة كان مظهرها توجيه مذكرة من الحكومة البريطانية إلى الحكومة المصرية ق ٢٩ مايو ١٩٢٧ جاء فيها أنه لوحظ فى الأيام الأخيرة أن هناك اتجاهاً مقلقاً يرمى إلى إدخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى واصطحب هذا الاتجاه بمحاولات أكيدة للتقليل من اختصاص المفتش العام للجيش والضباط البريطانيين الذين يعملون فى المصالح المختلفة التابعة لوزارة الحربية . وترى الحكومة البريطانية أن الموافقة على هذه التوصيات يقلل كثيراً من الفرص التى تتهيأ للتسوية الودية لهذه المسألة الهامة بين مصر وبريطانيا « العظمى » ولذلك تدعو الحكومة السرية إلى إعادة النظر فى موقفها بغير ابطاء وتضمنت المذكرة طلبات جديدة تضيف إلى سلطان إنجلترا على الجيش المصرى سلطاناً جديداً بتعيين ضباط بريطانيين جُدد ورفع درجة اللواء سفينكس باشا المفتش العام للجيش الإنجليزى إلى رتبة فريق وأن تضم مصلحة الحدود وخفر السواحل لإشراف المفتش العام البريطانى للجيش .

وبذلك عاد الجيش المصرى إلى أسوأ مما كان فى أيام الحماية .

وأذاعت الأنباء أن ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسفر من مالطة إلى المياه المصرية وقال وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم أن الحكومة المصرية تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقاً من الساسة المصريين ذوى الكلمة النافذة أراد استعمال الجيش أداة معادية لإنجلترا والدليل على ذلك أنه طلب زيادة وحدات الجيش .

وخضعت الحكومة المصرية للإنذار البريطانى ونفذت كل ما تضمنه .

وفيما عدا هذا الحادث لم يسمع عن الجيش المصرى شيئاً فى ذلك التاريخ الطويل وظلت قبضة بريطانيا على الجيش المصرى قوية حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦م حيث تقرر إيفاد بعثة بريطانية لتدريب الجيش المصرى . وقد قدمت هذه البعثة من ١٥٠ ضابطاً وصف ضابط وكلفت الخزانة فى الفترة التى أقامتها فى مصر ستة ملايين من الجنيهات واعتبرت التقارير التى وضعتها البعثة ملزمة تنفذ بدون معارضة من جانب الجيش المصرى .

واستمرت ١٠ سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٦م) وأشارت ملاحق معاهدة صدق - بيفن إلى تحويل هذه البعثة العسكرية إلى لجنة دفاع مشترك .

وظلت بريطانيا تحول بكل قواها دون تكوين الجيش المصرى أو تزويده بالأسلحة أو بناء المصانع الحربية وغيرها .

وكان فاروق بوصفه القائد الأعلى للجيش يفخر بأن هذا الجيش ليس جيش مصر بقدر ما هو جيش فاروق . وتولى امرته رجال حاولوا أن يخضعوه لسلطانه وكانت الأحاديث تروى عن مدى هذا الولاء .

ومن سخرية الأقدار بفاروق أنه فى نفس هذا الوقت كان يرى من الجيش العصا التى يهدد بها البلاد ، كان الجيش يتجمع ليضرب الضربة الأخيرة وليتم عمل عرابى وليفتح لمصر باباً من الحرية .

وجاءت أحداث ٤ فبراير ومعركة فلسطين ومعركة القنال فأججت النار ورتبت الخطوط ودفعت الضباط الأحرار إلى الثورة .

وكانت فلسطين هى الموقعة الأولى لجيش مصر بعد أكثر من ٦٠ عاماً وقد دلت جميع التقارير على أن الجيش لم يهزم بالرغم من نقص الإمكانيات والعتاد الحربى وإنما هزمته السياسة فى مصر فقد كانت روحه المعنوية عالية لولا ما بيتته السياسة ومن وراءها بريطانيا له فى القا هرة من مناورات .

وقد سجل جمال عبد الناصر هذه المرحلة من التاريخ فى عبارات قليلة واضحة :

قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلاً للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

والواقع أن فى هذا التاريخ مجافاة للواقع لأنه لم يكن إلا آخر مراحل الثورة ، أما أولى مراحلها فسابقة لهذاالتاريخ عشرات السنين .

إنه اليوم الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢م أى قبل هذا التاريخ الأخير بسبعين عاماً وأثنى عشر يوماً على التحديد .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢م ضربت الإسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى ثم كان الاحتلال البغيض واشتعلت مصر ثائرة وخرج الجندى والفلاح أحمد عرابى على رأس ثورة الأحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق أهدافها واكتفت بأن سجلت مولدها . وكان لابد لها وقد بدأت طفله ساذجة صغيرة من أن تصبر حتى تنمو مع الأيام حتى إذا أصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به .

لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها . « لابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال » .

وكلما كانت الثورة تنمو كانت هذه الأهداف تزداد عمقاً فى ضميرها . وكلما كانت الأيام تمر كانت هذه الأغراض تشتد اتصالاً بإرادتها فما أن أقبلت ثورة ١٩١٩م وكانت الحرب العظمى قد انتهت . حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها فصاحت « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وكانت تعنى ما تقول فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دماً ذكياً وتضحية عالية وروحاً سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين . ولا أمام أذنابهم من رخاص المصريين ولكنها مضت قدما لا تبالى بالخديعة والدس وإذا كانت الثورة بطبيعتها طيبة القلب صادقة النية فقد صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت وأخذت تنتظر الوعود فإذا الوعود سراب .

وإذا بالثورة العارمة التى قامت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور ١٩٢٣م بدلاً من أهدفها الكبرى .

وثارت الثورة على نفسها ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها فما كانت تستطيع إلا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حولها وهى نسخر ممن استغلوها وأخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجداً يعلن صلته بها ، كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزاً يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها . وأصبحت الجماهير ضحية لهذه المزايدات الوطنية . وهذا اللون الجديد من ألوان الاستقلال السياسى والإتجار باسم الثورة .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون ...» .

وغاية القول أن القصر والإنجليز حملا على إفساد الجيش وجعله أداة طيعة فى أيديهم ، وحرصاً على خنق كل روح وفيه حتى يظل ألعوبة فى أيديهم . وحتى يظل تحت سلطانهم . ويظل قوة إرهابية للشعب ، لا يلتقى به دائماً ليبقى عاملاً من عوامل إخافته .

وقد وصف جمال عبد الناصر هذا المعنى فى قوله : « لقد كان الحاكم فى الماضى يعمل كل ما وسعه للفصل بين الشعب والجيش . وكانوا يجيبون مطالب الضباط فى الجيش حتى يظلوا أداه فى يد الطغاه للضرب على يد الشعب ، ولكن فئة من أبناء مصر الأحرار عرفت أن الشعب إذا كان يمثل الحق . فإن الجيش يمثل القوة . وأن الحق يحتاج إلى القوة حتى يظهر واضحاً جلياً . وعملنا متعاونين متساندين حتى التقى الحق والقوة فى هذه الثورة الشعبية » .

لقد آمن جمال بالجيش على أنه أداة تحرير مصر فبدأ يكون مجموعته التى سميت بتنظيم الضباط الأحرار ويضم إليها أعوانه ويعد عدته لأمر خطير كما سيتضح فيما بعد .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

* تفاوتت الرؤية الأجنبية بشأن نشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار . بين إدانةغير مفهومة لتنظيم وطنى حاول تحرير بلده ، إلى إعجاب مبطن بإنجاز هذا التنظيم ، وتفاوتت الرؤية واختلفت بين العداء التقليدى لكل ما هو عربى أو مسلم ، وبين التعاطف بحكم المصلحة ، ليس إلا ، فالرؤية الأمريكية والإسرائيلية مثلاً ، كانت تقليدية فى عدائها ، وهو أمر متوقع ، أما الرؤية الشيوعية فكانت متعاطفة ، ، ولكن إلى حدود معينة وهى حدود يتوقف عندها الأفق الماركسى ، والرؤية الماركسية لما سمى بحركات التحرر الوطنى ذات الجذور الطبقية البرجوازية ، ومن ثم فالتعاطف معها ، كان تعاطفاً تكتيكياً ، وكان الفهم لها أيضاً فهماً مصلحياً وتكتيكياً ، وهذا مصيبة فى حد ذاته ، عندما يخضع التاريخ لتفسير قصرى مسبق ، ولمنهج ضيق فى فهم طبيعة الصراعات والتحولات التى عاشها المجتمع الذى منه أتى الضباط الأحرار .

* أيا ما كان الأمر .

* فما بين أيدينا ، هى مجموعة من الرؤى الغربية ، التى استندت فى معظم معلوماتها على كتب ودراسات مصرية ، واختلفت بعد ذلك فى مسألة (توظيف) تلك (المعلومات) وعملية (تفسيرها) .

* ما بين أيدينا ، رؤى غربية بل وإسرائيلية وهذا هو الجديد فى الأمر حاولت تفسير الحدث ، فماذا قالت ؟

* يقول المؤرخ الإسرائيلى اليعازربعيرى فى تقييمه لثورة يوليو أو انقلاب يوليو على حد وصفه :

(يختلف انقلاب يوليو ١٩٥٢م فى مصر ، من نواح عدة ، عما سبقه من انقلابات في العراق وسوريا . فقد أقام نظاماً مستقراً للحكم ، دام طويلاً ، لا نظير له فى الشرق الأوسط فى العصر الراهن . كما أحدث ذلك النظام تحولات اجتماعية بعيدة الأثر ، ورفع مكانة مصر عالياً فى الشرق الأوسط ، وفى جميع أنحاء العالم ، أما من ناحية الإعداد والتنفيذ ، وطبيعة الرجال الذين قاموا به ، فالانقلاب المصرى يعد ظاهرة جديدة ، إذ كان من عمل جماعة سياسية سرية جميع أعضائها من الضباط حملة الرتب المتوسطة والصغيرة .

فعندما قام بكر صدقى بانقلابه فى عام ١٩٣٦م كان برتبة الزعيم ونائباً لرئيس الأركان ، والسبعة الذين أطاحوا به فى ١٩٣٧م كانوا يتمتعون بتأييد اثنين من قادة فرق الجيش العراقى الأربع ، وعندما أطاح الصباغ فى ديسمبر ١٩٣٨م بحكومة المدفعى كان رئيساً لعمليات الأركان العامة ، ويشغل أعضاء مجموعته مراكز قيادية فى الجيش ، كما كان حسنى الزعيم فى ١٩٤٩ رئيساً للأركان ، والحناوى فى أغسطس ١٩٤٩م برتبة الزعيم وقائداً للواء مدرع ومندوباً للقيادة العامة ، كذلك كان الشيشكلى فى ديسمبر ١٩٤٩م عضواً بقيادة الأركان وقائداً للواء مدرع . أما أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، فكانوا فى يوليو ١٩٥٢ ، أما روادا أو مقدمين ، باستثناء واحد برتبة العقيد وقائد كتيبة للمدفعية . واللواء نجيب يعتبر استثناء بينهم ، وهو لم يكن عضواً بالتنظيم رغم ارتباطه الوثيق به . وجميع الضباط العراقيين والسوريين المذكورين آنفا ولدوا قبل ١٩٠٠م ، وبلغوا سن الرجولة أثناء العهد العثمانى . بينما ينتمى الضباط الأحرار فى مصر إلى جيل آخر ، فجميعهم ولدوا فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٢م . ونجيب مولود فى ١٩٠١م ، والشيشكلى من مواليد ١٩٠٩م ، وهما بهذا يشغلان مكاناً وسطاً بين الجيلين .

ويكمن الفارق الأساسى بين الضباط المصريين وقادة الانقلابات من الضباط العراقيين والسوريين فى البناء التنظيمى للحركة . ولكى نفهم هذه النقطة علينا أن نعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وربما قبلها) .

تلك هى رؤية اليعازر[1] . ومن وجهة نظر الغربيين أن المصدر الرئيسى الذى يوضح

---

(١) اليعازر بعيرى : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى - ترجمة : أنور الرفاعى - سينا للنشر - ١٩٩٠م ، (انظر أيضا قائمة المراجع المرفقة بنهاية الكتاب) .

المراحل الأولى لهذه الحركة هو مذكرات أنور السادات ، التى تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، بل ويعتمد بعض الناصريين هذه الرؤية أيضاً .

يحدد السادات تاريخاً بعينه ومكاناً لتأسيس الحركة .. ليلة ١٥ يناير ١٩٣٩م بجبل الشريف بالقرب من منقباد بصعيد مصر . فى ذلك الوقت ، كان هناك أربعة من الضباط برتبة الملازم ثان يخدمون ضمن وحدة عسكرية كبيرة ، وهم ممن التحقوا بالكلية الحربية فى ربيع ١٩٣٧م وتخرجوا فى نهاية عام ١٩٣٨م . وهؤلاء الأربعة هم : السادات ، وجمال عبد الناصر (ناصر) وزكريا محيى الدين بعد ١٩٥٢م ثم سفيراً لمصر بأسبانيا فى الستينات) . كان اليوم يوافق عيد ميلاد ناصر الحادى والعشرين ،ويقول السادات فى مذكراته : « فى أوائل عام ١٩٣٩ ، أسس ضباط منقباد جماعة ثورية سرية تستهدف تحرير البلاد » . وعقد أعضاؤها العزم على « محاربة الاستعمار والعرش والإقطاع .. وإقامة حياة ديمقراطية حرة ... ولم يكن أمامنا من سبيل إلا الثورة» .

واحد على الأقل من ضباط منقباد لم يكن جديداً على السياسة . فقد كان لناصر مشاركة نشطة فى التنظيمات السياسية ، وبين زملائه بالمدرسة الثانوية ، وذكرت الصحف اسمه عندما كان يبلغ من العمر ١٧ عاماً ، عندما اشترك فى نوفمبر ١٩٣٥م فى مظاهرة عاصفة ضد الإنجليز بالقاهرة ، وأصيب فى جبهته برصاصة من مسدس أحد ضباط البوليس الإنجليزى . فى ذلك الوقت ، وباعترافه ، كان عضواً بالقمصان الخضر التابعة لحزب « مصر الفتاة » وكان برنامج الحزب فى ١٩٣٣م ، يحدد « أهدافنا : مصر فوق الجميع ، تأسيس امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام » . وفى « الوصايا العشر » التى صدرت فى ١٩٣٨م كان على العضوان يلتزم - ضمن أشياء أخرى - بأن « لا تشترى إلا من مصرى » ولا تلبس إلا من صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعاماً مصرياً ، واحتقر كل ما هو إجنبى بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك إلى حد الجنون » .

ويمكننا أن نستنتج أن مناقشات الضباط الشبان بمنقباد كانت تسودها هذه الروح ، وأنهم كانوا متفقين فى الآراء .

ويصف السادات مناقشات منقباد فى ١٩٣٩م - تماماً - كما لو كانت المجموعة آنذاك تتبنى شعارات الأيديولوجية الرسمية للدولة فى ١٩٥٥م ، فلا شك أن العداء للإنجليز كان موجوداً فى ذلك الحين ، ولكن لم يكن هناك عداء للعرش . ولا نرى - والقول للرؤى الغربية والإسرائيلية - علامات هذا العداء عند الضباط إلا بعد يناير ١٩٥٢م . ففى ١٩٣٩م ، كان الشاب فاروق لايزال معبود الشباب الوطنى المصرى ، علماً بأنه لم تكن

هناك « ديمقراطية حرة قوية » كالتى كانت هدفهم . وإذا ما استعدنا فترة الثلاثينيات ، فسنجد أن كلمة « ديمقراطية » كانت وصمة عار فى قاموس الحركات الواقعة تحت النفوذ الفاشى .

تفرق الشاب الذى التقى فى منقباد بين مواقع عدة ، بعد ذلك ، ما بين مصر والسودان . فانتقل ناصر إلى الخرطوم حيث التقى هناك بعبد الحكيم عامر وصارا صديقين . كانا يعرفان بعضهما من قبل عندما كان عبد الحكيم طالباً بالكلية الحربية بالصف التالى لناصر ، ولفترة كان ناصر معلمه .

لم تكن مجموعة الملازمين هذه – كما تقول الرؤية الغربية والإسرائيلية – المجموعة الوحيدة بالجيش المصرى آنذاك ، بل ولم تكن أكثرها نشاطاً . فهى لم تكن منظمة ولم تشارك فى أنشطة محددة . وتنحصر أهميتها فى كونها فصلاً من فصول ما قبل تاريخ الضباط الأحرار . وأثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك نشاط ملحوظ سوى لمجموعة عزيز المصرى والعناصر السرية الموالية للألمان . وكان أنور السادات واسطة الصلة بينهم .

وبعد هزيمة وسقوط الضباط المتمردين ، الذين ارتبطوا بألمانيا النازية، فى مصر والعراق، وبعد يأسهم من انتظار ألمانيا ، شهدت حركات التمرد فى الجيوش العربية مرحلة تراجع ، لكن هؤلاء الضباط واصلوا تنمية أفكارهم السياسية وتدعيم روابطهم .

ومن بين الروابط ، كانت صلتهم بالإخوان المسلمين ، والتى ازدادت أهمية بتصاعد نفوذ الإخوان المطرد خلال الأربعينيات . وهنا أيضاً كان رجل الاتصال الرئيسى هو أنور السادات – الذى لا ينازعه أحد فى مواهبه التآمرية . ويروى السادات – وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية – أنه التقى بحسن البنا المرشد العام للإخوان لأول مرة عندما كان على اتصال بعزيز المصرى ، أثناء الاحتفال بالمولد النبوى فى أوائل أبريل ١٩٤١م . واستمرت الاتصالات منذ تلك اللحظة وحتى القبض على السادات فى صيف ١٩٤٢م . وأثناء فترة سجن السادات ، تولى الاتصال بالإخوان عبد المنعم عبد الرءوف ، الطيار الذى حاول الهرب مع المصرى ، فاعتقل ثم أفرج عنه فى ربيع ١٩٤٢م ، بعد أن قطع على نفسه عهداً بالكف عن أعمال التخريب . وأخذت صلة عبد الرءوف بالإخوان تتوثق حتى أصبح معهم تماماً ، أيديولوجياً وتنظيمياً . وكان لنشأته أثر فى ذلك ، فهو سليل أسرة مشهود لها بالتدين وكان جده من مشايخ الأزهر . وعبد الرءوف هو أحد مؤسسى « التنظيم السرى » الإرهابى للإخوان المسلمين ، وواحد من قادته الثلاثة فى بداية الخمسينيات .

فى الفترة ما بين ١٩٤٥ – ١٩٤٧م ، عمل معظم الضباط الذين أصبحوا فيما بعد اللجنة

التنفيذية للضباط الأحرار ، فى العديد من الوحدات القريبة من القاهرة ، وأقاموا علاقات قوية مع زملائهم وتبادلوا معهم الآراء ، وكسبوا من بينهم مؤيدين لهم . وفى خلال تلك الفترة تزايد عدد الضباط الذين اقتنعوا بمجموعة ناصر ، وانضموا إليها . ومن بين هؤلاء الملازم كمال الدين حسين من المدفعية والعضو السابق بالإخوان المسلمين ، وصلاح سالم اليوزباشى بالمدفعية وهو شاب موهوب ومتعصب ، استطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح ركيزة من ركائز المجموعة ، وثروت عكاشة من ملازمى سلاح الفرسان وصهر أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصرى » الوفدية اليومية ، وخالد محيى الدين الملازم بسلاح الفرسان أيضاً وابن العم الأصغر لزكريا محيى الدين ، وهو اشتراكى انضم فيما بعد لـ« الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) الشيوعية . كما استعاد السادات أيضاً نشاطه . ففى نوفمبر ١٩٤٤م ، تمكن من الهرب من المعتقل ، واختبأ لفترة ثم أخذ يظهر علانية دون خشية من القبض عليه . وفى ١٩٤٥م ، عمل كسائق شاحنة ، ثم كصحفى ، ثم عاد للعمل مرة أخرى كمندوب اتصال بين الضباط والإخوان المسلمين ، والاشتراك فى العمليات الإرهابية . وبالرغم من أن دوره فى اغتيال أمين عثمان فى ٥ يناير ١٩٤٦م غير واضح تماماً فمن المعروف أن هذا الدور كان رئيسياً . وبعد عدة أيام قبض عليه مرة أخرى ، وظل فى السجن حتى نهاية ١٩٤٨م .

تركت حرب فلسطين آثاراً عميقة فى أفكار هؤلاء الضباط الشبان . فهم لم يكونوا مؤهلين لإنجاز الأهداف التى أعلنت الحرب من أجلها .. أى أى منع إقامة دولة يهودية واسترداد الأراضى التى قامت عليها المستوطنات — والقول للرؤية الإسرائيلية — وبعد ذلك بخمس سنوات ، يستشهد ناصر فى « فلسفة الثورة » بقول أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين المصريين فى فلسطين ، بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » . وهذه الكلمات لا تعتبر تحفظاً بالتلميح على محاربة الصهاينة . فعبد العزيز كان يعنى أن العدو الأكثر خطراً على الجيش المصرى هو النظام السيىء فى الداخل ، وأن القضاء على الفساد الداخلى فى مصر هو شرط أساسى للقضاء على العدو اليهودى . وهذا ما فهمه ناصر ، فكراهيتهم لإسرائيل ، لا ريب فيها ، ولم يكن أحد فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، لا يغبط فاروق — من أعماق قلبه — على إعلان الحرب . بل أن عدداً من الضباط كان يرغب فى التطوع « بجيش الإنقاذ » بقيادة القاوقجى قبل ذلك بخمسة أشهر ، حتى ولو آدى ذلك إلى انتهاك الانضباط ، وذلك لتوفير القوة البشرية والعتاد المصرى للمقاتلين العرب قبل أن تدخل مصر الحرب رسمياً . وعندما يؤكد ناصر على أن المعركة الرئيسية كان مفروضاً أن تكون فى مصر نفسها ، ويتباهى فى الوقت نفسه بتطوع رفاقه ، حتى قبل مايو ١٩٤٨م ويشيد بشجاعتهم فى القتال » ، فلا تناقض فى الحالين .

ويروى البغدادى - وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه قام فى شتاء ١٩٤٧م - ١٩٤٨م ، بزيارة دمشق فى مهمة رسمية بطائرة حربية ، حيث اتصل بالقاوقجى . « رأيت من واجبنا كعرب أن نفعل شيئاً لمستقبل العروبة وتحرير فلسطين » . وقام ، بمساعدة حسين إبراهيم ، بتنظيم قوة للطيران تحت قيادة القاوقجى تتكون من ١٥ طائرة سبتفاير و٣ طائرات داكوتا . وكانوا يأملون ، فى ١٩٤١ - ١٩٤٢م فى تجنيد عدد من الطيارين من بين زملائهم . كما عرض ناصر خدماته وخدمات أصدقائه ، على المفتى الذى كان يعيش آنذاك فى القاهرة . لكن المفتى رفض قبول الضباط المصريين دون موافقة حكومتهم .

وقد طلب عدد من الضباط من وزير الحربية السماح لهم بالتطوع فى فلسطين . وفى ٢٠ أبريل ١٩٤٨م ، حصلوا على الإذن - كما تقول الرؤية الغربية - وكانت المجموعة تضم ١١ ضابطاً بقيادة أحمد عبد العزيز الذى سمى بـ« القائد العام لقوات المتطوعين بجبهة شمال فلسطين » كان عمره آنذاك ٤٠ عاماً ، وكان واحداً من أكثر الضباط المصريين شعبية وكفاءة ، وله تأثير كبير على طلابه بمدرسة قادة المدفعية حيث كان يقوم بتدريس التاريخ العسكرى . وفى ٢٣ أغسطس ١٩٤٨م ، قتل برصاصة خاطئة أطلقها أحد الحراس العرب بالقرب من « جات » بينما كان مسافراً من بئر السبع إلى مجدل عسقلان . وهو القائل بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » بعد أن تفتحت عيناه فى فلسطين ، وأدرك الفساد المتفشى فى القاهرة .فحتى ما قبل رحيله إلى الحرب ، لم يكن يبدى فى أفعاله أو خطاباته أية صورة من صور المعارضة . وزاد تقدير الضباط الأحرار له بعد موته ، وأصبحوا يعتبرونه مثالاً للجندية والوطنية الحقة ، ولم يتورعوا عن التلميح إلى إعجابه بأفكارهم ، إن كان هناك أفكار . أن أحمد عبد العزيز سليل أسرة أرستقراطية ، وابن لواحد من أميرالايات الجيش ، وحتى ربيع ١٩٤٨م لم يكن هناك أى خلاف بينه وبين النظام الذى عاش فى كنفه ، ونال فى ظله منزلة رفيعة .

كان الوحيد من جماعة ناصر والسادات الذى اشترك فى مجموعة أحمد عبد العزيز ، هو اليوزباشى كمال الدين حسين ، قائد مدفعية المتطوعين .

أما بقية زملاء ناصر فلم يكونوا ظاهرين فى ربيع ١٩٤٨م ، ولم يرغبوا فى الكشف عن أنفسهم ، ويروى ناصر فى مذكراته أنه جرت محاولة فى أبريل ١٩٤٨م للقيام بانقلاب ، لكن البوليس السياسى وضع الضباط المشتبه فيهم تحت المراقبة . فبدأوا يلتقون على فترات متباعدة ، حتى يبعدوا الشبهات عن أنفسهم .

فى ١٥ مايو ١٩٤٨م ، صدرت الأوامر بإرسال كل من ناصر وصلاح سالم وزكريا

محيى الدين مع عدد آخر من أصدقائهم إلى الجبهة . وكانوا قد أصبحوا آنذاك برتبة اليوزباشى أو الصاغ . عندما عاد هؤلاء الضباط من الحرب فى ١٩٤٩م ، لم يكونوا نفس الرجال . فقد تغيرت آراؤهم وصارت أكثر وضوحاً . واستقبلوا . عند عودتهم إلى القاهرة ، استقبال الفاتحين ، وإن كانت الزينة والاحتفالات لم تهزهم لأنهم كانوا على علم بهزيمة الجيش المصرى . وبالرغم من ذلك فقد كانوا يرون أنفسهم كأبطال ، إذ أنهم أدركوا ، فى النقب والفالوجا ، أن النصر حليف القوة التى تعى مهمتها . ولم يمنعهم عجزهم عن الاستيلاء على النقب من التفكير فى الاستيلاء على القاهرة ، بل كان حافزاً لهم .

وفى صيف ١٩٤٩م ، نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثورى سرى ، ومما لا شك فيه أن الانقلابات العسكرية السورية خلال تلك الشهور ، قد أثرت فى توجههم ذاك . وبانتهاء عام ١٩٤٩م ، كان تنظيم الضباط الأحرار قد تأسس . وحتى ذلك الحين ، لم يكن هناك تنظيم متبلور كحركة ، أما منذ تلك الأونة فصاعدا ، فسوف يعمل ككيان منظم . وفيما بين ١٩٤٩ - ١٩٥٢م لم يكن الضباط الأحرار المجموعة الوحيدة التى تمارس نشاطها فى أوساط الضباط المصريين . ولكن بعد نجاحها اهتم الجميع بتأكيد أهميتها وحدها . وأخذ أعضاؤها ينكرون دور المجموعات الأخرى ، بينما تؤكد التنظيمات الأخرى على أهمية دورها الذى لم يكن يقل أهمية - فى نظرهم - عن دور هؤلاء الذين أصبحوا سادة البلاد . والحقيقة أن التمايز يكاد ينعدم بين التنظيمات المختلفة . فكل منها عبارة عن نواة يلفها محيط ، وكان هناك عدد من الضباط على علاقة بأكثر من تنظيم فى وقت واحد .

وهناك زعم بأن أكبر هذه التنظيمات كان تنظيم الضباط التابع للإخوان المسلين . وكان على رأس التنظيم محمود لبيب « الوكيل العام للإخوان المسلمين للشئون العسكرية » . وهو فى الوقت نفسه قائد « التنظيم السرى » الإرهابى التابع للإخوان . وكان التنظيمان على صلة أحدهما بالآخر . ولم يخدم لبيب ضمن قوة الجيش العامل مطلقاً ، ولهذا السبب أمكن له أن يصبح « القائد العام لقوات الإخوان المسلمين لإنقاذ فلسطين » فى ١٩٤٨م . وقد مات فى ديسمبر ١٩٥١م . وظلت هوية معظم الضباط التابعين للإخوان سراً ، ولم يهتموا بالكشف عن أنفسهم سواء فى عهد فاروق ، أو خلال حكم ناصر .

وكان السادات أيضاً يقود مجموعة تتبعه . وهو أيضاً - مثل لبيب - لم يكن بالخدمة العاملة فى تلك الفترة ، فقد أعيد إلى الخدمة فى ١٩٥٠م ، لكن صلته بزملائه الضباط ، بما فيهم ناصر وعزيز المصرى ، لم تنقطع ، وكذلك علاقته بالإخوان . وفى نهاية المطاف ، اندمجت مجموعته فى الضباط الأحرار .

وهناك مجموعة أخرى كانت تتبع اليوزباشى مصطفى كمال صدقى من سلاح الفرسان ، والزوج الرابع للراقصة تحية كاريوكا . ويصف السادات هذه المجموعة بأنها « مجموعة إرهابية تضم ٢٣ شخصاً بين ضابط وصف ضابط ، وكان لها نشاط كبير » . خدم صدقى بالمخابرات عامى ٤٦ - ١٩٤٧م . وفى أوائل ١٩٤٨م ، تطوع للحرب فى فلسطين ، مع الإخوان .. فى الظاهر . وفيما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٢م ، اشترك فى عدد من الاغتيالات السياسية ، وتحوم الشبهات حول اشتراكه فى عدد آخر منها . وفى ١٩٤٩م حكمت عليه إحدى المحاكم العسكرية بالسجن لمدة سبع سنوات والطرد من الخدمة ، بسبب حيازته لأسلحة ومتفجرات بدون ترخيص ، وبعد فترة ، أصدر الملك عفواً عنه وعاد إلى الخدمة ، ويشاع أن فاروق نجح فى ضم صدقى ورجاله إلى « الحرس الحديدى » . وفى أبريل ١٩٥١م ، صدر فى حقه عقوبة التأنيب الشديد بسبب مهاجمته لرئيس الأركان على صفحات الجرائد ، ونقل من الفرسان إلى سلاح الحدود بالعريش ، ثم إلى إحدى الواحات ومنع من مغادرتها إلا بإذن خاص ، وفى أغسطس ١٩٥٤م ، وبعد استيلاء الضباط على الحكم ، صدر ضده الحكم بالسجن خمس سنوات بتهمة الشيوعية . وقد كان لهذا المغامر علاقات مع كافة الأطراف .

وقد عبرت روح المعارضة تلك التى كانت سائدة بين صغار الضباط عن نفسها خلال نقاش جرى بين المؤرخ الإسرائيلى اليعازر وضابط مصرى شاب ، فى ١٤ يونيو ١٩٤٨م . وبالرغم من أن الظروف كانت غير طبيعية (وقع هذا الضابط فى أسر القوات الإسرائيلية بالقرب من العصلوج ، قبل المقابلة بثلاثة أيام) إلا أنه استطاع أن يعبر عن نفسه بصراحة ، فقد وجه نقداً لإسرائيل يتساوى فى عنفه مع ذلك الذى وجهه للحكومة المصرية . وقد قام الكاتب بكتابة نص النقاش حرفياً - بما فيه من عيوب ومزايا وبرغم ضآلة أهميته ، إلا أنه يعتبر شهادة معاصرة تساعدنا على استعادة الأحداث وتأملها .

والضابط هو الملازم محمد أحمد حسن من الكتيبة الأولى المضادة للدبابات ، والبالغ من العمر ٢٥ عاماً ، والابن الأكبر لواحد من ضباط بوليس القاهرة ، وهو يصنف نفسه ضمن أقصى اليمين ، سبق اعتقاله فى ١٩٤٧م ، لمدة شهر للاشتباه فى اشتراكه فى محاولة اغتيال النحاس . أفرج عنه بعد ذلك مع عدد من زملائه بأمر من الملك . وبالرغم من أنه لم ينف أو يؤكد براءته من التهمة ، إلا أنه لم يرفض - من حيث المبدأ - الإرهاب الفردى ضد الزعماء الذين كان يعتقد بولائهم لبريطانيا . وكان يتباهى بعلاقته بغلاة الإرهابيين ، وصرح بأنه يعرف من الذى اغتال أمين عثمان ، وكان أمين عثمان الوزير الوفدى السابق للمالية والشديد الولاء لبريطايا قد اغتيل فى ٥ يناير ١٩٤٦م ، وكان أنور السادات أحد المقبوض عليهم فى هذه القضية ، وقد حكم على القاتل ، حسين توفيق ، فى ١٩٤٧م بالأشغال الشاقة

المؤبدة ، وفى أواخر يونيو ١٩٤٨م ، أى بعد أسبوعين من هذا النقاش ، تمكن حسين توفيق من الهرب . وفى ١٩٥٦م ، عاد من منفاه بالأردن ، حيث عمل بالهيئة العامة للبترول . وفى أغسطس ١٩٦٦م ، حكم عليه بالمؤبد مرة أخرى ، للقيام بأعمال تخريبية ضد نظام ناصر ، أما محمد أحمد حسن فيعتبر نفسه من مؤيدى « مصر الفتاة » أو « الإخوان المسلمين » . وهو لا يرى فرقاً بين التنظيمين ويعتقد بأن لهم نفس الأهداف ، ولا يباعد بينهما سوى « الأطماع الشخصية » . وهو لا يرى أيضاً فرقاً بين الوفد والحكومة ، التى كان يسيطر عليها آنذاك النقراشى والسعديين . وكل ما هو مطلوب - فى رأيه - المزيد من الإيمان الوطنى ، وهو ما يفعله الشباب المثقف ، كما يرى . وهو معجب بفاروق : « الملك فوق كل شيء » ... قالها مثلما يقول آخرون « ألمانيا فوق الجميع » . وكان له تحفظات شديدة على اليسار . ويرى أن الميل نحو الاتحاد السوفيتى لن يؤدى إلا إلى استعمار جديد . ويعتبر جريدة « الجماهير » المعبرة عن الشيوعيين « جريدة كاذبة » . حاول أن يقرأ بعض كتابات ماركس لكنه لم يمكنه تكملتها . ولكنه شديد الإعجاب بكتابات نيتشة وشبنجلر . ويضع البريطانيين على رأس قائمة أعدائه ، لأنهم سبب كل ما تعانيه مصر من ضعف وفساد ، أما مسألة السودان فهى لن تحل إلا بالحرب . ويعزو إلى البريطانيين الدور الحاسم فى إتاحة القوة اليهودية الكبيرة الصاعدة ، التى يعارض قيامها . « هم الذين أتوا بكم إلى هنا (أيها اليهود) أمدوكم بالمال والسلاح . لكن العرب سوف ينتصرون فى الحرب إن شاء الله » . وكانت الكلمة الأخيرة « إن شاء الله » صادرة من عزم وإخلاص عميق . وقال بأن العرب ، بعد أن ينتصروا سوف يحكمون البلاد عن طريق الانتخاب الحر . وهو يتحدث عن الفلسطينيين العرب بازدراء شديد . فقد جاء مع زملائه من أجل تحريرهم ، ولم يستطيعوا أن يقيموا صلة بهم ، وهو يشك فى أنهم جميعاً « طابور خامس » أفسدهم اليهود بالخمر والنساء .

وتعتبر كلمات الضابط الشاب الأسير - وفقاً لرأى المؤرخ الإسرائيلى - تعبيراً نموذجاً عن الآراء والانطباعات التى كانت سائدة بين قطاع كبير من الضباط المصريين ، كما اتضح بعد ذلك ، فهى قريبة من « الفلسفة » التى ظهرت بعد ذلك بسنوات فى كتاب ناصر .

أطلق سراح محمد أحمد حسن فى ١٩٤٩م ، واستمر فى خدمة الجيش . وفى ١٩٥٦م ، رقى إلى رتبة الصاغ ، وعين قائداً للحرس الوطنى بمنطقة القناة ، وفى ١٩٦٤م ، رقى إلى رتبة العقيد .

وعندما تأسس تنظيم الضباط الأحرار فى أواخر ١٩٤٩م ، تشكلت لجنة تأسيسية . وقد ضمت هذه اللجنة فى بدايتها خمسة أعضاء ، ثم زيدت إلى عشرة بعد فترة قصيرة ، أما

الأعضاء الخمسة الأول فهم : ناصر ، وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وكان الخمسة الآخرون هم : جمال سالم ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد اللطيف البغدادى ، وأنور السادات . وظل خارج اللجنة كل من : ثروت عكاشة ، ويوسف منصور صديق ، وعلى صبرى . وكان من بين هؤلاء الضباط الأربعة عشر ، عشرة ضباط برتبة الصاغ واثنان برتبة البكباشى هما : جمال سالم ، يوسف منصور صديق ، واثنان برتبة اليوزباشى هما : حسن إبراهيم ، وخالد محيى الدين والبكباشى زكريا محيى الدين . وكانت أعمارهم تتراوح بين الثامنة والعشرين والثانية والثلاثين ، باستثناء يوسف صديق الذى كان عمره آنذاك ٣٩ عاماً .

لم يكن هؤلاء الشباب ضباطاً مجهولين ذاع صيتهم فجأة بعد انقلاب ١٩٥٢م ، فمن بين مائة يوزباشى رقوا إلى رتبة الصاغ فى نوفمبر ١٩٤٨م ، كان هناك أربعة لايزالون فى ١٩٤٦م برتبة الملازم . وكان ثلاثة من أولئك الأربعة الذين حصلوا على ترقية استثنائية أعضاء باللجنة التأسيسية للتنظيم .. عامر ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، كما حصل ثلاثة آخرون على أوسمة بعد انتهاء حرب فلسطين ، وهم : ناصر ، والبغدادى ، وزكريا محيى الدين . وقد نال صلاح سالم شرف أن يكون أول مصرى يدخل غزة بعد رفع الحصار عن الفالوجا ، وتصدرت صورته الصفحة الأولى فى جريدة « الأهرام فى أول مارس ١٩٤٩م » . أما السادات ، فد كان ذائع الصيت بسبب مغامراته فى العمل السرى مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ، ونشاطه مع الجماعات الإرهابية بعد ذلك .

كما أن هناك خمسة من أولئك الضباط من خريجى كلية أركان الحرب ، هم : ناصر ، وصلاح سالم ، وزكريا محيى الدين ، وعامر ، وعكاشة . وقد تخرج جميعهم فى الدفعة التاسعة بكلية الأركان التى بدأت فى سبتمبر ١٩٤٦م ، وانتهت فى مايو ١٩٤٨م ، وهى الدورة الوحيدة التى شهدتها الكلية فى الفترة ما بين ١٩٤٥م ، ونهاية ١٩٤٨م . ولم يقبل بهذه الدفعة سوى ٢٦ ضابطاً من بين مائة ضابط تأهلوا للدراسة بها . وسوف يشغل معظم خريجى تلك الدفعة – إضافة إلى الخمسة السابق ذكرهم – بعد ذلك مناصب عسكرية وسياسية بارزة وهم : عبد المحسن كامل مرتجى ، قائد القوات المصرية فى اليمن فى ١٩٦٦م ... محمد صدقى سليمان ، رئيس الوزراء فى سبتمبر ١٩٦٦م ، كمال هنرى بادير وزير المواصلات بالوزارة المذكورة .

فى ١٩٥٠م ، اختير ناصر رئيساً لتنظيم الضباط الأحرار ، وتشكلت من بين أعضائه الموجودين بالقاهرة « قاعدة » من كل من : ناصر ، وعامر ، وزكريا محيى الدين .

وقد قام التنظيم ، كما يذكر السادات ، على نظام الخلية وينقسم إلى خمسة أقسام : العضوية

والتدريب ، الأمن الإرهاب ، الدعاية ، والمالية .: أى تمويل الأنشطة ومساعدة أسر الأعضاء . وهو يؤكد على أن هذا الشكل التنظيمى كان قائماً بالفعل منذ ١٩٤٥م . بيد أن التنظيم على أساس الأقسام ظل - فى الممارسة - حبراً على ورق ولم يؤخذ به .

فى أكتوبر ١٩٥٠م ، ظهر أول بيان عن الضباط الأحرار ، وفى أكتوبر ١٩٥١م صدر العدد الأول من « صوت الضباط الأحرار » وقد طبع من هذه النشرة سبعمائة نسخة وأرسلت للضباط بالبريد . واشترك فى تحريرها كل من ناصر ، وخالد محيى الدين ، وحسن إبراهيم ، وأنور عبيد .

لقد لعبت علاقة الضباط الأحرار بالكيانات السياسية الأخرى ، دوراً حاسماً فى تطور التنظيم ، وقد فرضت هذه المشكلة نفسها منذ ١٩٤٩م ، وظلت تلازمهم - بصورة أو بأخرى - على الدوام . وكان اهتمامهم كبيراً بالمنظمات الجماهيرية القريبة منهم .. الإخوان المسلمون حتى ١٩٥٤م ، والبعث السورى فى ١٩٥٨م ، ١٩٦٣م وفقاً لما يقول اليعازر فى كتابه السابق .

وبالإضافة إلى الإخوان المسلمين - كما تؤرخ الرؤى الغربية والإسرائيلية - مد الضباط الجسور مع الشيوعيين والوفد . وكان خالد محيى الدين هو همزة الوصل ، وربما كان عضواً بمنظمة « حدتو » الشيوعية . وعن طريق خالد التقى ناصر بممثلى الشيوعيين ، الذين ربما كانوا يعتقدون بأن الضباط من مؤيديهم أو حتى أعضاء بتنظيمهم . وحسبما يروى أبو الفتح ، فقد أدرجوا ناصر بتنظيمهم تحت اسم حركى هو « موريس » وبرقم عضوية ١١٧ . أما الوسيط الأساسى بين الضباط والوفد ، فقد كان ثروت عكاشة ، وكان ناصر يلتقى كثيراً بصهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير « المصرى » الذى عمل فى الأيام الأولى التى أعقبت الانقلاب كمستشار له ومتحدثاً باسمه ، وهى المكانة التى شغلها ، فيما بعد ، محمد حسنين هيكل ، وعن طريقه ، توافرت لناصر فى ٢١ يوليو المعلومات التى جعلته يحدد يوم ٢٣ يوليو كموعد للانقلاب ، وكان لناصر علاقاته بوفديين آخرين ، لكنه كان يخفى علاقاته المتعددة تلك ، ونجح فى إقناع كل منهم بأنه الوحيد محل الثقة . وكان قادراً على معرفة آرائهم وخططهم دون الإفصاح عن نواياه ، وعرف كيف يجمع أمور تنظيمه فى قبضته دون أن يكشف عن دوره أمام التنظيمات الأخرى ، كل ذلك من أهم قدراته ... كسب ثقة العديدين فى وقت لم يثق فيه سوى فى قلة محدودة . وقد أثار النصر الذى حققه الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط ، اهتمام غير المصريين أيضاً ، وبخاصة المخابرات الأمريكية . وكان الضباط أنفسهم يودون إقامة صلات معهم كى يضمنوا عدم تدخلهم عندما يحين

الوقت ، فالولايات المتحدة ، من منظور الضباط ، كانت أفضل الدول التى يمكن الاتصال بها . فهى القوة الأعظم ، ولا مصلحة لها فى استمرار الأوضاع القائمة . كما أن الأمريكيين يسعون إلى وضع حد للنفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط كى يفوزوا وحدهم بعوائد النفط ، ويقفوا ، فى الوقت نفسه ، فى وجه التغلغل السوفيتى . وقد تحقق للضباط الاتصال بالأمريكيين على يد على صبرى قائد الأسراب بسلاح الطيران انذاك ، وهو يمتلك عدداً من القدرات تؤهله لهذا الدور .. ذكاؤه الحاد ، وأصوله الأرستقراطية ، ثم موقعه بمخابرات سلاح الطيران . وأثناء إحدى حفلات الكوكتيل التى أقيمت بالإسكندرية فى ١٩ يوليو ، السبت السابق على الانقلاب ، ألمح بعض الضباط الأحرار إلى زملائهم الأمريكيين بعزمهم على الإطاحة بفاروق ، وقد دهشوا لرد الفعل المُشجع من جانب الأمريكيين . وفى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو ، أبلغ على صبرى نائب الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية نبأ الانقلاب ، وأعطاه – باسم الحكام الجدد – تأكيداً لضمان أرواح وممتلكات الأجانب فى مصر . وكان هذا أول عمل دبلوماسى يقوم به الضباط .

يشوب التقديرات المتاحة حول حجم عضوية الضباط الأحرار تضارب شديد ويفوق السادات ، بالطبع ، جميع التقديرات ، فهو يشير إلى أن التنظيم فى ١٩٤٧م ، كان « يضم أكثر من ألف ضابط » . وهو رقم يعادل أكثر من ثلث عدد ضباط الجيش المصرى فى ذلك الحين . لكن نشرة « صوت الضباط الأحرار » لم يطبع منها فى أكتوبر ١٩٥١م سوى سبعمائة نسخة كما سبق وأسلفنا .ويذكر لاكوتير أن التنظيم كان يضم عند وقوع الانقلاب « حوالى ٢٥٠ عضواً » . ويحدد خالد محيى الدين ، فى ١٩٥٨م عدد الأعضاء بـ ٧٠ فط . وفى ١٩٦٢م ، يصرح ناصر بأنه « كان هناك بالقاهرة ٣٠٠ ضابط يؤيدوننا تأييداً مطلقاً » ولم يسمح للعديد منهم بالاشتراك فى الانقلاب لأسباب أمنية ، وأن « ٩٠ ضابطاً لا يحملون سوى الأسلحة الصغيرة هم الذين استطاعوا السيطرة على أمة » . وإذا ما استبعدنا مبالغة السادات ، فإن التفاوت بين التقديرات المختلفة – يصبح على عكس ما يبدو للوهلة الأولى – ضئيلاً . فقد كانت هناك خلايا مغلقة تضم كل منها ما بين ١٠ – ١٥ عضواً . ترتبط بكل خلية حفنة قليلة من الرجال الذين يمكن الوثوق بهم وتكليفهم بالمهام ، وكل واحد منهم على صلة بواحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التأسيسية دون علم بتفاصيل الهيكل التنظيمى أو البرنامج أو أسماء الأعضاء . وفيما بين يناير ويوليو ١٩٥٢م ، تنامت هذه المجموعة واجتذبت إليها كثير من المتعاطفين . وكان الخط الفاصل بين تلك الدوائر مرنا ، خاصة بين المتعاطفين وجموع الضباط . ولا نعرف من أسماء أعضاء التنظيم قبل الانقلاب ، سوى ما يزيد على الخمسين اسما بقليل .

ولقد صدرت عن نجيب ، عندما كان يتحدث عن الفرق بينه وبين ناصر وفلسفته فى ١٩٥١م ، ملاحظة بالغة الدلالة على أيديولوجية الضباط ، فهو يقول : « بما أن كلانا ليس فيلسوفاً فلربما كان الأفضل أن نسميها (سيكولوجية الثورة) . وهناك تفسير آخر يحمل نفس الروح قدمه عبد القادر حاتم ، إحدى الشخصيات البارزة بين الضباطِ الأحرار ، عندما قال : « أن الأسلوب الذى اتبعه زعماء الثورة كان يعتمد فى مرحلة من المراحل على المحاولة والخطأ ، وتمكنت الثورة فى مرحلة تالية من وضع الأُسس والقواعد » . وإذا كان الحال كذلك فيما بين ٥٥ - ١٩٥٩م ، فما بالك بما كانت عليه الأمور فى الفترة من ٤٨ - ١٩٥٢. ويمكننا القول - كما تقول الرؤية الغربية والأجنبية - أن الضباط الأحرار وطنيون ويرفضون الأوضاع القائمة ، لكنهم لم يكونوا يمتلكون أيديولوجية واضحة . ويمكننا أن نرى ذلك فى بياناتهم التى صدرت قبل الانقلاب .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

لقد ورد فى الرؤية الغربية والإسرائيلية السابقة إشارات مستمدة من رؤية رجال يوليو الناصريين لتاريخ تنظيم الضباط الأحرار ، ولنشاطه وتعداده ، وأفكاره وغير ذلك ، ورغم ذلك تتبقى بعض التفاصيل الهامة التى يريد مؤرخو الثورة من الناصريين (إن جاز التعبير) أن يوردها[1] .

* وبداية يورد (أنور السادات) فى كتابه (صفحات مجهولة) ، معلومات هامة جديرة بالتسجيل لأنه فيما بعد تنصل من هذه المعلومات بل ونسب النجاح فى تشكيل (الضباط الأحرار) ، وفى أحداث الثورة ذاتها إلى نفسه (انظر كتابه « البحث عن الذات ») ، إذن من المهم القراءة فى كتبه الأولى ، لما لها من دلالة ، وأورد عبد الناصر أيضاً مذكرات هامة نشرت فى مجلة المصور عام ١٩٥٢م وكذلك صلاح نصر فى مذكراته وغيرهم من قادة الثورة .

وبداية يقول السادات فى كتابه (صفحات مجهولة) :

« .. وكان جمال الذى يعمل هو جمال الناصح الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة . سنوات الحرب . وما تخللها من أحداث داخلية وخارجية . وما رآه فيها من هزات عنيفة ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة ومن بطولات زائفة وأساليب خادعة ومن أوضاع غربية حلت بالجيش أو فرضت عليه ... » .

(١) انظر قائمة تفصيلية بالمراجع الناصرية بشأن هذا الجزء فى نهاية الكتاب .

وكان إخوانه الذين تعرف بهم وربطت بينه وبينهم أواصر الصداقة والاجتماع على الهدف قد بدأوا يندمجون فى صورة منظمة .

إن القصة الحقيقية للضباط الأحرار لم تكتب بعد . قصة التضحية وإنكار الذات قصة الجنود المجهولين الذين التفوا حول هذا الشاب طويل القوام . وآمنوا بفكرته وأحبوه . واستمدوا إيمانهم من إيمانه .

وقد مرت عليه عملية الإعداد فى مراحل ثلاثة . الأولى خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٤٢م وسنة ١٩٤٥م وهى فترة صعبة قام خلالها بنشر مبادئه وإشعال الروح الوطنية وكان أول وهج لذلك هو حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، الذى أهدرت فيه كرامة الوطن .

ولقد كانت فرصة طيبة لكى يملأ قلوب الضباط بالحماس ووجد جمال فرصته فى التعرف إلى النفوس التى كانت حوله ، ومدى إيمانها بالعمل للوطن .

كان يستمع صامتاً . ويستدرج من يرى فيهم روى الوطنية إلى امتحان دقيق ، ويضعهم تحت الاختبار ، ومن هنا كان إخوانه وأعوانه نماذج صادقة من الوطنية والإيمان بمصر . والفداء والتضحية . كانوا . كأخاهم الأكبر . يؤمنون بأن يقدموا روحهم فداء لمصر . ويهبوا نفوسهم خالصة .

ودخلت الحركة فى الدور الثانى توا ، بين ١٩٤٥م ومايو ١٩٤٨م إذ بدأت تأخذ شكلاً منظماً وأصبح من حول جمال مجموعة كبيرة .

يقول جمال « .. كنا مترددين – فى هذه الفترة – أول الأمر فى اللحظة التى نسلكها لتحرير الوطن . وهل نبدأ حربنا بالاستعمار أولاً أم نبدأها بأعوانه ، ولكن ترددنا لم يظل إذ رأينا أن الاستعمار لا يستطيع أن يثبت أقدامه إلا باعتماده الكامل على أعوانه من الخونة أو الأشخاص الذين تتفق مصالحهم مع سياسة المستعمر المتقلبة المتغيرة حسب ظروفه وأهوائه فى تقريب الأشخاص أو الأحزاب .. » .

وقد اعترضت طريق المرحلة الثانية عقبات « كان أهمها عدم وجود الثقة فى النفوس . فالفرد لا يثق بنفسه ولا بزميله . وكانت هذه أصعب فترة مرت بنا . لذلك بذلنا جهدنا فى بث الثقة بين الضباط . وكنا ننتفع بالصداقات التى تربط الضباط بعضهم ببعض لإيجاد هذه الثقة وعدم إفشاء الأسرار الشخصية للأفراد ثم أسرار حركتنا .

واستطاع بذلك ضم أحرار جدد إلى صفوفنا فى الوقت الذى كانت المخابرات السرية والبوليس السياى ينشط فى تعقب أى حركة . ولكننا نجحنا بفضل الإيمان بالله والإيمان

بالوطن والصبر والعزيمة .. » .

وقد روى أنور السادات قصة حدثت فى هذه المرحلة تصور إلى أى مدى كان جمال عبد الناصر يصنع ثورته .

« .. كنت أتعجل وكان جمال يتريث . حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع أحمد ماهر . وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابله كليرن على سلم السفارة . وكانت هذه القصة حديث مصر .

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة . ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنود . فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير إلى مطالب مصر حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية . وقال للنقراشى دعك من هذا الكلام فإن حديث الجلاء والوحدة ليس إلا حديث خرافة .

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها .

وذهبت إلى جمال . وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها . واستمع إلَّى جمال طويلاً . وناقش خطتى مناقشة كاملة . وأقر كل أطرافها وعناصرها . ولكنه فى آخر الأمر هز رأسه وقال لا : نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاماً.

وكانت حملة فلسطين ونتائجها هى روح هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة .

وكان جمال قد انتهز هذه الفرصة فقدم استقالته ليشترك فى التطوع لفلسطين وليحارب بنفسه وكان ذلك قبل دخول جيش مصر الحرب بصفة رسمية . وقد اتخذ هذا القرار بالرغم من أنه لم يكن له ولأولاده مورد آخر ، ولكن طلبه رُفِض ، وتحقق أمله بأن سافر مع القوات المصرية وفقاً لما يورده أنور السادات .

« ... وسارع الضباط الأحرار فى التطوع مع البطل أحمد عبد العزيز . وكان أغلب المتطوعين من الضباط الأحرار الذين سارعوا لنجدة إخوانهم العرب واشترك الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وبدأت الحياة تظهر كل يوم بوجه جديد وبدأت النفوس تتحد بعد أن جمعتها الآلام ... » .

وكانت معركة فلسطين هى بؤرة الثورة . فهناك بين خطوط القتال وخنادق الحرب كان جمال يجتمع بصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وغيرهم

من زملائه . كانوا يتناجون بمصر وأمور مصر ، وقد تأكدت بينهم وحدة التفكير وروابط الثقة .

وكشفت فلسطين لجمال عبد الناصر عن دوره الحقيقى . وأكدت فى نفسه حاجة مصر إلى القائد والزعيم والمنقذ .. فقد كشفت عن مخاز ومآسى جعلت أفكاره تتبلور ضد فاروق ورجاله ، وخاصة لما كان يلمسه من احتياجات الجيش إلى ذخيرة وإمكانيات لا تتوفر له .

ثم قصة الجدل التى كان الجيش يتوجه لأخذها بأمر من فاروق دون أن يكون لديه أى استعداد .

وكشفت فلسطين عن بطولة جمال عبد الناصر فقد قاد المعارك التى وكلت إليه بروح عالية ، وكان يتصدر جنوده دائماً فى المعارك .. مما أدى إلى إصابته برصاصة فوق القلب فأرسِل إلى مستشفى غزة للنقاهة لمدة شهر ، ولكنه لم يحتمل البقاء فى السرير ، فهرب بعد بضعة أيام وعاد إلى فلسطين .

ويصف جمال شعوره فى هذه الفترة ، يقول :

« .. لقد كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كانت فى مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه .. ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا الذى تركناه للذئاب ترعاه » .

« .. وفى فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع فى الخنادق والمراكز .. » .

وقال الشهيد أحمد عبد العزيز أن ميدان الجهاد الأكبر هو فى مصر .

وفى الفالوجا : كانت هناك تجربة اخرى .

« كانت الفالوجا محاصرة . وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروعاً . وكان جمال يقول لنفسه ها نحن فى هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ودفعنا إلى معركة لم نعد لها .. لقد لعبت مطامع ومقدرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح . » .

« وهذا وطننا هناك .. أنه فالوجه أخرى على نطاق كبير حاصرته المشاكل والأعداء وغرر به » .

وكان جمال أركان حرب الكتيبة السادسة بنادق وحوصرت فى عراق المنشية . وهوجمت

مرتين . وانتصر جمال . انتصر بقوة أعصابه ومبادئه فقد استدعى نصف القوات المعسكرة فى الجانب الآخر من حدود المعركة دون أن يعلموا أن اليهود قد توغلوا هذا التوغل الخطير فى صفوفهم واقتحم جمال المعركة بالمدد الجديد وانتصر ..

لقد شهد جمال معركة فلسطين منذ يومها الأول إلى يومها الأخير . من ١٦ مايو ١٩٤٨م إلى ٦ مارس ١٩٤٩م . فماذا أعطته . ماذا أمدت هذه الشخصية الثائرة التى كانت تعد عدتها لعمل ضخم كبير .

لقد أعطته فلسطين الحقيقة الأخيرة .. الإيمان الأكيد بأنه على الحق .. وبأن مصر تمر بمرحلة الغروب . غروب الدولة الظالمة الفاجرة . المستبدة . ليشرق على يديه فجر جديد . والقول لأنور الجندى فى كتابه مصدر سابق ص ٤٩ .

ومن أهم هذه المواقف ليلة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م .

وقد روى جمال هذا الموقف الخطير وفى مذكراته المنشورة بمجلة المصور فى نوفمبر ١٩٥٢م على النحو التالى :

« كان أحرج موقف هو ليلة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ - كنت أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تحتل عراق المنشية فى منطقة الفالوجا المحاصرة . وكانت عراق المنشية تبعد عن الفالوجا بحوالى ٣ كيلومترات ، وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أبلغنى قائد إحدى السرايا أن اليهود قاموا بهجوم ليلى ، وأنهم استطاعوا أن يتسللوا خلال سريتهم وأنهم يندفعون إلى داخل عراق المنشية ولم يكن عندى احتياط سوى عشرين جندياً فقط . ولكننى تمكنت بواسطة هذا الاحتياطى الصغير أن أسد المنافذ المؤدية إلى رئاسة الكتيبة . وبعد ساعة كان اليهود يحتلون ثلثى البلدة . ونحن نحتل الثلث الآخر . وكانت قواتنا موجودة فى خادقها حول البلدة ، كان الموقف غاية فى الخطورة والحرج ، وكان الحل الأول هو طلب معونة من الفالوجا . إذ أن لديها قوات احتياطية كبيرة . وقد وعدونى بإرسال قوة أستطيع بها أن أقوم بهجوم مضاد لطرد قوات العدو من البلدة وبدأت أنفذ خطة أخرى هى سحب بعض الأفراد من القوات الموجودة بالخنادق لتعزيز الاحتياطى الموجود حول مركز رئاسة الكتيبة . وحتى الساعة الرابعة لم يصل أى شيء من الفالوجا . وأستنتجت أنهم لم يبتوا فى فى : هل يرسلون قوة أم لا يرسلون وكان تفكيرهم أنهم لو فعلوا ذلك سيكون مصيرهم مثل مصيرنا تماماً . وهو القتل أو الأسر .

ولم يكن أمامى غير حل واحد فى هذا الوقت العصيب الحرج . هو اعتمادنا على أنفسنا فأصدرت الأوامر بسحب جميع قوات الكتيبة من الخادق وبجمعها فى ثلث البلد الذى كان

لايزال فى أيدينا ، وقد تم سحب هذه القوات بكل هدوء وعند أول ضوء من الصباح كانت جميع أفراد الكتيبة تقريباً تكون قوتين متقاربتين وبدأنا فى تنفيذ خطة الهجوم المضاد لطرد اليهود . وكانت مفاجأة مذهلة لليهود ، الذين لم يتوقعوا انتظاراً ودامت المعركة الحامية من الساعة السادسة إلى التاسعة وانتهت بقتل ٣٠٠ يهودى وأسر خمسة منهم وفرت باقى القوات المعادية التى كانت فى قلب البلدة . وعند الساعة الحادية عشر تقريباً استعادت قواتنا مراكزها حول البلدة .

« .. وعدنا من فلسطين فى مارس ١٩٤٩م وبدأنا نجمع صفوفنا بعد أن تفرقت جموعنا . وقتل فى الحرب عدد كبير من الضباط الأحرار . وتخلف البعض منا فى الطريق . إذ رأى أنه لا أمل لنجاح خطتنا إلا بالاتصال بالملك السابق والاتحاد معه فى حربنا مع المستعمر وأعوانه من الخونة . واتصلوا برجال الملك السابق فساقتهم شرورة ومفاسده . وحادت بهم عن خطتهم . لقد كانوا وطنيين . ولكن الغواية أضلتهم عن الطريق الصحيح . ورأينا ازاء ذلك أن نحيط أعمالنا بكثير من الحذر لأن البعض يعرف الكثير من أسرارنا وهو متصل بالملك ورجاله .

وتظاهرت أنا وزملائى أمام هذه الجماعة بأننا صرفنا التشكيلات التى كنا أقمناها . وأنه أصبح لا هم لنا إلا أكل العيش .. » .

وكانت هزيمة فلسطين هى نقطة البداية .

عاد جمال وإخوانه بعد رفع حصار الفالوجا ... وما كاد يصل إلى بيته حتى حضر لزيارته من طلب إليه مقابلة رئيس أركان حرب الجيش الذى طلب إليه مقابلة رئيس الوزراء فى ذلك الوقت (إبراهيم عبد الهادى) حيث وجهت إليه تهمة العمل ضد القصر ولندع جمال عبد الناصر يروى بقلمه قصة هذا التحقيق :

كان هذا أول تحقيق معى وأنا ضابط . ولو أنه لم يكن أول تحقيق معى . فقد أجروا معى عدة تحقيقات من قبل وأنا طالب بالمدارس الثانوية .

حضر إلىَّ أحد الضباط نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٥ مايو . وأخبرنى أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يطلبنى لمكتبه . وسألنى وهو مضطرب عما إذا كنت قد عملت شيئاً يستحق المؤاخذة فطلبت من زوجتى أن تبلغ عبد الحكيم عامر بأمر استدعائى إذا لم أعُدْ حتى الساعة الرابعة ، فقد أحسست بالخطر وكانت التهمة الموجهة إلىَّ فى ذلك الوقت هو تدريب المجاهدين فىَ فلسطين .

وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه معى . وقد دام هذا التحقيق سبع ساعات فى حضور الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش وحضر اللواء أحمد طلعت رئيس البوليس السياسى جانباً منه .

ولقد كانت أعصاب رئيس الوزراء ثائرة فى ذلك اليوم . وكان يتسألنى عن الضباط الذين اشتركوا معى فى التدريب . وكان يهددنى بإحالتى إلى النيابة والبوليس لتأخذ الإجراءات معى . وقد كانت هذه الإجراءات تعنى الذى كان الشعب بأجمعه على علم به .

ولقد كنت مالكاً لأعصابى فى ذلك اليوم . وطلبت منه أن يواجهنى بالمبلغين .

وسألنى فى التحقيق هل عندى أسلحة فى منزلى . فقلت له عندى ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالى ٢٠٠ طلقة مدفع ستين . ولقد فقد رئيس الوزراء الكثير من أعصابه فى ذلك اليوم . وكان يقول لى بعد أن ضاق صدره من إصرارى وصمودى أمام تهديداته ، لا أدرى ماذا أعمل معك .. ضابط كبير مثلك قد تصدر إليه الأوامر فجأة لمقاومة أى حركة ثورية .. كيف يكون الوضع .. وكيف نطلب من الإنجليز الخروج .. والواضح على هذا الحال . أنكم تقولون أننى جبان ولست بجبان إلا فى حالة واحدة فقط . وهى يوم يعتدى علىَّ إنجليزى واحد حتى ولو كان مرتدياً بنطلوناً مقطعاً .

وكان رئيس الوزراء يقول فى ثورته : هل تريدون أن يحتل الإنجليز القاهرة والإسكندرية . لقد وجدت فى قصر الملك مفرقعات .

وأنا أود أن أعرف ما الذى نعمله إذا جرى حاجة للملك فإن ظفر اصبع قدمه بالعائلة المالكة كلها .

وبعد سبع ساعات وكنت قد خرجت من مكتبه ليقوم رئيس هيئة أركان الحرب بمحاولة إقناعى بالاعتراف ثم طلبنى إبراهيم عبد الهادى مرة أخرى وقال : روح يا ابنى .

وطلب منى الفريق عثمان المهدى أن يتوجه معى لإحضار الذخيرة الموجودة فى منزلى والتى حفظت فى خزانة مدير المكتب القائمقام عبد العزيز فتحى حتى استولينا يوم ٢٣ يوليو على رئاسة الجيش ووجدها عبد الحكيم عامر فى خزينة مدير مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش .

وانتهى التحقيق فى الساعة الثامنة . وتوجهت إلى منزل عبد الحكيم عامر فوجدته قد اتصل ببعض الضباط الأحرار الموجودين فى القاهرة . وكانوا مجتمعين به فى منزله . وكان هذا أول يوم لى فى الأجازة التى أخذتها من عملى فى الإسماعيلية . وكانت لمدة شهر .

وقد بدأنا فى وضع خطتنا فى ذلك اليوم . و فى نهاية الشهر كان شملنا قد اجتمع ورأينا أننا نحتاج إلى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش حتى نستطيع التخلص من النظام كله ، أى أننا كنا سنقوم بحركتنا فى عام ١٩٥٤م وليس فى عام ١٩٥٢م كما دفعتنا الظروف والحوادث إلى التفكير فى تنفيذ الخطة .

وتعددت بعد ذلك اجتماعاتنا فى كل مكان وفى منازل متعددة .

« ونقلت فى شهر أغسطس إلى القاهرة وبدأت فى شهر سبتمبر ١٩٤٩م فى التنظيم الجدى والخروج بالحركة إلى نطاق واسع ، فبثثنا العيون فى كل مكان فى القصر وفى القيادة العامة للقوات المسلحة وفى البوليس السياسى ، وفى مختلف الأسلحة والوحدات ، وكانت هذه العيون تنقل إلينا كل المعلومات التى تصل إلى المسئولين فى ذلك الوقت عن حركة الضباط الأحرار .

وفى مذكراته يقول عبد الناصر :

ورأينا أن ننشر آراءنا ودعوتنا بين صفوف الضباط على نطاق واسع عن طريق المنشورات السرية .

واشترينا آلة رونيو لطبع المنشورات وآلة كاتبة وقام زملائنا من الضباط بشرائها ، وقد وضعنا هذه الآلة فى منزل أحد زملائنا لأنه كان متصفاً بالمرح الذى يبعد عنه أى شبهة ، وبدأنا بطبع المنشورات فى داره بكبرى القبة .

وصدر أول منشور للضباط الأحرار فى شهر نوفمبر ١٩٤٩م ، وقد تضمن تحليلاً وسرداً للحالة ولمأساة فلسطين ، وكان جمال وإخوانه يقومون بتوزيع المنشورات على صناديق البريد ، وعلى فروع التوزيع فى الوحدات والأسلحة المختلفة ، وكانوا يطبعون فى المرة الواحدة ألف منشور ، وكانوا يحصلون على حاجتهم من الورق والحبر من الجيش ، وكان يتم توزيع المنشورات يتم بعضه بواسطة البريد والبعض الآخر باليد .

ثم انتقل زميلنا من منزله فى القبة إلى حى يكاد يكون غير معروف فيه ، فانتقل إلى الجيزة ، واستمرت المطبعة فى عملها وفى منزله حتى بدأت الثورة فى ٢٣ يوليو .

وكان جمال وعبد الحكيم وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى يوزعون هذه المنشورات باليد فى الجيش وكان البغدادى وحسن إبراهيم يقومون بالتوزيع فى الطيران ، ووزع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم باليد فى فلسطين ، وقد قامت السلطات المختصة بضبط هذه المنشورات مرة واحدة فى البريد ، إذ أنها شكت فى محتويات ظروفها التى كانت من

مقاس واحد ، فغير جمال طريقة التوزيع بالبريد .

وكان لكل ضابط من الضباط الأحرار مهمته الخاصة ، فكان على البعض منهم مراقبة الضباط عند قراءتهم للمنشورات ونقل تعليقاتهم على ما جاء فيها وضم الأشخاص الذين يبدون تشجيعاً للحركة بعد وضعهم تحت المراقبة .

ويقول السادات فى كتابه :

استمر جمال يعمل بهمة مع إخوانه فى توسيع نطاق التنظيم ونشر الدعوة وتخير الممتازين حتى سنة ١٩٥٢م .

وكان الملك السابق يبدى اهتماماً كبيراً بحركة الضباط الأحرار ، ويعمل للقضاء عليها ، وبدأ جمال وإخوانه يرتبون أنفسهم للمعركة ليكونوا مستعدين فى أى وقت .

وفى أكتوبر ١٩٥١م أعلن رئيس الوزراء إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ، وبدأت على أثر ذلك معركة القنال بين الفدائيين المصريين وبين الجنود الإنجليز وكان موقف الوفد بصفته الحزب الحاكم مخزياً .

وحمل جمال على أكتافه أكبر عبء فى أعمال الفدائيين .

أن أحد لم يكن يعرف هذا الدور الضخم الذى قام له دون إعلان أو دعاية .

ولكن الموقف تحول تحولاً خطيراً حين حرقت الخيانة القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢م) ويصور السيد أنور السادات هذه الفترة فيقول : مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجأة كبيرة لنا فقد كان أيضاً حافزاً على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، ولأن وقوع هذا الحادث كان ايذاناً ببدء عهد من النكبات والكوارث ، والإرهاب الملكى فى البلاد ، كان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا أنفسنا على أن نضع هذا الحد مهما كانت عواقب المخاطرة .

وقد تساءل كثيرون لماذا لم تستغل حوادث ٢٦ يناير وخاصة أن قوات الجيش كانت تحتل الشوارع ، وكان التجول ممنوعاً بعد غروب الشمس ، ولكن جمال عبد الناصر يجيب على هذا السؤال بقوله : كان الوضع يستلزم المحافظة على الأمن فى البلاد وكانت الظروف لا تحتمل حوادث جديدة .

وهكذا يرى السادات الموقف العام قبل الثورة .

رواية أخرى : رواية صلاح نصر :

صلاح نصر أحد الضباط الأحرار ، ورمز مخيف فى ذهن المؤرخين لثورة يوليو . إذ أن مآسى المخابرات المصرية ارتبطت به ، وكان لرؤيته بحكم موقعه فى تلك الأجهزة ، أهمية مما يقول عن الثورة وتنظيم الضباط الأحرار .

يقول صلاح نصر فى مذكراته :

(كان من الأخطاء الجسيمة التى تنسب إلى تاريخ الثورة ، أنها لم تحفل بتسجيل أحداثها فى حينها ، وبخاصة أحداث فترة الإعداد للثورة .. ولذا تحدث الكثيرون عنها سواء كانوا مشاركين فيها أو مراقبين لها .. وتجاوز البعض حدود الحقيقة إما لإظهار نفسه بصورة البطولة ، وإما ليبدو أنه عليم ببواطن الأمور ، قريب من أصحاب النفوذ .. وخرجت على السطح صورة مشوهة متناقضة ، كانت الأساس الذى بنى عليه البعض تنظيم الضباط الأحرار فى خيالهم) .

فمن قائل أن تنظيم الضباط الأحرار يرجع إلى عهد بعيد منذ قيام الحرب العالمية الثانية ومن قائل أنه تم تشكيله قبل ذلك عام١٩٤٢م إلى غير ذلك من المعلومات التى لا أساس لها .

وساعد على بلبلة أفكار الناس انتماء بعض الضباط الأحرار قبل انضمامهم إلى التنظيم إلى بعض التيارات السياسية مثل جماعة الإخوان المسلمين أو إلى التيار الماركسى الذى كانت تمثله الأحزاب الشيوعية المصرية ، والتى كانت تعمل بأسلوب العمل السرى ، ناهيك عن تنظيم الضباط الوطنيين الذى كان يتزعمه رشاد مهنا والذى كشفت السلطات عنه النقاب فى أواخر الأربعينات ، كذا الأحزاب التقليدية التى كانت قائمة قبل الثورة وبخاصة أحزاب الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين .. أما ما يقال عن حركة عزيز المصرى ومحاولته الهرب فى طائرة حربية إلى أعداء الإنجليز ، فلم تكن سوى عملية صغيرة محدودة ، ولم يكن لها أدنى علاقة بتنظيم الضباط الأحرار الذى لم يكن قد تكون بعد ، اللهم إلا من ناحية انضمام بعض الضباط الذين كانوا على اتصال بعزيز المصرى إلى تنظيم الضباط الأحرار وبعد تكوينه فيما بعد .

حقاً كانت هناك عدة تيارات سياسية داخل الجيش المصرى قبل قيام الثورة، لكنها كانت محصورة وضيقة ، وكانت أغلب هذه التيارات تركز على المسائل الحيوية المصيرية ، التى كانت تشغل الرأى العام المصرى حينئذ وأهمها قضية التحرير من الاحتلال البريطانى وإقامة حياة ديمقراطية سليمة تحقق عدالة اجتماعية ، وتقضى على فساد الأحزاب

التقليدية.[1]

على أن تشكيل تنظيم الضباط الأحرار بدأ حقيقة فى حصاد حرب ١٩٤٨م .
كانت هناك هزيمة الجيوش العربية مجتمعة أمام عصابات إسرائيل ، وفرض مجلس الأمن الهدنة فى ظروف ليست فى صالح العرب ، فضلاً عن المعلومات التى ذاعت بين ضباط الجيش المصرى عن الأسلحة الفاسدة ، ومتاجرة الملك فاروق بأرواح ضباطه وجنوده .. كل هذا كان له أكبر الأثر على تجمع كثير من الأفكار بين ضباط الجيش .. ولم يكونا فى حاجة إلى أكثر من تجمع كثير منهم فى تنظيم يعمل بالأسلوب السرى ، ويشكلو أنفسهم فى خلايا أشبه بتلك الحلقات المعروفة فى العمليات السرية .
وهكذا قام عبد الناصر فى أواخر عام ١٩٤٩م بإنشاء نواة تتكون من ستة من الضباط ، أطلق عليها اسم « الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار » ضمت كلاً من البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر ، والبكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف ، والصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر ممثلين عن المشاة والرائد حسن إبراهيم ممثلاً للطيران ، والرائد أركان حرب كمال الدين حسين ممثلاً للمدفعية ، واليوزباشى خالد محيى الدين عن المدرعات .
على أن البكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف أبعد عن الهيئة ، ولم يفصل من التنظيم وذلك لمحاولته احتواء تنظيم الضباط الأحرار داخل جماعة الإخوان المسلمين التى كان ينتمى إليها .. ولذلك ظل يعمل فى إحدى خلايا التنظيم حتى قيام الثورة .
وقامت الهيئة التأسيسية بتكوين خلايا داخل الجيش ، وكان كل عضو فى هذه الخلايا الرئيسية يكون بدوره خلية فى تشكيله أو وحدته العسكرية .
وفى عام ١٩٥١م اتسع نطاق رئاسة تنظيم الضباط الأحرار فأضيف إليه كل من الصاغ أركان حرب صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى .. وكان أنور السادات قد أعيد إلى الجيش وضم إلى تنظيم الضباط الأحرار ووافقت الهيئة التأسيسية على ضمه إليها .. أما جمال سالم فقد ضم فى أواخر عام ١٩٥١م بعد عودته من الخارج على نحو ما سأبين فيما بعد .

والواقع أن الهيئة التأسيسية هذه كما كنا نطلق عليها كانت حبراً على ورق .. فمعظم أعضائها موزعون بين المناطق والتشكيلات العسكرية وكانت تنقلات ضباط الجيش تحتم على التنظيم إعادة تشكيل الخلايا فى بعض الأحيان .

وللتاريخ فقد كان عبد الناصر هو العقل المدبر للتنظيم بينما كان عبد الحكيم عامر هو الدنيامو أو المحرك لنشاطه وبلا شك كان له الفضل فى تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار .

(١) صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسير والمصير : الجزء الأول : الأصول ، مطبوعات مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر – دبى – ١٩٨٦م ص ١١٣ .

ويرى صلاح نصر فى مذكراته أيضاً أنه قد كثر الحديث عن عدد الضباط الأحرار المنتمين للتنظيم ، فبينما قال البعض أن التنظيم كان يضم ما يربو على مائة ضابط من مختلف الأسلحة ، قال آخرون أنه وصل المائتين ، وزعم قائلون بأنه أكثر من الخمسين بقليل ... وكل هذه التقديرات غير صحيحة .. فحتى عام ١٩٥٥م كان هناك عدد من الضباط الأحرار غير معروفين ، فكلفنى عبد الناصر وكنت أعمل حينئذ مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة ومسئولاً عن التوجيه السياسى داخل القوات المسلحة بحصر أسماء الضباط الأحرار .

وكنا قبل قيام الثورة ندفع اشتراكاً شهرياً قدره خمسة وعشرون قرشاً كاشتراك رمزى وللصرف منه على طبع المنشورات الخاصة بالتنظيم ، وكان نظام الخلايا لا يسمح لعضو فى خلية أن يتصل بأى عضو آخر فى خلية أخرى أو حتى يتحدث مع أى إنسان دون إذن من رئاسة التنظيم .

وقد قمت بحصر أسماء الضباط الأحرار بالاستعانة ببعض أعضاء الخلايا ، وكان عبد الناصر هو الشخص الوحيد الذى يعرف أغلب أسماء الضباط الأحرار وإن كان لم يرهم جميعاً .

ولكى يكون الحصر سليماً قمنا بتقسيم الضباط الأحرار إلى مجموعتين : مجموعة اشتركت فى خطة ليلة الثورة وتنفيذها سواء بتحركها بقوات من الجيش ، أو الاشتراك فى عمليات اعتقال كبار الضباط ، وهذه المجموعة هى التى استولت على السلطة فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو ، ومجموعة أخرى تنتمى إلى تنظيم الضباط الأحرار ولكنها لم تشارك فى أحداث ليلة ٢٣ يوليو لكونها كانت خارج العاصمة موزعة على تشكيلاتها العسكرية فى المناطق العسكرية المختلفة وهذه المجموعة قامت بتأمين وحداتها صباح ٢٣ من يوليو .

وقد بلغ عدد الضباط الأحرار وفقاً لهذه الكشوف ثلاثمائة وتسعة وعشرين ضابطاً حراً اشترك منهم فعلاً فى أحداث ليلة ٢٣ يوليو ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً .

وفى مثل ظروف الثورة يدعى البعض أعمال البطولة وينسبون لأنفسهم أعمالاً لم يقوموا بها ، أو يزعمون بأشياء غير حقيقية ولذا جاءت المعلومات عن أحداث الثورة خالية من الدقة بل مشوهة فى كثير من الأحداث .

وربما كان هذا ما دفعنى إلى أن أكتب بالتفصيل خطة تنفيذ الثورة ودور الكتيبة الثالثة عشرة مشاة وأسماء الضباط الذين اشتركوا فيها . لا للتباهى والتفاخر ولكن إقراراً للحق وتسجيلاً للتاريخ ، فقد ضاعت أسماء بعضهم فى نسيان التاريخ .

أعود للحديث عن رئاسة تنظيم الضباط الأحرار ، التى بلغ عددها تسعة أفراد وقد ظلت

هذه الرئاسة مجرد تنظيم على ورق حتى قيام الثورة .. وكان عبد الناصر يتصل بأفرادها وفقاً للظروف والتطورات وبخاصة أن نصف عددها كان يعمل خارج القاهرة فى السنة الأخيرة قبل قيام الثورة .. وكان هؤلاء منضمين إلى خلايا فى المناطق التى يعملون بها .

وكنا قبل الثورة نحاول أن نبحث عن رتبة كبيرة تصلح لكى تكون واجهة مقبولة لتولى رئاسة الثورة ، فقد كانت معظم رتبنا العسكرية تتراوح بين رتب البكباشى والصاغ واليوزباشى والملازم ، أى أن معظم الضباط الأحرار كانوا من الرتب الصغيرة والمتوسطة .

ومن الأسرار التى يوردها صلاح نصر فى مذكراته أنه كان قد تم الاتصال قبل قيام الثورة باللواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق ، وكان يتمتع بشهرة مرموقة بعد تعيينه قائداً عاماً للقوات المصرية فى فلسطين عام ١٩٤٨م بعد أن خلف اللواء الموادى القائد السابق .. كما كان يتمتع بشخصية محترمة ، وكان من الضباط القلائل القدامى الذين درسوا فى كلية الأركان حرب، فضلاً عن أنه كان ينتسب إلى أصل سودانى .

ولذا كان يعد اللواء أحمد فؤاد صادق واجهة مناسبة لتقديمه للشعب كقائد للثورة .. ولكن حدث ما خيب الآمال ، فحينما فاتحه صلاح سالم فى الأمر بتكليف من الثورة اعتذر اللواء صادق وقال : أقسمت يمين الولاء لمولانا الملك ، ولكن إذا نجحت الثورة فسأكون أول من يساندها .

فطرحت هذه الفكرة جانباً .. والحق أن الرجل مع أنه رفض الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار ، فقد احتفظ بالسر ، وكان فى استطاعته تبليغ الملك بنشاطنا ، وخاصة أنه كان محل ثقة من الملك .

واتجهت أنظار الثورة إلى شخصية أخرى .. ووقع الاختيار على اللواء أركان حرب محمد نجيب ، وكان يتمتع بسمعة طيبة وكفاءة مشهورة .

وكان علينا كتنظيم سرى أن نجرى اختباراً لمدى شعبية نجيب فى الجيش ، ولمدى قوتنا فى الصراع مع الملك ، ومن ثم كانت أزمة انتخابات النادى التى تحدثت عنها سلفاً .

على أن ثمة قصة حدثت لعبد الناصر فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى عام ١٩٤٩م كادت تفشى بالتنظيم .. ذلك أن عبد الناصر استدعى يوماً إلى مكتب الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش وانتظر فى مكتب البكباشى عبد العزيز فتحى مدير مكتبه .. وبعد فترة وجيزة استقل الثلاثة السيارة إلى مكتب رئيس الوزراء دون أن يعرف عبد الناصر أسباب استدعائه .

وأثناء انتظاره فى مكتب سكرتير رئيس الوزراء أحس عبد الناصر بنوع من القلق ، إذ كان يحمل فى جيبه بعض الأوراق التى قد تكشف نشاطه السرى ، فضلاً عن بعض أسماء الضباط الأحرار ، فاستأذن كر يذهب إلى دورة المياه وفى المرحاض أخرج هذه الأوراق ومزقها ثم ألقى بها فى المرحاض وعاد إلى مكتب السكرتير .

وأحس عبد العزيز فتحى بأن عبد الناصر قد تخلص من بعض الأوراق فسأله : هل معك أوراق سرية ؟ أجاب عبد الناصر : لقد تخلصت منها .

ودخل عبد الناصر لمقابلة رئيس الوزراء الذى حذره من أى نشاط سياسى ، ولم يفه عبد العزيز فتحى بشىء عن الأوراق وكان لهذا التصرف أثر طيب فى نفس عبد الناصر الذى ظل يذكر هذا الحادث على أنه ضرب من المروءة من عبد العزيز فتحى .. فلما جاءت الثورة كان عبد العزيز فتحى من الضباط الكبار القلائل الذين استمروا فى العمل وكان محل ثقة كبيرة من عبد الناصر .

سردت هذا الحادث لأن عبد الناصر كان يعده من الأحداث المهمة ، فلو قدر أن قام أحد بتفتيشه وعثر على هذه الأوراق لكانت أضرت كثيراً بقضية الثورة .

وما أن تم للثورة النصر ، حتى بدئ فى إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة .. فبالإضافة إلى الأفراد التسعة الذي شكلوا الهيئة التأسيسية قبل قيام الثورة ، أضيف فى الخامس عشر من أغسطس ١٩٥٢م إلى رئاسة التنظيم كل من اللواء محمد نجيب ، والقائمقام يوسف صديق ، والبكباشى زكريا محيى الدين ، والبكباشى حسين الشافعى ، والقائمقام عبد المنعم أمين .

والواقع أنه لم يكن هناك تشكيل حقيقى للمجلس قبل قيام الثورة ، فلما قامت الثورة أصبح من الضرورى إنشاء رئاسة تسير الأمور التى واجهت الثورة بعد الاستيلاء على السلطة .. وقد روعى فى هذا التشكيل تمثيل الأسلحة جميعها فى المجلس ، ووضع عامل الأقدمية محل الاعتبار بقدر الإمكان حتى لا تسود الفتنة بين الضباط الأحرار ، وبخاصة بين الذين كانوا يطمحون إلى الانضمام إلى المجلس ، ويرون أنهم أحق من بعض من عينوا فى المجلس .

كان هذا التشكيل من الأسباب الرئيسية لتبرم كثير من الضباط الأحرار فى الأسلحة المختلفة ، وفى أزمة اعتصام سلاح الفرسان عام ١٩٥٤م ، ثم المطالبة بإعادة تشكيل مجلس الثورة على أساس انتخاب حر يجريه الضباط الأحرار ويمثل الأسلحة المختلفة بنسب عادلة .

وقد حاولت السراى احتواء تنظيم الضباط الوطنيين ، ففكرت فى إنشاء حرس سرى خاص يحمى الملك ، ويقوم باغتيال خصومه من تنظيم الضباط الوطنيين .

وفعلاً تم إنشاء الحرس ، وعرف هذا الحرس باسم الحرس الحديدى استقطب بعضاً من ضباط تنظيم الضباط الوطنيين عن طريق الدكتور يوسف رشاد اللطبيب بالخدمات الطبية والذى انتدب للسراى ليعمل طبيباً خاصاً للملك وياوراً له .

ولقد قام هذا التنظيم بعدة عمليات إرهابية منها إطلاق الرصاص على مصطفى النحاس فى ٥ من أبريل عام ١٩٤٨م فى محاولة فاشلة لاغتياله ، كذا محاولة نشف منزله بسيارة محملة بالديناميت فى الخامس والعشرين من أبريل .

ومع أن هذا التنظيم لم يكن له أى انتماء رسمى للسراى أو الجيش . فقد كان محمد حيدر وزير الدفاع يعلم به ويباركه ويشد من أزره .

وكان من أفراده البارزين الضباط مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين ، وحسن فهمى عبد المجيد ، وسيد جاد .. كما انضم إليه أنور السادات عن طريق الدكتور يوسف رشاد .

على أنه يجدر بى أن أنوه عن تشكيل هذا الحرس الحديدى وكيف تم انتقاء ضباطه .

كان قد تشكل تنظيم سرى فى الجيش من الضباط أطلق على نفسه اسم « الضباط الوطنيين » وكان زعيم هذا التنظيم البكباشى رشاد مهنا (الوصى على العرش بعد قيام الثورة) . وكان رشاد مهنا من الضباط المشهود لهم بالكفاءة والسمعة الطيبة والوطنية .

كان هدف هذا التنظيم توعية ضباط الجيش لما يجرى من فساد فى البلاد والقيام بعمليات اغتيال لبذور الفساد .

وفعلاً قامت هذه الجماعة بإصدار منشورات سرية نددت فى بعضها بفساد قيادة الجيش تحت رئاسة إبراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ، بل وصل الحد إلى قرار اغتياله .

ولكن لم يكتب لهذا التنظيم الاستمرار ، إذ سرعان ما انكشف للسلطة - بعد أن وشى بهم أحد الصولات - وتم القبض على أفراد التنظيم تمهيداً لمحاكمتهم .

ولكن السراى لم تقدم أفراد التنظيم للمحاكمة ، وصدرت الأوامر بالإفراج عنهم ، وإعادتهم إلى الجيش ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدم رغبة السراى فى إثارة البلبلة بين ضباط

الجيش ، ومحاولة احتواء هذه المجموعة لخدمة الملك .

ولذا لم يكن غريباً أن ينحى إبراهيم عطا الله « الذى قررت الجماعة اغتياله » من مركز رئيس أركان الحرب للجيش وتعيين بديل عنه عثمان المهدى الذى أمضى أغلب خدمته ف ياوران الملك فاروق .. ثم يجىء محمد حيدر من خارج الجيش - وهو ضابط سجون - ليعينه الملك فى منصب وزير الحربية.، بأمل أن يسيطر على الجيش .

ولكن هذا التعيين لم يكن مؤقتاً ، إذ لقى استياء عاماً ين ضباط الجيش وبخاصة الضباط من الرتب الوسطى والصغيرة .. وكان ذلك محل نقد وجدال بينهم[1] .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة تنظيم الضباط الأحرار :

سوف نورد هنا ودون تدخل الا فى الهامش وفى حدود البحث العلمى رؤية إسلامية هامة لمفكر إسلامى شاب ينتمى إلى حركة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهو (أسامة حميد)[2] ، ونظرًا لما يتمتع به من عمق ودقة فى الرؤية فإننا لن نحذف كلمة مما قاله ، وذلك لأهميته من ناحية ، وأيضاً حتى نكون موضوعيين أيضاً فى تناولنا لتاريخ هذه الفترة ، هذا وسوف نورد رؤية الإسلاميين فى جميع مراحل وأجزاء هذه الموسوعة انطلاقاً من القناعات التى أوردناها فى المقدمة ، والآن ماذا يقول أسامة حميد فى رؤيته لتنظيم الضباط الأحرار ؟ يقول :

عندما كان الإخوان ينشئون تنظيمهم السرى (١٩٤٠م) - كان حسن البنا يكلف نائبه محمود لبيب بتكوين وإدارة تنظيمين سريين ف كل من الجيش والشرطة ، وبالطبع كان لابد من اختيار اسم للتنظيم يبعد به عن الارتباط بالإخوان - فاختار محمود لبيب لتنظيم الجيش اسم « الجنود الأحرار بالجيش » وأحياناً « الضباط الأحرار » .

وفى ديسمبر ١٩٤١م أرسلت « لجنة الجنود الأحرار بالجيش » عريضة إلى الملك طالبت بما يلى :

١ - بث الروح فى أفراد الجيش المصرى ضد الجيش البريطانى .
٢ - مقابلة الاعتداء بالاعتداء ﴿ **ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ .
٣ - القبض على أى فتاة مصرية تسير مع أى جندى بريطانى .
٤ - الإفراج عن عزيز المصرى وعن عدد من الطيارين .
٥ - إلغاء معاهدة ١٩٣٦م .

---

(١) صلاح نصر : مصدر سابق ص ١١٦ .

(٢) اسامة حميد - موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - بحث بدون ناشر - القاهرة ١٩٨٦م .

٦ - منح الجندى حق محاربة ما يخل بالقانون .

كان أول من انضم للتنظيم لثنان : عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حموده - قاماً بدورهما بضم خمسة من زملائهم (عبد الناصر - كمال الدين حسين - سعد حسن توفيق - خالد محيى الدين - صلاح الدين خليفة) .

وكون هؤلاء الخلية الرئيسية التى تفرعت عنها فيما بعد سلسلة من الخلايا[١] .

ويذكر السادات أن الضباط عرضوا على حسن البنا خطة لإبادة الجيش الإنجليزى عند عودته من العلمين ولكن البنا أجهش بالبكاء « فلم تكن هناك قوة كافية لتنفيذ الخطة »[٢] .

كان محمود لبيب هو المشرف على اجتماعات كل الخلايا[٣] وكان هو الوحيد الذى يعرف أفراد التنظيم كله - وفى البداية دار جدل بين حسن البنا ومحمود لبيب (وربما اشترك فى النقاش آخرون) حول ما إذا كان ينبغى الاهتمام بغرس القيم الإسلامية فى نفوس الأعضاء أم يكتفى بتجميع العناصر الوطنية المتحمسة ثم يأتى تحويلهم إلى الإسلام فى مرحلة لاحقة - وفى النهاية انتصرت وجهة النظر الأخيرة - وهكذا كان كثير من أعضاء التنظيم لا يحملون الفكر الإسلامى - وكانت كل أفكارهم لا تعد وبعض التصورات السطحية الهلامية .

ولكن بسبب النضال ضد الإنجليز وشن الإخوان لحرب عصابات فى عام ١٩٤٦م - فقد قام أفراد التنظيم بمبايعة الإخوان وقام بعض أعضائه بتدريب التنظيم السرى للإخوان (الذى كان يقوده السندى) بهدف مواصلة النضال ضد الإنجليز[٤] .

ويبدو أن عبد الناصر كان أكثر تحمساً - بدليل أن محمود لبيب عندما اعتلت صحته أفضى بأسرار التنظيم لعبد الناصر - وفى الحقيقة أن محمود لبيب رغم مركزه الهام داخل الإخوان - كان (متساهلاً) فى بعض أفكاره ولم يكن يرى تعارضاً بين الوطنية المصرية

(١) كان من أعضائها : عبد اللطيف البغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات - ثروة عكاشة - توفيق عبده إسماعيل - إبراهيم الطحاوى - صلاح سالم - حسين الشافعى - حسن إبراهيم .

(٢) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ط ١٩٥٧م ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) فى مذكراته التى نشرها بمجلة المصور (١٩٥٢/١٠/٣١م) قال عبد الناصر أنه إنضم للتنظيم الذى كان يقوده الصاغ م . ل . ومع ذلك قال عبد الناصر فى مرحلة لاحقة أنه هو مؤسس التنظيم - ثم قام السادات بدوره بأدعاء تأسيسه للتنظيم وأنه «سلم لعبد الناصر» واشترك حمروش بدوره فى حملة التزييف تلك .

(٤) راجع مثلا : شهادة إبراهيم بغدادى فى : حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو جـ ٤ طبعة بيروت ١٩٧٧م .

والإسلام[١]. وهكذا لم يكن هناك حرج من تفضيل عبد الناصر على غيره من قدامى الإخوان[٢].

فى ذلك الوقت أيضاً كان بعض الوطنيين بالجيش يعملون على محاربة الإنجليز والوفد[١] من خلال تنظيمات صغيرة هى أقرب ما تكون إلى الشلل، ولكنها- فى مرحلة لاحقة - تحولت إلى أداة فى يد الملك لتصفية خصومه (الحرس الحديدى) فقد اقتنع معظم الأعضاء بجدوى الاستناد إلى الملك فى غمرة عدائهم للإنجليز والوفد - وكان السادات أحد الذين عملوا فى الحرس الحديدى.

وفى ذلك الوقت أيضاً كان بعض ضباط الصف والجنود يأخذون طريقهم إلى تنظيمات شيوعية (ولكن بقى عددهم محدوداً جداً).

ومع تجمد النضال ضد الإنجليز جزئياً - بسبب انسحابهم من مدينتى القاهرة والإسكندرية - اعتباراً من سنة ١٩٤٧م، وبسبب اشتداد الصراع الداخلى فى مصر بين القوى السياسية، شعر بعض الضباط بالإحباط وبخطورة الارتباط بتنظيمات قائمة - وطبعاً كان ذلك بسبب قلة وعيهم - ذلك أن نظام التنشئة العسكرية يجعل الإنسان ينفر من الفوضى ويشكل عقله بطريقة لا يستطيع معها أن يتفهم مغزى التحولات الاجتماعية فى مرحلة مخاض خطيرة كمرحلة ١٩٥٢/٤٥ - وبسبب إهمال الإخوان فى تقديم برنامج تثقيفى محدد للضباط - فقد اتجه بعضهم للاتصال بالتنظيمات الشيوعية التى كانت تمتلك نظريات ومناهج كفيلة بشغل وقت العضو وإثارة الجدل - وهكذا انضم خالد محيى الدين إلى منظمة أيسكرا

---

(١) راجع بعض أفكار محمود لبيب فى ثنايا روايته لأحداث فترة من حياته التى صدرت تحت عنوان (حماة السلوم) عن دار الأنصار ١٩٨٠ (وإن كانت المخطوطة قد كتبت قبل وفاته سنة ١٩٤٨) ومن الكتاب يتضح أن محمود لبيب - إضافة لقبوله بالفكرة الوطنية كان يحترم أشياء غريبة مثل ما يسمى بالانضباط العسكرى والشرف العسكرى .. الخ (والقول لأسامة حميد).

(٢) خاصة وأن هؤلاء لم يختلفوا كثيرا فى طريقة تفكيرهم عن محمود لبيب - راجع مثلا مذكرات حسين حمودة بعنوان: أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون دار الزهراء للإعلام العربى - ١٩٨٥م.

(٣) مثلا عندما كان النقراشى يقول للإنجليز «أيها القراصنة أخرجوا من بلادنا» كان النحاس - وهو غير ذى صفة رسمية - يرسل برقية إلى مجلس الأمن يقول فيها أن النقراشى لا يمثل الشعب المصرى ولذلك قرر أحد تنظيمات الضباط إعدام النحاس - وبعد فشل محاولتهم إقترحوا نسف منزله على من فيه ولكن عارض بعضهم بحجة أن فى ذلك قتل الأبرياء - انظر تفاصيل كثيرة عن أحداث متشابهة فى: حمروش - الجزء الأول (مصر والعسكريون) ص ١١٢ - ١١٦.

الشيوعية ومنها إلى حدتو - ولكن بسبب خيانات حدتو عندما اندلعت حرب فلسطين فقد انفض من حولها معظم من انضموا إليها - وفى الحقيقة لم يكن هؤلاء الضباط ملحدين (وان كان اعتناقهم النظرية الاقتصادية الشيوعية أخرجهم عن الإسلام بالطبع) .

وبسبب حرب فلسطين فقد تفكك الهيكل التنظيمى للضباط (الذى كانت عوامل تفككه موجودة فى الأصل) - وبعد انتهاء الحرب - وفى مطع ١٩٥٠م تشكل تنظيم « الضباط الأحرار » من جديد - وكانت لجنته التأسيسية هذه المرة مكونة من خمسة أشخاص : عبد الناصر - كمال الدين حسين - عبد المنعم عبد الرؤوف - حسن إبراهيم - خالد محيى الدين[١] ولم يكن على صلة تنظيمية بالإخوان سوى عبد المنعم وإن بقيت لكمال الدين حسين صلات بالإخوان (ولكن بصورة غير تنظيمية) - وبعد عدة شهور ضم خمسة آخرون للجنة التأسيسية : صلاح وجمال سالم - عبد اللطيف بغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات . وهكذا أصبح التنظيم على صلة بالإخوان (عبد المنعم عبد الرءوف) وبالشيوعيين (خالد محيى الدين) وبالملك (السادات) .

وبعد ذلك بدأ التنظيم (الذى انتخب عبد الناصر رئيساً له) حملة أرسل فيها الآلاف من المنشورات على عناوين ضباط الجيش وبدأت حملة واسعة لتجنيد أعضاء جدد (وصل عدد الضباط غداة الانقلاب إلى ٢٦٧) .

ورغم أن بعض قيادات التنظيم كانت معروفة للنظام (مثلاً على أثر تصفية التنظيم السرى للإخوان سنة ١٩٤٨م اكتشف النظام علاقة عبد الناصر بهم واستدعاه رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى وحذره من أى ارتباط بالإخوان[٢] - رغم ذلك فقد كان تحرك التنظيم سهلاً بسبب قوة المد الشعبى وتفكك أوصال النظام وضعف أجهزة الأمن[٣]

اتصل عبد الناصر بكل من الإخوان ومصر الفتاة والوفد والشيوعيين وعرض عليهم مساعدة التنظيم فى الانقلاب - فتشكك الجميع فى أهدافه ومشروعه - فاتجه بعدها لجمع عدد كبير من الضباط (من الغرز والبارات على حد تعبير كمال الدين حسين فى رسالته الشهيرة

---

(١) حمروش جـ ١ ص ١٤٦ .

(٢) فى هذا اللقاء قال عبد الناصر لرئيس الوزراء أنه معجب بالإخوان ولكنه ليس عضوا فى تنظيمهم أما علاقته بمحمود لبيب فقد برزها بأنهما عملا معا لتنظيم الدفاع عن فلسطين .
(مذكرات عبد الناصر فى عدد ٥ ديسمبر ١٩٥٢م مجلة المصور) .

(٣) يذكر حمروش أن عدد ضباط المخابرات الحربية وقتها لم يزد على ٥ ١٥ جندى بعضهم فى التنظيم وأن عدد ضباط القسم المخصوص (مباحث أمن الدولة حالياً) لم يزد على ٢٤

لعبد الناصر بعد ذلك) – وقد أطلق على هؤلاء الضباط من باب السخرية « كالة العدد » وكان عبد الناصر يجمعهم فى جلسات لتحضير الأرواح (لكى يختبرهم على حد تبريره)[1]

ونظراً لأن عبد الناصر كان برتبة مقدم فقد سعى التنظيم للإتيان بواجهة له يكون برتبة كبيرة – وهكذا وقع اختيارهم على أحد الضباط الوطنيين (محمد نجيب) بعد أن أبلى بلاءً حسناً فى حرب فلسطين .

الأصول الاجتماعية والفكرية :

لم يكن عدد أفراد الجيش المصرى يزيدون على ١٥,٠٠٠ غداة توقيع معاهدة ١٩٣٦م – وكان جل هؤلاء من أبناء الإقطاعيين والمترفين ولكن بسبب إحساس الإنجليز بتفاقم الخطر النازى – فقد فتحت أبواب الكلية الحربية على مصاريعها لتخرج أكبر عدد من الضباط وفى أسرع وقت – ومن الدفعات الأولى من خريجى الكلية بعد ١٩٣٦م كانت قيادات تنظيم الضباط .

لقد كان معظم الضباط من الطبقات المتوسط – لأن المصاريف المرتفعة للكلية لم تسمح للفقراء بدخولها – ولكن لم يكن فيهم أبداً ابن لإقطاعى أو رأسمالى – وان كان بعضهم (عبد الحكيم عامر – بغدادى) من أبناء العمد – ومن بين ٢٦٧ ضابطا لم يكن هناك سوى قبطى واحد .

وبسبب انتقال الضباط من المدارس الثانوية إلى الكلية الحربية مباشرة – وبسبب طبيعة الحياة العسكرية – فلم تتح فرصة لبلورة أفكار وتكوين مدركات عن العالم من حولهم – وفى ذلك يقول حمروش (جـ١ ص ٢١١) « يصعب القول بأن الضباط فى مجموعهم أو فى الأغلبية من قياداتهم كانوا من المثقفين لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالأسلوب الذى اعتادته فى الجيش والذى يغلق دائرة التفكير غالباً فى حدود إعطاء الأوامر وتنفيذها » – ولم يكن من بين الهيئة التأسيسية للضباط من حصل على شهادة جامعية سوى خالد محيى الدين (بكالوريوس تجارة) .

ولذلك فمن الإجحاف أن نقول أنه كان لحركة الضباط فكر (باستثناء بعض الإخوان

---

(١) راجع وصفا لجلسة تحضير أرواح فى بيت عبد الحكيم عامر حسب رواية عبد الناصر لها فى عدد ٧ نوفمبر ١٩٥٢م من مجلة المصور .

والشيوعيين) - بل أن السادات نفسه عزا نجاح الحركة إلى « عدم وجود نظرية خاصة بها » لأن النظرية « قد تتعرض للجدل فتتعرض الجماعة للانقسام ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة إلى شيء أهم من المبادىء - إلى الصداقة العزيزة الوثيقة التى ربطت بين كل من شارك فيها » !!

وقد برر عبد الناصر فى وقت لاحق (سنة ١٩٦١م) هذا الموقف فقال : « ماكانش مطلوب منى أبداً فى يوم ٢٣ يوليو أنى أطلع معايا كتاب مطبوع وأقول أن هذا الكتاب هو النظرية - مستحيل - لو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ماكناش عملنا ٢٣ يوليو لأن ماكناش نقدر نعمل العمليتين مع بعض » .

ان الافتقاد إلى فكر جمال عبد الناصر (حسب روايته فى فلسفة الثورة) ينظر إلى القضية الفلسطينية باعتبارها مجرد عامل تهديد لأمن مصر .

أما السادات فقد ذكر أكثر من مرة أنه (وعى) تاريخ مصر من كتب الرافعى (فهل هذا يكون قد وعى شيئا) - أن أكثر النماذج الصارخة فى خطورة الافتقاد إلى فكر هو إعلان الانقلابيين بأن الثورة (غير دموية) - فكيف تكون ثورة وفى نفس الوقت غير دموية .

وبسبب الافتقاد إلى فكر فقد كان طبيعياً ألا يتم تحديد العدو بدقة - ورغم أن مقر الحركة الصهيونية كان قد انتقل إلى أمريكا بعد ١٩٤٥م ورغم دور أمريكا الواضح فى حرب ١٩٤٨م فلم يكن الضباط (باستثناء الإسلاميين يكرهون أمريكا - وإن كان حمروش يحاول تبرير ذلك) (جـ١ ص ١٨٢ - ١٨٨) بقوله « والمقطوع به أن الأمريكيين قد وجدوا فى التنظيم السرى لحركة الضباط الأحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم فى المنظمة ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه »[1] .

(ولماذا يرهقون أنفسهم بالسيطرة عليه مادام يحقق أهدافهم ؟).

وبسبب الافتقاد إلى فكر فلم يكن للتنظيم برنامج محدد[2] - بل ولم يكن للتنظيم لائحة (لأنه لم يتسع الوقت لكتابتها[3] - وعندما علم الضباط باكتشاف أمر التنظيم - لم يدروا

---

(١) طبعة بيروت جـ ١ ص ١٨٢ - ١٨٨ ، الموقف العربى جـ ٢ ص ١٥ .

(٢) تزعم بعض الدراسات أن برنامج الضباط كان الأهداف الستة التى كتبها عضوان فى حدتو (أحمد فؤاد وخالد محيى الدين) وعلى الرغم من أن هذه الأهداف لا تشكل إلا صياغة نثرية إنشائية حول بعض مطالب القوى الجماهيرية فقد صرح صلاح سالم أحد قادة التنظيم بأنه لم يسمع عن هذه الأهداف ولم يعرفها إلا بعد نجاح الإنقلاب (حمروش ١٨٠) .

أما أول بيان أذيع عن حركة الجيش فقد ذكر «قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم وإننى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم» .

(٣) حمروش جـ ١ ص ١٧٨ .

ما يفعلون – وفى ١٩ يوليو ١٩٥٢م قرروا اغتيال ٣٠ شخصية من المفسدين (منهم فؤاد سراج الدين – حافظ عفيفى – حسين سرى عامر) ولكن بسبب افتقادهم إلى سيارات فقد تطور تفكيرهم إلى التخطيط للسيطرة على الإذاعة لإعلان بعض مطالبهم ، ولكن وبنفس السرعة والارتجالية – تقرر عمل انقلاب كانت نسبة نجاحه فى تقديرهم ٢٠٪ – وكان انقلاب ٢٣ يوليو .

ورغم ذلك – فيجب ألا نسخر من الطريقة التى حدث بها الانقلاب – لأنه طبقاً لسنن الله كان لابد من سقوط النظام الليبرالى بوصول الظلم نقطة معينة – وطالما أن الإسلاميين تقاعسوا فى ذلك الوقت – فقد أراد الله أن يعلمنا أن عدداً من الضباط الذين ... لا يحملون فكراً ، قد تمكنوا وبطريقة ارتجالية – من إسقاط الحكم عندما توفر لديهم التصميم على ذلك) .

* * *

انتهت رؤية أسامة حميد ، والتى تقدم بإيجاز شديد ، تأريخاً إسلامياً أصولياً لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار ، وهى رؤية يرد عليها فى العديد من النقاط وبخاصة مسألة العلاقة بين الإخوان والتنظيم ، والولايات المتحدة الأمريكية والتنظيم ، وبخاصة إذا ما قارن ذلك بالحقائق التى أوردتها الرؤى الغربية السابقة ، ولكن ورغم كل ذلك فنحن لا ننكر علمية تلك الرؤية ، وصدق أغلب ما توصلت إليه من نتائج ، بل ونشيد بصاحبهاالذى أسند رؤيته إلى مصادر تاريخية معروفة ، بل وناصرية أيضاً (نموذج أحمد حمروش) مما ينفى عنه شبهة الانحراف بالحقائق عن مواضيعها .

خامساً : المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م :

كان المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ينبىء بانفجار هائل ، فالقاهرة كانت قد احترقت ، والأوضاع السياسية تتردى ، والسفارات الأجنبية بدأت تنشط ، وتستقطب القوى الجديدة الصاعدة .

فى غمرة من هذا المناخ الخانق جاءت منشورات الضباط الأحرار لتعكس حقيقة الوضع ، ولنتأمل ما ورد فى بعض منها .

يقول منشور صادر عام ١٩٥١م : « أن هيئة الضباط الأحرار تطالب بأن تكون مهمة الجيش هى تحقيق استقلال البلاد ، ولا تقبل أن يستعمل فى القضاء على الحركات الوطنية .. ولا تقوم للجيش قائمة إلا فى بلد متحرر قوى : « نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التى تبيع لنا سلاحاً شرقية كانت أم غربية » .

« ونطالب بإطلاق جميع الحريات للشعب إذ لا يمكن لشعب أن يكافح الاستعمار وهو مكبل بقوانين تقيد حريته » . وعندما رزق فاروق بطفل فى ١٦ يناير ١٩٥٢م ، قبل عشرة أيام من « السبت الأسود » وأقيم عرض عسكرى بتلك المناسبة ، استنكر الضباط هذه « المهزلة » واستخدام الجيش فى أمور لا تليق بوظيفته ، لكن البيان لا يكشف عن عداء مبدئى للعرش ، بل على العكس يعتبر ميلاد ولى العرش « مناسبة سعيدة » ويستطرد البيان قائلاً : « فاليكم يامن تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه فى غير صالح الشعب .. إليكم يامن تسوقون البلاد إلى هاوية سحيقة لتصلوا إلى مآربكم الخاصة ، إليكم كلمتنا هذه لتكون نذيراً لكم ، علكم تثوبون إلى رشدكم ، وترجعون عن غيكم .

« وأنتم أيها الضباط ، إليكم هذا الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا يقظين لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تتهاونوا فى حقوقكم قدر أنملة » . وفى أواخر يناير ، وبعد « السبت الأسود » ، صدر بيان إلى الضباط يحذر من « الخونة من المصريين » الذين يسعون إلى استغلال الجيش فى قمع الشعب ، فى حين أن رسالة هذا الجيش هى دحر العدوان الخارجى . « إن الوطن فى خطر .. التفوا حول الضباط الأحرار ففى ذلك نصر لكم وللشعب الذى أنتم جزء لا يتجزأ منه » . وهم يعلنون فى بيان آخر منسوخ بخط اليد « كنا نعتقد أن المحنة التى أصابت البلاد فى حرب فلسطين قد أعطت درساً قاسياً للمسئولين لينهضوا بالجيش ، ويعملوا على تدريبه وتسليحه ويبعدوه عن تلك المظاهر الخادعة ، كالاشتراك فى الحفلات وإقامة الزينات . والعالم اليوم تمر به المحن والأخطار فتهدم أركانه وتستعد الأمم كل طارىء وتتوجه الشعوب والحكومات إلى كل ما هو نافع ، ومفيد ، إلا نحن فى مصر حيث يصر سادتها وأولى الأمر فيها أن يعيشوا عيشة الدعة والبهجة ، فيقيمون الاحتفالات والمباهج بمناسبة وغير مناسبة ، علها تنسى الشعب ما هو فيه من جوع وعرى وحرمان » .

إن هذه البيانات تعكس بوضوح ما كان يثير ثائرة الضباط الأحرار : تدهور وضع الجيش على الجبهة وفى داخل البلاد ، والتفريط فى استقلال البلاد ، وإسراف الأرستقراطية فى مقابل الفقر المدقع الذى يقاسيه الشعب ، لكن هذه البيانات كلها لا تتضمن مطالب محددة ، سواء بالنسبة للمشكلات الداخلية أو الخارجية ، باستثناء ما يتعلق بأوضاع الجيش ومهمته .

والحقيقة أن أوضاع الجيش فى ١٩٥٢م ، كانت محوراً للصراعات السياسية التى سبقت الانقلاب . وجاءت أزمة تعيين وزير الحربية لتقدم سبباً مباشراً للاستيلاء على الحكم بواسطة الضباط .



عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وقوفا ، وأمامهما جمال عبد الناصر ثم عبد اللطيف البغدادى وأنور
السادات وحسن ابراهيم وزكريا محى الدين . كما يرى محمد نجيب الذى استدعته الثورة ليكون واجهة
جماهيرية لها - ويوسف صديق أول من خرج بقواته من الضباط الأحرار ، ولم يظهر : حسين الشافعى -
صلاح سالم - جمال سالم - خالد محى الدين - وعلى الحائط لوحة عليها صورة الملك فاروق والتاريخ
٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

فبعد « السبت الأسود » استقالت حكومة الوفد ولم تستطع حكومتا علي ماهر والهلالى الاستمرار فى الحكم ، فكلف الملك حسين سرى ، فى الثانى من يوليو ، بتشكيل حكومة جديدة . وأراد حسين سرى أن يهدىء من حالة القلق بين الضباط ، فاقترح تعيين نجيب وزيراً للحربية ، ولو كان قد أخذ باقتراحه هذا ، فربما سارت الأمور على نحو يختلف عما آلت إليه . لكن الملك ، بعناده الأحمق ، رفض الاقتراح ، وتولى حسين سرى وزارة الحربية ، وفاض الكيل بالضباط .

قبل ذلك بفترة قصيرة كان أحد جواسيس القصر قد شاهد اليوزباشى حسن علام ، من الضباط الأحرار ، وهو يحمل إحدى نشرات التنظيم . وفى ١٣ يوليو قدم إلى المحكمة العسكرية ، حيث حكم عليه بالإعدام . وفى ١٥ يوليو ، أمر الملك بحل مجلس إدارة نادى الضباط ونقل أعضائه إلى مواقع بالأرياف بعيداً عن القاهرة . ولم يعد الضباط الأحرار يخشون على مناصبهم فقط ، وإنما على حياتهم أيضاً . فمضوا قدما فى الإعداد لانقلابهم . وفى الوقت نفسه ، رأى سرى استحالة البقاء فى منصبه ، فقدم استقالة حكومته فى ٢٠ يوليو ، وطلب الملك ، مرة أخرى ، إلى الهلالى تشكيل الوزارة . وفى ٢١ يوليو علم أحمد أبو الفتح أن وزير الحربية المنتظر هو حسين سرى عامر .. العدو اللدود للضباط الأحرار ، والذى نجا بأعجوبة من رصاصات ناصر قبل ذلك بستة شهور ، والذى يعلم تماماً أن القاتل المجهول هو أحد الضباط المناوئين له ، وعندما علم أبو الفتح بالاتجاه إلى تعيينه أسرع إلى إبلاغ ناصر عن طريق عكاشة . وفى ذات الوقت ، علم الضباط أنه تحدد يوم ٢٤ يوليو موعداً لتنفيذ حكم الإعدام فى حسن علام . ولذلك ، حدد ناصر الساعات الأولى لليلة ٢٣ يوليو ، موعداً للانقلاب ، وبالفعل أصابت الدهشة الهلالى عندما ذهب إلى الإسكندرية (حيث يقضى القصر والحكومة فصل الصيف) ليعرض على الملك أسماء الوزارة ، وفوجىء بتعيين الملك للقائمقام إسماعيل شرين وزيراً للحربية ... وشرين هو سليل أسرة محمد على ، وحصل على رتبته العسكرية بسبب مصاهرته للملك ، فهو زوج فوزية أخت فاروق . وقد رأى الضباط فى تعيين شرين استفزازاً لهم .. ونهاية للعرش . وبينما كانت الوزارة الجديدة تقسم اليمين الدستورى فى الإسكندرية ، كان الضباط الأحرار فى القاهرة قد أتموا استعدادهم ، ليستولوا على حكم البلاد خلال عشر ساعات . وقد كان .

هذا وتورد الدكتورة/ لطيفة محمد سالم[1] وصفاً مثيراً للساعات الأخيرة فى عهد النظام الملكى ، وللساعات الأولى فى عهد الثورة التى قادها تنظيم الضباط الأحرار فيما يلى :

---

(١) د . لطيفة محمد سالم – فاروق وسقوط الملكية فى مصر (١٩٣٦م – ١٩٥٢م) – مكتبة مدبولى – ١٩٨٩م ط ١ – ص ٩٨٧ وما بعدها .

بدأن الأحداث تتوالى سريعاً منذ مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢م فى وقت لم يقدر فيه فاروق خطورة الموقف فى الجيش ، حقيقة أن نشاط الضباط الأحرار أقلقه ومنشوراتهم أثارته وتحركاتهم سببت له الريبة ، ولكن مع ذلك كان على يقين من أن هذا جميعه فقاعات هوائية إذ ترسب فى أعماقه لآخر لحظة أن الجيش جيشه هو ، مطيع له ، منفذ لأوامره ، فالثقة المتزايدة فى النفس سيطرت عليه من ناحية ، والإحساس بقوته وجبروته أعطاه التأنى فى التصرفات من ناحية أخرى ، وخاصة بعد أن أدرك أن كبار رجال الجيش حوله يحمون عرشه ، هذا بالإضافة إلى أن حاشيته صاحبة التأثير عليه هونت له الأمر ، وبالتالى تحدى وقرر التصدى والإطاحة بتلك الشرذمة الصغيرة التى اعتقدت أنها بؤرة الضباط الأحرار ، وبالفعل كانت التحريات تجرى فى كل مكان لسحق هذه الحركة ، مما دفع بأصحابها للتعجيل بها . ونحن هنا لا نقيم حركة الضباط الأحرار ، فكفاءتهم وتضحياتهم وشجاعتهم وجسارتهم ووطنيتهم أمر مفروغ منه ، ولكن المتتبع لأحداث الحركة منذ ليلة ٢٣ يوليو يجد أن الظروف ساعدتهم ودفعت بهم إلى القيام بانقلابهم ، وأنه كان من الممكن لأى عارض أن يعترضهم ويفشل التخطيط ويذهبوا وراء الشمس ، فقبل الانقلاب بيوم ، ورغم الحيطة الشديدة التى التزم بها أصاحبه ، علم المسئولون - وكانوا بمصيف الإسكندرية - أن هناك أمراً يدبره الجيش أكدته التحركات داخله .

وكان فاروق فى تلك الليلة وبعد تشكيل وزارة الهلالى وتأديتها اليمين قد هدأ يقيناً منه بأن المشكلات التى اكتنفت الحكم ربما تنتهى ، ولكن سرعان ما تبددت الصورة بوصول نبأ الحركة إليه عن طريق محمد حسن ، فأمر بالاتصال بمحمد حيدر وحسين فريد ، وأبلغ الأخير أحمد كامل بأن الحركة بسيطة وسيتولى قمعها . أيضاً اتصل النجومى من القصر بحسين فريد ، وكان قبض عليه فى مكتبه بالرئاسة ، ومن ثم رد عليه عبد الناصر وأفهمه أن رئيس الأركان فى جولة تفتيشية . وتلقى محمد نجيب مكالمات تليفونية من وزير الداخلية ووزير التجارة والصناعة ورئيس الوزراء لوقف الحركة وتهدئة الحال والتنبيه بأن النتائج ستكون وخيمة وخاصة أن القوات البريطانية على مقربة ويخشى من تقدمها ، ولكن فى نفس تلك اللحظات كان الضباط قد استولوا على مبنى القيادة وتحركت المدرعات ودخلت القاهرة وقبض على اللواءات ودخل محمد نجيب مقر القيادة .

وحتى الساعات الأولى من صباح ٢٣ يوليو لم يكن فاروق يتوقع أن يكون الأمر أكثر من انتفاضة ، وأنها ليست إلا زوبعة فى فنجان وعلى وجه الخصوص بعد أن طمأنه كل من النجومى ومحمد حيدر ، والأخير اتصل بقائد المدفعية ورد عليه نقيب انتحل شخصيته وأكد له سلامة الموقف ، وبالتالى نقله الملك وأدخل فى روعه أن قوات المدفعية كلها رهن إشارة

القائد الأعلى ، وما لبث الأمر أن علم بما قام به الضباط ، وعندما سمع أن هناك بياناً سيذاع مع افتتاح الإذاعة أمر كريم ثابت منع إذاعته ، فبادر بالاتصال بمحطة إرسال أبو زعبل وطلب فك المحطة ، وأصدر مرتضى المراغى أمر بقطع التيار الكهربائى ، ولكن أحد الضباط أسرع للمحطة وهدد بالسلاح وأدارها . ورأى فاروق إمكانية إحباط الحركة عن طريق حسن عاكف الذى طار من الإسكندرية إلى ألماظة وهبط على مقربة من السرب الملكى ليطير به إلى أنشاص ومن هناك يتولى المقاومة . ومنى بالفشل لوجود كوردونات الجيش ولوصول قوات أطلقت نيرانها فأصابت الطائرات الملكية ببعض الطلقات ، وانتهت حركته بالعودة إلى قصر المنتزه

واتصل الهلالى بالملك وطلب منه تفويضاً للاتصال بالقوات الثائرة وبحث مطالبها ، فأعطاه إياه فطلب من قائد الحركة تأجيل إذاعة البيان ، ولكن الخطة نفذت ، وأذاعه السادات × باسم محمد نجيب الذى أعلن نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة – فى السابعة والنصف من صباح ٢٣ يوليو ، ولم يتعرض بكلمة صريحة لفاروق وأشار إلى الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وهزيمة فلسطين والخيانة ، وبين دور الجيش وهدفه ، وألقى المسئولية عليه ، وطالب بالتزام الهدوء والسكينة ، وطمأن الأجانب على أرواحهم ومصالحهم ، وأيقن فاروق خطورة الموقف ودقته وانهارت حالته وانقلب استهتاره إلى خوف سيطر عليه ، ودق تليفونه عدة مرات عند السفير الأمريكى ، وفى كل مرة يقول له بوضوح أن التدخل الأجنبى فقط هو الذى يمكن أن ينجيه هو وأسرته ، وإن لم يطلب بالتحديد تدخل القوات البريطانية إلا أن هذا الأمر كان واضحاً .

ويتصل كافرى بالقائم بالاعمال البريطانى ليقف على رد الفعل عليه ، فيبين له أن عليه تبليغ الملك بأن قائد القوات البريطانية بلغ تبليغا كاملاً بالأحداث ، وأن وجهة نظره – أى كريزول – الشخصية أن المسألة داخلية بحتة ، وأنه لا يعتقد أن الحكومة البريطانية ترغب فى إستخدام القوات البريطانية لهذا الغرض ، وسأل كريزول السفير الأمريكى عما يمكن أن تكون هذ الإجابة سببا فى مغادرة فاروق مصر ، فأجابه بأن الملك فى حالة ذعر رهيب ، لكنه سيعمل كل ما فى وسعه ليجعله هادئاً ، وثابتاً فطلب منه القائم بالأعمال البريطانى أن يعطيه مثل هذه النصيحة منه أيضا ، ويسجل للندن أنه لم تقدم طلبات من المنشقين بعد للملك ، وأنه إذا حافظ على هدوئه فربما يتخطى الأزمة ويخرج منها كحاكم دستورى ، وقد بين لكافرى – والذى عندما تنقطع الإتصالات التليفونية يبعث إليه برسوله – بأنه لا يزال

يمكنه الاعتماد على البحرية . وفى اللحظة التى كتب فيها كريزول هذا الخطاب لحكومته ، وصل رسول من طرف محمد نجيب - أرسل عن طريق عضو من السفارة الأمريكية - ومعه رسالة بأن الحركة فى مجموعها عمل داخلى وهدفها الرئيسى القضاء على الفساد وأن أى تدخل بريطانى سيقاوم .

وتبعث الخارجية البريطانية بردها الفورى الذى توافق فيه على رأى ممثلها بعدم التعرض للحركة لما فى ذلك من نتائج سيئة للغاية ، وأن على كافرى تهدئة فاروق ، وتتعشم أن يحرص على عدم إتخاذ أى عمل وهو فى حالة الرعب التى تتملكه ، وإن عليه الاستمرار فى الإتصال بحكومته التى يمكنها الإتفاق مع محمد نجيب على الشروط ، كما تستحسن أن يجرى ممثلها الإتصالى بقائد الحركة ، ويكتب وزير الدفاع البريطانى ليؤيد موقف كريزول لما فى ، الوضع من حساسية ، ويبين أنه من الأساس ضرورة تجنب أى عمل يثير القوات المسلحة المصرية ، وأنه لم تظهر أية مخاطر سواء علأ أرواح البريطانيين أو ممتلكاتهم فى مصر ، وأيضا على أمن القوات البريطانية فى منطقة القناة ، وعليه فيجب إلا تتخذ أية تحركات خارج منطقة القناة أو أى عمل يخطط لإغلاقها .

وكان البكباشى ملور قد ذهب فى الساعة الحادية عشرة صباحا إلى القائد المصرى لمنطقة القناة وأثناء الحديث معه إتصل به محمد نجيب ، وعندما علم بوجود الضابط البريطانى طلب التكلم معه ، وسأله عما ستقوم بعمله القوات البريطانية إذا طلب الملك منها التدخل ، فأجابه بأنه ضابط صغير ولا يعرف ، وهنا أخذ القائد المصرى سماعة التليفون لينقل إليه يقينه من أنه لم يكون هناك تدخل لإنقاذ الملك من الوحل الذى وضع نفسه فيه ، ويبعث كريزول بمساعد الملحق العسكرى مع بعض أعضاء السفارة .

وفى موضع آخر تذكر د . لطيفة أن الملك فاروق راح عندما شعر بنهايته يعد لاخر رحلة له ، ولم يكن باقيا إلا ساعات قليلة ، ويسجل أنه اصطحب معه صناديق وحقائب وطرود بلغت ١٥٠ فى عددها وقليل من الملابس ، ولم يتمكن من نقل حاجياته الشخصية حيث كانت فى القاهرة ، أيضا لم يصطحب معه شيئاً وقت أن ترك قصر المنتزه إلى قصر رأس التين . لكنه أمر بإحضار حقيبتين من القصر الأول وكان شغوفا بهما ، وقام بالمهمة ساعى بوللى . وبهذا الصدد أثيرت مشكلة عقب السفر مباشرة إذ أدلى بوللى بالقول أن فاروقا أخذ معه مجموعة من سبائك الذهب ، مما أثار الضباط وأغضبهم وجعلهم يضغطون على أن تحاصر المحروسة بطائرات حربية لإعادتها ثانية بمن عليها ، وتدخل كريريزول وأخبر على ماهر بأن هذا العمل سيكون حقيرا وغير مهذب ويسبب إنطباعا يؤسف له فى الخارج ، وأنه لابد أن ينزل فاروق وأسرته بسلام إلى البر ، ويمكن للحكومة بعد ذلك الاتصال الدبلوماسى

بحكومة إيطاليا لإعادة المحروسة وسبائك الذهب . ومن ثم نشر تكذيب بأن ما صرح به بوللى مضلل ، وأن الإجراءات التفتيشية للمحروسة كانت دقيقة حتى لقد أعيد منها إلى القصر ما أخذ من غير الحاجيات الخاصة لفاروق . والواقع أن الجزم فى مسألة هذه السبائك صعب ، فإحتمالات التنفيذ قائمة نظراً لأن مثل هذا السلوك ليس بجديد على فاروق ، فله السوابق فى ذلك ، بالإضافة إلى شهوته للثرورة خاصة أنها آخر فرصة ، كما أن احتمالات عدم وقوعها واردة نظراً للإرتباك الذى أحاط به وبحاشيته - التى كانت تتولى المهمة فيما سبق - مما يعوق التنفيذ .

وتناول فاروق غداءه على المائدة الملكية ، واستعد للرحيل وكان مرتديا لباس أمير البحر ، ويذكر أنه أرسل كلمة إلى زوجته السابقة عن طريق أحد الخدم تفيد بأن بناتها قررن السفر مع أبيهن . ولم تصل الرسالة إلا بعد أن غادرت المحروسة الإسكندرية ، وبالتالى فلم تأت لتوديعهن ، وقد خشى أن يبعث بهن لوداعها فربما لا يعدن ، والتقى فاروق بأختيه فوزية وفايزة وزوجيهما ووالدة ناريمان ، وفى الساعة الخامسة وصل للقصر رئيس الوزراء وكافرى ومعه سامبسون ، وتحدث فاروق مع السفير الأمريكى قائلاً : آمل ألا يكون ما قمت به من عمل فى هذا الصباح ما يسبب إزعاجا لك مع حكومتك ، فأجابه بأنها مهتمة للغاية بسلامته ، وقد كان حريصا على تلك الحماية حتى آخر لحظة ، وينقل كافرى لحكومته أن فاروق ركز فى حديثه معه أمام رئيس الوزراء على أنه لم يهرب وإنما أرغم على مغادرة البلاد ، ويصور حالته فيذكر أنه لم يكن سعيدا وبدا عليه القلق بشأن مستقبل مصر ، وقد طلب منه أن تقابل يخته إحدى قطع البحرية الامريكية فى مكان ما بالبحر المتوسط لحمايته ، ولكن السفير الامريكى جعله يفهم عدم إمكان تلبية مثل هذا الطلب ، ويبين على ماهر إنه تحجج بأن الاسطول فى أثينا والوقت ضيق . وشكر فاروق رئيس الوزراء وطلب منه إعداد الأمور لأبنه الذى أصبح ملكا لمصر ، فرد عليه بأنه سيقوم بعمل كل ما فى إمكانه ، ولم يعط وعداً قاطعاً ، وأخيراً يوجه فاروق حديثه إلى كافرى وعلى وماهر معا ويصرح بأن الذين اضطروه للخروج من مصر مجرمون تماما وأنهم لن يستمروا فى الحكم إلا أياما قليلة .

ورست المحروسة على رصيف رأس التين فى الساعة الخامسة ، وأعطت القيادة الأمر لجلال علوبة بالإقلاع بها وإعادتها ، ورافقه بعض " ح ع ، كما سمح لستة ضباط من الحرس الملكى وبوليس القصر بالسفر عليها والعودة معها ، لى السادات مهمة الإشراف على خروجها إلى عرض البحر . وكان فاروق قد تعهد بإعادتها فور نزوله للبر ، ولكن وكما يذكر كريزول لحكومته فإن الشك الذى ساور الضباط بخصوص عدم تنفيذ تعهده والإحتفاظ بها أدى إلى إصدار التعليمات للسفير المصرى فى روما أن يعيدها حتى لو كان هناك إدعاء بأنها بحاجة

إلى عمرة عاجلة فى حوض إصلاح السفن بإيطاليا . وفى الساعة الخامسة والنصف غادرت ناريمان وأحمد فؤاد وفريال وفوزية وفادية القصر حيثما استقلوا زورقا بخاريا إلى المحروسة ، وحيا فاروق موظفيه وضباطه ، وكانت الساعة السادسة إلا عشر دقائق ، ولما لم يكن محمد نجيب قد حضر بعد ، انتفض واقفا وقال إنه انتظر طويلا ، ووضع قدمه على آخر درجة من سلم القصر وانزل العلم الملكى من سارية القصر ، وعلى أثر نزوله تفقد حرس الشرف وعزفت الموسيقى السلام الوطنى . وتقدم الضابط الذى كان يحمل العلم ، فطواه وسلمه له كما تقضى التقاليد العسكرية ، وحلقت أربع طائرات نفاثة مشاركة فى التحية ، واطلقت المدفعية ٢١ طلقة وأدى حرس الشرف التحية العسكرية ، ويسجل كريزول الموقف للندن بناء على وصف السفير الأمريكى ، فيذكر أن ضباط الحرس والخدم انهاروا وانهمكوا فى البكاء ، ولكن فاروق كان رابط الجأش . وصافح المودعين ، وتوجه لرئيس الوزراء قائلاً : «ادعو لكم بالتوفيق وأتمنى كل الخير للبلاد ، ويجب على الإنسان أن يخضع لحكم الظروف والأقدار ، وأسأل الله للجيش وللبلاد كل نجاح» وواضح المداراة فى هذا القول الذى لا ينم عما فى قلبه من حقد وكراهية لرجال الجيش القائمين على الحركة وهو ما سبق ان عبر عنه ، ولم يستطع على ماهر فى تلك اللحظات الحرجة إلا أن يمسح دمعة طفرت من عينيه تأثرا ، فمن الضرورى أن شريط الذكريات دارت عجلته بسرعة أمامه من إستقباله فى نفس المكان عند عودته من بريطانيا للمناداة به ملكا عقب وفاة أبيه إلى لحظة الوداع . وركب فاروق الزورق البخارى وفى معيته بعض رجال القصر متجها إلى المحروسة بينما كانت المدمرة فاروق تواصل إطلاق مدافعها تحية له[١] .

* وهكذا ... بدأ عهد جديد ، على أنقاض عهد سابق .. وبدأ صباح ثورة يوليو يشرق ، ولكن إشراقه اختلف عند الكثيرين ... وكأن الإختلاف هو سمة هذه الحقبة من تاريخ مصر المعاصر .

---

(١) د . لطيفة سالم – مصدر سابق – ص ١٠١٦



فى الأشهر القليلة الأولى للثورة لم يكن أحد قد عرف بعد أسماء أعضاء مجلس قيادتها ولم يكن أحد قد عرف دوره كقائد للثورة ورئيساً لمجلسها ، وكان يتردد على مبنى مجلس الوزراء فى شارع قصر العينى ، فإذا ما نزل من سيارته سكت كل ضجيج وتنبه الضباط الحاضرون ، ولفتت هذه الظاهرة نظر المصور فالتقط له يوماً هذه الصورة وفى فكره أنه لابد أن يكون مهماً ، وبعد قليل عرفت الحقيقة وأعلن الدور الحقيقى للبكباشى جمال عبد الناصر .

... ملحق الفصل الثانى
معنى الثورة فى مدركات عبد الناصر

معنى الثورة :

الثورة تغيير أساسى لنظام المجتمع تبدأ بها قلة تعبر عن الكثرة . ويتسع نطاقها تعبيرا ومشاركة بحيث يتيسر عن هذا الطريق وحده إيجاد التغيير المطلوب .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦م)

* الثورة والإنقلاب :

فرق كبير بين الثورة وبين الإنقلاب .. أما الثورة فهى الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه إلى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلة ، وإن كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل إلى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاستثناء إلى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة كل يوم وكل ساعة وكل سنة ..

الإنقلاب جماعة من الناس تتآمر بالمؤامرة أو المغامرة ويصلو إلى السلطة والسلطة هدفهم .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦م)

لقد كان يمكن أن يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م إلى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول إلى ديكتاتورية عسكرية تضيف إلى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعى الثورى وقوته .. قررت أن يكون الحديث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنية إلى مجراها الثورى السليم .

الثورة ليست فرد .. إذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد إذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم ..

الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب .

إن مصدر القوة العظيمة للثورة هنا أن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦م)

*الثورة والسلطة :

كل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى ، كيف تستطيع أى ثورة استولت على السلطة أن تحافظ على هذه السلطة ؟

لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة أبدا .. ليه – فى رأيى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه أسئلة كثيرة مثلا :

ما هو الخلاف الإجتماعى ؟

ما هو التناقض الطبقى ؟

ما هو التمزق الذى يمكن أن ينتج عن تدخل الدول الإستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هذه الخلافات الإجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧م)

بعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة أن تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. إن أى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها أن تحافظ على السلطة إلا إذا طبقت شعاراتها تطبيق واضح .

الرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى أيامها الأولى . لأن الرجعية لها جذور والرجعية لها أسلحة والرجعية عندها أساليب ..

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧م)

إن هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

١ – إن الثورة فى منطقها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد الدوافع هى إرتفاع شعب من الشعوب فوق الأثقال والأغلال التى تقيده ، وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما إلى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد

٢ – إن الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة أفضل بالسبة للجماهير العاملة وليست الشعارات هى الهدف وإنما الهدف هو تطوير المستويات الإقتصادية والثقافية

للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط .

(مجلس الأمة فى ١٩٦٤/٥/١١)

إن المحافظة على هذه السلطة هو تجريد أعدائها - أعدائها الاجتماعيين من أسلحتهم الأساسية مع حسبان أن العدو والرجعية من باب أولى بعد الثورة دائماً أقوى من الثورة خصوصا إذا كانت أهداف الثورة غامضة .

(المصدر السابق)

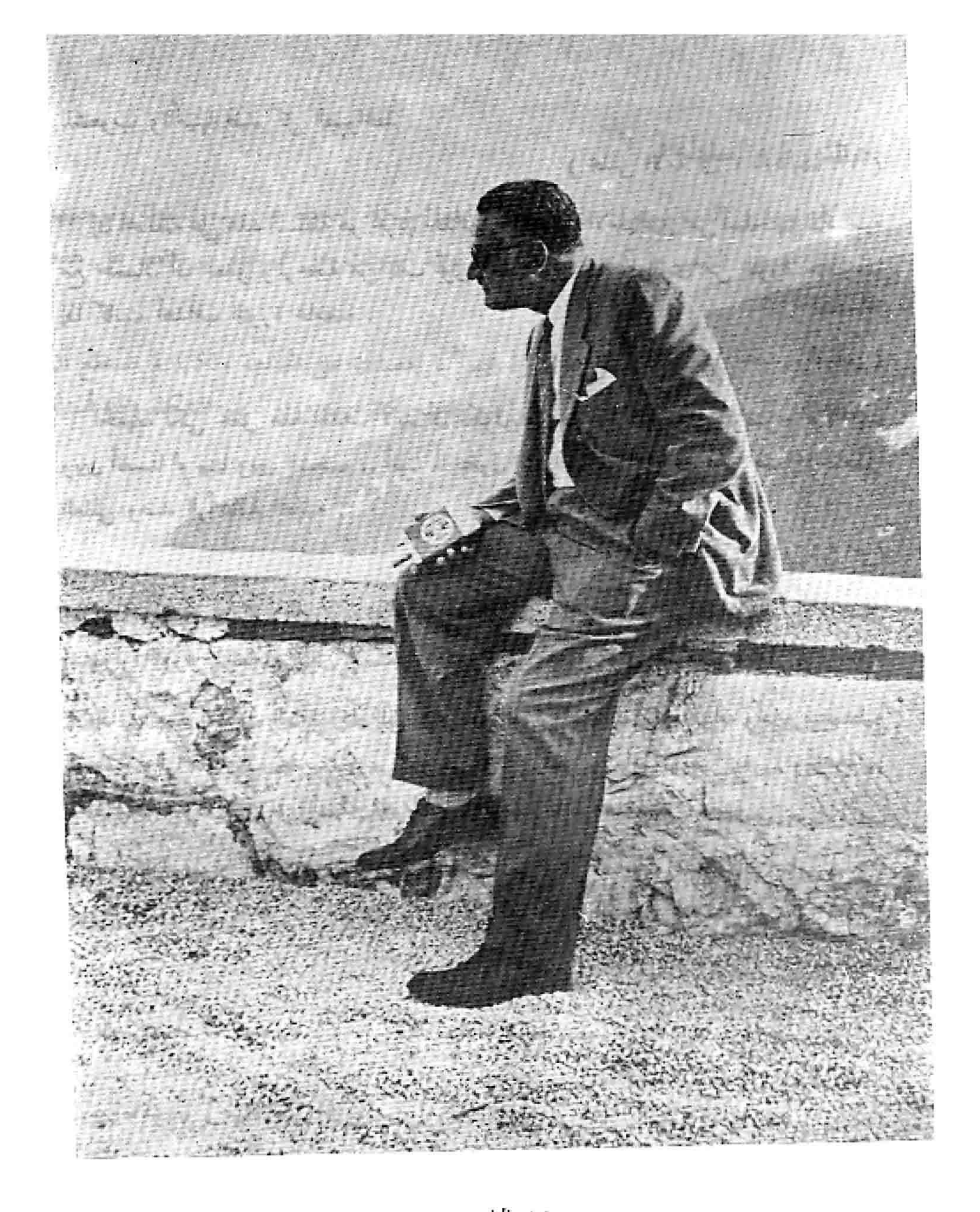
الحقيقة لكى تحقق هذا الهدف لابد أن نكون على درجة كبيرة من الوضوح أولا بيننا وبين أنفسنا ثم بيننا وبين الشعب .. أنت لما بتقول إشتراكية معناها إنك تبقى ضد الإستعمار العالمى وضد الرأسمالية العالمية .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧م)

إذن توضيح أهداف الثورة .. وتجريد أعدائها من كل سلاح هو العامل الأول لضمان إستمرار الثورة . العامل الثانى لإستمرار الثورة هو تجميع قوى الشعب العامل .

إذا لم يجمع الشعب العامل كله إللى يشعر أن الثورة قامت لتحقيق أهدافه وأمانه ستستطيع الرجعية والرأسمالية أن تجذب جزء كبير من هذا الشعب العامل وتغرر به .. وتخدعه .. وخصوصا جزء كبير من الطبقة المتوسطة بأفهامهم بأن مصالحهم مهددة .

معركة استمرار الثووة لازم تقوم على أساس علمى وعلى أساس واضح وعلى أساس سليم .
(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧م)



عبد الناصر

الفصل الثالث

الضباط يحكمون

عبد الناصر واستقرار الحكم

١٩٥٢ - ١٩٥٤

السياسات والأفكار





الضبـاط يحكمـون
عبد الناصر واستقرار الحكم
(١٩٥٢م - ١٩٥٤م)
السيـاســات والأفكــار

* كان عبد الناصر ، كما قال المؤرخون فيما بعد ، هو الدينامو ، والمحرك لإحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وكان اللواء (نجيب) هو الواجهة ، والمظهر العام الهادىء الذى تم تقديمه للشعب ، وللسفارات الأجنبية ، صباح يوم ٢٣ يوليو ، كان مظهراً فقط ، أو هكذا أريد له أن يكون ، ولكنه حاول الخروج عن النص المعد له سلفا ، فكانت نهايته بعد أزمة مارس ١٩٥٤م ، وطيلة الفترة من يوليو ١٩٥٢م حتى مارس ١٩٥٤م ، كان عبد الناصر وتنظيمه السرى (الضباط الأحرار) يحاولون خلق الاستقرار السياسى - كما يفهمونه - وكانت المصاعب عديدة ، وفى هذا الجزء من بحثنا ، نحاول تلمس بعضها ، وموقف عبد الناصر وزملائه منها ، خاصة وأن مصر كانت على شفا إنفجار شعبى جارف عشية يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م ، واستمرت الظروف الموضوعية المساعدة لهذا الانفجار لأكثر من عامين متواصلين إلى أن تمكنت قبضة عبد الناصر من الحكم ، ومن الإطاحة بكافة مناوئيه .

وسوف نمحور الحديث فى هذا الجزء من الدراسة فى المحورين التاليين :

أولاً : وثائق إنفجار يوليو (قراءة فى المقدمات) خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

ثانياً : سنوات القلق : التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : وثائق إنفجار يوليو قراءة فى المقدمات :

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هى النتيجة النهائية المتوقعة لمقدمات سياسية واقتصادية طويلة (سبق تفصيل بعضها فى الفصل السابق) وفى هذه العجالة ، نقدم بعضا آخر من تلك المقدمات الطويلة التى مهدت الطريق أمام ضباط يوليو ، وبداية لنتأمل الوثائق الدولية ماذا تقول عن تلك الفترة من تاريخ مصر المعاصر .

كتب السير «رالف ستيفنسون» يقول فى تقرير مطول وصفه محمد حسنين هيكل فى

كتابه الهام «حرب الثلاثين سنة : الجزء الأول ملفات السويس ص ١٣٣» بأنه كان أخطر وثيقة تشهد على العصر كله ، لقد كتب ستيفنسون يقول :

١- إن التدهور التدريجي للأمن العام والنظام ، وتطور الموقف السياسي المصرى منذ أن تولت حكومة الوفد السلطة فى يناير/ كانون الثانى ١٩٥٠م ، وعلى وجه الخصوص السرعة المتزايدة لهذا الأتجاه ، من الصيف الماضى ، وصولا إلى أمال الشعب فى القاهرة ، وانهيار سياسة الوفد فى ٢٦ يناير/ كانون الثانى الماضى ، قد جعل الكثير من المراقبين ممن لهم معرفة جمة بالتاريخ المصرى يشعرون بالتشاؤم البالغ بالنسبة للمستقبل . والتمعن فى التقلبات القصيرة المدى فى الأحوال هنا ، فلقد أخبرنى هؤلاء المراقبون إن كل هذه الأشياء إنما هى أعراض للإنهيار التدريجى والسريع لمصر إلى حالة الإفلاس المالى والفوضى الإدارية ، والحرب الأهلية المحتملة . وسيكون هذا متفقا كلية من واقع التاريخ المصرى على مدى الثلاثة آلاف سنة الأخيرة .

٢- وإننى لعلى إقتناع بأن هناك الكثير من الحقيقة فى هذه النبوءة المقبضة ، ولذا فإن هذه لحظة مناسبة للنظر فيما إذا كان ينبغى لنا ، فى حقيقة الأمر ، ألا نتناول مشكلة مصر من وجهة نظر جديدة تماما ، ولقد انبثقت سياستنا إزاء مصر حتى الآن أساسا من تخطيطنا الدفاعى من أجل شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط ، والذى قام فى حد ذاته على افتراض أن مصر ستظل دولة مستقرة استقرارا معتدلاً ، وصديقة بشكل معقول . وعلى هذا الأساس فقد وجهت سياستنا نحو بلوغ إتفاق دفاعى تكون مصر به محور نظامنا الدفاعى فى هذا الجزء من العالم ، مع إعطاء مصر فى الوقت نفسه كل ما بإستطاعتنا أن نقدمه من دعم . على أن الأحداث الأخيرة قد جعلتنى أتشكك فيما إذا كان أى من الإفتراضين - الإستقرار المعتدل أو الصداقة المعقولة - قائماً اليوم أو يحتمل له أن يسرى فى المستقبل .

٣- وليس من الممكن فى هذه الأيام العثور على علاج ناجح لمثل هذه الأمور . فعلى الرغم من أن المساعدة الاقتصادية وحدها يمكن أن تفعل شيئا ما فى تقليل التوتر ، إلا أنه لا يمكن الإعتماد عليها وحدها لعلاج جذور المتاعب ، وهى جذور اجتماعية وسيكولوجية ، والتدخل العسكرى وإعادة إحتلال مصر . كما يقام من خلالهما نظام إدارى أقوى مما يستطيع المصريون أنفسهم إقامته - نظام كرومرى آخر فى حقيقة الأمر - أمر مستبعد لعدة أسباب ، سياسية وعملية على خد سواء . ولذا فإننا مضطرون فى الوقت الذى نمارس فيه نفوذنا الدبلوماسى والاقتصادى ، ممارسة كاملة ، إلى أن نقبع فى الدور غير المريح للغاية ، وهو دور المراقبين بينما تعمل قوى الإنهيار والتمزق والفوضى على إعادة مصر تدريجيا إلى التبعية والدور

غير الخلاق الذى ظلت تلعبه فى هذه المنطقة منذ بداية العصر الأسلامى .

٤- كما أشعر إنه من الضرورى التحذير من أنه لم يعد لدينا ، فى رأيى ، مبرر للأعتماد فى أى ظروف منظورة على موافقة مصرية لإعادة إحتلال بريطانيا للدلتا واستخدامها كقاعدة فى زمن الحرب ، بالرغم من أنه قد يمكن ترتيب تسهيلات فنية معينة ، مثل استخدام وسائل الإتصالات . والاحظ من الكتاب ، رقم ٦٤٤ (ام . اى) سى . أو . اس . الموجه من رؤساء الأركان السى (ام . اى) لى . دى . سى . سى . أنه يجرى الآن وضع خطط لتغطية كل من حالتى التعاون غير العسكرى المصرى (واحتماله - كما أوضحت أعلاه - بعيدا جدا) والعداء المصرى لنا فى زمن الحرب . ومن رأيى أن الحالة الراهنة للرأى العام المصرى هى أن علينا أن نأخذ فى حسباننا ، فى الحالة الأخيرة ، حدوث مقاومة عنيفة لأى محاولة للحصول بالقوة على التسهيلات التى نحتاجها فى الدلتا ، وباستمرار الإلتزام من ناحية القوات ، «بإبقاء مصر عند أدنى حد» بدرجة أتصور أنها قد لا تكون مقبولة فى حرب كبرى ، ولا سيما عند بدايتها . ومصر الآن تموج بالقلاقل وتغص بالحملاء وبمنظمات ذات طابع وطنى متطرف أو ثورى (وهى فى كلتا الحالتين منظمات عادية لبريطانيا) . بحيث أنه حتى ولو نجحنا ، وباستخدام قوة السلاح ، وفى مواجهة مقاومة القوات النظامية المصرية ، فى أن نعيد ارساء وجودنا فى الدلتا ، فإننا سنواجه بطابور خامس نشيط للغاية ، ومثير للمتاعب يتكون من المتعاطفين مع العدو ولذا فلو كان تخطيطنا الإستراتيجى يقوم على أساس ثابت وواقعى فينبغى أن يكون الإفتراض أننا سنستطيع ، فور نشوب الحرب ، أن نتحرك من مكان آخر ، وأن نعيد تنشيط قاعدتنا فى منطقة قناة السويس ، وليس أننا سنستطيع التحرك إلى الدلتا ذاتها ، وأن نستخدمها استخداماًا كاملاً كقاعدة ، وفى كل الحالات ، بدون قبول التزام باهظ للغاية ودائم بأن نفعل ذلك باستخدام القوة .

٥- وإذا انتهينا ، بكل تلك الأسباب ، إلى استنتاج أنه لا يمكن لإستراتيجيتنا أن تقوم بعد الآن على أساس مصر ، فسيكون من المهم بالدرجة الأولى أن نحجب مصر عن نفوذ قوى يمكن أن تكون معادية لنا ، وسيكون هذا هو الهدف الغالب فيما يتعلق بعلاقتنا بمصر ، وأرى أنه هدف أكثر سهولة إلى متناولنا من أن نحاول بناء مصر ثانية على الوضع الذى كانت عليه من قبل . فى الوقت الذى يمنع عنا فيه السلاح الرئيسى الذى يمكننا من ذلك ، ويبدو أنه لن يمكن للمشكلة السياسية المصرية أن تحل فى آخر المطاف إلا بطريقة من اثنتين : أما بحكم البلاد بطريقة مباشرة ، أو بطريقة غير مباشرة بواسطة قوة خارجية ، أو بترك مصر تسير فى طريقها الخاص . وليس من الممكن التوصل إلى حل وسط بين هاتين الطريقتين ، كما أوضحت ذلك بشكل متزايد التطورات منذ عام ١٩٣٦م . على أنه ، فى ظل البديل

الثانى ، فإن الهدف المحدود بحجب مصر عن النفوذ المعادى قد يكون عملياً أكثر من ذلك المتعلق بتأمين الظروف الضرورية لنظام دفاعى يعتمد على هذا البلد .

٦- وليس لى أن أتقدم برأى عن تفاصيل التخطيط الإستراتيجى . على أن خط التفكير الذى فصلناه فيما سبق يقودنا إلى استنتاجين :

(أ) إن النظام الدفاعى للشرق الأوسط ينبغى أن يتركز فى منطقة الشمال الشرق لمصر حيث تلعب إسرائيل ودول الشام أدوارا هامة ، ويكون للأولى وضع رئيسى ، وهذا قد يؤدى إلى إقتراح بنقل بعض قواتنا البرية المقاتلة تدريجيا إلى موقع ، يمكن لها منه أن تتعاون مع الجيش الإسرائيلى ، وأن تطور «باباً خلفياً» لخطوط الإتصال (مثل العقبة) .

(ب)إنه ينبغى خلق ضمان آخر للسيطرة الغربية على قناة السويس ، سواء بتدويل المنطقة أو خلاف ذلك ، لتحل محل مفهوم القرن التاسع عشر الذى كان قابلا للتنفيذ ، إعتمادا فقط على وضعنا المهيمن فى مصر ذاتها .

٧- ولذا فإننى أتقدم بالقول بأن الوقت قد حان لكى نضاعف من محاولاتنا الراهنة للتوصل إلى تسوية دفاعية مرضية مع مصر ، خلال خطة محددة مرحلية (على أساس القوى الأربع) لكى نقيم الدفاع عن الشرق الأوسط على أسس أكثر ثباتا عن تلك التى يوفرها المسرح السياسى المصرى ، وهو ما يمكن لنا أن نرجع إليه وقت الحاجة ، وفيما يتعلق بمصر فيجب أن يكون الغرض هو حجبها عن أى نفوذ معاد ، والقضاء على أى خطر لإقامة الكتلة السوفيتية لوضع مهيمن هنا ، وفى الوقت نفسه إقامة نظام جديد لمنطقة قناة السويس . إن أى دليل على إننا مستعدون للرجوع إلى مثل تلك الخطة البديلة ، وإننا مستعدون بالفعل لعزل مصر كعدو محتمل يجب أن يكون له أيضا ميزة عرضية باستثارة المصريين أنفسهم إلى قبول إتجاه أكثر واقعية إزاءنا ، وهم لا يزالون مقتنعين بأنه لا يمكن لنا الإستغناء عنهم - وهى حقيقة تجعلهم متصلبين بصورة عمياء - وأى تصرف واضح يظهر عكس ذلك ، قد يجعلهم يبدون مزيدا من الحرص على تسوية مشاكلنا المشتركة ، والتى يبدو لهم فى الوقت الراهن أننا نتحمل كل المسئولية عنها ، ومن ثم تجلب علينا العار كله .

وذلك ما تقوله إحدى هذه الوثائق الدولية الهامة (وما أكثرها) . [انظر الوثائق المرفقة فى نهاية الكتاب] .

وإذا ما تأملنا مذكرات رجال الثورة أنفسهم عن تلك الفترة ، لشاهدنا نماذج متشابهة ، ففى مذكرات (صلاح نصر - مصدر سابق ص ٨٥) نراه يرصد الحقائق التالية :

عبد الناصر بعد اعلان الجمهورية ١٩٥٤

بعد إقالة حكومة الوفد ، كلف الملك على ماهر بتأليف الوزارة .. وكان على ماهر يميل إلى إشراك الآحزاب السياسية المعارضة معه فى الوزارة ، ظنا منه بأن تجمع الأحزاب حوله سيفيد مصر .. ولكنه لم ينجح ، فقام بتأليف وزارة مستقلة لم يطل عمرها أكثر من خمسة أسابيع ، إذ قدم على ماهر إستقالته فى اليوم الأخير من شهر فبراير عام ١٩٥٢م .

وكلف الملك أحمد نجيب الهلالى بتأليف وزارة مستقلة .

وكان نجيب الهلالى من أقطاب الوفد ، ولكنه إختلف مع النحاس ورفض الإشتراك معه فى وزارته الاخيرة .. فما أن تولى رئاسة الوزارة ، حتى أخذ يندد بسياسة الوفد ، ويطالب بحل مجلس النواب الوفدى ، وبإجراء إنتخابات جديدة .

واعتمد الهلالى فى حكمه على علاقة التفاهم مع القصر ، بينما وقف موقف العداء من الوفد ، وموقف التباعد من المعارضة ..

ومع ذلك لم تعمر هذه الوزارة كثيرا ، إذ قدم الهلالى إستقالته فى ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢م ، وكلف الملك حسين سرى بتأليف الوزارة .

والواقع أن خروج الهلالى من الوزارة كان نتيجة مؤامرة قام بتدبيرها أحمد عبود وكريم ثابت وأنطون بوللى للتخلص من وزارة الهلالى ... وقيل أنهم اجتمعوا فى باريس لتدبير المؤامرة ، وإن عبود دفع مليونا من الفرنكات السويسرية ثمنا لرأس الوزارة .

وقام حسين سرى بتأليف الوزارة ، يدخل فيها كريم ثابت وزيراً للدولة ..

لقد أصبح الحكم فى مصر مهلهلاً ، فالحكومات تتعاقب دون أن تستطيع أن تعيد الإستقرار للبلاد .. والناس يتحدثون عن الفوضى والفساد الذى يسود البلاد ، ويتوقعون أن أحداثاً داخلية جسيمة لابد أن تفرض نفسها .

وأصبح الحديث عن الضباط الأحرار يدور داخل الجيش فى وسط الهيئات وجاء حادث نادى الضباط ، ليظهر للناس الصراع الخفى بين الملك والضباط الأحرار .

حالة من البلبلة الفكرية والتشوش تسود الجيش والشعب .. وكان حسين سرى يعلم بنشاط تنظيم الضباط الأحرار ... دون أن يعلم الأسماء .

وكانت إنتخابات نادى الضباط هى المظهر الواضح لصراع الجيش ، فاقترح حسين سرى على الملك أن يعين اللواء محمد نجيب رئيس النادى المنتخب وزيرا للحربية ، ظنا منه أن فى ذلك علاجا مؤقتاً للتذمر الذى كان يسود الجيش .. وفاته أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن

ينتمي إليه نجيب فى ذلك الوقت .

ومع ذلك رفض الملك إقتراح رئيس حكومته واعتبر هذا الإقتراح بمثابة ضعف من رئيس وزرائه ، سوف يغرى هذه الشرذمة من الضباط للمغالاة فى مطالبهم .

وقدم حسين سرى إستقالته فقبلها الملك ممتعضًا .. وقام بتكليف الهلالى بتأليف وزارة جديدة ، وحاول الهلالى تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية ، فما كان من الملك إلا أن قام بتعيين فؤاد شيرين زوج اخته الأميرة فوزية وزيرا للحربية .

وكانت وزارة الهلالى آخر وزارة فى عهد فاروق . وأصبح موقف تنظيم الضباط الأحرار حرجا ، فأى تأخير فى تحرك التنظيم قد يمكن الملك من القضاء عليه .. ولذا كان لابد لنا أن نقوم بعمل شيء ما .. فحدث ما حدث ليلة ٢٣ يوليو على نحو ما سأبينه.[(١)]

لقد تعاقبت أربع وزارات فى مدى ستة أشهر .. صورة لحكم مهلهل ، تسوده الفوضى ، ويسوده الصراع الدامي بين الملك والجيش .. ولذا كان لابد أن ينشب التصادم وقد حدث .

ويقول صلاح نصر فى مذكراته أيضا :

أنه فى أواخر يونية عام ١٩٥٢م صدرت الأوامر إلى الكتيبة الثالثة عشر مشاة (كتيبتى) بالتحرك من العريش إلى معسكر العباسية بالقاهرة بعد إنهاء مدة خدمتها فى سيناء .

وكان من المفروض وفقا لتنقلات وحدات الجيش ، أن تبقى الكتيبة فى هذا المعسكر شهرين ريثما تستعد للتحرك إلى السودان ، لتغير كتيبة أخرى انتهت مدة خدمتها بالسودان .

وكان العرف أن تقوم الكتيبة المنقولة إلى السودان بتسليم جميع معداتها عدا البنادق والرشاشات الخفيفة وذخيرة الخط الأول .. وحينما تصل الكتيبة إلى الخرطوم تتسلم معدات الكتيبة التى ستغيرها .. وتعود الكتيبة الأخرى من السودان ببنادقها ورشاشاتها فقط .

ولذلك صدرت إلينا التعليمات من رئاسة الجيش بتسليم حملة الكتيبة وعرباتها المجنزرة ومدافعها واحتياطى ذخيرتها .

وكان تنظيم الضباط الأحرار قد قرر من قبل تأجيل قيام الثورة عامين على الأقل من موعد قيامها .. وفى أثناء حريق القاهرة كانت هناك نية لقيام الثورة فى شهر مارس عام ١٩٥٢م ،

---

(١) تكتسب مذكرات صلاح نصر أهميتها من القيمة السياسية لصاحبها ، والذى مثل رمزاً للرعب السياسى طيلة عهد عبد الناصر ولخص فى شخصه وسلوكه كل سلبيات تلك المرحلة من تاريخ مصر ، من هنا كانت لرؤيته أهمية خاصة لمن يريد التأريخ للأحداث (المؤلف) .

ولكن هذه الفكرة استبعدت ، إذ لم تكن قد تأهبنا بعد للعمل .. وكان القصر قد بدأ يحس بنشاط الضباط الأحرار ، وتحديهم للملك فى إنتخابات نادى الضباط .

ولذا أسرع الملك وأصدر أوامره بسحب الجيش إلى ثكناته ، وبدأ يستخدم حرسه الخاص «الحرش الحديدى» فى تنفيذ عمليات الاغتيال .. وكان المرحوم اليوزباشى عبد القادر طه أحد ضحايا الملك فى عمليات الإغتيال .

وكانت هناك صلة قبل قيام الثورة بين تنظيم الضباط الأحرار وتنظيم «حدتو» الشيوعى أو ما يطلق عليه الحركة الديمقراطية للتجمع الوطنى ، وذلك عن طريق جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وأحمد حمروش .

وكان من المعروف أن عبد الناصر كان منضما إلى «حدتو» تحت اسم حركى يدعى «موريس» .

وتطورت الأحداث بعد إستقالة وزارة الهلالى الأولى فى ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢م ، مما عجل بموعد الثورة .. إذ بدأ الصراع بين تنظيم الضباط الأحرار والقصر يظهر على السطح .. وأثارت إنتخابات النادى غضب الملك ، وأخذت السلطة تسعى جادة لكشف التنظيم ، وأصبحت بعض الأسماء من ضباط الجيش معرضة للإعتقال والفصل ، وكان من بينها بعض الضباط الأحرار ، ومعنى ذلك أن تنظيم الضباط الأحرار أصبح معرضا للضرب من الملك .

*هذا ولقد جاءت المرحلة الفاصلة فى مرحلة ما قبل الثورة فى أول يوليو ١٩٥٢م حين قام جمال بالأجازة الثانية له بعد حرب فلسطين وتوجه إلى الأسكندرية ، وكان الجهاز كله يعمل فى صمت وسكون فى القاهرة ..

وفى يوم ١٢ يوليو عاد إلى القاهرة بعد أن اطمأن على قواته فى الأسكندرية .

وفى ١٥ يوليو بدأت الحوادث والأخبار ترد إلى جمال بعزل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش فى داخل الجيش ، ثم الإتجاه بعد ذلك إلى الشعب ، وبإتجاه الطرف الآخر إلى كبت الشعور القومى والتنكيل به .

وكانت هذه هى إشارة الخطر .

يقول جمال عبد الناصر فى مذكراته – مصدر سابق مجلة المصور ، نوفمبر ١٩٥٢م – : «فإجتمعنا وقررنا أن نتخذ إجراءاً مضاداً وفى أقرب وقت ، فكان أمامنا خطتان ، الخطة الأولى أن يقوم الجهاز الخاص بالعمل بإغتيال جميع الخونة المصريون ، والخطة الثانية كانت



عبد الناصر قبل أن يخلع الزى العسكرى ١٩٥٣

أن يقوم جميع الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه .

وقررنا فى ١٨ يونيو تنفيذ الخطة الأولى ، بل لقد وضعت هذه الخطة فعلا موضع التنفيذ ، وصدرت الأوامر بتنفيذها فى القاهرة والأسكندرية يوم ٢٠ يوليو ، ولكن ...

اجتمعنا يوم ١٩ يوليو ، ووجدنا أننا بذلك قد نقضى على حركة الضباط جميعا ، إذ أن النظام سيبقى مهما قتل من أنصاره وستكون النتيجة حملة من الإرهاب فى الجيش وبين أفراد الشعب ، وسيكون الضرر الذى يحل بالبلاد كبيرا .

ولذلك قررنا إلغاء الخطوة الأولى ، وتنفيذ الخطة الثانية وكلف عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وأنا بوضع الخطة التنفيذية .

وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بعدم ترك منازلهم من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السادسة يوميا ، واستدعينا من فى خارج القاهرة بالأجازة للعودة إليها للإستعداد .

وفى يوم ٢٢ يوليو اجتمعت اللجنة التأسيسية لأخذ الأوامر النهائية ، وتم إصدار الأوامر فى الساعة الخامسة .. وخرج أفراد اللجنة التأسيسية للتنفيذ .

هذا ويروى عبد الحكيم عامر قصة الساعات الفاصلة فى تاريخ الثورة من خلال حواراته العديدة (انظر نص كلماته فى أنور الجندى .. مصدر سابق ص ٥٧) .

«نحن فى أوائل يوليو ١٩٥٢م والوزارة وزارة ، السيد حسين سرى ، وموجات السخط تجتاح النفوس ، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة ، وجاءنى جمال عبد الناصر ، وحسبتها زيارة عادية ، لكن كان لها ما بعدها فلا شيء وراء جمال عبد الناصر إلا الحسم .

سألنى : هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادى الضباط ؟

وأجبت : نعم ..

وصمت جمال قليلا ، إلا أنه كان بادى التفكير ، كمن قد اتخذ قرارا بينه وبين نفسه .

ثم عاد وسألنى : إيه رأيك .. أن حل مجلس إدارة نادى الضباط معناه إن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم .

واتبع كلامه بقوله : وحسين سرى عامر إذا أصر الملك على تعيينه وزيراً للحربية فمعنى ذلك أن أى ضابط «فيه رمق حيتبهدل» ..

وتكلمت وأنا أعتقد أن كلامى سيطابق القرار الذى اتخذه بينه وبين نفسه ..

وقلت : مفيش حل إلا أن الحركة تتعمل ..

فقال : أنا فعلا وصلت إلى هذا القرار .

وتصافحنا .. وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار ، ولا خارجه كما كنا منذ دقائق ، ووجدنا أنفسنا فى المعمعة نجد ونكد ونسهر وننام (إن نمنا). بعين واحدة ، والأخرى تراقب الإحتمالات والمفاجآت التى تحملها لنا الليالى .. وإتفقنا على إتخاذ إجراءات واسعة للإتصال بالضباط الموجودين بخارج القاهرة والموجودين بها ، وكثير منهم كانوا بالأجازات ، وأخذ البكباشى جمال على عاتقه أن يتصل بالضباط الموجودين بالقاهرة أساسا .

كان لابد أن أتصرف فى حكاية الأجازة التى انتهت ، حتى أستطيع البقاء فى القاهرة ، فذهبت إلى المستشفى العسكرى وقلت «عيان» فقالوا «لأ مش عيان» ولازم ترجع وحدتك .. ياللا على رفح .. « ولكننى قلت للأطباء» هو العيان يتقال له (لأ) كده ، مش تكشفوا عليه الأول «فسابونى ومسألوش فيا» وغبت عن المستشفى أسبوعاً كاملاً بلا أجازة ، قمت فيه بمهمتى من حيث الإعداد والتنظيم والإتصال .

... ودخلنا فى اللحظات الحرجة ، ووضعت أكثر من خطة على أساس تقديرين اثنين لا ثالث لهما ، إما أن تقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة ، وإما أن يقسم الضباط أنفسهم إلى (٣٠ تيم) بأسلحة كاملة من الجيش ، وفى ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملائهم وتنظف البلد تنظيفا شاملا .

ثم اقتربت الساعة الحاسمة ، وكنا قد انتهينا من احصاء قوتنا ، والتعرف على امكانياتنا ، فرأينا أن الأساس الأول : وهو القيام بحركة كاملة هو الأساس الأمثل ، واتخذنا هذا القرار ، ذلك لأن التدبير الثانى فيه ضرر ، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين فإن أذنابهم لا تنتهى .. وهنا رأينا أيضا أن (تقدير الموقف) الذى حسبناه بعد عودتنا من فلسطين ، قد طابق الواقع تماما ، ولقد ساعدتنا الظروف السياسية القلقة من ناحية وتذمر الضباط الشديد من تصرف الخونة فى مصير الجيش وأنظمته وكرامته على أن تنفذ خطتنا فى سنة ١٩٥٢م ....

وفى مذكراته أيضاً يروى جمال عبد الناصر أن القصر فى تلك الأيام لايزال شاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة ، ولكنه كان يريد أن يبطش بنا إستعادة لمكانته التى رأى أنها إهتزت إهتزازاً شديداً .

وقطع الطريق علينا لأنه كان يعتقد أننا وإن كنا أضعف من أن نقوم بحركة كاملة فنحن على كل حال نستطيع أن يكون التمهيد للحركة الكاملة ، لذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك فى نفسك الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة للفتك به وبعرشه وحكم أسرته للبلاد .

وفى الليلتين الحاسمتين بعد أن تحدد الموعد بدأ جو الثورة يأخذ طابعا رهيبا ..

ويقول عبد الناصر أيضا :

كنا نجتمع فى بيوت مختلفة ليقول كل لأخيه حقيقة ما يشعر به وما يحسه ، وقد اخترنا أن نضع رؤسنا فوق أكفنا لتستقر عليها ، وهى تقدم على هذا الخطر الجسيم والمغامرة التاريخية .

وكان لكل منا زوجة وأولاد وأسرة ومسئوليات ، كان لابد لنا من أن نفكر فيهما ونحن مقدمون على هذه المغامرة وكان السؤال الخافت الذى تسرب إلى قلوبنا هو : ماذا لو فشلنا وانتصر علينا المجرمون ؟

ولكن الروح التى أقبلنا بها على المعركة ، والدم الذى كان يغلى فى عروقنا ، والقوة التى أظهرتها لنا الوحدة والكفاح الذى عززته التضحية قد جعل هذا السؤال الهامس يخفت ويخفت حتى يتلاشى ، وأقبلنا على المعركة وليست لنا فكرة تراودنا سوى مصر وشعب مصر وجيش مصر : أما الحياة وأما الموت .. وأما الأولاد وأما الأمهات والأشقاء فلم يتسع لهم فى حركتنا مكان ، وأصبح مكانهم الداخلى بين صفوف ملايين الشعب التى تقوم على التضحية من أجل سعادتها وحياتها .

كنا مؤمنين بحقيقة ثابتة هى أن الشعب معنا وإن كتل الجماهير ستقف حائلاً بين خططنا وجواسيس المجرمين ، وأننا لو فقدنا الفرصة اليوم فإننا سنكسبها غدا .

وكان هذا هو ما يشجعنا ...

وقد سجل جمال عبد الناصر المواقف الحرجة التى صادفته ليلة ٢٣ يوليو فقال فى مذكراته :

مرت بى مواقف حرجة كثيرة ، ولكن أحرجها كانت ليلة الثورة ، كان موعد تحرك القوات الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٢ يوليو ، وكان موعد إحتلال رئاسة الجيش فى الساعة الواحدة والنصف بحث تتقابل القوات كلها عند رئاسة الجيش لإحتلالها ، وفى الساعة الحادية عشرة علمت أن رئاسة الجيش احيطت خبراً بخطتنا ، لأن أحد الضباط

المشتركين فى الحركة ، عندما مر الضباط لأخذه معهم فطن أخوه إلى أن هناك حركة ما ، فحاول منع أخيه الذى رفض أن يستمع إليه . وقد ذهب هذا الأخ الممانع فى إشتراك أخيه إلى سراى القبة ، وأخبر الضابط النوبتجى بالأمر ، الذى قام بإبلاغ سرى المنتزه حيث كان يقيم الملك السابق ، فصدرت الأوامر للفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب لإتخاذ الإجراءات المضادة لمناهضة حركتنا والقضاء عليها ، وذهب الفريق حسين فريد إلى رئاسة الجيش بكبرى القبة ، واستدعى إليه جميع قادة الجيش لوضع الخطة وتنفيذها فوراً .. وقد وصلتنى هذه الأنباء الساعة ١١ وأنا بدارى ، بعد أن عدت وقد أعد كل شىء للتنفيذ ، وكأن كل الضباط فى أماكنهم استعدادا للبدء ، و لم أجد أمامى إزاء ما اتخذ لإحباط حركتنا سوى إعتقال رئيس أركان الجيش وجميع ضباط الجيش المجتمعين معه قبل انفضاض مؤتمرهم وتنفيذ خططهم .

لقد توجهت إلى منزل أخى عبد الحكيم عامر ، حيث كنا على موعد لنتقابل فى الساعة الثانية عشرة ولنتوجه معا لأخذ قوة لتنفيذ فكرة الإعتقال ، غادرنا المنزل إلى قشلاق العباسية ، ولكننا وجدنا عددا كبيرا من البوليس الحربى رابضا على باب القشلاق ، وهذا لم يكن ضمن خطتنا ففهمنا فورا أن الطرف الآخر قد بدأ العمل ، فتحركنا إلى سلاح الفرسان ، ولكننا وجدنا البوابة مغلقة وعليها قوات لم نستطع أن نعرف مع أى طرف تعمل هذه القوات ، معنا أو مع الطرف الآخر ، فقررنا التوجه إلى ألماظه لإحضار قوة من هناك ، وفى طريقنا إلى ألماظه - عند ميداه الكربه - رأينا على مدى البصر أضواء عربات كثيرة فى طريقها إلى القاهرة ، وكانت الساعة حوالى منتصف الواحدة و لم يكن هذا أيضا ضمن خطة قواتنا ، ولقد كان المقرر أن تتحرك قواتنا فى الساعة الواحدة وأخذنا نفك ونقدر الموقف جيدا ، ونتساءل هل هذه العربات من قواتنا أم أنها تابعة لخطة رئيس هيئة أركان حرب الجيش التى بدأت فى التنفيذ ، ولكننا تأكدنا أنه من المستحيل أن يكون رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد بدأ تنفيذ خطته ، ورجحنا أنه لابد وأن يكون أحد زملائنا الضباط المشتركين معنا قد أخذته الحماسة فخرج قبل موعه ، وانتظرنا على جانب الطريق ، حتى تصل إلينا هذه القوات، وفوجئنا عند وصلو أول عربة بأن الفرقة الثانية قد تحركت لتنفيذ خطة رئيس أركان حرب الجيش ، وفى أسرع من لمح البصر كنت وعبد الحكيم عامر محاطين بخمسة ضباط ملازمين مسلحين بالتومى جن وطلبوا إلينا أن نرفع أيدينا وأن نثبت فى مكاننا ، وكانت أحرج لحظة فى حياتى كلها فعلاً ، لقد اعتقدت أن الخطة التى وضعناها ورتبناها قد باءت بالفشل الذريع

وبعد لحظة وجدت أحد إخواننا ينادينى من العربة الثالثة ويقول لى فى فرح زائد : «لقد

أسرنا قائد الفرقة وقائد ثانى الفرقة وأنا مع قوتى» ولقد أحضرت معى جميع العربات التى قابلتها فى الطريق ، ونزل من العربة وحضر إلى قائلاً أن القوة التى معه هى ٨٠ جندياً فقط لأن باقى الفرقة فى فلسطين ، وعرفت فى هذه اللحظة أنه تحرك فى الساعة ١٢ بدلا من الواحدة .. ولم يكن أمامنا غير حل واحد فقط ، هو إحتلال رياسة الجيش بهذه القوة التى معنا ، وتحركنا إلى الرئاسة بكوبرى القبة ، وبدأنا عملياتنا بمحاصرتها فى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق أى قبل الموعد المحدد بأربعين دقيقة .

وبدىء فى توزيع القوة ، وقام عبد الحكيم عامر وضباط الكتيبة الشجعان وثلاثون جنديا فقط بمهاجمة رياسة الجيش ، ولكن الباب الحديدى كان مغلقا ، وكانت عساكر رئاسة الجيش محتلة مواقعها وبدأت تطلق علينا النار ، واستمرت المعركة ٤٠ دقيقة ، وفى هذه الأثناء كانت قوات الفرسان قد بدأت فعلا فى التحرك من أماكنها وفى الساعة الواحدة والنصف سقط فى أيدينا مبنى رئاسة الجيش واعتقلنا كل من فيه ، وكان هذا العمل أول بادرة النجاح .

ثم أصبح ٢٣ يوليو فأذيع أول بيان للثورة ، وتنفس الشعب وأحس بأن الضياء قد بدا وأن الفجر قد طلع .

وقال جمال : إن روح الشعب فى ذلك اليوم أمدتنا بالقوة والعزم فلم نكن نتوقع هذا النجاح الغريب السريع ، فمضينا أقوياء أمناء نعرف مواضعنا من الشعب الكريم ومن قلوب أبناءه المظلومين .

لقد كان أول عرض فى العاصمة أحد الدوافع التى حركتنا دفعاً إلى الامام ، ولقد وجدنا أن ملايين المصريون جميعا معنا ، فتطورت وسائلنا لتحقيق أهدافنا ، وإندفعت خطواتنا سريعة مفاجئة حتى إنتهت بعزل الملك الفاسد ...

وبهذا نجح جمال عبد الناصر .

*ومن طرائف ثورة يوليو ١٩٥٢م ، ما حاول السادات فيما بعد أن ينسبه لنفسه ، حين أوحى فى كتاباته العديدة (بعد أن أصبح رئيساً لمصر عام ١٩٧٠م وليس قبل ذلك) أنه هو المفجر الحقيقى لثورة يوليو ، ولنتأمل ما يقوله أحد كتبة السادات المخلصين (موسى صبرى فى كتابه السادات الحقيقة والأسطورة) :

حول مشاركة أنور السادات فى الثورة ، يدلل موسى صبرى على أن السادات لم يتهرب من المسئولية ليلة الثورة أيضا بشهادة الدكتور محسن عبد الخالق أحد الضباط الأحرار ..

يقول عبد الخالق : «إن جمال عبد الناصر أرسل حسن إبراهيم بالطائرة لإبلاغ أنور



مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢

السادات بالحضور إلى القاهرة قبل يوم ٢٣ يوليو ، وحضر أنور السادات ، ولما لم يجد خبراًا أو رسالة من جمال عبد الناصر حتى حوالى الساعة الثامنة أو التاسعة كما يقول بالنص

اصطحب زوجته إلى السينما وترك خبرا لدى البواب بأسم السينما وأبلغه أنه إذا حضر أى شخص له ترك رسالة أن يحضرها إلى السينما ، وبلغ مدير السينما بأنه فى الداخل وينتظر صديقا ، أو رسالة منه ورجاه أن يخبره إذا حدث ذلك .. ذهب جمال عبد الناصر لأنور السادات وكانت الثورة قد عرفت وترك رسالة سريعة للبواب . لم يتصرف البواب .. إنتهت السينما وخرج أنور حوالى الساعة ١٢,٤٥ أو ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل ووجد رسالة جمال عبد الناصر ، فلبس الملابس العسكرية ، وذهب فورا إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة .

هذه هى بالنص الشهادة التى اعتمد عليها موسى صبرى لينفى عن السادات هروبه من المشاركة ليلة الثورة ، وهى تنسب التقصير إلى البواب المسكين الذى لم يتصرف .

وهى شهادة غير صحيحة .. على الأقل لأنها تتناقض مع شهادة أنور السادات نفسه ، ولا يمكن أن ننسب إلى أنور السادات دور هو نفسه ينفيه ، أو نعرف ما دار ليلة الثورة ، ونبرره له ، وفى حين أنه له كلمات فى كتبه قاطعة .. تكذب تماما هذه الشهادة بل إن السادات نفسه كتب إن عدم مشاركته فى الثورة تحول إلى نكتة يضحك عليها زملاؤه أعضاء مجلس الثورة كلما رأوه ... ويعايرونه لهذا الموقف .

قال لى حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة إنه طار إلى العريش وأخطر أنور السادات بأن موعد الثورة هو ليلة ٢٣ يوليو أى أن السادات كان يعرف موعد قيام الثورة .. وحتى لو لم يحدد له الموعد وطلب منه حسن إبراهيم مجرد التواجد فى القاهرة وفى وقت كان يعرف أن هناك تحديد لموعد قيام حركة الجيش فما كان يجب أن يهرب ويبرر عدم تواجده ، ليلة الثورة ، بأنه لم يجد عبد الناصر فى إنتظاره على محطة القطار كعادته .

وهو عندما كتب قصة الثورة كاملة ، أو يا ولدى هذا عمك جمال الذى يروى فيه قصة علاقته بجمال عبد الناصر ، لم يذكر أبدا أن جمال عبد الناصر كان ينتظره عندما يأتى من العريش ..

وكان قطار العريش يغادرها فى الصباح المبكر ، ويصل إلى القاهرة حوالى الساعة الثانية بعد الظهر .

ولو أن جمال عبد الناصر معتاد على إنتظاره على محطة القطار ، وأرسل يستدعيه لأن موعد الحركة قد تحدد ، حتى ولو لم يعين الموعد بالضبط – ولم يجد جمال عبد الناصر فى إنتظاره

كعادته ، فقد كان ذلك أدعى إلى أن يبحث عنه ، لا أن يتركه ويذهب إلى السينما .

كيف تصرف أنور السادات بعد أن أبلغه حسن إبراهيم بموعد الثورة ، يقول السادات : «البحث عن الذات ص ١٤٠» وفى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢م أرسل عبد الناصر رسالة لى مع حسن إبراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى فيها أن أنزل إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليو ولكنى لم أجد عبد الناصر فى إنتظارى على محطة السكة الحديد كعادته فقلت فى نفسى لابد أن الوقت لم يحن بعد ، لذلك توجهت إلى بيتى واصطحبت زوجتى إلى السينما ولكنى عندما عدت إلى البيت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب منى فيها أن أقابله فى منزل عبد الحكيم عامر الساعة ١١ مساء ، وعلمت من البواب الذى سلمنى هذه البطاقة ، أن عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أتى إلى بيتى مرتين مرة فى الساعة الثالثة مساء ، ومرة أخرى فى الساعة العاشرة مساء .

شهادة أنور السادات نفسه لم يقل أنه ترك عنوان السينما مع البواب أو أنه أوصى مدير السينما .

وهو عندما يروى الواقعة فى قصة الثورة كاملة يضيف إليها أنه ذهب إلى السينما مع زوجته وأولاده ، وكانت السينما صيفية وتعرض ثلاثة أفلام طويلة و لم يذكر أنه ترك رسالة لعبد الناصر مع البواب .

فالتبرير الذى يقدمه محسن عبد الخالق – والذى اعتمد عليه موسى صبرى غير صحيح إذن بإعتراف أنور السادات نفسه !!

والأهم من ذلك أنه جاء و لم يجد جمال عبد الناصر فى انتظاره ، وقرر الذهاب إلى السينما ، والسينما الصيفية لا يبدأ عرضها إلا بعد غروب الشمس وبداية الظلام ، فلماذا صحب زوجته وأولاده وخرج من المنزل فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. لأنه لو كان هناك أحد فى البيت لترك له عبد الناصر الرسالة فى البيت ، أو لأبلغها البواب لأسرته فى وقت مبكر .

معنى كلام السادات نفسه أنه جاء من العريش ، وأخلى شقته فصحب زوجته وأولاده – قبل الساعة الثالثة – وهو موعد مرور عبد الناصر الأول – و لم يعودوا إلى البيت إلا بعد منتصف الليل .

ألا يكون ذلك عن موقف متعمد . ولا تكون المسألة هنا ، هى الذهاب إلى السينما الصيفية المسائية ، ولكن الإختفاء حتى ما بعد منتصف الليل فى وقت كان مستدعى من العريش لعملية محددة ..

هذه هى الملاحظة الأولى .. ولنستمر فى قراءة ما كتبه السادات «فى البحث عن الذات حول مشاركته فى الثورة .. بعد أن عاد من السينما » غيرت ملابسى وأخذت مسدسى معى وتوجهت إلى منزل عامر ، وطبعا لم أجده ، فذهبت إلى ثكنات الجيش فى العباسية لم أكن أعرف كلمة السر بطبيعة الحال ، فمنعونى من الدخول ، وعندما تبينوا رتبتى طلبوا منى أن ألزم بيتى ، فهذه هى الأوامر بالنسبة للضباط العظام ، وناورت وحاولت كثيرا ، ولكن دون فائدة .. كدت اجن ، فكيف تقوم الثورة أمام عينى ، وأنا لا أشارك فيها ، لقد كرست كل حياتى لهذه اللحظة بالذات ... من أجلها ، كافحت وعانيت ، بل وكنت فى كل مرحلة من مراحل العمر .. ففيم كان كفاحى ، وفيم كان كيانى ، وأنا أقف موقف المتفرج مما أعطى لهذا الكيان مبررا لوجوده .

باعترافه هو يقول أنه كاد يجن ... لأنه لم يشارك فى الثورة ليلة قيامها .(١)

ولقد أذاع السادات البيان الأول للثورة بصوته للمرة الأولى على أرجح الأقاويل ثم أذاعته الإذاعة بصوت المذيعين بعد ذلك حتى سجل بصوت السادات بمناسبة مرور عام على حركة الجيش فى عام ١٩٥٣م كجزء من تراث الحركة .

ولكن السادات فيما بعد – وهو رئيس – إستغل هذه الواقعة أبشع إستغلال .

أولا .. أصبحت إذاعة السادات لبيان الثورة جزءاً من المادة الدراسية المقررة على المدارس ، حتى إن الكتب المدرسية إذا ذكرت ثورة يوليو تقرنها بإذاعة السادات للبيان ، لأنها لم نستطع أن نقول إن السادات هو الذى قام بالثورة ولكنها كانت تقول «إن ثورة يوليو – التى اذاع بيانها الرئيس السادات» .

ثانيا : أعاد السادات تسجيل البيان الأول للثورة بصوته فى ظل ظروف أكثر تمكنا من كل النواحى ، وكان هذا أيضا جزءاً من هوايته التمثيلية.

ثالثا : يكرر السادات أكثر من مرة فى البحث عن الذات هذه الواقعة التى سبق إن ذكرها فى جملة واحدة فى كتبه السابقة :

«ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى هرعت إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة ، ليشاركنى الناس ما أنا فيه من سعادة ص ١٤٢ ».

«قبل أن اعلن الثورة ص ١٤٣» كنت الوحيد من بين أعضاء مجلس الثورة الذى – كتبت

---

(١) عبد الله إمام : حقيقة السادات - ١٩٨٦م - د. ن. ص ٩٦ .



صورة معبرة عن الفترة الأولى فى حكم عبد الناصر : النظر بأمل فى المستقبل .

عليه مواجهة جميع الأحداث منذ إعلانى قيام الثورة ، إلى خروج الملك من مصر فقد تسبب هذا فى خلق حساسيات كثيرة بينى وبين زملائى فى مجلس الثورة خاصة وإننى كنت الاسم الوحيد المعروف بينهم لدى الجماهير نتيجة لنضالى السياسى ، وبعد أن خلقت منى الصحف والمجلات بطلا اسطوريا فى قضية أمين عثمان « ١٤٧ » وأعلنت ميلاد الثورة « ص ١٥٥ » .

والنماذج كثيرة لاستغلال السادات لواقعة قراءة البيان الأول للثورة الذى يقول زملاؤه أنها لم تكن عملية مقصودة .

هذا ويؤكد عبد الله إمام أن كمال الدين حسين قال له حول دور السادات ليلة الثورة

لقد استدعى السادات من العريش بعد أن تحدد موعد الثورة .. واخطر بهذا الموعد .. وكان يعرفه جيدا .. لقد ذهب إليه حسن إبراهيم وأخبره بالموعد وليس من المعقول وهو يعرف الموعد أن يحضر فيجد من ينتظره فى محطة السكة الحديد .. ثم لماذا لم يحاول الاتصال بنا ليتعرف على حقيقة الموقف ، بدلاً من أن يذهب إلى السينما إذا كان يريد فعلا ألاشتراك فى الثورة التى جاء من أجلها وبناء على معلومات مؤكدة حددت له الموعد ، لقد كان مفروضا وفقا للخطة أن يقوم بالسيطرة على التحويلة التليفونية فى رئاسة الجيش ، ويبحث كيفية السيطرة على مصلحة التليفونات ، ولكنه جاء متأخراً بعد أن تم كل شيء .. فلم يجد له عملا .. وهكذا أسندت إليه مهمة إلقاء البيان الأول للثورة .

وقال لى كمال الدين حسين : «ربما كان هناك من أذاع البيان قبله .. لقد كان لدى مهام فى تلك الليلة .. ولم أكن متتبعا بالضبط من الذى أذاع البيان فى الأول .. ولم تكن هذه قضية .. ولم يتصور أحد أن تكون ذات يوم قضية محورية تدور حولها ويكثر الحديث عنها .. لم نكن نتصور أنه سيأتى يوم يقف شخص ليقول إن أمجاده أنه أذاع بيان الثورة بصوته..!

إن هذا البيان لم يذع إلا بعد ان سيطرت الثورة سيطرة كاملة على كل شيء ... فلم يكن عملا فدائياً . لأنه تم فى ظل تأمين كامل .. وبعد ان سيطرنا على كل شيء .

وتذكر مذكرات ووثائق الضباط الأحرار أن الثورة قد واجهت منذ الأيام الأولى ثورات مضادة ، استطاعت أن تعالجها وتقضى عليها فى مهدها .. وتبين لنا أنه لا مفر من هدم أسس النظام القديم بأكمله كى تستمر الثورة . فكيف تستطيع الثورة أن تحقق أهدافها وبخاصة بعد أن تبين لها أنها ستمارس الحكم – فى ظل نظام ملكى لا يزال قائماً ، وفى ظل دستور عفى عليه الزمن ..

كان على الثورة أن تسقط دستور ١٩٢٣م ففى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٥٢م أعلن سقوط دستور سنة ١٩٢٣م ، وقرار الثورة بتولى مهام السلطتين التنفيذية والتشريعية فى فترة انتقال يتم فيها وضع الدستور الجديد الذى يتفق وأهداف الثورة .

ويقول صلاح نصر فى مذكراته :

ومن ثم أصدر مجلس قيادة الثورة مرسوما فى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٣م بتأليف لجنة من خمسين عضواً لوضع مشروع دستور جديد .

وكانت الخطوة التالية التخلص من القوى السياسية القديمة ، فأصدرت الثورة قانوناً فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٣م بحل الأحزاب ومصادرة أموالها لصالح الشعب وتحديد فترة إنتقال لمدة ثلاث سنوات .

وفى ١٨ من يناير سنة ١٩٥٣م أصدر مجلس الثورة مرسوماً بقانون ينص على أنه الإجراءات التى اتخذها «رئيس حركة الجيش» لحماية النظام تعد من أعمال السيادة العليا إذ اتخذت فى خلال سنة من تاريخ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ومعنى ذلك ان هذه التدابير لا تخضع لرقابة القضاء .

ولكى تأخذ الثورة وضعها الدستورى وتكمل الشكل القانونى لاستيلائها على السلطة ، قامت بإعلان دستور فترة الانتقال فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣م ، وبموجب هذا الدستور انتقلت السيادة العليا إلى يد قائد الثورة ، وأصبح من حقه تعيين الوزراء وعزلهم .. أما السلطتان التشريعية والتنفيذية فقد وضعتا فى يد مجلس الوزراء ، وتشكل مؤتمر مشترك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، لتسند إليه مسئولية وضع السياسة العامة للدولة ، ومحاسبة الوزراء .

وهكذا أصبحت الثورة تجمع كل السلطات ، فى يدها ، و لم تصبح أمامها أية عقبة سوى قيام النظام الملكى الذى يتناقض كلية مع أهداف الثورة ، ولذا جاءت الخطوة التالية مدعمة لإستمرار الثورة ، ففى يوم ١٨ يونيو عام ١٩٥٣م أعلن إلغاء النظام الملكى وقيام الجمهورية ، وتسلم محمد نجيب مسئولية رئاسة الجمهورية مع إحتفاظه بسلطاته القائمة فى ظل الدستور المؤقت .

وأحس محمد نجيب بأن قوته سوف تضعف بعد تعيينه رئيساً للجمهورية ، إذ أعفى من قيادة القوات المسلحة وتسلم قيادتها الصاغ عبد الحكيم عامر الذى رقى إلى رتبة اللواء عند تعيينه .. و لم يجد نجيب أمامه سوى معارضة إعلان النظام الجمهورى مبررا ذلك بأنه ينبغى أن يتم ذلك عن طريق استفتاء شعبى عام ، كما عارض فى أن يقفز عبد الحكيم عامر أربع

رتب فى ترقية اللواء ، موحيا للمجلس بأن هذا الإجراء سوف يثير نفوس الضباط ، ولكن جهود نجيب باءت بالإخفاق .

وبعد إعلان الجمهورية طالب محمد نجيب بعدة حقوق منها سلطة حق الإعتراض على أى قرار يجمع عليه أعضاء مجلس الثورة ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم ، وسلطة ترقيات الضباط كما كان يحدث فى عهد فاروق ، بل امتدت مطالبه إلى سلطة نقل الضباط فى الرتب العليا ، وتعيين الملحقين العسكريين .

وكان رد مجلس الثورة على ذلك تجاهلا متعمدا من أعضائه ، مع سوء معاملة وتشهير بسلوك وسط الضباط الأحرار ، ومن ثم لم يجد نجيب أمامه سوى طريق واحد هو التقارب مع القوى السياسية القديمة يتبنى قضية الديمقراطية كما أوضحه فيما بعد .

*وهكذا بدأت أولى خطوات الحكم تستقر فى أيدى الضباط الأحرار ولكن ماذا عن تفاصيل باقى الخطوات .

ثانياً : سنوات القلق : (التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م) .

كانت الفترة التى تلت استيلاء «الضباط الأحرا» فترة عدم إستقرار سياسى واجتماعى ، تصارعت فيها القوى ، والمصالح ، وإندثرت أحزاب سياسية كانت ملء الأسماع والأبصار ، وظهرت أخرى إلى السطح السياسى ، كانت من قبل سرية ، أو محجوبة عن الشرعية ، وولدت قوى وتنظيمات سياسية ، استخدمتها السلطة فى صراعها السياسى ، وفى إدارة الأزمات السياسية على إختلافها محليا ودوليا .

* فى هذه الفترة (١٩٥٢م – ١٩٥٤م). وفى هذا المناخ القلق، كان على (الضباط الأحرار) أن يحكموا قبضتهم السياسية تأمينا لأهدافهم المعلنة (ما تعارف على تسميته بالمبادىء الستة) وغير المعلنة ، فماذا فعلوا وماذا حدث بينهم ومن حولهم من صراع سياسى ، وماذا حدث بسببهم من تطورات داخلية ودولية ، ذلك ما نرصده فيما يلى .

*بداية يحدثنا التاريخ أنه عندما تحدد أواخر يوليو ١٩٥٢م ، موعداً للإنقلاب تصادف أن جميع أعضاء اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار أما أنهم من ضباط الأركان وأما إنهم يخدمون بوحدات خارج القاهرة . ولذلك كان من الضرورى إشراك قادة الوحدات الموجودة بالقاهرة فى رسم الخطة وتنفيذها . وكان من أبرز هؤلاء القائمقام أحمد شوق ، قائد الكتيبة ١٣ ، التى تعتبر وحدة من الطراز الأول والتى أطلق عليها فيما بعد «كتيبة التحرير» وكذلك

البكباشي يوسف صديق منصور قائد سرية مدفعية متوسطة ، وقد لعبت هاتان الوحدتان دورا حاسما فى ليلة الإنقلاب . إذ كان موكلا إليهما مهمة إحتلال مقر القيادة العامة والقبض على قيادة الجيش .

وكان قد تم توسيع لجنة التنظيم فى منتصف يوليو ، وقد استمر تسعة من الأعضاء العشرة القدامى ، بينما خرج عضو واحد هو عبد المنعم عبد الرءوف ، وأضيف أربعة آخرون هم : يوسف منصور صديق ، وزكريا محيى الدين ، وهو من قدامى المجموعة وكان حتى ذلك الحين ، لسبب أو لآخر خارج اللجنة ، والبكباشي حسين الشافعى من سلاح الفرسان ، ثم عبد المنعم أمين من المدفعية . وهؤلاء - إضافة إلى نجيب - هم الذين تكون منهم بعد ذلك مجلس قيادة الثورة .

وكانت أحد التفصيلات التى صادفتهم أثناء الإعداد للإنقلاب ، اختيار رجل يمثل الحركة أمام الشعب والعالم الخارجي . فقد كان كل قادة الضباط الأحرار ما بين صاغ وبكباشى ، ولم تكن أعمارهم تتعدى الخامسة والثلاثين ، وقد رأوا أنه من الضرورى وجود ضابط كبير على رأس الدولة . واتجه التفكير فى البداية إلى عزيز المصرى ، لكن المقاتل القديم رفض الدور ، كما أن الضباط لم يحثوه ، فماضيه الموالى للألمان معلوم للكافة ، بالإضافة إلى خشيتهم من أن يتحول بعناده وتهوره إلى عبء عليهم بدلا من أن يكون عونا لهم ، وكان الرجل الثانى الذى حاولو إجتذابه هو اللواء أحمد فؤاد صادق ، الذى كان يقود القوات المصرية فى فلسطين منذ نوفمبر ١٩٤٨ ، ومشهود له بالشرف . وكان يجاهر بولائه للبريطانيين ، وهو فى الوقت نفسه ، خصم قديم للوفد ، وكان يبدى ، من حين لآخر ، تعاطفه مع الأخوان والضباط الأحرار ، وتولى صلاح سالم التفاوض معه ووعده بمنصب رئيس الأركان ، لكن الرجل نمت إليه فى ذلك الوقت شائعة حول نية الملك لتعيينه فى نفس المنصب الذى تاق إليه طويلاً ، ففضل التكليف الملكى على وعود الضباط الصغار . لم يكن للشائعة أساس من الصحة ولم يتصل به الضباط ثانية ، وهكذا فقد كل شيء واستقر الأمر أخيراً على نجيب . وكانت إنتخابات نادى الضباط قد ضاعفت من شعبيته ، واكتشف الضباط من خلال تعاونهم الوثيق معه أنه رجلهم المأمول ، ولم يكونوا يدركون أنهم سوف يبذلون جهداً كبيراً للتخلص منه .

وضع عبد الحكيم عامر الخطة التنفيذية للإستيلاء على السلطة ، وأدخل زكريا محيى الدين عليها بعض الإضافات وبعد تعديل طفيف أقرها ناصر بشكل نهائى .

وفى إجتماع عقد فى الرابعة من مساء ٢٢ يوليو بشقة خالد محيى الدين ، تحددت الواحدة



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم سيارة واحدة وطريقان !! عام ١٩٥٢

قد اتصل به من الأسكندرية مستعلما عن أنباء وصلته حول تحرك القوات بالعاصمة . واستطاع نجيب أن يقدم له إجابات مضللة .

لم تصرف السهولة التى تم بها الإستيلاء على الحكم أنظار الضباط الأحرار عن المصاعب التى يمكن أن تواجههم ، فبدأوا ، فى التو ، فى تعزيز المواقع التى استولوا عليها ، وكان هدفهم الأول منع التدخل الخارجى . وفى الرابعة صباحاً قام على صبرى بإبلاغ السفارة الأميركية بتطور الأحداث ، وأكد لهم على ضمان حياة الأجانب وممتلكاتهم ، وقد قدم الأمريكيون ، الذين لم يفاجأوا أو يستاءوا مما حدث ، خدمة كبيرة للضباط فى تلك الأيام الحرجة ، فقد اقنعوا الملك بالاستسلام ومغادرة البلاد ، كما نصحوا البريطانيين بالكف عن مساندته .

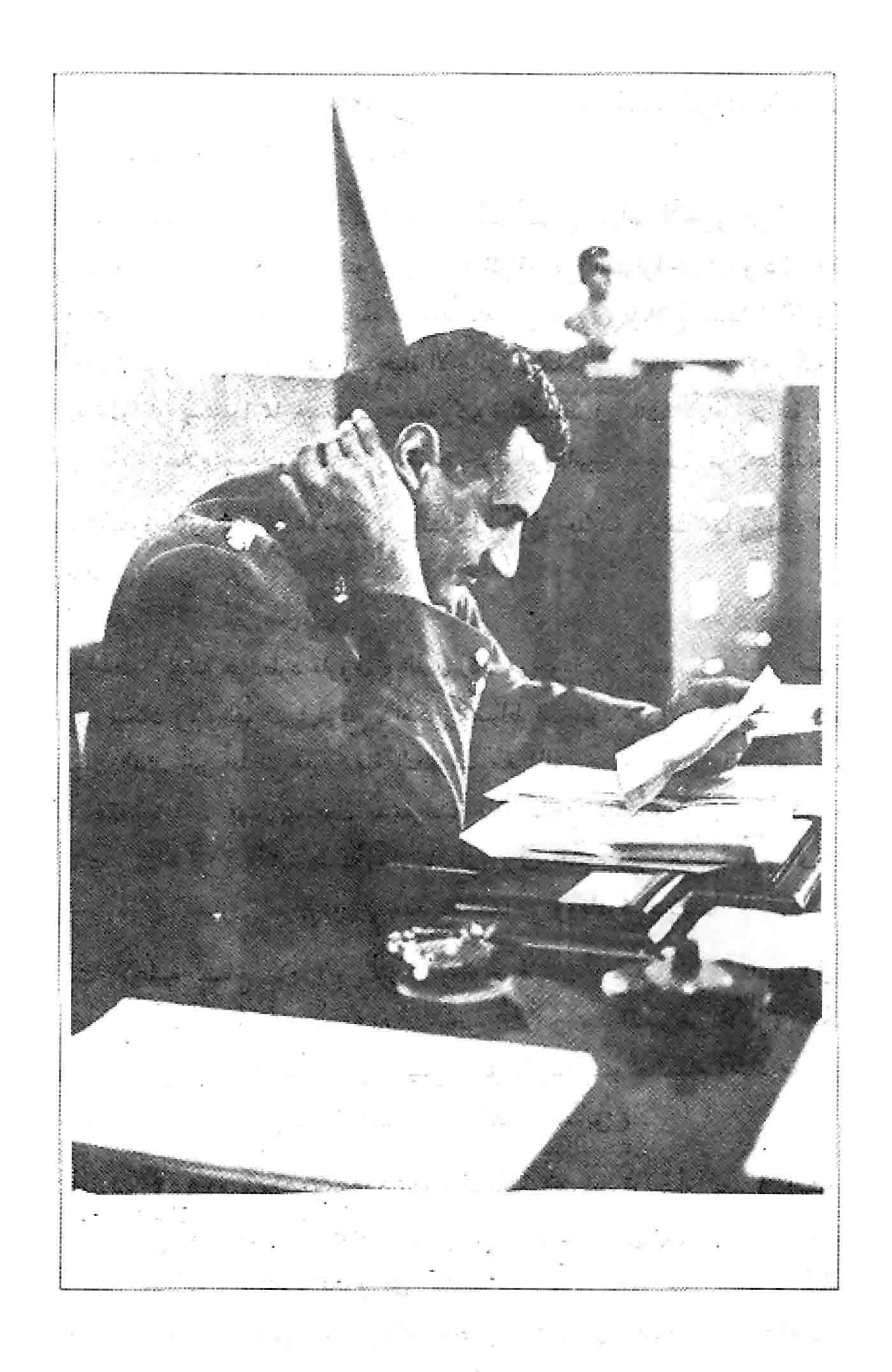
وكانت الخطوة الثانية للضباط الأحرار هى تشكيل وزارة جديدة ، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى على ماهر .

وكانت الخطوة الثالثة هى طرد فاروق ، الذى كان موجودا بالاسكندرية ، فبعد السيطرة على القاهرة وضمان ولاء القوات فى رفح ، أمكن للضباط السيطرة على الأسكندرية فى يسر . وكان السؤال الذى أثير آنذاك هو كيفية التصرف مع الملك . وقد ناقش الضباط المسألة على امتداد ليلة كاملة . فهم يتمتعون بديمقراطية تامة داخل دائرتهم الضيقة ، ويتخذون قراراتهم بالتصويت الحر . وكان هناك رأيان ، رأى يرى تقديمه إلى المحاكمة ، ورأى آخر يميل إلى إجباره على التنازل لصالح ولى العهد ، الطفل ، ومغادرة البلاد .

وصوتت الأغلبية لصالح الإقتراح الثانى ، وخرج فاروق متوجها إلى منفاه ، وفى ٢ أغسطس تم تعيين مجلس للوصاية من ثلاثة أشخاص : الأمير عبد المنعم من الأسرة المالكة ، والدكتور بهى الدين بركات وهو قاض ورئيس سابق للبرلمان ، والقائمقام رشاد مهنا أحد ضباط الجيش البارزين (كما أوضحنا تفصيلا فى الفصل السابق) .

فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ولشهور عدة تلته ، لم يكن الضباط قد بدأوا بعد فى استخدام كلمة ثورة ، والتى أصبحت محل التفاخر الرسمى . فالبيانات الأولى تتحدث عن «النهضة» وحركة الجيش المباركة ، وعندما فكروا فى استحداث وسام جديد يمنح للضباط العاملين والمحالين بعد ٢٣ يوليو ، أطلق عليه «وسام التحرير» وذلك فى أغسطس ١٩٥٢م .

وبتاريخ ١٣ نوفمبر صدر مرسوم ينص على اعتبار كل تدبير اتخذه القائد العام للقوات المسلحة «باعتباره رئيس حركة الجيش» عملاً من أعمال السيادة . وتكررت الصيغة نفسها فى المرسوم المؤرخ فى ١٨ يناير ١٩٥٣م ، والخاص بحل الأحزاب السياسية . وكان الدستور



عبد الناصر يتابع تقارير أجهزة المخابرات فى بداية الثورة

صباحا كساعة للتحرك . وفى السابعة مساء أخبر ضابط المخابرات سعد توفيق ناصر ، بأن القيادة العامة علمت بوجود حركة مريبة بين الضباط ودعت إلى إجتماع طارىء فى تلك الليلة . وحاول ناصر وعامر الإتصال بزملائهما لتقديم الموعد ، وفشلا فى ذلك .

وعلى الجانب الآخر ، كانت الأمور تسير بأسرع مما كان متوقعاً ، وتحول إجتماع القيادة العامة إلى شرك أمكن للضباط عن طريقه الأيقاع بكل قيادات الجيش بضربة واحدة فعند منتصف الليل قامت سرية تابعة للكتيبة ١٣ بقيادة أحمد شوقى ، تصاحبها عربة مصفحة بقيادة يوسف صديق ، بمهاجمة مقر القيادة العامة ، وقد وقع تراشق قصير بالنيران سقط خلاله جندى واحد من كل جانب ، كما جرح اثنان آخران ، ثم استسلم الحرس ، وقام يوسف صديق وعبد الحكيم عامر ، يتبعهما بعض الجنود ، بإقتحام غرفة إجتماعات القيادة وهم شاهروا السلاح وطلبوا إلى الحاضرين تسليم أنفسهم . فى البداية رفض حسين فريد رئيس الأركان ، ثم سلم مسدسه بعد أن أطلق ثلاثة أعيرة من خلال ساتر ، والقى القبض عليه مع دستة من اللواءات والأميرالات ، وهكذا نجح الإنقلاب بأسرع وأسهل مما يتصور مدبروه .

وفى نفس الوقت ، قام عدد من وحدات الجيش ، بقيادة الضباط الأحرار ، بالاستيلاء على النقاط الاستراتيجية بالقاهرة .. خطوط التليفون ، المطار ، محطة السكة الحديدية ، ولم تصادفهم مقاومة تذكر فى تلك المواقع . وفى الواحدة والنصف ، استولت مدرعات حسين الشافعى على محطة الإذاعة ، بينما تولى جمال سالم قيادة وحدات العريش ، وتولى أخوه صلاح قيادة قوات رفح . وفى الثالثة صباحاًا جاءوا بنجيب من منزله إلى مقر القيادة ليصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة . وفى السابعة والنصف صباحاًا أذاع راديو القاهرة بيانه الأول إلى الشعب المصرى والعالم ، نيابة عن الجيش . وقد صاغ البيان عامر وناصر ، وأذاعه السادات .

هل كان نجيب على علم بخطة الإنقلاب ، أم لا ؟ لقد أصبح هذا السؤال مثار خلاف بعد ١٩٥٤ ، والحقيقة أنه كان يعلم ، ولا يعلم ، فهو يعرف عن حركة الضباط الأحرار ، لكنه لم يكن عضوا بها ، بل كان يؤيدها ويدعمها دون أن يعلم شيئاً عن تنظيمها وخططها . وفى ٢٠ يوليو ، قام ناصر وعامر بزيارته لإبلاغه بخطة الإنقلاب والدور المحدد له فيها ، لكنهما وجدا عنده اثنين من الضيوف لا يثقان بهما ، البكباشى مجدى حتاتة والصحفى محمد حسنين هيكل ، فلم يطرحا الموضوع الى جاءا من أجله . وعلى مدى اليومين التاليين فضل الاثنان عدم الإتصال بنجيب درءا للشبهات . وفى ليلة الإنقلاب لم يبارح نجيب منزله . ولكن عندما حضر إليه اثنان من الضباط ليصحباه إلى مقر القيادة لم يبد دهشة . وكان وزير الداخلية

المؤقت فى فبراير ١٩٥٣م ، أول وثيقة تتحدث عن سلطات «قائد الثورة». وفى نفس الشهر ، استخدمت للمرة الأولى عبارة «مجلس قيادة الثورة» .

ومن المعروف أنه وقبل الإنقلاب كانت لتنظيم الضباط الأحرار علاقات متشعبة مع عدد من التنظيمات الجماهيرية ، لكنه لم يكن يتعاون معها ، وبعد الإستيلاء على الحكم ، استغل الضباط تلك الصلات فى تدعيم نظامهم . فبعد أن حصنوا مواقعهم جيداً ، قاموا بحل جميع التنظيمات ، بلا إستثناء ، وبدأوا بالأحزاب البرلمانية وانتهوا بالأخوان المسلمين .

وعندما وقع الإنقلاب لم تكن هناك صلة بين الضباط والجماهير ، وتركت الجماهير على سلبيتها ، ولم تدع لتسيير دفة الأمور ، أو المشاركة فى ارساء الحكم الجديد . وقد منعت المظاهرات منعاً صريحاً فى ٢٥ يوليو ، ومما لا شك فيه أن انقلاب يوليو ١٩٥٢م ، كان تدشينا لمرحلة جديدة من التحولات السياسية والإجتماعية الكبيرة فى مصر ، ولكن لم تقم «ثورة» . ولم يكن الضباط على رأس ثورة ، بل انهم أجهضوها برغم تزييهم بزى الثوار . فبينما أطلقوا ٢١ طلقة تحية للملك عند إبحاره من الإسكندرية فى ٢٦ يوليو ، أطلقوا النار على عمال كفر الدوار الذين كانوا يهتفون للثورة ، وكانت المشانق من نصيب زعمائهم . لقد عقد الضباط الأحرار عزمهم على تأييد سلطانهم فى مواجهة أية قوة أخرى .. سواء من اليمين أو من اليسار . وكان تفتيت قوة الطبقة العاملة مهمة سهلة نسبيا .. كانت قضاء على غريم محتل ، أما كشريك لهم ، أو كبديل . لكن المعركة من اليمين كانت صراعاً ضد خصم عتيد من أصحاب السلطة التقليدية وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل هى تطهير الجيش ، والقضاء على الأحزاب ، ثم الإصلاح الزراعى .

وكان طرد قيادات الجيش أول الخطوات التى اتخذت فى نفس ليلة الانقلاب ، وتواصلت التغيرات الشخصية حتى استبدلت جميع قيادات الجيش تقريبا خلال فترة قصيرة من الزمن . وقد طرد أكثر من ٤٠٠ ضابط : معظم من كانوا برتبة القائمقام ، وكل أصحاب الرتب الأعلى من ذلك باستثناء نجيب الأميرالاى محمد إبراهيم ؛ واحيل عدد منهم إلى المحاكمة ، والباقى إلى الإستيداع ، لم يحل محلهم بالضرورة ضباط من أعضاء التنظيم ، فهؤلاء وهبوا أنفسهم للمناصب السياسية ، وتركوا تلك الرتب لضباط آخرين ممن يثقون فى ولائهم ومن المنافسين لهم مهنيا ، وبهذه الطريقة ضمن قادة الضباط الأحرار ولاء عدد كبير من الضباط ، ونجحوا فى الوقت نفسه فى تحسين أوضاع الجيش .

ويرى المؤرخين أنه من الأحزاب ، فقد لعب ضباط الجيش لعبة القط والفأر ، ففور وقوع الإنقلاب تسابق زعماء الأحزاب فى تقديمهم التهانى لحركة الجيش معلنين تأييدهم لأهدافها .

وسواء كان الباعث على تصرفهم هذا هو إظهار التأييد اعتقاداً بأن الأمور ستظل فى النهاية على ما هى عليه ، أو انهم اعتقدوا بهذه الطريقة أنه يمكنهم الإبقاء على النظام الحزبى وأوضاعهم السياسية والشخصية ، فقد أخطأوا التقدير فى كلتا الحالتين ، إذ أن الضباط كانت نياتهم مختلفة . وفى ٣١ يوليو ، صدرت الأوامر إلى الأحزاب «بتطهير صفوفها» أسوة بالجيش . كان الطلب خدعة ذكية ، فهو ظاهريا ، يعترف بالأحزاب ، ولكنه يخضعها ، عمليا ، لسلطات النظام الجديد ، بل ويلقى ببذور الفتنة فيما بينهم فزعماء الأحزاب لا يمكنهم رفض مبدأ التطهير بعد أن أعلنوا الولاء للنظام الجديد . وبعد أن وقعوا فى المصيدة بقبولهم مبدأ التطهير ، انفجرت الصراعات والخلافات داخل كل حزب حول الأعضاء الواجب

تطهيرهم ، فى وقت إزدادت فيه الضغوط من أجل التوسع فى التطهير ... وهددت الحكومة بالقيام بالعملية بنفسها إذا لم تطهر الأحزاب نفسها بنفسها . وفى ٨ سبتمبر صدر قانون لتنظيم الأحزاب يشترط موافقة الحكومة على برامجها وزعمائها . وسرعان ما ارتجلت الأحزاب القديمة لنفسها برامج جديدة .. قدم الوفد نفسه بإعتباره حزبا ديمقراطياً اجتماعياً سياسياً ، وأطلق السعديون – حزب رجال الصناعة – على أنفسهم «الحزب الديمقراطى الاجتماعى» ولم تضف تلك المهزلة سوى المزيد من المسامير فى نعش الأحزاب . الحزب الوحيد الذى حاول أن يقود معركة هو الوفد تلك القوة الشعبية الكبيرة بتاريخها الطويل فى مقاومة الإنجليز والسراى ، وصاحبة القدرات السياسية العالية . وأصبحت شخصية النحاس عقبة فى سبيل الضباط . وفى الوقت الذى كان الضباط يطالبون بإبعاده ، كانت الصحف الوفدية تتصدرها العناوين المثيرة مثل «لا وفد بدون النحاس» كما أعلن هو بنفسه : «لن تستطيع قوة ، بعد الله جلت قدرته ، ان تنحينى عن هذه المنزلة سوى الشعب دون سواه» . لقد كان الإعلان الحماسى بأنه لا وفد بدون النحاس حقيقياً تماماً ، وهو نفس السبب الذى دفع الضباط إلى المطالبة بابعاده . أما تصريح النحاس بأن الضباط لا يستطيعون حياله شيئاً ، فقد كان نوعا من التباهى ، الفارغ ، فبعد أيام قلائل قام نجيب بزيارة لمدن الدلتا – مسقط رأس النحاس ومركز النفوذ التقليدى للوفد – استقبل خلالها إستقبالاً حماسياً ، كما دب الخلاف بين الوفديين أنفسهم حول قضية النحاس ، وفى ٦ أكتوبر أصبح النحاس «رئيساً شرفياً» للحزب ، بما يعنى نهايته سياسياً .

ويرى المؤرخون أن النحاس لم يخرج من السلطة نظيف اليد ، فقد استغلت زوجته وأقرباؤه منصبه فى تحقيق ثروات كبيرة . وكان يعارض الإصلاح الزراعى ، إلا أنه كان رمزاً لكفاح المصريين من أجل الاستقلال ، ومعارضاً للملك وقائداً لأكبر حزب سياسى ، ولم يكن التخلص منه بهدف التحول نحو ديمقراطية أفضل ، وإنما لاحكام قبضة الديكتاتورية .

كذلك فإن إستبعاد القيادة اليمينية للوفد لم يكن الغرض منه تمهيد الطريق أمام العناصر التقدمية ، وإنما لوضع حد للحركة الشعبية ، ثم كانت الخطوة التالية هى حل كافة الأحزاب السياسية ومصادرة أموالها ، فى ١٦ يناير ، وبعد ذلك بأسبوع – نصف عام على الإنقلاب – قامت «هيئة التحرير» .

وكان قانون الإصلاح الزراعى من أهم الإجراءات التى اتخذت ضد اليمين . وصدر القانون فى ٩ سبتمبر ، فيما بعد ، وبالمقارنة مع الإصلاح الزراعى الذى أنجز فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية – ناهيك عما تحقق فى بلدان الديمقراطيات الشعبية – فإن الإصلاح المصرى كان متواضعا فى توجهاته ، محدودا فى مداه . ومع ذلك فقد نجح فى تقويض الركائز الاجتماعية لسلطة الطبقة التى ظلت تحكم البلاد حتى ذلك الحين . كان ذلك أحد الأهداف الرئيسية من وراء المشروع ، وقد نجح بالفعل فى تحقيقه . صحيح ان ملاك الأراضى ظلوا على ثرائهم ، لكن أوضاعهم اختلفت تماماً . فقبل ذلك ، كانوا يملكون الثروة ويوجهون الأمور فى قراهم بينا يعيشون فى المدينة ويتمتعون بأموالهم فى وقت تتزايد فيه قيمة ممتلكاتهم بإستمرار ، وهم تلقائياً يدخلون البرلمان ويتلقون الرتب والألقاب .. وقد انتهى كل هذا ولن يعود . لقد أصاب الإصلاح الزراعى وغيره من الإجراءات التى اتخذها الضباط القطاع الأكبر من كبار الملاك بالشلل السياسى .

وبعد القضاء سياسيا على الأسرة المالكة ، وكبار الضباط ، وملاك الأراضى والأحزاب ، وخنق الحركة العمالية فى مهدها ، لم يعد هناك أدنى لبس حول من هم الحكام الحقيقيون للبلاد . وكالعادة فى الأنقلابات العسكرية ، وعد الضباط الأحرار بالعودة إلى ثكناتهم فى الوقت المناسب .. فالبيان الأول فى ٢٣ يوليو يؤكد على أن «الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور» . وفى بيان صدر يوم ٢٥ يوليو أعلن أن الاجراءات التى اتخذها الجيش «مؤقته» وكل الذين يتولون مواقع القيادة فى هذه الحركة المباركة سوف يعودون لإداء واجباتهم المعتادة عندما يطمئنون الى تسليم البلاد ليد أبنائها المخلصين . كما صدرت فى أواخر ١٩٥٣م بيانات مشابهة حول إعادة الحياة البرلمانية وإجراء الإنتخابات فى مستقبل قريب .. الخ . لكن الأمور كانت تسير ، عملياً ، فى إتجاه معاكس تماماً . ومن حيث المبدأ ، كان هناك خيارات ثلاثة أمام الضباط : النقل التدريجى للسلطة إلى آخرين ، أو السماح لقوة أخرى بمشاركتهم الحكم ، أو دعم سيطرتهم الفعلية على البلاد . وقدا اختاروا البديل الثالث ، ولم يكن اختيارهم هذا بسبب غياب خيارات أخرى أمامهم .

كانت وزارة على ماهر كلها من المدنيين . وقد إستقالت هذه الوزارة فى ٧ سبتمبر فقد رفض على ماهر ومعظم أعضاء وزارته الموافقة على قانون الإصلاح الزراعى ، وطلب إليهم ترك الوزارة ، وتشكلت وزارة جديدة فى نفس اليوم برئاسة نجيب ، إضافة إلى توليه وزارتى الحربية والبحرية ، مع الإستمرار فى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة . وألقى القبض على العشرات من أعضاء الأحزاب السابقين .

وفى يونيو ١٩٥٣م ، وفى يوم اعلان قيام الجمهورية ، أدخلت تعديلات كبيرة على الحكومة ، احتفظ نجيب ، الذى أصبح رئيسا للجمهورية ، برئاسة الوزارة ودخل الوزارة ثلاثة وزراء من الضباط : ناصر نائبا لرئيس الوزراء ، والبغدادى وزيرا للحربية ، وصلاح سالم وزيرا للإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان ، ورقى عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء ، وعين قائدا عاما للقوات المسلحة . وفى أكتوبر إنضم إلى الحكومة اثنان آخران من الضباط : جمال سالم وزيرا للمواصلات وزكريا محيى الدين كوزير للداخلية مع منحه صلاحيات واسعة فى إدارات البوليس والمباحث . وقد استمرت هذه الصلاحيات بيده منذ ذلك الحين ، سواء كان وزيرا أو نائباً للرئيس أو رئيساً للوزارة ، وحتى سبتمبر ١٩٦٦م .

وفى إبريل ١٩٥٤م ، تشكلت حكومة جديدة ، وأصبح ناصر رئيساً للوزارة التى بلغ عدد الضباط فيها ثمانية ، بخلاف نجيب الذى ظل رئيساً للجمهورية . وكان الوزراء الضباط الجدد هم : حسين الشافعى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين .

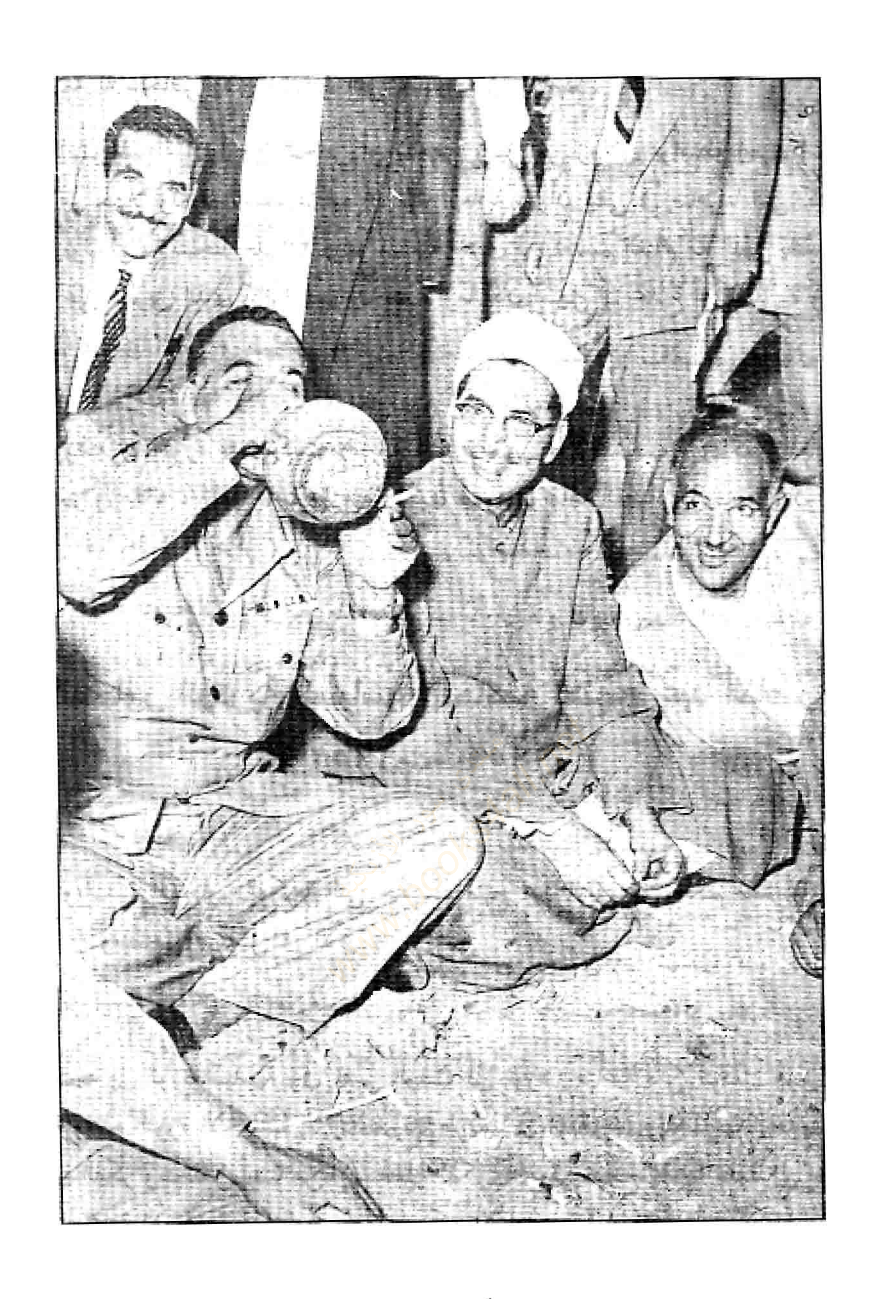
وفى سبتمبر ١٩٥٦ ، بعد إقرار الدستور الجديد خلع الضباط الزى العسكرى وصاروا يرتدون ملابس مدنية ، وكان نجيب قد خرج من الحكم وتم تصفية أغلب القوى السياسية المعارضة . ولم تضرب خصومها ضربات قاتلة وقد كانت - ولازالت - تستطيع ، وأسرعت فأعلنت أنها تهىء الناس للحرية وتعدهم لحياة نيابية نظيفة فى المستقبل القريب .

ومضى البناء قويا ، كان كل يوم بعام .. ورفعت مصر عن كاهلها ذلك الذى كانوا يسمونه الروتين .. وأكد جمال فى كل خطبة وفى كل مناسبة أن كل وضع استثنائى سيزول وأنه يعد البلاد لحكم ديمقراطى سليم :

«إنها مرحلة تنتهى معها الإجراءات الإستثنائية التى كان لابد أن تصاحب الدور الأول للثورة ، الدور الذى كان عليها فيه أن تؤمن نفسها ، وحين أقول تؤمن نفسها فإنى أعنى الأهداف ولا أعنى الأشخاص ، الأهداف التى كنت أريد تأمينها هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، والتى قامت من أجلها كل ثورة فى التاريخ الإنسانى وهى أن يحكم الوطن بواسطة أبنائه من أجل أبنائه ، بعقل وعدل ، وأنا لا يعنينى أن أؤمن الأشخاص فأنا أرى



النزول من السيارة .. أمام منزله عام ١٩٥٣



عبد الناصر يعلن تأميم شركة قناة السويس

أن لا قيمة للأشخاص إلا بالمبادىء التى يحملونها فى قلوبهم .

لو كانت المسألة أن أؤمن شخص أو شخص زميل من زملائى بواسطة إجراء إستثنائى لكان الأمر سهلا ولكان أبسط ما فيه أن نؤثر العافية . وأن نبقى فى مناصبنا التى كنا فيها قبل ٢٣ يوليو ، ولأنتهجنا بعد ٢٣ يوليو سياسة أخرى فيها نقتسم الغنائم مع الذين يقتسمونها أو نسير على الطريق الذى كانوا يسيرون فيه ، وما كان أسهل أن نخدع أو نضلل ، ونأخذ مع ذلك تصفيق الناس ورضاهم ..» .

والمعروف أن الثورة قد شكلت (محاكم للثورة) و(محاكم للشعب) لمحاكمة المعارضين لعبد الناصر وزملائه ، ولقد عاب عليه المؤرخون قسوتها وتفاهة القضاة بها خاصة وأن أغلبهم كانوا من الضباط (الأحرار) .

المحاور الفكرية السياسية الحاكمة لمنهج عبد الناصر
(١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

* هذا وبالنسبة للمحاور الفكرية التى حكمت منهج عبد الناصر فى حكم مصر فإنها وفقا لكلماته - وبنصها - تتمثل فى الآتى :

* أننا نتجه إلى ثورة سياسية وفى نفس الوقت إلى ثورة إجتماعية ولن تتحقق هذه الثورة السياسية وهذه الثورة الاجتماعية إلا إذا تغيرت طريقتنا فى التفكير ، وبدأنا عهدا جديدا مبنيا على حرية الفكر ونتخلص أيضا من الإستعمار الفكرى ، ولن ننجح إلا إذا نظرنا إلى المجموع على أنه الدعامة الأساسية لهذا الوطن ولن نتمكن إلا إذا عملنا عملا قويا فى بناء الجماعة .

* نحن نؤمن إيمانا عميقا بالفرد ونؤمن أيضا فى نفس الوقت أن الوطن لن يكون قويا إلا إذا كان الفرد قويا ونؤمن أن واجبنا يحتم علينا أن نعمل على تقوية الفرد حتى يصل إلى تقوية الوطن فى جميع الميادين .

* هدفنا الأكبر أن يتساوى كل فرد مع أخيه فى الحقوق ، وأن يشعر كل فرد أن هذا البلد بلد لا عبيد ولا أسياد ، نريد أن يشعر كل مواطن أنه حر فى تفكيره ، حر فى عرق جبينه لا يتحكم فيه آخرون يشترونه ويتحكمون فى مستقبله .

* إن هذه الثورة تهدف إلى العدل والمساواة وتمكن جميع المواطنين من الفرص المتساوية لكسب الرزق الحلال ، وتيسير لقمة العيش لهم وهذا لا يتأتى إلا بمضاعفة ثروة بلادنا ، ونحن فى سبيل تحقيق هذه الأهداف كان لابد من هدم الفساد والملكية والأحزاب التى إحتكرت المنفعة الذاتية لنفسها ، وكان لابد أن نتخلص من أعوان الإستعمار الذين تاجروا بوطنيتكم من أجل مصالحهم الشخصية .

* إننا عازمون على تطهير منزلنا وتقوية أنفسنا كمجتمع حر بعد أن حرمنا سنوات طويلة تلك المعونة وتلك الحرية نتيجة لتلك شئوننا فى أيدى دخلاء يتصرفون فيها ويعبثون بها .

« إقتصدوا فى عواطفكم »

نطالب المواطنين بالمعرفة وتعمق الأمور حتى لا يتمكن أعداؤنا من خديعتنا مرة أخرى ، وأن هذه الأمة التى صمدت للمتاعب والألام أربعمائة سنة لهى أمة عريقة .

* إننا نعمل على تطهير مظاهر الحياة والنفوس من النفعية والإستغلال وأرجاس الماضى التركى والإنجليزى ، ورواسب التعفن السياسى جميعا ونبدأ بناء الشخصية المصرية من جديد دون عودة إلى التبشير بالأشخاص دون المبادىء حتى لا تميع ثورتنا كما ميع السياسيون ثورة ١٩١٩م ، وأنا أعلن أننى شخصا زائل أما الأهداف والأمال فهى الباقية .

* اعلنها صريحة إن هذه الثورة هدفها الأول هو الديمقاطية لأننا نؤمن بإرادة الشعب وقوته ولكن لن تكون للشعب قوة ولن تكون له إرادة إلا إذا أحس بالديمقراطية .

* لقد إستبد بنا التواكل مدة طويلة لأن أثار السياط على ظهورنا لاتزال تؤثر فى نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

إن الإستعمار التركى والإستعمار الإنجليزى أوجدا فينا فئة من الطغاة ، وفئة من المستسلمين ، فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الأستسلام .

* إننا أيها المواطنون لم نفكر لحظة واحدة فى الديكتاتورية لأننا لم نؤمن بها أبدا فهى تسلب الشعب إرادته وقوته .

* إذا تسلحنا بالمعرفة أمكن أن نتلافى خداعا كثيرا ونعلم من هو المخادع ومن هو الصادق فنطالبكم بالتعمق فى الأمور والمعرفة .

* إن الاربعمائة سنة الأخيرة كانت سنين شدادا على آبائنا وأجدادنا لأن هذا البلد كان يحكم لغير صالح أبنائه بل لصالح الغزاة .

* إن المبادىء السليمة لابد أن تنتصر مهما كانت المصاحب التى أمامها ويكون النجاح قريبا وسهلا إذا أحس كل فرد من أفراد الوطن بقيمته كفرد من المجموع وأحس فى نفس الوقت بقيمة الآخرين .

* إن ثورتكم هذه وإن اتشحت بالرداء العسكرى إلا أنها ثورة أخلاقية تهدف إلى تقويم ما فاتنا وخلق المواطن الصالح ، ولا شك أن أول خطوة فى سبيل خلق المواطن الصالح هو منحه الحرية فى إبداء رأيه .

* إذا أردنا أن نحافظ على العزة والقوة فلابد أن نحرر العقل من كل آثار الماضى البغيض وأن نتجه إلى سياسة جديدة تبدأ من النشىء وبهذا يمكن أن ننشىء وطناً كريماً يتمتع فيه المواطنون بالعدل والمساواة .

* إننا نحتاج إلى العمل والجهد والعزيمة حتى نحقق العزة التى ننادى بها ، إننا نحتاج إلى العمل وإلى الجهد ، وإلى كل فرد لنسير فى الطريق الشاق الذى لم نقطع منه شيئاً ، فإننا ما زلنا نمهد فيه ونعده ليكون الطريق إلى العزة والكرامة .

* لسنا موظفين ولكننا أصحاب رسالة ، نموت ونحن نكافح من أجلها . لقد قمنا بثورتنا يوم ٢٣ يوليو ونحن نعرف أننا قد نموت ، ولكننا آثرنا الموت والتضحية من أجلها ، ولكن الله لم يرضى أن يتخلى عنا ونصرنا أكراما لكم وللزمن الطويل الذى كابدتم فيه ألوانا من الظلم والإرهاق .

* أطالبكم يا شباب بأن تكونوا واعين أقوياء تحكمون العقل وتحكمون الفكر .

* إننا لم نعمل حتى الآن عملا يذكر ، بل إننا حتى الآن نمهد الطريق لنراه طريقا مستقيما يوصلنا إلى الحرية والكرامة والعزة .

* إن ثورتنا فى ٢٣ يوليو ليست إلا نقطة الإبتداء دفنا فيها الماضى ليخرج المستقبل إلى النور والمستقبل وديعة فى أيدينا وأمانة فى أعناقنا .

* اجدد العهد على أن نكون لكم وبكم ، أن تكون لكم خداما يعملون لوطنكم ، ويسهرون

من أجل أولادكم ، ويشقون فى سبيل مجدكم ، وأن نكون خداماً صغاراً إن طمعوا ففى شرف الخدمة ، وإن زاحموا ففى سبيل العمل الصالح متأسين بقول خاتم الرسل والنبيين : «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين» .

* لقد نسى بعضنا الماضى ونسى ما كنا نكابده فيه ، وهذا النسيان أخطر علينا من أعدائنا فإن أعدائنا نعرفهم ، ومظهرهم وحده يحفزنا إلى دوام اليقظة ، أما النسيان فيسلمنا إلى الإسترخاء والإستسلام .

* أريد منكم أن تحاسبونا على الملاليم والجنيهات وأن تقيسوا أعمالنا بالأمتار والأطنان والأرطل فنحن نبنى ونقيم ، نحن نؤسس ونوسع ونرمم ، وهذا كله عمل شاق يحتاج إلى معونتكم وإيمانكم ، ولسنا نود أن نشترى ثقتكم الغالية وتعاونكم المنشود بثمن بخس ، وإنما نريد أن ندفع فيه عرقا يتصبب من الجبين ، وسهراً مراً ، وعملاً متصلاً ، ونحن ندفع هذا الثمن راضية به قلوبنا طيبة نفوسنا لأننا نعرف أن من ورائه مجدا لهذه الأمة وعظمة لهذا الشعب وكرامة لهذا الوطن الذى نفتديه بالمهج والأرواح .

* ما جئنا اليوم نلهب العواطف ونثير الغرائز ولكنا جئنا هنا لنلتقى بكم ولنتحدث إلى عقولكم لا نريد أن نلهب العواطف فطالما سمعنا هتافا طالما هللنا فماذا كانت النتيجة . أننا نطالبكم بالنظام لنسير متمسكين بالوعى حتى نحقق الأهداف تاركين الهتاف بالأسماء .

* استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى الذى أشاعه حفنة من المضللين .

استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى ونحن نهدف بهذا إلى حياة سياسية سليمة واستطعنا أن نحرر الغالبية العظمى لهذا الوطن .

* إن نزعات آثمة وأفكارا شريرة ومذاهب مدمرة تزحف اليوم إلى عقولنا وقلوبنا من بلاد قريبة أو بلاد بعيدة لتحطم فى نفوسنا الإيمان بالمثل الإنسانية الرفيعة وتخدعنا عن حقيقة وجودنا الروحانى فى هذه البقعة من العالم التى خصها الله برسالته وأنبيائه وجعل أهلها رواد الحق والخير والجمال والفضيلة للبشرية كلها .

* إن هذا الشعب الذى كافح السنين الطويلة قد خلف حرا ليعيش حرا ولن يقبل فى يوم من الأيام أن يكون عبداً .

نعم إن أبائنا وأجدادنا قد ثاروا فى الماضى وكافحوا ولم يظفروا بنتيجة ثورتهم ويجب أن نتعلم من ظروفهم وأن نتبصر أمورنا وأن نتبين طريقنا وأن نتخلص من الأخطاء ونجتاز الصعاب التى صادفتهم .

وإننا لنعلم يقينا أن هذا الشعب قد استعبدته فئة طالما أبتزت منه الرزق ، ومعت عنه لقمة العيش وهذه الفئة مستعدة لإستعباده مرة أخرى متى سنحت الفرصة .

ولكننا إذا تبصرنا أمورنا ونظرنا إلى الماضى وأخذنا منه العبرة وانتفعنا بدروسه بهذا فقط نستطيع تحقيق أهداف ثورتنا وهى القضاء على الإستبداد السياسى والظلم الاجتماعى والإستعمار البريطانى .

أحب أن أؤكد لكم إن الطريق التى نسير فيها لنتخلص من هذه المآسى شاقة وطويلة ولكن بالإيمان والصبر والتعاون سنتمكن من هذا كله .

* الصبر والعزم والوعى لا يمكن الرجعيين أن يعودوا بنا إلى الوراء ، إن الرجعية والحزبية يتربصان بكم الدوائر فتسلحوا بالروح العالية حتى لا يتمكن أعوان الإستعمار أن يرفعوا رؤوسهم من الجحور .

* بدأنا نؤمن بضرورة التخلص من الفردية ومن القضاء على هذه المعانى البغيضة التى عمل الإستعمار على تأصيلها فينا وبدأنا نؤمن بالقوة وبذلك شعرنا أننا فى طريقنا إلى التخلص من كل الرواسب القديمة التى تركناها وراء ظهورنا فإننا سننشىء مصر العظيمة التى يشعر كل فرد منها بالعزة والكرامة .

* إنى اطالبكم بألا تطمئنوا مطلقا لأن الأطمئنان قد يبعدنا عن هدفنا فإن الجهاد يشعر بالإطمئنان ولذلك لا نتحرك ، ونحن فى هذه الظروف المحيطة بنا يجب ألا نشهر بالإطمئنان لأننا لا نستطيع أن نخيف أحدا إلا إذا عرفنا الخوف وعرفنا كيف نخيف أعدائنا .

* لقد قضت الثورة على الرجعية والإستبداد ونفوذ رأس المال . وعلينا ألا نسمح بهذه المآسى أن تعود وأن نتعمق فى كل شيء حتى لا نخدع مرة أخرى ونمسى ونصبح فإذا ثورتنا زوبعة مرت بمصر يوم ٢٣ يوليو ثم انقضت دون أن تترك جذورا ثابتة أو أثارا نافعة .

* نحن شعب قوى ينقصنا أن نصحح شخصيتنا ، ما أحوجنا إلى التخلص من روح الطغيان والإستبداد ، وهذا يتطلب من كفاحاً طويلاً مريراً يقوم على أسس من إدراك الواجب وإنكار الذات .

* إن فى هذا الشعب فئة من الناس أشد خطراً عليه من ألد أعدائه هى الفئة التى خلقت الطغاة السابقين ، فإن الطغاة الذين ظهروا فى بلادنا فى الماضى لم يستمرءوا الطغيان ، و لم يتشبثوا به إلا لأن ، بعض الناس أغروهم عليه ويسروا لهم سبله .

* إن الثورة تريد من الشباب العمل اليقظ والتطلع إلى المستقبل ورقابة الزعماء والحاكمين

وحسابهم إن أخطأوا أو ضلوا ومنحهم الثقة بهم إن أحسنوا وساروا فى الطريق المستقيم .

* إن الجيش هو عنوان شرف الأمة وهو قبضتها التى تضرب بها المهاجمين وتلوح بها فى وجه المتربصين ، وهو آخر الأمر خلاصة ما فى الشعب من قوة وثروة وعلم وأخلاق ، فلن يكون فى أمة ضعيفة جيش قوى ولن يكون جيش ضعيف فى أمة قوية .

* إن مستقبل الشوب لا ينى على التمنى وإنما يقوم على القوة والعلم والإغتصاب ، والله لم يخلصنا عبثا أو إرتجالاً أو مصادفة ، إنما جئنا إلى الدنيا نحمل رسالة الجندى والقائد المصلح والمؤمن القوى الأمين .

* إن مبادىء الثورة تتركز فى أن يتمتع شعب مصر بحياة ديمقراطية صحيحة بدلا من الدكتاتورية البرلمانية التى عانا منها سنوات طوالاً ، ونحن الآن ما زلنا نبث مبادى الديمقراطية فى الشعب ولما نتعد بعد فترة الإنتقال .

* إذا استطعنا أن نخلق هذا الجيل من الشباب القوى الوطنى المؤمن بنفسه ووطنه جاز لنا أن نطمئن إلى أن هذه البلاد لن تنتكس أو تعود إلى الوراء .

وما كان الاستباق وراء العواطف إلا الطريق إلى الخداع والضلال وكم خدع الشعب فى الماضى لأن حكام البلاد كانوا يستغلون عواطفه ويخدعونه .

وعن الإتهام الذى وجه خلال هذه الفترة لعبد الناصر بأنه كان ديكتاتوريا وذلك بسبب أسلوبه فى التخلص من خصومه ، نراه يقول فى مذكراته (مصدر سابق) :

أنا لست دكتاتورا ، ولا أريد الدكتاتورية ، لقد دعا مجلس الثورة الأحزاب غداة الثورة إلى تحمل المسئولية فأبت إلا أن تسير على الطريق الذى إعتادت السير عليها ، إنها تريد أن تفعل الخير عن طريق الشر ، وما كانت طريق الخير فى أى يوم من الأيام سوى الخير نفسه ، إنهم يتحدثون عن الديمقراطية فهل الديمقراطية فى بقاء الجهل . وهل الديمقراطية فى بقاء الأقطاع . وهل الديمقراطية فى بقاء الفقر .

كيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن نستعبد ملايين الفلاحين . وكيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن لا نعرف للعامل حقا ونحرص على أن نملك حق طرده فى أى يوم وفى أية ساعة .

لقد كنا فى الماضى نحكم ديمقراطيا . كان لنا ملك . وكان لنا مجلس نواب ومجلس شيوخ . فهل هذه هى الديمقراطية التى نريدها . هل نعود إلى ما كنا عليه ، وفيم كانت الثورة إذن .

أما كان فى وسعى أن أقيم حكما ديمقراطيا نيابيا على الأسس القديمة نفسها . أو حتى على أفضل منها . أما كان فى وسعى أن أجمع مجلسا نيابيا لمجلس الثورة فيه أغلبية كبرى . ولكنى لا أحب هذه الأساليب .

إن للثورة مبدأ مقرراً ، هو أن تحرر الفرد المصرى من كل عبودية وحتى تطمئن الثورة ، إلى أن الفرد المصرى قد تحرر فعلا . وأنه أصبح قادرا على أن يفرض ما يريده هو كمواطن ، له كل الحقوق التى يتمتع بها أى مواطن آخر ، حين أطمئن إلى هذا تكون رسالة الثورة قد بلغت غايتها .

إن الثورة ما قامت لتطرد فاروق وحده من مصر ، وإنما قامت لإنقاذ مصر ، ويجب ألا تتهم الثورة بالإجرام لمجرد إنها لا تريد إعادة الأوضاع الفاسدة إلى ما كانت عليه . يجب أن تئدى واجبها حتى النهاية . وهذا الواجب لا يمكن أن يئدى كاملا إذا لم يعرف الشعب المصرى حقوقه وواجباته وإذا لم يتحرر نهائيا من سيطرة السيد .

الديمقراطية ليست فوضى ، والحرية ليست حرية الفرد فى أن يفعل ما يشاء .

إن للديمقراطية حدودا . كما إن للحرية حدودا . وفى نطاق هذه الحدود تعمل الثورة . إن ثورة مصر ، هى ثورة الشعب ، لا ثورة جمال عبد الناصر .

حين تولينا الحكم . لم نتصل بأجنبى لنستعين به على الشعب . وإنما استعنا بالشعب على الأجنبى . وكان علينا أن نطهر البلاد من الفساد ، وطهرنا ما أمكنا منه وكنا مؤمنين بأنه لا سبيل إلى القضاء على الأحتلال الأجنبى وعلى الخونة وقد فعلنا .

وحين أدرك المستعمر أنه لم يبق لهم من يعتمدوا عليه فى البلاد ، حين أدركوا أن عيونهم فى البلاد قد فقدت نورها ، وإن أيديهم قد بترت ، يومها فقط ، شعروا بأنه لا سبيل للبقاء . ويومها فقط شعروا بأنه لا مناص من الرحل فكان الجلاء .

ولكن الجلاء لا يتحقق بوثيقة .

إن خطره يظل قائماً مادام فى البلاد جندى أجنبى واحد .

ولكى نحدد المحاور الفكرية أكثر نرصد ما يقوله عبد الناصر من أقوال تحدد حقيقة شخصيته المحيرة سياسيا والهامة خلال هذه الفترة من تاريخ مصر . أنه يقول :

لا أسرار فى السياسة وليعرف الشعب كل شيء .

«لقد مضى الزمن الذى يمكن أن يعيش فيه السطحيون ..» .

«قوى الخير ستنتصر حتما وتدوس قوى الشر بالأقدام» .

«قلت لكم فى مارس الماضى ، أننا لن نخادع ، أو نضلل أو نستجدى ، قلت لكم هذا فى أصعب الأوقات ، كنت أحمل فى نفسى كل هذا ، وكنت أعلم أن هناك فئة تستجدى ، حتى إذا تمكنوا منكم فإنهم يستبدون بكم وبأرزاقكم .

إن بلادنا اليوم تحتاج لكل فرد من أبنائها ، تحتاج كل فرد فى أبنائها فكريا وعقليا ونفسيا .

لن تكون هناك حرية إلا إذا تحررت الأرزاق وتحررت لقمة العيش وشعر كل فرد أنه يعيش فى وطن تتكافأ فيه الفرص ، ويستطيع أن يقوم ما يريد ولا يحيا مهدداً فى رزقه ولا فى أولاده أو فى مستقبله .

«لا يجب أن يتنحى أى فرد منا جانبا من الحياة» .

ولما سأل عن أمله فى الحياة أجاب هذه الإجابة الحاسمة .. أن أرى الفرص متساوية متكافئة أمام جميع المواطنين الأحرار . وأن أرى أبناء مصر يعملون جميعا لبناء دولتهم شاهقة جبارة ، متساندين متكاتفين وإن أرى الأنانية والحسد والحقد والضغينة المتفشية فى مجتمعنا قد انتهت إلى غير رجعة .

وهو محدد التعبير حين يصور أمرا خطيراً ، تحس فى تعبيره مدى الوضوح الذى فى نفسه .. «هذه الثورة منذ أول يوم وهى لا تزال عاملة على إرساء قواعد هذه الحرية بأكمل معانيها فهى قد عملت على إقامة حكم العمل لصالح الجماعة .. أما القضاء على الأقطاع وعلى سيطرة رأس المال فقد بدأت الثورة طريقها إلى هذا الهدف واستطعنا بعد صراع طويل فى النواحى السياسية والاجتماعية أن نبنى هذه الأسس وهذه المبادىء» .

والحزبية ما هى :

يقول جمال عبد الناصر «لقد كانت الحزبية والحزبية وحدها هى السبيل الذى استطاع به الإستعمار أن يتمكن من أراضينا . لقد كانت الحزبية هى العامل الأول الذى صرف هذا الوطن عن أهدافه وحريته التى نادى بها فى ثورة ١٩١٩م .

والحزبية هى الداء الذى حول معنى حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية . وكانت الحزبية أقلية تتحكم فى الأغلبية ، وكان الحكم قائماً لصالح الأقلية ، من أجل هذا تحكم فينا الإستغلال وتحكم فينا الإستبداد وتحكم فينا رأس المال وتحكم فينا الذين كانوا يرون مصالحهم تتحقق على حساب مصالح الأغلبية ..» .



عبد الناصر فى منزله .. ١٩٥٣

ويصور جمال عبد الناصر الحكم بعد فترة الإنتقال :

«لن يكون حكما حزبيا ولكنه سيكون حكما قوميا» إن الديمقراطية التى قمنا من أجلها فى ٢٣ يوليو ديمقراطية سليمة نظيفة لا تسمح للأجنبى بالتدخل ولا للمستغل بالتحكم . إنها ديمقراطية قوية من أجل مصالح الأغلبية غايتها تحرير الفرد ، تحرير الرزق ، عدالة حقيقية ، وحرية فردية ، وحرية جماعية .

وفى يناير ١٩٥٦م لن تكون فى مصر أحزاب ، بل سيكون هناك برلمان يعمل للوطن وللأغلبية ، لا يعمل لرأس المال ولا للأقطاع أو تحت توجيه أى قوة خارجية شرقية كانت أو غربية ولكنه سيعمل لمصر وحدها .. سيكون هناك جيش وطنى لحماية هذا الوطن لا لحماية حكم أو حكام لأنكم حينما قمتم بهذه الثورة قمتم لتحقيق أهدافها ولتثبيت هذه الأهداف ..» .

وحينما رفع العلم المصرى على الشلوفة هزه هذا المعنى الضخم كخطوة كبرى فى تحقيق الجلاء فقال :

«الحرية ليست كلمة تقال ، ولكنها جهاد وعمل ، جهاد أمة وعمل شعب هذه الحرية التى نشعر بها اليوم ، نشعر بها فى كل شعرة من أجسامنا . سنحافظ عليها ، وسنعمل على تقويتها فى هذا الوطن ، هذه الحرية التى تسعطينا القوة فأننا حينما نشعر أننا قد تحررنا تحرراً كاملاً ، تحرراً داخلياً وتحرراً خارجياً ، وتحرراً من كل الإستغلال فى الداخل ، وتحرراً من الإحتلال الأجنبى ، حينئذ نشعر أن الوطن أصبح ملكا لنا جميعا .

وقال عن الجيش الذى تمنيناه فى ٢٣ يوليو هو جيش وطنى لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمى الحكم والأفراد ولكنه سيحمى مبادىء هذه الثورة ومثلها العليا التى قامت من أجلها للشعب ..» .

وقال عن الجيش :

الذى تمنيناه فى ٢٣ يوليو هو جيش وطنى لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمى الحكم والأفراد ولكنه سيحمى مبادىء هذه الثورة ومثلها العليا التى قامت من أجلها للشعب .. » .

ووقف جمال عبد الناصر فى معمل القزاز حيث بدأ يوزع أراضى الإصلاح الزراعى فقال :

تحديد الملكية التى تخلصنا بها من الإقطاع والإقطاعيين الذين طلوا سنين طويلة فى هذا البلد يعبر عن معنيين رئيسيين المعنى الأول هو الحرية السياسية والتخلص من الإستبداد

السياسى وهذه الأرض هى العامل الأول دائما فى التوجيه السياسى فى هذا البلد والفلاح الذى كان يشتغل فيها ينظر إلى صاحب الأرض على أنه الرجل الذى يتحكم فيه ، وفى رزقه ، وكأن لا يستطيع أبدا بأى وسيلة أن يتخلص من التوجيه السياسى الذى يشير به عليه وكأن هذا التوجيه ينحصر فى نتيجة واحدة هى تحكم الإقطاع فى الحكم وتحكم الإقطاع فى سياسة الدولة .

هذه الأرض ليس معناها تمليك الأرض ولكن معناها التحرر والحرية ، التحرر من الظلم السياسى والحرية من التحكم فى الرزق والحرية فى التحكم من لقمة العيش ..» .

وفى مهرجان آخر للتوزيع أخذ يصحح الأخطاء التى وقع فيها بعض الناس ويربط الماضى بالحاضر ، لقد سلب محمد على الأرض من أصحابها وجاء جمال يعيدها إليهم :

«.... لقد سمعت من يقول إن الأرض ردت إلى أصحابها الفلاحين فى غمضة عين ، ولكن هذا إعتقاد خاطىء ، فالأرض التى توزع الآن كافح فى سبيل إستردادها أباؤنا وأجدادنا كفاحاً طويلاً مريراً شاقاً كانت له ضحايا فى الأرواح والأبدان بالمئات والألوف ذاقوا من مرارة الحرمان كؤوسا مترعة ، ولم تقعدهم الهزائم التى صادفتهم فى هذا الزمن الطويل عن مواصلة الكفاح لاسترداد الحقوق المغتصبة .

ارجعوا إلى مصر محمد على وأذكروا ما فعل ، أنه جمع مستندات تمليك الأرض من أصحابها وأحرقها وأصبح هو المالك لأرض مصر ثم بدأ يوزع الأرض على البطانة الأجنبية التى أحضرها معه من الخارج .

كانت معركة استمرت عشرات السنين ، وكان لها ضحايا ، فكيف يقال إن النصر جاء فى غمضة عين ، وكيف ينسى الذين ماتوا من الجوع والتعب والأذى والذين هاجروا من ديارهم التماسا للأمن والظلم يطاردهم .

بإسم هؤلاء الضحايا ثرنا نحن أبناء الفلاحين وكانت ثورتنا خاتمة هذه المرحلة الطويلة من الألام والعذاب وقد كللها الله بنصر من عنده .» .

وهو لا ينسى أبداً أن يذكر الناس باليقظة والحرص .. «يجب ألا نطمئن أبداً ، لأن الطمأنينة تدعو إلى التكاسل ، وإذا تهاونا إنقض علينا الإقطاع مرة أخرى ، وأنشب أظافر الاستغلال فى أعناقنا وعاد يتحكم فى أرزاقنا وفى حرياتنا ..» .

والصحافة التى قيل إنها أخرست فى تلك الفترة يرى بشأنها جمال عبد الناصر :

«لقد كنت أؤمن دائما أن مهمة الصحافة ليست مجرد سر الأخبار ، ومتابعة تطوراتها يوما بعد يوم ، ذلك جزء هام من طبيعة عملها لا أستطيع أن أنكره أو أقلل من أهميته ، ولكن أول واجبات الصحافة الرشيدة فى البلد الرشيد ، أن تكون له بمثابة الأنوار الكاشفة على طريق الغد .

والمعلمون والتعليم : ماذا يقول فيها جمال عبد الناصر :

يقول «... إذا كنا قد حررنا الأرض من الإحتلال ، وإذا كنا نريد أن نحتفظ بهذا النصر فلابد أن نحرر العقل والنفس من آثار الإحتلال والإستعباد وهذه رسالتكم أيها المعلمون» .

إننا لم نخادع و لم نضلل ، ولكن سنتمسك بالمبادىء والمثل العليا ونطالبكم بالمبادىء والمثل العليا وأن تعلموا النشىء ألا يخادع أو يضلل ، وبذلك نحقق قيام الوطن الذى يتساوى فيه الجميع .

وهو يصور مسألة استخدام الدين فى التوظيف السياسى فى مصر قبل الثورة ...

كنا قبل الثورة تائهين نشتكى لبعضنا وينتهى العمل بمجرد الشكوى ، وكانت النتيجة خضوعاً .

فباسم الخلافة والاحتلال التركى ضحكوا علينا باسم الدين وقضوا على الأخلاق وانتشرت الرشوة ونحن كشعب طيب كنا نصدق وكان المصير الإستغلال والإستعباد ، تحكموا فينا كأفراد وربوا فى أنفسنا الخوف والفزع .

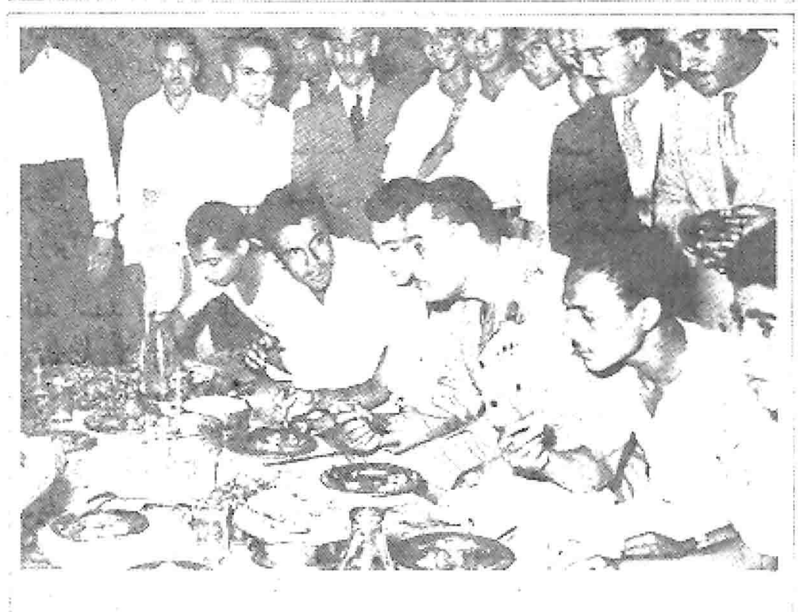
«.. لقد استبد بنا التواكل مدة طويلة ، لأن آثار السياط على ظهورنا لا تزال تؤثر فى نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

وإن الإستعمار التركى والإستعمار البريطانى قد أوجدا فينا فئة من الطغاة وفئة من المستسلمين فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الإستسلام ..» .

وهو يقول فى مصلحة مصر :

«.. لو هيأت لى الأسباب كلها لبدأت أن أجعل لكل فرد من هذه الأمة كيانه الذى يشعره بأنه عضو نافع له قيمته بين مواطنيه فبهذا يستطيع أن يشعر كل مواطن بأن مصر ليست ملكاً لأحد غيره وإن عليه أن يحمى حماها أو يغنى فى الدفاع عنها ، ولن يتأتى هذا إلا إذا أصبح الفرد فى مستوى من المعيشة يليق بآدميته ، هذا أول ما أطمع فى تحقيقه





عبد الناصر فى لقطتان مع طلاب المدارس ١٩٥٤

لا لإسعاد الأفراد فإن كان كل إنسان منا إلى زوال بل لإعزاز مصر ، ولتمكين مجدها وسؤددها إلى آخر الأبد ...» .

ويتكشف جانب من نفسيته عندما يتحدث فى الإجابة على سؤال وجه إليه عن طريقته فى الراحة بعد التعب .

«.. لا أظن أن لى طريقة فى الراحة بعد التعب فحياتى كلها تعب ونضال .. ولا أظن أننى استمتعت بالراحة التى يتمتع بها سائر عباد الله على كثرة ما صادفنى من أحداث كانت تعكر لحظات راحتى وتستنهضنى للكفاح» .

ولو وازن الإنسان بين مقتضيات الراحة والكفاح لخرج من هذه الموازنة بنتيجة واحدة هى أن المحن فى حياة الشعوب كالمحن فى حياة الأفراد لا تدع لهم وسيلة للإستقرار ..

لقد كانت مصر مثقلة بالأخطاء ، بعناصر الفساد تنخر من الداخل ، وكان الإستعمار يجثم فوق صدرها ويستغل مواردها ويفسد علاقاتها بالدول الأجنبية .

وكان هذا الوضع لا يرضى أى مصرى حر ، فإنشغل باله وحرم الراحة على نفسه ثم إندفع فى طريق طويل مرير . عساه يجد ما يخلصه من الفساد والمفسدين ، حتى إذا نجحت ثورة مصر وارتحنا من الفساد فى الدالخل ولم يبق إلا أن نستكمل راحتنا بعد أن يغادرنا ديارنا آخر جندى بريطانى ولن يطول بنا إنتظار الراحة المرجوة .

وفى ذلك اليوم فقط سأشعر بالراحة ..

وعن رأيه فى المرأة يقول :

«إن مجتمعنا يخلو من المرأة الموحية مجتمع عقيم لا ينجب عظيماً» ولا صاحب موهبة ، فالمرأة هى التى تصنع العظماء وتهب لهم المواهب العظمى لتصنع بهم المستقبل العظيم للوطن .

وقد كانت المرأة المصرية قبل ٢٣ يوليو تعمل فى نطاق محدود .. لا يهيىء لها وسائل الإنتاج والعمل المثمر إذ كانت الحياة الفاسدة من حولها ومن حول المصريين جميعا تفرض عليها أن تستهلك نصف طاقتها لمقاومة عناصر الفساد والشر فى كل ميدان من ميادين العمل الخاصة والعامة . أما اليوم وقد زالت تلك الأسباب وإنزاحت من طريقها العقبات ، فقد إتيحت لها الفرصة لتحشد طاقتها كاملة للعمل الإيجابى المثمر سواء فى ميدانها الخاص أو ميادين الخدمة العامة ، إنها تستطيع أن تنقل الثورة البانية إلى كل نفس وإلى كل دار فى مصر وإلى كل جماعة عاملة فى البلاد فتثبت بذلك إنها نصف الشعب . بل إنها ذات أثر فى كل

شعب ...» .

تل هى المحاور الفكرية والإدراكية التى حكمت منهج عبد الناصر فى إدارة الحكم خلال الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٥٤م ترى هل يرى رجال الثورة نفس الرؤية لنتأمل رأى أكثرهم حدة وعنف لنتأمل ما يقوله صلاح نصر :

إنه يرى أنه ما إن نجحت الثورة فى الإستيلاء على السلطة حتى ثار الجدل داخل البلاد وخارجها حول طبيعة ما حدث يوم ٢٣ يوليو .. فالبعض قال إنها مجرد إنقلاب محدود إستهدف قلب نظام الحكم القائم أو بمعنى أدق الإطاحة بالملك فاروق ، والقيام بضرب من الأصلاح وتطهير الحياة السياسية .. وقال البعض أنها ثورة ذات طبيعة خاصة تمهد لتطور تدريجى يحقق أهدافا إجتماعية وسياسية كانت تصبو إليها نفوس أغلبية الشعب .

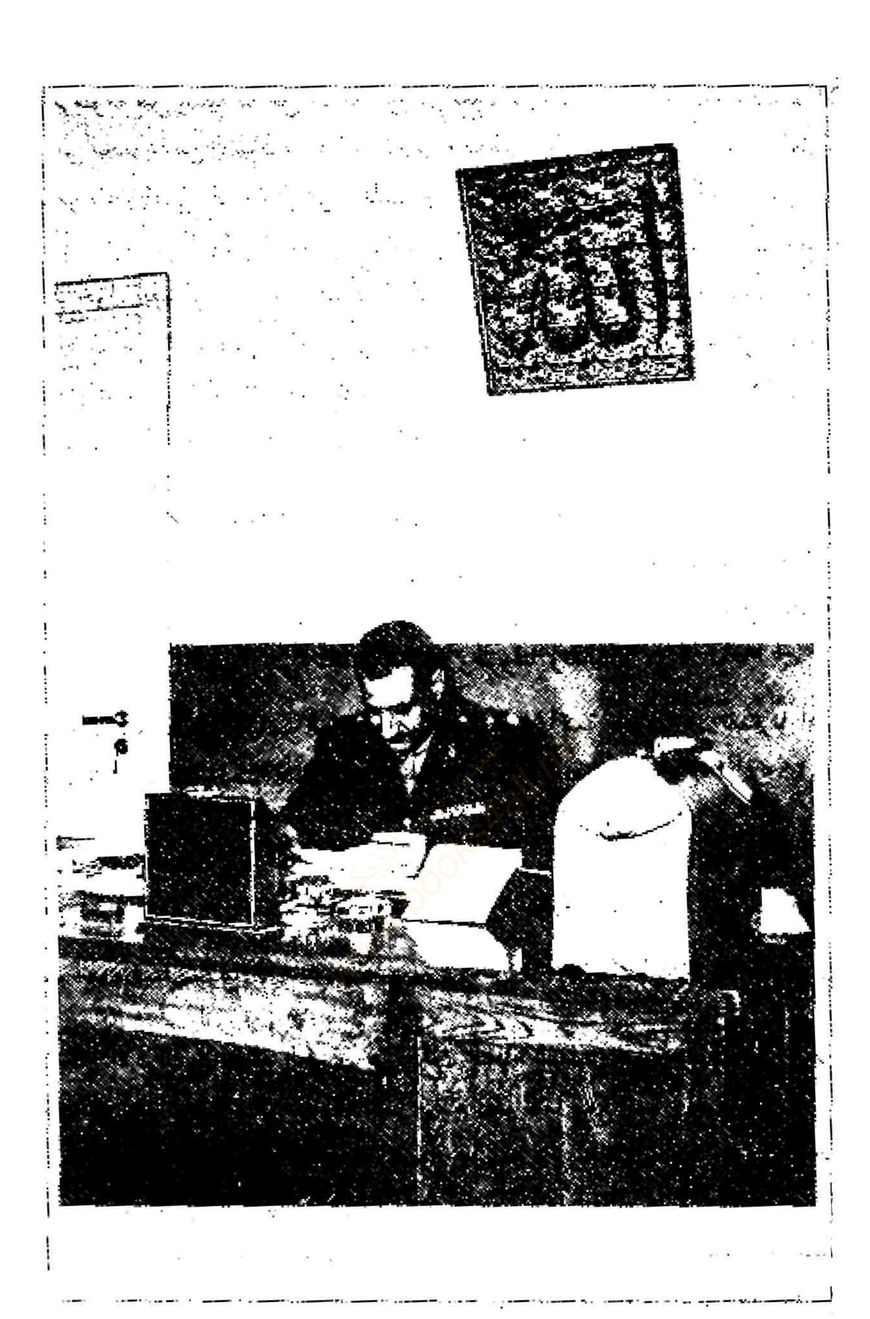
والواقع الذى لا جدال فيه أننا كنا - كتنظيم للضباط الأحرار - لم يكن لدنيا قبل نجاح الثورة أى ، مشروع للإستيلاء على السلطة وممارسة الحكم بعد القضاء على النظام القائم .. بل رسخ فى ذهن التنظيم مسألة تطهير الحياة السياسية فى مصر بعد الإطاحة بفاروق وتسليم الحكم بعد ذلك إلى الطبقة البورجوازية الكبيرة التى كانت تحكم قبل الثورة .

وكان هناك مشروع بتأليف وزارة وفدية على أساس أن حزب الوفد كان يجد حزب الأغلبية ، وذلك بعد أن يتم الحزب تطهير نفسه من العناصر التى أفسدت الحياة السياسية فى ربع القرن السابق للثورة .. وكان يوسف صديث صاحب هذا المشروع ، وقد سجل أسماء الوزراء المرشحين بخطه ، ولكن هذا المشروع سرعان ما وئد ولم يخرج للنور .

ولقد أطلق على ٢٣ يوليو تسميات كثيرة : الإنقلاب .. الحركة .. الثورة .. ولم يحدد اسم لها فى بادىء الأمر .. حتى بيننا الضباط الأحرار كان البعض يقول «الإنقلاب» والبعض الآخر يعبر عما حدث بالحركة المباركة ، بينما كان آخرون يطلقون إسم الثورة على ٢٣ يوليو ..

حتى عبد الناصر وهو الزعيم الفعلى لثورة ٢٣ يوليو وصاحب أفكارها على الرغم من محاولات البعض التشكيك فى ذلك ، كان يستخدم كلمة الإنقلاب فى بادىء الأمر للتعبير عن ٢٣ يوليو .

ويصر البعض على أن عدم قيام أيديولوجية معينة مع بدء الثورة لا يجعل منها ثورة حقيقية .. بل مجرد إنقلاب عسكرى هدفه تحقيق المبادىء الستة الشهيرة .. وقد نسى هؤلاء أنه ما كان مستطاعا فى ذلك الوقت أن تتم الإطاحة بنظام الحكم السابق وتنفيذ أيديولوجية



عبد الناصر يقرأ في مكتبه ١٩٥٤

معينة مرسومة قبل إستيلائنا على السلطة وذلك لعدة أسباب : أولها أن تنظيم الضباط الأحرار تشكل من مجموعة من الضباط مختلفة المشارب والتفكير والاتجاه السياسى ، فمنهم الماركسيون ومنهم من كان ينتمىْ لجماعة الإخوان المسلمين ، ومنهم البورجوازى التفكير ، ومنهم الليبرالى الإتجاه ، ومنهم من لم يكن له موقف سياسى ولذا لم يكن فى استطاعة التنظيم أن يجمع هؤلاء الضباط حول أيديولوجية معينة محددة المعالم .. وثانيها كانت هناك قضايا مصيرية لها أهميتها مثل القضاء على الإستعمار الأجنبى وعملائه الخونة من داخل البلاد ، ومثل إتباع سياسة الحياد والإبتعاد عن الأحلاف التى تقيد حرية البلاد ، ومثل إقامة جيش وطنى قوى يستطيع أن يدافع عن الوطن ومن ثم كانت مسألة التحرير لها الصدارة .

وقد جذبت مثل هذه الأهداف أنظارنا وركزنا عليها كأهداف وطنية لها الصدارة والسبق .. وأخيرا لم يكن فى داخل التنظيم من يستطيع أن يقوم فى مرحلة الأعداد للثورة بعمل نظرية مدروسة متكاملة يتفق عليها الجميع .. ولذا آثرنا أن يسبق العمل النظرية ، أى نأخذ من التطبيق النظرية التى تناسب بلادنا وظروفنا وتقاليدنا) .

إنه إعتراف ضمنى بغياب الرؤية والأيديولوجية الحاكمة ، وهو فى تقديرنا أهم نقاط الضعف التى ميزت حكم عبد الناصر خلال هذه المرحلة (١٩٥٢م - ١٩٥٤) .

أما عن أبرز ملامح فكر عبد الناصر أثناء تلك الفترة فإنها فضلا عما سبق تتمثل فى الآتى :

عن أسرة محمد على يقول عبد الناصر يوم ١٨ يونية ١٩٥٣م .

«.. حين قمنا بثورتنا هذه باسم الشعب لم يكن هدفنا شخصا معينا فحسب . وإنما كنا

ندرك تمام الأدراك أن العلة الكبرى هى ذلك النظام الفاسد الذى فرضته على البلاد قسرا أسرة دخيلة عليها وعلى تقاليدها وكان هذا النظام يعلم تماما مبلغ إتساع الهوة بينه وبين الشعب فأراد أن يبقى سلطانه بحكم مطلق غاشم وأن يدعمه بالإستناد إلى عنصر أجنبى آخر فإنتهز الفرصة المواتية له ودعا الجيش البريطانى منذ سبعين عاماً ليسند عرشا متهالكا تحت سخط المصريين . ومن ذلك الحين قامت علاقة وثيقة على أساس المصلحة المشتركة المتبادلة بين هذين الغريبين وضحيتهما الأولى الشعب المصرى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمل الإثنان على أن يجعلا من الإقطاع قوة يعتمدان عليها وقد بلغت هذه المخالفة الثلاثية وهذا الإسفاف فى الفساد والظلم فى شخص فاروق فقمنا والشعب بالثورة وطردنا الطاغية وحطمنا الإقطاع ، وبعد ذلك صار لزاما علينا أن نقضى على هذا النظام الغريب الفاسد . ومن هنا كان زوال الملكية أمراً محتوماً ..».

الفساد الإقطاع :

يقول عبد الناصر يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢م :

«كان الظلم الاجتماعي يتجسم فى كابوس الإقطاع البغيض فقد ورثنا طبقة من الحكام والإشراف ترفعوا عن الشعب وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم ، وانقسمت البلاد إلى معسكر العبيد وطائفة الأسياد ورأينا الإستبداد السياسى يتجسم فى ماردين هدامين هما الإحتلال الأجنبى البغيض والتاج المستهتر العربيد .

وبين هذا وذاك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين وعمت الرشوة ، ومن كل مكان جأرت أصوات الشعب المغلوب على أمره .

أما عن الجلاء فيرى عبد الناصر يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ :

«.. إننا نعيش الآن لحظة مجيدة فى تاريخ وطننا . إننا نقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا .

لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة ، منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى فقد وقعنا الآن بالحروف الأولى - إتفاقا ينهى الأحتلال وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة وبذلك تخلص أرض الوطن لأبنائه شريفة عزيزة منيعة . بعد إن قاست اثنين وسبعين عاما مريرة حزينة .

إننى أسرح بخواطرى فى هذه اللحظة المجيدة عبر أسوار الحياة إلى الذين جاهدوا من أجل هذا اليوم ، ولم يمتد بهم العمر ليعيشوه أسرح بخواطرى إلى الرحبات المقدسة التى تعيش فيها أرواحهم الخالدة .. وأشعر أنهم يتابعون ما فعلنا كما تابعنا نحن كل ما فعلوا وحملنا الأمانة بعدهم ورفعنا المشاعل على الطريق ..

إننى أتجه إليهم بقلب شعب وأتجه إليهم بوفاء جيل . إليهم جميعاً . الزعماء الذين كافحوا : أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول . والشباب الذين باعوا أرواحهم للفداء على كل بقعة من ثرى الوطن .

أتجه إليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم : سوف نمضى على الطريق لن نضعف ولن نتخاذل . ولن ننسى الأمانة التى حملناها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به ..».





عبد الناصر يعلن تأميم شركة قناة السويس

أما عن تأميم قناة السويس :

فإن عبد الناصر يرى يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م :

«.. فى الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٤م منح فردناند دلسيبس ترخيصاً بتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية توصل ما بين البحر المتوسط والبحر الأحمر بإنشاء طريق للملاحة يصلح دائما لمرور السفن الكبرى ولإستغلال هذا الطريق ، على أن تكون مدة الإمتياز هذا اليوم السابع عشر من نوفمبر ومنذ خمس وثمانين سنة افتتحت القناة للملاحة بعد إن تم حفرها وإعدادها . وبدأت مدة الإمتياز فى السريان . و لم يبق منها اليوم سوى أربع عشرة سنة وهو ما يعد فى عمر هدا الإمتياز فترة نهايتها .

وإنها لمناسبة نقف عندها قليللا نسدد الطرف نحو ماضينا لكنى ننسب إليه حاضرنا ثم نقيس عليه مستقبلنا .

إن من يستعرض الأحداق التى عاصرت إنشاء برزخ السويس وتلك التى تلت هذا الإنشاء لا يفوته أن يدرك ما كان للقناة من أثر خطير فى تاريخ بلادنا جعلت منه تاريخاً حافلاً بالعبر مليئاً بأليم الذكريات .

ألم تدفع مصر فى هذا الطريق العالمى للملاحة ثمنا غالياً ألم تهدر حقوقها فى تلك الفترة من تاريخها ؟ ألم تكن القناة من الأسباب الرئيسية التى دفعت بالإستعمار إلى إحتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الأثمان ؟ ألم يتخذ الإستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الإحتلال ومن الدفاع لربط مصر بعجلته ، ذلك عهد أحمد الله إن سجلنا نهايته وإنقضاءه بإتفاق الجلاء ووالله ما كان لهذا العهد أن ينقضى لولا المشقة . ووالله ما إنقضى إلا بفضل كفاح طويل مرير إستغرق من الأجيال ثلاثة كفاح بدأه أجدادنا وحمل شعلته أباؤنا وأوقد جذوته شبابنا .

وإذا كان لهذا الجيل وهو يؤدى التحية للأجيال السابقة إن عبدت له الطريق إذا كان له أن ينظر إلى حاضره بعين مستبشرة فلن تقر عينه بالمستقبل إلا إذا شهد الله على أن يقوم فى الحاضر بمسئولياته كاملة قبل الأجيال القادمة .

لقد كانت مصر للقناة ذلك هو الماضى . و لم تعد مصر للقناة ذلك هو الحاضر ، وسوف تكون القناة لمصر ذلك هو المستقبل .

إنى اعلن باسمكم بداية الفترة التى تمهد لتتسلم مصر مرفق قناة السويس عند إنتهاء مدة الإمتياز والقيام على إدارته وإستغلاله ، وإنه لواجب على حكومة الثورة أن تخص بعنايتها الفائقة

قناة السويس هذا الجزء الذى لا يتجزأ من بلادنا وأن تحرص كل الحرص على أن تقوم مصر بالأعباء التى تقع على عاتقها وعلى أن هذا الطريق العالمى للملاحة يظل مفتوحا مدارا خير إدارة .

وإذا كنا نبدأ هذه الفترة من الآن فلكى نتق الوقوع من جديد فى أخطاء الماضى عندما كانت المشاكل تفاجئنا عاجزين واتباعا لمنطق التبصر والحكمة وهما يقضيان بالتمهيد ليوم إنتهاء الإمتياز بإجراء الدراسات اللازمة وإعداد العدة لمواجهة المشاكل الدقيقة التى تلازم إدارة مثل هذا المرفق وإستغلاله وجعل مصر فى المرتبة التى يتيح لها النهوض بتبعاتها كاملة على أحسن وجه ..

ولقد بين عبد الناصر فى كتاب (فلسفة الثورة) أبعاد الثورة خلال فترة ١٩٥٢م - ١٩٥٤م) بقوله :

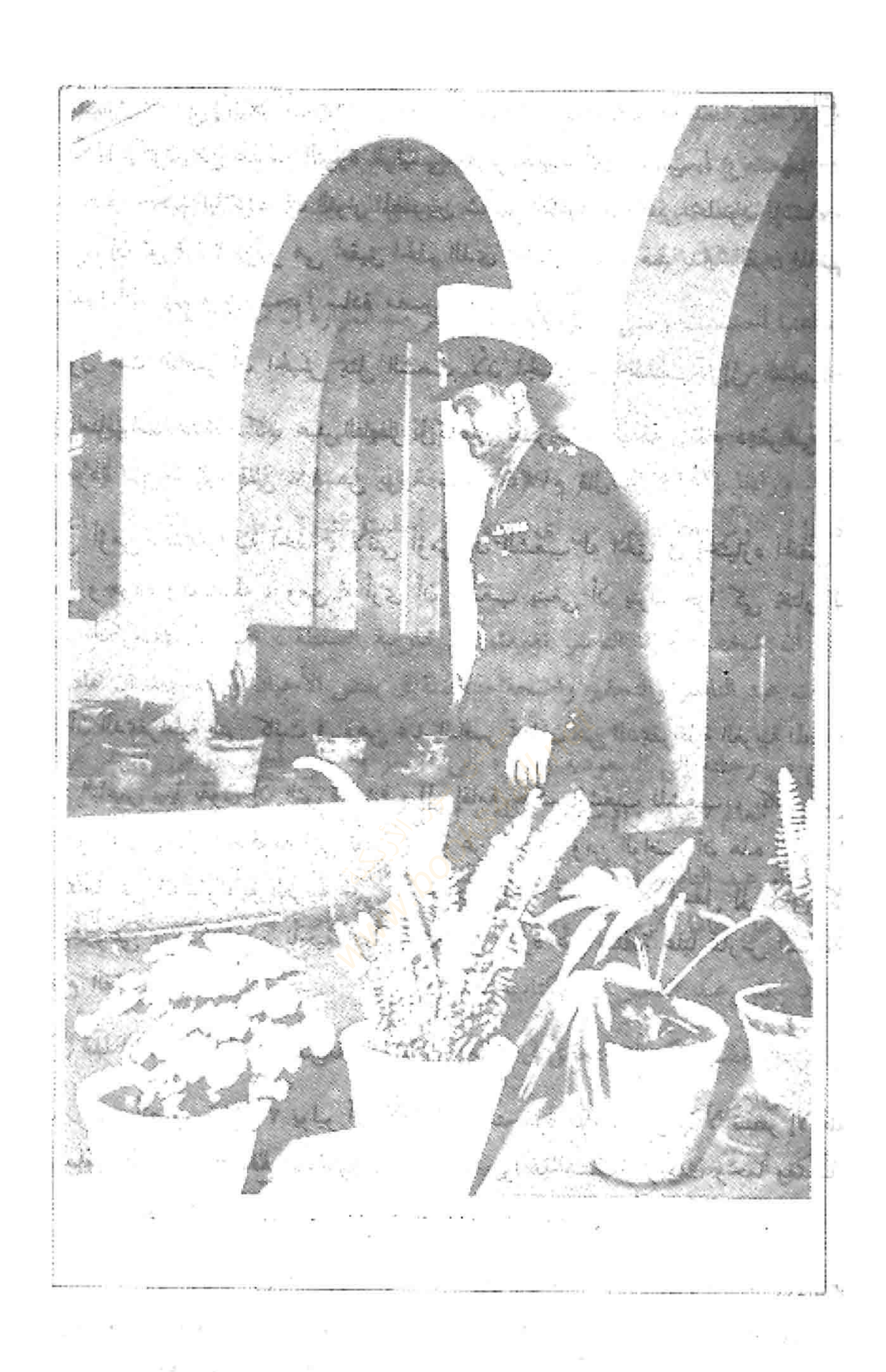
«.. وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال أن ، السبب كان أزمة إنتخابات نادى ضباط الجيش» .

«إنما الأمر فى رأيى كان أبعد من هذا وأعمق أغواراً» .

ويحاول عبد الناصر أن يوضح الأسباب الحقيقية للثورة ، التى لم يستطع الآخرون أن يلموا بها .. وذلك إن عبد الناصر يرجع بتاريخ الثورة إلى زمن بعيد عن تاريخ قيامها فهو يقول :

«يريد بعض الناس أن يعتبروا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمثابة نقطة بداية لثورتنا .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. إن ٢٣ يوليو لم تكن سوى المرحلة الأخيرة للثورة . إن بدايتها ترجع إلى الحادى عشر من يوليو عام ١٨٨٢م ففى هذا اليوم تعرضت مدينة الأسكندرية الوادعة إلى ضربها بالمدفع من المعتدين الأنجليز ... وتلا ذلك الإحتلال البغيض وثارت مصر ، إذ قام أحمد عرابى الجندى القروى على رأس قوة من الضباط الأحرار والجنود لطرد المعتدين .. ولكن الثورة لم تحقق أهدافها .. وولدت الثورة من جديد وكانت لا تزال فى مهدها ، وكانت تحتاج إلى وقت لتنمو وتنضج قبل أن تستطيع أن تقرر قيامها .. وهكذا فإن أول هدف للثورة منذ أول يوم فى حياتها كان تحرير مصر .

ويعزو عبد الناصر السبب الرئيسى لقيام ثورة ٢٣ يوليو إلى إستعباد الأمبرياليين وصنائعهم



من سادة الأرض الإقطاعيين المصريين للشعب المصرى . فهو يقول فى كتاب فلسفة الثورة .

«وهكذا يكون من هدف الثورة الرئيسى تحرير العبيد أى الشعب ، ونضعهم – بدل سادتهم – فى حكم البلاد .. إن الثوار المصريين شأنهم الثوار فى الماضى يحلمون بإنشاء حكم الشعب .. إن ثورة ٢٣ يوليو هى تحقيق الحلم الذى يحلم به الناس منذ بداية القرن الماضى .. أن يحكموا أنفسهم ، ويصبحوا سادة مصيرهم» .

ويقول عبد الناصر أن الجيش يمثل الشعب لأن الجيش من الشعب وإلى الشعب ..

وفى مناسبات عدة ، كان عبد الناصر يؤكد فى تصريحاته تمسكه بنظام ديمقراطى حر ، ويعد بعودة سريعة إليه ففى ١٧ من يونية سنة ١٩٥٣م قال :

«إننى أؤمن بالديمقراطية الحقة ، لأننى أؤمن أن الشعب له الحق فى إختياره المحض لكل ما يخص وجوده ومستقبله ، ومن ثم أرى أن الشعب ينبغى أن يترك حراً كى يختار النظام المناسب لحكومته» .

على أن الديمقراطية التى كانت فى ذهن عبد الناصر تختلف عن الديمقراطية الغربية المعروفة .

فعبد الناصر بينما يقول أن الثورة تهدف إلى إقامة حكم الشعب للشعب ، كان يعلن أن الجيش هو الذى يختار الحكومة التى تحكم نيابة عن الجيش ومن الواضح أن هذه الديمقراطية تختلف تماما عن الديمقراطية الغربية فهى نظريا ديمقراطية تندرج من أسفل إلى أعلى كما فى النظام الشيوعى ، ولكنها من ناحية التطبيق تصبح عبارة عن سلطة عليا تمارس السلطة كما فى النظام الفاشى .

يقول بد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة :

«لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر إلا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفاً متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا إلى الهدف الكبير» .

«وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدها الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير ، بل قد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل إلى أنى أسمع صليل الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم إلى الهدف الكبير ، أسمع هذه كله ويبدو فى سمعى من فرط إيمانى به حقيقة مادية وليس مجرد تصورات خيال .. ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣

يوليو .. قامت الطليعة بمهمتها واقتحمت سور الطغيان وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير .. وطال إنتظارها .. لقد جاءتها جموع ليس لها آخر .. ولكن . بعدما أبعد الحقيقة عن الخيال .. كانت الجموع التى جاءت أشياعا متفرقة .. وفلولا متنافرة ، وتعظل الزحف المقدس إل الهدف الكبير وبدت الصورة يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر» .

وساعتها أحسست وقلبى يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة إن مهمة الطليعة لم تنته فى هذه الساعة وإنما من هذه الساعة بدأت ..

«كنا فى حاجة إلى النظام فلم نجد وراءنا إلا الفوضى .. وكنا فى حاجة إلى الإتحاد ، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف .. وكنا فى حاجة إلى العمل ، فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتكاسل .. ومن هنا وليس من أى شيء آخر أخذت الثورة شعارها «الإتحاد ... النظام .. العمل» .

على أن شخصية عبد الناصر تغيرت مع ممارسة السلطة ، ففى بادىء الأمر ، كانت تصريحات عبد الناصر والتحقير واضحة متناقضة فى بعض الأحيان ولكنه بعد أن غادر مصر للخارج فى رحلته إلى السعودية وسفره إلى مؤتمر باندونج أحس بوعى جديد كرجل له رسالة إزاء العالم العربى والإسلامى كله ، ومن ثم ألقى بنفسه فى تيار السياسة الخارجية .

وكما قال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة ، فإن مسار الثورة توقف على عامل المكان أو المجال وعلى عامل الزمن .. والعامل الأخير يرتبط بخاصة بتاريخ مصر الداخلى» .

ولقد أعلن عبد الناصر فى الكتاب ذاته :

إن رسالة مصر يمكن أن تتحقق فى ثلاثة إتجاهات ، أعنى المنطقة العربية ، والقارة الإفريقية والعالم الإسلامى .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وإن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا لا مجرد كلام ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل إن هناك قارة أفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون أثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالما إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية

فحسب ، وإنما تنشدها حقائق التاريخ ؟» .

ولقد أكد صلاح نصر فى مذكراته (مصدر سابق) حقائق أخرى متشابهة تؤكد هذه الرؤية الناصرية المبكرة والمحددة لمنهج فكر عبد الناصر خلال هذه الفترة القلقة من تاريخ مصر الحديث .

«كل هذه الحقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا لا نستطيع مهما نحاول أن ننساها أو نفر منها» .

وهكذا نجد أن أيديولوجية عبد الناصر حين قامت ثورة ٢٣ يوليو تبدو متناقضة مضطربة .. كانت تنبع من فكر عاطفى وإيمان دينى ، أكثر من نبوعها من نظرية إجتماعية ومن الواضح أن هذه الأيديولوجية لم تنتم إلى نظرية معينة ، بل اقتبست من أيديولوجيات مختلفة قديمة وحديثة .

ولذا لا نستطيع أن نقول أن الثورة قامت على أساس نظرية أيديولوجية معينة ، ولابد لنا أن نتتبع أحداثها وتطبيقاتها لنرى كيف تطورت ثورة ٢٣ يوليو وتدرجت وفقاً للظروف والأحوال التى فرضت عليها .

* وبعــــد .....

تلك كانت أبرز التطورات والأحداث والأفكار التى عاشتها مصر خلال الفترة الأولى المبكرة من حكم الثورة ، ترى ماذا حدث بعد ذلك من وقائع وأحداث لا زلنا نعيش آثارها ؟

.. ملحق الفصل الثالث
(مفهوم الديمقراطية عند جمال عبد الناصر)

إن المجتمع منقسم إلى قسمين ، أو منقسم إلى طبقتين : طبقة الملاك والمستغلين وطبقة الأجراء .

والملاك المستغلين الذين أقصدهم هنا ليس كل الملاك ، ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق أكبر قدر من الإنتاج على حساب الشعب ، وكان فيه طبقة الأجراء اللى هى تمثل العامل وتمثل الفلاح وتمثل الموظف وتمثل كل واحد يأخذ أجر ليعيش ، كل واحد يعمل من أجل أن يعيش .

والإقطاع والطبقة الرأسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق أغراضها لحماية مصالحها ، ولأستغلال الأجراء ومنعهم من المطالبة بحقهم .

(العبد التاسع للثورة - ١٩٦١/٧/٢٣م)

إذا كان المجتمع إقطاعيا يكون حتما الحكم إقطاعيا ، إذا كان المجتمع رأسماليا يكون الحكم رأسماليا ، إذا كان المجتمع أساسا إقطاعيا رأسماليا وأن الطبقة الإقطاعية والرأسمالية هى التى تتحكم . يكون حتما الحكم هو التحالف بين الإقطاع ورأس المال .

من أجل هذا هناك علاقات وثيقة بين السياسة والإقتصاد .

(اللجنة التحضيرية ١٩٦١/١٢/٣م)

الديمقراطية اللى كانت موجودة قبل الثورة ، لما كانت الرجعية تسيطر على إقتصاد البلاد وثروة البلاد كانت هى صاحبة النفوذ وكانت الرجعية هى صاحبة الإمتيازات كانت الديمقراطية مزيفة ، وكانوا بيقولوا إن فيه حرية سياسية أو فيه ديمقراطية سياسية ، ولكن الإستغلال والإقطاع ورأس المال المستغل قضى على كلمة الديمقراطية إللى قالوها ، وعلشان كده إحنا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال إن هناك حرية إلا إذا توافرت الديمقراطية السياسية الإجتماعية .

(عيد الوحدة - ١٩٦٤/٧/٢٢م)

هذه الدكتاتورية التى استغلت كل الوسائل لتبقى الطبقة السائدة .. استغلت اسم الديمقراطية ، وهل يمكن أن توجد ديمقراطية بدون عدالة إجتماعية .. هل يمكن أن توجد ديمقراطية مع الظلم الإجتماعى .. إن الديمقراطية أساسا هى إقامة عدالة إجتماعية وإنصاف

الطبقة المظلومة من الطبقة الظالمة ، الديمقراطية أساسا هى ألا يكون الحكم إحتكارا للأقطاع ولرأس المال المستغل ، بل أن يكون الحكم لصالح الأمة كلها ، أن يكون الحكم منصفا للمظلوم من الظالم .

الديمقراطية .. لا توجد بمجرد إصدار دستور أو قيام البرلمان .. الديمقراطية لا يحددها الدستور ولا يحددها البرلمان .

الدستور يهب الحرية ، والدستور يعطى الديمقراطية ، ولكن الإقطاع يسلب الحرية والديمقراطية ، والإستغلال يسلب الحرية والديمقراطية . ديكتاتورية رأس المال تسلب الحرية والديمقراطية .. فلا حرية حقيقية .. ولا ديمقراطية حقيقية إلا بالقضاء على الإقطاع والإحتكار والإستغلال وسيطرة رأس المال .

(العيد التاسع للثورة - ١٩٦١/٧/٢٢م)

هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية الغربية ؟ هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية المجردة ؟ وهل المقصود بالديمقراطية إننا نعمل أحزابا ؟ وعندما وضعت هذه الأسئلة وضحتها لحضراتكم . وقلت فى كلامى إننى فى يوم من الأيام فكرت فى إقامة حزبين حزب يحكم وحزب يعارض ، ولكن فى أى إطار وفى أى نظام إجتماعى ، إنى أعتبر إننا فى ثورة ، ثورة إجتماعية ، الدولة لرأس المال ، الدولة التى يسمونها دولة ديمقراطية سواء تبادلها هذا الحزب أو ذلك فهى عبارة عن ديكتاتورية رأس المال .

(المؤتمر الوطنى ١٩٦١/١١/٢٩م)

الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ووضع السلطة فى يد الشعب وتكريسها لخدمة أهداف الشعب .

الديمقراطية هى الحرية السياسية .

إحنا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال أن هناك حرية إلا إذا توفرت الديمقراطية السياسية مع الديمقراطية الإجتماعية .

إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل طبقة من الطبقات مع تسليمنا بوجود الصراع الطبقى ، وقلنا إن احنا فى تجربتنا من جل حياة ديمقراطية سليمة ، لابد لنا أن نحقق الديمقراطية السياسية فى إطار الوحدة الوطنية وفى إطا تذويب الفوارق بين الطبقات وفى العمل على تصفية الرجعية .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٦م)

وفى عام ١٩١٩م قامت فى مصر ثورة ، وكانت هذه الثورة تهدف إلى حياة ديمقراطية سليمة ، وكانت الثورة تنادى بالاستقلال التام ، واستشهد من استشهد .. وقتل من قتل ومات من مات من أبناء الشعب المكافحين الأحرار الذين خرجوا وليس لهم من مطمع أو هدف إلا أن يموتوا ويستشهدوا فى سبيل تحقيق هذه الأهداف الكبرى التى كانت تنادى بها البلاد من الشمال إلى الجنوب .

كان كل بلد ينادى بها ، وكل فرد من أبناء هذا الجيل ينادى بها أسلمت البلد قيادتها إلى زعمائها اعتبرتهم أمناء على هذه الأهداف وهذه الآمال .

.. وبعد ذلك .. ماذا حدث ؟؟
هل تحققت الديمقراطية ؟؟
هل تحققت الحرية التى مات من أجلها أبناء هذا الوطن ؟

تطورت الأمور وانتهت ثورة ١٩١٩م بنص دستورى وحصلت البلد على دستور ١٩٢٣م هل طبق الدستور حسب مواده ؟ وحسب أبوابه وبنوده ؟

هل طبقت الديمقراطية بحيث تكون الحرية حرية شاملة ؟ . ما الذى حدث ؟ بدأت العوامل تتدخل .. العوامل الرجعية والعوامل الإستعمارية .. وبدأ أعوان الإستعمار يتآمرون مع الإستعمار على هذا الشعب .

بدأوا يعطون الشعب كلاما جميلا .. كلاما براقا .. وعود خلابة . ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الوعود الخلابة وماذا كانت نتيجة هذا الكلام الجميل ؟

إنتكست ثورة ١٩١٩م وأصبحت الحرية هى حرية التحكم وحرية السيطرة وحرية الأستبداد وحرية الاستغلال . وبدأت فئة قليلة من أبناء هذا الشعب تعتبر أن هذه فرصة لتكسب لتغتنى وتجمع أكبر كمية ممكنة من المال . وهذا الشعب الذى قام وثار وقتل وقاسى وجابه الإستعمار . وبدأت هذه الفئة القليلة تتآمر .. تتآمر من أجل مصلحة خاصة .. وجدت هذه الفئة القليلة أنها لن تستطيع أن تقاوم الشعب وإنها لن تستطيع أن تقاوم الإستعمار فى نفس الوقت ، وأيقنت أن الشعب لن يسلم ولن يستسلم . ولكنه سيحاول مرة أخرى .. أنه يطالب بحقه فى الحياة ، سيحاول أنه يطالب بحريته .. سيحاول أن يطالب بعدالة إجتماعية .. سيطالب بحرية الرزق وحرية العيش .

فماذا كانت النتيجة ؟ إتجهت هذه الفئة المستغلة إلى الإستعمار لتتعاون معه .
(المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية)

ولقد واجهنا منذ أول أيام هذه الثورة متناقضات كبيرة وكنا نشعر أن عدم التكافؤ الاجتماعى وعمد التكافؤ الاقتصادى ، لابد أن ينتج عنه عدم التكافؤ السياسى . وكنا نشعر أن من يملك الأرض والإقطاع يملك معهما حرية الناس ومن يملك رأس المال وأدوات الإنتاج يملك معهما حريات الناس . وعلى هذا آمنا أن الحرية لابد أن تكون حرية سياسية وحرية إجتماعية ولابد أن يتحرر الفرد من الاستغلال بكل معانيه .. الإقتصادى والاجتماعى حتى يستطيع أن يباشر حريته السياسية .

(المؤتمر الإفريقى الآسيوى ١٥ فبراير ١٩٦٢م)

إن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تحققت الديمقراطية الإجتماعية .. والديمقراطية الاجتماعية معناها تأمين الرزق للعامل وتأكيد الرزق للفلاح . ونحن نسير فى سبيل تأكيد الرزق للجميع . كما نسير فى سبيل القضاء على الاستغلال بكل معانيه أو السيطرة الداخلية بكل مقوماتها .

وإذا تحققت الديمقراطية الاجتماعية وأصبح كل فرد امن على غده وآمن على رزقه ، فلابد أن تتحقق الديمقراطية السياسية وأن الشخص الذى يأمن على يومه وغده لا يخاف أن يقول رأيه بوضوح وصراحة .. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يبيع نفسه أو يبيع صوته أو يبيع إرادته .

لا يمكن بأى حال إن إحنا نقول عندنا ديمقراطية وعندنا برلمان ، ونبص نلاقى الإقطاعى هو اللى بيروح البرلمان وصاحب رأس المال هو اللى بيروح البرلمان .

طيب إزاى الإقطاعى بيروح البرلمان هل الفلاحين راضيين .. لا الفلاحين مش راضيين لكن لو الفلاحين ما أدوش للإقطاعى صوتهم بيحصل إيه ؟. الإقطاعى يهددهم . أو كان يقتلوهم كانوا بيسلطوا عليهم أو بيطرده من البلد هو وعيلته ما كانش الفرد سيد نفسه فكان الفرد بيشعر أنه دائماً مهدد فى يومه ومهدد فى غده .

وكان الإقطاعى من دول بيقدر ويقول أنا بطلب وزير الداخلية ، ويقضى على أى فرد أو أى عائلة تطالب بحقها ، بل كان أكثر من كده الإقطاعى اللى عنده آلاف الفدادين بيشترى أرض اللى عنده قيراط أو قيراطين وفدان وفدانين وخمس فدادين . وإذا ما كانش يرضى يبيعها له بالسعر اللى هو عايزه كان يستخدم الحكم .

(عيد السد العالى ١٩٦٣/١/٩م)

هذا هو ما سرنا عليه .. وهذا هو ما عملنا على تطبيقه ، حينما كنا ننادى بالحرية كنا نعنى حرية الفرد وحرية الإنسان وأمكننا أن نرى إلا حرية للفرد ولا حرية للإنسان إلا بإقامة

العدالة والمساواة والقضاء على الظلم الاجتماعى . وعلى هذا الأساس قضينا على الإقطاع وعلى هذا الأساس - قضينا على رأس المال.. ونحن نشعر اليوم أن الحرية الاجتماعية والديمقراطية تتحقق . وأن إعادة تكوين مجتمع جديد تتحقق لأننا منذ آلاف السنين كنا نعيش فى مجتمع ينتابه الخلل الإجتماعى والخلل الاقتصادى . وبالتالى ينتابه الخلل السياسى . وكنا نقاسى من هذا .. وعلى ذلك- فإننا نؤمن حتى تتحقق الحرية السياسية أنه لابد أن نقضى على عدم التكافؤ الاجتماعى وعلى عدم التكافؤ الاقتصادى ولابد أن يكون لأبناء الأمة الحق فى ثورة وطنهم القومية .

(المؤتمر الإفريقى الآسيوى ١٥ فبراير ١٩٦٢م)

كنا نعنى أن الحرية تعنى التحرر السياسى ثم تعنى أيضا التحرر الاجتماعى .. كان التحرر السياسى والتحرر الاجتماعى ينادى ويطالبنا أن نقضى على الإقطاع وعلى الإحتكار وعلى سيطرة رأس المال . وعلى الإنتهازية السياسية بكل معانيها .. كانت الحرية تنادينا أن نقضى على عدم التكافؤ بين ربوع جمهوريتنا حتى تكون هناك عدالة ومساواة وحتى يكون هناك تكافؤ الفرص .. وكان هذا هو السبيل .. وكان هذا هو أمل كل فرد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة . وكنا نشعر أن الكفاح فى هذه المرحلة من نضال الأمة العربية له مطالب تختلف عن مطالبه السابقة .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م)

كانت الأمة تواجه مرحلتين من مراحل كفاحها ، مرحلة التحرز السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى وكانت مطالب كل مرحلة تختلف عن مطالب المرحلة الأخرى . وربما كانت المشكلة التى واجهتنا هى تداخل المرحلتين وتشابكهما مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى والثورة الاجتماعية .

لقد تخلفنا طويلا عن العالم ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية . فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الاقطاع والإحتكار وسيطرة رأس المال ويصبحون جميعا دكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب أبناء الشعب جميعا .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م)

الطبقات اللى أتولدنا ووجدناها اللى هى طبقة الإقطاع والرأسمالية المستغلة كانوا يمثلوا طبقة الحكام . فيه الطبقة المتوسطة العمال والفلاحين موش دى الثلاث طبقات اللى كنا موجودين فيها .. إتولدنا فيها وعشنا فيها .. ولكن البلد كلها كانت بتشتغل لحساب مين ؟ حساب

الإقطاع .. لأن النفوذ وصلنا لهذا وصلنا أن السلطة والنفوذ والمال والأسلحة كلها والجيش والبوليس والدولة تيجى فى يد الطبقة الغنية .. الطبقة القوية .. الطبقة الإقطاعية . وطبقة الرأسمالية المستغلة .. بل أكثر من هذا – إن الطبقة هى اللى عملت الدولة وهى اللى عملت الجيش وعملت البوليس وعلشان تحمى مصالحهم وهم يعتبروا أنفسهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى البلد والباق لازم يشتغلوا لهم لكى يحققوا المزيد من الأرض والمزيد من المال ..
(المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢م)

وديمقراطية الاشتراكية تختلف عن ديمقراطية الرجعية التى جربناها فى الماضى .. كانت تعنى أن تتحكم فئة من الإقطاعيين وقلة من الرأسماليين وقلة من الإنتهازيين السياسيين اللى بيبيعوا أنفسه للإقطاعيين والرأسماليين ويستولو على السلطة وعلى الدولة من أجل مصالحهم .. أما ديمقراطية الاشتراكية فهى ديمقراطية الشعب العامل الذى له الحق فى ناتج عمله وله الحق فى بلده . ديمقراطية الاشتراكية هى الديمقراطية الاجتماعية مع الديمقراطية السياسية .. هى القضاء على الإقطاع والقضاء على الاحتكار والقضاء على سيطرة رأس المال وإيجاد الفرص المتكافئة للجميع ، إذ لا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك استغلال لرأس المال ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك إحتكار أن الذى يمكن أن يقوم فى وسط هذه الظروف ليس إلا ديكتاتورية الإقطاع ورأس المال .
(العيد العاشر للثورة ١٩٦٢/٧/٢٦م)

كان من الواضح منذ أول يوم من أيام هذه الثورة أننا لا نستطيع أن نحقق العدالة الاجتماعية إلا إذا قضينا على الإحتكار وسيطرة رأس المال .. وكانت الثورة منذ أول يوم لها ثورة سياسية وثورة اجتماعية .

ثورة سياسية ضد الاستعمار وضد أعوان الإستعمار ، ثورة اجتماعية ضد الإقطاع والاحتكار والإستغلال وديكتاتورية رأس امال . الشعب الذى كان يئن من ديكتاتورية رأس المال لم يخف ولكنه تصدى لديكتاتورية رأس المال .

كان هناك نضال من الطبقة المظلومة لتحصل على حريتها ولتحصل على المساواة .. وكان هناك نضال من الطبقة المتحكمة المسيطرة ، من أجل السيادة ومن أجل الاستعباد ومن أجل الاستغلال .

طبقة تعمل بالأجر تمثل ٩٥٪ من الشعب . وطبقة تملك كل شىء وتحصل على نتيجة عمل الشعب ، عندها أكبر سلاح وهو سلاح المال ديكتاتورية رأس المال ديمقراطيتها تعبر

عن - ديكتاتورية رأس المال .

(العيد التاسع للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦١م)

«إن الديمقراطية عملة واحدة ذات وجهين : سياسى وإجتماعى وبغير الوجهين معا تصبح عملة زائفة لا سعر لها ولا قوة .

إن الديمقراطية لا تتحقق فى كمالها إلا بقيام التنظيم السياسى شامخاً **دافعاً لها ، وبقيام** المجالس الشعبية المنتخبة توقع بإرادة الجماهير الحرة كل قرار وتؤكد بالفعل لا بمجرد القول أن صوت الشعب من صوت الله» .

(إفتتاح مجلس الأمة ١٩٦٤/٣/٢٥م)



لقاء الجماهير ... بالقائد ... ترى هل بقى الولاء !!

عندما التف الشعب حوله يوم أن قام بثورته في يوليو ٥٢ كان يرى فيه وفي مبادئه الستة أمله وأمل بلاده في البناء والقوة .. ومضت السنوات .. والبناء والقوة متلازمان على الطريق الذى رسمه «يد تبنى .. ويد تحمل السلاح» والشعب أيضا من حوله يؤيد خطوات تنفيذ الأمل خطوة وراء خطوة ويحيطه .



يوم ٢٥ مارس عام ١٩٦٥ يحلف اليمين ... رئيسا للجمهورية

الفصل الرابع

عبد الناصر والصدام الأول مع الإخوان المسلمين

عام ١٩٥٤



عبد الناصر والصدام الأول مع الإخوان ١٩٥٤م

* طويلة هي قصة الصراع السياسي بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، معقدة هي فصولها، ودرامية هي أحداثها ، فالوقائع والحقائق كثيرة ولكنها بفعل الزمن والعاطفة والتأويل بل والتوظيف السياسي لها باتت أكاذيب ، وترهات وزيف .

* إنها قصة ، الخيال فيها أكثر من الواقع ، والشجن فيها أمضى تأثيرا من الحقيقة المجردة ، لقد اختلطت الأشياء ، والأسماء والأزمان في تلك القصة إلى درجة صعب فيها التأريخ الأمين ، إذ عندما يدخل الدين ، والسجن ، والسياسة ، والمصلحة إلى منطقة (التاريخ) فإن أمانة التسجيل ، والرصد ، والتوثيق ، تصير موضع شك .

* وهذا حدث بالضبط في قصة عبد الناصر والإخوان .

* فما أتى إلينا من روايات (ناصرية) لتلك العلاقة ، يغلب عليها الوصف السابق ، ويغلب عليه الغرض والهوى ، والمصلحة ، ونفس الأمر ينسحب على ما خلفته لنا أدبيات الحركة الاخوانية وبخاصة خلال السبعينات والثمانينات ، والتي قدمت لنا تفاصيل العلاقة مع عبد الناصر في الخمسينات والستينات ، بطريقة غلب فيها الهوى والرغبة في التشفي ، والإنتقام ، ليس فقط من رئيس سابق أو نظام سياسي سابق ، بل من تجربة تاريخية كاملة ، بل من مجتمع كامل عاش تلك التجربة وتفاعل معها بحق .

* الروايتان .. قاصرتان في تقديرنا ، وتستحقان التمحيص والفحص الدقيق ، وإعادة الفرز لمكوناتهما ، لاستبعاد الهوى (وما أكثره) وتثبيت الحقيقة (وما أقلها) .

* وتلك هي مهمة المؤرخين الأمناء ، وليس الأدعياء منهم .

* وما نحاول أن نقوم به هنا ، هو مجرد خطوة ، متواضعة على طريق هذا التمحيص والفرز ، اخترنا لها أهم حلقة من حلقات قصة الصراع بين عبد الناصر والإخوان ، حلقة الصدام الدامي في عامي ١٩٥٤م ، وهي أول وأهم الحلقات كما يؤكد ذلك التاريخ .

* وما نقوم به هنا هو إعادة نقد ونشر النصوص الخاصة بالمحاكمات غير المنقوصة أو غير المغرضة كما حدث في سلسلة كتب (محكمة الشعب) والتي حرص أولى الأمر من العسكر وقتها على أن يسبق وأن يلي كل كتاب مقدمة وخاتمة من الإهانات والإتهامات ومصادرة حق القارىء في المعرفة وبناء رأيه المستقل ، فضلا عن التعامل معه على أساس أنه قاصر وغير

ناضج ويحتاج إلى الوصاية الكاملة قبل نشر أية نص من نصوص المحاكمات .

* وما نقوم به هنا على النقيض من ذلك تماما .

* فإننا سنقدم نقد وتلخيص للنصوص الحقيقية للمحاكمات ، دون تدخل بالوصاية أو المصادرة أو الإتهام المسبق ، سنترك النصوص تقول بنفسها وتحكى بنفسها وقائع الصراع والأزمة ، مع تحقيق وتوضيح ما يستحق الإيضاح من وقائع قد تبدو مبهمة ، أو تحتاج إلى وقفة تحليلية أمينة ، أو إلى رد ونقاش .

* تلك هى مهمة هذا العمل ، ورسالته ، ومن هنا تنبع أهميته وتتبلور .

* وفى سبيلنا للدخول إلى نقد وتلخص الوثائق للمحاكمات التى جرت عام ١٩٥٤م للإخوان المسلمين والتى جاوزت عدد صفحاتها الألفى صفحة ، قدمنا للعمل ، بمدخل تحليلى شامل يحتوى على موجز لتاريخ الإخوان المسلمين ، وملامح رؤيتهم لشخصية عبد الناصر والفرق بينهم وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وشهادتهم التاريخية تجاه حادث المنشية (موضوع الصراع الدامى عام ١٩٥٤م) والشهادات التاريخية الغربية ، وغير الغربية لهذه الحادث ودلالاته السياسية والتاريخية ، ثم أتبعنا هذا المدخل بملخص للوثائق مرتبة ومحققة وفقا لجلسات المحاكمة مع الأحكام التى صدرت من واقع الأوراق الأصلية للتحقيق .

* ونأمل من الله أن يمثل هذا العمل إضافة للحركات الإسلامسة التى رغم إختلافنا مع (بعض) رؤاها الفكرية ، و (بعض) سلوكياتها السياسية ، فإننا نعتبرها بحق أنبل فصائل الحركة السياسية المصرية والعربية المعاصرة ، وأكثر إلتصاقا بالواقع وبقضايا الأمة وهمومها ، وأقدرها على تحقيق أمانى الأمة ، وحفاظا على مصالحها ومستقبلها .

* فى هذا المدخل سوف نتناول عددا من النقاط الهامة التى تفيد فى فهم وتحليل الوثائق التى بين أيدينا ، وتنير الطريق أمام عملية إستيعابها ، وسوف نوجز هذه النقاط فيما يلى :

أولاً : موجز تاريخ جماعة الإخوان :

بداية أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين فى آذار / مارس عام ١٩٢٨م .... فى مدينة الإسماعيلية .. وكان ذلك بعد أربع سنوات من إسقاط الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك .

إنطلقت دعوة الإخوان من الإسماعيلية على يد البنا إلى كافة البلدان المصرية .. فكثر المؤمنون بالدعوة وإزداد أنصارها ووجدت صدى طيبا لدى جموع الشعب

بعد أربع سنوات من تاريخ إنشاء الجماعة أصبح لها ما يقرب من عشرة فروع فى المحافظات المصرية .. ثم أخذت هذه الفروع فى الإنتشار والإزدياد حتى أصبحت للدعوة شعبة فى كل محافظة .

عندما قوى سلطان الدعوة وإزداد تأثيرها .. شعرت الحكومة بتهديد هذه الدعوى فبدأت فى محاربتها بمساندة بعض القوى .. وكان أول هذه الحرب ... نقل البنا المرشد العام للإخوان إلى القاهرة سنة ١٩٣٣م ، وأقام المؤتمر الأول للإخوان المسلمين .

استمر البنا فى نشر دعوته إنطلاقا من القاهرة التى أنشأ فيها دارا جديدة للإخوان ... وأصبحت فيما بعد المركز العام للإخوان المسلمين .

تم تسجيل جماعة الإخوان المسلمين كهيئة رسمية . وبدأت فى ممارسة أنشطتها المعلنة من خلال المركز العام للإخوان المسلمين فى القاهرة .. والذى يتابع أنشطة الشعب المختلفة فى المحافظات ..

فى عام ١٩٣٧م التقارب بين الإخوان والقصر فى مواجهة حزب الوفد

وفى سنة ١٩٣٨م استكملت دعوة الإخوان المسلمين عناصرها وتبلورت فى كامل صورتها ... وأصبحت تضم كافة الطبقات من عمال وفلاحين .. موظفين ومهنيين .... ، مهندسين وأطباء ... وغيرهم وأنشىء قسم خاص للأخوات المسلمات ... وبهذا صارت الدعوة واسعة الإنتشار .

* ١٩٣٩م إنشقاق جماعة (شباب محمد) وإدانتها للبنا بسبب علاقاته مع القصر .

* ١٩٤٠م الإتصال الأول بين حسن البنا والضباط الأحرار من خلال أنور السادات .

وفى سنة ١٩٤١م تعرضت الجماعة لأول محنة .. وتمثلت فى ضغط الإنجليز على الحكومة المصرية خشية من عواقب قرار الحل ... فأصدرت قرارات بوقف الاجتماعات ومصادرة المجلات وإغلاق المطابع ... ونقل البنا إلى قنا ثم عاد مرة أخرى للقاهرة حيث تم إعتقاله ثم أفرج عنه ...

وفى سنة ١٩٤٢م تم حل البرلمان وأعيد إنتخاب برلمان جديد .. ورشح البنا نفسه فى تلك الإنتخابات عن الإسماعيلية ... وطلب منه رئيس الحكومة أن يتنازل .. وتنازل البنا عن الترشيخ ... إلا أن الحكومة .. خشيت من سلطان الجماعة وقتها فأصدرت قرارها بإغلاق الشعب وضيقت على الإجتماعات والأنشطة ... وكان ذلك تمهيداً لإصدار قرار حل

الجماعة ...

* ١٩٤٣م بداية إنشاء الجهاز السرى الخاص للإخوان المسلمين .

وفى سنة ١٩٤٥م قام الإخوان بترشيح أنفسهم لانتخابات البرلمان الجديد ... فقامت الحكومة بتزوير الانتخابات وتعمدت عدم إنجاح أى عضو من الإخوان ... فرفض الإخوان الانتخابات ونددوا بها .

وفى سنة ١٩٤٥م أيضا تم إعتقال البنا المرشد العام للإخوان بتهمة إغتيال رئيس الوزراء ... ثم افرج عنهم فيما بعد لعدم وجود إتهام لهم ...

* ١٩٤٦م تشجيع من الحكومة للإخوان فى نضالهم ضد الوفد والشيوعيين .

وفى سنة ١٩٤٧م صدر قرار تقسيم فلسطين ... فرفضه بعض الإخوان وبدأوا فى إعداد كتائبهم العسكرية لخوض المعركة ضد الإنجليز واليهود .. وشهدت أرض فلسطين بطولات معروفة لجنود الإخوان ... فى حين كانت الحكومة تمد جيشها بالأسلحة الفاسدة .

وفى ١٠ تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٤٨م أصدر سفراء أميركا وانجلترا وفرنسا فى مصر .. بعد إجتماع لهم فى فايد ... قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين ... وتكليف الحكومة المصرية بتنفيذ ذلك ويتم الحل : بواسطة السفارة البريطانية فى مصر .

وفى ٤ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٤٨م صدر القرار الحكومى بحل جماعة الإخوان المسلمين ... ثم فى يوم ٨ كانون الأول / ديسمبر صدر قرار عسكرى بمصادرة أموال وأملاك وشركات الجماعات وتصفية المصانع والمطابع التى تمتلكها الجماعة وحظر الاجتماعات وإغلاق المقارات الخاصة بالجماعة .

بعد قرار الحل ... تم إعتقال جميع الإخوان .. وترك البنا المرشد العام وحيداً خارج السجن حيث لم يتم إعتقاله .. وكان ذلك تمهيداً لاغتياله ويعد هذا أكبر الاختبارات وأقساها عليه ...

وفى مساء السبت ١٢ شباط/ فبراير سنة ١٩٤٩م تم اغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أمام جمعية الشبان المسلمين فى القاهرة ... بواسطة عملاء الملك .. وتم حفظ القضية ضد مجهول .

وفى سنة ١٩٥٠م تم إختيار المستشار حسن الهضيبى مرشدا عاما للإخوان المسلمين بعد إستشهاد حسن البنا وكان له من العمر ٥٩ عاما .

وفى سنة ١٩٥١ صدر قرار مجلس الدولة ببطلان قرار حل الجماعية .. وتم الإفراج عن الإخوان وعادت الجماعة لصورتها الرسمية .. وأعيدت لها ممتلكاتها .. وأعيد فتح الشعب والمراكز ..

وفى سنة ١٩٥١م بدأ الإخوان يخوضون مرحلة جديدة من الجهاد ضد الإنجليز وكان ذلك على أرض قناة السويس ... وشهدت المعارك مواقف طيبة لجنود الإخوان .

وفى سنة ١٩٥٢ لعب الإخوان دورا أساسيا فى نجاح ثورة ٢٣ تموز / يوليو وذلك الإشتراك مع مجموعة من ضباط الجيش ... وقام الإخوان بتأمين الشوارع وحراسة المبانى الهامة .

* ١٩٥٣م الجهاز السرى لإخوان يفلت من قبضة وسيطرة حسن الهضيبى وفى نوفمبر من هذا العام تم طرد عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز من الجماعة وفى ديسمبر تم طرد صالح عشماوى ومحمد الغزالى من الجماعة لتعاونهما مع عبد الناصر .

وفى يوم ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٥٤م وقع حادث المنشية الشهير .. واتهم الإخوان بمحاولة إغتيال رئيس الجمهورية ... وإتخذ الحادث ذريعة للقبض على الإخوان ... فتم اعتقال عدة الاف وفى المعتقلات لاقى الإخوان صنوفا من التعذيب وصدر قرار بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها وإيقاف نشاطها ...

وفى إحداث ١٩٥٤م إعتقل المرشد حسن الهضيبى وتم تقديم الإخوان للمحاكمات أمام ما سمى بمحكمة الشعب ... التى أصدرت حكمها بإعدام سبعة من الإخوان ... بينهم المرشد ... ثم خفف الحكم عليه لكبر سنه إلى السجن المؤبد ... ونفذ الحكم بالاعدام فى الستة الباقين فى يوم ٧ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

وفى حزيران / يونيو سنة ١٩٥٧م استشهد العشرات من الإخوان المعتقلين حوالى ٢١ فى سجون طره وجرح منهم المئات فى مذبحة طره .. التى دبرها قادة السجون ... حيث أطلق الرصاص على الإخوان فى الزنازين .

بدأ رجال الإخوان الذين خرجوا من السجون فى تلك الفترة مع من بقى منهم خارج السجن فى تنظيم أنفسهم وإعداد صفوفهم .. وبدأوا فى دعوة الناس من جديد إلى دعوة

الإسلام ولكن فى إطار من الحذر الشديد وتربص الحكومة بهم والتقت زينب الغزالى بعبد الفتاح إسماعيل فى مكة من أجل هذا الهدف .

* ١٩٦٤م تم إرسال الجيش المصرى إلى اليمن وتم إطلاق سراح سيد قطب من السجن ثم إعادة إعتقاله عام ١٩٦٥م .

وفى سنة ١٩٦٥م تم القبض على الإخوان الموجودين خارج السجون .. ويقدر عددهم بنحو ٣٠ ألفا وحوكم الإخوان محاكمات عاجلة ... وصدر الحكم على ثلاثة منهم بالإعدام بينهم سيد قطب ... وحكم على عدة مئات منهم بالسجن .. ونفذ حكم الإعدام يوم ٢٩ آب / أغسطس سنة ١٩٦٦م .

* ١٩٦٨م الإخوان فى المنصورة يتظاهرون ضد عبد الناصر وضد هزيمة ١٩٦٧م .

وفى سنة ١٩٧١م بدأ الإفراج عن الإخوان المعتقلين .... وخرج آخرهم عام ١٩٧٤م .

وفى يوم ١١ تشرين الثانى / نوفمبر سنة ١٩٧٣م إنتقل حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين إلى جوار ربه بعد صراع طويل مع المرض .. وكان له من العمر ٨٢ عاماً .

بعد خروج الإخوان من المعتقلات أعادوا تنظيم صفوفهم ... وبدأوا بممارسة الأنشطة المتاحة لهم .... وتم إختيار عمر التلمسانى .... مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين .

* ١٩٧٦م سيطرت الجماعات الإسلامية على اتحادات الطلبة وفى يوليو من هذا العام أعادة إصدار مجلة (الدعوة) والإخوانية وفى نفس العام ظهرت جماعة التكفير والهجرة بزعامة شكرى مصطفى ومن قبلها بعامين (١٩٧٤م) ظهرت جماعة صالح سرية الشهرية بجماعة الفنية العسكرية .

وفى أيلول / سبتمبر سنة ١٩٨١م وقع صدام بين الحكومة والإخوان أدى إلى إعتقال المرشد العام عمر التلمسانى مع بعض قيادات الجماعة ... ومئات من أفرادها وصودرت مجلة الدعوة الخاصة بالإخوان .... وأغلق مقرها .. ثم بدأ الإفراج عنهم فى أواخر العام نفسه .

وشهدت أحداث أيلول / سبتمبر وقائع خطيرة كان أكثرها إثارة إستشهاد محمد كمال الدين السنانيرى أحد قادة الإخوان فى السجن .

بعد الإفراج عن الإخوان ... قرر الإخوان البحث عن الوسائل التى تعيد لهم إتصالهم بالشعب المصرى .

وفى شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٤م إتخذ الإخوان قرارهم بدخول إنتخابات مجلس الشعب على قائمة حزب الوفد ... ودخل بالفعل عدد من أفراد الجماعة مجلس الشعب .

وفى شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٦م إنتقل عمر التلمسانى المرشد العام للإخوان المسلمين إلى جوار ربه .... وتم إختيار محمد حامد أبو النصر مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين ....

وفى شباط / فبراير سنة ١٩٨٧م .... قرر الإخوان دخول إنتخابات مجلس الشعب على قوائم حزب العمل بالائتلاف مع حزبى العمل والأحرار ودخل منهم بالفعل مجلس الشعب حوالى الأربعين فرداً . وفى عام ١٩٩٠م حدثت إنتخابات جديدة لمجلس الشعب المصرى رفض الإخوان دخولها لعدم وجود ضمانات حقيقية للديمقراطية ولا يزال الإخوان يعملون بدون إعتراف رسمى من الدولة بهم ولا زالت قضية حل جماعتهم تتداول أمام المحاكم المصرية حتى اليوم ١٩٩٢م .

ثانياً : الإخوان والآخرون فى المحيط الإسلامى :

رصد الإخوان عددا من النقاط الفارقة ، بين طبيعة عملهم وطبيعة آدائهم السياسى ، وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وهذه النقاط يمكن تلمسها فى كتابات الإخوان المسلمين أنفسهم وفى المجلات التى يصدرونها وفى مقدمتها مجلة الدعوة ويمكن إستخلاص تلك النقاط فى الآتى :

(١) إن طريق الإخوان بعيد كل البعد عن المظاهرات والعنف والتآمر بهدف الوصول إلى الحكم طريق الإخوان هو طريق العمل المستمر لنشرة الدعوة الإسلامية بواسطة تعريف الشعب وخاصة الشباب بأسس الإسلام .

(٢) إن أفكار أولئك الشبان تتعارض - من ناحية المبدأ - مع الإسلام ، لأن الدولة الإسلامية فقط ، وليس أفراد منها هى التى تملك إتهام أفراد أو جماعات بالكفر ومن الناحية العملية فإن تبنى هذه الفكرة بواسطة الدعاة المسلمين يعزلهم ويجعل أغلب المسلمين يتنكرون لهم . إن مهمة الإخوان هى الدعوى الإسلامية وليست تكفير المسلمين نحن دعاة لا قضاة (إنظر تفصيل ذلك : مصطفى مشهور : نحن وغيرنا من الجماعات الإسلامية - العدد ٦٣ مجلة الدعوة) .

(٣) كل رجل مخلص شريف يعرف أننا والنظام الحاكم فى هذا البلد على طرف نقيض فيما يختص بالبرامج والأوضاع . وسنظل كذلك إلى أن يأتى اليوم الذى تطبق فيه أحكام

الله وأوامره .... ولكن حتى يأتى هذا اليوم لن نكف عن الحركة ... والحركة عندنا ليست - كما يفهم البعض - هى إحراق وسائل المواصلات ، وتحطيم المحلات ونهب المنشآت ، إننا لا نقبل ذلك ... والله لا يرضى عن المخربين فما يتم نهبه وتدميره ليس ملكا لرئيس الدولة أو الحكومة إنما هو ملك خاص للشعب ولكل واحد منا .

(٤) إذا كان المقصود بـ «الحركة» التآمر لقلب نظام الحكم ، فليكن معلوما أن هذا عمل من يسعى إلى السلطة من أجل السلطة .

(٥) بالنسبة لنا لا نختلف على شخص الحاكم ولكننا نختلف على نوع الحكومة وشرعيتها .

(٦) إن حركتنا تقوم فى إطار الرسالة الإسلامية ، إننا ننشد الحقيقة وندعو الناس للتجمع حولها لنقول لهم ما حلل الله لهم وما حرم عليهم .

(٧) ونحذر الناس من العلمانية المتنكرة فى ثياب إسلامية من أجل عزل الشباب المسلم عن دينهم ببطولات مسمومة بقدر ما هى معسولة ... وفى تعليمنا الشباب نعتمد على كتاب الله وسنة رسوله .

(٨) لا مجال فى البحث حول الإطاحة بالنظام فالأهم أن نقدم لهذا النظام ما يحسن منه تدريجيا .

(٩) إننا جزء من المعارضة الشرعية التى تعد من طلب النظام .

(١٠) إننا سنمارس قدراً كافياً من الضغوط على النظام للوصول إلى تحول سلمى فى إتجاه ، الدولة الإسلامية ، التى تقام على أسس الشريعة «مصطفى مشهور» - المصدر السابق .

ورغم هذه الفوارق ، فإن قادة الإخوان حاولوا إستمالة الجماعات الإسلامية الأخرى إليهم بشتى الأساليب وكان من بينها تبنى مجلة الدعوة لأخبارهم وأفراد الصفحات لهم إلى أن يقول المرشد العام ، محذرا الحكومة وخاطبا لود الجماعات الإسلامية الأخرى :

(قبل أن تقيموا للشباب التشكيلات الرياضية أو الفنية ، أفسحوا لهم طريق التشكيلات الدينية ، ففى ثناياها ومن تعاليمها أن يكون الشباب قويا فى جسده وفى علمه وفى خلقه وفى ثقافته وفى دينه ، الجماعة الإسلامية ، الواحدة عندما تدعوا الشاب إلى التمسك بدينة تعلمه أن الله يحب المؤمن القوى فى كل شىء أكثر من المؤمن الضعيف فى كل شىء ، إن الجماعات الإسلامية تعلم الشباب أن يخالط الناس وأن يصبر على أذاهم ، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم فى دنياهم وعقباهم) .

ثالثاً : رؤية الإخوان لإشكالية الوطنية :

كان للإخوان المسلمين تميزهم الفكرى ، وإسهاماتهم الجادة - رغم إختلافنا معها - بشأن العديد من القضايا الهامة ، وتأتى قضية الوطنية ، والتى إستند إليها النظام الناصرى فى مشروعيته عليها ، أساسا ، فهل كان المشروع الإخوانى مناقضا لهذه الفكرة والتى تحدد مستوى أول للإنتماء هو هنا الوطن الأصغر ، ومستوى ثان له هو (دار الإسلام) ؟ ذلك ما تجيب عليه الأطروحات الإخوانية ، والتى نأتى هنا بنموذجين رئيسيين لها الأول يقدمه (حسن البنا) ، والثانى يقدمه (سيد قطب) فماذا عنهما ؟

(١) أطروحة حسن البنا :

ولد الشيخ حسن البنا عام ١٩٠٦م وإستشهد عام ١٩٤٩م ، وكان له تأثيراته العديدة على الفكر الإسلامى المعاصر ، وعلى الحركة الإسلامية فى الوقت ذاته ، وتميز دون سواه من قادة الحركات الإسلامية بإتساع أفقه وعمق نظرته ودقة أحكامه بشأن قضايا الواقع الإسلامى بإجمال ، وكان للحركة التى قادها (جماعة الإخوان المسلمين ١٩٢٨م - حتى الآن) إضافاتها الفكرية والسياسية على الصعيدين العربى ، والإسلامى ، وفى سياق رصدنا لقضية (الوطنية) داخل أدبيات الفكر الإسلامى المعاصر ، لا يمكننا تجاهل رؤية حسن البنا للقضية وهى رؤية تتميز بوضوح بين جانبين :[(١)].

الأول : هو الإستخدام السياسى للمفهوم فى إطار الحركة الوطنية ضد الاستعمار ولتحقيق الإستقلال . وفى هذا الاستخدام تتجسد الجوانب الإيجابية لمفهوم «الوطنية» التى يؤمن بها البنا إيمانا يجعلها تسمو إلى أن تصبح ، فرضا من الله هو الذى أمر به ، وجزءاً من تعاليم الإسلام ، ومن ثم فالإخوان كما يقول البنا أشد الناس تطرفاً فى الوطنية ، فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها (من الإستعمار) وإرتقائها[(٢)] فهم لا يطيقون أن يكون فى أرض الإسلام مستعمر واحد ويعملون بالنفس والمال فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى العام .

أما الجانب الثانى : الذى ميزه البنا فهو المضمون العلمانى «للوطنية» الذى يقيم علاقة الولاء

---

(١) من الكتابات المهمة والجادة فى هذا الصدد انظر :

- إبراهيم البيومى غانم : الفكر السياسى للإمام حسن البنا - رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة - ١٩٩٠م .
- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت .
- د. رفعت سيد أحمد : الدين والدولة والثورة ، طبعة ثانية ، القاهرة - ١٩٨٩م .

(٢) إبراهيم البيومى غانم ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

بين الفرد والدولة – فى أحد محاور – على أساس الإنتماء لرقعة من الأرض تشكل إقليم الدولة فى حين لا يقيم أى إعتبار للعقيدة كأساس لهذا الولاء بحجة الحفاظ على «الوحدة الوطنية» بين المسلمين وغير المسلمين ويرفض البنا هذا المضمون العلمانى للوطنية لأنه يتصل بالبنية الأساسية لمفهوم الدولة كما تصورها البنا ، ولا يتردد البنا فى دحضة والتحذير من مخاطره فالعقيدة – فى نظره – هى التى ترسم حدود «الوطن» و «الوطنية» وليست التخوم الأرضية أو الحدود الجغرافية ويؤكد فى موضع آخر «إن العقيدة الإسلامية تعتبر الأرض كلها وطنا واحداً»[1]

وفى نفس الإتجاه وإنطلاقا من قناعات واحدة كان رأى حسين البنا بشأن الوحدتين العربية والإسلامية رؤية إذا ما قورنت برؤية بعض القوى الإسلامية اليوم ، فإنها تصير أكثر تقدما بمعايير الاستنارة وإستشعار هموم الأمة وتحديات مستقبلها وطبيعة الدور المناط بفرق الحركة الإسلامية لمواجهة تلك الهموم والتحديات ، فحسن البنا يرى بالنسبة للوحدة العربية أن هذا الإسلام نشأ عربيا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب[2] ، ويرى أن الكتاب الكريم جاء بلسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء فى الأثر إذا ذل العرب ذل الإسلام ، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسى وإنتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه ، ويؤكد حسن البنا ، أيضا ، أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبى ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : «ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان» ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه – ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية[3] .

وتزداد القضية وضوحا فى فكر حسن البنا ويرفع بشأنها أى تناقض بين الدوائر الإنتمائية إذا ما كان الإسلام هو إطارها الصحيح ، وبخاصة بالنسبة لمجتمع مثل مصر وهنا يأتى فكره واضحا عندما يرى :

إن مصر هى قطعة من أرض الإسلام وزعيمة أممه ، وفى المقدمة من دول الإسلام وشعوبه

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٢) حسن البنا : موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والإسلامية – مجلة حوار – العدد الثانى – مصدر سابق ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

والمصرية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها فى الكفاح والنضال .. إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون فى سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وإنها (أى مصر) جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام «العروبة – وهى الحلقة والدائرة الثانية والتالية» – لها فى دعوتنا – كذلك – مكانها البارز وحظها الوافر – فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير ، ويحق ما قاله ﷺ : «إذا ذل العرب ذل الإسلام» ! ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها إن هذه الشعوب الممتدة من الخليج إلى المحيط كلها عربية . تجمعها العقيدة ، ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها الوضعية المتناسقة فى رقعة من الأرض متصلة متشابهة . لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق .. ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام . ولخير العالم كله .. ودعوتنا ذات مراحل . ونرجو أن تتحقق تباعا ، نرجو أن تقوم فى مصر دولة مسلمة ، تحتضن الإسلام ، وتجمع كلمة العرب ، وتعمل لخيرهم ، وتحمى المسلمين فى أكناف الأرض عدوان كل ذى عدوان .. وواجب أن يعمل الإنسان لوطنه ، وأن يقدمه فى العمل على سواه . وواجب أن نعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض .. وواجب أن نعمل للجامعة الإسلامية ، باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامى العام .. ولا تعارض بين هذه الوحدات ، بهذا الإعتبار ، فكل منها يشد أزر الأخرى ، ويحقق الغاية منها ![1]

* أخيراً ، لقد حاول البنا أن يقدم تعريفا جغرافيا للوطن ، يتسق تماما مع مفهومه السابق ، فالوطن – حسب رأيه – فى عرف الإسلام يشمل القطر الخاص ... ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار ثم يرق إلى الدولة الإسلامية الأولى التى شادها الأسلاف بدمائهم ولا تزال آثارهم فيها وكل هذه الأقاليم يسأل المسلم عنها بين يدى الله إذا لم يعمل على إستعادتها ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعا[2] ويردف البنا فقرته السابقة بالآية الكريمة وهى قول الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (الأنفال من الآية ٣٩) وهذا التصور الذى تصوغه عبارات البنا ، مقرونا بالإشارة إلى الوظيفة الجهادية للدولة ، يمكننا أن نخلص إلى أنه قد أعاد صياغة

(١) حسن البنا : مجموعة الرسائل ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) حسن البنا فى رسالة إلى الأمة الناهضة ٢٩ شوال ١٣٥٥هـ – ١٢ يناير ١٩٣٧م – فى إبراهيم البيومى ، مصدر سابق ص ٢٢٠ .

مفهوم «الوطن» و «الوطنية» صياغة حركية تجعل قاعدة الدولة (إقليمها الأرضى) لا يستقر ولا يثبت إلا فى حالة واحدة فقط وهى أن يشمل الدنيا كلها أما قبل ذلك فتظل الدولة الإسلامية – حسب المنطق الذى يقود إليه تصور البنا – فى حالة «عدم إستقرار» طالما أنها لم تستكمل تحقيق رسالتها «كدولة عقيدية إسلامية» .

إن هذه الرؤية رغم مثاليتها – وربما بسبب منها – ظلت تعد محور الإجتهادات الفكرية لكل من تلى الإمام حسن البنا من قادة الحركة الإسلامية فى مصر وخارجها ، وصولا إلى تحقيق الدولة الإسلامية العالمية ، أو ما يسميه البعض بالعالمية الثانية للإسلام .

(٢) أطروحة سيد قطب :

تعد رؤية سيد قطب بشأن قضايا الانتماء (من قومية ووطنية وإسلامية) أكثر أهمية عما سبقها من الرؤى ، وذلك لاختلاف السياق السياسى والحضارى الذى أتت فيه كلية ، فالرؤى السابقة أتت فى سياق غياب المشروع القومى الذى استقطب الأمة تجاه العديد من التحديات الخارجية والداخلية ، فى حين أن هذا المشروع كان فى قمة تألقه عندما سبق سيد قطب ورفاقه إلى أعواد المشانق ، وكانت إنجازاته المادية على أرض الواقع تستقطب تلك القطاعات التى عاناها (قطب) بخطابه السياسى والدينى ، وكانت صرخة قطب هى الإستثناء الوحيد – ربما خلال القرن العشرين داخل مصر – الذى لم يجد صداه المباشر إلا بعد رحيل صاحبه بسنوات .

* وتأتى أهمية رؤية سيد قطب أيضا ، من زاوية أنه المفكر الذى خرجت من تحت عباءة (ظلاله)[١] ، و(معالمه)[٢] ، كافة الأفكار الجهادية للتنظيمات الإسلامية الراديكالية خلال حقبتى السبعينات والثمانينات .

* لهذه الأسباب ولغيرها ، تأتى أهمية رؤية سيد قطب لقضية الإنتماء بدوائرها المختلفة (الإسلامية – القومية – الوطنية) ، وبداية يلاحظ أن سيد قطب كان أكثر جذرية عمن سبقه فى رفضه لمفهوم (الوطنية) كلية سواء كان هذا المفهوم قائماً على أساس إسلامى أو علمانى ، فهو لا يرى سوى (العقيدة) كوطن ، وكإنتماء من هنا نراه يؤكد على سيادة الشريعة الإلهية ، والإنتماء للحاكمية العليا : الله وذلك لأنه حين تكون الحاكمية العليا فى

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ط ١٧ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

(٢) سيد قطب : معالم فى الطريق ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

مجتمع لله وحده متمثلة فى سيادة الشريعة الإلهية «تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية»[1]، وحيث أن المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية، فهو المجتمع المتخلف، أو المصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى[2] وحيث المعركة - وفقا لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم، «ليست معركة سياسية ولا معركة إقتصادية ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها، وسهل حل أشكالها ولكنها فى صميمها معركة عقيدة، أما كفرا أو إيمانا أو جاهلية أو إسلام»[3].

ويرى أيضا أن هدف الاسلام لم يكن فى يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث: «إن هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية، ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله فى طرفة عين، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله، وليس لأى بشر، أو جماعة من البشر وإن أى حاكم إنسان بل أى مسئول إنسان، وإنما ينازع الله سلطته، بل إن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه، لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه»[4].

إن الأمة عند قطب - تجمع بشرى حول مرتكز عقيدى لا حول راية وطنية أو قومية، أو هى فى جملة أخرى دار تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله، وهى عقيدة يراها قطب تعلو فوق المقومات التاريخية لبناء الأمة، من هوية وتشارك قانونى، وتجانس ثقافى، مما يعنى أنه تعمل مع هذا المفهوم بصيغة أقرب إلى الأيديولوجية منها إلى التحليل العلمى[5]، ويرتبط بمفهوم (الأمة الإسلامية)، لديه، مفهوم آخر هو العالم الإسلامى)، أو (دار الإسلام) التى تضم كل أرض يعيش عليها مسلمون.

وطبقا لرؤيته، هناك داران: دار الإسلام، وحمايتها حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذى يسود فيه، ودار الحرب، وهى الأرض التى لا يهيمن فيها الإسلام، ولا تحكم فيها شريعته،

---

(١) سيد قطب : معالم فى الطريق، مصدر سابق ١١٨ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٠ .

(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٨٨ ع ٢٠١ .

(٥) د . محمد حافظ دياب : سيد قطب - الخطاب والأيديولوجية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة - ١٩٨٧ م ص ١٣٧ - ١٣٩ .

بالقياس إلى المسلم وإلى الذمى المعاهد كذلك ، وتلك دار على المسلم أن يحاربها[1] .

على ضوء هذا التصوير ، «فإن هذه الأمة لا تملك الآن – وليس مطلوباً منها – أن تقدم للبشرية تفوقا خارقا فى الإبداع المادى .. لابد أن من مؤهل آخر لقيادة البشرية – غير الإبداع المادى – ولن يكون هذا المؤهل سوى (العقيدة) و (المنهج) الذى يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتاج العبقرية المادية[2]

إن الخطاب السياسى الإسلامى لسيد قطب بهذا المعنى يقوم على ثلاثة فروض وأفكار أساسية :

تتلخص الفكرة الأولى فيما يلى :

يعيش العالم اليوم وفى مقدمته العالم الإسلامى جاهلية جديدة كتلك التى عرفها التاريخ قبل الدعوة الدينية الإسلامية وهذا ما يفسر لنا عموما اللاأخلاقية واستتباب المادية وطغيان الحكام الكافرين والحيرة والوجودية ... الخ ، ولا يمكن لمسلم جدير بهذا الإسم أن يقابل باللامبالاة هذه الحالة الاجتماعية والسياسية ، إذ المسلم مجبر – وهذه فكرة أو فرض قطب الثانى – بحكم تعاليم دينه أن يقوم ما أعوج فى عالمنا هذا ، هذا التقويم ، وهو مناط برقبة كل المسلمين ، ينبع من كونهم أودعوا من عند الله تبليغا عالميا ، وهو تبليغ يتمثل فى نشر وتحقيق كلمة الله ، لذا وجب على أهل الكتاب ، المسيحين ، واليهود أن ينحازوا إلى الرسالة الإسلامية أو ألا يقفوا على الأقل عقبة دون إنتشارها .

وحسب رأى قطب لو لم يجد المسيحيون واليهود عن دينهم الأول والأصيل لأعتنقوا دين الإسلام الذى هو عقيدتهم الحقة ، إذن الإسلام بحكم عالميته مجبر على الإنتشار لأنه لا يرتبط بوطنية ولا بقومية ولا بجنس ولا بطبقة إجتماعية ، جغرافيته الوحيدة هى جغرافية العقيدة ، ولكى يعيش الفرد المسلم هذه العقيدة التى تشمل حسب رأى قطب وهذه فكرته الثالثة التى دافع عنها بقوة) – كل مظاهر الحياة أى الدين والدنيا والدولة ، لابد من طليعة تكلف بالعمل لإقامة مجتمع مسلم ودولة مسلمة ، تتكون هذه الطليعة وهذا مفهوم مهم عند قطب كما يقول (أو ليفى كاربه) من النخبة المؤمنة التى تمتاز برسوخ وقوة عقيدتها ولابد لهذه النخبة من إعادة التجربة المحمدية بتمامها أى حتى فى تفاصيلها ومراحلها المكية وتكون بثورة

---

(١) سيد قطب ، معالم فى الطريق ، ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

ثقافية تعبد الطريق ، والمرحلة المدنية وهى إقامة الدولة الإسلامية ، أى الحاكمية وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية[١] .

بهذه المعانى التى نستخلصها فإن سيد قطب يتفق مع سائر دعاة الإصلاح الإسلامى (بمن فيهم محدثو السلفيين) فى إقامة هذا الترادف بين (الإسلام) والفطرة ولكنه يذهب أبعد منهم ، ويتضح ذلك من موقفه من مسألة الدولة الوطنية فلسفة ومؤسسات ، فأمثال محمد عبده ، والأفغانى والكواكبى والبنا دخلوا معها فى حوار ، واجتهدوا فى تأويل الإسلام بها ، أو تأويلها بالإسلام ، فكانت إصلاحاتهم وإجتهاداتهم ذات مسحة دينية .

أما عند قطب فإن هذه «الدولة الوطنية» مغيبة . هو يرفض نظريتها فى السلطة لأنها تجعل البشر هم مصدرها ، وتجعلهم الغاية من نظامها ، فهى دولة جاهلية .

إن اعتبار البشر مصدر للسلطة ، تشريعاً وتنفيذاً ، هو فى عرف قطب جاهلية لأنه خروج على عقيدة الإستخلاف فإن الإنسان مجرد وكيل لله على الأرض ، عليه أن يعمرها ويدير مجتمعه فيها طبقا لشرعه ، فلا هو المالك الأصلى لخيراتها ولا الحاكم الحقيقى بها ، بل هو مجرد وكيل مستخلف وكل نظام يقوم على غير هذا فهو جاهلية .

* «الجاهلية» يراها قطب عامة ، تماما كما كانت الحال ، حين ظهور الإسلام ، فلابد إذن من سلوك نفس المنهج الذى سلكه الإسلام الأول ، لابد من العودة إلى الإسلام الأصل ، إلى الفطرة وتكوين «الفئة» المسلمة حقا ، نواة المجتمع الإسلامى ، المتمثلة للإسلام عقيدة وسلوكا ، تنشره بالدعوة فى مجتمع عاد إلى «الجاهلية» وتقتدى فى مرحلتها الأولى هذه بما كان عليه الإسلام المكى ثم تنطلق إلى المرحلة الثانية ، لتعميم الإسلامى بـ«الجهاد» وتقيم «الدولة الإسلامية» . هذا ولقد ارتبطت دار الإسلام ، ليست وطناً ولا جنساً ولا قومية ، ولا «دولة وطنية» وإنما هى دولة «الإستخلاف» والتى تقوم على الشرع الإلهى[٢]

إن سيد قطب ، كما هو واضح كان جذريا فى رفضه لكل ما هو دون الإسلام على صعيد الإنتماء ، وبخاصة تجاه إشكالية الوطنية ، ونحن نعتقد أن للسياق السياسى ، وللظروف

---

(١) أوليفى كاربه : الصوفية والسياسة (المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية - باريس - ١٩٨٤ م) عرض أسماء العريف المنار - العدد الأول يناير ١٩٨٥ م - دار الفكر العربى للأبحاث والنشر - باريس) ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) د . على أومليل: هجرتان سيد قطب وطه حسين - مجلة فكر للدراسات والأبحاث القاهرة ، العد ١٠ - ١٩٨٦م ص ١٨ .

الموضوعية (سجن سيد قطب وإعدامه فى قضية الصراع مع النظام الناصرى عام ١٩٦٥م) تأثيراتها المساعدة فى علو نبرة الرفض فى الخطاب القطبى تجاه هذه الاشكالية ، وتجاه غيرها من إشكاليات الفكر الإسلامى المعاصر ، وتميزت عن سابقتها من الرؤى وكان لإستشهاد صاحبها بسبب إيمانه بها ، تأثير نفسى هائل على من تلاه من الإسلاميين تجاه هذه الإشكالية بخاصة وتوارى العقل ، أمام العاطفة ، ودخل «الاستشهاد» مرة أخرى فى صناعة السياسة ، وخلق الرؤى وتشكيل الوعى ، وعاشت السبعينات والثمانينات ، داخل عالمنا العربى ، ومصر منه بخاصة ، مرحلة من التحول والتوتر الفكرى شديدة ومؤ ثرة ، وكان (سيد قطب) هو بطلها الحقيقى رغم رحيله الجسدى عام ١٩٦٦م .

رابعاً : رؤية الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر :

تعددت زوايا الرؤية الإخوانية لشخصية جمال عبد الناصر الذى تدور من حوله وقائع هذا الكتاب وسوف نورد هنا رؤية أحد الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر لعلها توجز كل الرؤى الإخوانية وتقدمها لنا فى بلورة واضحة إنها رؤية محمود عبد الحليم[1] ، وشخصية عبد الناصر تتميز بالنسبة له فى الآتى من واقع جلسة طويلة معه قبل الثورة عام ١٩٥٢م .

أولاً : أنه يتمتع بشخصية قيادية بدليل تزعمه لمجموعة متباينة من الضباط وكلها تدين بالخضوع له والائتمار بأمره .

ثانيا : أنه يتمتع بذاكرة وحافظة قويتين ، فقد كان فى سرده للأحداث التى كانت بينه وبين الإخوان يذكر كل حدث منها بتاريخه محددا مع أن منها أحداثا كان قد مضى عليها أكثر من خمسة أعوام .... وإذا فرضنا أنه كان قد عكف على تحضير هذا الحديث الذى تضمن عشرات الأحداث قبل أن نلتقى به ، فإن حفظ تواريخ هذه الأحداث ، وإلقاءها إلينا دون خلط أو خطأ ، ينهض دليلا على قوة ذاكرته ومتانة حافظته .

ثالثا : إنه ذو شخصية متماسكة ذات أعصاب قوية ثابتة ، لا تكاد تستجيب للمؤثرات الخارجية مهما قويت هذه المؤثرات - وقد شعرت بذلك فى أثناء إلقائه حديثه الطويل دون أن يجرفه الموقف المثير جرفا يخرج به عن سياق حديثه أو ينسيه ما رتب فى ذهنه من نقاط .. كما شعرت بذلك حيين كنا نتحدث إليه ونحن مجموعة

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - دار الدعوة - القاهرة - ١٩٨٦م ص ٣٧٥ .

لها وزنها فى الإخوان ، وكان حديثنا فى ذلك اليوم حديثاً عاطفياً فياضاً تثور له وتستجيب له عاطفة كل سامع .. ومع ذلك فإن ذلك لم يحرك عواطفه حركة توائم ما نغمره به من عواطف ، بل كانت إجاباته تتمشى مع المنطق الذى أختاره لنفسه – وتماسك الشخصية قد يكون نتيجة الثقة بالنفس أو قد تكون الثقة بالنفس وليدة تماسك الشخصية ، أو قد يكون التعبيران لصفة واحدة .

رابعاً : هناك ملمح من ملامح شخصيته كشف لى عنه حديثه الممتزج بالمرارة حين كان يتحدث عن لقاءاته مع الأستاذ المرشد العام ، وهذا الملمح لا زلت فى حيرة من تسميته ، ولكننى أشير إليه بما كان يبعث هذا الحديث فى ملامح جمال وفى قسمات وجهه ، وفى تقطيب جبينه ، وفى توقد عينيه ما يكاد يخيل إلينا أن لو كان الأستاذ المرشد أمامه لأطاح برأسه شفاء لما يتأجج فى صدره من غضب منه وحقد عليه .

وهو يرمى المرشد العام بصفات لم نعهدها فيه ، ولم نسمع أن أحداً نسبها إليه – وفحواها أنه يتجاهل جليسه ويحقر ضيفه – ولست أدرى لماذا يشكو جمال وحده دون غيره – على كثرة من قابل المرشد العام من جميع المستويات – ويشكو صفة لم يشك منها غيره من هؤلاء ، المتعاملين سواء منهم العدو والصديق .

خامساً : والملمح الخامس والأخير فى شخصية جمال هو عدم مبالاته بالقيم ولا بالعلاقات وهو ما يعبر عنه بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» . وهذا المبدأ يستبيح الدم والعرض مادام ذلك يحقق هدف الشخص . والهدف فى هذه الحالة عادة يكون هو السيطرة والاستئثار بالسلطة . وصاحب هذا المبدأ مادام يملك القوة فإنه لا يرحم ولا يرعى إلا ولا ذمة .

ولقد وضح هذا الملمح حين كان جمال يتكلم عن طلبة الجامعة وأساتذتها وما أعده لهم من معتقلات أخذ يصف بشاعتها .. كما وضح حين كان يتكلم – وهو يشعر أنه فى مركز القوة – فتراه يرفض عروضنا عليه ، وهى عروض كان هو يتمناها من قبل ، وطالما سعى هو إليها ، وحين سعى وجد منا قلوبا مفتوحة ، وعواطف فياضة ، وتغاضيا عن الإساءة ... وناهيك ما كان منا عقب خروجنا من المعتقلات فى مارس ١٩٥٤م ونحن فى أوج القوة وهو فى حضيض الضعف ، وطلب أن يزور المرشد فى بيته ، فرحب المرشد بلقائه ونسينا ما كان من إساءاته التى بسطنا الحديث عنها من قبل .

وعلى كل فإن هذا الملمح الذى بدا لنا منه ما بدا فى هذا الاجتماع وكان مجرد كلام

وتهديد ، مما جعلنى أتشكك فى أصالة هذه الصفة المرذولة فى نفسه ، وأحسن الظن فأتصورها مجرد عارض نفسى تنزع إليه بعض النفوس فى أثناء الحديث لتظهر أمام مستمعيها بمظهر يتم بالقوة والبطش .. ولكن الأحداث بعد ذلك أبانت عن أن حسن ظننا لم يكن فى موضعه ، وأثبتت أصالة هذه الصفة فى نفسه ، بل وضحت أنها الصفة المسيطرة عليها ، والتى تتحكم فى جميع تصرفاته وخطواته .

خامساً : رؤية الإخوان لحادث المنشية : الشهادة الأول :

هناك العديد من الشهادات بالنسبة لصدام ١٩٥٤ بين عبد الناصر والإخوان ، منها شهادة صلاح شادى والتلمسانى وصالح عشماوى وجابر رزق وزينب الغزالى وغيرهم من الإخوان الذين ظهرت شهاداتهم فى السبعينات بعد الأفراج عنهم وفى مجلة (الدعوة) إلا أننا نورد هنا رواية حديثة نسبيا وهى أقرب للسرد الذاتى منها إلى التاريخ ومن هنا أهميتها ، نظراً لعفويتها الشديدة وهى رواية «محمود عبد الحليم» أنه يحدد رأيه فى حادث المنشية فى النقاط التالية :

١ - إذا كان الإخوان يريدون إتيان عمل كهذا ، أفلم يكن الأولى بالقيام به إخوان الاسكندرية ، والمثل يقول «أصحاب الدار أدرى بمسالكها» والمفروض فيمن يرشح نفسه لمثل هذا العمل أن يرتب لنفسه خطة الهرب ، ولا يستطيع هذا إلا من له دراية كاملة بمعالم هذا البلد وأدق تفاصيل مسالكه .[1]

٢ - لا شك فى أن جمال عبد الناصر ومن حوله من حرس حكومى يدخل فيه المباحث العامة والمباحث الجنائية والشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية والمخابرات العامة وغيرهم - كانوا يتوقعون كل شيء من ناحية الإخوان لاسيما النظام الخاص . كرد فعل لحملاتهم الإستفزازية ، وهم فى نفس الوقت ملمون إلماما تاما بجميع شعب الإخوان فى القطر كله وبأفراد النظام الخاص على وجه الخصوص ، بدليل إنهم بعد حادث المنشية مباشرة ألقوا القبض على جميع أفراد هذا النظام فضلا عن إعتقال غيرهم من الإخوان .. فلو إنهم أرادوا منح محمود عبد اللطيف - وهو معروف لهم بالذات

ومعروف لجمال نفسه - من السفر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم لفعلوا - فعدم منعهم إياه يشم منه رائحة التواطؤ أو على الأقل التغافل لحاجة فى نفس يعقوب .. قد كان يعلمها محمود وقد لا يعلمها هو ويعلمها من يرأسه فى النظام الخاص .

٣ - لو كان الإخوان يريدون إغتيال جمال عبد الناصر ، فقد كانت أمامهم عشرات الفرص

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، مصدر سابق - ص ٣٩٧ .

لتنفيذ ذلك دون مخاطرة تذكر - ولو فرضنا أن كل الفرص فاتتهم وأرادوا أن ينفذوها بعد ذلك لما وقع إختيارهم على تنفيذها في حفل عام يضم هذا العدد الضخم وهم يعلمون أن رجال المباحث مندسون وسط كل صف من صفوف الجالسين والواقفين ، ولما إختاروا أن يصوبوا إلى مسدسا من أسفل إلى أعلى على بعد لا يقل عن عشرين مترا .. ولكان تصرفهم غير هذا التصرف الذى هو أشبه أن يكون عملا إستعراضيا منه بأن يكون عملا جاداً .

٤ - إذا افترضنا جدلا أن هذا العمل قام به أفراد من الإخوان ، فإن إتيانهم بهذه الطريقة يدل على أنه ليس من تدبير هيئة كهيئة الإخوان المسلمين فيها من العقول ومن الخبرة مالا يتمخض عن مثل هذه الخطة الصبيانية ... وبهذا كان ينبغى إعتباره عملا فرديا لا علاقة له بدعوة الإخوان المسلمين ، ولا بهذه الهيئة المترامية الأطراف ، وما كان ينبغى أن تؤخذ هذه الهيئة بجريرة فعل فردى ، بل يؤخذ هؤلاء الأفراد وحدهم بجريرة ما فعلوا .. ولكن يبدو أن ، الهدف كان مبيتا لدى أصحاب السلطة .

سادساً : رؤية غربية للحادث :

نورد هنا رؤية ريتشارد ميتشل الهامة التى تعد بمثابة أطروحته للدكتوراة (قبل وفاته) ، ونشرت فى كتاب على جزئين ، يحمل عنوان الإخوان المسلمون ، نورد هنا رؤيته لحادث المنشية وتحديداً لعملية (المحاكات) والتى سميت فيما بعد (بمحكمة الشعب) .

فماذا يقول ميتشل[1] :

فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩٥٤م شكل مجلس قيادة الثورة (محكمة الشعب) لمحاكمة أعضاء الجماعة ، برئاسة جمال سالم وعضوية كل من أنور السادات وحسين الشافعى ، وكان أغلب الشخصيات الهامة فى الجماعة قد تم إعتقالهم فى الأسابيع القليلة الأولى التى أعقبت محاولة الإغتيال : ففى ٢٧ أكتوبر سلم هنداوى دوير نفسه ، وصدر قرار إعتقال الهضيبى فى ٣٠ أكتوبر (ليست هناك معلومات واضحة حول ما إذا كان قد سلم نفسه للسلطات) ، وفى ١٨ نوفمبر ألقى القبض على حميدة

---

(١) نشر كتاب ميتشل فى مصر عام ١٩٧٧ ، انظر ريتشارد ميتشل (الإخوان المسلمون - الجزء الأول والجزء الثانى - مكتبة مدبولى ١٩٧٧م - مصدر سابق) .

لإشتراكه فى أعمال الجهاز السرى ، وقبض على إبراهيم الطيب فى الثانى عشر من نوفمبر وعلى يوسف طلعت رئيس الجهاز السرى فى ١٤ نوفمبر ، وعندما تم إعتقال الأخير نشطت البورصة المصرية التى كانت - طبقا للتقارير - قد تعرضت للركود بعد محاولة الاغتيال ، وخلال تلك الفترة تم اعتقال كل الأعضاء الآخرين فى مكتب الإرشاد والمؤيدين البارزين للهضيبى ، وقد بقى ثلاثة فقط من بين هؤلاء الذين أتفق على أنهم لعبوا دورا بارزا فى أحداث تلك الفترة مطلقى السراح حتى الآن وهم حسن العشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف أبو المكارم عبد الحى .

وفى التاسع من نوفمبر بدأت المحاكمات وكانت أولى القضايا قضية المتهم بإرتكاب محاولة الإغتيال محمود عبد اللطيف ، وطلب إلى ثلاثة من أبرز المحامين فى مصر - محمود سليمان غنام وفتحى سلامة ومكرم عبيد - أن يتولوا الدفاع عنه ، إلا أنهم رفضوا نظراً لأنهم اعتبروا مثل هذا (المجرم) غير جدير بأى دفاع ، وعينت المحكمة محاميا هو حمادة الناحل ، الذى كانت تجربته الأولى والوحيدة مع الإخوان هى الدفاع عن مغتالى حسن البنا ، وأقر المتهم بأنه مذنب فيما يتعلق بتهم إرتكاب (أفعال مناهضة لشكل الحكم الحالى) بإشتراكه فى مؤامرة إجرامية للقيام بعصيان مسلح وثورة وبالشروع فى قتل رئيس الوزراء ، وقبل أن تنتهى محاكمته فى ٢٠ نوفمبر تم إستدعاء تسعة عشر شاهداً ، كلهم من الأخوان المسلمين ، ثم استدعى الهضيبى للمحاكمة فى ٢٢ نوفمبر ، ثم استدعى فى تلاحق سريع كل من هنداوى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت ، ثم أعضاء مكتب الإرشاد ، لتنتهى المحاكمة فى الثالث من ديسمبر .

وفى الجلسات الأولى للمحاكمة أدى ذكر إسم محمد نجيب إلى عزله من منصبه كرئيس للجمهورية وتحديد إقامته فى منزله ، وكان نذير سقوطه ، ذلك الإستدعاء ، الذى تم فى نفس اليوم لأخيه على ، سفير مصر فى سوريا ، وزعم أن الإستدعاء تم للتشاور حول الموقف المتدهور للعلاقات بين مصر وسوريا ، ولقد ذكر إسم نجيب مع أسماء محمد حسن العشماوى وزير التعليم السابق (الذى اعتقل) وعبد الرحمن عزام الأمين السابق للجامعة العربية (الذى لم يتعرض للإعتقال) - وذلك فى سياق مناقشته للتخطيط لمظاهرة الشعبية ، وهى المناقشة التى دارت بين الإخوان وتوصلو إلى ضرورة وجود شخصية وطنية تعمل على إعادة النظام فى البلاد ، وعندما إنتهت المحاكمة لم يكن هناك إى دليل مادى يثبت أن أيا ممن ذكرت أسماؤهم كان مشاركا عن علم فى أى مرحلة من محاولة الإغتيال ، أو أن أيا منهم كان على علم بطبيعة الدور الذى رسمه الإخوان له ، ورغم توافر أدلة كافية على وجود نوع من الإتصال

بين نجيب والإخوان ، إلا أنه ليس واضحا الشكل الذى اتخذه هذا الإتصال أو إلى أى مدى تورط فيه نجيب ، وشهادة الإخوان فيما يتعلق بهذه النقطة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية - بحيث أوحت بغياب أى تخطيط فعلى - ولم يقدم نجيب للمحاكمة ، ومن الواضح بالنسبة لنجيب على الأقل ، أن ناصر قد اختار اللحظة التى اكتسب فيها شخصية كبيرة لكى يسوى - دفعة واحدة وإلى الأبد - خلافه الذى لم يحل مع رئيس الجمهورية المتمتع بشعبية بين الجماهير ورغم أن عزل نجيب لم تكن له أصداء شعبية ، ألا أن أحد المراقبين لاحظ بذكاء أنه نتيجة لذكر إسم نجيب فى محاكمات الإخوان ، تحلل الموقف تدريجيا من الموضوع الكامل إلى موقف يكتنفه الغموض فى أذهان الناس .

أما المحاكمة نفسها فكانت معرضا لا ينسى للحقوق التى تمتلكها الحكومات الثورية وتستحوذ عليها فيما يتعلق بالمعاملة القانونية الواجبة ، فقد كان واضحا منذ البداية أن استيضاح معالم الدعوى وتحديد مدى كل ذنب على حدة هو آخر ما كانت تستهدفه الحكومة ، وفى تلك القضايا التى عين فيها الدفاع من قبل المحكمة ، كان المحامون يسألون أسئلة ويصوغون تعليقات كان من الأفضل تركها للإدعاء ، أما القاضى (رئيس المحكمة جمال سالم - فقد نصب نفسه مدعيا عاما ، فكان يقاطع كما يحلو له إجابات الشهود إذا لم تحز الإجابة رضاه ، وكان يضع الكلمات فى أفواههم ويكرههم أحيانا بالتهديد - على الإجابات المطلوبة ، وكانت أسئلته تصاغ بطريقة بحيث تحول دون أى إجابة تختلف عن الإجابة التى تطلبها المحكمة وأية محاولة لإضافة تفاصيل أخرى كانت تصد فى الحال ، وفى بعض الأحيان كان يشتبك فى حوار ومجادلة مع الشهود توج فيها إهانات وقحة ، وفى بعض الحالات كانت الإهانات تصدر من المحكمة وحدها ، وكانت المحكمة تمارس بحرية تامة مواجهة شاهد بآخر ، وتلفيق شهادة أحدهما لاستفزاز الآخر ، وكان يسمح للجمهور ، بل كان يشجع فى أحوال كثيرة ، بالمشاركة فى الضحك والسخرية من الشهود وتوجيه الإهانات لهم ، وفى مناقشة الشهود لم تكن غالبية الأسئلة الموجهة لهم مرتبطة بالجريمة ، فكانت تتضمن بدلا من ذلك إمتحانات فى تفسير الآيات .. القرآنية ، وقواعدها النحوية القصد منها إرباك الشهود .

ولقد اضطرب الشهود ، وإنتابهم الخوف ، كما إنهم فى الأغلب الأعم ، كانوا يفتقرون إلى الحياد ، أما الأدلة فكانت حافلة بالمتناقضات ، وكان مرجع ذلك لأسلوب معاملة المحكمة للشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود ، وعدم توفر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، وفضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالى عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن

السهولة الملحوظة التى إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبح الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهتزت مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشيء حدث أيضا فى التحقيقات التمهيدية ، والتى ظهرت من خلالها معظم (الاعترافات) وكان من أسباب هذا الإنهيار السريع للبنية التنظيمية ما حدث من تعذيب فى السجون على أن الأخطر من المحاكمة - أن ينظر مباشرة إلى وجه الهضيبى .

ولقد قامت الصحف بالتغطية الكاملة لوقائع المحاكمة - بإستثناء بعض التعليقات البذيئة للمحكمة - وكانت ترفق بنصوص أقوال الشهود تفسيرات مبهمة لم تكن دائما أو فى أغلب الأحوال تنسجم مع الحقائق المعروفة ، على أن فصل الوقائع عن إفتتاحيات أعمدة الأخبار التى تنقل المحاكمات لم يكن متعذرا نظراً لأن معظم الشهادات كانت متاحة ، ولقد إعتمدنا على هذه الشهادات بصورة أساسية فى محاولتنا صياغة روايتنا الخاصة للأحداث ، إنطلاقا من أن هذه الشهادات وبإفتراض أن الحكومة قد أخرجت من جعبتها - خلال المحاكمات والتحقيقات التمهيدية وفى الصحافة - كل ما تحوزه من بيانات حول نشاط الإخوان ، يمكن لنا أن نقدم بعض الملاحظات الموجزة حول إدعاء الحكومة وحول ما حدث بالفعل .

كانت الفكرة الأساسية التى صدر عنها الإدعاء بسيطة للغاية . فاغتيال رئيس الوزراء هى بداية (عصيان ذلك كان إنهيار الروح المعنوية للتنظيم فلم يكن الجهاز السرى الجديد قد تمرس فيما فيه الكفاية بحيث يطور الثقة المتبادلة بينه وبين الأعضاء ، أو ، وهو الأهم ، بين الأعضاء والقادة ، وفيما يتعلق بالحالة الأخيرة ، ورغم وجود سلطة عليا معترف بها رسميا ، إذ أنه لم يكن هناك فى واقع الممارسة ، تسلسل واضح ومحدد للسلطة ، وكان التنظيم العام للجماعة فى حالة من الإنقسام الداخلى العميق بخلافاته الداخلية المحترمة بحيث كان من السهل نسبيا العمل عل تعميق ما أصابه من تفسخ ، بالاعلان على أوسع نطاق جماهيرى ممكن من (اعترافات) و (خيانات) - بعضها حقيقى والبعض الآخر ملفق - تنسب إلى عدد كبير من أعضائه ، ومن الأمور ذات ، المغزى فى هذا الصدد أن الجزء المتبقى من الجهاز السرى والذى كان ما يزال يمارس نشاطا ، قام - بعد أن نشرت الصحف بعض الروايات عن (الخيانة) المزعومة التى أدت لكشف مكان إختفاء الهضيبى - بتوزيع منشور ينكر فيه هذا الزعيم ويؤكد التعاون المستمر والولاء الكامل للأعضاء ، وقد أضفت الصحف طابعا دراميا مثيرا على المسألة عندما لاحظت أن ، يوسف طلعت كان الرجل الوحيد الذى إستطاع - خلال مسلح دموى) يستهدف الأطاحة بالنظام الحاكم ، والهضيبى و (عصابته) هم المسئولون عن التخطيط المتعمد والواعى لهذا كله ، ولقد سبق إن رأينا أن الأمر لم يكن كذلك على وجه التحديد ، فالواضح أن محاولة الإغتيال قد وقعت لا بسبب النشاط الفعال

من جانب القيادة الجماعة بل وقعت بالأحرى نتيجة لعدم ممارسة هذه القيادة لنشاطها ، وكل صلة مباشرة أو حقيقة بين القادة وبين القيام بعصيان مسلح أو حتى إعداد خطط غير واضحة أو محدودة من أجل (مظاهرات شعبية) ظلت فى الواقع مفتقرة إلى الدليل ، كذلك ظل دون دليل ، إن مسألة التظاهر قد تعدت مرحلة المناقشة ، بل و لم تتضح هوية المشتركين فى المناقشات على نحو قاطع ، ولقد جسدت شهادة رئيس الجهاز السرى الخصائص الأساسية للإفتقار إلى القدرة على التخطيط ، فلقد أبدى جهلاً مطبقاً بالمسائل مثل تنظيم الأسلحة والتصرف فيها ومشكلات التماسك والتوزيع التنظيمى ، بل ووضح عدم إكتراثه بها ، وتقدير طلعت المقدم للهضيبى فى الأسبوع الأول من أكتوبر حول الإضطراب واليأس الذى أصاب الصفوف هو مثال واضح آخر على ذلك .

وعلى وجه الأجمال ، يمكن القول بأن الإخوان المسلمين – مع التسليم مرة أخرى بأن كل الأشياء التى يمكن تأويلها كأفعال مضرة بالبلاد قد أذيعت على الملأ – كانوا بعيدين تماما عن أن يكونوا ندا لخوض معركة مع الحكومة ، وربما كان فى مقدورهم أن ينهضوا فحسب ، وعلى نحو تلقائى ، لتأييد حركة منتظرة ومرجوة من جانب الجيش ، ويجدر أن ننوه هنا إلى أن ناصر ونظامه كان يفتقر إلى التأييد فى ذلك الوقت ولو أنه سقط صريعا تحت وابل الرصاص الذى أطلق عليه لسقط بالتالى النظام الحاكم كما كان متوقعا ، ولكان مرتكب المحاولة – الذى شنق بسبب إخفاقه – قد صار بطلا قوميا .

أما الفقرة الثانية فى قرار الإتهام ، والخاصة بمسئولية الهضيبى وعصابته فهى أبعد من سابقتها عن المعقولية فى ضوء الشواهد المتاحة ، ذلك أن المحاولة كانت مسألة مبادرة فرد أو مجموعة داخل الجهاز السرى تمت دون علم باقى الأعضاء ، وربما دون علم قائد الجهاز نفسه ، كما أنه من المؤكد أن أحدا من الأعضاء من خارج الجهاز السرى لم يشارك فيها ، ولم يكن أحد من الشهود ـ بإستثناء محمود عبد اللطيف صاحب المحاولة نفسه وهنداوى دوير رئيسه فى الخلية وإبراهيم الطيب رئيس مجموعة القاهرة – يملك أى ضوء مباشر على الإطلاق ليلقيه على المحاولة ، أما هؤلاء الأعضاء الذين كان ممكنا أن يدلوا بمعلومات مفيدة بالفعل (وهم حسن العشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف) ، فكانوا مطلقى السراح . ولم توضح المحكمة أو الشهود من هو الشخص الذى أصدر القرار فالمتهمون إعترفوا بأنهم أخبروا بأن (القيادة) قد اتخذت قرارها بقتل ناصر ، لكنهم لم يتمكنوا من تعقب مصدر القرار إلى أبعد من رؤسائهم المباشرين ، ولقد لمح الطيب ، وهو يبلغ القرار إلى دورير ، إلى أنه لم يستطع الحصول على موافقة الهضيبى – ودلت الشواهد أثناء المحاكمة على أن الهضبى كان بريئاً من قرار القتل ، وهو ما سبق أن أوضحناه ، وأنه قاوم مثل هذا الحل للمشكلة ، ولقد حاول

الطيب وعبد الرؤوف معا بالتخلص من الرئيس الرسمى للجهاز السرى ، يوسف طلعت ، الذى كان واضحا أنه يجهل الخطة الموضوعة للاغتيال ، والإحتمال الأقرب إلى الصحة هو أن عبد المنعم عبد الرؤوف كان المخطط الرئيسى للعملية وأنه تصرف بمبادرته الخاصة بتعاون محتمل - وأن لم يقم عليه الدليل - من الشيخ محمد فرغلى (مستشار الجهاز السرى فى اللجنة العليا وعضو مكتب الإرشاد) وبمساعدة الطيب الذى كان يملك صلاحية كافية بوصفه رئيسا لقطاع القاهرة ، لكى ينفذ أمراً من (القيادة) إلى دوير وعبد اللطيف دون أن يلاقى اعتراضاً .

على أن الدلائل لم تتوافر فى اتجاه نفى احتمال صدور قرار رسمى بعملية الاغتيال فحسب ، بل وأوضحت أيضا موقفا لم تعد فيه القيادة فى التنظيمين العلنى والسرى تمارس السلطة الفعلية ، وقد سجل طلعت تلك الحقيقة ، فيما يختص بالمجموعة السرية عندما أورد فى تقرير له الجدل الذى ثار حول أساليب العمل بينه وبين الطيب وعبد الرؤوف وتجاهلها لآرائه وإستبعادهما الواضح له فى خططهم الخاصة ، و لم يضف طلعت فى شهادة كانت فى النواحى الأخرى صريحة ومباشرة إلى حد بعيد أية ملعومات تتصل عمليا بمحاولة الأغتيال ، لسبب واضح هو أنه لم يكن يملك ذلك ، وكان الطيب فى مرحلة أخرى هو الذى عرض تزويد عبد الرؤوف بالأسلحة ، وليس طلعت الذى لم يكن يعلم الكثير حول موضوع توزيع الأسلحة .

وفى القطاع العلنى من تنظيم الجماعة كان الإضطراب أكثر تفشيا ، فالهضيبى فى إختفائه لم يكن على إتصال بالحالة الراهنة للأمور سوى فى أضيق الحدود ، بعد أن فوض أتباعه المخلصين فى ممارسة سلطاته فى كل من القطاعين - وتباعا ، عانى هؤلاء والمستويات الأخرى للقيادة سواء فى ذلك أصدقاء الهضيبى أو خصومه إحباطات تراكمت على مر الشهور فى العلاقات القائمة بينهم وبين الأعضاء - خلال يوليو وأغسطس وسبتمبر ومع تزايد عمق الأزمة فى الهيئة التأسيسية وبداية سفور ما أصابها من تفسخ ، بينما أملت حدة النزاع إصدار بيانات الولاء ، التقى أعضاء الهيئة التأسيسية (فى جماعات) لمناقشة موضوع إنتقال السلطة ومركز القوة عمليا إلى الجهاز السرى المجهول الهوية وغير القابل للإنضباط ، وفى مكتب الإرشاد عبر المعارضون لسياسية أنصار الهضيبى عن قلقهم المتزايد بسبب فقدان المكتب لنفوذه والإحباط الذى تعانيه إرادته .

وفى يوليو ومع ظهور منشور (الإخوان فى المعركة) ، قدم عبد العزيز عبد الستار ، وهو واحد من أقدم أعضاء الجماعة وعضو مكتب الأرشاد ، إستقالته من الجماعة و لم يوافق

على سحبها إلا بعد أن صدر أمر إلى كل الشعب بوجوب عدم اعتماد أية تعليمات موجهة للأعضاء إلا إذا كانت صادرة عن مكتب الإرشاد كذلك ذكر عضو اخر فى المكتب هو عبد الرحمن البنا ، إن المكتب تخلى عن مسئوليته فيما يتعلق بتنفيذ سياسة الجماعة وإدارة شئونها .

ولقد سبق أن رأينا ، فى معرض الحديث عن توقيع المعاهدة مع بريطانيا فى ١٩ أكتوبر أن عضوا ، هو كمال خليفة قد زار نائب رئيس الوزراء لتقديم تهانئه وإن المجلس أرسل فى ٢٤ أكتوبر مبعوثا خاصا إلى الحكومة يحمل عرضا آخر للمصالحة وأن أحد قادة الجماعة (عبد اعزيز كامل) قام فى ٢٦ أكتوبر وهو نفس يوم محاولة إغتيال عبد الناصر بزيارة هنداوى دوير ولم يحدثه الأخير عن الخطة الموضوعة . والتى كانت فى طريقها للتنفيذ فعلا. ومن بين مؤيدى الهضيبى وخصومه فى القيادات العليا للجماعة لم يكن هناك من يدرى شيئاً عن الأحداث المتوقعة ، ذلك أنهم كانوا بعيدين تماما عن أى إتصال حقيقى أو تأثير ملموس فى الأعضاء .

والشاهد الأكثر وضوحا على ما أصاب البنية الرسمية للتنظيم من شلل وتصدع يقدمه الأعضاء أنفسهم ، فجو الحيرة والغموض الذى أعقب إختفاء الهضيبى ، والذى نجم عن تصوير الحكومة الملتبس والمضلل لمجرى الصراع بين المتخاصمين داخل التنظيم إزداد تفاقمه نتيجة لاقتصار وسائل الإتصال على كل المستويات فى الجماعة - منذ أغسطس حتى أكتوبر - على المنشورات السرية وعلى الأحاديث الشفوية ، وكان الإهتمام الرئيسى للمنشورات - فيما عدا إستثناءات قليلة - يتركز فى الخلاف مع الحكومة ودعم الروح المعنوية بصفة عامة ، أما الإتصالات الشفوية فقد عقدها التشكك والمبالغة وهم مظهرين طبيعيين لموقف تفاقم توتره فى جو إنعدام الثقة الذى بدأ يستنزف القوة الأساسية للجماعة . والواقع أن أقوال الأعضاء فى المحاكمة كانت تجسيدا حيا لتلك التشكيلة من الشائعات والمعتقدات التى سادت فى كل من التنظيمين العلنى والسرى فيما يتعلق بما قاله هذا الشخص أو ذاك من قيادات الجماعة وما أعتقده وفعله أو أراد أن يفعله .

لقد دفعت تلك الحيرة الشاملة يوسف طلعت إلى الذهاب للهضيبى فى مكمنه بالإسكندرية فى أكتوبر ، يلتمس من الزعيم أن يعود للظهور العلنى ، حتى ينقشع جو الإضطراب الذى إستقر فى رؤوس الأعضاء ، ونتيجة لفشل طلعت فى مهمته تلك ، إلى جانب كل عناصر عدم الإستقرار فى تسلسل السلطة ، أصبحت الفرصة سانحة أمام الراغبين فى العمل أن ينفذوا ما أرادوا ، ولقد صور أحد المشاركين فى محاولة الاغتيال ذلك الإضطراب والتشويش الذى

أصاب الجماعة على مستوى الأعضاء ، فقد تحدث هنداوى دوير عن فقدان الجماعة لاهتمام الأعضاء ، وبعد وصف الانقسامات القائمة داخل التنظيم ومحاولة تعديل تكوين الهيئة التأسيسية لكى تصبح أكثر تمثيلا للإخوان ، تحدث كذلك عن كيف فقدت الهيئة والمرشد العام القدرة على توجيه الأمور . وفى تلك الظروف أصبح الجهاز السرى هو الركيزة الحقيقية للنشاط ، وبإستثناء الجهاز السرى ، وجدنا أن الجهاز الإدارى للجماعة قد أصابه الشلل ، ويقر خميس حميده نائب المرشد العام بأسف ناظراً للمشكلة من الجانب الآخر بأن (القيادة) فشلت فى السيطرة على الجهاز السرى (١٤١) ولقد أوجزت تلك العبارة إيجازا موفقا المشكلة التى أدت مرة أخرى إلى إنهيار جماعة الإخوان المسلمين .

وفى الرابع من ديسمبر ، نطق الحكم الأول لمحكمة الشعب على هؤلاء الذين شاركوا فى محاولة الاغتيال والقيادات العليا للتنظيمين العلنى والسرى ، وحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على سبعة من أعضاء مكتب الإرشاد وكلهم مستشارين للهضيبى ، هم كمال خليفة ومحمد خميس حميدة وأحمد عبد العزيز وصالح أبو رقيق ، وحكم على اثنين من أعضاء المجلس هما عمر التلمسانى وأحمد الشريطى بالسجن خمسة عشر عاما ، وأطلق سراح ثلاثة من أعضاء المجلس هم عبد الرحمن البنا وعبد المعز عبد الستار والبهى الخولى ، والثلاثة كانوا أصدقاء الحكومة وصدر الحكم بالإعدام على سبعة من أعضاء الجماعة هم : حسن الهضيبى ومحمود عبد اللطيف وهنداوى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت والشيخ محمد فرغلى وعبد القادر عودة ثم خفف مجلس ، قيادة الثورة حكم الإعدام بالنسبة للهضيبى إلى السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على أساس أن الهضيبى ، ربما سقط تحت تأثير المحيطين به ، وهو رأى يعززه سوء حالته الصحية وتقدمه فى السن ، وقد رفضت الحكومة إلتماساً قدمه عبد القادر عودة بإعادة النظر فى قضيته .

وفى التاسع من ديسمبر ورغم الإحتجاجات التى تصاعدت من أرجاء العالم العربى وبرغم حالة من عدم التصديق فى مصر ، تم تنفيذ أحكام الإعدام ، وقد سجل عدد من المراقبين الكلمات الأخيرة للمحكوم عليه بجوار المشانق : كان كل من محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير يرتل الآيات القرآنية وقد ظهر عليهم – هكذا قيل – رعب شديد ، أما الطيب فقد صاح بغضب : المحكمة كانت مهزلة ، أعداؤنا هم قضاتنا ، والتمس طلعت الصفح من الشيخ فرغلى ، الذى كان يشعر بأنه مسئول عن الإيقاع به ، ثم أضاف : ربما غفر الله لى ولهؤلاء الذين سببوا لى الضرر . أما فرغلى وكان فى حالة سلام واضحة مع نفسه ، فكان تعليقه الوحيد أنا مستعد للموت وإننى سعيد بلقاء ربى ، وأنهى «عودة» الدقائق الأخيرة من حياته وهو يقول ملوحا : الحمد لله الذى أماتنى شهيدا وأنه لقادر على أن يجعل دمى لعنه

تحيق برجال الثورة .

واستقبل الناس فى مصر أنباء الأعدام بصمت ذاهل مرتعب وإتخذت الحكومة احتياطا لها بتعزيز الدوريات والمواقع العسكرية حول المدينة وخارج البلاد ، وقامت مظاهرات الإحتجاج فى الأردن وسوريا وباكستان ، وفى دمشق أقام مصطفى السباعى قائد الإخوان هناك صلاة الغائب على أرواح من أعدموا وطالب جمهور المصلين (بالإنتقام للشهداء) وأيده الجمهور المتجمع ، ومرة أخرى وصلت العلاقات بين مصر وسوريا إلى نقطة التدهور .

وبعد شنق الإخوان جرت الأحداث فى مناخ أكثر رداءة وفوض عمل المحكمة الثورية إلى ثلاثة أفرع يرأسها ضباط أقل رتبة وعندما أغلقت المحكمة أبوابها فى بداية فبراير ، كان قد تم محاكمة ١٠٠٠ من الإخوان ، وعلى وجه الاجمال حكم على خمسين بالإعدام ، إلا أن الأحكام خففت جميعا فيما عدا ستة منهم ، ونصف هؤلاء الذين حوكموا تم الإفراج عنهم أو حكم عليهم بالسجن مع وقف التنفيذ . كذلك مثل أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية ، أمام المحكمة . إلا أن هؤلاء الأعضاء إما أفرج عنهم أو حكم عليهم مع وقف التنفيذ ولشهور عديدة فإن عدداً لا يحصى من الإخوان الذين حوكموا وبرئوا والذين لم يقدموا إلى المحاكمة أصلا ظل بداخل السجون، والجدير بالذكر هنا أن من بين الإخوان الذين قدموا للمحاكمة لم يكن هناك غير تسعة وعشرين من القوات المسلحة معظمهم كانوا من القوات المقاتلة ، وقدموا جميعا فى المحاكم الثانوية ، ودلالة ذلك فى سياق الموقف العام للمحاكات ، أن جريمتهم الأساسية هى جمعهم بين الإنتماء للدولة والجماعة معا ، ونتيجة ذلك بالنسبة لهم هى أن وضعهم كان شاذا ، من حيث أن وجود (الخلايا) التى تقوم بأعمال تخريبية داخل القوات المسلحة كان من الموضوعات الرئيسية للنزاع بين الحكومة والهضيبى ، الذى أنكر بإصرار وجود هذه الخلايا ، أما الأحكام التى صدرت على كل من أبو المكارم عبد الحى وعبد المنعم عبد الرؤوف الضابطان الهاربان فكانت من نوع مختلف : إذ حكم عليهما غيابيا بالإعدام رميا بالرصاص .

تلك كانت رؤية غربية (محايدة نسبيًا) لحادث المنشية والمحاكات التى تمت بشأنه ومصير الذين تمت محاكمتهم إنها رؤية ريتشارد ميتشل وقد أوردناها كشهادة تاريخية ثانية لكى نعرف بوضوح ماذا حدث أثناء محاكمة الإخوان عام ١٩٥٤م .

والآن ماذا عن الحقيقة بعد هاتين الشهادتين ؟

سابعاً : علاقة عبد الناصر بالإخوان : حقيقة صدام ١٩٥٤م :

* كانت العلاقة بين عبد الناصر والإخوان ، علاقة مريرة وصدامية إلى حد بعيد ، وسوف نورد هنا تفاصيل هذه العلاقة وتفاصيل الصدام (١٩٥٤م) مستندين فى هذا على أطروحتنا للماجستير والتى صدرت فيما بعد فى كتاب يحمل عنوان (الدين والدولة والثورة) إصدار دار الهلال والدار الشرقية وبتفصيل هذه العلاقة يتضح ما يلى :

بداية تعود العلاقة بين الضباط الأحار والإخوان المسلمين إلى منتصف الأربعينات ، حين كانت الأوضاع السياسية والإجتماعية فى مصر تدخل مرحلة دقيقة فى مواجهة القصر والإنجليز ، ومثلت هذه الأوضاع فى مجملها ، نقطة الإلتقاء التى وحدت أغلب القوى السياسية الوطنية وفى إطار تفاعلات الأربعينات ولدت العلاقة بين الإخوان المسلمين وتنظيم الضباط الأحرار ، ويرى البعض أن بداية تنظيم الأحرار تعود إلى عام ١٩٣٨ فى منقباد ، عندما كان عبد الناصر وأنور السادات وبعض الضباط حديثى التخرج ، هناك ، فبدأوا فى تشكيل تنظيمهم(١) .

ومنذ ذلك الحين إنعكست على تنظيم الضباط الأحرار الأحداث التى أثرت على مجرى الحياة السياسية فى المجتمع المصرى ، وأهمها حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م وثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق وظروف الحرب العالمية الثانية ، ثم حرب فلسطين عام ١٩٤٨م التى تعد وبحق أحد الأسباب المباشرة التى عجلت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ نتيجة لتزايد السخط فى نفوس ضباط الجيش مما لاقوة فى هذه الحرب .

وتمكنت الجماعات العقائدية ممثلة فى جماعة الإخوان المسلمين ، والتنظيمات الماركسية ومصر الفتاة من إجتذاب بعض الشباب من ضباط الجيش إلى الإهتمام بالقضايا العامة ، وأدى ذلك إلى أن تتباين الإتجاهات داخل تنظيم الضباط الأحرار مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ، وأنور السادات ، وكمال الدين حسين ، وإنضم البعض الآخر إلى الأحزاب اليسارية مثل يوسف صديق ، وأحمد حمروش وخالد محيى الدين(٢) .

ويرى البعض أن إتصال جماعة الإخوان بالضباط الأحرار بدأ منذ الحرب العالمية الثانية ، وكان عزيز المصرى يمثل نقطة البداية فى هذه الإتصاللات ، إذ أن صلة الإخوان بعزيز المصرى

---

(١) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية فى : عبد الهادى الخطيب : الدور السياسى لحركة الإخوان المسلمين ، رسالة ماجستير - كلية الإقتصاد - جامعة القاهرة-١٩٨١ ، ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

كانت سابقة لصلتهم بالجيش ، وكذلك لصلة الضباط به ، فقد قام وفد من الإخوان وعلى رأسهم حسن البنا المرشد العام للجماعة بإستقبال عزيز المصرى فى المطار ، أثر عودته من لندن عام ١٩٣٧م ، وقد استقبله فى المطار ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الإسلامية وقدموا له التحية[١] .

ومنذ ذلك التاريخ توطدت العلاقة بين حسن البنا وعزيز المصرى ، ويشير أنور السادات إلى الإتصال الذى جرى بين الضباط الأحرار والإخوان بأنه قد قابل حسن البنا هو من قدمه إلى عزيز المصرى أول مرة وعرض عليه الإنضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين وكاشفة عن نشاطه فى جمع السلاح وتخزينه وإلتزامه السرية الكاملة فى ذلك حتى على الإخوان أنفسهم . ويذكر السادات أنه فرح يومها عندما عرف أن الضباط عندما يضربون ضربتهم سيجدون قوة شعبية تقف فى الصف الثانى مسلحة ومدربة[٢] .

وقد حل عبد المنعم عبد الرؤوف محل أنور السادات كضابط إتصال بين الجيش والإخوان بعد القبض على السادات فى أغسطس ١٩٤٢م .

هذا وقد استمر التعاون مع الضباط حتى الثورة (١٩٥٢م) إلى أن كان عام ٩٥٤ م وهو العام الذى شهد الصراع فقد شهدت الفترة من يناير حتى إكتوبر ١٩٥٤م قصة الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين ومجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢م ، حيث شهدت هذه الفترة صدامين مثلا صدعا عنيفا فى علاقة الإخوان بالثورة ، ورتبت تصورات دينية وخبرات ذاتية متناقضة لدى طرفى العلاقة ، كان حريا بها أن تحدث صدامات أخرى ، ومواجهات أكثر دموية .

١ - الجولة الأولى للصدام يناير ١٩٥٤م : سبق قرار حل جماعة الإخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤م مقدمات عدة مثل الهجوم الضارى الذى قام به الإخوان على هيئة التحرير وتنظيمها الشبابى يوم ١٢ يناير ١٩٥٤م ، وقد بلغت ضراوة القتال بينهما أمام حرم الجامعة إلى حد استخدام الأسلحة والقنابل والعصى وحرق السيارات فى الجامعة فى ذلك اليوم وهو اليوم الذى خصص للإحتفال بذكرى شهداء معركة القناة ، وكان لوجود نواب صفوى زعيم منظمة فدائيان إسلام محمولا على أكتاف الإخوان تأثيره المباشر على إحتداد المواجهة بين الطرفين .

---

(١) ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون - مكتبة مدبولى - ١٩٧٧م مصدر سابق ، ص ٥٨ .
(٢) عبد الهادى الخطيب ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣ .

بعد هذه المواجهة بيوم واحد ، ونتيجة لحالة الإضطراب والتخبط التى ميزت العلاقة بين الإخوان والثورة يومئذ ، أعلن مجلس قيادة الثورة قراره الخاص بحل جمعية الإخوان المسلمين واتخذ القرار بالإجماع ، فيما عدا محمد نجيب الذى اعترض من حيث المبدأ وليس لأنه يشايع الإخوان[١] ، ولكن عدم موافقة نجيب لم تؤثر فى صدور قرار الحل فقد كان هو الصوت الوحيد المعارض ، ورغم أنه لم يكن على صلة بهم ، ولكن هذا الموقف أوجد فى صدور زملائه الخشية أن يكون هناك تدبير ما بين محمد نجيب والإخوان ، ويلخص بيان مجلس قيادة الثورة الإتهامات الموجهة للإخوان المبررة للحل فى الآتى :

- التقاعس فى تأييد المرشد العام للحركة إلا بعد خروج الملك .

- عدم تأييد قانون الإصلاح الزراعى والمطالبة برفع الحد الأقصى للملكية فى حالة التطبيق إلى ٥٠٠ فدان .

- محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الأحزاب السياسية .

- إتخاذ موقف المعارضة من هيئة التحرير .

- بدء التسرب إلى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشكيل وحدات تحت إشراف المرشد مباشرة .

- تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهاز السرى الذى كان يشرف عليه عبد الرحمن السندى منذ أيام حسن البنا .

- حدوث إتصال عن طريق الدكتور محمد سالم بين المستشار الشرق للسفارة البريطانية فى مايو ١٩٥٣ ومنير الدلة وصالح أبو رقيق ثم حسن الهضيبى بعد ذلك .

- زيارة حسن العشماوى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤م ، أى قبل قرار الحل بأيام للوزير البريطانى المفوض ثم عودته فى نفس اليوم لزيارة أخرى إمتدت سبع ساعات[٢].

ولقد صاحب إصدار هذا البيان ، إعتقال حسن الهضيبى و ٥٤٠ عضوا بالجماعة فى القاهرة والأقاليم[٣] ، وفى اليوم التالى ولعدة أيام شنت الحكومة حملة صحفية ضد الهضيبى

---

(١) بتفصيل أنظر : د . عبد العظيم رمضان ، عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(٢) بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين . مصدر سابق .

(٣) عبد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٦١ .

والمجموعة المحيطة به ، وليس ضد الإخوان كجماعة ، وتركزت الحملة على مجموع الإنتقادات التى ظهرت داخل التنظيم ضد الهضيبى وبوجه خاص فشله فى الإقتداء بشخصية البنا ، واساءته وإهماله لجوهر رسالته ، ولم يكن هناك ما يتصل بتهمة قلب نظام الحكم ، سوى إكتشاف مخبأ للأسلحة فى عزبة يملكها أحد أعضاء الجماعة وقد إنتشرت على نطاق واسع شائعة تقول أن «تلك الأسلحة هى بعينها الأسلحة التى سبق أن خبأها أعضاء المجموعة العسكرية قبل الثورة بأنفسهم هناك» .

غير أن تنظيم الإخوان إستمر رغم هذه الضربات ، ورغم حله المستوى الرسمى وأصل عمله بشكل غير رسمى تحت القيادات غير الرسمية لعبد القادر عودة حيث إلتقى الأعضاء الذين لم يتعرضوا للإعتقال فى جلسات صغيرة عقدت كل منها فى بيت واحد منهم ، كذلك سارعوا بتنظيم شبكة لجمع وتقديم الإعانات لعائلات الأعضاء والمعتقلين ، ورغم أن الحكومة ألقت القبض على بعض الأعضاء ، وهم يقومون بتقديم إعانات إلا أنها لم تكن راغبة فى عرقلة هذه العملية . وفى فبراير وخلال الأحتفال بالذكرى السنوى للبنا والذى أقيم فى مقبرته ، أعلن عبد القادر عودة على الملأ إقتناعه بأن الثورة قد حققت أهداف حسن البنا[1] .

وفى ذات الوقت حرص عبد الناصر على ألا يقطع الصلة نهائياً بالإخوان فقام فى ١٢ فبراير وفى نفس الذكرى السابقة بزيارة قبر حسن البنا ومعه صلاح سالم وأحمد حسن الباقورى ، وخطب قائلاً : «أشهد الله إنى أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادىء وأفنى فيها وأجاهد فى سبيلها»[2] . وبدأ عبد القادر عودة مع آخرين سلسلة من المحادثات الخاصة مع الحكومة لإستعادة الشرعية للجماعة وقد طلب من الحكومة فى هذا الصدد ، السماح له بزيارة السجون كما ألتمس إستقالة الهضيبى وكانت هناك خطط أخرى قيد المناقشة شملت تأسيس تنظيم دينى جديد تحت قيادة عبد الرحمن البنا[3] .

وعلى أن كل شيء توقف فجأة ، بل وتبدل فجأة عشية الأزمة السياسية التى طوقت

---

(١) جريدة الجمهورية ١٣ فبراير ١٩٥٤م ، كذلك مجلة الدعوة بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٥٤ .
(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو جـ ١ ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
(٣) مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٥٤م ، ص ٧ .

مصر كلها والتي سميت بأزمة مارس ١٩٥٤م وكانت بين محمد نجيب وعبد الناصر[١] وتتلخص أسباب ووقائع هذه الأزومة فى أنها كانت مرتبطة بمطالبة محمد نجيب بسلطات تتناسب مع مكانته وحول الأسلوب الواجب إتباعه فى إدارة شئون مصر ، فمن وجهة نظر محمد نجيب الأكبر سنا أن عملية إبعاد كافة القوى الاجتماعية مع إستمرار مسيرة الثورة أمر لا يحتمل ، ولابد من مشاركة كل القوى فى هذه المرحلة فى إصلاح البلاد ، على الناحية الأخرى كان عبد الناصر وهو ابن جيل آخر وذو إقتناع مختلف ومتطور قد نفد صبره حين أدرك أن مسألة الحفاظ على إستمرار عملية التغيير وعمق تأثيرها تعنى أنه لا رحمة مع الذين يعارضونها .

ومع تزايد حدة العداء الجديد من القوى المعارضة تزايدت ضرورة إجراءات القمع ، وتصاعد الخلاف بين الرجلين حول من يمتلك سلطة الحسم الأخيرة فى شئون البلاد وكيفية إستخدام هذه السلطة ، ويتصاعد مع إستقالة محمد نجيب فى ٢٣ فبراير وفى الليلة التالية داخل مجلس قيادة الثورة وفى ٢٦ فبراير وبعد تمرد سلاح الفرسان حيث كانت الأفكار الديمقراطية تجد مجالا خصبا للنمو كنتيجة لوجود خالد محيى الدين ضابطا بمخابرات السلاح وثروت عكاشة أركان حرب السلاح الذى كانت تربط صلة النسب بأحمد أبو الفتوح رئيس تحرير المصرى[٢] .

بعد هذا العصيان المسلح وخروج مظاهرات تأييد لنجيب أضطر مجلس قيادة الثورة أن يعلن إعادة تقليد نجيب لمنصب الرئاسة ، ولم تنته الأزمة لأن المشكلة الأساسية والخاصة بمن يملك السلطة وأسلوب إستخدامها ، ظلت دون حل ، وفى التاسع من مارس أعلنت الحكومة أن نجيب سوف يسند له ثانية منصب رئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة ، فى ذلك الوقت كتب الهضيبى رسالة لمحمد نجيب من السجن يطلب فيها الإفراج عن الإخوان المسلمين حتى تتم موازنة المواقف ، وإنضمت إليه مجلة الدعوة الناطقة وقتذاك بلسان حسن العشماوى ومجموعة المطالبين بالإفراج عن الإخوان واصفة قرار الحل الذى صدر فى يناير بأنه كان خطأ[٣] .

---

(١) تفصيل دقيق للأزمة فى : أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ - ٨٩ . كذلك : د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ٢٥١ - ٢٢٠ - ١٨٩ أعداد جريدة الأهرام خلال الفترة (٢٨ مارس - ٢٥ إبريل ١٩٥٤م) .

(٢) أحمد حمروش ، قصة يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) الدعوة فى ١٦ مارس ١٩٥٤ ص ١ .

وفى يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤م أعلن مجلس قيادة الثورة ، فيما إتضح بعد ذلك أنه كان مناورة بارعة من عبد الناصر أن الثورة قد إقتربت من إنهاء مهمتها وأن ، البلاد سوف تستأنف الحياة البرلمانية السوية ، وفى ذات الوقت وتحت ظروف وتدخلات متعددة كان آخرها وساطة الملك سعود ، أمرت وزارة الداخلية بالافراج عن الهضيبى والإخوان المسلمين تطبيقا لقرار صدر بإلغاء قرار يناير ١٩٥٣م بشأن إلغاء الأحزاب السياسية ورفعت الرقابة تماماً عن الصحف وأصبح فى إمكان أى شخص أن يقول ما يشاء يومئذ .

وفى الثامن والعشرين من مارس وبعد ثلاثة أيام من الحرية الكاملة وغير المحدودة للمعارضة تحرك عبد الناصر وامتلأت الشوارع يومئذ بالمظاهرات الشعبية التى تطالب بالحفاظ على الثورة وأهدافها وبإستمرار إلغاء الأحزاب السياسية ، وإندفعت حشود ضخمة من إتحادات العمال والنقل التى خرجت فى ذلك اليوم ومعها الشباب المنتمى للمنظمات الشبابية الحكومية ، تحملهم عربات النقل الخاصة بهيئة النقل يعربون عن أن الثورة قد جاءت لتبقى ، وكان الإعتداء على جريدة المصرى وعلى مجلس الدولة ، هما من أبرز ما حدث فى هذه الأثناء ، وتم تدعيم هذه التحركات من الجيش ، وتحيدا من ضباط الصف ، والضباط المؤيدين لعبد الناصر أمثال كمال الدين رفعت ، وأحمد أنور ومجدى حسنين ووجيه أباظة وحسن التهامى ، ومحمد أبو الفضل الجيزاوى.وسعد زايد وغيرهم .

وفى ذات المساء – ٢٩ مارس ١٩٥٤م – أصدرت الحكومة أوامر بحظر التظاهر منذ الآن فصاعدا ، وفى اليوم التالى وإستجابة للإرادة الشعبية السابقة قرر مجلس قيادة الثورة مرة أخرى أن يأخذ على عاتقه مسئولية الحكم كاملة ، وألغيت مرة ثانية كافة الأحزاب السياسية بإستثناء جماعة الإخوان المسلمين الذين وعد قادتهم بحسن التصرف ، والذين إتفقوا على أن يجنحوا للسلبية فى هذه الأيام الحرجة وأن يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس وباتت البلاد فى قبضة قيادة الثورة مرة أخرى.[(١)]

وهكذا أخرجت أزمة مارس الإخوان المسلمين من السجون ، وخلقت حالة من الهدوء المشوب بالحذر والتفجر المكتوم بينهم وبين الثورة ، وهو المتفجر الذى كان ينتظر عود الثقاب لإشعاله ثانية .

---

(١) أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، جـ ١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

٢ - الجولة الثانية للصدام (أكتوبر ١٩٥٤م) :

سبق أن رأينا أن الجهود كانت تبذل من أجل إعادة الجماعة إلى سابق عهدها قبل يناير ١٩٥٤ ، على أن تمارس نشاطها دينيا فقط ويكون مرشدها عبد الرحمن البنا ، وقد أتاح حضور الملك سعود إلى مصر لهم الفرصة ليرتفع صوتهم مطالبا بعودة الجماعة ، حيث كان من بين أهداف زيارة الملك سعود التوسط فى أمر إعادة الجماعة ، وبالفعل نجحت الوساطة ورأت الثورة ، أن تعيد الجماعة ، وتم الإفراج عن الهضيبى والمعتقلين من الإخوان ثم صدر قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة ، الجماعة وتسليمها ممتلكاتها ، وسمح للمرشد العام حسن الهضيبى وعدد من الإخوان بالسفر إلى سوريا والسعودية ، وهناك أدلى المرشد العام بتصريحات ضد الثورة وضد إتفاقية الجلاء . وفى ٢٧ يوليو ، أى وقت ان كان الهضيبى بالخارج أعلنت حكومتا مصر وبريطانيا موافقتهما المشتركة على عدد من المبادىء العامة كأساس لمعاهدة جديدة تسوى النزاع الإنجليزى المصرى ، ولكن فى ٣١ يوليو نشرت صحيفة بيروتية[١] . بأحرف ضخمة وعناوين بارزة ، رأى حسن الهضيبى فى الإتفاقية ، وكانت النقاط الرئيسية فى نقده هى كما يلى :

ــ كان من المفروض أن ينتهى أجل معاهدة ١٩٣٦م بعد أقل من عامين وإذ ذاك كان على بريطانيا أن تجلو عن القاعدة وأن تركها دون أساس قانونى لا يمكنها من العودة إليها فيما بعد ، أما المعاهدة الجديدة فتمنحها هذا الحق باشتمالها على مادة تسمح بإعادة تشغيل القاعدة فى حالة حدوث أى إعتداء على أية دولة عربية أو على تركيا .

ـ المادة التى تسمح بإعادة تنشيط القاعدة فى حالة إعتداء تركيا يربط مصر والدول العربية بها ، وبالتالى يربطهم جميعا بالمعسكر الغربى .

ـ الفقرة التى تسمح لبريطانيا بصيانة القواعد الجوية تمثل تهديدا لمصر وهى على المدى الطويل أداة لدوام السيطرة .

ـ المدنيون الذين سيناط بهم المساعدة فى تشغيل المعدات هم ، بطبيعة الحال ، شخصيات عسكرية فى ثياب مدنية .

ـ جددت الإتفاقية أجل معاهدة ١٩٣٦م لفترة خمس سنوات أخرى ، وسمحت بإجراء

---

(١) جريدة الهدف فى ٣١ يوليو ١٩٥٤ ص ١ ، وقد تسربت نسخ كثيرة من هذا العدد إلى مصر وكذلك أذيع الحديث من راديو دمشق . نقلا عن : ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

تشاور لمراجعة الموقف عند إنتهاء فترة العمل بها ، وهو نفس النوع من البنود التى كفل فى الواقع الإستمرار الدائم لمعاهدة ١٩٣٦م ، بناء على هذه البواعث جميعا رفض الهضيبى الإتفاقية مؤكدًا أن أى إتفاقية بين مصر وحكومة أجنبية ينبغى أن تعرض على برلمان منتخب بإرادة حرة وعلى صحافة متحررة من الرقابة وتملك حرية المناقشة ، وقد ظل التوتر الذى أثارته هذه الأراء محكوما ومسيطرا عليه طوال فترة تغيب الهضيبى الذى كان لا يزال فى سوريا ، وعبد الناصر الذى سافر إلى السعودية من ٥ إلى ١٧ أغسطس ١٩٥٤ بغرض الحج وحضور مؤتمر لقادة البلدان الإسلامية الذى اقترح عقده مؤخرا فى مكة . وعاد الهضيبى يوم الأحد الموافق ٢٢ أغسطس وفى نفس اليوم بدأت الحكومة حملتها العنيفة لتنفيذ هجومه على الإتفاقية معتمدة أساسا على إحياء قصة المعاهدة السرية التى قيل أن الهضيبى كان يتفاوض بشأنها مع البريطانيين فى ذلك الربيع والتى قيل أنه خلالها تنازل أكثر مما تنازلت الحكومة .

واستمرت الحملات المتبادلة بين الجماعات وبين الثورة طيلة شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٥٤ ، ويأتى شهر أكتوبر ليشهد إنفجار الصدام بين الإخوان المسلمين والثورة ، فمنذ الأيام الأولى للشهر قررت المجموعة التى سميت بقيادة الجهاز السرى ، القيام بإغتيال عبد الناصر[1] والذى كانت سيطرته الفعلية على البلاد قد وضحت وتعددت ، وقد إختارت القيادة محمود عبد اللطيف وهو سمكرى من ضاحية إمبابة بالقاهرة ، لإنجاز العمل ، وكان هنداوى دوير المحامى وقائد قطاع إمبابة هو الذى أبلغه بهذا القرار وترك له ثلاثة أيام مهلة لاتخاذ قراره ، وفى ١٩ أكتوبر وهو اليوم الذى وقع فيه عبد الناصر معاهدة الجلاء مع البريطانيين ، قرر محمود عبد اللطيف قبول مهمة اغتياله بسبب ما ارتكبه من خيانة بتوقيعة للمعاهدة التى أهدرت حقوق الأمة ، وقد خطط لتنفيذ المهمة فى نفس اليوم ، إلا أن الظروف لم تكن مواتية وسط هذا الحشد المتجمع والمختار بعناية لتنفيذ الخطة بنجاح لذا تم تأجيلها إلى وقت آخر أكثر ملائمة .

وفى الرابع والعشرين من أكتوبر زار كمال خليفة وهو واحد من أبرز أعضاء مكتب الإرشاد وأطال فى تهنئته بالمعاهدة ، وفى ذلك المساء وبينما كان عبد الناصر يلقى خطابه أمام حشد كبير من المواطنين بالاسكندرية إنطلقت عدة رصاصات وللحظة قصيرة توقف عبد الناصر عن الكلام بينما الرصاصات تدوى ، وكان محمود عبد اللطيب يجلس فى الصفوف الأمامية على بعد ١٥ متراً من منصة الخطباء والضيوف ، وأصيب ميرغنى حمزة وزير السودان والمحامى

(١) د . عبد العظيم رمضان : الإخوان والتنظيم السرى مصدر سابق ، ص ١٣٣ - ١٥٠ .

أحمد بدر الذى كان يقف بجانب جمال عبد الناصر - الذى لم تصبه الرصاصات - والذى أصر على متابعة خطبته بعد ما حدث فى السرادق من هرج مردداً قوله «أيها الرجال فليبق كل فى مكانه .. حياتى لكم ، وهى فداء لمصر ، أتكلم إليكم بعون الله بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا على ، أن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم عشت لكم وسأعيش حتى أموت عاملا من أجلكم وفى سبيلكم»[1] .

تفاصيل الحادث

يحدثنا التاريخ أنه فى ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٤م تم توقيع إتفاقية الجلاء بين الحكومة المصرية وبين بريطانيا .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر منذ بدأ المحادثات قد أخذ يقتصد بالظهور فى الأماكن العامة وبين الجماهير لتحاشى وقوع أى إعتداء عليه ، قد يؤجل إتمام الإتفاقية ، وبمجرد توقيعها أخذ فى الظهور كسابق عادته ، وتقرر أن يلقى خطابا فى إجتماع عام بميدان المنشية مساء ٢٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٤م .

وفى مساء ذلك اليوم وأثناء إلقاء الرئيس لخطابه أطلق شخص كان يجلس بين الجماهير أمام المنصة ، تسع رصاصات على الرئيس قاصداً قتله ولكنه أخطأه ... وأصيب بعض الذين كانوا يقفون بجواره بإصابات سطحية .. ومن بينهم السيد ميرغنى حمزة وزير خارجية السودان الذى أصيب برصاصتين .

قبض على المتهم واتضح أنه يدعى محمود عبد اللطيف ويعمل سمكريا (بإمبابة) واعترف بأنه من جماعة الإخوان المسلمين وأنه كان ينوى إغتيال الرئيس ، وأن الذى كلفه بتنفيذ هذه المأمورية محام بأمبابة يدعى هنداوى دوير .. الذى القى القبض عليه ..

أسفرت التحقيقات عن أن الحادث مدبر ومخطط له من أعلى المستويات فى قيادة الإخوان ، ويبدو أن إختفاء قادة الإخوان ، كان انتظاراً لما سيسفر عنه الإعتداء ، فإذا نجح بادروا

---

(١) تفاصيل الاعتداء على عبد الناصر فى :

ــ جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م ، كذلك د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، الإخوان المسلمين والتنظيم السرى ، مصدر سابق ، ص ١٣٣ - ١٥٠ .

ــ ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٩٢ .

بالظهور منتهزين فرصة الفوضى والإضطراب الذى سيود مصر ، أما إذا فشل فسيمضون فى الفرار والتخفى . كما كشفت التحقيقات عن شخصيات أعضاء الجهاز السرى للإخوان بأكمله وتم القبض عليهم جميعا ، عدا بضعة أفراد تمكنوا من الفرار خارج البلاد ..

كانت الضربة التى وجهت إلى جماعة (الإخوان المسلمين) وجهازها السرى قوية بحيث كفلت إعادة الهدوء والإستقرار إلى الحياة السياسية فى البلاد .

وتجدر الإشارة إلى أن (الإخوان) قدموا لجمال عبد الناصر بمحاولة إغتياله حب الجماهير فى مصر والوطن العربى على طبق من ذهب كما قال البعض[١] .

وقد أمر جمال عبد الناصر أن يصرف لزوجة الجانى محمود عبد اللطيف ١٥ جنيها مصريا فى مطلع كل شهر وفقا لأحمد حمروش[٢] .

وفيما يلى نص الكلمة التى ألقاها جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية :

أيها المواطنون . يا أهل الإسكندرية الأمجاد أحب أن أتحدث إليكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء .. بعيد الحرية والاستقلال عن الماضى وكفاح الماضى .

تعالت هتافات المواطنين للرئيس .

كفى هتافا .. لقد هتفنا فى الماضى طويلا ... فماذا كانت النتيجة ؟ هل سنعود إلى الفوضى والتهريج .

لا تهتفوا باسم جمال عبد الناصر ... بل سيروا إلى الأمام .. ولنعمل جميعا لبناء هذا الوطن حرا سليما .

يجب أن نتقدم ، وأن نعمل للمبادىء والمثل العليا .

أصغوا إلى ، استمعوا فإنى أتحدث عن كفاحكم وكفاح آبائكم وأجدادكم .

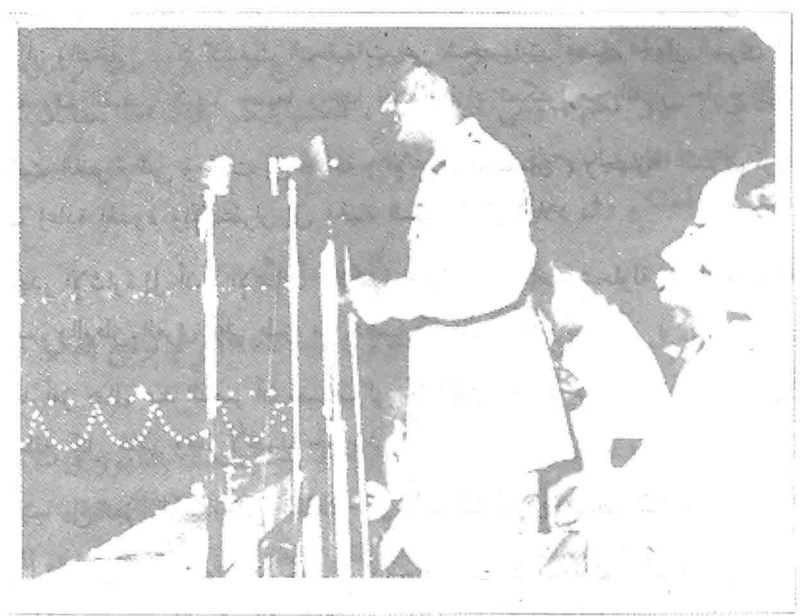
لقد بدأت أنا كفاحى من هذا الميدان فى الإسكندرية .. كنت شاباً صغيراً عام ١٩٣٠ ومن هنا بدأت لأول مرة أهتف مع أخوانى أبناء الشعب للحرية واليوم أشكر الله .. فلقد أثمر كفاح آبائكم وأجدادكم ... وجميع الشهداء الذين استشهدوا فى هذا السبيل .

وهنا سمع دوى ٩ رصاصات موجهة إلى جمال عبد الناصر .

---

(١) فى خدمة الأمن السياسى ، لواء حسن طلعت ، ص ١٠٠ - ١٠١

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ، أحمد حمروش ، جـ ٤ من شهادة أحمد أنور .





أربع لقطات نادرة لحادث المنشية ١٩٥٤ قبل وبعد إطلاق الرصاص على عبد الناصر !!



وإنطلق عبد الناصر يقول : دمى فداء لكم ... دمى فداء لمصر .

هذا جمال عبد الناصر يتحدث إليكم ... لا تفزعوا فإنه ما زال يتحدث إليكم بعون الله ، بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا على حياته ..

إن جمال عبد الناصر منكم ولكم وحياته فداء لمصر وللوطن ..

أيها الناس .. ها هو جمال عبد الناصر ما زال بينكم .. لا تروعوا ولا تخافوا .. فأنا لست جبانا .. لقد ثرت من أجلكم ومن أجل عزتكم ومن أجل كرامتكم .

إن دمى من دمكم .. وسأعيش حتى الموت مكافحا فى سبيلكم .. ومن أجل حريتكم .. ومن أجل كرامتكم وعزتكم .

ليقتلونى .. فقد أودعت فيكم العزة .. ليقتلونى .. فقد أنبت فى هذا الوطن الحرية والكرامة ..

ليقتلونى من أجل مصر .. من أجلكم .. من أجل أبنائكم وأحفادكم ..

يا أبناء مصر : كافحوا واحملوا الرسالة والأمانة . لقد ثرت من أجلكم وسأموت فى سبيلكم . أيها المواطنون : إذا مات جمال عبد الناصر فإنه يموت مطمئنا لأنكم كلكم جمال عبد الناصر .. لا تخافوا الموت .. فالدنيا فانية .

أيها المواطنون : لن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر بل هى معلقة بكفاحكم .

أيها المواطنون : سيروا إلى الأمام فمصر اليوم قد حصلت على عزتها وكرامتها وحريتها ، سيروا إلى الأمام على بركة الله نحو المجد والعزة والحرية .

بعد الحادث بـ ١٠ دقائق ... وبعد القبض على الجانى أصرت الجماير على رؤية عبد الناصر ، وخرج عبد الناصر ثانية إلى الشرفة وألقى العبارات التالية :

أيها المواطنون : الحمد لله ... إن الله الذى أراد لمصر العزة يوم ٢٣ يوليو ، لم يخذلها ولن يخذلها أبدا .

الحمد لله على نجاتى من أجلكم لا من أجل نفسى .

الحمد لله على نجاتى لأحقق لكم العزة والحرية والكرامة .

الحمد لله الذى أراد العزة لمصر ولن يخذها أبدا .

وقيل وقت الحادث أن حادث الإعتداء كان نقطة هامة فى مشاعر الشعب الذى كان يرفض «إرهاب» الإخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ونقطة تحول أخرى لصالح شعبية عبد الناصر الذى قام بجولة يوم ٢٧ ، أكتوبر فى رحلة عودة من الاسكندرية إلى القاهرة ، ولقد قوبل بمظاهرات تأييد له[١] .

وفى ليلة الحادث صدرت الأوامر بإعتقال الإخوان المسلمين وبدأت أكبر حملة شهدتها مصر حتى وصل الأمر إلى حد إعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشوف سليمة[٢] وشكل مجلس قيادة الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤م محكمة خاصة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ، فكانت بهذا رابع نوع من المحاكم تشكله الثورة بعد المجالس العسكرية ، ومحكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ، وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب ، الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان ، والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا ، ولقد اضطرب الشهود وإنتابهم الخوف ، كما أنهم فى الأغلب الأعم كانوا يفتقرون إلى الحياد ، أما الأدلة فكانت حافلة بالمتناقضات وكان يرجع ذلك لأسلوب معاملة الشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود وعدم توافر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، وفضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالى عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن السهولة الملحوظة التى إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبع الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهتزت ، مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشىء حدث أيضا فى التحقيقات التمهيدية والتى ظهرت من خلال معظم الإعترافات[٣] .

وفى الرابع من ديسمبر نطق الحكم الأول فى (محكمة الشعب) تلته الأحكام الأخرى ، فلقد بلغ عدد الذين حكم عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية من المتهمين الذين ينتمون إلى الجيش وعددهم ٢٥٤ ، وصدر الحكم بإعدام محمود

---

(١) ميتشل : مصدر سابق : ص ٣٠٣ .
(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ــ ٢ ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .
(٣) ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٠٩

عبد اللطيف ويوسف طلعت ، وهنداوى دوير ، وإبراهيم الطيب وعبد القادر عودة ومحمد فرغلى ونفذ الحكم فعلا . كما صدر الحكم بإعدام حسن الهضيبى ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وهكذا ومع وصول الصدام الأول بين الثورة والإخوان إلى نهايته الدرامية هذه ، كانت الأوضاع فى مصر قد تحددت تماما ، فعزلت محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ، وتم حل جميع الأحزاب السياسية ، بما فيهم الإخوان ، ووجود قيادتها داخل السجن ، وأغلقت جريدة المصرى ، والتى لعبت دورا كبيرا فى أزمة مارس ١٩٥٤م ، وفشلت محاولات الإنقلاب العسكرى وإنتهاء التنظيمات العسكرية المستقلة أو التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش ، ثم حلت مجالس نقابات الصحفيين وعينت لهم لجان مؤقتة موالية لمجلس قيادة الثورة ، وأخيراً حلت جماعة الإخوان المسلمين ، واستقرت الأوضاع تمامًا للنظام السياسى الجديد[(١)] .

مدخل إلى الوثـائـق :

والآن وبعد أن إتضحت الرؤى أو كادت بالنسبة لصدام ١٩٥٤م بين عبد الناصر والإخوان ، بقى أن نستمع إلى ملخص الوثائق التاريخية التى تروى وقائع هذا الصدام ، بقى أن نستمع إلى ملخص النصوص للمحاكات التى تمت للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م والتى سميت فى حينها (بمحكمة الشعب) .

* إننا نوردها هنا كاملة ملخصة ومحققة تاريخيا وعلميا وسياسيا ، محاولين فى هذا أن نقدم التاريخ كما حدث بالفعل وليس كما أريد لنا أن نعرفه ، سواء من (أجهزة الثورة) أو كتاب (الإخوان المسلمين) ، فكلا الطرفين أراد أن ينسب الحق إلى نفسه ، وأن يسىء الى الطرف الآخر بقدر المستطاع ، وأن يظهره فى موقف المزيف للحقائق وللوقائع التاريخية .

* ونحن نريد هنا أن نختلف مع الاثنين بشأن ، (الحقيقة التاريخية) ذاتها ، إننا هنا نحاول أن نعيد تقديم الوثائق التى قدمت من قبل سواء تحت مسمى (محكمة الشعب) والتى صدرت فى ٧ أجزاء شعبية متوسطة الصفحات ، دعائية التوجه ، ومنحازة من أول صفحة إلى منتهاها إلى طرف واحد كانت بيده السلطة آنذاك ، هو عبد الناصر ورفاقه ، إننا نحاول أن ننقى

---

(١) يذهب صلاح عيسى إلى القول بأن السلوك السياسى للإخوان المسلمين خلال هذه المرحلة (١٩٥٣م - ١٩٥٤م) هو الذى دفع بعبد الناصر إلى التخلص منهم ، بل إلى أن يصير ديكتاتورا كما وصفوه : انظر صلاح عيسى : الإخوان المسلمين : من المسئول عن ديكتاتورية عبد الناصر ؟ جريدة الهدف الكويتية بتاريخ ١٩٧٧/٦/٣٠م .

هذه الوثائق ونحققها من أصولها بالفعل هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية نحاول أن ننقى هذه الوثائق من الإتهامات العنيفة (والعاطفية) التى صدرت على شكل كتب وروايات ومقالات ودراسات متفرقة للإخوان المسلمين وبخاصة فى السبعينات والثمانينات من هذا القرن .

* إن ما نحاوله هنا ، هو أن نورد التحقيقات .. والمحاكمات والأحكام كما وقعت بالفعل ، وليس كما أريد لها أن تقع (وفقا لما نشر من قبل الطرفين) تلك هى مهمة هذا الكتاب . والتى نطمح أن يكون قد حققها .

ملحق الفصل الرابع
الوثائق تتحدث عن صدام ١٩٥٤م

(١) ملخص التحقيقات مع :

حسن إسماعيل الهضيبى
مستشار سابق ومرشد الإخوان

١ - أحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
٢ - تنظيم جهاز سرى مسلح لتنفيذ الإنقلاب .

* ممثل الإدعاء فى هذه القضية عبد الرحمن صالح ومصطفى الهلباوى وعلى نور الدين . (المؤلف) .

المحاكمة فى سطور

* بدأت محاكمة حسن إسماعيل الهضيبى فى الساعة العاشرة والنصف من صباح الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استشرقت محاكمته خمس جلسات حيث إنتهت فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء الخميس ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استمعت المحكمة إلى ثمانية من شهود الإثبات .

* صدر الحكم فى صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

أجمع الشهود فى قضية حسن الهضيبى وهم من كبار رجالات الإخوان على ما يأتى :

* المرشد هو المسئول الأول عن الجهاز السرى وقد سحب السلطة من مكتب الإرشاد لينفرد بها .

* الجهاز السرى كان يراقب الإخوان المعارضين للهضيبى .

* حسن الهضيبى لم يوافق الحكومة على حل الجهاز السرى .

* فى منزل الشيخ فرغلى دبرت فكرة المظاهرة المسلحة فى إجتماع شهده يوسف طلعت



حسن إسماعيل الهضيبي .

قائد الاخوان فى حادث ١٩٥٤

وصلاح شادى .

* الشيخ فرغلى «الشاهد الثانى» يعترف للمحكمة بأنه لم يقرأ إتفاقية الجلاء .

* طالب الإخوان بغرض وصايتهم على الثورة وحاولوا التدخل فى المحاكات العسكرية .

* وافق الإخوان على فترة الإنتقال وتأجيل إعادة الحياة النيابية .

* أمر الهضيبى بصرف ١٨٠ جنيها فورا لشراء مطبعة رونيو حديثة لطبع المنشورات .

* يوسف طلعت يروى قصة الجهاز السرى الرهيب فى صراحة ويقر أنه مخترع الحزام الناسف .

* عبد المنعم عبد الرءوف وضع خطة كاملة لإحتلال مجلس الوزراء .

* الهضيبى لم يطلب من يوسف طلعت حل الجهاز السرى .

* لم يجد الإخوان فى حرب فلسطين قائداً يقود متطوعيهم .

محضر الجلسة
الثالثة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة العاشرة والنصف صباحا بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكل برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل أول نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٢ سنة ١٩٥٤م محكمة الشعب والمتهم فيها حسن إسماعيل الهضيبى .

«وقد حضر المتهم ومعه محاميه الإستاذ سامى مازن» .

الرئيس – فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) – أيوه يا أفندم .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) – أنا حاضر مع المتهم بس لو سمحتم لى طلب أتقدم به لحضراتكم ..

الرئيس – بس لما نقرأ الإدعاء أولاً .

اسم المتهم حسن إسماعيل الهضيبى والإدعاء :

«أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن فى الداخل والخارج وذلك أنه فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله بمدينتى القاهرة والاسكندرية .

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن وضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى يرأسها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثانياً : نظم جهاز سرياً مسلحاً يخضع لرياسته ويأتمر بأمره مخالفاً بذلك قوانين الدولة . وأعد هذا الجهاز لتنفيذ الإنقلاب الذى دبره .

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم – غير مذنب .

الرئيس – الدفاع كان عايز يقول حاجة ؟

الاستاذ سامى مازن (الدفاع) – لقد بذلت ما وسعنى الجهد لأحضر مستعدا ولكنى لم أستطع لأنى أمضيت إلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فى السجن الحربى والوقت لم يتسع للإطلاع فإذا سمحتم لى بالأجل الذى يسمح به أمر تشكيل المحكمة فإنى أكون شاكراً .

(مداولة قصيرة بين أفرد هيئة المحكمة) .

الرئيس – المحكمة تأسف لعدم إجابة الدفاع لهذا الطلب لأن هناك شهوداً كثيرون ويمكن فى خلال فترة سماع الشهود أن يستعد الدفاع والان نسمع الشاهد الأول .

البكباشى سيد جاد (المدعى) – الشاهد محمد خميس حميده .

« حضر الشاهد »

الشاهد الأول

محمد خميس حميده

تحدث خميس حميدة أمام محكمة الشعب حديثاً إستغرق ثلاث ساعات وكان يحاول دائماً أن ينفى عن نفسه كل إتهام ويحمله لغيره من رجالات الإخوان . وكان مع ذلك يدور ويلف فى حديثه ورغم ذلك كله ذكر عدة حقائق :

* فقال إن الهضيبى لم يكن من الجماعة ومجيئه مرشدا لم يكن قانونيا .

* وقال أنه طلب من يوسف طلعت عدم توزيع منشورات ضد الحكومة فرد عليه يوسف طلعت بقوله : « أنا لا أتلقى الأوامر منك ولكن أتلقاها من المرشد مباشرة » .

* وقال أنه كان يتمنى أن يظل صيدليا كما هو ولا ينضم للإخوان .

* وقال إن الهضيبى إختفى إلى أن يقع حادث .

* وقال إن الإخوان لم يدخلوا الوزارة بعد الثورة حتى لا يحدثوا للحكومة متاعب بإشتراكهم فى الحكم .

* وقال إن الهضيبى منذ إن اختفى كان منفرداً بالسلطة وكان مكتب الإرشاد محروما من كل السلطات .

الجهاز السرى كان يتلقى الأوامر من المرشد مباشرة .

* وقال إن الجهاز السرى وضع الإخوان المعارضين لسياسة الهضيبى تحت المراقبة فكان يبعث إليهم بخطابات تهديد .

* وقال إن الهضيبى كان يعلم بإختفاء عبد المنعم عبد الرءوف من الحرس .

الرئيس – إسمك إيه ؟

الشاهد – محمد خميس حميده .

الرئيس – صناعتك ؟

الشاهد – صيدلى .

الرئيس – سنك كام سنة ؟

الشاهد – ٤٣ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

البكباشي سيد جاد (المدعى) :

اذكر للمحكمة معلوماتك عن النظام الخاص فى جماعة الإخوان .

الشاهد - كان فى جماعة الإخوان نظام خاص من حوالى سنة ١٩٤٢ أو قبل كده . وظل النظام قائما لغاية سنة ١٩٤٨م و ١٩٤٩م واختير الاستاذ الهضيبى مرشدا والاستاذ عبد القادر عودة وكيلا للجماعة وكان النظام موجوداً فى ذلك الوقت وكان فيه مشكلة حاول الاستاذ عودة بتكليف من المرشد علاج مشكلة النظام الخاص . فلم يتيسر له علاجها وبعد فترة أرسل لى الاستاذ الهضيبى وأخبرنى بأن النظام فيه مشكلة وبسببه للدعوة مشاكل وتوليت أنا وعبد العزيز كامل وحسين كمال الدين علاج ذلك . فاقترحنا حلاً للمشكلة وهو توحيد فكرة الجماعة واختير للنظام فى ذلك الوقت الأخ حلمى عبد المجيد مهمته أن يزيل الثنائية من الجماعة حتى تأخذ الجماعة كلها طابع واحد وإنتهت المهمة كلها عند ذلك الحد ورجعت المنصورة .

وفى فبراير ١٩٥٣م جيت القاهرة وانتدبت نائب مرشداً فوجدت الحالة متحسنتش والإضطراب قائم فى صفوف الجماعة وكان هناك أخ اسمه عبد الرحمن سندى هو المسئول فى المدة دى كلها عن النظام من يوم ما أُنشىء فقلت له أن الإضطراب قائم وأن الوضع أصبح غير صحيح للجماعة وأنه لم يعد هناك ضرورة للنظام السرى بعد أن إبيح التدريب العسكرى وإنه يستحسن أن الإخوان يشتغلوا فى المحيط العام فوافقنى على ذلك ، وكان هناك خلاف بينه وبين الهضيبى ومشيت الأمور مدة شهر أو شهرين وبعدين جه عبد الرحمن السندى وقال لى : إن الفكرة أن نسير بالنظام إلى أن يأخذ الوضع الطبيعى ولكنى خشيت أن المرشد بيعمل نظام جديد فى الجماعة فى حين أننا إتفقنا على أن نسير بالنظام إلى الحل .

فسألت الهضيبى عن ذلك فقال : أبداً ، وبعد كده عبد الرحمن السندى قال لى أنه لا يمكنه التعاون مع المرشد وتنحى واختير يوسف طلعت ليسير بالنظام إلى الوضع الطبيعى وده كان فى نوفمبر سنة ١٩٥٣م .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى أسباب الخلاف بين السندى والمرشد ؟

خميس - السندى قال إن المرشد بيعمل نظام جديد ومعنى كده أنه مطلوب تنحيته لأن معنى النظام الجديد هو عمل نظام غير النظام اللى كان موجود للسير فى الحياة الطبيعية .

الرئيس – ما معنى إنشاء نظام جديد ؟

خميس – يعنى الإستمرار فى تكوين نظام .

الرئيس – ما معنى إنشاء نظام جديد . وما الفرق بينه وبين القديم ؟

خميس – الأفراد الأول ميكونوش هم الأفراد الجدد والقيادة القديمة لا تكون هى القيادة الجديدة دى تقريبا الخطوط الرئيسية .

وهذا لأنه قد يكون عبد الرحمن السندى غير خاضع تماما للاستاذ الهضيبى . وذلك نظراً لأن هناك بين الهضيبى والسندى بعض الأمور منذ عين مرشدا وفيه نفور . فالسندى يرى أن الهضيبى مكنش يجب يكون مرشداً لأنه مش من تشكيلات الجماعة ده تقديره .

الرئيس – الأسباب أيه ؟

خميس – الهضيبى لم يكن من الجماعة ومجيئه لم يكن قانونيا .

الرئيس – لما عملتم لجنة لحل الإشكال وجدتم إيه ؟

خميس – وجدنا فريقين فريق يرى أن لا داعى الأن لهذا الوضع ولا النظام السرى ولا (التشكيلات) ويكفى التربية المتكاملة ، وفريق يرى أن وجود الجهاز السرى لا مانع منه ولما يحصل حاجة يبقى يروح أعضاء الجهاز السرى ، وإن التربية المتكاملة معناها أن الجماعة تنازلت عن فكرة الجهاد .

الرئيس – ما السبب الذى جعل الفريق الأول يدعو إلى حل الجهاز ؟

خميس – اللخبطة والحوادث اللى حصلت وخوفا من إن شابا يتورط فى عمل ويعرض الجماعة للهزات ، وعلى كل حال ياريتنى فضلت فى إجزاخانتى صيدلى بعيدا عن كل ذلك كان يبقى أحسن .

أخطأنا وقصرنا

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إيه الإجراءات التى عملتوها لضمان تنفيذ القرارات بالنسبة للإسلحة .

خميس – كان يجب حصر الأسلحة ، وإحنا أخطأنا وقصرنا فى هذا ولم نعمله . واللجنة دى كانت قبل قيام الثورة فكنا رايحين نقدم الأسلحة لمين . فلما قامت الثورة إعتبرنا كل ما عندنا للثورة من رجال ومن أسلحة ، وما زلنا نعتبر هذا .

يوسف طلعت

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
من هم المسئولون ؟

خميس – يوسف طلعت وصلاح شادى مع الاستاذ الهضيبى .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
إيه علاقة يوسف طلعت بالمرشد ؟

خميس – مسئول عن النظام ويتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اختاره لهذه العملية ؟

خميس – بعد تنحى السندى ومن معه يوسف كان معروف إنه راح فلسطين ومعروف فى النظام فالمرشد سألنى فيه وسأل بعض الإخوان فيه وفى الوقت نفسه قلنا مفيش مانع إنه يكون بدل السندى واختير يوسف طلعت .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ما هى القواعد المنظمة للجهاز ؟

خميس – النظام هيئة تتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
والأوامر تصدر له من مين .

خميس – من المرشد مباشرة .

أجازة للمرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
إنت قلت إن يوسف طلعت بدأ يعمل تشكيلات ، مفهوم من هذا إنك عرفت إن النظام ينظم من جديد ولا يصفى . ماذا عملت ؟

خميس – فعلا الأوضاع بدأت تتعب . وحينا وكلنا بهذا وكانت الشكاوى كثيرة من النظام فقام فريق من الإخوان أعضاء الهيئة التأسيسية ووقعوا عريضة بضرورة تصحيح هذه الأوضاع واعتبار المرشد فى أجازة وضم الإخوان المفصولين وحل النظام السرى وتكوين مكتب إرشاد

جديد ووقع على العريضة ٧٠ عضواً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ليه اعطيتموه أجازة ؟

خميس – علشان انه مختفى .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
المرشد وضعه إيه بالنسبة للحالة دى ؟

خميس – المرشد متصل بالنظام السرى لجديد طبعاً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : إزاى ؟

خميس – لما المرشد إختفى . اختفى معه يوسف طلعت وصلاح شادى فالحالة اضطربت وكان إحساسنا إن فيه تشكيلات .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
استنتجتم إيه من الإختفاء ؟

خميس – استنتجنا لخبطة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : وضح ؟

خميس – منشورات تنزل من غير ما نعرف . واخوان اختفوا مش عارفين ليه واضطراب عام .

وفى غياب المرشد صدر العدد (١١) من نشرات الإخوان فى المعركة (١) وأنا كنت قابلت رئيس الوزارة بعد العدد العاشر وقررت أنا والإخوان عدم إصدار هذه النشرة وأنا أرسلت لأحمد حسنين وهو أخ قديم وفى النظام السرى وقلت له أوقف إصدار هذه النشرة . وبعد ذلك فوجئت بأن العدد (١١) نزل للإخوان فأنا قلت ليوسف طلعت إزاى العدد ده ينزل فقال : أنا آخذ أوامر من حسن الهضيبى وليس منك . قلت له المرشد مش هنا الآن ، فقال : إنه يتصل به فى سوريا .

تعيين المرشد

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :
متى عين الهضيبى مرشداً ؟ أذكر لنا كل الظروف ؟

خميس – لما طلعنا من المعتقلات علمنا أن بعض الإخوان يرشحون الهضيبى مرشداً لأنهم كانوا يعرفونه من قبل وأخذوا رأيى فقلت لا أعرفه وليس من الجماعة ، فقالوا ده راجل طيب ومستشار ووجوده يعطى فكرة كويسة عن الإخوان . فقلنا : لا لما يخرج باق المعتقلين . ولما خرجوا اخترناه وكلمناه فرفض ، ثم اشترط أن يكون معه الاستاذ عبد القادر عودة وكيلاً .

فى تشكيل الوزارة طلب السيد الرئيس من الإخوان ترشيح بعض إخوان وزراء وكنا بالنهار فرشحنا ثلاثة هم منير الدله وحسن العشماوى والشيخ الباقورى . ويظهر حسن العشماوى لم توافق عليه القيادة لأنه صغير السن هو ومنير الدله ، فجه بالليل وقال : ما فيش داعى ندخل الوزارة .

الرئيس – من اللى قال كده ؟

خميس – مكتب الإرشاد بالليل .

الرئيس – اللى رشح الوزراء مين ؟

خميس – الاستاذ المرشد .

الرئيس – دون الرجوع إلى المكتب ؟

خميس – أيوه . وبعدين المكتب رفض دخول الوزارة . « باب المنشورات والمستندات » .

الاستاذ مازن (المحامى) :

ده الوزارة اللى طالبه منكم وزراء .

خميس – وجود إخوان فى الوزارة قد يثير بعض الناس ويسبب مشاكل للحكومة .

الإخوان والحكومة

خميس – الإخوان فريقين فريق يرى أن التفاهم مع الحكومة ممكن وفريق يرى عدم إمكان ذلك .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والفريق الذى يرى عدم التعاون يرى إيه ؟

خميس – الموقف السلبى .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والمرشد رأيه إيه .
خميس - رأيه إنه شايف إن مفيش تفاهم سيتم .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :
هل ذهبت إلى المرشد إنت وعبد الرحمن البنا وكلمته فى هذا الشأن ؟
خميس - والاستاذ عبد الرحمن البنا قال إنه يقابل الصاغ صلاح سالم وإنه يرى إن الخلافات بين الإخوان والثورة يمكن تسويتها .

الرئيس - خلاف إيه ؟ الحكومة بتعمل حاجات . إنتم مش موافقين على إيه ؟
خميس - حل الإخوان .

الرئيس - الإخوان إنحلت ورجعت .
خميس - الإفراج عن بعض الضباط .

الرئيس - إيه سلطتكم يا جماعة إنكم تقفوا فى وجه القوات المسلحة وتطلبوا عدم محاكمة الإخوان .
خميس - لم يكن لنا الرجاء .

الرئيس - رجاء إيه ؟
خميس - العفو عن الضباط الذين اعتقلوا بسبب الإخوان .

الرئيس كان ده إمتى ؟
خميس - فى إبريل سنة ١٩٥٤م .

الرئيس - وفى مايو سنة ١٩٥٣م طلبت منكم الحكومة إيه ؟
خميس - حل الجهاز السرى فى الجيش والبوليس .

الرئيس - وعملتم إيه؟
خميس - مفيش .

الرئيس - يبقى الحكومة تعمل إيه ؟
خميس - تحاكم الضباط اللى من الإخوان .

الرئيس - يبقى إزاى كنت بتعمل على إزالة النظام السرى فى الجيش من مايو سنة ١٩٥٣م وبعدين تيجى فى إبريل سنة ١٩٥٤م تطلب الإفراج عن الضباط اللى فى الجهاز السرى ؟
خميس - كان الوضع كله سينتهى .

الرئيس – إزاى ده ؟
خميس – كان المطلوب الإفراج عنهم .

الرئيس – ليه ؟ كان غرضكم إيه من هذا ؟ دى النية الوحيدة والظاهرة الوحيدة اللى أظهرتموها فى خطة حل الجهاز إنكم تطلبوا الإفراج عن الضباط وإنكم تعيدوا التنظيم . وإنكم تعينوا يوسف طلعت رئيس له ثم عدم تلبية أى دعوة للحكومة فى الإجراءات التى طلبتها منكم . إيه كان . تكلم عن الموقف الإيجابى والا عايز تتكلم عن الموقف السلبى . عن المنشورات ضد الإتفاقية مع إنكم كنتم طالبين معاهدة سرية لتحتل إنجلترا البلاد فى حالة خطر الحرب وإنكم عايزين الإنجليز يقعدوا كخبراء بملابس عسكرية . دى السلبية ؟ إتكلم يا أخى .
الرئيس – لما قابلت الرئيس جمال عبد الناصر إيه الكلام اللى قلته بخصوص النظام السرى فى الإخوان ؟
الشاهد – الرئيس قال إنتم عندكم تشكيلات فى الجيش وفى البوليس ودى يجب ماتكنش موجودة وكان النظام كله .

الرئيس – ليه ؟
الشاهد – لأن وجوده يؤدى إلى خطورة وفوضى وإضطراب فى البلاد وما يصحش فعلا يكون موجود . وأنا قلت هذا فعلا .

الرئيس – ماذا كان جواب المرشد عندما أبلغته هذا ؟ وهل عرض الأمر على مكتب الإرشاد ؟
الشاهد – كان موافق – ولم يعرض الأمر على مكتب الإرشاد ولكن كل اللى حصل علمه المكتب .

الرئيس – ما اتخذتوش أى إجراء لتنفيذ الحل ؟
الشاهد – لا لم يتخذ أى إجراء .

مكتب الإرشاد والجهاز السرى

الرئيس – مكتب الإرشاد يعلم بوجود جهاز سرى أو لا يعلم ؟
الشاهد – يعلم .

الرئيس – يعلم أنه برياسة مين ؟
الشاهد – يوسف طلعت وإن المسئول عن هذا الجهاز هو المرشد العام .

الرئيس – وهل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز تحت يده أسلحة ؟

الشاهد – يعلم أن فى يده أسلحة .

الرئيس – هل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز السرى الذى تحت يده أسلحة طلبت الحكومة إلغائه ؟

الشاهد – أيوه يعلم .

الرئيس – ما الإجراء الذى اتخذه المكتب ضد رياسة الجهاز والمرشد لتنفيذ طلب الحكومة بإلغاء هذا النظام السرى ؟

الشاهد – لم يتخذ أى إجراء .

الشاهد الثانى
محمد محمد فرغلى

الرئيس – الشاهد جاهز ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

أيوه يا أفندم .. محمد محمد فرغلى .

حضر الشاهد

الرئيس – إسمك إيه ؟

الشاهد – محمد محمد فرغلى .

الرئيس – صناعتك ؟

الشاهد -- واعظ . بالإسماعيلية .

الرئيس سنك ؟

الشاهد – ٤٧ سنة .

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث محمد فرغلى أمام محكمة الشعب حديثا استغرق ساعتين ونصف وكان هادئاً فى كلامه تعلو وجهه صفرة ظاهرة ويتملكه خوف واضح ممزوج بالحسرة والندم . وفى وسط هذه المشاعر كلها أدلى بحقائق رهيبة تتفق ومركزه فى جماعة الإخوان :

* فقال إن المرشد هو الذى إختار يوسف طلعت رئيساً للجهاز السرى لسابق معرفته به ولأن يوسف كان بين الذين عرضوا على الهضيبى منصب المرشد وسافر إلى الاسكندرية لمقابلته

لهذا الغرض .

* وقال أن المرشد لم يطلع مكتب الإرشاد على تفصيلات وإتصالاته بالإنجليز أثناء المفاوضات .

* وقال إن يوسف طلعت سافر أكثر من مرة إلى الاسكندرية واجتمع بالهضيبى .

* وقال أنه ليس من حق أى عضو من أعضاء الجهاز السرى التوقف عن العمل بإرادته وإن الغرض من إخراج السندى لم يكن تصفية النظام بل إحلال آخر محله يكون أكثر خضوعا وطواعية للمرشد .

* وقال إن يوسف طلعت إقترح فى حديث بينه وبين صلاح شادى تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإتفاقية ووافق صلاح شادى على ذلك .

* وقال ان حسن الهضيبى رفض القيام بأى إجراء لحل الجهاز السرى .

* وقال إن المرشد هو الذى قرر موقف الإخوان من الإتفاقية دون علم مكتب الإرشاد .

* وقال إنه لم يقرأ نص إتفاقية الجلاء وإنما قرأ نقطها الرئيسية فقط وليس له أى إعتراض عليها .

* وقال إن المقصور من معارضة الإتفاقية إنما كان مجر المعارضة فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى معلوماتك عن النظام السرى فى جماعة الإخوان المسلمين ؟

الشاهد – النظام فى جماعة الإخوان موجود من قديم فى عهد الإمام الشهيد حسن البنا وغرضه إعداد بعض شباب الإخوان لمكافحة الإستعمار والجهاد فى سبيل الله إذا اقتضى الأمر ذلك ولا يزال هذا النظام موجوداً فى الجماعة ويرأسه فى الفترة الأخيرة يوسف طلعت يعاونه آخرون وهذا النظام يتبع المرشد العام رأسا وليس من الأوضاع التى تخضع لمكتب الإرشاد .

وكان هذا النظام مرءوسا لعبد الرحمن السندى ثم إختلف عبد الرحمن السندى مع المرشد فى شأن قيام النظام فى الجماعة وكان الاستاذ الهضيبى لا يريد وجود النظام واختلف مع السندى ثم تخلى السندى وتولى الأمر محمود الصباغ وتخلى إلى أن اختار المرشد يوسف طلعت بناء على معرفة وطيدة بينه وبين المرشد ولأن يوسف من الإخوان الذين سعوا فى إختيار المرشد وسافر إلى الاسكندرية أكثر من مرة لإقناعه بقبول منصب الإرشاد وسعى لدى كثيرين

ليقبلوا ترشيحه للمنصب والمرشد يعرفه معرفة كاملة . ويوسف معروف من عهد الإمام الشهيد .

أسباب الخلاف

والمرشد كان لا يريد قيام النظام ولكن السندى بإعتباره أول من كون النظام ويؤمن به ويتعصب له هو ومن معه من الشباب فوقف وقال لابد من بقاء النظام وإستمراره . ولما قبل المرشد بقاء النظام حدثت خلافات فى العمل فقد كان المفروض خضوعه خضوعا كاملا للمرشد والسندى كان يرى فى نفسه سلطة عليا فكان يخرج عليه .

وقد وجه المدعى العام عدة أسئلة إلى الشاهد فأجاب عنها بالآتى :

* سئلت عن يوسف طلعت عند اختيارى بإعتبارى رئيس منطقة الإسماعيلية ويوسف عضو ووافقت .

* كان يعاون يوسف طلعت أحمد حسنين وإبراهيم الطيب والأول إختصاصه الأقاليم والثانى القاهرة .

* فيه تشكيلة خاصة بالبوليس برئاسة صلاح شادى وتشكيلة فى الجيش برئاسة أبو المكارم عبد الحى .

* أنا وخميس لنا صلة بالنظام وليس فى إدارته ولا فى توجيهه ولكنها صلة بدأت عند الخلاف بين السندى والمرشد وكان وضعنا استشارى ولما إنتهى السندى إنتهت مهمتنا فى شأن النظام .

إخـراج السنـدى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اخرج السندى من رئاسة النظام السرى ؟
فرغلى - لخلافاته مع المرشد ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
استقال أو اقيل ؟

فرغلى - لما كانت خلافاته مع المرشد .. والناس اللى تدخلوا رأوا أنه مفيش جدوى من إستمرار الحال والمرشد إنتهى إلى أنه لا يمكن بقاء السندى .. فلما علم السندى بهذا تنحى .

الاستاذ على نور الدين (المحامى) :

ألم يتقرر فصله ؟
فرغلي – لم يصدر قرار بفصله . ولكنه عندما علم أن مفيش مجال لبقائه فضل أن يتنحى حتى لا يواجه قرار الفصل .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
هل فصل بعد ذلك من الجماعة ؟
فرغلي – نعم . فصل من الجماعة ومعه ثلاثة آخرون من أعوانه .

الاستاذ على نور الدين (المحامى) :
إذن كان فصل السندى أو إخراجه من النظام ليس بالغرض منه تصفية النظام ؟
فرغلي – لا . بل ليحل محله آخر من النظام .

مجلس الجهاد الأعلى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
يوسف طلعت يقرر أنه توجد لجنة عليا إسمها مجلس الجهاد الأعلى للنظام الخاص . وأن هذه اللجنة أنت أحد أعضائها .
فرغلي – أنا لا أعلم أن هناك لجنة عليا بهذا الاسم ولست عضوا فيها ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ألم يكن يوسف طلعت يقضى بعض أيام فى منزلك بعمارة وهبه ؟
فرغلي – لا ماكنش يقضى بعض أيام ، وإنما كان يتردد فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
آخر مرة كانت إمتى ؟
فرغلي – آخر مرة كانت بعد أن اختفى بأيام .. وجاء آخر مرة لأنه كان له بعض حاجات . وكان يريد أن يرسل لأولاده فلوس . فأعطانى عشرة جنيهات بإعتبار أن منزلى بالإسماعيلية وكان هو يقوم بإدارة قطعة أرض فى الإسماعيلية فقال لى أنه مش حيرجع إلى الأرض بعد كده وكان معاه سيارة وقال إنها تركها بالإسماعيلية فكلف أحد من الإخوان يتصرف فيها أو يسلمها للمركز العام ودا كان خلال شهر أغسطس .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ألم يحضر إلى منزلك صلاح شادى وأبو المكارم ومحمود عبده أثناء وجود يوسف طلعت وقد درستم موقف الإخوان من الحكومة ؟

فرغلى – بهذه الصورة لم يحدث . واللى حصل إنهم كانوا يترددوا عندى فى بعض الأحيان والكلام فى موقف الإخوان من الحكومة كان دائما بين الإخوان عامة لأن الخلاف كان معروفاً واتعب نفوس الإخوان وكان حديثهم فى الشهور الأخيرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم يقترح يوسف طلعت فى هذا الإجتماع تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإخوان للحكومة ؟

فرغلى – اذكر أن يوسف طلعت وهو يتحدث مع صلاح شادى عن معارضة الإتفاقية وطريقة المعارضة وإيقاف توقيعها قال يوسف أنه يستطيع عمل مظاهرة شعبية مسلحة ووافق صلاح شادى على ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل الجهاز السرى مسلح ؟

فرغلى – النظام له أسلحة موزعة فى الجهات .

الرئيس – جهاز سرى فى الدولة ومسلح ده مخالف للقوانين أو متفق معها ؟

فرغلى – مخالف .

الرئيس – مين اللى على رأس هذا الجهاز المسلح ؟

فرغلى – يوسف طلعت .

الرئيس – ويوسف يأتمر بأمر مين ؟

فرغلى – المرشد .

حل الجهاز السرى

الرئيس – يعنى جهاز سرى مسلح مكتب الإرشاد لا يعلم عنه شيء ورياسة الجهاز المطلقة لحسن الهضيبى والحكومة طالبت بحل الجهاز وكنت أنت بين الذين طالبتهم الحكومة . هل أبلغت هذا الطلب إلى المرشد ؟

فرغلى – نعم .

الرئيس – كان رده إيه ؟

فرغلى – قال المسائل دى عايزه وقت . وقال إن اللى فى الجيش جماعة مؤمنين بالفكرة وليسوا فى الجهاز وليس لهم نشاط . أما المدنيون فدول متعصبين للفكرة ومش من السهل إقناعهم بسهولة والمسألة عايزة وقت طويل .

إختفاء المرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إيه سبب إختفاء المرشد ؟

فرغلى - المرشد قال لبعض الإخوان إنه يخشى على نفسه الاغتيال وإنه اختفى حتى لا يحمل الجماعة تبعة ذلك ومن جانب آخر ليعطى الإخوان الذين يريدون التفاهم مع الحكومة فرصة التفاهم .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

متى إختفى يوسف طلعت وصلاح شادى وإيه الأسباب ؟

فرغلى - يوسف طلعت إختفى قبل إختفاء المرشد بفترة وجيزة وصلاح شادى إختفى مع المرشد فى نفس الوقت وأنا كنت حائر فى إسباب هذا الإختفاء .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

من أى ناحية لم تكن مرتاحاً ؟

فرغلى - لأن الجماعة كانت تمر بفترة حرجة فى الداخل للخلافات بين الإخوان خارج الجماعة بسبب الخلاف بين الإخوان والحكومة .

المنشورات

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

المنشورات توالت فى فترة إختفاء المرشد فما تعليل ذلك ؟

فرغلى - ربما أن هذا ترتب على إحتجاب المجلة .

الرئيس - مجلة إيه ؟

فرغلى - مجلة الإخوان المسلمين .

الرئيس - كانت مجلة أو جريدة ؟

فرغلى - جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية .

الرئيس - وإيه اللى وقفها ؟

فرغلى - رئيس التحرير قدم تقريراً لمكتب الإرشاد قال فيه إنه لا يستطيع نشر رأى الجماعة .

الرئيس - فى إيه ؟

فرغلى - فى المسائل السياسية وغيرها .

الرئيس - إيه الرأى ده ؟

فرغلى - رأى الأستاذ الهضيبى فى الإتفاقية لم يسمح بنشره .

الرئيس : ما هو هذا البيان ؟

فرغلى : البيان عرض علينا بعد إعداده وكان بعد الإتفاقية وقد بين أضرارها .

الرئيس - بإعتبارك أحد واضعى البيان قول لنا فيه إيه .

فرغلى - البيان ينتقد رجوع الجيوش إلى البلاد العربية فى حالة ...

الرئيس اللى ينقد مش ينقد بالمقارنة بين فكرته وما تم عليه العمل أو بالمقارنة للمثل العليا .

فرغلى - بالنسبة للحق الكامل للبلاد .

الرئيس - يعنى المثالية ؟

فرغلى - أيوه .

الرئيس - هل يجوز لشخص أن ينقد أمرا سبق إن أبدى فيه رأيا بالموافقة على أقل مما إنتهى إليه هذا الأمر ؟

فرغلى - لا .

الرئيس - هل تعلم الأسس التى قبلها الهضيبى من الإنجليز للإتفاقية ؟

فرغلى - عندى علم بمقابلة المرشد للمستشار الإنجليزى وسمعت أن المستشار عرض ما يمكن للإنجليز قبوله كأساس للإتفاق .

الرئيس - وبعدين الهضيبى لما قابل جمال عبد الناصر قال له إيه ؟

فرغلى - عرض على الرئيس جمال تقريرا عن مقابلة للمستشار فى مقابلتين .

الرئيس وبعدين تم إيه كعرض أو كرأى للهضيبى نيابة عن الإخوان فى موضوع الإتفاق مع الإنجليز ؟ دى نقط محددة .

فرغلى - والله أنا مش متذكر . واللى قيل لنا أن المقابلة كانت موضع إرتياح من الرئيس وزملائه .

الرئيس - وبناء على ما قيل وما لا تذكره تكتب بيان تعرض فيه الإتفاقية ده كلام يقبله العقل ؟

فرغلى - المسألة لم تعرض علينا كقواعد يقبلها الإخوان .

الرئيس – وإنما عرضت عليكم الإتفاقية كقواعد ينقدها الإخوان . ألا تعلم أن الهضيبى قبل الآتى :

أولا – وجود القاعدة . ثانيا – وفيها إنجليز عسكريين . ثالثا – معاهدة سرية لعودة الإنجليز لإحتلال مصر فى حالة خطر الحرب .

فرغلى – أنا لا أعلم ذلك .

الرئيس – ولا تعلم أن الرئيس جمال قال إننا لا نقبل هذه الأسس ؟

فرغلى – لا .

الرئيس – كيف تسمح لنفسك بالتوقيع على البيان وأنت تجهل ما وراءه ؟

فرغلى – أنا وافقت على نصه ولا أعلم ما وراءه .

الرئيس – واللى يوقعه وهو يعلم ما وراءه من المعلومات التى قلتها لك الآن ؟

فرغلى – يبقى غير متفق مع رأيه الأول .

الرئيس – يبقى تضليل .

فرغلى – يبقى تناقض مع رأيه الأول .

فرغلى – نوع من الرأى .

الرئيس – حتى لو كان مخالفا للرأى الأول ؟

فرغلى – جايز عدل عن رأيه الأول .

الرئس – يعنى لما أعطيك قرش تعريفة وتفرح به وأعطيك خمسة جنيه بعدها تفرح أم لا ؟

فرغلى – افرح .

الرئيس – أو تقول هات عشرة ؟

فرغلى – لا . لأن ده يبقى طمع .

الرئيس – واللى يطمع فى مصالح البلاد دون أن يظهر الحقيقة يبقى أيه ؟

فرغلى – الطمع فى مصلحة البلاد .

الرئيس – أنا أقول ويل للمصلين .. إذا كان الطمع مع إخفاء الحقائق يبقى إيه ؟

فرغلى – يبقى إخفاء الحقيقة .

الرئيس – واللى يخفى الحقيقة لمآرب يبقى إيه ؟

فرغلى – يبقى مضلل .

الرئيس – ومكتب الإرشاد كان طامع أو مضلل لما أصدر البيان ؟
فرغلى – المكتب كان مخلصا و لم يكن على علم بالحقائق .

الرئيس هل يصح أن يصدر بيانا وهو على غير علم ؟
فرغلى – المكتب كان خالى الذهن من الأحداث الماضية وهو لا يعلم الغيب .

الرئيس – يبقى الرقابة لما منعت البيان كان ليه يا فضيلة الشيخ ؟
فرغلى – مصلحة البلد .

الهضيبـــى والإنجليـــز

الرئيس – أنت كعضو مكتب إرشاد علمت أن فيه اتصال بين الهضيبى والانجليز وبين الهضيبى وجمال عبد الناصر . هل عرض عليكم رأيه ؟
فرغلى – فى ذلك الوقت لم أكن عضوا فى المكتب .

الرئيس – ألم تسأل أحدا من الأعضاء إن كانت المسألة عرضت أم لا ؟
فرغلى – لم تعرض كما علمت .

الرئيس – كيف يسمح الهضيبى لنفسه بالإنفراد بهذا العمل ؟
فرغلى – كان فيه مجموعة من المكتب معه فى هذا العمل .

الرئيس – أبورقيق مكنش فى المكتب ولا منير دله .. مفيش غير حسن العشماوى .
فرغلى – الدكتور خميس كان معاه .

الرئيس – الدكتور خميس بيقول إنه لم يعرض عليه الأمر .
فرغلى – معرفش .

الرئيس : إذن يبقى عرض الأمر على اثنين بس من مكتب الإرشاد . ده كويس ؟
فرغلى – لا .

الرئيس – لماذا تصرف هكذا ؟
فرغلى – جايز أخذ المسألة على عاتقه وحده .

الرئيس – وهل هذا من حقه ؟ أين الشورى ؟ المرشد متهم أمامك أهه ، بص شوفه يمكن أنت فاكر إنك لسه بتشهد فى قضية محمود عبد اللطيف . المرشد قاعد متهم عايزين نشوف

هل هو برىء أم لا ، لماذا تنازلتم عن الشورى ؟ هل هو رفض الشورى أم إنكم تنازلتم عنها وتركتم له وحده الإتصال بالإنجليز ؟
فرغلى – لو طلب منه مكتب الإرشاد المشورة اعتقد أنه مكنش رفض .

الرئيس – ولماذا لم تطلب أنت ؟
فرغلى – مكنتش عضو .

« لم تقرأ الإتفاقية »

الرئيس – هل قرأت الإتفاقية ؟
فرغلى – نعم قرأت النصوص فقط .

الرئيس – قرأت ملحقات الإتفاقية ؟
فرغلى – أظن قرأتها .

الرئيس – فين ؟
فرغلى – كانت فى صفحة فى الجرنال .

الرئيس – ملحقات الإتفاقية كانت فى ٣٠٠ صفحة فولسكاب .. قرأتها فين ؟
فرغلى – مش مستقر فى ذهنى .

الرئيس – اللى مستقر فى ذهنك إيه ؟
فرغلى – عندى فكرة .

الرئيس – أسألك فيها أو ترجع تقول مش متذكر ؟
فرغلى – أنا ذاكرتى ضعيفة شوية

الرئيس – بقى ده حال يرضى ربنا ، ده يرضى ربنا يعنى ، لا تقرءوا الإتفاقية ولا ملحقاتها . وتعارضوها ولما نسألكم فيها تقولوا ذاكرتنا ضعيفة .
فرغلى – إحنا لم نبد رأيا فى النصوص النهائية والبيان كان خاصا بالنسبة للنصوص الموقعة بالحروف الأولى .

الرئيس – تقدر تقول لى هى إيه ؟
فرغلى – هى الجلاء فى عشرين شهرا والإحتفاظ بالقاعدة فى حالة صالحة لعودة القوات إذا ،

هوجمت البلاد العربية أو تركيا . وإبقاء بعض الفنيين وتكون إدارة القاعدة لشركات إنجليزية أو مصرية ويتسلم الجيش المصرى القواعد .

الرئيس – إزاى الجيش المصرى يتسلمها وإزاى تبقى قاعدة إنجليزية ؟

فرغلى – القاعدة إعتبرت مملوكة لمصر .

الرئيس – والمنشآت الباقية ؟

فرغلى – تسلم للجيش المصرى وبعض المنشآت تديرها شركات .

الرئيس – إيه بعض المنشآت ؟

فرغلى – مش عارف .

الرئيس – اعترضت على إيه ؟

فرغلى – على وجود أمور معلقة والمفروض إن القاعدة كانت مصر تتسلمها كلها دون تحفظ .

الرئيس – والحاجات بتاعتهم اللى رايحين يخلوها خلال العشرين شهراً ؟

فرغلى – طبعا ، تستلمها مصر خلال المدة .

الرئيس – وما يتبقى بعد ذلك يديره مين ؟

فرغلى – الشركات .

الرئيس – لحساب مين ؟

فرغلى – أصحابها .

الرئيس – أصحابها مين ؟

فرغلى – تعتبر مملوكة لمصر ولكن الموجودات ...

الرئيس – موجودات دى فين ؟

فرغلى – معرفش .

الرئيس – موجودة فى المخازن ؟

فرغلى – أيوه .

الرئيس – دى بتاع مين ؟

فرغلى – الإنجليز .

الرئيس – تدار لحساب مين ؟

فرغلى – الجيش البريطانى لمدة سبع سنين .

الرئيس – وبعدين ؟
فرغلى – تسلم لمصر .

الرئيس – تسلم لمصر أو إيه ؟
فرغلى – مش عارف .

الرئيس – يشيلوها ؟
فرغلى – أيوه .

الرئيس – رأيه إيه فى ده . إيه اللى مش عاجبك فيه ، معترض ليه ؟
فرغلى – مفيش إعتراض ، وكان مقصود بالبيان بيان حق البلد الكامل .

الرئيس – فيه حد فى البلد مش عارف الحق الكامل إيه ؟
فرغلى – معروف . وكان المقصود فائدة المفاوض المصرى فى موقفه من المفاوض الأجنبى .

الرئيس – حتى لو كان صاحب البيان قبل من الإنجليز أقل من ذلك ؟
فرغلى – أنا مكنتش أعرف .

الرئيس – كنت متعرفش . وكنت معتقد إن البيان لمساعدة المفاوض أو لبلبلة الأفكار .
فرغلى – شخصيا كنت أرى أن هذا لتأييد المفاوض .

الشاهد الثالث
منير أمين دلة

الرئيس – الشاهد موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :
أيوه يا أفندم .. منير الدله .

« حضر الشاهد »

الرئيس – إسمك إيه ؟
الشاهد – منير أمين دله .

الرئيس – صناعتك ؟
الشاهد – مستشار مساعد بمجلس الدولة .

الرئيس – سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٤٠ سنة .

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث منير دلة أمام محكمة الشعب حديثا طويلاً جاء فيه أنه أكد للمحكمة أنه لا يعلم أن هناك جهاز سريا فى جماعة الإخوان . وكان يتهرب كثيراً من الإجابة بحجة أنه كان مريضا ومسافرا . ورغم ذلك كله فقد أدلى بأقوال لا تقل خطورة عما ذكره غيره من أعضاء الجماعة :

* قال إن الإخوان لم يطالبوا بعودة الحياة النيابية فورا . وإن الإخوان ليس لهم برنامج مفصل لنظام الحكم .

* قال إن الشورى هى ركن من أركان الإسلام غير مطبقة تطبيقا تاماً لا فى الهيئة التأسيسية ولا فى مكتب الإرشاد لأن مصدرها الأول هو التعيين .

* وقال إنه ذهب والصاغ صلاح شادى إلى الرئيس جمال عبد الناصر وطلبا منه أن يعرض عليهما القوانين قبل إصدارها حتى يتأكد التعاون والتفاهم بين الإخوان والحكومة .

* وقال إن الإخوان ليس لهم برنامج لحكم إسلامى وكل هدفهم هو الحكم بالشورى .

فتـــرة الإنتقال والحياة النيابيـــة

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تعترض الجماعة على فترة الإنتقال التى قررت وهى ثلاث سنوات ؟

الدله - لا .. لأنها مدة معقولة لإجراء تطهير سياسى واجتماعى مطلوب للبلاد .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

وهل فى رأيك أن التطهير السياسى والإجتماعى تم الآن ؟

الدله - فى رأيى الشخصى أنه لم يتم بعد .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

لماذا تطالب جماعة الإخوان المسلمين الآن بعودة الحياة النيابية فورا ؟

الدله - لا أعلم أنهم طالبوا بإعادة الحياة النيابية فورا ولا أذكر أن هذا حدث سواء كان كتابة أو شفهيا أو بأى طريقة من الطرق .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل لجمعية الإخوان برنامج لنظام الحكم ؟

دله – ليس لجمعية الإخوان برنامج مفصل لنظام الحكم .

لرئيس – نظام جمعية الإخوان نظام شورى أو غير شورى – إسلامى أو غير إسلامى ؟

الدله – الواقع إنه نظام مبنى على الشورى .

الرئيس – هل كنت تعلم بوجود جهاز سرى أو لا تعلم ؟

الدله – لا يمكن أن أحدد .

الرئيس – هل تعرف أن فيه جهاز سرى ؟

الدله – أعرف أن هناك نظاماً خاصا بوضع معين .

الرئيس – يعنى تعرف أن فيه جهاز سرى موجود ؟ وهل هو مسلح أو غير مسلح ؟

الدله – الواقع أنه كان فى وقت فلسطين مسلح .

الرئيس – ملناش دعوة بوقت فلسطين .

الدله – أنا حاليا ما عنديش فكرة عنه .

الرئيس – هل يجوز فى نظام الشورى إنشاء جيش فى الجمعية دون موافقة الجمعية التأسيسية ؟

الدله – لا .

الرئيس – ده النظام اللى كنت تطالب الحكومة به ؟

الدله – فرق بين الدولة والجمعية .

الرئيس – ليه .. إنتم عندكم برلمان من ١٤٧ ومجلس وزراء من ١٥ زى الدولة تماما .

الدله – لم تحدد صورة للنظام البرلمانى الذى نطلبه وإحنا ماكناش راضيين عن نظام الجماعة وكنا نحاول إصلاح نظام الشورى فى الجمعية خطوة خطوة .

الرئيس – وعايزين الحكومة تنط السور وتعمل نظام نيابى .

جيش الإخوان

الرئيس – هل تتصور أن مجلس وزراء لا يعرف أن فى الدولة جيش ؟

الدله – لا .

الرئيس – كنت تعرف أن عندكم جيش ؟

الدله – لا يا فندم .

الرئيس – عرفت دلوقت أو قبل دلوقت بشوية ؟

الدله – قبل دلوقت بشوية .

الرئيس – الجهاز السرى كان خاضع لمين ، لمجلس الوزراء ، متأسف لمكتب الإرشاد بتاع سيادتكم أو لغيره ؟
الدله – معرفش .

الرئيس – سمعت فى مايو ١٩٥١ ان الحكومة طالبت الإخوان بحل الجهاز السرى ؟
الدله – أنا سمعت بطلبات خاصة بنشاط الإخوان فى الجيش والبوليس وطلبت وقفه .

الرئيس – وبالنسبة للمدنيين ؟
الدله – لم أسمع .

الإخـوان والـوزارة

الرئيس – تقد تقول لنا ظروف ترشيح عدد من الإخوان للدخول فى وزارة الثورة بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ برئاسة محمد نجيب فاكر التاريخ ؟
الدله – فاكر الواقعة .

الرئيس – التاريخ كان ١٩٥٢/٩/٧م .
الدله – اللى أعرفه إن حسن العشماوى كان فى مجلس قيادة الثورة .

الرئيس – عضو يعنى ؟
الدله – لا .. فى كوبرى القبة والرئيس جمال أبلغه وجهة نظره وكلم الاستاذ المرشد علشان يرشح وزراء ، فالمرشد قال له بضعة أسماء وبعد كده فى نفس اليوم المرشد قال أنا مقدرش أبت فى الأمر لوحدى .

الرئيس – رشح مين ؟
الدله – حسن العشماوى .. وحسن قال له إن الرئيس جمال بيقول إنى صغير والمرشد قال له أنت ومنير الدله وكمال خليفة ومحمود أبو السعود .

الرئيس – الظاهر إنك ناسى أوى ... وبعدين ..
الدله – إنتهت المكالمة التليفونية على هذا .. وفى المكالمة الثانية المرشد قال أنا عايز أعرض المسألة على مكتب الإرشاد .

الرئيس – حسن العشماوى مش رد على المرشد وقال له القيادة مش موافقة علىَّ ولا على منير ؟
الدله – المكتب إجتمع وقال بلاش إشتراك فى الوزارة .

الرئيس – ده كان غير ذى موضوع لأن الوزارة كانت تشكلت .
الدله – الرئيس نجيب إتصل بالمرشد وطلب منه وزير أو إثنين فالمرشد إعتذر وكان مكتب الإرشاد مجتمع والمرشد قال له بلاش لأن إشتراك الإخوان يسبب عقبات للوزارة .

الرئيس – تذكر يوم ما رحت لجمال عبد الناصر أنت وصلاح شادى سنة ١٩٥٣م ؟
الدله – فاكر .

الرئيس – تذكر يوم ما قابلت جمال وطلبت منه أن تعرض عليكم القوانين قبل إصدراها ؟
الدله – كان حصلت مشكلة صادفت الثورة قبلها بيوم وإحنا رحنا علشان نقول للرئيس إن الإخوان يؤيدون الحركة ، وتطرق الحديث بين صلاح شادى والسيد الرئيس وقال له صلاح : حبذا لو أن الحاكم يقرب نفسه للشعب ويعرض عليه القوانين والمشروعات علشان لما تصدر القوانين الشعب ينفذها بروح .. وده كان رأى شخص لا يمثل الجماعة .

الرئيس – وأنت ألم تشترك فى هذا الحديث ؟
الدله – أنا اشتركت فى حته تانيه.

الرئيس – وكنتم أنتم الشعب ؟
الدله – جزء منه .

الرئيس – والشعب أرسلكم علشان تطالبوا بالإطلاع على القوانين قبل إصدارها ؟
الدله – سأقول لسعادتك دلوقتى المقابلة دى بالتفصيل التى دار فيها .

الرئيس – التفصيل أن إنت وصلاح شادى طلبتم عرض القوانين عليكن قبل صدورها فالرئيس جمال قال لكن والله إحنا لا نضع أنفسنا تحت وصايتكم . قلتم إنكم تمثلون الشعب قلنا لكم إنكم لا تمثلوا الشعب واحنا نمثله أكثر منكم ، ودلوقت تقول إنك نسيت .
الدله – أنا أقسمت .

الرئيس – أنت أقسمت وادى إحنا شايفين اليمين إنتهى على إيه .. واحنا أقسمنا يمين بيننا وبين الله ونعمل به .
الدله – الفكرة كانت عرض القوانين علشان تمام التعاون ومعرفة نية الحكومة .

الرئيس – والنية متقدرش تعرفها من الأعمال . تعرفها من الوصاية إللى عايز تفرضها على الحكومة ؟

الرئيس – أمال تقدر تقول لى لما أمرر عليك القوانين يبقى إيه . لما نمرر عليكم المشروعات

يؤدى بنا إلى إيه ؟

الدله – زيادة التفاهم وتأمين للتفاهم المعروض . وتبادل الأراء ، واللى قلناه كان مجرد رأى شخصى فردى .

الرئيس – تعرف إيه عن جماعة الإخوان المسلمين . أنت لا عارف حاجة ولا فاكر حاجة ، ورأيك إن الشورى بتاع الإخوان مش مضبوطه . طيب تعرف إيه عن جمعية الإخوان ؟

الدله – .... «سكت» .

الرئيس – إيه اللى تعرفه .

الدله – سعادتك تسألنى .

الرئيس – أنا بأسألك فى كل ناحية . مش عارفها . متعرفش حاجة تانية ... يا أهل البلاد .. السيد منير الدله والسيد صلاح شادى جم قابلوا جمال عبد الناصر يوم أن قرر مجلس الثورة إلغاء الأحزاب وجم علشان يؤيدوا البكباشى جمال على شرط أن تعرض جميع القوانين عليهم ونعمل لجنة مشتركة بين الحكومة والإخوان تبحث القوانين قبل إصدارها . أدى الحكاية اللى تعثرت الثورة فيها وهى إلغاء الأحزاب . وفى اليوم ده أو تانى يوم جم يطلبوا وضع الثورة تحت الوصاية مقابل تأييد الحكومة وده كان على ما أذكر فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٣م .

الشــاهد الرابــع

سيــد قطــب

الرئيس : الشاهد الذى يليه .

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

سيد قطب .

حضــر الشاهــد

الرئيس – إسمك إيه ؟

الشاهد – سيد قطب .

الرئيس – سنك كام سنة ؟

الشاهد – ٤٨ سنة .

الرئيس – الصناعة ؟

الشاهد – رئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين .

المرشد العام للإخوان المسلمين (حسن الهضيبي) عام ١٩٥٤ يطلب مقابلة عبد الناصر

السيد جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله [illegible] الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله [illegible]

وبعد فقد وجدت نفسي في أشد [illegible]

كوننا بمظاهر توحي بأن [illegible] الإخوان المسلمين [illegible]

ربما كانت [illegible] ولو أن الحكومة [illegible]

والله بالجهود [illegible] دون [illegible]

على أن هذه المظاهر قد أورثتني حسرة [illegible]

[illegible] في سبيل جمع الكلمة وصفاء النفوس [illegible]

[illegible] بالكتابة [illegible] صدرت [illegible]

[illegible] فربما يحققه أمانيك وأماني. وأنا أعلم أنك قد

[illegible] والذين [illegible]

[illegible] إلى [illegible] فلم [illegible] إلى [illegible] وأريد

الوصول إلى شيء حتى تتجه البلد كلها اتجاها واحدا [illegible]

[illegible] الإخوان

وأبادر فأقول لك إن ما [illegible] اعتقاد قد أدهشني أنه

[illegible] إلى تدبير جرائم فهذا كان مفاجأة لي وأقسم بالله العظيم

وكتابه الكريم أني ما علمت بوقوع جريمة [illegible]

[illegible] ولا كان لي بها علم وقد وقفت [illegible]

الصاعقة لأنني ممن يعتقدون أن الاغتيالات [illegible]

الإخوان ويؤذي الإسلام والمسلمين ويؤخر مصر - وقد [illegible]

[illegible] في الجماعة منذ زمن بعيد واستقر رأينا على ذلك

[illegible] الشباب إلى هذه الحقيقة [illegible]

[illegible] سنوات لم يقع [illegible] من العنف ولست أجد [illegible]

[illegible] الله [illegible] على [illegible] الخلاف أنه

[illegible]

[illegible] بأن الإخوان لا يرافقون [illegible]

[illegible] في داخل البلاد ولكنهم [illegible] بأن هذه [illegible]

[illegible] البلاد [illegible] في استكمال [illegible] حتى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إلى دمشق [illegible]

[illegible] في هذه [illegible]

[illegible]

[illegible] الاستقرار [illegible]

[illegible]

[illegible] أشار علي به بعض الإخوان [illegible]

[illegible]

[illegible]

بينهم وبين الحكومة وأكدت [illegible]

لهم التصرف في شئونهم [illegible]

هذا وقد [illegible] خير كثير إن شاء الله [illegible]

[illegible]

[illegible] فإنني [illegible] كل [illegible]

إن شاء الله بما [illegible] إلى [illegible] الجميع

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقكم ويوفقنا [illegible]

على الدوام

والسلام عليكم ورحمة الله [illegible]

[illegible]

حسن الهضيبي

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث سيد قطب أمام محكمة الشعب حديثا قصيرا ومع ذلك فقد ذكر حوادث هامة فى شهادته القصيرة :

* فقال إن المرشد أخبره أثر عودته من سوريا أن هناك خطة سوف تنفذ ضد نظام الحكم الحاضر .

* وقال إن المرشد أخبره أن أغلبية رجال الجيش بقيادة محمد نجيب سيقومون بحركة مشابهة للحركة التى حدثت فى سوريا .

* وقال إن المرشد أخبره أن الرئيس نجيب قد قام بشتى الاتصالات اللازمة مع الدول الأجنبية لتأييد إنقلاب الإخوان على أثر تنفيذه .

* وقال إن المرشد هو الذى أعطاه النقود اللازمة لشراء ماكينة (رونيو) لطباعة المنشورات .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر الحديث الذى دار بينك وبين المرشد بعد عودته من سوريا .

قطب – أعدت عليه ما اقترحته قبل ذلك مرات قبل سفره بأن الإخوان يجب أن يطالبوا بعودة الحريات والضمانات القضائية لأن هذا هو واجبهم الذى يجب أن يؤدوه نحو الله والشعب . وكان يقول إن الإخوان لا يقومون بحركة منفردة ولابد أن يكون الشعب والجيش معهم ، وبعد عودته من سوريا قال : إن الجيش فيه أغلبية عظمى ستقوم بحركة شبيهة بما تم فى سوريا من إختيار الجيش أن يعود إلى الثكنات ويسلم البلاد إلى المدنيين وإن الإخوان سيكون دورهم التأييد الشعبى للحركة الجديدة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

فهمت من المرشد أن فيه خطة لإحداث إنقلاب ؟

قطب – هو قال إن فيه ترتيبات داخلية عملت وكنت أريد أن أتأكد من أن الموقف فى مصر متصل بالموقف الدولى . والمرشد قال إن هذا معمول حسابه وإن الرئيس نجيب سيظل على رأس الدولة وسيعاونه الأشخاص الجدد .

الرئيس – ألم تسأل المرشد عن القوات التى ستتعاون معه من الجيش والمدنيين ؟

قطب – فهمت أن اللواء نجيب سيكون على رأس الأغلبية التى تقوم بالضغط على بقية الجيش لإقناعه بالعودة إلى الثكنات وإعادة الحياة النيابية . ولم أسأل عن تفصيلات أكثر من ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل كلفك المرشد بشراء آلة الطباعة للمنشورات ؟

قطب – لم يكلفنى أنا . ولما أغلقت الجريدة لعدم إستطاعتى نشر ما أريده شكوت للمرشد وقلت له : يمكن أن نطبع التعليقات فى المكتب الإدارى فى القاهرة .. ووجدت أن المكتب ليس لديه ماكينات صالحة فأمر المرشد بشراء ماكينة جديدة بمبلغ ١٨٠ جنيها دفعها المرشد على دفعتين وسلمت المبلغ لمندوب المكتب الإدارى لإستحضار الماكينة .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

كيف انتقل الحديث مع المرشد إلى حماية الحريات ؟

قطب – لأنى أعدت عليه إقتراحى الذى كنت أقترحه دائماً وهو وجوب قيام الإخوان بالمطالبة بعودة الحريات والضمانات وبذلك تكون الجماعة جماعة شعبية تطالب بقضايا الشعب ومظالمهم باعتبارها أكثر جماعة فى البلاد يجب عليها أن تقود الحركة الشعبية .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

الحركة الشعبية للمطالبة بالحريات .

قطب – فى هذه المرة كانت للمطالبة بالحريات .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

بالمظاهرات الشعبية .

قطب – المظاهرات وسيلة ، وهناك وسائل منها الخطب والمحاضرات وأحاديث الثلاثاء .

الشاهد الخامس

صاغ بالمعاش حسين حمودة

الرئيس – الشاهد اللى بعده .

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

الصاغ بالمعاش حسين محمد أحمد حمودة .

حضر الشاهد

الرئيس – اسمك ؟

الشاهد – حسين محمد أحمد حموده .

الرئيس – الصناعة ؟

الشاهد – ضابط متقاعد .

الرئيس – الرتبة ؟
الشاهد – صاغ .

الرئيس – سنك كام سنة ؟
الشاهد – ٣١ سنة .

« أقسم الشاهد اليمين »

تحدث الصاغ بالمعاش حسين حمودة أمام محكمة الشعب حديثا هاما ولكنه ذكر بعض الحقائق التى كشفت عن أمور خطيرة :

* قال إنه قابل المرشد وصلاح شادى ويوسف طلعت فى منزل قصر النيل حيث أخبره المرشد أن الرئيس محمد نجيب «مطرشق» من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأنه يعتمد على الإخوان فى التخلص من قادة الثورة .

* وقال إن الإتصال بين المرشد ومحمد نجيب كان يتم عن طريق اليوزباشى محمد رياض ياور رئيس الجمهورية السابق حيث كان يتصل بحسن العشماوى ليوصل التعليمات إلى المرشد .

* وقال أنه كان يدرب الإخوان عسكريا من سنة ١٩٤٥م وانقطع التدريب فى أزمة الإخوان الأولى بعد حرب فلسطين وبدأ التدريب مرة أخرى هذا العام فى شهر يونيو .

نجيب « مطرشق »

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
تعرف المرشد ؟

حموده – أيوه .

المدعى – قابلته قبل كده ؟
حموده – قبل الإعتقال فى يناير فات على الدكتور غراب فى بيتى وقال المرشد عايز يقابلك فى بيت بجوار جريدة المصرى وأعطانى عنوانه وهو بيت أحد الإخوان . فذهبت إلى هناك وكان موجود المرشد وصلاح شادى والصاغ خليل نور الدين .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
إيه إللى حصل فى الإجتماع ؟

حموده – المرشد قال إن رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب إتصل به وفهمه إنه مطرشق من أعضاء مجلس قيادة الثورة بسبب الحكم الدكتاتورى اللى فى البلد . وأن نجيب يرغب

فى إقامة حكم نيابى ودستور ودى رغبة الهيئات الشعبية ومنها الإخوان وإن نجيب يريد الإستعانة بالمرشد لعمل ترتيب للتخلص من العهد ده ونجيب قال إن دعوة الإخوان دعوة حق وخير ويرغب فى أن يرى المصريين كلهم إخوان .

والمرشد قال أنا جمعتكم بإعتباركم ضباط فى الجيش والراجل ده مسئول عن المدنيين وتبين إن الراجل ده كان يوسف طلعت ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كان حاضر الإجتماع ؟

حمودة - أيوه . والمرشد قال أنا تارك لكم التفصيلات .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف كان يتم إتصال المرشد بنجيب ؟

حموده - بوساطة ضابط فى الياوران إسمه رياض وواحد مدنى إسمه حسن عشماوى . وهذا ما سمعته .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تقابل يوسف طلعت بعد ذلك ؟

حموده - بعد كده اجتمعت أنا وأبو المكارم وخليل نور الدين وصلاح شادى فى بيت أبو المكارم لبحث تنفيذ رغبة المرشد ومحمد نجيب . وكان يوسف طلعت حاضر ، وقال إنه يشرع فى عمل جهاز جديد ، ويطلب الإنتظار سنة ليكون جهازاً من عشرة الاف من الإخوان لأن السندى يعاكسه .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ده كلام يوسف طلعت لكم ؟

حموده - أيوه . وصلاح شادى قال إن عودة ١٩ ضابط بوليس فى الجهاز وبالنسبة للجيش كان عدد الضباط من الإخوان قليل جدا وإنتهى الأمر بأننا لم نستطع القيام بأى خطة وإعتقلنا فى ١٨ يناير .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل دربت أحد من الإخوان ؟

حمودة : أنا دخلت الإخوان فى سنة ١٩٤٥م فى الجهاز السرى بتاع السندى وكنا ندرب الإخوان وأما فى الوقت الحاضر إحنا خرجنا من السجن فى يونيو فاتصل بنا أبو المكارم وأنا

والخضرى ورمضان وربيع وطلب منا إعادة تنظيم صفوف الجيش مرة ثانية بالاتصال بالإخوان اللى فى الجيش ، وأنا قلت لأبو المكارم أنا من يوم خروجى من السجن مفيش ضابط قال لى حمد الله على السلامة وعلى ذلك أنا مقدرش أتصل بهم فأمن عبد الخالق على هذا الكلام .

وبعد كده طلب منى أبو المكارم تدريب الإخوان وعرفنى بالاستاذ إبراهيم الطيب أنا وفؤاد جاسر وقال إنه محامى فى مكتب عودة ووكيل الجهاز الإدارى للإخوان وعرفنا بعد كده بسليم وده كان يدعى إنه تاجر وتبين أنه طالب فى الزراعة .

وسليم راح لفؤاد جاسر وعرفه بواحد من الإخوان علشان يدربه وجاب لى واحد أدربه وكذلك جاب لربيع ورمضان وأنا مكنتش أعرف الشخص اللى أدربه .

الرئيس – هل السرية بلغت فى الإخوان لحد الأسماء ؟
حموده – أيوه .. والرجل ده قابلنى فى الجيزة ثم فى باب الخلق وودانى فى حوارى ملتوية ليلا وقابلنى بثلاثة أشخاص باين إنهم طلبة وطلعنا فى أوده على السطوح وقالوا إن الطلبة دول فصيلة من غير سلاح وقعدنا وانصرفنا .

وقابلته مرة ثانية فى شارع عماد الدين ورحنا بيت فى الحنفى وقابلت نفس الشبان ولم أعرف أسماءهم وقالوا إحنا مش قادرين نتدرب اليوم لأننا كنا سهرانين فى إجتماع الجمعية التأسيسية وبعد كده اعتذرت بأنى مراقب .

الرئيس – الخطة اللى كانت مطلوبة كان غرضها إيه ؟
حموده – نخلص رئيس الجمهورية من مجلس قيادة الثورة .

الرئيس كان غرض الخطة إيه . إنت راجل عسكرى .
حموده – شيل أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعدين محمد نجيب يبقى فى البلد .

الرئيس – ومخلصتوناش ليه يا أخى ؟
حموده – وقالوا أنهم عايزين حكم نيابى .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اعقلت أخيرا ؟
حموده – اعقلت فى بلد جنب رشيد فى عزبة الشيخ حجازى النجار ويقرب لجمال ربيع .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :
إنت بتقول تواليت تدريب . كيف كان يتم ذلك ؟

حموده - فى البيوت .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :

أفراد أم جماعات ؟

حموده - أربعة أفراد .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :

حصل إجتماع بينك وبين يوسف طلعت بعد الإجتماع اللى قلت عليه ؟

حموده - حصل إجتماعات فى بيت أبو المكارم وكنا نتكلم عما نعمله وإحنا أفهمنا يوسف ان ملناش إمكانيات فى الجيش ، وصلاح أفهمه إن البوليس مفيش فيه إمكانيات ويوسف قال انه بعد سنة يكون عنده عشرة ألاف أخ .

الشاهد السادس
هنداوى دوير

الرئيس - الشاهد اللى بعده ..

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - هنداوى دوير

«حضر الشاهد»

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - هنداوى سيد أحمد دوير .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - محامى .

الرئيس - سنك ؟

الشاهد - ٣٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث هنداوى دوير أمام محكمة الشعب حديثاً يتفق وإعتباره عنصرا هاماً فى مؤامرة إغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وهو الذى قدم المسدس لمحمود عبد اللطيف لإغتيال الرئيس جمال ووقف أمام المحقق وأمام المحكمة ليروى الأسرار الرهيبة عن جهاز الإخوان الخاص والخطة الدامية التى كانت فى طريق التنفيذ لإشعال نار حرب أهلية بالبلاد . وعاد

هنا فى قضية حسن الهضيبى ليؤكد ما جاء على لسانه فى قضية محمود عبد اللطيف :

* قال سلمت المسدس لمحمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة .

* وقال إبراهيم الطيب هو الذى كلفنى بأن أكلف محمود عبد اللطيف بتنفيذ خطة إغتيال الرئيس جمال على أن يعتمد محمود على نفسه .

* وقال أنا فهمت من حديث إبراهيم الطيب لى أن المرشد موافق على الخطة .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

أذكر الخطة التى بلغت إليك من قيادة النظام السرى لتنفيذ الاعتداء على الرئيس جمال تمهيداً لعمل إنقلاب .

هنداوى – الأستاذ إبراهيم الطيب جه قبل الحادث بحوالى ١٥ يوماً وقال إن خطة الإخوان هى الاعتداء على الرئيس جمال وأعضاء القيادة والضباط الأحرار وبعد كده الرئيس نجيب سيقوم بإنقلاب شعبى ويهدىء هو الحالة ، ده ملخص الخطة .

وأعطانى مسدس وقال لى إعطيه لمحمود عبد اللطيف علشان يتبع الرئيس جمال وكان يمر على كل يوم تقريبا وأخذت منه المسدس سلمته لمحمود وقال لى إن الخطة إن محمود يتبع الرئيس ويعتمد على نفسه فى ذلك .

وفى هذه الاثناء زارنى محمود الحواتكى وقال إن النظام السرى يقوم بإعداد عمليات إرهاب ولا يوافق عليها المرشد وأنا أمر على رؤساء المناطق أنبههم .

وأنا على أثر هذا قلت له يا محمود ما تعملش حاجة . وبعدين جانى إبراهيم الطيب وقلت له على حديث الحواتكى فإبراهيم قال لى : أبدا الحواتكى متصل بالمفصولين . المرشد موافق .

وهذه المسائل ترتكز على الثقة وأنا وثقت فى إبراهيم لأنه هو المتصل بى . وقابلت محمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة ، وكان مفروض أن الحادثة تقع فى مصر ولكن محمود قال لى أنا مسافر الإسكندرية لقتل الرئيس هناك وسافر .

الرئيس – يعنى إنت فهمت من إبراهيم الطيب إن المرشد موافق على إرتكاب الحادث ؟
هنداوى – أيوه .

الرئيس – الهضيبى رئيس الجهاز السرى ؟
هنداوى – المفروض أنه رئيس الجهاز .

المدعى - ليه سألت إبراهيم الطيب عن رأى المرشد فى إرتكاب الحادث ؟
هنداوى - المفروض إن المرشد هو الرئيس للجهاز .

الرئيس ده إعتقادك ؟
هنداوى - أيوه .

البيعة للهضيبى

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
أعضاء الجهاز السرى يقسمون يمين البيعة ؟
هنداوى - أيوه اليمين « اقسم بالله أن أكون حارسا لمبادىء الإخوان مجاهداً فى سبيل الله على السمع والطاعة فى المعروف وأن أجاهد فى سبيل ذلك ما استطعت » .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) : السمع والطاعة لمين ؟
هنداوى - للمرشد العام .

الرئيس - يبقى مفهوم من القسم إن الجهاز تابع للمرشد العام ؟
هنداوى - أيوه .

الرئيس - يبقى إنت تعلم على سبيل اليقين إن الجهاز تابع للمرشد العام .
هنداوى - أنا أقسمت أيام حسن البنا .

الشاهد السابع
أحمد فتحى البوز

الرئيس - الشاهد موجود ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) - أيوه يا أفندم . فتحى البوز .

الرئيس - اسمك ؟
الشاهد - أحمد فتحى على يوسف البوز .

الرئيس - صناعتك ؟
الشاهد - محامى .

الرئيس - السن ؟
الشاهد - ٢٥ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث فتحي البوز أمام محكمة الشعب حديث الرجل الذى يتولى رئاسة فصيلة الجيزة الإرهابية وكان أهم ما ذكره أنه حاول الإتصال بالمرشد فى مخبئه ليطلب منه وقف تنفيذ خطة الإغتيالات والإضرابات المسلحة ولكنه فشل :

* قال إن يوسف طلعت هو المسئول عن أمر الإغتيالات وإنه يتلقى أوامره من المرشد الرئيس الأعلى للجهاز .

* وقال بأن إبراهيم الطيب أبلغه بأنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب إغتيال الرئيس جمال وأنه سيتم فور ذلك إغتيال بعض أصدقاء الثورة ثم تقلب الحكومة ويتم الإستيلاء على مقاعد الحكم بالقوة .

* وقال إن الجهاز الخاص كان أداة لمحاربة الحكومة بسبب دوافع شخصية .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر للمحكمة كل ما جرى فى حديثك مع إبراهيم الطيب آخرة مرة .

فتحى – قال لى إبراهيم الطيب إن مسألة إغتيال جمال أصبحت مقررة وأن الأمور ماشية على ما يرام وإن الرئيس جمال تقرر إغتياله وكلف بذلك بعض الإخوان و لم يذكر لى اسماءهم وعلى الفور اتصلت ببعض الإخوان لأبلغهم هذا النبأ الذى كنا نعارض فيه . وكان علينا أن نتصل بجميع الإخوان لنحول دون تنفيذ أى شيء صادر من إبراهيم الطيب . لأننا ماكناش مقتنعين به ، وقمت واتصلت بالحواتكى واتفقنا على أن آخذ غرب القاهرة والحواتكى شرق القاهرة وأن ننبه على أفراد الجهاز حتى لا يقع شيء .. وزيادة على ذلك اتصلت بالأستاذ عبد القادر عوده ، لأبلغه النبأ ، فقال إنه لا علم له بذلك . وأن هذا لا يمكن أن يقع فقلت له أنه من الضرورى إتخاذ إجراء لأن هذا العمل سوف يتم حتما . فقال لى : احضر لى إبراهيم الطيب . فقلت له إتصل به أنت . ولكنه قال : لا .. احضره لى لأنى مراقب، وفعلاً ذهبت لإبراهيم الطيب ، وقلت له : إن الأستاذ عبد القادر عايزه ضرورى . و لم أذكر له السبب الحقيقى لأنه هو لو كان عرف السبب ماكانش حضر معى .. وحددت موعد له مع الأستاذ عبد القادرى ولكن الطيب لم يحضر ، والأستاذ عبد القادر قال لى : استمر فى البحث وأنا سأبحث من ناحيتى . وبعد ذلك الأستاذ عبد القادر حددت إقامته وبعد ذلك بيومين وقع الحادث .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

إبراهيم الطيب كان يذكر لك ذلك بشكل حديث أو أمر ؟
فتحى - بشكل أمر تقرر .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
هل طلب منك الاستعداد ؟
فتحى - هو طلب منى أن أتصل بأحد الإخوان ليحضر له سلاح ، وفعلاً اتصلت بهذا الأخ ونبهت عليه بعدم إعطاء إبراهيم الطيب أى سلاح . والأخ ده هو عبد العال المدنى . وفعلا فعل كل ما قلته له لأننا نعرف إن السلاح سيستعمل فى أمور لا نقرها .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
هل ناقشت الطيب فى هذا الأمر ؟
فتحى : أيوه ، بينت له إن هذا الأمر خطير ، وأنه سوف يجلب الكوارث على البلاد وعلى الإسلام .. ولكن لم أسترسل معه فى المناقشة . وإتصلت بالأستاذ عبد القادر كما ذكرت ..

الأستاذ على نور الدين (المدعى :
هل ما ذكره لك إبراهيم الطيب كان أمر صادر من القيادة العليا ؟
فتحى - هو كان أمر تقرر أنه صدر من المسئولين اللى فوق .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) - من المسئول ؟
فتحى - يوسف طلعت .

الرئيس - هل قال لك الطيب عن فكرة قتل الرئيس جمال ؟
فتحى - قال أنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب الحادث ويغتال بعض أعضاء رجال الثورة .

الشاهد الثامن
يوسف طلعت

الرئيس - الشاهد إللى بعده ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) - يوسف طلعت ..

«حضر الشاهد»

الرئيس - أهلاً سى يوسف .
الشاهد - ساكتاً .

الرئيس – إسمك ؟
الشاهد – يوسف عز الدين طلعت .

الرئيس – صناعتك ؟
الشاهد – تاجر حبوب .

الرئيس – سنك ؟
الشاهد – ٤٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث يوسف طلعت أمام محكمة الشعب وكان حديثه هاما ، فهو قائد الجهاز السرى ، وكان يدلى بالحقائق الدامية فى بساطة مذهلة وبكل هدوء . وكان فى نفس الوقت حاضر البديهة وقد برزت صراحته فى أكثر من موضع .

* قال أنه رئيس الجهاز السرى للإخوان ومسئول أمام حسن الهضيبى .

* وقال إن حسن الهضيبى لم يطلب حل الجهاز .

* وقال إن خميس حميده كان حلقة الإتصال بينه وبين الهضيبى .

* وقال إن التشاور على تسليح الجهاز كان مع إبراهيم الطيب وعبد المنعم عبد الرءوف وأحمد حسنين .

* وقال إن خطة الجهاز السرى كانت تتلخص فى القيام بمظاهرات تحميها قوة مسلحة ثم تبدأ الاغتيالات .

* وقال إن الهضيبى أمر بقيام المظاهرات التى كان عبد القادر عودة مسئولاً عنها وإن يوسف طلعت مهمته حمايتها بالفصائل المسلحة .

* وقال إنه هو الذى أعد الحزام الناسف وسلمه لإبراهيم الطيب لاغتيال الرئيس جمال وإنه استوحى الفكرة من حادث السيد فايز .

* وقال إن هنداوى دوير تسرع فى تنفيذ الخطة ففشلت .

* وقال لرئيس المحكمة «انت كنت من الستة المقتولين يعنى كنا سنقتلك» .

* وقال عندما سأله الرئيس : هل أنت مؤمن : أنا مؤمن ولذلك فإنى أضحك من القدر ..

* وقال أنه عندما إطلع على منشور محمد نجيب ومنشور سليمان حافظ إجاز طبعها وأن إبراهيم الطيب كان يتولى الطبع وسيد قطب يتولى التحرير .

* وقال عندما نعته المدعى بأنه القائد الأعلى للجهاز « أيوه .. قول قائد أعلى .. كبر فى قيمتى علشان كل ما تكبرونى تقطموا رقبتى .. أنا لا قائد أعلى ولا حاجة ، خليها بالبركة ، أنا نجار .. » .

* وقال إنه قرأ الإتفاقية بعد توقيعها بالحروف الأولى فوجد فيها بعض النقص ولما وقعت الاتفاقية نهائيا قرأها فوجد النقص قد زال وتداركه الجانب المصرى :

سأله المدعى عن مركزه فى الجهاز السرى وعن موعد تعيينه مسئولا عنه فقال :

* أنا المسئول عن النظام السرى وقد عينت مسئولا عنه بعد حادث السيد فايز بيومين أو ثلاثة . وفى يوم الحادث كان فيه إجتماع للإخوان حضر فيه فرغلى وخميس وأحمد زكى والصباغ وكان فيه خلاف بين السندى والمرشد وطلت من السندى أن ينتحى فتنحى . والموجودين رشحوا بعده ثلاثة ورفع الأمر للمرشد فعرضه على خميس وخميس وقع إختياره على .

وقابلنى بعد كده عبد المنعم عبد الرءوف وعرض على مسألة الفصائل .

الرئيس - غرقك عبد المنعم ؟
الشاهد - غرقنى واللا ما غرقنيش . المسألة انتهت واللى حصل إننى انبسط من العملية دى وقلت دى نفتح الجهاز ، والسندى فهم أننا بنسرح النظام والتهم كانت تنهال علينا وواحد مره حط صابعه فى عينى .. وأنا قلت إننى فاهم فكرة الإسلام كويس . وبعدين جاءت محنة الحل الأول للجماعة سنة ١٩٥٤م وبعدين قابلت إبراهيم الطيب وقلت له إنه ينبغى أن نفهم الفكرة دى فى الإخوان وبدأ الإخوان يدخلون التشكيلات .

أنا عندما أخذت هذه العملية فالمفروض إن الشيخ فرغلى دعانى للجنة وفيها أبو المكارم ومحمود عبده وصلاح شادى وفرغلى قال أنه يعتبر دى هى اللجنة العليا لتنسيق الجهاز فى سبيل الإسلام .

الرئيس - متى كان هذا ؟
الشاهد - بعد الإفراج علينا مباشرة . لأن المدة اللى قبل كده كانت لتصفية النزاع بين المرشد وعبد الرحمن السندى ، وكانت مدة مشاكل وحضرت الاجتماع والشيخ فرغلى قال إن دى هى اللجنة العليا ، وقال إن شغلنا مش مصر بس . وقال فيه قتال فى مراكش وكان عايز

ياخذ صفة للجنة من المركز العام .

واجتمعنا مرة أخرى و لم يحضر أبو المكارم هذا الاجتماع وقالوا كل واحد يقول قوله ويدلى بياناته عن قدرته . و لم اجتمع بهم بعد ذلك وسافرت حتى سمعت خبر طلب إعتقالى .

الرئيس – ماذا كان غرض الجهاز .
الشاهد – الغرض يختلف فى نفسية كل فرد .. يعنى الروح القديمة اللى متأصلة فى نفس بعض الأفراد جعلتنى غير مستريح وأنا فى نفسى كنت أحمل معنى أتمنى فيه أن يكون الأفراد يحملون الإسلام حملا صحيحاً .. وهذا ليس للتهرب . أنا مدان . ولكن الجو كان ..

الرئيس – كنت حاسس إن الجو إيه ؟
الشاهد – جو مش طعم .

الرئيس – جو مش طعم وعندما اتجهتم نحو التسليح للنظام ماذا حدث ؟
الشاهد – كنت اسمع إنى خائن وإنى عايز أسرح النظام .

لا سـرية فى الـدين

الرئيس – تذكر أيام حسن الهضيبى ما قال لا سرية فى الدين وخرج السندى ؟
الشاهد – مش متذكر .

الرئيس حاول أن تذكر ؟
الشاهد – الهضيبى كان بيقول إن الجهاز مش لازم يكون مع وجود جهاز خاص .

الرئيس – كيف خرج ؟
الشاهد – اللجنة قررت كده .

الرئيس – مش لازم تعرض على الهيئة التأسيسية ؟
الشاهد – اللجنة دى تتحكم فى النظام الخاص .

الرئيس – اللى حضر فيها سابق وفرغلى وخميس وأحمد زكى وانت ؟
الشاهد – أيوه .. ورشحوا ثلاثة واختارونى .

الرئيس – وعلى كدة تبقى تبع المرشد ؟
الشاهد – أمال أكون تبع نفسى .

الرئيس – يعنى تبع حسن الهضيبى ؟

الشاهد - بإعتباره مرشدا للإخوان لو شالوه وجه واحد تانى أكون تبعه والعرف والسياسة كانت ماشية كده .

تصفيـــة الجهــاز

الرئيس - هل طلب منك حسن الهضيبى تصفية الجهاز ؟
الشاهد - لا . يمكن خاف أقول لغيرى من أصحاب فكرة بقائه .

الرئيس - المهم لم يقل لك . مش مهم السبب ؟
الشاهد - لا .. لم يقل لى .

الرئيس - تكلمت مع الشيخ فرغلى عن مظاهرات ؟
الشاهد - المظاهرات المسلحة ؟

الرئيس - أيو إيه الحكاية دى .
الشاهد - فى يوم عبد المنعم عرض خطة من خططه عبارة عن مظاهرة تحميها قوة مسلحة لترد الاعتداء على الأفراد إن حدث .. ويعقبها خطة إغتيالات فأنا حملت هذا الرأى للمرشد . وده يمكن قبل حادث الإعتداء بحوالى ١٢ يوم . وكان فى الإسكندرية . وكانت أول مرة أقابله فيها بعد اختفائه . قلت له إن واحد من الإخوان بيعرض مشروع باغتيال مظاهرة مسلحة ترد الإعتداء الذى يقع عليها إذا حدث ، وإن يقوم المسلحون بإغتيال مجلس قيادة الثورة ، فقال لى إسمع يا فلان : أنا بقى لى كام يوم مش مستريح ومسألة الاغتيالات دى والقتل تضر بكم وإذا كنتم تستطيعون القيام بمظاهرة تشترك فيها جميع أفراد الأمة يكون مافيش مانع ، وتعرض الكلام على عبد القادر عودة والمظاهرة تكون مطالبها حرية الصحافة والبرلمان وفرض الاتفاقية عليه وفعلا رحت لعبد القادر وقابلت إبراهيم الطيب .

الرئيس - ما هى الاغتيالات التى قالها لك أنه كان غير مستريح لها ؟
الشاهد - هو نفسه بيقول إن نفسه غير مرتاحة لحكاية الاغتيالات .

الرئيس - يعنى قوله إن بقى له كام يوم بيفكر فى حكاية الاغتيالات . فهل معنى هذا إن كان فيه كلام عن إغتيالات قبل كده ؟
الشاهد - هو وضميره .

الرئيس - وبعدين رحت اللجنة لدراسة الإقتراح ؟

الشاهد – أيوه. قابلت إبراهيم الطيب وإعطيته ورقة يعطيها للاستاذ عبد القادر عوده وبعد يومين قابلت إبراهيم وقال إن عبد القادر عرضها على اللجنة . وبعد يومين قال لى : إن اللجنة غير موافقة . فسألته : هل هو تأجيل أم إلغاء . فذهب وعاد وقال : إنه تأجيل . وبعدين قابلت عبد القادر مرة فى بيته وسألته عن عدم الموافقة على المظاهرة فقال : يا يوسف يستحسن ننتظر شوية .

الرئيس – ما هى مسألة المظاهرة المسلحة ؟
الشاهد – مظاهرات وإغتيال بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

الرئيس – الوحشين فيهم ؟
الشاهد – وانت منهم .. مش عايز الكلام الحق .. والله يا شيخ أنا أقسمت يمين على أن أقول الحق . وأنا حسبى إن الله يعرف كل شيء . وكل غلطة عملتها سأقولها .

الرئيس – ما هى الغلطات ؟
الشاهد – عملت حزام وإعطيته لإبراهيم الطيب على أنه وسيلة من وسائل الإغتيالات .

الرئيس – لتغتال من ؟
الشاهد – لم أحدد . ووالله لو حددت لقلت .

الرئيس – إبراهيم الطيب قال انك اعطيت خطة كاملة لإغتيال جمال عبد الناصر .
الشاهد – جمال عبد الناصر الأول .. لا .. الكلام إنه حين الموافقة على المظاهرات تقوم ويعقبها الاغتيالات .

الرئيس – ما هو غرض المظاهرات ؟
الشاهد – خطة من ضمن الخطط التى يضعها قائد عسكرى .

الرئيس – وما القصد ؟
الشاهد – إنت عايز الجد ؟

الرئيس – أيوه .
الشاهد – أنا وجدت نفسى بالنسبة لما صبحت عسكرى أوصل الخطط .

الرئيس – وما القصد من الإغتيالات ؟
الشاهد – حسب ما فهمت يتغير الوضع الحالى ؟

الرئيس – ما الداعى ؟
الشاهد – مافيش حريات علشان نتكلم فى جرائد . والمعاهدة كان فيها ناقص شوية حاجات وقت ما عرضها عبد المنعم وأنا كنت مقتنع بكده .

الرئيس – أيه اللى كان ناقص ؟
الشاهد – مثلا إنه إذا حصل حرب وجه الإنجليز هل سيخرجون وحدهم أو نحن سنخرجهم .. وإستفادتهم بكل المطارات . وبعد كده أنا قرأت المعاهدة وقلت لحسن العشماوى إن المعاهدة فيها حاجات كتير كويسة وده مثلا خروجهم بعد أى حرب مباشرة واستيلاء الحكومة على كل المرافق وأخذ الرسوم على حاجاتهم وتطبيق قانون الشركات الأجنبية .

المظـاهـرات

الرئيس – من كان المسئول عن إخراج المظاهرات ؟
الشاهد – عبد القادر مسئول عن إخراج المظاهرة وأنا أحمى المظاهرة بإحضار مجموعة الفصائل .

خطة مهاجمة مجلس الوزراء

الأستاذ على نور الدين(المدعى) :
تلكم عن خطة مهاجمة مجلس الوزراء ؟
الشاهد – فى أول مقابلة بعد هروب عبد المنعم عبد الرءوف وضع مشروع كبير وطلب ملابس وقال عاوز نعمل هجوم على مجلس الوزراء بملابس عسكرية علشان نعمل تضليل .

وكان عايز يقتحم مجلس الوزراء وهو كان يقول : إدينى قوة وماليكش دعوة . وكان يقول لى إنت مدنى .. وبعد إن عجزنا عن مطالبة سرحت الفكرة دى .. وبعدين جاءت حكاية تانية .. إذ في يوم رحت البيت وجدته هناك ومعاه إبراهيم الطيب وقال: عايزين نرجع للحكاية القديمة وهى مجلس الوزراء ، وقلت له : وماذا تريد ؟ قال : ناس وسلاح ، فقلت له : أحلام . فإبراهيم قال له : عندى السلاح فقال لى : ادخل بقى صلى .

الرئيس – ماذا كان غرضكم ؟
الشاهد – والله أنا كنت أدعو ربنا يبوظ كل حاجة !

الرئيس – طيب ربنا إستجاب الدعوة .. وماذا كان الإتفاق الذى جرى بينكم ؟

الشاهد – نشيل الحكومة .

الرئيس – ماذا كان قصد المرشد عندما طلب إخراج مظاهرة ؟
الشاهد – والله أنا فهمت منه حكاية المظاهرة كتبرير للإخوان بإعتباره عمل أدته نحو المعاهدة ويكون الإخوان أدوا واجبهم .

الرئيس – والحراسة مالوش دعوه بها ؟
الشاهد – والله دى تدخل فيها عبد المنعم والشيطان .

الرئيس – موجها كلامه لحسن الهضيبى – شفت الجهاز اللى عملته يا مستشار يا قصير الباع .. لماذا لم تحله ؟
المتهم – الحكومة لا تقدر أن تحله .

الرئيس – إحنا نحل أبوه ..
المتهم – ناس غير معروفين .

هنداوى تسرع

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
قابلت إبراهيم الطيب بعد تسليمه الحزام ؟
الشاهد – إيوه .. قبل الحادثة وكان الحديث علشان عبد القادر بلغ الإخوان عدم إرتكاب اعتداءات وبعد الحادث سألته فقال : أخوك هنداوى تسرع .

الرئيس – تسرع فى التنفيذ . والفكرة موجودة بس الزمن لم يحدد ؟
الشاهد – أيوه .

المنشورات

وتحدث الشاهد عن المنشورات فقال : منشورات بتاع سليمان حافظ بعنوان رأى وزير سابق وواحد باسم محمد نجيب وواحد ثالث كمان وده شفته بعد طبعه .

الرئيس – عندما يضع إنسان اصبعه فى عين آخر لمن تكون المحنة ؟
الشاهد – لمن فقئت عينه . وأنا بشر أنا إنسان مش معصوم وأنا أحكى لك فإذا كان معنى الشر غلب على فالقصاص يأخذ حقه .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

صدر عدد من المنشورات بتوقيع حسن الهضيبى فما معلوماتك عنها وهل تعرض عليه المنشورات ؟

الشاهد – بس والنبى طول بالك على شوية .

الرئيس – أكتر من كده ؟

لشاهد – لا . يعنى خللى أخلاقك أوسع مننا .

الرئيس – والله أنا لا أكرهك !

الشاهد – تعرف ليه ، لأننى لا أكرهك وأنا طمعان فى كرمك أكثر .

الرئيس – طيب حاضر .

الشاهد – الجواب جه ممضى من الهضيبى وأنا سلمته لعبد القادر .. وده جواب مطبوع .. هات أرشيف المنشورات وأنا أطلعه .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

الدكتور خميس طلب أن توقف نشرة الإخوان ؟

الشاهد – أيوه قابلته فى المركز العام وقلت له الواحد محتار أنا عايز أروح فقال لى طول بالك وقال حاجة زى دى إزاى تنزل من غير إذنى : وأن أى حاجة تانية أعرضها على ، ولما أقول لك لا تنزل يعنى ما تنزلش ، وتناقشنا فى هذا .

الرئيس – من كان يطبع ؟

الشاهد – هذه النشرة أعطيتها لإبراهيم وهو طبعها .

الرئيس – من كتبها ؟

الشاهد – مرة أخذنا شوية حاجات من سيد قطب .

ملخص أقوال يوسف طلعت

الرئيس – يعنى أنا سأعيد كلامك وإذا كان مضبوط صدق عليه وإلا فاعترض ، إن هناك جهاز سرى فى الإخوان . والجهاز المصرى مسلح وإنه لم يطلب منك حل الجهاز والتشاور عن التنظيم والتسليح كان مع الطيب وعبد المنعم وأحمد حسين ولم تكن تعرض التفصيلات على المرشد وبعدين عملتم خطط والمرشد لم يصدق على الإغتيالات وصدق على المظاهرات وعدت لعودة ثم أصدرتم أوامر للفصائل وهنداوى تسرع .

الشاهد – لم تصدر أوامر .. ده الطيب قال : أخوك هنداوى تسرع .

الرئيس – يعنى تسرع فى التنفيذ ؟
الشاهد – أنا لم إصدر أوامر وإلا قلت .

الرئيس – طيب وبعدين بعد عدم نجاح الخطة إجتمعتم وعدت للخطة الأولى وطلب عبد المنعم رجال وسلاح وملابس بوليس حربى . والجو بتاع الجهاز كان جو مش طعم وكان جو عصابات وروح مش كويسه . والمرشد طلب إزالة الروح دى . والنظام فيه أسلحة .. ده مخالف لقوانين البلد ؟
الشاهد – أيوه .

الرئيس – وما هو حكم الإسلام ؟
الشاهد – أن اسمع قوانين البلد .

مرافعة المدعى : على نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاة الشعب : لقد شاءت إرادة الله – جلتِ قدرته – لوطننا العزيز الخير والسلامة – فكان الحادث، المشئوم ، حادث الإعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر النذير الذى أظهر لنا هذا الخطر الجسيم الذى كان يتربص بالوطن ليدمرة وبالشعب ليشع فيه التقتيل والتخريب ويعود بنا القهقرى مئات السنين .

تلك آية من أيات الله ولا عجب أن يؤيد الله المؤمنين بنصره ويخزل الكافرين . فما بالكم بمن يدعون الإيمان بالله ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم . يستغلون دينهم للخداع وغايتهم الحقيقية المنافع والأغراض ووسيلتهم القتل والتخريب والتدمير ، لا عجب إذن أن يخذلهم الله ويكشف أمرهم ، أولئك قد ضلوا طريق الهدى ولن يجدوا لهم وليا ولا نصيرا .

هذه يا حضرات القضاة الجماعة التى يحاكم رئيسها وكبيرها الآن جماعة أراد رجالها وقادتها الوصول إلى كراسى بأى ثمن . فما راعوا دينا ولا وطنا . فأخذوا فى التغرير باسم الدين الحنيف ليخفوا أغراضهم الحقيقية الإرهابية ، وما زالوا يدبرون ويجهزون حتى سقطت عنه الأقنعة وكشفت حقيقتهم فظهر للجميع واضحاً لا يحتاج إلى بيان .

وسمعناهم ينادون بالشورى ورأينا فى نفس الوقت كيف يطبقون نظام الشورى فيما بينهم فى داخل جماعتهم . وإن أول ما يطلب من العضو هو أن يقسم يمين السمع والطاعة للمرشد حتى يصبح مجرد آله صماء فى هذا الجهاز المدمر .

إننا لا نتجنى ولا نظلم يا حضرات القضاة إذا .. إتهمنا هذه الجماعة بالتضليل . تضليل من شأنه أن يودى بالوطن إلى الهلاك والدمار . فبالأمس القريب ضبط مخزن آخر للأسلحة فى مدينة الإسماعيلية وجد به ٣ مدافع فيكرز واستن و١٢ بندقية وسدس و ١٥٩ قنبلة يدوية و ٥٠٠ كيلو جلجنايت علاوة على آلاف المفجرات والطلقات - هذا المخزن موجود فى مدينة بور سعيد فى منطقة القنال فلماذا لم يستعمل فى وقت المعركة ضد الإنجليز ؟

* المتهم هو المسئول الأول عن الجهاز السرى . والرئيس الأعلى له .

هذه حقيقة لا شك فيها فقد أجمع الشهود وجميع من سئلوا فى التحقيق من أعضاء الجهاز وقادته على أن المرشد هو الرئيس الأعلى للنظام السرى الذى يمسك بيديه الخيوط المحركة لأجهزة هذا النظام ، بحيث لا يمكن أن يصدر أى أمر بغير الرجوع إليه وإقراره .

* وذكر الشاهد محمد فرغلى صراحة فى شهادته أمام المحكمة أن المرشد بعد ان كان ينادى بوجود حل الجهاز والا سرية فى الدعوى عاد واقتنع بوجوب وجود هذا الجهاز وعهد برئاسته إلى يوسف طلعت . كما ذكر يوسف طلعت أن المتهم عندما كلف برئاسة الجهاز لم يطلب منه أن يصفى الجهاز .. قالها الشاهد يوسف طلعت صراحة .

* جاءت أقوال المتهم فى القضية ناطقة بحقيقتين : الأولى ان المتهم أقر أمام المحكمة فى شهادته أنه يعلم بوجود هذا الجهاز وأن افراده يدربون على إستعمال الأسلحة تدريبات عسكرية مخالفا بذلك قوانين الدولة .

الثانية - أنه هو الرئيس الأعلى لهذا الجهاز.

إذن فالمتهم يقر فى هذه الأقوال أن هذا النظام الخاص كان موجودا فى الجماعة لعلمه . وإنه عين رئيسه يوسف طلعت ، ولكنه يتنصل بعد ذلك من المسئولية عن أعمال هذا النظام الخاص ، وعن الغرض منه .

* والوقائع المادية - يا حضرات القضاة - تقطع بأن المتهم كاذب وأنه ما أراد إلا التخلص من المسئولية . ولعل ما حدث أخيرا فى صدد الخطة التى وضحت للانقلاب حيث سافر يوسف طلعت بعد وضع الخطة إلى الإسكندرية لعرضها على المرشد فى مخبئه . قاطع فى الدلالة على أن يوسف طلعت رئيس الجهاز لم يكن يأتمر إلا بأمر المرشد . وأن المرشد كان هو الرئيس الأعلى للجهاز الذى يجب أن تعرض عليه كل خطة لإقرارها .

يا حضرات القضاة :

تبين لكم من كل ما قدمنا أن المتهم قد أعد فريقاً من أتباعه فى جيش سرى مسلح .

أعده ليشن به حرباً أهلية ضد الحكومة وضد أبناء الوطن المسالمين .. ووضع لهذا الجيش خطة لإشعال هذه الحرب الأهلية . بدأ بتنفيذها فعلا بحادث الشروع فى إغتيال رئيس الحكومة - ولولا لطف الله بهذا البلد الأمين ، لكانت المذابح ، ولكان التقتيل والتدمير ، والتخريب الذى كان حتما سيعصف بكل مقومات الدولة ، وما وصل إليه الشعب بكفاحه من رقى وحضارة .

وإذا كانت هذه هى النتيجة الحتمية لهذه الجرائم أفلا يكون القصاص العادل لهذا ، هو بتر الأعضاء الفاسدة المخربة من جسم المجتمع . لنتطهر البلاد من شرورها ، إننا نطالب باسم الشعب الذى يريد لوطنه نهضة دائمة ، وباسم الملايين التى تريد أن تعيش فى محبة وسلام نطالب قضاة الشعب بتوقيع عقوبة الإعدام على هذا المتهم وعلى من يثبت إشتراكه فى هذا العمل الإجرامى .

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجهلم من خلاف أو ينفوا من الأرض .ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» .

قضاة الشعب . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع : سامى مازن

سيدى الرئيس : حضرات الأعضاء المحترمين :

* إذا كان الأستاذ حسن الهضيبى قدم للمحاكمة فى هذه التهمة الخطيرة والتى هى حسب الوصف الذى أعطاه الإدعاء لها تتصل بإشخاص قضاته فإنه لا يجزع لأنه مؤمن الإيمان كله أنه برىء مما هو منسوب إليه كما أنه مؤمن بأن القاضى إذا جلس مجلس الحكم انقطع ما بينه وبين الناس واتصل ما بينه وبين الله الحكم العدل القدير المتعال .

فالقضاة عبادة . وإذا كنت اريد أن أستهل مرافعتى فلم أجد خيراً لاستهلالها من أن أشهدكم وأشهد الله بأن حسن الهضيبى أشد الناس إستنكاراً للجريمة .

*** عندما قامت هذه الدعوة لقيت إقبالاً وإستجابة منقطعة النظير وعلى حد ما قالته جماعة كبار العلماء فى هذا الأمر إن الجماعة كانت موضع إرتياح من الناس وإجتذاب جمهرتهم وهذا كان أمرا طبيعيا لأن النفوس إذا غلبها الشر أول ما تفزع إلى الدين وإذا ما غلبت على الناس شقوتهم وطغت المادية عليهم لا يجدون مخلصا إلا بالروحية لتسموا نفوسهم .**

وكان منهاج الجماعة هو الذى دعا إلى إنشاء هذا النظام لأن المرشد حسن البنا رحمه الله حين أراد أن يبين وسائل الجماعة فى الوصول إلى هذه الأهداف قال فى رسالة له إن الخطب والدروس لم تجدى نفعاً ولكن للدعوات وسائل لابد من الأخذ بها وهى الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل .

وقد فكرت طويلا فى معنى التكوين الدقيق حتى عثرت على حكم صدر من محكمة القاهرة الجنائية تعرض فيه لمعنى التكوين الدقيق فى حادث السيارة الجيب ولقيت فى هذا عجبا لأن التنظيم الدقيق الذى أعد فى هذا النظام الخاص كان استثنائياً عجيبا يبدأ بأمور هى غاية من الأهمية ، فمثلا الدعوى التى كانت أمام محكمة الجنايات المتهمون فيها قدموا بتكوين نظام متصل وهو ما عبر عنه بالتكوين الدقيق . وقال الحكم فى هذا الصدد كيف يكون التكوين ؟ فقيل أن الشخص يتعرف على إخوانه ويجلس معهم عشرات الجلسات ثم تبدأ مرحلة ثانية فثالثة تنتهى إلى إعداد الأشخاص إعدادا خاصا حتى يتحملوا عبء الجهاد وعند بحث الموضوع أمام محكمة الجنايات وجد كيف أن هؤلاء الأشخاص الذين يسمون بالمكونين يصلون إلى اغفاضهم فى تهيئة الشباب للوصول بهم إلى أغراضهم .

* كان المطلوب أمام محكمة الجنايات أن تصل المحكمة إلى سر هذا النظام حتى يمكنها إيقافه ، ولكنها لم تصل و لم تستطع تحقيق هذا الغرض ، ومرد هذا إلى النظام الدقيق السرى الذى يحتفظ كل فرد فيه بسريته حتى أن من يبيح السرية تقع عليه عقوبة الأعدام .

* الهضيبى كان من رأيه العدول عن النظام كلية وأنه يكتفى فى شأن التدريب الذى كات الحاجة ما زالت ماسة إليه إذ كان العدو ما زال جاثما على صدر البلاد . وفريق آخر رأى أن يبقى الجهاز حتى يعاون الدول العربية ولكن بصورة تبعد عنه الإرهاب .

ولكن قيل أن المرشد عين يوسف طلعت .. وقد قال يوسف طلعت هنا أن مأموريته كانت تصفية الجهاز أو بالأقل نزع الروح الشريرة منه . وفعلا شكلت لجنة لهذا الأمر ووضع نظام كفيل لجعل الجهاز يقوم بمجرد عمليات تدريب أو تفهيم للأعضاء .

وقد ذكر السيد الرئيس أن الجهاز إذا أصبح بهذه الكثرة واصبح كل فرد مسلحاً فإن الأمريكيون أخطر مما كان .. وهنا أود أن أشير إلى أن هذا الوضع حين حدث فى سنة ١٩٥٣م كان الأمر بيننا وبين الإنجليز من غير حل وكان الموقف يهيىء نفوس الأمة كلها للجهاد والإخوان لم يخرجوا عن كونهم نفرا من هذه الأمة ، وعلى ذلك فبقاء الهيئة كان لها غرض . وكان الغرض معروفا وكل ما كان يجب أن يجرى حوله البحث هو أن ترتفع

السرية . والسرية كما قلت عبارة عن تكوين اتصالات وجلسات .

* قالوا أنه تكلم مع يوسف فى شأن مظاهرة ، وما دام الأمر كذلك فلو كانت المظاهرة سلمية ولو كان المرشد حذير يوسف طلعت من أى عمل إجرامى والمظاهرة لم تقع إلا أنه كان من الممكن أن تقع المظاهرة وكان يمكن أن تكون مسلحة ويقع إلتحام يؤدى لنتائج ومعارك ، هذه النتائج المفترضة والإلتحام الموهوم يتحمله الهضيبى ويقال إنه وضع خطة لقلب نظام الحكم .

يقول المدعى أن رئاسة المرشد للنظام لابد أن يعلم كل الحوادث التى يرتكبها الجهاز ، لماذا الإفتراض ؟ جماعة بها عدد وفير من الناس جاء شخص منها وشذ عن تعاليمه فهل لابد أن يتحمل المرشد كل نتائجه ؟ هذا كلام لا يستسيغه المنطق وأركان الأفعال فى مجموعها يعوزها الدليل . بل منقوصة لا أساس لها .

هل حسن الهضيبى معارض للثورة متعارض معها لا .. أنه منذ أول يوم خرجت منه جميع التصريحات لتأييد الثورة التأييد الكامل لأن هذه الثورة يجب على كل إنسان أن يؤيدها . خلقت مصر خلقا جديدا . وقف كل موقف فيه معانى التأييد الكامل .

تعقيب حسن الهضيبى

وهنا طلب المتهم أن يتكلم فقال :

* مسألة الجهاز دى بعد محاكمة السندى أمام ، الجنايات سألت عن موضوع الجهاز ووجدت السندى واضع يده على الجهاز فقالت له ، يا سندى دلنا على أشخاص النظام وسلاحهم فقال اللى كشفته الحكومة واحنا حاولنا أن نعرف منه مسألة السلاح والأشخاص فلم نتمكن ، وشهد الشهود أنه كان يريد أن يسير الجماعة فى إتجاه خاص وفى هذا الظرف كان لى أن أقول إنى لا أعرف مكان السلاح أو أفراد النظام بعد قول السندى لى هذا . والسلاح لم يكن لشخص لمثلى معرفته ولا الأشخاص الذين تكون منهم النظام .

وأنا كنت أصبت بشلل نصفى والأستاذ سامى جاب شهادة من الدكتور المفتى تدل على حالتى . وهذه الشهادة الطبية .

وقرأ الأستاذ سامى ما زال ما جاء بالشهادة :

«أشهد إنى توليت علاج السيد الهضيبى فى سنة ١٩٥١ من شلل نصفى وهذه الإصابة سببت له ضعفا فى الذاكرة» .

وأنا لما قبلت منصب المرشد قلت لهم أنا لا أقدر أن أباشر كل الأعمال وقد وجدت أنه يستحيل على أن أعمل مثل المرحوم حسن البنا لأنه هو كان مشرف على الجهاز بنفسه ، وأنا كلفت مباشرته الأستاذ عبد القادر عوده . وأنا لم أجد بدا من طرد السندى ولجأت لمكتب الإرشاد . وعندما عرض فرغلى إختيار أحد الإخوان يكون قريبا من الجهاز وينفذ خططه وعلى ذلك مكتب الإرشاد أقصى السندى وعين ثلاثة مشرفين على النظام عن طريق الشيخ فرغلى ، واللجنة كانت من حسين كمال الدين وكمال خليفة والشيخ فرغلى ، وأنا تركت العمل للدكتور خميس .

* وأنا والله لا أعلم عن هذه التنظيمات أى شيء ولا أدرى عنها شيئاً . وإحنا جبنا يوسف ليسير بالنظام نحو التصفية ، ولو كنا خلينا النظام ده ماكنشى يؤدى بنا لشيء ، ولكن قلنا إننا نفتح الباب وده يؤدى للتصفية وأنا والله العظيم بريء من هذه التهمة ولم أعلم بهذه الجريمة ولم آمر بها ولم أعمل لها ولم أسمع بها إلا ثانى يوم الحادثة الساعة ٨,٣٠ من الصحف والله على ما أقول شهيد .

تعقيب الإدعاء

وعقب على نور الدين المدعى العام على مرافعة الدفاع فقال :

* شاء الدفاع أن يشوش الحقائق لينتهى إلى عدم مسئولية المتهم مع أن الأدلة كلها ناطقة بأن المتهم هو المسئول بحكم وصفه الرئيس الأعلى للجهاز السرى الذى أعده للإنقلاب .

* نحن نحاسب المتهم الآن عن الإنحراف بالدعوة والتستر على أغراضها الإجرامية . وقد تبرأت الدعوة منه ومن جماعته يوم أن انحرف بالدعوة وإتخذها ستارا للوصول إلى مآربه الشخصية والوصول إلى كراسى الحكم .

* لا يمكن أن يقال إن الجماعة للدين فقط وبعيدة عن الحكم ، ويبرر تكوين جيش سرى مسلح فى داخل الدولة ويستند فى حكم صدر فى قضية السيارة الجيب وأنا بصفتى أحد أفراد الأسرة القضائية لا أتعرض للحكم ولا أقول أن أحد أعضاء المحكمة اصدرته وهو الاستاذ أحمد كامل قد انضم لجمعية الإخوان بمجرد إحالته إلى المعاش .

* جاء بالحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات إن جماعة الإخوان تقوم على أساس تكوين نظام سرى ولذلك فهدف الجمعية تكوين جيش وقال الحكم أن النظام السرى كان متصورا به العبث بالأمن العام عن طريق الاغتيال لتحقيق أهداف قيادة الإخوان .

* الإتفاق الجنائى جريمة فى القانون ومجرد الإتفاق معاقب عليه سواء وقعت الجريمة أم لا ، وبعد ذلك يقول الدفاع إن الاتفاق الجنائى لا يقع إلا إذا كان هو مرتكب الجريمة .

* مسئولية المتهم فضلا عن رياسته للجهاز السرى وإشتراكه فى الإتفاق الجنائى هو المنظم له والمادة ٩٨ من قانون العقوبات تنص على هذا ، ونحن هنا فى وضع غير عادى والقوانين العادية موضوعة لغير هذه الظروف ونحن الآن أمام جيش سيقوم بحرب أهلية . فهل نشنق محمود عبد اللطيف ونترك هؤلاء فى الخارج ؟

* القضاء يبرأ من الهضيبى ومنصبه كمستشار سابق يضاعف من مسئوليته مما كان يجب ألا ينحدر إلى هذا المستوى الإجرامى الذى وصل إليه .

الحكـــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم حسن إسماعيل الهضيبى شنقا .

تصديق مجلس قيادة الثورة

« طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على المتهم حسن إسماعيل الهضيبى على مجلس قيادة الثورة فى يومن السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ فخففه المجلس إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك لأن المجلس - كما صرح الصاغ صلاح سالم - رأى إن المتهم ربما يكون قد وقع تحت تأثير المحيطين به من أعضاء الجماعة ومما يساعد هذا الرأى مرضه وكبر سنه » .

(٢) ملخص التحقيقات مع يوسف طلعت

محضر الجلسة
الثامنة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقة علنا فى الساعة العاشرة والربع صباحا بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم السبت ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة .بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات أ . ح حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٣ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها يوسف عز الدين محمد طلعت .

حضر المتهم .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى محمد التابعى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة .

الرئيس - يوسف عز الدين محمد طلعت .

المتهم - أيوه يا أفندم .

الرئيس - الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولا : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض مه إحداث فتنة دامية بوضع خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .



يوسف طلعت

قائد الجهاز السرى العقل المدبر لحادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم – فيه حاجات مذنب فيها وفيه حاجات مش مذنب فيها .

الرئيس – قول اللى عايز تقوله . إيه الحاجات المذنب فيها وإيه الحاجات اللى مش مذنب فيها ؟

المتهم – أولا أنا مذنب لأن كان لازم أسلم الحاجات قبل أن يقبض على ...

الرئيس – أنا باقول لك الآن تقول مذنب فى أى حتة ومش مذنب فى أى حتُه .. أدار جهازا سريا مسلحا مخالفا بذلك قوانين الدولة .

المتهم – أنا اللى ادرته !! هم حطونى عليه ... والله دى مصيبة وانحطت على .. مصيبة حطونى فيها ولا شك القانون لا يسمح لذلك .. أمرى إلى الله ..

الرئيس – مذنب أو غير مذنب ؟!

المتهم – مذنب .. لانى ماقلتش وقبلت .

الرئيس – أدار مع آخرين إتفاقا جنائيا . يعنى إنكم إتفقتم على بهدلة .. فيها دبح وتقتيل .

المتهم – لى كلمة فى الحتة دى .. أولا مسألة القتل والحاجات دى كلها .. كنت فى الحقيقة أجارى عبد المنعم عبد الرءوف فى كلامه . والدليل إنك لا تجد فى كلام أى واحد منهم إن فيه خطة إنتهينا إليها أبدا .. فى الحتة دى أعتقد إن شاء الله حاطلع مش مذنب فيها ... (ضحك) فى حتة القتل دى مش مذنب .

الرئيس – طيب .. مش عايز واحد محامى ؟

المتهم – لا .

الرئيس – ليه ؟ .

المتهم – قلبى .. أنا يعنى حاسس إن اللى ربنا يجيبه على لسانكم راضى به والمحامى حيمنع قضاء ربنا يعنى ؟ أنا حقول اللى فى نفسى وإنتم تفهموه وأنا راضى .

الرئيس – ليه مش عايز محامين ؟

المتهم – ما باحبش محامين .. أصلى فاكر إن ربنا حيحاسبهم يوم القيامة لأنهم يدافعون عن ناس أحيانا بالباطل .. (ضحك) .

الرئيس – يعنى إنت حتدافع عن نفسك ؟

المتهم – حاقول الحق وبس . المسألة مش إن الإنسان يقول الحق وانتم حضراتكم تحكموا ؟ والا حد تانى حيحكم ؟! مش حضراتكم حتحكموا ؟ أنا راضى .

الرئيس – شوف يا يوسف فتح ودانك دلوقت للكلام اللى حيقوله المدعى .. واعطيله ورقة وقلم يكتب فيها النقط (موجها كلامه للمدعى) كل نقطة عايز ترد عليها فأخذ مذكرة بيها وفى والآخر ترد عليها .

المتهم – حاضر .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب يقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى
مصطفى الهلباوى

بالأمس قدمنا مرشد هذه الجماعة وقائدها الأعلى :

واليوم نقدم لكم الرجل الثانى فى هذه الجماعة أو العصابة المسلحة .. هذا الرجل الذى كان بالأمس نجارا فأصبح اليوم الجزار والجلاد وصاحب مصنع الموت فى هذه العصابة . وكل مؤهلاته قدرته على التدبير الإجرامى المتعطش إلى الدم الساخن . هذا العطش الذى جعل قلبه يخلو من كل ذرة من ذرات الشفقة أو الرحمة أو الدين هذه القدرة التى جعلته يبتكر هذا الحزام الناسف الذى كنا نقشعر جميعا ونحن نستمع إليه .

* اعترف المتهم صراحة وحتى اليوم أنه الرئيس السرى المباشر للنظام السرى والمسئول عنه فى جميع أنحاء البلاد .

* وقرر المتهم اليوم أنه مذنب فى الإدعاء الثانى وهو الخاص بإدارة الجهاز .

* اعترف بأن خطة الاغتيالات الشاملة وحوادث التخريب والتدمير قد تم الإتفاق عليها فى منزل أخيه بشبرا بينه وبين عبد المنعم عبد الرءوف وإبراهيم الطيب . وقد قال إن الخطة هو المسئول عنها وأنه أصدر أمره لابراهيم الطيب بتنفيذها وإبلاغها للمناطق .

* قال إنه كانت هناك خطة لإقتحام مجلس الوزراء بعساكر يرتدون ملابس البوليس الحربى لإغتيال الرئيس وإنه كلف الصول بركات بشراء أربعين بدلة. كما اعترف بأنه أعد الحزاب الناسف وسلمه للطيب .

* اعترف أن الجهاز السرى محالف لقوانين الدولة بل ومخالف لأحكام الإسلام . ومع ذلك يعترف بأنه إشترى للجهاز خمس مدافع استن .

* هذه هى إعترافات المتهم وهى كافية للإطاحة بعنقه .

* أناشدكم وأطالبكم باسم الشعب أن تطهروا أرض الوطن من مثل هذا المتهم الذى ما فعل ولم يندم على ما فعل .

وعقب ذلك وجه الرئيس كلامه للمتهم :

الرئيس – نجيب محامى تقول له اللى إنت عايزه وهو يتكلم عنك ؟
المتهم – مش عايز حاجه خالص .. توكل على الله يا شيخ .

الرئيس – كل اللى عايز تقوله قوله .

مرافعة المتهم يوسف طلعت

* أولا يا حضرات مسألة النجارة مش عيب لأن دى صناعة سيدنا نوح وسيدنا يوسف ومسألة تعطشى للدم فأنا خبطت فى منزل كان فيه ستن وبه مدافع فلو كنت كذلك لدافعت عن نفسى ولكن يعلم الله أننى أفهم معنى الإنسانية وكان فى يدى سلاح ولكن ضميرى وقلبى لم يسمحا لى بإستعمال أى شيء . والحقيقة إنى كنت عايش فى الجهاز فى رعب وتهديد .

* ومسألة الحزام ده حتى الآن ناقص ولا أحد يعرف الشيء الناقص فيه ولن أقول السر فى هذا إلا بينى وبينكم . حتى لا يستعمله إبن حرام .

* بعد السندى أنا وجدت الجو مهيئاً لتصفية النظام ولكن كان فيه ناس جعلونا نعيش فى رعب بحجة المحافظة على التراث وهو الجهاز لفكرة الجهاد ومسألة الاغتيالات لا أحد يقول إننى دبرت هذا ، وأنا سافرت الاسكندرية وقابلت عبد المنعم عبد الرءوف وقلت له على مسألة المظاهرة الشعبية من جميع الطوائف التى قال عنها المرشد ، فأنا قلت له هذا فقال : إنهم يحصدوهم فى كل ناحية بالرصاص . فقلت له : أنا أرسلت لعبد القادر عودة ولم يحضر بعد .. وبعدين عبد الرءوف قال الخطة بتاعت الاغتيالات فأنا قابلت إبراهيم الطيب .. وقلت له : اسأل الأستاذ عبد القادر . فعاد إلى وقال : إنه غير موافق على المظاهرة وأنا والله وكتاب الله أنا لم أقل لإبراهيم الطيب خد خطة ونفذها وأنا كل اللى حصل إننى بلغته إن فيه خطة وضعها عبد المنعم عبد الرءوف .

* وبعدين جانى إبراهيم بعد الحادث وقلت له : إيه يا إبراهيم ؟ فقال لى أنه ذهب لهنداوى فوجده سافر، فذهبت إلى منزل بالروضة وجلست به خمسة أيام وحدى ، وبعد ذلك رحت بيت فى السيدة قال لى عليه إبراهيم الطيب فقابلت عبد المنعم عبد الرءوف فقال لى :

إيه يا يوسف الشغل ده ؟ فقلت له : لعله خير . وبعدين عرض فكرة إقتحام مجلس الوزراء بملابس عسكرية . فقلت له : تفاهم مع إبراهيم . فسأله إبراهيم عن السلاح ، فقا له : عندى . وسأله عن الرجل فأجابه ، وبعد ذلك فقال لى : ادخل انت صلى . فقلت له : مش أقعد اتفاهم معاكم ؟ فقال : لا ده مش إسلام ده فن وعسكرية .. ادخل صلى .. وبعدين أنا أخذت على خاطرى وبكيت .

الرئيس - إنت تكلمت ودافعت عن نفسك ولكن أنا أرى أنه ليس كافيا ، ولذلك قررنا استحضار محام لك .

المتهم - مش عايز .

الرئيس - لا .. المحكمة ملاحظة إن المتهم غير طبيعى لا سيما وقد سمع الإدعاء يطلب إعدامه ودى مسألة طبيعية . نجيب واحد يشرح كلامك .

«وقررت المحكمة إنتداب الأستاذ أحمد لطفى حسونه للدفاع عن المتهم والمحكمة رأت أن الأستاذ لطفى وقد حضر جميع جلسات القضية يمكنه تولى الدفاع عن المتهم» .

مرافعة الدفاع
لطفى حسونة

الأستاذ لطفى حسونة :

أنا مستعد للحضور . ولكنى أريد أى أجل للاطلاع ويكفينى ساعة لمناقشة المتهم فى بعض النقاط .

تم ترافع الاستاذ لطفى حسونة . وهذه مقتطفات مما قاله :

* إن المتهم الذى شرفتمونى للدفاع عنه لم يتقدم لكم ليقول أنه مجنون أو منوم ولكنه كما لاحظتم حضراتكم اعترف منذ الدقيقة الأولى للقبض عليه بكل ما يعرفه وسهل للأداة الحكومية أن تضع يدها على عناصر الشر .

* يوسف طلعت جاء اليوم واعترف والمتهم الذى يعترف ويدلى بما عنهد لابد أن يكون هذا الإعتراف أقرب إلى الحقيقة عنه من المتهم الذى ينكر كل شيء .

* وقال : إنه لم يتلق أمرا من أحد بحل الجهاز واعتقد أنه موجود على رأس الجهاز لتصفيته ولكنه دخل فى نفسه الرعب لا سيما بعد قتل السيد فايز . وحاول الإتجاه بالجهاز الإتجاه

السليم ولكنه للأسف لم يتلق أمرا من المرشد بحل الجهاز وكان تحت ضغط وإرهاب حتى اصبحت يده مشلولة . فى الجهاز ، وأصبح الاشراف لخميس وفرغلى وأمثالهم وخرج الزمام من يده .

رجل جاى فى بساطة يقول كل ما فى قلبه وحضراتكم تقدرون إنه رجل اشترك فى جهاز خطير كهذا وفى جمعية إجرامية كهذه وقدروا الظروف المحيطة به واحكموا بما ترون أنه العدل والله يوفقكم .

المتهم – تسمحوا لى أشكره ثم وجه الشكر للاستاذ لطفى حسونة على دفاعه عنه .

الرئيس – عايز تقول حاجة ؟

المتهم – لأ .

«رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة» .

الحكـــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت شنقاً

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها وقد عرض الحكم الصادر على المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ فصدق المجلس على الحكم» .

التنفـــيذ

فى تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على يوسف عز الدين محمد طلعت حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٣) ملخص التحقيقات مع هنداوى دوير
محضر الجلسة
التاسعة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة العاشرة والدقيقة العشرين صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الإثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى أ . ح/ حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

«قدمت القضية رقم ٤ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من هنداوى دوير وإبراهيم الطيب» .

«حضر المتهم هنداوى دوير» .

الرئيس – المدعى .. المتهم موجود ؟

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة يا افندم .

الرئيس – المتهم هنداوى سيد أحمد دوير .

المتهم : أيوه يا فندم .

الرئيس – الادعاء المقام عليك :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينتى القاهرة والإسكندرية :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقا جنائا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة بوضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيدا لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .



هنداوي دوبز
المحامي أحد القادة المدبرين حادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازا سريا مسلحا مخالفاً بذلك قوانين الدولة ...

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم – غير مذنب .

الرئيس – غير مذنب فى أولا وثانيا ؟

المتهم – إن شاء الله .. أنا يعنى مدين فى واقعة واحدة ، وهى واقعة حمل المسدس فترة معينة وإديته لمحمود عبد اللطيف .. أما غير هذا .. لا ..

الرئيس – مش جايب محامى يا هنداوى ؟

المتهم – لا يا أفندم .. أنا أصلى محامى .

الرئيس – إنت يا هنداوى عايز تجيب شهود ؟

المتهم – لا يا افندم .. أنا ما عنديش شهود .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب» .

مرافعة المدعى
عبد الرحمن صالح

* المتهم هنداوى ظهر إسمه على لسان المتهم محمود عبد اللطيف عقب القبض عليه بعد حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وقال لمحمود عبد اللطيف إن الذى أمره بإرتكاب الحادث هو هنداوى رئيسه فى الجهاز السرى .

وهنا بالتدريج ظهر المتهم وظهر أمر الجهاز بالتدريج سواء كان تصاعدياً أن تنازلياً وانتهينا إلى تبيان نظام الجهاز السرى وكيف تصدر الأوامر إليه .

* وأقول : أن هنداوى كان – فضلا على أنه عضو أو رئيس فصيلة فى الجهاز السرى – فقد كان له دافع خاص من نفسه هو التعطش إلى إرتكاب الجرائم . ولم تحل ثقافته العالية – وقد بلغ فيها مدى واسعاً حتى صار محامياً – لم تردعه هذه الثقافة وأبى إلا أن يكون فى ذاته عاملاً أساسياً من عوامل الإرهاب والتخريب والإغتيال

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى ولم يكتف بذلك وإنما كون من هذا الجهاز السرى فى إمبابة بالذات خلية خاصة ترأسها هو وجعل فيها عضوين هما سعد حجاج ومحمود عبد اللطيف لتكون هذه الخلية الصغيرة أداة إرهابية خطيرة .

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى كان مرؤوسا لإبراهيم الطيب رئيس الجهاز السرى فى القاهرة الذى رأى إختيار خلية إمبابة لإرتكاب الحادث نظراً لنشاط هنداوى .

* اعترف هنداوى بأنه تلقى الأمر باغتيال الرئيس جمال عبد الناصر من الطيب وأنه تلقى منه السلاح وسلمه لمحمود عبد اللطيف ثم مونه بالنقود والطلقات وترك الأمر لمحمود ليختار طريقة تنفيذ الأمر

* اعترف هنداوى بأنه قال لمحمود عبد اللطيف أن له اختيار خطة الاغتيال . كما اعترف بأنه لما أخذ الحزام الناسف من الطيب عرضه على محمود عبد اللطيف ومحمد نصيرى وقد رفضا استخدام الحزام .

* وفشلت الخطة فلجأ المتهم إلى الهرب مع حرمه إلى المنيا ليدبر أموره ولما وجد أن محمود ذكر اسمه سلم نفسه للبوليس .

ويقول هنداوى أنه سلم نفسه لخدمة العدالة . وهذا غير صحيح لأن هنداوى بعد أن سلم نفسه ووجه بأقوال محمود عبد اللطيف وناقشه المحقق فى حوالى عشرين صفحة كان هنداوى يصر على الإنكار ولم يعترف إلا بعد مواجهته بسعد حجاج .

* ولو بقى هنداوى دوير لما بقى الاستقرار . إن الشعب يريد أن ترسموا له خطة الاستقرار فإذا ما أخذتكم الرأفة فلتكن بالشعب وحياة المتهم إزاء حياة الشعب لا تساوى شيئاً ، وإنى مصر ومصمم على طلب الإعدام .. وفقكم الله .

مرافعة المتهم
هنداوى دوير

وترافع هنداوى دوير عن نفسه فسرد عدة وقائع عن نشاطه وتكليف المرحوم حسن البنا له بدخوله إلى معسكرات الجيش الإنجليزى فى التل الكبير . ومعرفة أماكن السلاح البريطانى وذكر أنه وضع فيها شنطة مفرقعات وكانت الخسارة بين عشرة وخمسة عشرة مليون جنيه .

* زى المدعى العام ما شرح محمود عبد اللطيف أخد المسدس منى . ده صحيح والحقيقة إنى قلت لمحمود عبد اللطيف : بلاش يا محمود ما تروحش ولكن هو راح .

الرئيس – ده يخالف ما جاء فى إعترافاتك إنت قلت له مافيش داعى يا محمود طول بالك .

هو قال لك : لا ... فأنت قلت له : توكل على الله .

المتهم – الفقرة الأخيرة لا أذكرها .

الرئيس – الفقرة الأخيرة دى فى إعترافاتك فى التحقيق وفى المحكمة هنا .

* وإذا قام إنسان لمحاربة الإنجليز وإنضم لجهاز سرى ثم إنحرف بعض أفراد الجهاز لإرتكاب الجرائم فاللوم على الذين إنحرفوا . وأنا لم أنحرف .

* وزى ما قلت لحضراتكم أنا فى معنى الإستفادة من تسليم نفسى للسلطة المختصة وتسليمها الأسلحة ، أنا قمت بهذا واجبا على ولا أريد له ثمنا . وأنا قمت بذا كواجب أشعر به كل الشعور وإلا لهربت . لذلك فأنا أضع نفسى بين أيديكم مطمئنا إلى عدالة المحكمة والله ولى التوفيق .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحاً»

(٤) ملخص التحقيقات مع إبراهيم الطيب
محاكمة إبراهيم الطيب

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة المتهم هنداوى دوير عن نفسه رفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحا للإستراحة ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعا حيث قدمت قضية المتهم إبراهيم الطيب .

« حضر المتهم إبراهيم الطيب » .

الرئيس - المتهم موجود ؟
البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - أيوه يا فندم موجود .

الرئيس - المتهم إبراهيم الطيب إبراهيم صقر .. الإدعاء المقام عليه :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينتى الإسكندرية والقاهرة :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقا جنائيا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة بوضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لأستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثانياً : أدار جهازا سريا مسلحا مخالفا بذلك قوانين الدولة ..
فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - عاوز شهود يا إبراهيم ؟ وعاوز محامى ؟
المتهم - لا يافندم متشكر . أنا محامى وحدافع عن نفسى .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

* أقدم لكم إبراهيم الطيب ..

فهو المسئول عن الجهاز السرى فى منطقة القاهرة ولقد سألنا الكثير من أعضاء هذا الجهاز فاجتمعت أقوالهم واجمعوا على أن إبراهيم الطيب هو القوة البارزة فى منطقة القاهرة وهو المحرك للجهاز .

وقد اعترف المتهم بأنه رئيس منطقة القاهرة . وقد تجاوز نشاطه وتأثيره إلى أبعد من ذلك ، وقد قال يوسف طلعت أن إبراهيم الطيب اشترك إشتراكا فعليا فى المؤامرة الكبرى لقلب نظام الحكم التى دبرها المسئولون فى الجماعة ، ثم أخذ على عاتقه أن يقوم بتنفيذ قرارات القيادة فبادر إلى تجهيز العدد والعدد من الرجال والسلاح .

* والمتهم اعترف أمامكم بأنه سلم الحزام الناسف إلى هنداوى ثم اعترف بأنه احضر المسدس وأعطاه لهنداوى دوير وكان المتهم يستحثه ويؤكد له أن المرشد هو الأمر بالخطة .

* وشهد فتحى البوز أمامكم بأنه قابل إبراهيم الطيب قبل حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وفاتحه فيما وصل إلى الفصائل من أوامر وتناقشا . وصارحه إبراهيم الطيب بأن مسألة اغتيال جمال عبد الناصر قد تقررت ولا تناقشنى فيها .

* قال تعالى : « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وأنا باسم الشعب أطالبكم بإعدام هذا المتهم بالحزام الناسف الذى أراد أن ينسف به جمال عبد الناصر .

وفقكم الله ووق البلاد فتن هذا المتهم وأمثاله .

الرئيس – المتهم حتدافع عن نفسك ؟

المتهم – إننى مكتفى بما سبق أن أوردته فى الجلسة السابقة وما قلته فى التحقيقات . وأفوض أمرى إلى الله .

الرئيس – المحكمة مصرة على أن تسمع دفاعك .. فأما أن تعيد كلامك أو تقوم المحكمة بانتداب محامى لك .

المتهم – أنا ممكن ألخصها .

مرافعة المتهم إبراهيم الطيب

وكان دفاع المتهم قصيراً وهذا أهم ما فيه :

* ما قمنا به وما أعددنا له إنما كان يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق الأهداف التى قامت عليها الثورة وهى كفالة الحريات وإقامة حكم نيابى سليم من الشوائب التى لوثته فى الأزمنة السابقة . ومن ناحية أخرى إطلاق الحريات وخاصة حرية الصحافة وهذه كما تعلمون هى المطالب التى قامت لها الثورة منذ اللحظة الأولى .

* وهذه المطالب هى التى دفعتنا إلى ما قمنا به حقيقة أننا كنا نعمل فى جانب معين وكان عملنا إجتهادا والإجتهاد يحتمل الخطأ ، فإذا كنا أخطأنا فهذا ما يتعرض له المجتهدون ، وأفوض أمرى إلى الله .

«رفعت الجلسة فى الساعة الثانية عشر ظهراً» .

الحكـــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهمين هنداوى سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب صقر شنقا .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الاحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب إبراهيم صقر على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم .» .

التنفـــيذ

فى تمام الساعة التاسعة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على هنداوى سيد أحمد دوير حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

ونفذ الحكم الصادر على إبراهيم الطيب إبراهيم صقر فى تمام الساعة التاسعة والنصف من نفس اليوم حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

(٥) ملخص التحقيقات مع
عبد القادر عودة
حسين كمال -
محمد كمال خليفة
محضر الجلسة
الحادية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين مساءا بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة ، يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برياسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات ، والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى ، والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام ، عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

«قدمت القضية رقم ٦ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد القادر عودة وحسين كمال الدين خليفة» .

«حضر المتهم عبد القادر على عودة» .

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟

الاستاذ عبد الرحمن صالح (المدعى) :

المتهم موجود يا افندم والقضية جاهزة ..

الرئيس - عبد القادر على عودة ..

الإدعاء المقام عليك :

«أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشترك فى توجيه سياستها



عبد القادر عوده

محامي وكيل جماعة الاخوان قال له فتحي اليوز : أن الطيب فرر اغتيال الرئيس



حسين كمال الدين
استاذ جامعي والمشرف العام على جوالة الإخوان ١٩٥٤

إلى استعمال العنف والإرهاب . وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : أدار مع آخرين اتفاقًا جنائيًا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن أشترك فى مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم – لا ، غير مذنب يا أفندم .

الرئيس – عندك شهود ؟

المتهم – لا والله ما عنديش وإنما أنا اطلعت على أقوال الشهود فى التحقيقات وأنا حادافع عن نفسى .

الرئيس – طيب اتفضل اقعد .. المدعى ..

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

قضاة الشعب :

المتهم بإعتباره كان وكيلاً لهذه الجماعة ومتصل بالمرشد لا ينكر أنه كان يوجد تنظيم سرى ولكنه يقول أنه لا يعرف شيئاً عنه بعد أن عينت لجنة من خميس ومن أربعة آخرين لبحث النظام وإعادة تنظيمه يقول كما أن النظام ده غير شرعى ولا يتمشى مع الأصول الدينية . ولكنه ماذا فعل لحله ؟ لا شىء .. يوسف طلعت يقول ويعترف – رغم أنه ينكر صلته بالجهاز – أنه عرض عندما دبر أمر المظاهرة السلمية التى يعقبها الاغتيالات الأمر على المرشد والمرشد وافق وقال له على شرط تعرض الأمر على عبد القادر عودة وإن المتهم قال له انتظر لأن فيه لجنة حتجتمع لحكاية المظاهرات . وقال يوسف طلعت أمام المحكمة أيضا إن عبد القادر عودة مسئول عن إخراج المظاهرات . يبقى لما يجى عبد القادر ويقول أنا ماليش دعوة بالجهاز السرى يبقى كذاب . لأنك يا عبد القادر عودة ومعاك أعضاء فى مكتب الإرشاد مختصين بهذه المسائل ونظرتم الموضوع وإنتهى الأمر بأنكم قلتم إن الخطة مش

الغيت .. لا اتأجلت بس . وفرغلى قال فى أقواله إن عبد القادر عوده أعطى منشورين لطبعهم – المنشور الأول من رئيس الجمهورية والثانى منشور الوزير السابق اللى تبين أنه سليمان حافظ – أعطاهم لإبراهيم الطيب رئيس منطقة القاهرة فى الجهاز السرى وشريك المتهم فى مكتبه . ويقول عبد القادر عوده أنه يستنكر الجريمة ويستنكر محاولة الاعتداء . وده كلام من محكمة أهلية ولا يمكن أتصوره ويأبى الله إلا أن يسوق لنا الدليل لأنه مع المخلصين وعمره ما نصر مراوغ أو منافق ..

الرئيس – ممكن قوى أن ينصرهم علشان يأخذهم بما يفعلون وفيه إيه فى هذا المعنى ..

المتهم – «حتى إذا فرحوا بما أوتو أخذناهم بغتة»

الأستاذ عبد الرحمن صالح المدعى :

الحمد لله زى ما ربنا أخذكم ... وفيه دليل اقوى من كده وهو أن أحد أقطاب الجهاز اليسلى وهو رئيس فصيلة من الفسطاط .. (فتحى البوز) جه وقال أمامكم : أنه قبل الحادث بأربع أو خمس أيام قابلنى إبراهيم الطيب وقال لى : إننا قررنا القيام بإنقلاب يبدأ بالاغتيالات وإنها مسألة قد تقررت وإن جمال قد انتهى . وفتحى قال بعد كده إن الحمية الإنسانية أخذته وبعد ما اتكلم مع الحواتكى ونجده إتجه إلى عبد القادر عودة – وهوه أى عبد القادر عودة بيقول ماليش دعوة بالجهاز ورئيس فصيلة يتصل بيه ليه ؟ لأنه مالوش دعوة بالجهاز .. كذب – راح لعبد القادر عودة وقال له : أنا سمعت النهارده من إبراهيم الطيب إنهم قرروا القيام بإغتيالات وقلب نظام الحكم وإغتيال جمال .. فقال له المتهم روح شوف لى إبراهيم من تحت الأرض .

يا حضرات القضاة – إن السرية كانت سرية مطلقة فى الجهاز – ولا يمكن يخرج سر خصوصاً إذا كان متعلقا بتنفيذ خطة إلا لواحد محل ثقة فى الجهاز وفتحى البوز راح لعبد القادر عودة وقال له كلام إبراهيم الطيب وإنتهى الأمر بوقوع الحادث – عملت إيه لما بلغك أن رئيس الحكومة حيقتل وإن الإنقلاب دبر من شخص شريك فى مكتبك ؟ إن أضعف الإيمان يا راجل هو أن تمسك تليفون وتبلغ مأمور القسم بالحكاية . ولكن هل يهون عليك يا إبراهيم الطيب شريك فى المكتب ؟ وبعد كده تقول : موقفى .. بقى الموقف .. هو فيه العن من كده .. وهذه الواقعة بالذات ما تقدرش تفلفص منها أبدا يا عبد القادر . هذا عدا إنك إختصاصى فى المظاهرات .

وعبد القادر عودة لما إنقبض عليه طلع علينا بجواب بعته لرئيس الحكومة ... وده برضة من حكم ربنا أن يدينا السلاح اللى يدينه ... فكتب يقول :

(لقد سمعت – وده العجيب – إن الشخص الذى حاول الإعتداء عليك يتمرن فى مكتبى فإذا صح هذا فإننى أؤكد لك إننى لا أعلم شيئا عن هذه الجريمة ...) – كذاب لأن فتحى البوز قال لك عليها قبلها بأربع أيام وفتحى البوز بره أنا محضرة لك بره . ثم يقول فى الخطاب : إذا ثبت أن لى يدا فى الجريمة فأنا أحل لك روحى ..

ثم يقول أيضا : لقد استطعت يا أخى بما لك من حكمة وسعة فى الأفق أن تمهد الجو بين مصر والإنجليز فى نزاع دام سبعين عاماً .

يا سلام .. بقى ده يمشى مع المنشورات ، اللى بتقولو فيها : انتم سلمتم البلد للإنجليز واتهمتوه هو وزملاؤه بالكفر – إلا تعلم إن من كفر مسلما بالباطل فقد كفر . ويقول أيضا : وإنى أحب فيك سعة الصدر وسعة الأفق والتسامح وأرجو أن تهىء جوا من المودة بين الحكومة والهيئات – والحاكم والحكومة ..

يا سلام ده غلب فيكم كلمكم بالحسنى وأمهلكم وياما نصحكم فقابلتم هذا النصح وهذه السماحة بما لا يجب أن تقابل به .. ثم يقول فى الخطاب : أحب أن اطمئن إن حادث الاسكندرية لا يكون عقبة فى سبيل ما دعوت إليه من التسامح ..

إزاى الكلامده ؟ هوه انتم بس كنتم ناويين على قتل الرئيس ؟ ده انتم كنتم ناويين تخربوا البلد . وينتهى الخطاب بإقتراحات وهى العجب العجاب فقد قال : لا زلت أذكر إقتراحاتك بحل الجهاز السرى وتشكيلات الجيش والبوليس .

يا سلام إحنا فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٤م ، والمتهم يفتكر إقتراحات الرئيس اللى كانت فى مايو سنة ١٩٥٣م يعنى افتكر دلوقت بس بحل تشكيلات البوليس والجيش والمدنيين وتسليم الأسلحة فيقوموا يردوا على هذه النصيحة الخالصة لوجه الله والوطن بتنظيم جديد وتسليح وتدريب فلما وقعت الواقعة وعرفوا إنهم لا مناص من أخذهم أخذ عزيز مقتدر . قالوا نرجع لزمان ونحتل التشكيلات ويقترح فى خطابه : أولا – يحل النظام الخاص وتسلم أسلحته وذخائره فى مدة تتراوح بين عشرة أيام أو اسبوعين ... وهذه النقطة بعد الإنكار اعتراف إن فيه نظام خاص مسلح ويقول كان : تبتعد الجماعة عن السياسة المحلية وتصرفها إلى الدعوة الإسلامية حتى تنتهى فترة الإنتقال ويتم تنظيم الجماعة على هذا الأساس فى ظرف اسبوعين . يعنى عايز ينظم من جديد .

ثانيا – إصدار قانون بوقف عمل قانون الأسلحة والذخائر دون المحاكمة وإطلاق سراح جميع الإخوان المعتقلين بمجرد تنفيذ التعهد الأول ...

يا سلام .. والقتلة والمتآمرين عشان يرجعوا تانى ويتآمروا على حياة البلد دى عمله تعملها حكومة تحترم نفسها ؟

هذه هى الإقتراحات الرئيسية والمضحكة إعتراف صريح إنه يعرف الجهاز السرى وأسلحته وأن الزوبعة كلها من غير حق قالها مضطرا لأنهم لا يقولون الحق إلا اضطرارا لأن شيمتهم الكذب والتضليل لا يصلحون ولكن دأبهم الفساد .

إن عبد القادر عودة يا حضرات القضاة لا يقل عمن سبقوه من جهابذة الجهاز السرى أمثال يوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير فإذا طالبت حضراتكم بتوقيع جزء القصاص على هذا المتهم .. إذا طالبت بعنقه فإنما اطالب لشعب مصر وللمجتمع وللاخلاص بقصاص يحفظ للشعب طمأنينته وكرامته وإنسانيته والله يوفقكم دائماً إلى ما يحبه ويرضاه .

مرافعة المتهم عبد القادر

النظام الخاص وجد من أيام الشيخ البنا ولا أعلم كيف بدأ لأنى اتصلت بالجماعة فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، وجلعه لمساعدة فكرة الجهاد والشيخ البنا كان يرى أن ، البلد محتلة بالإنجليز وإن هناك سلطات ظالمة وأنه لكى نوجد الشعور بالعزة والكرامة ينبغى أن يتعلم الشباب كيف يؤدى فريضة الجهاد . والجهاد فريضة دينية وينبغى لممارستها التمرن على السلاح .

والشيخ البنا أوجد هذا النظام لهذا الغرض ، وكان سريا لأنه أنشىء فى وقت ما كان يسمح به علناً ، وكان الشبان محرومين من التجنيد العام . ولم يكنه هناك ضباط إحتياطيون أو حرس وطنى فكان القيد يرى إتحاد الروح الوطنية فى الشباب . وهذا على ما أعلم عن نشأة الجهاز .

وقد علمت أن الرئيس جمال طلب فى أواخر يونيو ١٩٥٣م حل الجهاز فى الجيش والبوليس . وأنا قابلت الرئيس وقال لى : أنه علم أن هناك توجيه عدائى من التشكيلات ضد رجال الثورة فأنا عدت إلى مكتب الإرشاد والمرشد وتكلمت فى هذا الموضوع ، ولكن المرشد أنكر وجود أى توجيه عدائى . ولم أصل إلى نتيجة لحل الجهاز . وكان آن حلت الجماعة فى فبراير ١٩٥٤م وقابلت الرئيس . وقبل إعادة الجماعة بشرط حل النظام الخاص وأنا شخصيا وافقته على هذا . ومن ضمن طلبات تعليم الأسلحة . وكان يعرفها تماما لأنه

كان فى معركة القنال وأمد هو ورجال الجيش الإخوان بالأسلحة . وكانت الأسلحة غير كافية عند الإخوان . وكذلك السيد أنور السادات ... والسيد صلاح سالم .. فكان يعلم بوجود الأسلحة .

ولذلك فإن النظام لم يشأ للإستيلاء على الحكم بل لأغراض سامية .

مناقشـــــة

الرئيس – ألم يقل لك الرئيس أن وجود نظام سرى فى البلد يكون له غرض سرى وإن معنى وجوده إن هناك سياسة سرية وسياسية علنية ؟
المتهم – الحديث كان بينى وبين الرئيس جمال وقال : إن التوجيه لا زال مستمراً . وأنا قلت له : أنه لم يعد هناك توجيه . فقال : لا ..

الرئيس – يعنى التوجيه لم يكن قاصرا على الحركة بل كان موجها ضد مصلحة البلد ؟
المتهم – هو كان غرضه المحافظة على المصالح العليا وأنا كتبت خطابى وعرضت فيه حل النظام وليس معنى هذا وجود النظام . وعرضت تسليم الأسلحة وليس معنى هذا علمى بوجود مكان الأسلحة . وإذا قال هذا أحد أكون مدانا . ولكن كل علمى أن هناك نظاماً فقط . كتبت هذا الخطاب وأنا مؤمن بكل كلمة فيه لم أقصد به خديعة أو حيلة وهذا اردده منذ نوفمبر ١٩٥٣م ومن يوم ما طلب منا هذا الرئيس جمال رددت هذا كثيراً .

وقال عبد القادر عودة فى الدفاع عن نفسه ردًا على أقوال البوز :

الذى حدث إن فتحى البوز حضر لى فعلا مساء يوم الخميس وقال لى أن هناك تعليمات لقتل الرئيس جمال . فقلت له : هاته وتعالى باكر وفعلا جاء فتحى البوز ولم يحضر الطيب وهذه كانت أول مرة أعلم فيها إن إبراهيم الطيب له صلة بالجهاز . وطلبت من البوز البحث عن الطيب فأحضره فحدثته فى هذا وقد حلف لى بأغلظ الإيمان أنه لا يوجد فى البرنامج شيء من هذا وإن البوز كاذب وفعلا صدقت الطيب ولو كنت صدقت أو مالت نفسى إلى التصديق لأن هذا ممكن أن يحدث لأخبرت الرئيس جمال عبد الناصر بأن يحتاط إلى نفسه ولكن اعتقدت إن كلام البوز كاذب أو إشاعة .

الرئيس – إنت عايز فتحى البوز أولا ؟
المتهم – لا ، أنا مكتفى بأقواله ومصححها ..

عبد القادر عوده ومحمد نجيب

وقال عبد القادر عودة :

بعد حل الإخوان وإتصالى بالرئيس جمال كان فيه إتفاق على عودة الإخوان فى الوقت المناسب وحل الجهاز فى أقرب فرصة .. وكان من رأيى عودة الإخوان حتى يمكن الإتصال بهم مباشرة حتى لا يوجهوا توجيها غير سليم . وتحدثت مع الرئيس جمال فقال لى أن اتصل بالصاغ صلاح سالم ، وتقابلت معه فعلاً فى اليوم التالى وأبديت كثيرا من الحجج التى تؤيد عودة الجماعة بسرعة فامتنع . وقال : أنه سيحاول إثارة هذا الموضوع فى إجتماع مجلس الثورة ، ولكن لا يضمن موافقة الأغلبية . وأنا قمت بالاتصال ببعضهم وتكلمت معهم فى هذا الإجتماع ..

وكان من ضمن من اتصلت بهم اللواء نجيب فقال لى : أنه لا يمانع فى عودة الجماعة بشرط عدم وجود الهضيبى على رأسها . وبعد ذلك لم اقابل الرئيس جمال ولا غيره .

وحدث بعد ذلك التصورات التى حدثت يوم ٢٧ فبراير و ٢٨ فبراير وكان اليوزباشى محمد نصير بيتزوج وأخبرنى بما حدث فى الصباح وإتصلت بالرئيس جمال فعلمت أنه قدم استقالته وأخبرنى صحفى من المصرى أن الإنجليز عند الكيلو ٥٥ وإن الوزارة إستقالت . وإن الرئيس نجيب يقوم بعمل مشاورات وتمت وذهب للإتصال به فلم أجده .

وعدت وثانى يوم علمت أنه توجد مظاهرات وإن الإخوان هناك وإن هناك رصاصاً أطلق على المتظاهرين . وأنا قلت لمن أخبرنى روح اصرفهم خالص ، وبعدين كمال السنانيرى طلب منى أن أذهب لأصرفهم لأنهم متعصبين وهذا ثابت فى التحقيق فاطلعوا ليه إن شئتم وأما عن مظاهرة القصر الجمهورى فأنا ذهبت لفض المظاهرة فقلت أن الرئيس محمد نجيب يتكلم وواقف فى الشرفة فأشار لى وكان من الأدب أن أصعد إليه .

والنتيجة يا حضرات القضاة إن إبراهيم الطيب ويوسف طلعت والبوز وفرغلى شهدوا على أنفسهم وأنا لست أعز لديهم من أنفسهم .

اخلص من هذا إننى ضد النظام وإننى لم أقره فى يوم من الأيام . وكونى لم أستطع حله فليس معنى هذا أنى أعاونه لقلب نظام الحكم . كما أنى لم أشترك فى التدبير أو فى عمل مظاهرات . وكان ما جاء على لسان الشهود هو أما إرجاء أو عدم موافقة وهذا لا يعنى موافقتى .

هذا وموقفى لا لبس فيه غبار وقد عشت فى حياتى قاضيا أحارب الجريمة وأكرهها وأذكر إننى وأنا شاب كنت إذا سلمت على شخص أعتقد إنه ارتكب جريمة فإننى أغسل يدى .- وليس لى علاقة بأى عمل . والمسألة متروكة لحضراتكم . والله يتولانا جميعاً ويهدينا سواء السبيل .

بعد أن انتهت مرافعة المتهم عبد القادر عودة عن نفسه قدمت القضية المتهم فيها حسين كمال الدين أحمد إبراهيم وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضو مكتب التحقيق والإدعاء .

الرئيس - المدعى .. المتهم الثانى جاهز ؟
المدعى - أيوه يا فندم .

«حضر المتهم ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه» .

الرئيس - المتهم حسين كمال الدين أحمد إبراهيم الإدعاءات المقامة عليك :
أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب .. وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : إشترك فى تنظيم جهاز سرى مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ..
المتهم - غير مذنب ...

الرئيس - فيه شهود ؟
الاستاذ محمد هاشم (المحامى) - لا .

الرئيس - الإدعاء يتفضل .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

المتهم عضو بمكتب الإرشاد ورئيس مكتب إدارى بالقاهرة . وقد سبق أن تحدث زملائى عن هيئة مكتب الإرشاد وهى تعتبر السلطة التنفيذية التى تدير شئون الجماعة وهى المسئولة عن أعمالها وتصرفاتها . وقد سمعنا من الدكتور خميس ومحمد فرغلى أن مكتب الإرشاد كان هيئة تعلم بوجود النظام الخاص بينها وأن رئيس الحكومة طلب من كبار المسئولين فيها أن يحلو النظام السرى . وإن يسلموا اسلحته . وعرض الطلب على مكتب الإرشاد . ولكنه سكت وهذا السكوت أقرار ضمنى بمسئولية مكتب الإرشاد عن هذا النظام وعن تصرفاته . وقد قال خميس : إن أعضاء مكتب الإرشاد كانوا طراطير ، وإنه كان فى سلسلة أخطاء كانت ستؤدى إلى حرب أهلية داخل الدولة .

والمتهم يعلم كثيرا عن هذا النظام السرى وعن أسلحته ويعلم بقيادة هذا النظام لأنه رئيس مكتب إدارى القاهرة يرأس المناطق التى قال محمود عبده إنها هى التى تمد النظام الخاص بالمدد الشعبى إذا أراد أن يقوم الجهاز بمظاهرات . وكان عضوا باللجنة التى عرض عليها إبراهيم الطيب فكرة قيام مظاهرة مسلحة .

والمتهم أيضا كما قال محمود عبده فى التحقيق أنه كان أحد أعضاء الجماعة التى إجتمعت فى عمارة الهامى بالروضة . وكان بالإجتماع رؤساء المناطق وعلى رأسهم إبراهيم الطيب .

وقال محمود عبده أيضا إن هذه الإجتماعات كان إحداها برياسة المتهم وأضاف إنها كانت لمناقشة الخطة .. وقال كذلك أنه ذهب إلى إجتماع بمنزل كمال خليفة بالدقى وحضره فرغلى ويوسف طلعت وصلاح شادى والمتهم وهذا يبين صلته بالجهاز ويقول يوسف طلعت أنه تحدث مع المرشد فى شأن إختفائه فرفض المرشد أن يظهر وقال إن حسين كمال الدين كان موافقا للمرشد كل الموافقة .

ولذلك فإن المتهم الذى يدير مكتب إدارى القاهرة ويوزع المنشورات لا يمكن أن يقطع صلته بالجهاز بل يظهر إشتراكه فى السياسة التى إنحرفت إليها جماعة الإخوان . من الدعوة إلى الدين إلى سياسة العنف والإرهاب .

ولذلك اطلب من حضراتكم أن تأخذوه بكل شدة .

مرافعة الدفاع
الدكتور محمد هاشم

إن المتهم أستاذ مساعد فى كلية الهندسة وهو ابن الشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة ومن أئمة الفقة فى العصر الحديث ومن أشد الناس تمسكا بالإسلام . وهو مكب على عمله ومنصرف إليه الأمر الذى دعا الحكومة لأن توفده فى بعثة إلى أوربا فى سنة ١٩٥٣م . ثم تغيب سنتين فى الخارج بعد عودته إنتدب للتدريس فى العراق . ثم عاد إلى القاهرة فى سنة ١٩٥١م وأن عمله كرئيس لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتمائه للجهاز السرى لأن لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتمائه للجهاز السرى لأن عمله علنى لا خفاء فيه .

ويقول الإدعاء إنه كان يدبر الإنقلابات والإغتيالات وأدلته مستمدة من أقوال بعض المتهمين . كذلك بقوله إن المتهم حضر إجتماعات لرؤساء المناطق بغمرة وبالهرم وبعمارة الهامى ، والمتهم ينكر واقعة حضور إجتماع غمرة والهرم . ويفسر حضور إجتماع عمارة الهامى بسبب ظروف تتلخص فى أن رؤساء المناطق التى يهيمن عليها . كانوا يخشون الإعتقال فاجتمعوا لتسليم رئاسة الشعب من محمود عبده الذى كان قد نقل إلى الصعيد .

مناقشة المتهم

الرئيس – المتهم عضو مكتب الإرشاد فما هى الإجراءات التى إتخذها للقضاء على الجهاز السرى المسلح بالجماعة ؟

المتهم – اللجنة التى كونت لبحث النظام قررت أنه لا يصح بقاء النظام . وعند فتح المعسكرات الشعبية سهل هذا قبول فكرة حل الجهاز ولكنا ذهبنا للتدريب فى هذه المعسكرات وإتباع الأوضاع المشروعة العلنية . والمكتب عندما لاحظ أن السندى خلف وعده بإنشاء التشكيلات ... المكتب قرر فصله . وما يثبت حسن نية المكتب أنه عندما علم بوجود منشورات قرر وقف المنشورات وكلف الدكتور خميس بوقفه . والمكتب كان هدفه إتباع الطرق المشروعة .

«انصرف المتهم» .

«بعد أن انصرف المتهم حسين كمال الدين حضر المتهم الثالث محمد كمال خليفة ومثل الإدعاء البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء» .

الرئيس - المتهم محمد كمال خليفة .

المتهم - افندم .

الرئيس - الادعاء المقام عليك :

(أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة) .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

وهنا وقف الأستاذ على نور الدين المدعى ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى
على نور الدين

الإدعاء المنسوب للمتهم وهو أنه بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد أقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم ولذلك سنبين وضع مكتب الإرشاد فى الجماعة وكذلك الهيئة التأسيسية التى تعتبر برلمان الجماعة وأنا آسف لأن هذا الوصف لا ينطبق عليها . والحقيقة كما سمعتم إن الدكتاتورية طاغية هناك وأن المرشد هو ديكتاتور الجماعة .

ووضع مكتب الإرشاد كجهاز تنفيذى يستتبع أن يتحمل كل أعضائه مسئولية أعمال الجهاز وبقائه والمسألة لا تخلو من أحد فرضين . وهو أما أن يكون العمل قد عرض على المكتب وأقره فيكون مسئولا . وأما أن يتخذ المرشد أو أحد أفراد الجماعة قرارا وعلم به مكتب الإرشاد وسكت عليه ويكون فى هذه الحالة أيضا مسئولا عنه لأنه بسكوته إقرار ضمنى له .

والإدعاء ينسب للمتهم أنه بهذه الصفة اشترك فى توجيه السياسة إلى العنف والإرهاب ودور المتهم واضح . وكان مظهر سياسة العنف فى حملة المنشورات التى قامت بها الجماعة وكلها تدعو إلى محاربة الحكم القائم ومقاومة الثورة . وسلسلة دعايات لتشكيك المواطنين

فى نزاهة القائمين على الثورة .

ولقد أقر المتهم قيام نظام سرى فلست فى حاجة إلى التدليل على ذلك بعد قيام الجهاز بإرتكاب جرائم فى العهود السابقة . ولكن المتهم ذكر فى التحقيق أنه لا يعلم كل ما يدور فى الجماعة ، وعلى كل فقد قرر الدكتور خميس أن السندى عندما قرز فصله من النظام عرض الموضوع على مكتب الإرشاد فبعد طرح أمر رئيس الجهاز لا يمكن أن نصدقه عندما يقول عضو المكتب أنه لا يعلم عنه شيئاً .

وكذلك مقتل سيد فايز وعلم كل الإخوان أن هذا دليل على بقاء النظام وأن تحت يده أسلحة .. فالدفاع بالجهل بوجود النظام السرى غير صحيح لهذا الطلب من المحكمة توقيع أشد العقوبة عليه ..

مرافعة الدفاع
الدكتور محمد هاشم

الواقع أن للدكتور كمال خليفة موقفين : الأول بإعتباره مجرد عضو فى الإخوان والثانى باعتباره عضوا فى مكتب الإرشاد . والموقف الأول فأنا لا أعدو الحقيقة إذا قررت عن إيمان لأن الدكتور خليفة كان زميلاً لى منذ الدراسة الإبتدائية لأنه رجل ذو خلق ودين وإيمان .

وأنا لا أعدو الحق إذا قررت أنه التحق بجماعة الإخوان لأنه أراد أن يحقق خدمة لدينه عن هذا الطريق .

وهو بحكم هدوئه وأعماله وثقافته لا يتسع له الوقت لبحث وسائل الأرهاب ، وقد يعاب عليه أنه لم يتخذ موقفا إيجابيا بوجود نظام خاص . ولكن اعتقد أن لحضراتكم بحكم ثقافتكم العسكرية وبحكم قيامكم بالشئون العامة وبحكم إلمامكم بالحياة العامة تكونون أولى الناس بالحكم على ظروف الإنسان وإنه قد لا يستطيع أن يعلن عما فى عزمه وأن كان يدبر شيئاً مرضيا ، فقد كان يخشى الظروف المحيطة به وقد يجد فى نفسه حرجا وهذه طبيعة الإنسان ولا نريد أن نحمل الإنسان أكثر مما يستطيع وينبغى أن نحمله مسائل فى قدرته حتى نرتب نتائج تتمشى مع هذا التقدير .

ولدلك فالدكتور كمال خليفة لا يمكن أن ينسب إليه عمل من أعمال الإرهاب .

إذن فمن الجو العام والوقائع التى أسندها الإدعاء للمتهم لا يمكن أن يخرج بأن المتهم مسئول وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس - احنا سكتنا لغاية الأمل بقى رصاص . والبلد كلها تقول إن الحكومة خأيفة « الثورة إخوان » حتى امتلأت الآذان بالحديث .

المتهم - حكومة الثورة أقوى من حكومة إبراهيم عبد الهادى وتقدر تعمل كل شيء .

الرئيس - أنا حدثتك هذا كله لا رد على السيد المحامى لأنه عندما انتدب الدكتور كمال خليفة مديرا لمصلحة الطرق والكبارى . كان بناء على الحاحى رغم المعارضة القوية وأنا أحضرته لا لمجرد أمانته فقط بل لاعتبار فنى ... ونصحته وكلمته .

المتهم - أرجو أن أكون فى الإدارة قد سلكت مسلك قومى عالى وسيادتك تقدر هذا .

الرئيس - كل هذه النصائح لم تجعلك تقدر مسئولياتك كعضو إرشاد ، زميل طفولة ، وزميل آخر ، وشخص آخر .

المتهم - ما فيش شك كانت نصيحة مخلصة .

الرئيس - أنا عايز أسمع دى علشان أخلص ذمتى من ربنا .

المتهم - أشكر لسيادتك النصيحة وأنا آسف .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الواحدة والثلث من بعد ظهر يوم أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م» .

الحكـــم

فى الساعة الحادية عشر من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها فى القضية رقم ٦ بالآتى :

أولاً : إعدام المتهم عبد القادر على عودة شنقاً .

ثانياً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على حسين كمال الدين أحمد إبراهيم .

ثالثاً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على محمد كمال خليفة .

تصديق مجلس الثورة :

«طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين عبد القادر عودة وحسين كمال الدين أحمد إبراهيم ومحمد كمال خليفة على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ . فصدق المجلس على الحكم» .

التنفيذ

في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على عبد القادر على عودة حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٦) ملخص التحقيقات مع
منير الدله
صالح أبو رقيق
محضر الجلسة
الثانية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الأربعاء الموافق الأول من ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى ، عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٧ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من منير الدله ، صالح أبو رقيق .

«حضر المتهمان ومعهما الاستاذان محمد هاشم للدفاع عن المتهم الأول ومحمد فهمى القلعاوى للدفاع عن المتهم الثانى» .

الرئيس – فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟
المدعى – أيوه يا فندم ... المتهمان حاضران ..

الرئيس – المتهمين : منير الدله وصالح محمد أبورقيق

الإدعاء المقام على كل منهما :
«أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك بأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

الرئيس – مخاطباً المتهم صالح أبو رقيق : مذنب أو غير مذنب ؟
المتهم – غير مذنب .

الرئيس – فيه شهود .
المدعى – مافيش شهود .

الرئيس – الإدعاء جاهز ؟ اتفضل ..

مرافعة المدعى
عبد الرحمن صالح

نتقدم فى هذه الجلسة بطاقم جديد من أعضاء مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين ، فالمتهمان منير الدله وصالح أبو رقيق فضلاً عن أنهما عضوان فى مكتب إرشاد تلك الجماعة فقد اختص بنشاط خاص وتوجيه خاص لسياسة جماعة الإخوان ، وجماعة الإخوان كما قلنا تدثرت بدثار الدين حتى لا تنكشف أمام المواطنين : فأرادت أن تظل فى سياستها الحقيقية كتومة لا تبوح إلا لذوى الأغراض فيها والمتفقين على تحقيق تلك الأهداف الدنيوية ..

والمتهمان كانا من هذا الصنف المختار فى داخل الجماعة ليصل إلى الأغراض ولو أدى الأمر إلى إتباع طرق ملتوية وإلى إتباع سبل غير مشروعة ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء والدمار والخراب . .

هم يقولون : نحن إذا تدخلنا فى أمور الدنيا فذلك لأننا نريد حرية ونريد دستوراً ونسوا أو تناسوا إنهم فى ذاتهم لا يعرفون معنى الحرية ولا يعرفون معنىً الدستور فتشكيل الجماعة هو أكبر دليل على إنها لا تعرف لهذا المعنى شيئاً . فالجمعية التأسيسية معينة ، وتعيينها من المرشد ، وهذا هو البرلمان . والجمعية التأسيسية المعينة يختار منها أعضاء لمكتب الإرشاد بواسطة الجمعية المعينة ، فيأخذو منهم ناس ويعينون كهيئة التنفيذية لهم وأكثر من هذا فإن لا الهيئة التأسيسية ولا مكتب الإرشاد يقدر يتكلم أمام الرجل الكبير الذى سمى نفسه المرشد . فكان الأمر أمر تحكم ودكتاتورى ، لا سلطان فيه لأحد إلا من كان ذو حظوة عند السيد الذى قال : أنا المرشد ..

وكان منير الدلة وصالح أبو رقيق من هذه الفئة . فقد إختارهما المرشد ليكونا بطانة خاصة له . وهذه البطانة تلزمنى أن أقف قليلا فهى ليست من عندى وإنما قالها جهابذتهم

الذين حضروا هنا .. وقد سئل فرغلى : من هم الذين يوجهون الاستاذ الهضيبى ؟ فقال أنا أعرف أن هناك بعض الإخوان يميل المرشد لرأيهم ويتأثر بآرائهم ويقدرها مثل منير الدله وصالح أبو رقيق وصلاح شادى وحسن العشماوى وفيه لسه أشخاص زى فريد عبد الخالق وعبد القادر حلمى .

ليه اتجهوا بالجماعة هذا الإتجاه اللى هو ضد مصلحة البلد وضد الدين اللى بتدعوا إليه الجماعة ؟

خميس : وكيل الجماعة يجيب على ذلك بقوله : « لما زعل صلاح شادى من السيد الرئيس بعد أن رفض ترشيح منير الدله والعشماوى للوزارة والمرشد زعل لأن ، ترشيحه مامشيش فاتفق مع المرفوضين فى توجيه سياسة حسب السياسة المتفق عليها ضد الثورة .

إذن فحقيقة موقف الإخوان من الثورة جاى من هذا التاريخ لأنه - كما قال خميس - قبل هذا ماكانش فيه فكرة إنهم يدخلوا الحكم لأنه لم يكن الأساس فى سياستهم .

أما مسألة النظام الخاص وصلتهما به . فقد سئل محمد فارس عبد الحكيم فريح من الشرقية وعضو فى الهيئة التأسيسية فظل أربع ساعات يتكلم عن النظام الخاص فى الجيش والبوليس - ويهمنى من كلامه أن فريد عبد الخالق وحسن عشماوى وعبد القادر حلمى كانوا من ضمن المتصلين بالنظام فى الجيش .. إلى أن قام أحد الأعضاء وهو فهمى أبو غدير وقال إزاى للحاجات دى ماكناش عارفينها .. فرد عليه صالح أبو رقيق وقال له : إن هذه الأمور لم يكن المرشد يصرح بها لكل الناس .

يعنى يا صالح إنت وثيق الصلة بهذا النظام لدرجة أن أحد زملائه قال إن دى حاجات ماكناش عرفينها فرد ، بقوله أنها مسألة سرية . فهنا نقطع بصلتك بالجهاز السرى وعليك به .

وبعدين كان رفيقا للمرشد فى البلاد الشقيقة علشان يفتروا علينا هناك بالمنشورات والإذاعات . ولما وجه هنا عمل نفسه من الصالحين .

ومنير الدله وصالح أبو رقيق كانا من المتصلين برجال الحكومة فى صدر حر هذه التشكيلات وتدخلا أيضاً بإعتراف صالح ومنير ،يبقى العلم متوافر فأنتم وجهتم المجرمين هذا التوجيه الخطير وجمعتوهم فى جماعتكم وأدخلتوهم الجهاز السرى فى الوقت الذى تقول لكم الحكومة ده فيه خطر .. تقولوا طيب لكن إحنا والمرشد ماشيين فى سكتنا من تحت لتحت .. تضحكوا على الناس وتضحكوا على ربنا كمان فى دعوتكم . ومش

فى مصر بس لأ دول كانوا عاوزين يعملوا فتنة فى الشرق فمنير وصالح كانا من أعضاء مكتب الإرشاد وسبكتا وكان السكوت عن عمد فإننى إذا ما قلت أن مستوى إجرامهم يعلوا على مستوى الذين ترافعت ضدهم من قبل فلا أكون مغالياً إذا ما طالبت بإعدام الاثنين . فأنا اطالب باسم الشعب بإعدام منير الدله وصالح أبو رقيق . لأن الذى يضاعف من جرم كل منهما أنه كان يواجه الحاكم بوجه ثم إذا ما خلا إلى شياطينه اتجه إتجاه الإجرام والله ولى التوفيق .

مرافعة الدفاع
الأستاذ حسين أبو زيد

حضرات القضاة :

لقد استمعت إلى سيادة ممثل الإدعاء وقد جمع فى إدعائه بين المتهمين فى موقف كل منهما ويخيل إلى أن التفرقة واضحة ، وإن موقف مهمتى يختلف عن موقف الآخرين .

فقد كان منير الدله عضوا فى الجمعية التأسيسية طبقاً للأوضاع القائمة فى الجماعة وحدثت خلافات وأراد البعض تغيير القانون النظامى للهيئة وأرادوا ضم بعض الأعضاء لمكتب الإرشاد .

ومنير الدله لم يتقدم للإنتخاب حتى يقال أنه سقط فيه . وكونه متصلاً بشخص معين بالذات وتربطه به رابطة طبيعية يكون إنسجامهما طبيعيًا بحيث إذا إنستجم منير الدله مع المرشد يكون هذا طبيعيا وليس معناه أنه يلتقى معه فى الأغراض الخفية . وحتى إذا سلمنا بوجود الجهاز فإنه لا يمكن أن تسند إليه أنه شارك فى توجيه الجهاز توجيها إجراميا . أو أنه كان يريد أن يستعمله فى غرض إجرامى حتى يقدم الدليل على ذلك .

هذا بالإضافة إلى أن منير الدله كان مريضا بالقلب ولديه شهادات طبية متعددة من إخصائيين وسافر عقب المرض إلى لبنان ومرض هناك وظل ملازماً الفراش حتى ١٠ أيام قبل ظهور إتجاهات الجهاز ... وإذا فمنير دله بإعتباره عضوا فى جمعية الإخوان لم يأت لنا الإدعاء بوقائع مادية تدلل على قيام الجريمة .

أما كونه عضوا فى مكتب الإرشاد فالمرشد هو رأس الجماعة ومكتب الإرشاد رأيه استشارى وأنا قلت إمبارح إن المرشد هو رأس الجماعة والمكتب دا كان استشارى بالنسبة للمرشد . ومنير الدلة لم يذهب من المرشد إلى البلاد العربية ولم يتصل به . ولم يتخذ فى

المكتب أو فى الجمعية موقف يساند فيه الجهاز أو يساند من يريدون متابعة الجهاز فى أغراضه .

الرئيس - الاستاذ القلعاوى يحب يترافع دلوقت ؟ الاستاذ القلعاوى (محامى صالح أبو رقيق) - نعم .

مرافعة الدفاع
الأستاذ محمد فهمى القلعاوى

سيدى الرئيس .. إننى أود أن أؤدى واجبى كمصرى قبل أن أؤديه كمحام لأن التاريخ الذى تجتازه مصر فى هذه الفترة دقيق . وقد قلت فى صراحة لموكلى اننى سأبدأ مرافعتى كمصرى باستنكارى لتلك الجرائم إستنكاراً تاماً وقد وافقنى موكلى واستنكرها معى . والاتهام محصور فى أن موكلى عضو فى مكتب الإرشاد ، وقول الإدعاء اليوم أنه يحاسب المتهم على كونه عضواً فى الجماعة أو عضوا فى الهيئة التأسيسية فهذا لا أرد لأنه لم يرد بالإتهام الأصلى . وقد عين المتهم فى مكتب الإرشاد فى أواخر مارس سنة ١٩٥٤م وهو معتقل فى السجن والذى عينه الشيخ فرغلى وكان تعييناً مؤقتاً ، وذكر أن السبب هو حسن سياسته بين الإخوان والحكومة .

وفى ٣ يونيو سافر إلى الحجاز يعنى المدة التى ظلها فى القاهرة هى إبريل ومايو والمتهم يقرر أن الهضيبى لم يعينه - وسافر الحجاز مع الهضيبى وعاد فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٤م يعنى يكون باقى على ٢٦ أكتوبر ٤ شهور . وعقب عودته مرض وظل ببلده ١٥ يوما وعاد إلى القاهرة فوجد الإخوان على شقاق . وكان هناك خلاف مع السلطات فشكلت لجنة وكان هو أحد أعضائها ليكون رسول سلام من قبل الإخوان مع الحكومة .

وصالح أبو رقيق من الناس المغروس فى نفوسهم حب الرئيس جمال عبد الناصر وهو من الذين أحبوا الثورة ومبادئها .

أن هنداوى دوير قال عن الخطة والمتهمين وعن النظام السرى ولم يرد إسم المتهم فى أى شىء وإبراهيم الطيب أزاح الستار فقال إن هناك مجلسا أعلى ليس فيه المتهم لهذا فإنى ألتمس رفض طلب الادعاء والحكم ببراءة المتهم .

(ثم رفعت الجلسة فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر) .

الحكـــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من : منير أمينِ الدلة وصالح محمد أبو رقيق بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من منير الدله وصالح أبو رقيق على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم .

(٧) ملخص التحقيقات مع
- دكتور/ محمد خميس حميدة
- الشيخ / محمد فرغلى
محضر الجلسة
العشرون لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة الحادية عشر والربع صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى أ . ح حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء .

* قدمت القضية رقم ٥ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من محمد خميس حميدة ومحمد محمد فرغلى .

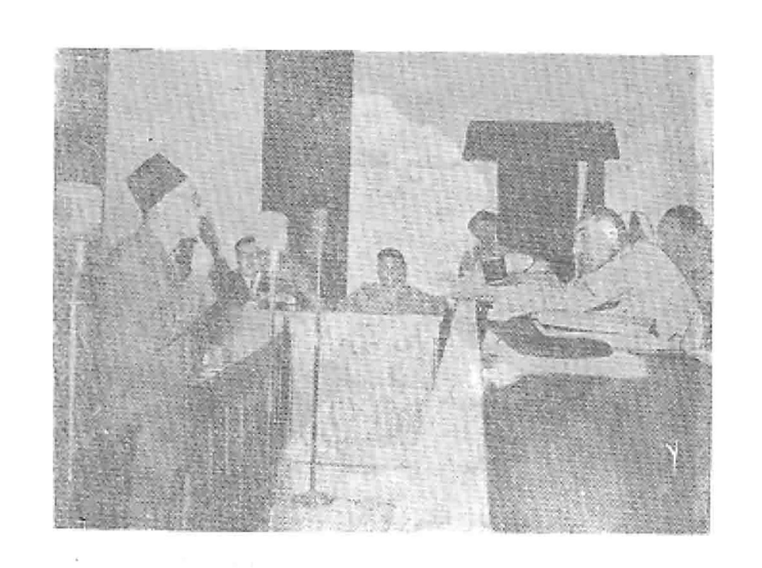
حضر المتهم محمد خميس حميدة ومعه محاميه الأستاذ محمد هاشم ..

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) -
موجود يا افندم والقضية جاهزة .
الرئيس - المتهم محمد خميس حميده ..

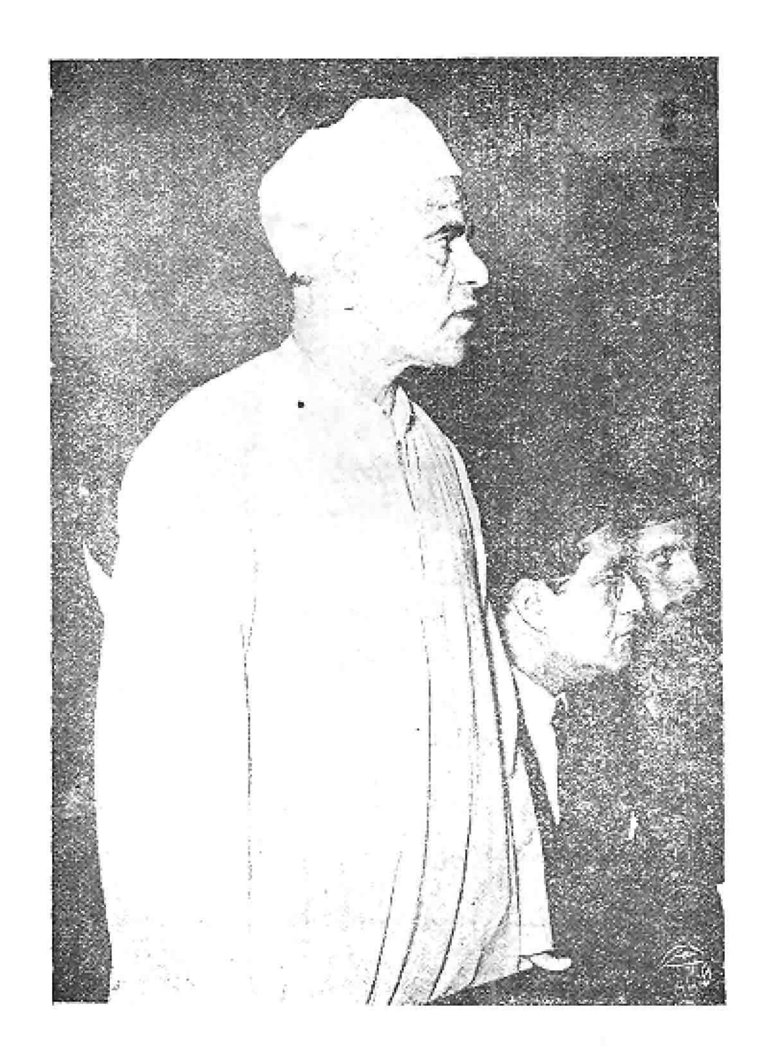
الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه وكيلاً لجماعة الإخوان المسلمين :

أولاً : اشترك فى توجيه سياسة هذه الجماعة إلى استعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام



الدكتور محمد خميس
الصيدلي ونائب المرشد



الشيخ محمد فرغلى
الواعظ الدينى وعضو مكتب الإرشاد ١٩٥٤

سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : اشترك فى تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع عايز شهود أو أى شيء ؟

الأستاذ محمد هاشم (المحامى) - لأ يا أفندم .

الرئيس - الادعاء ... اتفضل .

وهنا وقف الاستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى
على نور الدين

قضاة الشعب :

نقدم لكم اليوم نائب الرئيس ووكيل الجماعة والمستشار الأول لعصابة الإرهاب والتضليل . كان المتهم أول من عهد إليه تنظيم الجهاز . فأسند رئاسته ليوسف طلعت .

* كان المتهم وكيلاً للجماعة فكان بذلك أول من علم بالجهاز السرى وحوادثه الدامية التى حدثت سنة ١٩٤٨م والتى كانت من تدبير الجهاز . وكان عليه عندما أسند منصب الإرشاد إلى الهضيبى أن يعيد تنظيم الجهاز بعد خروج بعض الأفراد منه . وكان كل همه إخضاع سلطة الجهاز للمرشد لكى يهيمن على الجماعة كلها .

* أقوال الشهود تدل على مسئولية المتهم . فقد قال فرغلى أن المرشد أخذ رأيه فى تعيين يوسف طلعت . لذلك فإن تعيين يوسف طلعت كان إعادة تنظيم الجهاز . وقال يوسف طلعت أن تعينه كان بأمر المرشد وخميس . وأنه لا المرشد ولا أحد غيره طلب منه تصفية الجهاز .

* يدعى خميس بعد ذلك أن صلته انقطعت بالجهاز السرى . وقد قال التحقيق أن المرشد هو المسئول عن النظام الخاص ومن بعده الرئيس المباشر للجهاز . وهو فى هذا كاذب أو نصف كاذب . فالمتهم له دوره ومسئوليته فى هذا لأنه استشير فى تعيين يوسف طلعت . كما أن فرغلى قال إنهما استشيرا فى تعيين يوسف طلعت رئيساً للجهاز .

* ادعى المتهم أنه كان يحارب الإتجاه المضاد للحكومة وحرص على أن يظهر بمظهر الحمل الوديع الذى لا يعمل شيئاً والذى كان حمامة السلام لتهدئة النفوس . وهذا غير صحيح . فالمتهم يقول هذا لدفع المسئولية عنه بل كان يستطيع بصفته نائباً للمرشد أن يفعل الكثير لتهدئة أعضاء جماعته .

* مثل هذا الشخص أشد خطورة من العدو الظاهر لا يرعى دينا ولا ضميراً . ومثل هذا تتضاعف مسئوليته ولهذا يطلب الإدعاء الحكم بالأعدام .

مرافعة الدفاع
الدكتور محمد هاشم

حضرات القضاة :

* بدأت صلة خميس بالجماعة منذ مدة طويلة على عهد المرحوم البنا وعاصرها إلى اليوم . بدأ فردا عادياً وانتهى الأمر إلى وكيل الجماعة ونائباً للمرشد فترة من الزمن . وقد قرر خميس إنه انتمى إلى هذه الجماعة بقصد تحقيق أهدافها من الناحية الخلقية والدينية .

* قرر أنه كان يوجد جهازاً فى عهد المرحوم البنا . وتبين بعد ذلك أن هناك إنحرافاً فى عهد المرشد الأول – وتوفى المرشد وخلفه المرشد الحالى وهنا يسأل خميس عندما علمت أن هناك انحرافاً فما الذى فعلته ؟ أنا أتصور موقفى مكان المتهم ماذا كنت أفعل :

أولاً : أعمل للقضاء على هذا الإنحراف .. ولكن ما هى إمكانياتى ؟ وما هى الصور التى كنت أتخذها ؟ هل من الممكن أن أتخذ إجراءاً مادياً للقضاء على الجهاز فى يوم وليلة ؟.. الحقيقة أن وكيل الجماعة ما كان فى قدرته عمل أى شىء والذى فى قدرته هو رأس الجماعة وهو المرشد .

* قد يقال كان على الدكتور خميس عندما عجز عن تصفية الجهاز أن يتنحى . ولكن هو فى جمعية وهو بين اعتبارين : بقاؤه وهذا أصلح من خروجه لأنه كان يستطيع الإصلاح ، والأمر الآخر وهو متصور ذلك أن خروجه كان فيه شىء من الخوف وخشية من الذين

خرجوا من أعضاء الجهاز .

* الدليل على أن خميس حاول أن يصفى الجو وأن يعيد الوئام بين الجماعة والحكومة بدليل أنه عندما علم أن هناك منشورات وكان نائب المرشد إتصل بيوسف طلعت وقال له : بلاش الحاجات دى . وفجأة نزل منشور آخر . الدليل على هذا والمنطق الذى يؤيده ما قرره جميع المتهمين أن يوسف طلعت يأتمر بأمر المرشد دون غيره ، وعندما وجد الفرصة لإنزال المنشور أنزله . وهذا دليل على حسن نية خميس .

لذلك أرجو أن نعطيه فرصة جديدة لكى يظهر أنه مواطن صالح من جميع الوجوه . ولهذا وفى هذه الحدود أعتقد أن مهمتى قد إنتهت وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس – لكم كلام يا خميس ؟
المتهم – لا متشكر ..

«رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة والربع بعد الظهر» .

محاكمة محمد محمد فرغلي

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة الدفاع فى قضية المتهم محمد خميس حميدة رفعت الجلسة للإستراحة فى الساعة الثانية عشرة والربع بعد الظهر ، ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الواحدة حيث قدمت قضية المتهم محمد محمد فرغلى وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء ..

« حضر المتهم محمد محمد فرغلى ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه » .

الرئيس – المتهم موجود ؟
البكباشى محمد التابعى (المدعى) – موجود يا فندم .

الرئيس – المتهم محمد فرغلى
الادعاء المقام عليك :

« أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الدولة ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضو فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً

لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن اشترك فى مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثالثاً : اشترك فى تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع يطلب شهود ؟

الأستاذ محمد هاشم (المحامى) - لا .

وهنا وقف الأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الادعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى
الأستاذ مصطفى الهلباوى

* المتهم اليوم يا حضرات القضاة واعظ دينى . وعالم من علماء الأزهر الشريف . وخريج كلية أصول الدين . وظل بالإسماعيلية قرابة ٢٠ عاماً أقول هذا لأبين أنه بحكم ثقافته ومنصبه الرسمى كان واجباً عليه أن يبصر المسلمين بأحكام الدين وتعاليم القرآن ... لا أن يحفظهم آيات الجهاد من سورة آل عمران دون تفهيمهم معناها أو مدلولها .

* وقد قال يوسف طلعت ومحمود عبده أن مجلس الجهاد الأعلى ولد ورأى النور فى مسكن الشيخ فرغلى بعمارة وهبه وهو الذى سماه هذه التسمية .. وقال محمود عبده فى التحقيقات : أن فرغلى دعاه هو وأعضاء مجلس الجهاد - وهم يوسف طلعت وحازم وصلاح شادى - إلى مسكنه وعرض عليهم خطة القيام بمظاهرات مسلحة كمظهر من مظاهر معارضة الحكومة . ودعاهم مرتين فى مسكنه ليكونوا هيئة مجلس الجهاد الأعلى وليقرروا هذه الخطة .

فهذا المتهم الذى قال فيه يوسف طلعت أنه لا يجرؤ أن يوجه إليه أى سؤال أو يواجهه بشيء تظهر خطورته وسطوته وسلطانه بالجماعة ولذلك فأطلب أن تستعملوا معه كل الشدة التى تخولها لكم أوامر تشكيلكم ، والله يوفقكم .

مرافعة الدفاع
الدكتور محمد هاشم

* حضرات القضاة :

الشيخ محمد فرغلى مقدم بإعتباره عضوا فى مكتب الإرشاد وعلى هذا الإعتبار إتهم بالإشتراك فى الجرائم .

يقول الإدعاء من أنه عضو مجلس الدفاع الأعلى ومستشار الجهاز السرى لا يقوم عليه دليل واحد فى الأوراق قال أن يوسف قرر أن الشيخ فرغلى عضو فى المجلس وهذا لم أعثر عليه فى الأوراق . وكذلك قول محمود عبده لم أجد منه شيئاً . أما من كانوا يجتمعون عنده فكانوا يجتمعون عنده بإعتباره عضوا فى الإخوان وبإعتبارهم أعضاء فى الإخوان واسباغ صفة المجلس على الإجتماع تشديد فى التخريج لا يسمح به ما هو مدون بالأوراق .

الرئيس - أقوال يوسف طلعت فى صفحة ٣ .. قال إن عبد المنعم عبد الرؤوف من أعوانه أبو المكارم وهو عضو فى مجلس الجهاد الأعلى ويشكل المجلس من الشيخ فرغلى وعبد الحى وأبو المكارم وأنا أى هو وحل عبد المنعم عبد الرؤوف مكان أبو المكارم .. وأقواله ممضى عليها

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

لو سمح سيادة الرئيس أقوال محمود عبده .

الرئيس - قال ردا على سؤال سبب إجتماعه بيوسف طلعت أن الشيخ فرغلى دعاه لإجتماع فى منزله وكان هناك يوسف طلعت والحالة بين الحكومة والإخوان متوترة وطلت المجتمعون منى عمل مظاهرة مسلحة فرفضت .

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

على أية حال فيما يتعلق بأقوال يوسف طلعت من آخرين صوروا هذا التصوير وإذا عندما يتحدث مع الناس يطلق على الاجتماع مجلس الجهاد الأعلى . ولا أجد الدليل القاطع

على أن الشيخ فرغلى يعلم أن المجلس مجلس جهاد أعلى ، وكذلك أقوال محمود عبده لا تدل على أن الشيخ فرغلى هو الذى طلب القيام بمظاهرة ، ولكنه قال أن المجتمعين طلبوا القيام بمظاهرة ولا يمكن أن نصرفهم للشيخ فرغلى ونرتب هذه النتيجة إليه والله يوفقكم .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر .

الحكـــــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م صدرت محكمة الشعب حكمها فى القضية الخامسة وكان حكمها الآتى :

أولاً : حكمت المحكمة على المتهم محمد خميس حميده ، بالأشغال الشاقة المؤبده .

ثانياً : حكمت المحكمة على المتهم محمد محمد فرغلى بإعدامه شنقاً .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقاً للمادة السابقة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين محمد خميس ومحمد محمد فرغلى على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، فصدق المجلس على الحكم .

التنفيـــــذ :

فى تمام الساعة العاشرة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على محمد محمد فرغلى حيث أعدم شنقاً بسجن الإستئناف .

(٨) ملخص التحقيقات مع

- محمد حامد أبو النصر
- أحمد شريت
- عبد العزيز عطية
- عمر التلمسانى

محضر الجلسة
الثالثة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة الواحدة والأربعين بعد الظهر بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الأربعاء الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، الموافق ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة .

وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى أ . ح حسين الشافعى ، عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٨ سنة ١٩٥٤م لمحكمة الشعب المتهم فيها محمد حامد أبو النصر وأحمد أحمد شريت وعمر التلمسانى وعبد العزيز عطية عوض الله .

(حضر المتهمون ومع المتهم الأول محمد حامد أبو النصر الاستاذ حسين أبو زيد للدفاع عنه) .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى جاهز .. المتهمين موجودين .
المدعى - أيوه يا أفندم ..

الرئيس - أسماء المتهمين محمد حامد أبو النصر وأحمد أحمد شريت وعمر التلمسانى وعبد العزيز عطية عوض الله . والإدعاء المقام على كل منهم هو الآتى :

أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك بأنه فى يوم ٢٦ من

أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

وقد سأل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين أو غير مذنبين فأقروا جميعاً أنهم غير مذنبين .

«وقد حضر الاستاذ أحمد أبو زيد عن محمد حامد أبو النصر وسيتولى بقية المتهمين الدفاع عن أنفسهم» .

الرئيس — الإدعاء ... اتفضل ..

مرافعة المدعى
على نور الدين

حضرات القضاة :

الإدعاء ضد المتهمين هو أنهم إشتركوا فى توجيه سياسة الجماعة إلى العنف والإرهاب بصفتهم من أعضاء مكتب الإرشاد وهذا الإدعاء نظامة أن مكتب الإرشاد هو الهيئة التنفيذية للإخوان ومفروض فيه أنه يشرف على الإتجاهات الجماعية وتنظيماتها فهو بمثابة مجلس الجماعة وبوصفه هذا بتحميل أعضاءه المسئولية المشتركة عن الإتجاهات المخالفة للقوانين .

هذه المسئولية لا يمكن لأى فرد أن يتخلص منها متذرعا بجهله لما يجرى داخل الجماعة لأن عضو الإرشاد يجب أن يقف موقفا إيجابياً فى إدارة شئون الدعوة .

ولو أننا سمعنا هنا تنصل أعضاء مكتب الإرشاد من المسئولية بقوله أنهم لا يعلمون شيئاً عن الجهاز السرى إلا أن هذا الوضع ينفيه حقيقة الوضع القانونى والعملى لمكتب الإرشاد الذى عاصر من أول الأمر دعوة الجمعية .

والأمر الثانى هو أن الجهاز السرى كان محل إعتراض الحكومة أكثر من مرة . وكان ذلك كما قررنا منذ مايو ١٩٥٣م وأعضاء مكتب الإرشاد يعلمون ذلك بإعتراف الكثيرين منهم ولكن مصير هذا الطلب كان الإهمال المطلق ، ولم يكلف مكتب الإرشاد نفسه مشقة الإستجابة للحكومة .

ليس لنا بعد ذلك أن نقدم دليلاً آخر على علم أعضاء مكتب الإرشاد بوجود الجهاز وخطورته وعدم وقوفه موقفا إيجابياً .

هل يستطيع واحد من أعضاء مكتب الإرشاد أن ينفى وجود جهاز سرى داخل الجماعة . كلا ؟ فكلهم يعلمون أن مسئولية مكتب الإرشاد فى هذا مريحة واضحة . ومكتب الإرشاد مسئول عن إتجاه الجماعة للعنف والإرهاب وهذا الإتجاه بدأ بسلسلة منشورات معادية للحكومة وكان مكتب الإرشاد هو أول من بدأ هذه الحملة - حملة الكذب والتضليل - بمنشور أذاعه ينقد فيه الإتفاقية . وقد قال خميس فى هذا : أن جماعة الإخوان نشرت رأيها وطعنت فى الإتفاقية لتقوية ظهر المفاوض المصرى ، سمعنا هذا وضحكنا له كثيراً .

وقد نوقش حول الأسس التى قبلها المرشد للإتفاق مع الإنجليز ، ومنها قبول المرشد عقد إتفاق سرى يسمح للأنجليز بإحتلال مصر فى حالة خطر الحرب . فأقر ذلك كله .

والمتهمون الماثلون أمامكم كلهم أعضاء فى مكتب الإرشاد ويعلمون بوجود النظام الخاص . وقد اعترفوا بذلك فى التحقيقات وكل منهم حاول بطريقة ما أن يبرر هذا الموقف السلبى فى الجماعة .

ولكن ماذا عملوا ؟ ماذا اتخذه مكتب الإرشاد لمنع الخطر الجاثم ؟ لا شىء .. وقال خميس أيضاً عندما سُئِل عن رأيه فيمن أقروا حسن الهضيبى على هذه السياسة فأكد أن ذلك جريمة وأن مكتب الإرشاد كان يجب أن يتخذ علينا .. وعلى ذلك فمكتب الإرشاد أجرم . فخميس قال ذلك وهو الواقع والمنطق . هذه هى مسئولية مكتب الإرشاد وأن القصاص يجب أن يوقع على هؤلاء المتهمين . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع
الأستاذ حسين أبو زيد

استمعت إلى الكلمة القيمة التى قالها الزميل ممثل الإدعاء التى قال فيها أن المسئولية تشمل جميع أعضاء مكتب الإرشاد . وأحب أن أقول أن مركز موكلى بأنه عضو فى مكتب الإرشاد - وقد أخبرنى وأرجو أن يكون صادقاً - إن مكتب الإرشاد قسمان : قسم قاهرى وقسم إقليمى . وموكلى عضو إقليمى من منفلوط وهو مزارع لا يحضر القاهرة إلا قليلا ولا يحضر كل الإجتماعات .

وهو يحب الثورة ورجالها ويخلص لها فى جميع المناسبات كان يظهر الشعور الطيب



احمد شريت وعمر التلمسانى وحامد أبو النصر

وعبد العزيز عطية من قادة الإخوان ١٩٥٤

نحو الثورة ورجالها وقد أرسل موكلى إلى جريدة الأهرام مقالاً يدعو فيه إلى التعاون بين الحكومة والإخوان وذلك فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤م أى قبل أن تقع الحادث وعندما طلب الرئيس حل الجهاز . وأنا أعتقد أنه ليس شريرا وأنا أقول رأيى فيه بمنتهى الصراحة . وهو أنه ليس شريراً ولا يحب الشر ويتعاون مع الشر . وبناء عليه أطلب البراءة .

مرافعة المتهم
أحمـد شريت

أنا متهم بالتستر على الجهاز السرى وقد بينت فى التحقيق أن علمى هو أنه جماعة رياضية غير مسلحة . وأنا بحكم وجودى فى أسيوط أحضر للقاهرة مرة كل شهر . ولم يعرض على مكتب الإرشاد أى شيء يتعلق بالجهاز .

ومنذ ذلك الحين وأنا دائم الإتصال بالإخوان وقلت لهم أن الإسلام لا يقر السرية وقلت ذلك للبهى الخولى وعبد المعز والحصرى ونور الدين وجوده وغيرهم . وقلت لهم أن السكوت على هذا بعد العلم جريمة .

وحضر إلى الاستاذ البهى الخولى فى أسيوط ومعه الاستاذ عبده قاسم وقالا أن المعاهدة ستوقع ، ولابد أن نقف موقفاً مؤيداً منها ، وإتفقت معهما على ذلك ولو فصلنا الإخوان . وحضرت للقاهرة فى ٢٠ أكتوبر وأعلن عن الغاء المكتب القديم وتشكيل لجنة لعمل مكتب آخر وإختارونى عضوا فى اللجنة لأنى معتدل وقد أذيعت هذه القرارات وبعض الإخوان رضوا عنها وبعضهم سخط . وبعض الشبان قلت لهم أن المعاهدة أفادتنا كثيراً وأفرض إننا مرتبطون بالإنجليز فى أربع عجلات وفكينا عجلة ألا يكون ذلك تقدماً ؟ وإن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن الذلة والخضوع .

مرافعة المتهم
عمر التلمسانى

أنا تحدثت فى مكتب الإرشاد إن فيه تشكيلات فى الجماعة ويجب عدم السكوت على هذا واستشهد على ذلك بالبنا والخولى وعبد المعز ، وعقب الجلسة تقابلت مع جوده ، وقلت له ما حصل فى جلسة مكتب الإرشاد من معارضتى للجهاز .

وفى سبتمبر الماضى كان الهضيبى مختفياً . وأنا أستنكرت هذا الوضع وقلت أنه لا يليق أن يختفى مرشد للمسلمين . وطالبت بإصدار بيان ينشر فى الصحف على أننا متعاونون

مع الحكومة ونشيد بالإصلاحات التى قدمتها للأمة

مرافعة المتهم
عبد العزيز عطية

نحن بفضل الله مرتاحون تمام الراحة لأحكام المحكمة . وإن صفى فى الإخوان يرجع إلى سنة ١٩٤٢م وكنت أعطى دروساً بصفتى معلما وفى سبتمبر الماضى إنتخبت عضواً فى مكتب الأرشاد . وكنا علمنا قبل ذلك أن هناك جهازاً سرياً يرأسه السندى . وحصل منه حوادث مثل قتل النقراشى والخازندار رئيس المحكمة وغيره .

وفى يناير ١٩٥٤م حلت الجماعة وقبل ذلك حصلت حوادث شغلت مكتب الإرشاد مثل موضوع صالح عشماوى وموضوع إحتلال بيت المرشد والهجوم عليه واحتلال مكتب الأرشاد - تسمح لى سيادتك شوية مية !

الرئيس - أيوه . كباية مية من فضلك .

عطية - «شرب» ثم قال : وبعد الحل صار الإخوان فى وضع مؤرجح لأنهم كونوا لجنة لإزالة سوء التفاهم مع الحكومة . وفى الاسكندرية أنا لم أكن أعرف شيئاً عن الجهاز السرى بصفته الحالية .

مناقشة المتهم

الرئيس - أنت قلت أنك لا تعلم إن فيه جهاز سرى بالمعنى الذى عرف أخيراً يعنى كنت تعرف أن فيه جهاز سرى بوضع آخر ؟

عطية - عاوز أقول أنه فى الاسنكدرية ظهر إن فيه جهاز سرى وأسلحة وموضوع محمد سليم ده خاص بمسألة ، لم تظهر إلا فى أن القراقصى جاء مرة وأبلغنى أن محمد سليم كان فى مصر وأنا لا أعلم إن سليم زى يوسف طلعت رئيس جهاز سرى .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والنصف مساء » .

الحكــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محمكمة الشعب حكمها على كل من :

١ - محمد حامد أبو النصر بالأشغال الشاقة المؤبدة .

٢ – أحمد أجمد شريت بالسجن خمسة عشر عاماً .
٣ – عمر التلمسانى بالسجن خمسة عشر عاماً .
٤ – عبد العزيز عطية عوض الله بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من : محمد حامد أبو النصر ، وأحمد أحمد شريت ، وعمر التلمسانى ، وعبد العزيز عطية عوض الله على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على تلك

(٩) ملخص التحقيقات مع
- عبد المعز عبد الستار
- عبد الرحمن البنا
- البهى نجا الخولى
محضر الجلسة
الرابعة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة الثانية عشرة ظهراً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الخميس ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٦ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة جميعاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى محمد التابعى المدعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٩ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد المعز عبد الستار .. وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى .

(حضر المتهمون) .

الرئيس - فتحت الجلسة ... المتهمون عبد المعز عبد الستار، عبد الرحمن البنا ، البهى نجا الخولى :

أتوا أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنهم فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفهم أعضاء فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتركوا فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقروا قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينضموا إليها على السلطة بالقوة ..

«وقد آل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين كما أقروا أنهم سيتولون الدفاع عن أنفسهم».



عبد الرحمن البنا وعبد المعز عبد الستار والبهى الخولى من قادة الإخوان ١٩٥٤

مرافعة المدعى
مصطفى الهلباوى

متهمون اليوم – يا حضرات القضاة – ثلاثتهم أعضاء مكتب الإرشاد ومن كباره وائمته . نشأوا مع نشأة هذه الجماعة وبقوا فيها حتى تكشفت للناس الحقيقة الخفية لهذه الجماعة وعرف الناس عنهم ما عرفوا حتى آمن المواطنون أنها جماعة تلبس الحق بالباطل وهدفها الوصول إلى مناصب الحكم عن طريق رجالها أو عن طريق فرض الوصاية على الحكومات وأحد المتهمين شقيق مؤسس هذه الجماعة وثانيهم زميل له فى الدراسة وثالثهم واعظ دينى من وعاظ الحكومة وخريج الأزهر الشريف .

سلطة المكتب

أما عن مكتب الإرشاد فهو السلطة التنفيذية فى الجماعة وبجانبه الهيئة التأسيسية وهى برلمان الجماعة ، وقد قال خميس أن مكتب الإرشاد هو الهيئة العليا . وقال يوسف طلعت أن جميع الجماعة خاضعة لمكتب الإرشاد .

إذن مكتب الإرشاد هو المسئول الأول عن إنحدار هذه الجماعة وإتجاه سياستها إلى الإرهاب والمنشورات ومحاولة قلب نظام الحكم عن طريق الإغتيالات والتخريب والتدمير .

وهذا المكتب تصدر عنه جميع القرارات وهو الذى يدبر سياسة الدعوة وبذلك يكون اعضاؤه مسئولين عن هذا الإتجاه وعن هذا الإنحراف .

ولو قلنا غير ذلك لما كان هناك داع لقيام مكتب الإرشاد . ويبدو عن إصدار مكتب الإرشاد بيانا عن الإتفاقية وعن رأيه فيها . إن مكتب الإرشاد يؤكد للناس حقيقة رئاسته لهذه الجماعة وهيمنته عليها .

هذا هو مكتب الإرشاد وهذا هو وصفه فى الجماعة وإختصاصاته الواسعة الشاملة ويترتب على هذا أن الإختصاصات يقابلها واجبات ومسئوليات .

والآن كيف كان يتصرف المكتب فى شئون الجماعة وتخلى عن حقوقه فى تدبير الدعوة سمعنا من السنة الشهود أن هذا المكتب كانت قراراته إستشارية لا تلزم المرشد .

كما أن البيان الذى أصدره مكتب الإرشاد عن الإتفاقية لم يعرض على الهيئة التأسيسية .

وقال خميس : إن الأمر كان دكتاتورية وأن المرشد كان يتصرف كما يرى وأنه كان يدير الجماعة من مخبئه بواسطة بعض بطانته .

فماذا فعل المكتب فى الجهاز السرى المسلح ؟

قال خميس : إن جميع أعضاء مكتب الإرشاد وبعض أعضاء الهيئة التأسيسية يعلمون بوجود الجهاز الخاص ورئاسة يوسف له .

مقابلة الرئيس

وقد قال خميس : أنه ذهب مع عبد الرحمن البنا إلى رئيس الحكومة وتحدث معه عن التنظيمات السرية وطلب منه الإفراج عن ضباط الجيش من الإخوان .

وهذه الواقعة تدل على أن مكتب الإرشاد جميعاً كانوا على علم بقيام هذا النظام وعلى علم بأن هناك تشكيلات إخوانية فى الجيش والبوليس .

وقد طلب منهم رئيس الحكومة فى مايو ١٩٥٣م حل الجهاز وتسليم أسلحته فلم يستجيبوا وتحدوا الحكومة وأقروا إختيار يوسف طلعت رئيساً لهذا النظام السرى .

فماذا فعل مكتب الإرشاد فى هذا الصدد ؟ لم يفعل شيئاً وآثر السكوت والتستر والخضوع ليوسف طلعت والمرشد وبطانته .

مذا فعل مكتب الإرشاد حين سافر إلى البلاد العربية ليهاجم مصر ويدعو ضدها ؟

ماذا كان موقف هؤلاء المتهمين من هذا كله من الإرهاب ؟

قد يقول بعضهم أنه حين آنس من الجماعة هذا الإتجاه الإرهابى ، قدم إستقالته . هذا القول أيضا لا يمكن أن نعفيه من المساءلة، لأننا حتى لم نر واحداً منهم قبلت إستقالته – وكأن الإستقالات صورية يعقبها مثابرة على العلاقة بالمرشد والجماعة . والإستقالات لا تعفى من المسئولية .

وكان على الأعضاء أن يبصروا الحكومة ويبصروا الناس ويقولوا لهم : لا تصدقوا أن أهدافها دينية وأعلموا أن أهدافها سياسية للوصول إلى الحكم .

ولذلك أطلب عقابهم بالمواد المنصوص عليها فى أمر التشكيل .

مرافعة المتهم
عبد المعز عبد الستار

أنا عينت في المكتب وكنت منتدبا للتدريس فى كلية الشريعة بمكة منذ ١٩٥٢م وفي سبتمبر أو أكتوبر ١٩٥٣م انتخبت عضوا فى مكتب الإرشاد ولم أرشح نفسى وكنت عامل عملية في المستشفى والمفروض أن إجتماعات الهيئة التأسيسية تكون فى محرم والعام الدراسى فى الحجاز يبدأ فى محرم ولهذا سافرت ولم أحضر إجتماعات الهيئة ولا مكتب الإرشاد .

وبعد سفرى إلى الحجاز غبت إلى آخر رمضان . وعدت مرهقاً وسافرت إلى بلدى وعدت إلى القاهرة وبعد العيد وكان المرشد سافر إلى البلاد العربية ولم أجتمع به ولم أره .

ولاحظت أن الإخوان كانوا مختلفين ومتناكرين ومتفاعل فى نفوسهم من المعانى مالا أقرها ومالا أرضاها لأنى أؤمن بهذه الثورة ولا أحب أن أمتدحها حتى لا أكون مستشفعاً .

وإنى قلت فى خطبة إن الله بعث محمداً ليخرج الناس من عبادة الأشخاص إلى عبادة الله وهذا ما فعلته الثورة وأقسم بالله الذى نفسى بيده لو علم أن واحدا منكم يستحق المؤاخذة لقلت فى مواجهته وأنا لا يردنى عن الحق راد .

وحدث فى الإخوان انظارا للذين حررهم من عبادة الداعون إلى عبادة الله ، وحررهم من ضيق العيش بتحديد الملكية والإصلاح الزراعى . وهذا ما قلته فى الأزهر فى خطبة لى عندما كان تحديد الملكية محل مناقشة .

وقلت أن الثورة أخرجت الناس من حق الحكام إلى عدل الإسلام والعدل كالصدق لا يمكن أن يكون ملوثاً ولا يمكن أن يكون هناك صدق أسود وصدق أحمر ولكنه صدق واحد هو مطابقة القول للحقيقة ، وكذلك العدل .

وأنا لست بصاحب الموقف الضعيف الذى ينبش فى الماضى وفى دفاتر المفلس ولكن هذا هو موقفى .

مرافعة المتهم
عبد الرحمن البنا

أثيرت دعاية قبل تعيين الهضيبى عن أربعة من كبار الإخوان يريدون الإستئثار بالدعوة ودعانى الأستاذ الدله قبل إنتخاب الهضيبى فذهب إلى منزله وكان رسوله عبد القادر حلمى

ولما ذهبت وجدت الباقورى وعشماوى وقال منير : أنتم الأربعة متهمون بالتنافس على رئاسة الإخوان .

فعجبنا لذلك . وقلنا أن طلب الرئاسة أمر يمنعه الإسلام وحكم الإسلام . وإن طالب الولاية لا يولى . وإن أحداً منا لم يطلب ذلك .

وانتشرت بعد ذلك دعايات تعرف الهضيبى الذى لم نكن رأيناه بعد وترشحه لرئاسة الإخوان ثم بدأت أحضر الجلسات وأقوم بما يفرض على عضو فى مكتب الإرشاد الذى آلت إليه مسئولية دعوة الإخوان فلاحظت أن كثيراً مما كنت أتحدث به لا يجد قبولاً ولا تجاوباً وإذا أردت أن أتحاكم الى الأعضاء أجد عدم إفساح مجال لى من الأستاذ الهضيبى .

وسارت الأمور فى هذا الجهاز الداخلى ونحن حينما نخلو إلى الله فى الصلاة ونبتهل لابد لكل مؤمن من لحظات بينه وبين ربه . كانت لحظاتنا أن يصلح الله هذا الصف الذى ورثناه نقيا طاهراً متحاباً .

وكنا ندعو الله تبارك وتعالى أن ينقذ البلد من حكم كان يسير على غير الأحكام التى ترتضيها أمة تبغى المجد والكرامة . ودعا الصالحون كذلك وأذن الله لهذه الأمة أن يستجاب لها هذه الدعوات وتتحقق الآمال وطلع على الناس يوم ٢٣ يوليو .

بيان ٢٣ يوليو

واستمعت أول ما استمعت إلى المذياع فاهتز قلبى وطرب سمعى .

وذهبت إلى الأستاذ الهضيبى فى الاسكندرية وأخذت معى الأستاذان طمان ونصير وتكلمنا وقلت له : إن هذا هو بدء الأمر الذى عشنا عليه وفجر أشرق شمس جديدة على البلد ولابد من عمل تتخذه وسهر نسهره وربط بين الإخوان والحركة . فاختلف معى الهضيبى فى الرأى فطلبت منه الحضور إلى القاهرة فلم يحضر إلا فى ٢٦ يوليو .

طالبت فى كثير من جلسات مكتب الإرشاد بالشورى وتبادل الرأى وما قرره الأستاذ البنا من أنه لا يفرض رأيه على مكتب الإرشاد . وقلت للهضيبى أننا نريد أن نعرف خطواتك وإتجاهاتك فإذا قابلت وزير العدل فخذ أحداً من رجال القانون وإذا ذهبت لمقابلة صاحب إختصاص فخذ العضو المختص فى مكتب الإرشاد معك حتى يمكن متابعة خطواتك .

قال : ولم تطلب هذا ؟

قلت : هذا تقليد الإخوان وماضيهم .
قال : أنا لا أريد أن يذكر لى أحد الماضى .

إن مكتب الإرشاد لم يكن يعرف أكثر من الأمور العادية التى تعرض عليه ولم يكن يعلم أبدا وعلى الأقل لم يكن بعض أعضائه يسلمون بالعنف ولكن الأمر المريب الذى خفناه ورأيناه أنه ضرر هو ما تبع إتفاقية الجلاء .

وجاءت رحلة الهضيبى إلى البلاد العربية وقال أنه سيسافر الحجاز للعمرة . وأنا شخصياً طلبت منه أن أذهب معه للعمرة فقال لا .. أنا حروح بعض البلاد التانية فقلت له : لما تروح البلاد التانية خد حد معاك من مكتب الإرشاد فرفض .

مرافعة المتهم
البهى نجا الخولى

كنت عضو مكتب إرشاد لمدة ٦ أسابيع على الأكثر وذلك إنى عقب فصل السندى قرر مكتب الإرشاد ضم عضو إليه وأنا قبل ذلك كنت معتكفا سنة ونصف سنة .

وقد حصل فى أثناء هذا أن أذيع خطاب أو منشور يطالب فيه المرشد بالحريات والحياة النيابية فأنا قلت ده معناه تدمير ما بنته الثورة والعودة إلى القديم وأنا أفهم أن الإخوان ما داموا أحراراً فى مركزهم العام وفى التنقل وفى الخطابة يقوا عايزين إيه ؟ الإخوان متمتعين بالحرية إذن فهذا الطلب معناه خدمة الشيوعية وعودة الأحزاب إلى الدجل القديم والشعب لا يزال إلى الآن فى دور النقاهة .

وكانت الهيئة التأسيسية ولظروف خسرنا الجولة ولم نصل إلى شىء .

ويوم الثلاثاء وقع الحادث فى الاسكندرية وفى يوم الأربع الشعب ثار وحرق المركز العام وإجتمعنا فى بيتى وقررنا فصل الهضيبى من منصب الإرشاد وحرمانه من عضوية الجماعة وأرسلنا ذلك إلى الصحف فلم ينشر .

الرئيس – أنت كنت على إتصال برئيس الحكومة خلال المدة اللى عملت فيها مجهودك ؟
البهى – أيوه لنستعين به حتى لا تتعطل جهودنا .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين مساء » .

وقلت أن المعارضة العادلة هى المطلوبة . ورجال الثورة يكرهون التملق ويحبون من يبصرهم بعيوبهم وأخطائهم . وإذا لم يعجبنا عمل من أعمالهم يبقى لازوم نذكر لهم حسناتهم ..

وقلت كفاية إنهم طردوا فاروق . وأعلنوا الجمهورية . وقربوا بين الطبقات . وقلموا أظافر الإقطاع . وتكفى حسنة واحدة من هذه الحسنات لتذوب فيها كل الأخطاء إن كانت لهم أخطاء .

الحكـــــم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من : عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى بالبراءة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من :

عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق على تلك الأحكام .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سيدي رئيس حكم الشعب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد [illegible] الله
[illegible] :

أنا محمود عبد اللطيف محمد انضممت إلى الإخوان المسلمين من سنة ١٩٤٢ وكان اعتقادي
في هذه المدة أن هذه الجماعة تعمل لله وأن قادة الإخوان لا يأمرون إلا بما فيه خير
الإسلام والمسلمين فكنت أسمع كل أمر وأطاعة دون تردد أو مناقشة لأن هذا
صادر عن أناس مسلمين يعملون للإسلام ويقدرون مخافة الله في أي عمل
يعملونه ولذا فكنت معتزم على هذا الأساس وكنت أعيب على بعض الطلبة حين
يناقشون في أي أمر وأقول في نفسي إن الطلبة عندهم حب الجدال في أي شيء وكان
كل أمر يأتي من الإخوان أرى أن في طاعة هذا الأمر طاعة لله فبعد ذلك حتى ضموني إلى النظام
السري في هيئة الخلية المكونة من ثلاثة أفراد وبعد تكوين هذه الخلية بقليل طلبوا مني أنا
وسعد حجاج مراقبة منزل أنور السادات وجريدة الجمهورية مقر عمله ومراقبة الطريق عليه
وطريقة مواجهته للاغتيال وبعد دراسة وافية استقر الأمر على مهاجمته في باب دار الجريدة وفي هذا
الحين قرأت الاستخارة لا تبين حقيقة الأمر هذه الاستخارة أيضا قد علمنا إياها
الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة المأثورات وهي الأدعية والأوراد الثابتة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهي فائدة أن الأمر إن كان خالصا لوجه الله يسره الله وإن كان غير ذلك
يدفعه الله وبعد قراءتي لهذه الاستخارة أتاني الأخ توفيق الكاتب بهذه المهمة وقال
انتظروا حتى يأتي أمر التنفيذ وبعد ذلك انقطع عنا مدة حتى علمت بعد ذلك أنه قبض عليه
خارج القاهرة وتسلم مكانه توفيق هنداوي دويدار وقال أنا أعلم كل الأخبار فقلت
خيرا إن شاء الله وقبل الحادث بأسبوع أخبرني أنا وسعد حجاج بأمر الإخوان

باغتيال الرئيس جمال عبد الناصر وقال لنا أي واحد منا نحن الثلاثة يستطيع
أن الفرصة ينفذ هذا الأمر ففي هذا الحين قرأت أيضا الاستخارة وبعد ما بيوم قال
هنداوي زاد في الأمر وكان لم يعطيني سلاحا بعد وبعد ما بيومين أعطى لي السلاح
وقال سير على بركة الله وقبل الحادث بيوم قابلته وأخبرته بأن الرئيس مسافر الإسكندرية
لإقامة احتفالات شعبية وإني معتزم السفر فتردد قليلا ثم قال سافر على بركة الله فسافرت
وارتكبت الحادث ومن نعمة الله علي أنني لم أصب بدماء الرئيس جمال عبد الناصر
وأنقذه الله بها وعلمت من التحقيق في الجلسة الثانية من هنداوي دويدار أن هذا
الاغتيال السياسي لم يكن من الإسلام في شيء وإنما هو ميراث ورثناه من قبل وفي
[illegible] أن هذه العبارة هي من قول الكافرين الذين قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على
آثارهم مقتدون فلو كنت أعلم هذا من قبل لناقشت كل أمر كان يأتيني من
الإخوان ولكنت أنا أول منفذ في هذا الشأن لأني كنت آخذ كلامهم عن ثقة وبيقين
بأنه للإسلام فأحب أن أنبه جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى هذا
بأن لا يأخذوا من أي أحد يتقولون من المسلمين أمرا حتى يتبينوا هل هذا يرضي الله والإسلام
أم لغير ذلك وإني قلت هذا الكلام لا طمعا في تخفيف العقوبة ولكن إحقاقا
للحق والأمر بين يدي عدالة الحق فهو صاحب الشأن والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل والسلام عليكم يا سيدي الرئيس ورحمة الله وبركاته

محمود عبد اللطيف

محمود عبد اللطيف

يعترف وبخط يده بمحاولة اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أذكر بعض عبارات كان قد ذكرها هنداوي في بيعة خاصة أنا وهو وهذه العبارة هي «إن الله يحب أن يرى هذا الدم السائل يجري في سبيل الله» وكان في معظم ختام البيعة يختتم بهذه [illegible] الآية الكريمة «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» وقد ذكر هنداوي ذلك في شهادته أني كنت متحمس فكان أولى به وليس أنه يوجه هذا التحمس إلى وجهة صحيحة سليمة

[illegible]



فتحي البوز
المحامي احد القادة الكبار ١٩٥٤

وثائق الإخوان وبياناتهم السرية أثناء صدام ١٩٥٤م

بيـــان ونـــذير

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد رسوله ومصطفاه اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونشكرك ونتوسل إليك – ونحمد لك الحمد كله ونتوكل عليك – حمداً ينم عما يجيش فى صدورنا – وما يعتمل فى قلوبنا ..

وبعد .. فإن الأحداث تطورت داخل الإخوان ووصلت إلى درجة لم يعد يحتملها أى مخلص لدعوة الإسلام . وإننا إذ نحمد الله على السراء والضراء لنثق ثقة تامة فى عدالته .. ونؤمن إيماناً عميقاً فى أنه ما من كرب إلا الله مفرجه وما من خطر يحيق بالجماعة إلا والله كاشفه وراده إلى نحور الذين عميت قلوبهم ، فأخذوا يقررون مصيرهم المحتوم بأنفسهم ، ولقد شاءت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يظهر نور الحق ويكشف عما يدور فى جنح الظلام ، مما يدبره حفنة من الخارجين على الدعوة ، الكافرين بمبادئها .

أيها الإخوان الأحرار .. وصل الاستاذ الهضيبى إلى منصب المرشد العام فى ظروف ليست خافية على أحد من الإخوان وبمساعدة خصوم الدعوة ليسير بالجماعة فى طريق رسموه له ، أبعد ما يكون من مبادىء الجماعة ، وظل يتظاهر بالغيرة على الدعوة ، وبإيمانه المتزايد على حقوق الإخوان ، وبدى للإخوان الأحرار مقاصده الحقيقية ، وخطته الملتوية التى أراد بها أن يغير من نظام الجماعة حتى يضمن الموقف فى يده ، ويظهر ذلك بجلاء فى إجتماعات يعقدها مع الخوارج لغاية اليوم ، ليحارب المؤمنين الثابتين على ما عاهدوا الله عليه والإمام الشهيد .. أنه يريد إقصاء الأخ المؤمن الحاج صالح العشماوى لأنه كشف عن إنحرافه عن سبيل الرشاد ، وأظهر إجتماعاته الخطيرة مع أعداء الله من الإنجليز التى حضرها واشترك فى تدبيرها الخوارج (منير الدله ، صالح أبو رقيق) ولقد زاد الأمر خطورة لا يمكن التغاضى عنها ، إذ اتجه الاستاذ الهضيبى إلى عقد إجتماعات سرية مع أعداء الله من الأمريكيين فعقد مع (مستر لنت فى وجود الخوارج ، محمود مخلوف مدير شركة البيبسى كولا اليهودية) وخيل إليه أن نبأ هذه الإجتماعات لن يصل إلى الإخوان .

أيها الأخ المؤمن .. لم يبق وقت قصير فهل صحوت من غفوتك وتداركت الفتنة ؟ وهل حزمت أمرك وأعددت المدة لليوم الفصل ؟ يجب عليك أن تعمل بكل ما أوتيت من قوة لمبايعة الأخ الصالح الحاج صالح عشماوى مرشداً عاماً .. أنك إن فعلت ذلك فقد أرضيت ربك وأرضيت روح الشهيد الإمام .

آن الوقت الذى لابد من نصرة الدعوة كما علمنا أياها فضيلة الإمام الشهيد وتثبيت مبادئها ونظمها وتظهير الجماعة ممن كفر بها بعد أن ظل حينا يتظاهر بالإيمان فحق عليه قول الله سبحانه : ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم إزدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ .

أيها الأخ المسلم .. يقول الله عز وجل : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ صدق الله العظيم .

أيها الأخ .. هذا هو الاستاذ الهضيبى ومن حوله ، وهذه هى طريقتهم ومدى إيمانهم بالدعوة الإسلامية ، ونحن الإخوان الأحرار ندعوك إلى القيام بدورك وواجبك الذى لا شك أنك ستقوم به بإذن الله ومشيئته .

والله أكبر ولله الحمد   الأخوان الأحرار

بسم الله الرحمن الرحيم
منشور سرى للإخوان

نحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمه فضلا عميما ، وخيراً كثيراً ، وجنبنا تبارك وتعالى مواطن الزلل وهفوات اللسان ، وزادنا إيماناً فوق إيماننا ، وقوى بالإسلام شوكتنا ، وألف بالتقوى والصلاح بين قلوبنا ، ووحد أهدافنا لخير الدعوة الإسلامية .

أما بعد ، فيا أيها المؤمنون .. إن الأيام تمر بنا سريعاً وعجلة الزمان تقف والخطر يحدث بنا إن لم نتداركه أصابنا فى صميم دعوتنا التى كافحنا بدمائنا فى سبيل نشر لوائها بين العالمين ، ولقد كتب علينا أن نكافح من جديد ضد عدو من بيننا لبس مسوح الرهبان وكشفت الأيام عن حقيقته فإذا به مخادع منافق يستغل دعوتنا الإسلامية ، وأباح لنفسه ما حرمه على نفسه فضيلة الإمام الشهيد ، ألا وهو الاستاذ الهضيبى ، الذى شرع فى بث روح الفرقة بين صفوفنا ، وأرادها نارا تأخذ اليابس والأخضر وأرادها فتنة تفرق صفوف الإخوان الذين ظلوا كالطود الشامخ ، تألبت عليهم جميع القوى لتفت فى عضدهم فلم تستطع ، حاربهم المستعمر وحالفه الملك المخلوع والأحزاب المنحلة مجتمعة فلم تصل إلى بغيتها ، وأراد الله للإخوان إمتحاناً رهيباً اجتازوه بقوة إيمانهم وتمسكهم بالدعوة إلى بناها فضيلة المرشد الشهيد حسن البنا وظل يكافح فى سبيلها حتى سالت دماؤه زكية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

أيها الإخوان .. سلك الاستاذ الهضيبى بالإخوان طريقا أراده لنفسه واستغله لشخصه ومن حوله ، وأباح مال الدعوة لغير غرضه ، ولنزوات دنيوية ومصالح ذاتية ، واستن عملا ظنه يوصله إلى ما يريد ، فأبعد المخلصين عن مكانهم فى الدعوة ، وحشر المنافقين الوصوليين ، وغرته الحياة الدنيا وزينتها ، فنسى جلال الدعوة وهيبة المنصب الذى وصل إليه ، وانحرف عن الطريق السوى وأخذ يدعى على الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا الكذب والبهتان ويرميه بقاسي القول فى جلساته الخاصة ، وهمس بين أصفيائه متقولا على المرشد الشهيد ، وأصبحت الجماعة من تدبيراته مهددة بالفتنة والفرقة وهو ما لم تقدر عليه جميع القوى فيما مضى .. ولم يكتفى بذلك بل أخذ يعقد الندوات مع أعداء الله من المستعمرين ويحرر معهم معاهدات وإتفاقات وما زال يقابل الإنجليز ، وكفر بنعمة الله وبدعوة الجماعة ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ من أجل ذلك كله أقسمنا بالله وبالروحانية التى تنبعث من الدعوة على ألا يهدأ لنا بال حتى تنقشع الغمة وتزول المحنة التى أحاطت بالإخوان على يد الأستاذ

الهضيبى وأعوانه وصممنا على أن نعمل جاهدين لعزله ومبايعة الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا ونحن نعد العدة ولن يقف فى سبيلنا شىء ما دمنا مؤمنين وسنبذل الدماء فى سبيل الحق ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ .

شباب حسن البنا

الله أكبر ولله الحمد

منشور سرى
التأمين الفردى

تدور هذه الأيام معركة بيننا وبين المخابرات والمباحث وكل همهم جمع أكبر قسط من المعلومات عن نشاطنا والبحث عن القادة توطئة لتجريد حملة واسعة النطاق يقوم بها مئات من رجال البوليس الحربى عندما ينطلق صفير البدء ولمقاومة هذه المعركة ثلاث طرائق :

الطريقة الأولى : تم إعدادها والحمد لله المستعان .

الطريقة الثانية : سلبية ومبادئها السلبية هى :

١ – دقة الملاحظة : ومعناها إستطاعتك فهم وإكتشاف كل ما يدور حولك عندما تطل من نافذة منزلك أو يدق بابك شخص غريب ويوجه لك أو لمن يفتح له الباب سؤالاً أعزب ، وعندما تسير فى الطريق العام فتجد أشخاصاً يتبعونك أو يتسكعون فى المنعطفات وفى كل مكان فى المدينة أن ملابسهم وحلاقة رؤوسهم ونظرات عيونهم وحركاتهم ولهجتهم تفضحهم دائماً .

٢ – الخداع : ومعناه تضليل العيون والأرصاد عن سكنك وتحركاتك وملابسك وطريقة سيرك وعاداتك وعما إذا كنت بالمنزل أم خارجه ومن يكون أصدقائك وهل أنتم مجتمعون أم لا وهناك وسائل لا تعد ولا تحصى منها :

أ – إنارة نور المنزل بينما أنت فى الخارج وأطفاؤه بينما أنت مجتمع فيه .
ب – الخروج بملابس أفرنجية والرجوع بملابس مدنية متنوعة .
جـ – عقد الإجتماعات وقت القيلولة بحديقة الحيوانات أو الأسماك أو فى أحد القوارب الخ ..
د – الاستعانة بالزوجات (الأخوات) أو ، الصبيان فى تبادل الرسائل أو نقل العتاد .
هـ – التحدث تليفونيا مع أهل دارك مستفسرا عن نفسك فيجاب عليك أو على الوسيط (المعتمد من قبلك) بأنك مريض ولا تستطيع النزول من السرير .
و – استخدم وسائل مواصلات متنوعة عند ذهابك للإجتماع منها الأقدام والدراجات الخ .
ز – غير مسكنك بشرط نقل أثاث المنزل على مراحل زمية دون إشعار الرقباء بإستعمال العربات التى تدفع باليد كى لا تلفت النظر وليظن أنها مرسلة للإصلاح مثلا ، ويتم النقل فى الصباح المبكر أو ليلا وخلاصة الخداع أن تكون طبيعيا ولكن فى دهاء وسعة حيلة ومكر .

٣ – التفكير دائما فيما يجول برأس المباحث وبذلك تستطيع أن تسبقه فى عمل مضاد

وتفوت عليه مقصوده وحيلته .

الطريقة الثالثة : إيجابية : ونود من الجميع الاستعداد لها فورا وعدم التسليم إلا جثة هامدة أو النصر المبين إن شاء الله .

لهذا ندعو لإتباع الآتى :

١ – طهر دارك من جميع الأوراق السرية التى تدينك وإن كان ولابد من وجودها فابتكر وسيلة سلمية للتخلص منها ومن آثارها عند حدوث كبسة .

٢ – خصص فردا خارج الدار خاصة أثناء الإجتماعات الهامة لينذرك بالكبسة فى وقت مبكر .

٣ – ضع نصب عينيك أن القائمين بالكبسة جبناء خائروا العزيمة لأنهم يحاربون دعوة الحق . لهذا كان واجبنا جميعا مقاتلتهم بغلظة وإيقاع أكبر ما يمكن من الخسائر فيهم وتضعف من روحهم المعنوية .

أما ماذا تفعل إذا أيقنت أنهم أتوا بالقبض عليك فاتبع الآتى :

١ – أغلق باب الشقة بإحكام وبترباس غليظ معدا من قبل وبالمفتاح وأشدد عليه بأثاث المنزل .

الخطــــة

١ – فى حالة حل الجماعة أو تحديد إقامة أحد ضباط الأعصاب والاستعداد .

٢ – فى حالة الاشتباك بالإخوان وكثرة الإعتقالات تبدأ عملية التجريد من الداوريات وأماكن الحرس .

٣ – يتبعها عملية تصفية موقف الأفراد المعاديين .

٤ – تعطيل وسائل المواصلات المذكورة فى الدراسة .

٥ – فى جميع الحالات السابقة تستمر عملية إصدار النشرات التى يصدرها الإقليم أو تصل إليه من القاهرة .

٦ – تستمر عمليات المقاومة حتى يكتب الله لنا النصر إن شاء الله .

٧ – عدم التبذير فى الرجال والمحافظة عليهم بقدر الإمكان وتجنب الأعمال المكشوفة .

ملحوظة : يبدأ فى هذه العمليات بعد العملية الرئيسية مباشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مهمة (الإخوان فى المعركة) أيها القارىء الكريم أن نعرض عليك الحقائق سافرة - دون غش أو غرض - لا رقيب عليها سوى الحق تبارك وتعالى - نرجو رضاه - وبالحق تصدع لا تخشى فيه لومة لائم .

العدد ١١ - ذو القعدة ١٣٧٣هـ
السنة الأول - يوليه ١٩٥٤م

الإخوان فى المعركة
لسان الدعوة الإسلامية

أقرأ فى هذا العدد

«صورة زنكوغرافية للعدد (١١) من منشور الإخوان فى المعركة» .

امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦م

معلوم أن المعاهدة التى وقعها النحاس فى سنة ١٩٣٦م مع الإنجليز ينتهى أجلها فى سنة ١٩٥٦م ، وبذلك ينتهى الاستعمار البريطانى فى مصر وتتحرر البلاد من جميع القيود الإستعمارية ، وقد ظل الإنجليز فترة طويلة يرفضون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة المصرية (حكومة الثورة) مما دعا هذه الحكومة إلى الإلحاح فى فتح باب المفاوضات والترامى على إقدام بعض الدول للتوسط بينها وبين الإنجليز ، فقد طلبت حكومة الثورة من حكومة الهند ثم من حكومة لبنان ثم من أمريكا التدخل لدى الإنجليز للدخول فى المفاوضات ، وأحس الإنجليز بأن معاهدة سنة ١٩٣٦م أوشكت على الإنتهاء ولم يبق من أجلها سوى سنتان ، وأحسوا كذلك بالفراغ الذى يعقب هذا الأجل ، فقبلوا الدخول فى المفاوضات نزولاً على وساطة الوسطاء فى الظاهر ورغبة فى ملء الفراغ الذي يعقب إنتهاء الأجل - فى الحقيقة - وقد تبين من أمر المعاهدة الأمور الآتية :

(١) أن يتم الجلاء فى مدة سنتين ومعنى ذلك الجلاء الذى تفرضه معاهدة سنة ١٩٣٦م .

(٢) قبول عودة الجيوش الإنجليزية والأمريكية إلى قاعدة القناة فى أى وقت تشاء إذا هوجمت تركيا .

(٣) أن تظل قناة السويس تحت إدارة البريطانيين من عسكريين ومدنيين (خبراء بملابس مدنية) ، ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف ، وذلك لمدة عشر سنوات .

وهذا فى حقيقته إمتداد لمعاهدة سنة ١٩٣٦م ، وتجديد لها لمدة عشر سنوات أخرى ، فماذا كسبت مصر من ذلك ؟

إتفاق سرى مع إسرائيل

يشيع فى بعض الأوساط المطلعة على بواطن الأمور أن رئيس الحكومة المصرية عقد اتفاقاً سريا مع إسرائيل على الأسس الآتية :

(١) أن تقف إسرائيل موقف الحياد من النزاع المصرى البريطانى حول منطقة القناة .

(٢) أن تقف الحكومة المصرية موقف الحياد من أى نزاع يقع بين إسرائيل وبين باقى البلاد العربية .

(٣) أن تقوم كل من الحكومة المصرية وإسرائيل بالحراسة الدقيقة للحدود المشتركة فى قطاع غزة حتى لا يقع إعتداء من العرب على اليهود أو العكس .

(٤) إن ينسحب الجيش المصرى من منطقة غزة ومن شبه جزيرة سيناء وتبقى فيه قوة رمزية .

وإذا صحت هذه الأخبار فإنها تكون كارثة من أعجب ما رأت الدنيا من الكوارث وإليك الشواهد الآتية :

(١) صرح الصاغ صلاح سالم فى إجتماع له بضباط الجيش تصريحاً حاسماً مضمونه أننا سوف لا ندخل فى حرب مع اليهود ، وإننا سوف لا نشتبك معهم بأى حال من الأحوال ما دامت القوات البريطانية موجودة فى منطقة القناة .

(٢) صرح أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة أمام كثيرين بأن قوة إسرائيل متفوقة بمراحل كثيرة عن قوة الجيش المصرى والجيوش العربية عامة وخصوصا فى سلاح الطيران والبحرية .

(٣) تطبيقاً لهذا الإتفاق انسحبت فرق الجيش المصرى من منطقة غزة وسيناء ولم تبق إلا قوة بسيطة لا تستطيع مجرد الوقوف أمام أى هجوم إسرائيلى يقع على الحدود .

(٤) الموقف السلبى الذى تقفه فعلا الحكومة المصرية (الثورة) من العدوان الإسرائيلى على حدود الأردن ومدينة القدس وغيرها من البلاد العربية .

أخبـــــار

* طلبت الحكومة البريطانية نسخة من قانون المجلس الوطنى الاستشادرى على أثر البدء فى التفاهم بينها وبين الحكومة المصرية وذلك للنظر فيما إذا كان يصلح للتصديق على المعاهدة الجديدة أم لا ؟

* اشترطت الحكومة البريطانية أن تكون المحادثات مع الدكتور محمود فوزى وحده .

على أثر طلب الحكومة البريطانية لقانون المجلس الوطنى أجلت الحكومة المصرية تشكيل هذا المجلس .

* اشيع فى بعض الأوساط أن البكباشى أنور السادات رقى إلى رتبة القائمقام وأحيل إلى المعاش ليعين رئيساً للمجلس الوطنى الاستشارى (المنتظر) .

* فصل من الخدمة وأحيل إلى المعاش - فى خلال شهر واحد - مائة ضابط من مختلف الأسلحة - وأغلبهم من سلاح الفرسان - وقد بلغ عدد المفصولين من الجيش إلى الآن حوالى الألف ضابط .

أضواء على الموقف السياسى

* صرح البكباشى جمال عبد الناصر لمندوب جريدة الديلى ميل (الإنجليزية) أن بريطانيا ستزعم الحركة التجارية فى مصر إذا سويت مسألة القناة وأنه بموجب الإتفاق العاجل مع بريطانيا ، وأكد جمال عبد الناصر أنه لا يستطيع إقناع الشعب المصرى بفكرة الجلاء فى الوقت الذى يبقى فيه فى القناة أربعة آلاف خبير بزيهم العسكرى .

* نشرت جريدة ديلى إكسبريس البريطانية خبرا لمراسلها فى القاهرة بأن مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية ، أما بريطانيا فتطالب بسرعة عودة جيوشها إلى منطقة القناة فى حالة نشوب حرب ، ونقل المراسل حديثاً عن مسئول فى السفارة البريطانية قال فيه أن مسألة الزى العسكرى للفنيين قد تم الإتفاق عليها وأما مسألة السماح للقوات البريطانية

بالرجوع إلى القناة فى حالة الإعتداء على تركيا فقد حصلت بريطانيا على موافقة الحكومة المصرية فى شأنها نظير أن تتخلى بريطانيا عن تمسكها بوجوب إرتداء الزى العسكرى للفنيين ، وذكر المراسل أن جمال عبد الناصر هو الذى إقترح هذا الحل وأبلغه إلى السفير الأمريكى لعرضه على السفير البريطانى .

الإستعمار الأمريكى فى مصر

أعدت وزارة المستعمرات الأمريكية (النقطة الرابعة) سلسلة مشروعات تستوعب نشاط الوزارات المصرية تقريبا ، حتى أصبح لها ما يزيد على ثلاثين مشروعاً داخل البلاد المصرية فى سائر الوزرات ، وفى هذه الوزارات ، أموال أمريكية وخبراء أمريكان وموظفون تابعون لإدارة النقطة الرابعة ، وقد أعطت الحكومة المصرية (حكومة الثورة) لأمريكا إمتياز البحث عن البترول فى الصحراء الغربية فى مساحة تزيد عن جميع الأراضى المزروعة والمعمورة فى القطر المصرى ، وتفيد بعض الأنباء أن أمريكا ستقيم فى هذه المناطق عدة مطارات وستنشىء عدة مستعمرات أمريكية ؟ ومع ان الاستعمار الأمريكى ما زال فى بداية عهده فى مصر فقد حصل على كل هذه الإمتيازات فى عام واحد فى عهد حكومة الثورة السعيد ؟

«صورة زنكوغرافية لصفحات العدد (١١) من منشور الإخوان فى المعركة» .



الشهيد سيد قطب

إعداد مفكر = إعداد أمة

==================

بسم الله الرحمن الرحيم
ان مهمة (الاخوان فى المعركة)
ايها القارىء الكريم ان نعرض
عليك الحقائق سافرة ـ دون غش
او غرض ـ لا رقيب عليها سوى الحق
تبارك وتعالى ـ نرجو رضاه ـ
وبالحق تصدع لاتخشى فيه لومة لائم

==================

العدد ١١ ـ ذو القعدة ١٣٧٣
السنة الاولى ـ يوليه ١٩٥٤

الاخوان فى المعركة

لسان الدعوة الاسلامية

========
====
==
=

اقرأ فى هذا العدد

« صورة زنكوغرافية للعدد (١١) من منشور الأخوان فى المعركة »

- ١ -

امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦

معلوم ان المعاهدة التى وقعها النحاس فى سنة ١٩٣٦ مع الانجليز ينتهى اجلها فى سنة ١٩٥٦ ، وبذلك ينتهى الاستعمار البريطانى فى مصر وتتحرر البلاد من جميع القيود الاستعمارية ، وقد ظل الانجليز فترة طويلة يرفضون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة المصرية (حكومة الثورة) مما دعا هذه الحكومة الى الالحاح فى فتح باب المفاوضات والترامى على اقدام بعض الدول للتوسط بينها وبين الانجليز ، فقد طلبت حكومة الثورة من حكومة الهند ثم من حكومة لبنان ثم من امريكا التدخل لدى الانجليز للدخول فى المفاوضات ، واحس الانجليز بان معاهدة سنة ١٩٣٦ اوشكت على الانتهاء ولم يبق من اجلها الا سنتان ، واحسوا كذلك بالفراغ الذى يعقب هذا الاجل ، فقبلوا الدخول فى المفاوضات نزولا على وساطة الوسطاء فى الظاهر ورغبة فى ملء الفراغ الذى يعقب انتهاء الاجل — فى الحقيقة — وقد تبين من امر المعاهدة الامور الآتية :

(١) ان يتم الجلاء فى مدة سنتين ومعنى ذلك الجلاء الذى تفرضه معاهدة سنة ١٩٣٦ .

(٢) قبول عودة الجيوش الانجليزية والامريكية الى قاعدة القناة فى اى وقت تشاء اذا هوجمت تركيا .

(٣) ان تظل قاعدة قناة السويس تحت ادارة البريطانيين من عسكريين ومدنيين (خبراء بملابس مدنية) ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ اربعة آلاف ، وذلك لمدة عشر سنوات .

وهذا فى حقيقته امتداد لمعاهدة سنة ١٩٣٦ وتجديد لها لمدة عشر سنوات اخرى ، فماذا كسبت مصر من ذلك ؟؟؟

اتفاق سرى مع اسرائيل

وعلم من بعض الاوساط المطلعة على بواطن الامور ان رئيس الحكومة المصرية عقد اتفاقا سريا مع اسرائيل على الاسس الآتية :

البقية فى الصفحة التالية

- ٢ -

(١) ان تقف اسرائيل موقف الحياد من النزاع المصرى البريطانى حول منطقة القناة .

(٢) ان تقف الحكومة المصرية موقف الحياد من اى نزاع يقع بين اسرائيل وبين باقى البلاد العربية .

(٣) ان تقوم كل من الحكومة المصرية واسرائيل بالحراسة الدقيقة للحدود المشتركة فى قطاع غزة حتى لا يقع اعتداء من العرب على اليهود او العكس .

(٤) ان ينسحب الجيش المصرى من منطقة غزة ومن شبه جزيرة سيناء وتبقى فيه قوة رمزية .

واذا صحت هذه الاخبار فانها تكون كارثة من اعجب ما رأت الدنيا من الكوارث واليك الشواهد الآتية :

(١) صرح الصاغ صلاح سالم فى اجتماع له بضباط الجيش تصريحا هاما مضمونه اننا سوف لا ندخل فى حرب مع اليهود وانا سوف لا نشتبك معهم باى حال من الاحوال ما دامت القوات البريطانية موجودة فى منطقة القناة .

(٢) صرح احد اعضاء مجلس قيادة الثورة امام كثيرين بان قوة اسرائيل متفوقة بمراحل كثيرة من قوة الجيش المصرى والجيوش العربية عامة وخصوصا فى سلاح الطيران والبحرية .

(٣) تطبيقا لهذا الاتفاق انسحبت فرق الجيش المصرى من منطقة غزة وسيناء ولم تبق الا قوة بسيطة لا تستطيع مجرد الوقوف امام اى هجوم اسرائيلى يقع على الحدود .

(٤) الموقف السلبى الذى تقفه فعلا الحكومة المصرية (الثورية) من العدوان الاسرائيلى على حدود الاردن ومدينة القدس وغيرها من البلاد العربية .

الاخبار فى صفحة ٤

- ٤ -

الاخبار

= طلبت الحكومة البريطانية نسخة من قانون المجلس الوطنى الاستشارى على اثر البدء فى التفاهم بينها وبين الحكومة المصرية وذلك للنظر فيما اذا كان يصلح للتصديق على المعاهدة الجديدة ام لا ؟؟؟

= اشترطت الحكومة البريطانية ان تكون المحادثات مع الدكتور محمود فوزى وحده .

= على اثر طلب الحكومة البريطانية لقانون المجلس الوطنى اجلت الحكومة المصرية تشكيل هذا المجلس .

= اشيع فى بعض الاوساط ان البكباشى انور السادات رقى الى رتبة القائمقام واحيل الى المعاش ليعين رئيسا للمجلس الوطنى الاستشارى (المنتظر)

= فصل من الخدمة واحيل الى المعاش فى خلال شهر واحد — مائتا ضابط من مختلف الاسلحة — واغلبهم من سلاح الفرسان — وقد بلغ عدد المفصولين من الجيش الى الآن حوالى الالف ضابط .

اضواء على الموقف السياسى

= صرح البكباشى جمال عبد الناصر لمندوب جريدة الديلى ميل (الانجليزية) ان بريطانيا ستحرم الحركة التجارية فى مصر اذا سويت مسألة القناة وانه يرحب بالاتفاق العاجل مع بريطانيا ، واكد جمال عبد الناصر بانه لا يستطيع اقناع الشعب المصرى بفكرة الجلاء فى الوقت الذى يبقى فيه فى القناة اربعة آلاف خبير بزيهم العسكرى .

= نشرت جريدة ديلى اكسبرس البريطانية خبرا لمراسلها فى القاهرة بان مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية ، واما بريطانيا فتطالب بسرعة عودة جيوشها الى منطقة القناة فى حالة نشوب حرب ، ونقل المراسل عن احد المسئولين فى

البقية فى صفحة ٥

- ٥ -

بقية المنشور فى الصفحة الرابعة

السفارة البريطانية قال فيه ان مسألة الزى العسكرى للفنيين قد تم الاتفاق عليها واما مسألة السماح للقوات البريطانية بالرجوع الى القناة فى حالة الاعتداء على تركيا فقد حصلت بريطانيا على موافقة الحكومة المصرية فى شأنها نظير ان تتخلى بريطانيا عن تمسكها بوجوب ارتداء الزى العسكرى للفنيين وذكر المراسل ان جمال عبد الناصر هو الذى اقترح هذا الحل وابلغه الى السفير الامريكى لعرضه على السفير البريطانى .

الاستعمار الامريكى فى مصر

اعدت وزارة المستعمرات الامريكية (النقطة الرابعة) سلسلة مشروعات تستوعب جميع نشاط الوزارات المصرية تقريبا ، حتى اصبح لها ما يزيد على ثلاثين مشروعا داخل البلاد المصرية فى سائر الوزارات ، وفى هذه الوزارات اموال امريكية وخبراء امريكان وموظفون تابعون لادارة النقطة الرابعة ، وقد اعطت الحكومة المصرية (حكومة الثورة) لامريكا امتياز البحث عن البترول فى الصحراء الغربية فى مساحة تزيد من جميع الاراضى المزروعة والمعمورة فى القطر المصرى ، وتفيد بعض الانباء ان امريكا ستقيم فى هذه المناطق عدة مطارات وستنشئ عدة مستعمرات امريكية ؟؟؟ ومع ان الاستعمار الامريكى ما زال فى بداية عهده فى مصر فقد حصل على كل هذه الامتيازات فى عام واحد من عهد حكومة الثورة السعيد ؟؟؟

« صورة زنكوغرافية لصفحات العدد (١١) من منشور الاخوان فى المعركة

الفصل الخامس

عبد الناصر والانتصار الأول

حرب السويس

١٩٥٦



عبد الناصر والإنتصار الأول
(حرب السويس ١٩٥٦م)

كانت حرب السويس ١٩٥٦م ، نقطة فاصلة فى الصراع الدولى حول الشرق الأوسط ، وكانت إيذاناً بسقوط الإمبراطوريات الإستعمارية القديمة (بريطانيا وفرنسا) وصعود الإمبراوريات الجديدة (الإتجاد السوفيتى والولايات المتحدة) ، ولأول مرة أتت القطبية الثنائية الجديدة المتحكمة فى العالم آنئذ ، من خارج أوربا التقليدية ، وأتمت معها سياسات ومصالح وحروب جديدة كان لمصر - عبد الناصر - نصيب وافر منها .

* ولأهمية وخطورة هذه (الحرب الفاصلة) ، والتى كان لإدارة عبد الناصر السياسية البارعة (على حد وصف محمد حسنين هيكل فى كتابه الهام ملفات السويس) أو تلك المثير للإعجاب (على حد وصف الصحفى الأمريكى الشهير ساى سالزبيرجر فى كتابه «آخر العمالقة») ، لأهمية هذه الحرب ، فإننا سوف نعقد لها هذا الفصل الموجز محللين إياها من خلال المحاور التالية :

أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربى والدولى عشية حرب السويس .
ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة .
ثالثاً : تقديم المفكرين المصريين لحرب السويس .
رابعاً : نتائج الحرب .

* وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربى والدولى عشية حرب السويس :

كان العالم مع بدايات العام ١٩٥٦م ، قد بدأ فى التحول التدريجى تجاه ذاته وتجاه قضاياه الأساسية ، ومع إقتراب هذا العام من نهايته ، كان العالم قد تبدلت بعض ملامحه ، وكان لواقعة السويس الفضل الأول فى إحداث هذا التبدل ، فلقد جاءت الحرب فى وقت لم يعد فيه مجال للشك فى أن شكل النظام الدولى الجديد مكون من قطبي يستأثران بقمة النظام .

«وكانت الولايات المتحدة قد بدأت فى ممارسة دور نشط فى المنطقة العربية مستندة إلى النفوذ المتراكم للدول الإستعمارية الأوروبية ودعت إلى مشاريع الدفاع عن الشرق





الرئيس الشهيد دمعت عيناه وقد قبل علم مصر ورفعه على السارية التى تعلو مبنى شركة قناة السويس السابقة .. بعد أن أنزل علم الشركة .

الأوسط والحلف المركزى .

وقد بلغ التوتر الدولى أشده، نتيجة اتساع مجالات العمل السياسى الخارجى للدولتين العظيمين وقيام الولايات المتحدة بإنشاء سلسلة من الأحلاف العسكرية التى تحيط بالإتحاد السوفيتى .

وحاول الإتحاد السوفيتى بإستمرار النفاذ من هذا الطوق بتشجيع حركات التحرر وإثارة المشاكل فى وجه الاستراتيجية الأمريكية عن طريق مساندة دول العالم الثالث المستقلة حديثاً والتى إتبعت سياسة الحياد وخصوصاً بعد موت ستالين ١٩٥٣م والتى إنعكس آثارها على المنطقة العربية بعقد صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر فى ١٩٥٥م .

ويمكن تلخيص الأوضاع الإقليمية فى المنطقة فى الآتى وفقا لما ذكره اللواء الدكتور/ محمود خليل فى رسالته للدكتوراه عن (الأمن القومى العربي والمصرى) :

أ - لم يكن عدد الأقطار المستقلة يتعدى ثمانية أقطار وهى مصر وسوريا والعراق والسعودية والأردن واليمن ولبنان وليبيا «ويلاحظ أن كل الأقطار كانت تعتمد تماما على القوى الغربية فى التسليح ما عدا مصر التى لجأت للكتلة الشرقية كما يلاحظ تفوق إسرائيل منذ قيامها فى القوة العسكرية على قوة تلك الأقطار كلها[1] .

ب - تركز الصراع داخل النظام فى تلك الفترة بين مصر والعراق حول مسألة التحالف مع الغرب وبالذات حلف بغداد حيث قررت الجامعة العربية فى ديسمبر ١٩٥٤م على أن الدفاع عن البلاد العربية لا يتم إلا بتوثيق الروابط العسكرية فيما بينها لكن العراق أعلن توقيع ميثاق للتحالف مع تركيا فى فبراير ١٩٥٥م .

وقد أيدت مصر كلا من السعودية وسوريا واليمن ووقعوا معا ميثاق تضمن رفض الدخول فى أى أحلاف ، والتعاون فيما بينها فى المجالات العسكرية والإقتصادية .

وهكذا استمرت العلاقات بين السعودية ومصر خلال هذه الفترة وثيقة وشهدت إتفاقات عسكرية بينهما وإنضمت إليها اليمن .

«أما سوريا فقد لعبت دورا كبيراً ضد محاولات مصر فى الجامعة العربية لإدانة وعزل العراق فى فبراير ١٩٥٥م لكنها كانت منقسمة على نفسها إزاء حلف بغداد

(١) صلاح العقاد . قضية فلسطين . المرحلة الحرجة ٤٥ - ١٩٥٦ . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ٧٢ وما بعدها .

وتشكلت جبهة جديدة من العناصر الوطنية المعادية للغرب ووصلت للحكم وفور توليها الحكم أعلنت تأييدها لمصر ووقعت معها معاهدة دفاع مشترك» .

وأما الأردن فقد كان يخضع لضغوط شديدة من قبل العراق وبريطانيا للإنضمام لحلف بغداد وأرسلت بعثة تمبلر لجذب الأردن فى ديسمبر ١٩٥٥م لكنها أدت إلى أزمة داخلية شديدة حيث إستقال الوزراء الفلسطينيون من الحكومة ونشبت المظاهرات وتم طرد غلوب باشا فى مارس ١٩٥٦م ثم وصلت حكومة وطنية للحكم فى إنتخابات ١٩٥٦م فى أكتوبر ووقعت معاهدة دفاع مشترك مع مصر ووافق الأردن على وضع قواتها المسلحة تحت قيادة مصر .

جـ - كانت العلاقة بين الأقطار العربية والكيان الصهيونى علاقة حرب وصراع منذ مايو ١٩٤٨م والتى قامت على أساسها إجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل فى جميع الميادين وإلتزمت الأقطار العربية بقرار مجلس الجامعة العربية فى إبريل ١٩٤٩م برفض الدخول فى أى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وأما عن الجانب العسكرى فإنه فى فبراير ١٩٥٦م إتسمت الجبهتان الشرقية والشمالية بالهدوء فيما عدا الإعتداءات الإسرائيلية على قرى الضفة الغربية وبحيرة الحولة وأما الجبهة المصرية فقد سادها الهدوء بصفة عامة إلى أن قامت إسرائيل بغارتها الوحشية على قطاع غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥م والتى ترتب عليها آثار خطيرة حيث أنه حتى ذلك التاريخ كانت القضايا الداخلية هى الغالبة على إهتمامات الحكم بحيث لم تكن القيادة المصرية قادرة على أن تدخل إسرائيل كعنصر أساسى من عناصر طموحاتها السياسية .

كما تؤكد الدلائل أن الإتجاه الرسمى بالنسبة للتسليح لم يتسم بالحماسة الشديدة أو يقترن باعتبارات الأمن الخارجى لأن الخطر الإسرائيلى لم يكن ماثلا مثل أخطار الوجود العسكرى البريطانى والإنقسامات الداخلية . فى أنه يمكن القول بأنه لو لم تحدث غارة غزة لاستمر النظام لوقت أطول لا يعطى الخطر الإسرائيلى وزنه لاستمر يقلل من أهمية التسليح لأغراض الأمن الخارجى .

ولكن تلك الغاره كانت هى الدافع الذى جعل التسليح يأتى فى مقدمة أولويات القيادة المصرية .

د - رفض الولايات المتحدة تمويل السد العالى وسحب العرض بطريقة تشكك فى سلامة

الإقتصاد المصرى وترجع الأسباب الحقيقية إلى صفقة الأسلحة التشيكية وإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين وقيام مصر بدور قيادى فى الوطن العربى وأحد مظاهرة معارضة حلف بغداد كما كانت القضية بالنسبة لبريطانيا وفرنسا تتعلق أيضا بسياسة مصر العربية حيث تجد بريطانيا المتاعب منها فى الأردن والعراق وتجد فرنسا منها المتاعب فى الجزائر وشمال أفريقيا .

وهكذا تعود أسباب العدوان الثلاثى إلى سياسة مصر العربية أكثر منها ما يتعلق بشركة القناة التى أممت .

هذا ويلاحظ أن عبد الناصر كان يرى فى إسرائيل خطرين إبان هذه الأزمة :

- خطر واقع بالفعل وهو ضياع حقوق الشعب الفلسطينى .
- خطر تزايد إحتمالات وقوعه وبوقوع غارة غزة أصبح هذا الخطر واقعاً بالفعل أى خطر التوسع الإسرائيلى .

مع وجود إرتباط بين إستمرار ضياع حقوق الشعب الفلسطينى وبين إستمرار وجود خطر توسع إسرائيل بحيث أن مقاومة أى من الخطرين يعتبر فى الوقت نفسه مقاومة ودفعا للخطر الآخر .

ويلاحظ أن غارة غزه هى محط رؤية عبد الناصر والقادة العرب لإسرائيل على أنها تشكل الخطر الرئيسى على الأمن المصرى والعربى .

ويظهر ذلك من مقارنة رؤية عبد الناصر لإسرائيل قبل وبعد غارة غزة فقبل غارة غزة فى يناير ١٩٥٥م أعلن «مهما يكن من أمر فإننا لا نريد أن نكون البادئين فى الصراع فليس للصراع والحرب مكان فى سياستنا الإنشائية التى رسمت لتحسين أحوال شعبنا .. أن أمامنا الكثير لنعمله فى مصر وأمام بقية الدول العربية الكثير من المهام كذلك وستضيع الحرب علينا كثيراً مما نسعى إلى تحقيقه .

أما بعد غارة غزة فى ٣ مارس ١٩٥٥م إذا كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى عام ١٩٤٨م فهى تهددنا الآن واليوم أقول لها نحن لها وأن الجيش المصرى تحت قيادة عبد الحكيم عامر يختلف عن الجيش قبل ذلك وأن الأساليب التى ساعدت على هزيمتنا فى الماضى قد إختفت ولن تعود أبدا وأننا سندافع عن الشرف وعن الوطن وسنرد العدوان بالعدوان وأن جميع إمكانات مصر ستعبأ فى هذا السبيل[1] .

(١) راجع بصفة أساسية مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر . القسم الأول ٢٣ يوليو ٥٢ ، يناير ١٩٥٨ ص ٦٨١ - ٦٩١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ص٢٧٧ .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة
جمال عبد الناصر

عن الإمام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية
سمو ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية
سيف الإسلام محمد



خارجا من مركز قيادة تحت الأرض فى غزة عام ١٩٥٦

والطريف أن عبد الحكيم عامر لم يفعل شيئاً تجاه إسرائيل طيلة حياته العسكرية وكانت نهايته بعد هزيمة ١٩٦٧ وقيل أنه قتل من عناصر دفعها صديقة عبد الناصر إلى ذلك .

ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة :

كثيرة هي المعلومات الخاصة بحرب السويس ، ولكننا سوف نورد هنا أكثر تحديدا وأهمية ، وإيجازاً ، وذلك من وقائع الوثائق الدولية المتاحة ، وبخاصة تلك التى أوردها محمد حسنين هيكل فى كتابه (ملفات السويس) .

فماذا تقول وقائع تلك الحرب ، من خلال ما أتيح لنا من وثائق ؟

لقد كانت مرحلة تنفيذ قرار تأميم قناة السويس بعد سحب تمويل السد العالى وما يتبعها من أحداث مجالاً خصباً للدبلوماسية ، ففى الوقت الذى كان يحرص فيه عبد الناصر على تأكيد أن قرار التأميم قرار نهائى غير قابل للمناقشة أو المساومة ، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان حملة سياسية عالميه هدفها فرض إدارة دولية على القناة وذلك من خلال مؤتمر دولى فى لندن لمناقشة شكل تلك الإدارة .

وقد إنعقد مؤتمر لندن يوم الخميس ١٦ أغسطس وقد توصل مؤتمر لندن إلى إرسال بعثة إلى مصر برئاسة متريس رئيس وزراء إستراليا وذلك بهدف التفاوض مع مصر حول إدارة دولية للقناة . وقد جاءت اللجنة إلى مصر وفشلت مهمتها بعد أن رفض عبد الناصر الإدارة الدولية للقناة .

ولم يقتصر الأمر عند فشل مهمة لجنة متريس ، ففى ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦م ، قدمت كل من بريطانيا وفرنسا شكوى ضد مصر إلى مجلس الأمن بسبب تأميمها لقناة السويس . ولهذا قرر عبد الناصر أن يتولى الدكتور فوزى بنفسه تمثيل مصر فى مجلس الأمن ، وكان عبد الناصر قد طلب من الدكتور فوزى قبل سفره إلى نيويورك أن يتحرك سياسياً بالطريقة التى يراها مناسبة على شرط واحد هو ألا تكون هناك إدارة دولية لقناة السويس ، وأنه إذا أصر الغرب على هيئة المنتفعين بقناة السويس فلتكن هذه الهيئة إستشارية تبدى آراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تقيد ولا تلزم .

وكان الدكتور فوزى قد وصل إلى نيويورك يوم ٣ أكتوبر ١٩٥٦ واتفق موعد وصوله بوصول أغلبية وزراء خارجية الدول الأعضاء فى مجلس الأمن . وقام الدكتور فوزى بسلسلة من الإتصالات قبل إنعقاد المجلس إتضحت بها صورة الموقف والطريق الذى ستسلكه الأزمة فى المجلس .

وفى نهاية إجتماعات مجلس الأمن تم التوصل إلى قرار المجلس والذى صدر فى ١٤ أكتوبر والذى تضمن ستة مبادىء هى :

١ - أن تكون الملاحة حرة ومفتوحة دون تمييز .
٢ - أن تحترم سيادة مصر .
٣ - أن تكون إدارة القناة منفصلة عن سياسات أى دولة كانت .
٤ - أن تحدد رسوم القناة بإتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة .
٥ - أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة .
٦ - يسوى الأمر بالتحكيم فى حالات التنازع .

ولم تتوقف الأحداث عند صدور قرار مجلس الأمن ، وكان يتم الإعداد للعمل العسكرى بشكل سرى ، ولم تكن المناقشات فى مجلس الأمن إلا إستهلاكاً للوقت حتى تحين اللحظة المناسبة بالعمل العسكرى والذى نظر إليه على أنه الحل المناسب لموقف مصر وإصرارها على حماية قرار التأميم وبالفعل فقد بدأت المؤامرة العسكرية تتضح بالهجوم الإسرائيلى على مصر يوم ٢٩ أكتوبر ، وهنا بدأت مرحلة جديدة من العمل العسكرى والدبلوماسى لمعالجة الموقف الذى نتج عن العدوان .

وفى الواقع أن الدبلوماسية المصرية قد استطاعت الحصول على معلومات تفيد بأن هجوما عسكرياً سوف يقع على مصر ، فكان الملحق العسكرى بالسفارة المصرية بباريس قد حصل على خطة العدوان وأرسلها مع الملحق الصحفى بالسفارة « عبد الرحمن صادق » ، الذى قابل عبد الناصر وأبلغه بالخطة و لم يصدق عبد الناصر ، كما أنه كانت قد تجمعت معلومات أيضا لدى السفارة المصرية من العواصم الغربية وواشنطن وموسكو ، وكذلك حصلت المخابرات المصرية على معلومات عن التحركات العسكرية لبريطانيا وفرنسا .

وبالفعل بدأ الهجوم الإسرائيلى على سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م ، وفى ٣٠ أكتوبر دعى السفير المصرى فى لندن والسفير المصرى فى باريس إلى وزارة الخارجية فى كل من العاصمتين كى يتسلم كل منهما إنذارا بريطانيا وفرنسيا يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الإنسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش المتحاربة بعيداً عن الممر المائى الحيوى مسألة ضرورية للأمة ولصالح العالم .

وقام عبد الناصر بعد تسلم مصر الإنذارين البريطانى والفرنسى بعقد إجتماع طارىء لمجلس الوزراء ، وعرض عبد الناصر موضوع الإنذارين وقد تم رفض الإنذارين بينما قبلتهما إسرائيل ، هنا بدأت مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر تتضح من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .

لذلك عملت الدبلوماسية المصرية على مواجهة العدوان بالعمل الدبلوماسى إلى جانب العمل العسكرى ، وليس هنا مجال شرح أبعاد الكفاح المصرى المسلح ضد العدوان ، ولكن نحاول التركيز على دور الدبلوماسية المصرية من مواجهة العدوان على الساحة السياسية خاصة فى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

ففى ٢٩ أكتوبر ، تقدمت الولايات المتحدة بطلب إنعقاد مجلس الأمن بصفة عاجلة لبحث توغل القوات المسلحة الإسرائيلية فى الأراضى المصرية وخرقها لإتفاقية الهدنة المعقودة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٤٩م . وهنا قام رئيس وفد مصر فى الأمم المتحدة السفير « عمر لطفى » وكذلك السفير المصرى فى واشنطن بشرح أبعاد الموقف ، ودعا عمر لطفى إلى طرد إسرائيل من الأمم المتحدة بسبب السياسة الوسعية لها تطبيقاً لأحكام المادتين السادسة والسابعة من الميثاق . وذلك فى الإجتماع غير العادى لمجلس الأمن يوم ٣٠ أكتوبر ، أما فى جلسة ٣٠ أكتوبر(المسائية) فكان الإقتراع على مشروع القرار الذى قدمته الولايات المتحدة والذى ينص فى جوهره على ضرورة إنسحاب إسرائيل فورا إلى ما وراء خط الهدنة والإمتناع عن تقديم أية مساعدة عسكرية أو إقتصادية أو مالية إلى إسرائيل ، ألا أن بريطانيا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو ضد مشروع هذا القرار .

ولذلك رأى همرشولد « سكرتير عام الأمم المتحدة فى ذلك الوقت » أن الحل هو ضرورة عرض المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قام المندوب المصرى السفير عمر لطفى بإتصالات مكثفة مع أطراف عديدة فى سبيل إصدار قرار من مجلس الأمن بعرض القضية على الجمعية العامة فى دورة طارئة . وبالفعل تم التوصل إلى قرار من مجلس الأمن لعرض القضية على الجمعية العامة وذلك يوم ٣١ أكتوبر .

وعندما إنتقلت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فإن الدبلوماسية المصرية قد قامت بدور كبير ممثلة فى وزير الخارجية المصرى الدكتور فوزى والسفير عمر لطفى من أجل تشكيل قوة الطوارىء الدولية ، بالفعل صدر قرار من الجمعية العامة فى ٧ نوفمبر بالموافقة على إنشاء قوات الطوارىء وبدأ وصول تلك القوات إلى مصر يوم ١٥ نوفمبر .

وفى مرحلة ثانية من العمل السياسى من أجل العمل على إنسحاب قوات العدوان ، لعبت دبلوماسية الدكتور فوزى دورا خطيرا فى الضغط على المعتدين من جانب كافة القوى والسكرتير العام فى نفس الوقت ، ونجح فى أن يتمكن من أن يظهر القوى العالمية المختلفة وكان بينها تنسيقاً وإتفاقاً فى مواجهة العدوان وبأنه يوجه تلك القوى فى طريق واحد برغم ما بينها من تباين وإختلاف وقد ساعد الدكتور فوزى على ذلك عناصر النجاح التى كان يتمتع بها ، وهى مكانته العالمية فى المنظمة الدولية والثقة فى كلمته وحكمته ، وصلته الوثيقة

بالوفود ، ثم العلاقة الخاصة التى كانت تربطه بصديقه داج همرشولد . وبالفعل فقد تم إنسحاب آخر جندى من القوات البريطانية الفرنسية من على أرض مصر فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦م ، وفى مرحلة ثانية تم الإنسحاب الإسرائيلى فى ٨ مارس ١٩٥٧م . وبذلك نجحت الدبلوماسية المصرية فى إدارة الأزمة ونجح قرار التأميم[١] .

ولمزيد من التفاصيل نورد ما يلى :

تفاصيل ووثائق :

تقول رواية محمد حسنين هيكل : أن الهجوم الإسرائيلى على سيناء بدأ فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩م بتقدم اللواء السابع المدرع فى إتجاه موقع « الكونتيلا » . وبعد خمس دقائق من بدئه تلقى جمال عبد الناصر أول نبأ عنه وقد حملته وكالة الأنباء الأمريكية « يونايتدبرس » كان فى بيته وكان يشارك فى إحتفال عيد ميلاد ابنه « عبد الحميد » . وقرأ « جمال عبد الناصر » التقرير ثم غادر الإثنان الغرفة التى كان يجرى فيها حفل عيد الميلاد ، وتوجها إلى غرفة مكتب الرئيس فى بيته ، ومنها إتصل « عبد الحكيم عامر » تليفونيا برئاسة أركان حرب الجيش المصرى فى كوبر القبة يستفسر عن أية معلومات لديها ، لقد وزعت القيادة الإسرائيلية أنباء الهجوم على وكالات الأنباء فى نفس اللحظة التى دارت فيها محركات الدبابات . وبدأت التفاصيل تردد دقيقة بعد دقيقة .

« كان التحرك العسكرى الإسرائيلى مفاجئاً لجمال عبد الناصر ولم ير سببا واضحا يبرره فى هذا التوقيت بالذات . فقد كان الموقف على خطوط الهدنة المصرية هادئاً طوال الأسابيع الأخيرة . فمنذ بدأت أزمة القناة ولاح خطر التدخل العسكرى البريطانى الفرنسى فى منطقتها - تقرر سحب مجموعة الجيش الرئيسية من سيناء وترك ست كتائب فيها فقط ، وكانت الفكرة من السحب أن لا تنعزل قوات سيناء عن الدلتا إذا ما قام الإنجليز والفرنسيون بهجوم يستهدف قناة السويس . وجرى توزيع الكتائب الست التى بقيت فى سيناء على طول خطوط الهدنة مع إسرائيل بوضع كتيبتين فى منطقة أم قطف وكتيبتين فى منطقة الشيخ زويد

---

(١) عمر عز الرجال - دور وزارة الخارجية فى صنع القرار : تأميم شركات قناة السويس - مجلة اليقظة العربية - العدد ٣ ، السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ - ص ٩٤ .

وكتيبتين فى منطقة العريش تعززان قوات الحرس الوطنى الموجودة فى قطاع غزة كانت المواقع المصرية شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال« بيرنز » كبير مراقبى الهدنة إلى أن يكتب تقريراً لـ « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول له فيه « أن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراءا شديداً لإسرائيل » .

ولكن جمال عبد الناصر إستبعد أن تقرب إسرائيل من هذا الإغراء فى هذه المرحلة .

كان تقديره وقت إشتداد خطر التدخل البريطانى الفرنسى - إن إسرائيل سوف تتردد حفاظاًا على صورتها العامة فى آسيا وأفريقيا وأمام الرأى العام العالمى عموما - فى القيام بدور التابع لأثنتين من الدول الإستعمارية الكبرى .

وفى نفس الوقت كان تقديره وبعد تراجع خطر التدخل البريطانى الفرنسى عقب إنتهاء مناقشات مجلس الأمن - إن إسرائيل لن تسارع بالعمل المسلح وإلا فإنها سوف تظهر نفسها فى صورة من يعيد تأزيم الموقف فى الشرق الأوسط بعد أن بدت إحتمالات إنفراجه وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ويضعها فى موقف سياسى صعب قد تفضل تجنبه » .

وهكذا بدأ الهجوم الإسرائيلى على مصر فى ذلك اليوم عملا غير مفهوم فى أهدافه ومقاصده وفقا لمفهوم عبد الناصر .

وترك « جمال عبد الناصر » بيته وتوجه إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى كوبرى القبة وهو ما زال يتساءل عن أهداف الهجوم الإسرائيلى مستبعداً تماماً إمكانية تواطؤ إسرائيل فى عمل مشترك مع بريطانيا وفرنسا ، وهذه هى رواية محمد حسنين هيكل والتى تؤكد أن عبد الناصر كان قصير النظر فى مجال رؤيته للخطر الإسرائيلى .

كان إهتمام عبد الناصر قبل ذلك بساعات قليلة متجها إلى الأردن فقد تكررت التحرشات الإسرائيلية له (طبقاً لخطة الخداع الإستراتيجى ولم يكن « جمال عبد الناصر » بالطبع على علم بها فى تلك الساعات) ولقد ركز من جانبه على تدعيم دفاعات الأردن وبعثت إليه بشحنات من الأسلحة وأسراب من الطائرات هدية من مصر . وتلقى من الملك « حسين » ملك الأردن خطاباً بتاريخ ٢٧ أكتوبر (أى قبل يومين اثنين من بدء الهجوم الإسرائيلى) يشيد بهذه المساعدة قال فيه الملك « حسين » : « أن الأردن صابر وهو يتلقى من مصر العزيزة العون الأخوى ويرى المشاركة القوية المتمثلة فى شحنات الأسلحة من مصر

شقيقة) .

وكانت قرارات عبد الناصر منذ وصل إلى رئاسة القوات المصرية موجهة لمقابلة الهجوم الإسرائيلى . وكانت هناك خطة طوارىء معدة لهذا الإحتمال وقد راجعها « جمال عبد الناصر » مع رؤساء أفرع القوات المسلحة فى إجتماع عقده معهم بسرعة بينما كانت تحركات التشكيلات تجرى بالفعل على رمال الصحراء ، كانت خطة المواجهة المصرية تقوم على ثلاث عناصر :

١ - على الكتائب الست الموزعة على خطوط الهدنة أن تتمسك بمواقعها لمدة ٤٨ ساعة وألا تسمح للقوات الإسرائيلية بأن تندفع فى العمق .

وكذلك كان على قوات الحرس الوطنى فى غزة أن تتجنب الإشتباك فى القطاع فإذا فرض عليها أن تشتبك دخلت معركة خنادق بهدف كسب الوقت .

٢ - فى ظرف ٢٤ ساعة لابد أن تكون الفرقة المدرعة الرابعة قد عبرت قناة السويس إلى الشرق وتقدمت إلى نقطة تجمع فى موقع « بير روض سالم » فى قلب سيناء حيث كان التقدير أن تدور المعركة الأساسية فى ضرب الهجوم الإسرائيلى .

٣ - يقوم الطيران المصرى بغارات شبه إستطلاعية فى مدى الـ ٢٤ ساعة المقبلة بحيث يكون مستعداً لمساندة المدرعات فى المعركة الأساسية . وأما البحرية فقد كان دورها مقيداً فى المراحل الأولى عن تقدير بأن منطقة الشرق البحر الأبيض المتوسط تعج بالأساطيل .

ولم تمض غير ساعات قليلة حتى دعى السفير المصرى فى لندن والسفير المصرى فى باريس إلى وزارة ، الخارجية فى كل من العاصمتين لكى يتسلم كل منهما إنذاراً بريطانياً - فرنسيا يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الإنسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش المتحاربة بعيداً عن الممر المائى الحيوى مسألة ضرورية لسلامته ولصالح العالم .

ويقول هيكل :

والآن بدا شبح التواطؤ ماثلاً للعيان ولكن « جمال عبد الناصر » كان غير قادر على التصديق ولعله لم يصدق تماماً إلا عندما إنتهت فترة الإنذار فى الساعة السادسة بعد الظهر بتوقيت القاهرة - وبدأت أول غارة للطائرات البريطانية على مطار « ألماظة » الملاصق لبيته .. (إن هذا القول لهيكل يسىء لعبد الناصر أكثر مما يخدمه) .

وقد شاهد « جمال عبد الناصر » الغارة بنفسه فقد سمع أزيز الطائرات المغيرة بينما هو فى مكتبه فى البيت مجتمعاً مع السفير الأندونيسى فى القاهرة الذى جاء يحمل إليه رسالة من رئيسه « أحمد سوكارنو » .

وهرع « جمال عبد الناصر » إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فقد كان تطور الأمور الآن يقتضى إعادة النظر فى الخطط المصرية .

كان مكتب « عبد الحكيم عامر » حينما دخل إليه « جمال عبد الناصر » مزدحما بعدد من الزوار بينهم بعض أعضاء مجلس الثورة القدامى وعدد من الوزراء وعدد من قادة القوات المسلحة . وكان الجو مشحوناً بالقلق والعصبية ونتيجة لهما إحتدت الآراء وإنقسمت إلى رأيين غالبين :

* الرأى الأول – وقد تبناه « عبد الحكيم عامر » – وهو منطق الوطنية الشهيدة التى يتحتم عليها أن تقاتل فى مواقعها ومهما كانت الظروف إلى آخر طلقة وإلى آخر رجل .

* والرأى الثانى – وقد تبناه السيد « صلاح سالم » عضو مجلس قيادة الثورة السابق – وكان محكوماً بالمنطق « الواقعى » الذى وجد مصر تواجه ثلاثة أعداء فى وقت واحد بينهم اثنتان من القوى الكبرى – وهو حجم من القوة لا قبل لمصر بمواجهته – ومن ثم فقد إقترح « صلاح سالم » بـ « أسى وحزن أنه لا خيار أمام جمال عبد الناصر » غير الإستسلام وبسرعة قبل أن يتمكن الطيران المعادى من تدمير مرافق مصر الحيوية وتمزيق جيشها وتهديم مدنها .

وتقول رواية هيكل ما يلى :

وفى اللحظة التى دخل فيها « جمال عبد الناصر » القاعة كان « صلاح سالم » يشرح رأيه الواقعى ، ولم يتراجع « صلاح سالم » عما كان يقوله وإنما كرره أمام « جمال عبد الناصر » وأضاف إليه : « إنك قمت بخدمة عظيمة لهذا البلد وضحيت كثيراً من أجله والآن فقد كتبت عليك المقادير أن تضيف لتضحياتك تضحية أخرى وأن تقبل تسليم نفسك . إن « إيدن » أعلن فى خطابه أن الحرب تستهدفك أنت وليس الشعب المصرى فإذا عرفوا أنك على إستعداد لتسليم نفسك توقفت الحرب على الفور » ، ثم استطرد « صلاح سالم » قائلا أنه « يعرف أن السير همفرى تريفليان » السفير البريطانى فى القاهرة لم يغادرها بعد وإذا توجه « جمال عبد الناصر » لمبنى السفارة وسلم نفسه فإن ذلك كفيل بحل الأمور .

ولم يفقد « جمال عبد الناصر » أعصابه لهذا الذى سمعه فقد أدرك أن أبعاد الموقف أهم من أى إعتبار يتعلق بالأشخاص ، ومضى يشرح وجهة نظره فقال « إنه لو كان يعرف أن المعركة هى شخصه لابتعد بأى وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المستهدف هو مصر وشعبها وإذا لم يقف الشعب المصرى فى هذا الموقف ويخوض المعركة دفاعا عن وطنه ومستقبله فإن مصير الأمة العربية كلها يصبح معرضاً للضياع » .

ثم توجه « جمال عبد الناصر » إلى مكتب رئيس هيئة أركان الحرب تاركاً زحام مكتب القائد العام ، وهناك دعا إلى إجتماع محدود حضره بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق والمشاركون فى الحكم وقتها . ودعى إلى الإجتماع وزير الخارجية الدكتور «محمود فوزى»، وعدد محدود من القادة العسكريين والمستشارين السياسيين .

وكان إتجاه الإجتماع مؤيداً لوجهة نظر « جمال عبد الناصر » وإن كان الدكتور «محمود فوزى » قد أبدى ملاحظة قال فيها « أن كل شيء يتوقف على أوضاع الإستعداد فى القوات المسلحة وعلى إمكانيات تعبئة الشعب لحرب طويلة . وفى كل الأحوال فإن المعارك لا تخاض فى ميادين القتال وحدها وإنما تخاض فى ساحات السياسة الأوسع والأكبر وأنه حتى إذا إستطاعت قوات الغزو أن تحتل منطقة قناة السويس فإنه على ثقة بمبادرة مصر وأصدقائها على خوض معركة ناجحة فى الأمم المتحدة تعبيء العالم ضدهم وترغمهم على الرحيل».

وطرح « جمال عبد الناصر » خطته لمواجهة الموقف الطارىء وكان أول بند فيها هو ضرورة إرجاع الفرقة المدرعة الرابعة التى عبرت فى الليلة السابقة إلى سيناء ووقف تقدم كل التشكيلات الأخرى التى كان مفروضاً أن تلحق بها .

وإن على الكتائب الست فى مواقعها المتقدمة فى سيناء أن تواصل مقاومتها كما كان مقرراً لمدة ٤٨ ساعة لكى تتمكن الفرقة الرابعة من إتمام إنسحابها عائدة إلى الدلتا . وإعترض « عبد الحكيم عامر » لأن سحب القوات الآن « عار يلحق بنا » ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأنه «إذا كنت ستنسحب لتقاتل فى معركة أحسن لك ولمعركتك ولخططك فهذا ليس عاراً فالعار هو أن تنسحب للهرب» .

ولم يقتنع « عبد الحكيم عامر » وقرر « جمال عبد الناصر » أن يتحمل المسئولية بنفسه فأصدر قراره بالإنسحاب من سيناء ووصل به الأمر إلى حد أنه إتصل بنفسه على خطوط

الإتصالات العسكرية بعدد من قادة الكتائب يقول لهم أن « الخطة المصرية للحرب يجب تعديلها بعد أن أصبح نزول الإنجليز والفرنسيين فى منطقة قناة السويس محققاً . وإذا حدث ذلك فإن الجيش سيجد نفسه مشطوراً إلى قسمين أحدهما يواجه الهجوم الإسرائيلى فى سيناء معزولاً عن قواعده ، والثانى يخوض المعركة ضد الغزو الإسرائيلى محروماً من نصف قواته . وأن الأولوية الأولى يجب أن تتركز ضد الغزو البريطانى الفرنسى فإذا ما تم دحره حان الوقت لمواجهة إسرائيل .

كان المنطق بسيطاً ومقنعاً وإستجابت القوات وإستعاد « عبد الحكيم عامر » أعصابه عندما وجد أن تحركات القوات تسير وفق الخطة الجديدة بما فيها أن الكتائب الست المتمركزة على خطوط الهدنة شمال سيناء كانت تحارب معركة تمكنت فيها من إيقاف تقدم الجيش الإسرائيلى للمدة التى كان مطلوباً منها أن تقاتل لمنع تقدمه وهى ٤٨ ساعة .

كانت بقية خطة « جمال عبد الناصر » فى المواجهة تقتضى إبعاد الطيران المصرى تماماً عن المعركة لأنها أصبحت غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية على الأرض لكن المهم الحفاظ على الطيارين المصريين وعددهم محدود .

وبعد ذلك كانت هناك ضرورات الإستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الإحتلال فيما لو إستطاعت قوات الغزو أن تتغلب على القوات النظامية للجيش المصرى .

وأخيراً كان هناك القرار بضرورة تعطيل قناة السويس لوضع العالم أمام واقع جديد (وكانت هناك خطة طوارىء جاهزة لإغراق باخرة محملة بالأسمنت فى عرض المجرى لسده فى اللحظة التى يكون فيها ذلك ضرورياً) .

ولقد فضل « جمال عبد الناصر » أن تخوض مصر المعركة العسكرية وحدها لأنها لا تستطيع أن تتحمل مسئولية ما يمكن أن يجرى على أراض عربية أخرى قد لا يستطيع أن ينجدها بقوات مصرية فى الوقت المناسب . وكان تفضيله أن تقف الأمة كلها مع الشعب المصرى بمشاعرها وبما تستطيع عمله دون القتال المسلح .

ومن هذا المنطلق كان رده على السيد « شكرى القوتلى » رئيس جمهورية سوريا بأنه « لا يريد شيئاً من سوريا الآن سوى تأييدها السياسى وإنه من الأفضل أن يمضى الرئيس « القوتلى » فى برنامجه المقرر لزيارة الإتحاد السوفيتى .

وحين إتصل به الملك « حسين » تليفونيا من عمان متحمساً بمشاعره وعواطفه ليسأله عما يطلبه من الأردن وجيشه فى هذه الظروف ؟ كانت نصيحة الرئيس « جمال عبد الناصر » إليه على التليفون « إننى أرجوكم ألا تطلقوا طلقة رصاص واحدة على الخطوط الإسرائيلية . ومصر لا تريد الآن من الأردن إلا أن يحافظ على نفسه » . وكأن « جمال عبد الناصر » على علم بتربص إسرائيل بالضفة الغربية للأردن ، أو أجزاء منها وكان مصمماً على حرمانها من أية فرصة فى هذه الظروف وعدم إعطائها أية ذريعة لتحقيق مطامعها .

ولم يقم « جمال عبد الناصر » بأى تحريض على تعطيل خط أنابيب البترول الذى يمر بسوريا رغم أنه يعرف أهميته الحيوية فى المعركة .

وأكثر من ذلك ففى أول نوفمبر تلقى مدير مكتبه السيد « على صبرى » رسالة من « كيرميت روزفلت » يقول فيها أن حكومة الولايات المتحدة بما فيها الرئيس تتمنى أن تبذل مصر أقصى مساعيها لإقناع السوريين بالمحافظة على خطوط الأنابيب ومحطات الضخ الثلاث الواقعة فى الأرض السورية وأن أى تعرض لها يمكن أن تترتب عليه مشاكل كبيرة تؤثر على الغرب كله .

وعرضت رسالة روزفلت على «جمال عبد الناصر» بالطبع وكان قراره إخطار «عبد الحميد السراج» برسالة « كيرميت روزفلت » دون التعليق عليها بالموافقة أو بالرفض ، فقد كان حريصا على أن يعرف السوريون حقيقة الموقف وأن يتصرفوا وفق هذه المعرفة . وعندما قام « عبد الحميد السراج » بنسف محطات الضخ وخطوط الأنابيب كان « جمال عبد الناصر » سعيداً وبعث لـ « السراج » رسالة من كلمتين : « سلمت يداك » .

ويروى (هيكل) فى كتابه :

أنه وفى إجتماع عقده « جمال عبد الناصر » مع الدكتور «محمود فوزى» قبل سفره إلى نيويورك لحضور إجتماعات الأمم المتحدة التى تناقش العدوان على مصر حدد « جمال عبد الناصر » موقف مصر من مختلف القوى الدولية على النحو التالى :[1] .

١ - إن فرنسا لا أمل فيها وليس هناك ما نحرص عليه فى علاقاتنا معها فى الوقت الراهن

(١) محضر اجتماع عقده الرئيس « جمال عبد الناصر » فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة لوضع خطوط عمل الوفد المصرى فى نيويورك .

ومن المناسب تركها لإسرائيل تورطها إلى آخر الشوط وتحرج مركزها - وللثورة الجزائرية من ناحية أخرى تستنزف قواها وترهقها .

(تلقت الثورة الجزائرية أكبر شحنة من السلاح من مصر أثناء إحتدام المعارك على جبهة قناة السويس) .

٢ - إن بريطانيا قضية تختلف عن قضية فرنسا فبريطانيا الآن منقسمة على نفسها لأن نصف شعبها على الأقل يقف ضد العدوان فى عاصمته ويتظاهر ضده ويضغط على حكومته وعلى رئيسها بشكل مؤثر وفعال وهذا عنصر ملىء بالإحتمالات التى يمكن الإستفادة منها .

وهكذا فتح « جمال عبد الناصر » قناة إتصال مباشر مع عدد من زعماء حزب العمال الذين تعرف عليهم وبينهم « أنيورين بيفان » نائب رئيس الحزب و « جورج براون » الذى أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية واللورد « شنويل » الذى كان وزيراً للدفاع (رغم أنه من أصل يهودى) .

وكان من أغرب الرسائل التى تلقهاها « شنويل » من « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت رسالة يسأل فيها الرئيس المصرى - وزير الحرب البريطانى السابق سؤالاً لم يخطر لأحد على بال وهو إننى « أريد أن أستشيرك فى الطريقة التى نعامل بها الجنود أو الضباط البريطانيين الأسرى فى يد قواتنا ؟ فنحن لا نستطيع أن نعتبرهم أسرى حرب بمقتضى إتفاقيات « برن » لسبب واضح وهو أن الهجوم البريطانى على أراضينا جاء دون إعلان رسمى للحرب ، فإذا عاملناهم كمجرمين أو مخربين تسللوا إلى أراضينا فسوف يكون الحكم عليهم بالإعدام ؟» وحمل « شنويل » هذا السؤال إلى المجلس وبدأت صيحات الأعضاء تصرخ فى وجه « إيدن » : مجرم .... مجرم ... استقل .... استقل . ولم تهدأ الضجة إلى درجة أن « إيدن » ووزراءه اضطروا إلى مغادرة قاعة المجلس .

ولم يرض « جمال عبد الناصر » من جانبه بإعلان الحرب على بريطانيا واكتفى بقطع العلاقات معها ومع فرنسا . وكان وجهة نظره أنه إذا أعلن الحرب من ناحيته فسوف يكون مضطراً بعد عودة قناة السويس إلى حياتها الطبيعية أن يمنع بواخر بريطانيا وفرنسا من المرور فى قناة السويس كما هو الحال مع إسرائيل إستناداً إلى حالة الحرب ، وكان فى قرارة نفسه يدرك - رغم كل الظروف - أن تطبيق هذا الحظر على إسرائيل شىء - وتطبيقه على بريطانيا

وفرنسا شيء آخر وإلا فإنه يكون قد عقد المسائل لنفسه بأكثر مما هو ضروري .

وفي يوم ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ، أرسل بولجانين رئيس الوزراء السوفيتي رسالة شديدة اللهجة إلى نظيره الإسرائيلي . وكانت لهجة رسالته غير عادية حتى بالنسبة للمراسلات السوفياتية لأصغر البلدان في العالم الرأسمالي . وتقول الرسالة :

السيد رئيس الوزراء :

لقد أعربت الحكومة السوفياتية بالفعل عن شعبها القاطع للعدوان المسلح الذي شنته إسرائيل ، وأيضا بريطانيا وفرنسا ، ضد مصر ، والذي يشكل إنتهاكاً مباشراً وصارخاً لميثاق الأمم المتحدة ومبادئها . وفي الدورة الاستثنائية الطارئة للجمعية العامة ، شجبت الغالبية الكبرى من بلدان العالم أيضا العمل العدواني الذي ارتكب ضد الجمهورية المصرية ، وطالبت حكومات إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بأن تضع حداً للعمليات العسكرية دون إبطاء وأن تسحب الجيوش الغازية من الأراضي المصرية. إن الإنسانية المحبة للسلام بكاملها تستنكر بسخط الأعمال الإجرامية للمعتدين الذي إنتهكوا وحدة الأراضي الإقليمية ، وسيادة وإستقلال الجمهورية المصرية ، وبدون أن تأخذ هذا في إعتبارها ، دأبت إسرائيل ، التي تعمل كأداة للقوى الإمبريالية الخارجية ، على القيام بمغامرات مجنونة ، متحدية بذلك جميع شعوب الشرق التي تخوض نضالاً ضد الإستعمار ومن أجل تحقيق الحرية والإستقلال لجميع الشعوب المحبة للسلام في العالم .

إن هذه الأعمال التي تقوم بها حكومة إسرائيل تبين بوضوح القيمّة التي تعلق على إعلاناتها الكاذبة عن حب إسرائيل للسلم ، وتطلعها إلى التعايش السلمي مع البلدان العربية المجاورة . وأن هذه الإعلانات من قبل حكومة إسرائيل لا تستهدف في الواقع إلا أضعاف يقظة الشعوب الأخرى ، في حين أنها تستعد لشن هجوم غادر على جيرانها وذلك إذعاناً لإرادة أجنبية والتصرف وفقاً لأوامر من الخارج ، إن حكومة إسرائيل تعبث على نحو إجرامي غير مسئول بمصير العالم ، وبمصير شعبها ، إنها تبذر بذور الكراهية لدولة إسرائيل فيما بين الشعوب الشرقية ، وهو أمر لابد أن يترك أثاره على مستقبل إسرائيل ، ويشكك في وجود إسرائيل ذاته كدولة .

إن الحكومة السوفياتية ، التي تهتم إهتماماً حيويا بصيانه السلم ، والمحافظة على الهدوء في الشرق الأوسط ، تتخذ في الوقت الحاضر الخطوات لوضع حد للحرب وكبح المعتدين ،

ونقترح أن تنظر حكومة إسرائيل فى ذلك ، قبل فوات الأوان ، ويجب أن تضع حداً لتدابيرها العسكرية ضد مصر . وإننى أناشدك ، وأناشد البرلمان ، وعمال دولة إسرائيل ، وأناشد كل شعب إسرائيل ، أوقفوا هذا العدوان أوقفوا سَفك الدماء! إسحبوا جيوشكم من الأراضى المصرية ! وبالنظر إلى الموقف الذى نشأ الآن ، فقد قررت الحكومة السوفياتية أن تطلب من سفيرها فى تل ابيب مغادرة إسرائيل والعودة إلى موسكو دون إبطاء . ونأمل أن تفهم حكومة إسرائيل فهماً كاملاً وتقدر تحذيرنا .

* ومن أروقة الأمم المتحدة أرسل الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر برسالة هامة جاء فيها ما يلى :

إلى السيد الرئيس من الدكتور فوزى قابلت همرشولد مرتين فى اليوم ثم :

١ – ذكر فى شأن إنسحاب القوات المغيرة :

(أ) أنه مواصل بمنتهى الحزم والسرعة جهوده للإسراع بإنسحاب تلك القوات – وذكر أنه سلم لبينو ، وجولدا مائير ولويد الأسئلة التالية طالبا أن يتسلم الرد عليها فى وقت لا يتأخر عن الأربعاء ١٩٥٦/١١/٢١م حتى يستطيع أن يتقدم إلى الجمعية العامة بتقريره فى هذا الشأن تنفيذاً لقرارها الخاص بالإنسحاب وذلك فى وقت لا يتعدى الخميس أو الجمعة ١٩٥٦/١١/٢٣م على أبعد تقدير .

(ب) أنه تم الإتفاق مساء الأمس على أن تدخل بعض وحدات قوة الأمم المتحدة إلى بور سعيد وأن هذا سيتبعه غيره مما يساعد على سرعة الإنسحاب ، وأضاف أن لويد مؤيد تماماً لفكرة الإنسحاب وأن بينو ليس له فى هذا شأن يعتد به .

(جـ) ذكر أنه يلاق مقاومة عنيدة من إسرائيل فى شأن الإنسحاب وأنه دارت بينه بهذا الصدد وبين جولدا مائير مشادة حامية مساء الأمس .

٢ – حدثته عما جاء ببرقيتكم ٧٥/٧٣/٧٣ فذكر أنه مسارع إلى إتخاذ ما يلزم فى هذا الصدد وأن دخول وحدات من قوة الأمم المتحدة بور سعيد سيسهل عمل هذا بالنسبة لها وأنه طلب من إسرائيل أن يدخل إلى منطقة غزة مراقبون على أن تتبعهم وحدة من قوة الأمم المتحدة وأضاف أن التقارير التى لديه عن غزة سيئة جداً .

٣ - تحدث عن الخطوط الرئيسية التى ينوى أن يسير عليها فى تقريره عن القوة الدولية وتطهير القناة وأعلمنى أنه متحدث بمثل هذا مع لويد وفى أثناء إجتماعنا الثانى مساء اليوم سلمنى نسخة من نص التقريرين كما يرجح أن يطبعهما ويوزعهما صباح الغد ١٩٥٦/١١/٢١م ولا ينتظر همرشولد أن يكونهذان التقريران موضع مناقشةطويلة . وسنرسل النصين باكر ببرقيتين مفتوحتين .

٤ - أعرب عن أسفه لأن موضوع المجر يشوش على موضوع مصر فى هذه الأيام .

وفى رسالة أخرى قال محمود فوزى :

زارنى شبيلوف ومعه نائبه وتحدثنا على الأخص فى موضوع العدوان على مصر وتلاقت آراؤنا بشأنها . وأعرب شبيلوف عن تأييد حكومته التام لمصر فى موقفها وفيما يتصل بوجود إنسحاب القوات المغيرة حالاً وإنسحاب قوة الأمم المتحدة بعد ذلك وتعويض مصر على ما أصابها من إضرار وعدم البحث فى قضيتى قناة السويس وفلسطين فى الوقت الحاضر وأن عملية تطهير القناة لا يجب أن تبدأ إلا بعد الإنسحاب .

٥ - الوثيقة تشير إلى « مصدر جديد فى مصر » تمكنت المخابرات البريطانية من الوصول إليه بضربة حظ ، ولدى شخصياً رأى فى هذه المسألة ولكنى أمسك عن الخوض فى التفاصيل الآن مقدراً أن وثائق أخرى سوف تكشف الحقيقة فى المستقبل وحينئذ يظهر وجه الحق ويبين ، هذا مع تسليمى بأن الكثير مما أعطاه هذا المصدر للمخابرات البريطانية هو على وجه القطع من وحى الأهواء والأغراض !

٦ - وبصرف النظر عما تقوله الوثيقة بخصوص ضرب مصر قتل « جمال عبد الناصر » - فإن الوثيقة تشير إلى خطط لتدبير إنقلاب فى سوريا ومن أهم بنوده العمل على إحداث إنقسام فى حزب البعث الذى يقوه الأستاذ « ميشيل عفلق » - كما أنها تشير إلى مخطط لعزل الملك « سعود » ملك السعودية فى ذلك الوقت بسبب «تعاونه» مع « جمال عبد الناصر » . أو بسبب ضعف قدرته على مواجهة « جمال عبد الناصر » ! .

وفى هذه النقطة فإن الوثيقة تشير تساؤلات معاصرة تتصل بالحاضر الذى نحياه الآن (وربما سنحت لى الفرصة لأتحدث عن هذه التساؤلات بالتفصيل فيما بعد) .

٧ - الوثيقة تظهر بما لا يقبل مجالا للشك أن التعاون مع إسرائيل عسكرياً ضد مصر كان

سابقا فى تفكير بعض الأجهزة البريطانية على الوقائع التى أعقبت قرار تأميم قناة السويس . كذلك تظهر الوثيقة أن البريطانيين تشاوروا مع إسرائيل بشأن سوريا .

٨ – الوثيقة ملأى بالأسماء الرمزية وقد أرفقت بها ورقة تحمل أسرار هذه الأسماء الرمزية وتفصح عن شخصيات أصحابها سواء كانوا من الأفرد أو الهيئات أو الحكومات .

٩ – لقد وجدت مرة أخرى مناسباً أن أترك لمركز الترجمة والنشر فى « الأهرام » مسئولية ترجمتها ضماناً لحيدة المعانى وحتى الألفاظ .

١٠ – وأخيراً فأننى أضع الوثيقة بالكامل تحت تصرف القارىء العربى مضيفاً بين قوسين أسماء الحكومات أو الهيئات أو الأفراد الذين تعنيهم الرموز – مستعيناً فى ذلك بالمفتاح الذى كان مرفقاً بالوثيقة الأصلية .

وفى وثيقة دولية هامة تؤكد تواطىء المخابرات البريطانية والأمريكية قبل الحرب جاء ما يلى حرفياً :

لقد وجدنا سموت (أم . آى . سكس . آى ، المخابرات البريطانية) فى جولة إجتماعاتنا الأخيرة أكثر حزما وتصميماً على العمل المباشر مما كانوا فى آخر جولة عقدناها للتنسيق معهم فى الشهر الماضى .

وقد قالوا لنا :

(١) أن « ناصر » مصمم على تدمير إسرائيل ولن يقبل سلاماً معها أو صلحاً .

(٢) أنه بسبب هذا التصميم يسعى لتوحيد العالم العربى تحت قيادة مصر .

(٣) أنه من نتيجة هذا التصميم على (١) و (٢) – فإن ناصر الآن يمكن إعتباره فى جيب الإتحاد السوفيتى – وهذا تقديرهم الذى لا يتزحزحون عنه .

(٤) تقول سموث (أم . آى . سكس) أن ما سبق ذكره يغلب الآن على وجهة نظر الحكومة البريطانية ، وأنه أفضى إلى عملية إعادة تقييم حاسمة للسياسة البريطانية فى المنطقة ، وتدعى أن وجهة النظر هذه عن ناصر تستند إلى إستخبارات سموث (أم ، آى . سكس) التى جاءت أساسا من مصدر جديد فى مصر تم الوصول إليه « بضربة حظ » وتثق فيه سموث (أم . آى . سكس) لأقصى حد ، وعندما أوجزوا لنا ، خمسة وعشرين تقريراً حصلوا

عليها ، فقد بدأوا بتقرير عن (الإشتراكية الشعبية) صدر من نوفمبر الماضى .
وأكدوا أن جزءاك كبيراً من أكثر المواد أهمية هى مواد وثائقية بطبيعتها ، وأن « زبدة ما حصلت عليه سموث (أم . آى . سكس) خلال الشهور الماضية قد نقل إليها من خلال الإتصالات بيننا ، ونقل فى حالة التقارير الأكثر أهمية ، على مستويات أعلى (فى رسائل من « إيدن » نفسه إلى « إيزنهاور » شخصياً) وسموث (أم . آى . سكس) مصرة على قولها بأنه نظراً لأننا لسنا مستعدين كما هو واضح لقبول إعادة التقييم التى قاموا بها لناصر بصورة حاسمة ، فإنه لابد من النظر إلى تغطية إستخباراتنا لمصر بإعتبارها تغطية ضعيفة . وقد وصفت تقارير كيوبارك (سى . آى. إيه) أى وكالة المخابرات المركزية التى نقلت لسموث (أم . آى . سكس) فى الشهور العديدة أنها « نفاية » ، وتؤمن سموث (أم . آى . سكس) بأنه ينبغى لنا إما أن نقبل تقاريرهم أو نقول أنها « زائفة » . أما أن نقبل الإستنتاجات التى إنتهوا إليها أو نبين أنها ليست منطقية . وهم على أى حال يودون الإطلاع على أى دليل يثبت أى وجهة نظر أخرى عن دوافع ناصر وعن الموقف .

٥ - وقد أكدت سموث (أم . آى . سكس) أن وجهة نظر الحكومة البريطانية حالياً هى إنه ينبغى حماية المصالح الغربية فى الشرق الأوسط (خاصة النفط) ، من التهديد المصرى السوفيتى بأى ثمن . واستخدم من أسمايناهما « أ » (أم . آى . سكس) جورج يونج ممثل المخابرات البريطانية و « ب » (اس . آى . اس) نيجيل كلايف ممثل جهاز الخدمة السرية البريطانى وهو إمتداد للمخابرات البريطانية) تعبيرات مثل « إن بريطانيا مستعدة الآن لتحارب معركتها الأخيرة و « أيا كانت التكلفة سنكون الكابين » . وعلى الرغم من إتفاقنا فى الإجتماع الأول على مناقشة مسارات العمل المتاحة ، لا وديوك (يو . اس . جى) أى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) وللحكومة البريطانية ، فقد رفضوا إعطاؤنا تفاصيل خططهم (ربما كان ذلك راجعاً لعجزنا عن قبول تقديرات سموث (أم . آى . سكس) عن نطاق العلاقة المصرية السوفيتية) وقدم لنا فقط موجز عريض من قبل من أسميناهما « أ » (أم . آى . سكس جورج يونج) و « ب » نيجيل كلايف (اس . آى . أس) فى جلسات غير رسمية وعلى ألا ينسب إليهما ذلك . وهما متلهفان لأقصى حد على تلقى رد فعل كيوبارك (سى . آى . إيه) المبدئى خلال الأيام القليلة القادمة . مؤكدين أن الوقت أمر بالغ الأهمية وأنه ينبغى إتخاذ إجراءات فى سوريا خلال شهر واحد . وقد أوضحت سموث (أم . آى . سكس) أنه إذا جاء رد فعل كيوبارك (سى . آى . إيه) مرضياً ، فإنها ستكون راغبة

فى مناقشة الخطط التفصيلية مع نيرمان (كيرميت روزفلت مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط) . وقد تركت لدينا إنطباعاً بأن الخطط تحظى بموافقة فورمن (وزارة الخارجية البريطانية) وأنه حتى ، إجتماعات سنكرسون (جيمس إيكلبرجر) - تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس اس . آى . أس) ستكون موضع مناقشة مجلس الوزراء .

٦ - وفيما يلى إنطباعاتنا عن خطة الحكومة البريطانية ثلاثية المراحل (وقد اطلعتنا سموت (أم . آى . سكس) على ذلك هذا الصباح و لم تعترض على إقتراحنا بأن نبرق بذلك إلى كيوبارك (سى . آى . إيه) وتعليقات « أ » (أم . آى . سكس) جورج يونغ) مبينة فى الإقتباسات الواردة بين هلالين صغيرين :

(١) **المرحلة الأولى** : إحداث تغيير كامل فى حكومة سوريا . وتعتقد سموت (أم . أى . سكس) أنها تستطيع أن تقوم بهذه العملية لوحدها . لكنها ستلجأ عند الإقتضاء إلى العمل المشترك مع العراق وتركيا ، وإحتمالاً مع إسرائيل . وإنطباعنا هو أن هذا الأمر نوقش مع الدولتين الأوليين وربما فى الثالثة (نوقش الوضع فى سوريا مع إسرائيل لكن ليس من زاوية الحصول على مساندتها الإيجابي) . ولسنا متأكدين من أن ذلك لن يتضمن عملاً عسكرياً عراقياً (أننا لا نعطى تأكيدات حول العمل العسكرى العراقى) ومع ذلك ، فلن يتم تغيير فى حدود سوريا رغم أنه ستقوم فيها حكومة موالية للعراق بصورة حازمة ، وتضمنت المناقشة الأولى عن الإجراءات المتعلقة بسوريا استخدام تعبير هو « توسيع نطاق النفوذ الهاشمى » . وبناء على تساؤلاتنا ، أعطيت لنا تأكيدات بأن هذا لا يتضمن وضع سوريا تحت حكم العائلة المالكة العراقية وأن تعبير « توسيع نطاق النفوذ بالعراقى » ربما كان أكثر دقة ، كذلك أشير إلى « النقطة العراقية الرابعة » بإعتبارها نوعاً من النشاط محل نظر . وخير ما يمكن بنا أن نتكهن به هو أن الحكومة البريطانية تنظر فى إستخدام بعض ، أو كل من المخططات التالية : إستخدام الأموال العراقية لمساندة الأحزاب السياسية الموالية للعراق والرد على الحملات الصحفية السعودية المصرية - المساندة النشيطة للجهود المبذولة لقسمة صفوف « إيه . أس . آر . بى » (الحزب الجمهوردى السورى) من خلال « إيه . أف . ال . إيه . كيو » (حزب البعث السورى) و« أس . إيه . واى . واى . أى . دى » (غير واضحة أو محددة فى الأصل) - وإثارة الإضرابات القبلية فى الجزيرة وإثارة تركيا وإسرائيل للإضطرابات على الحدود مما يقتضى مساعدة العراق لإعادة

الإستقرار لسوريا – وإستخدام الـ « بى . بى . اس » (الحزب القومى السورى) للتسلل من لبنان . وتسلم سموث (أم . أى . سكس) بأن تولية حكومة مصرية جديدة تتوقف على السيطرة على رد الفعل السعودى وأن الحكومة البريطانية تأمل فى مساندة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) .

(ب) المرحلة الثانية : تود سموث (أم ، أى . سكس) مناقشة إمكانات كيوبارك (سى . آى . إيه) فى العمل السياسى . واعتقد أن سموث (أم . آى . سكس) مستعدة لبذل الجهود لإستغلال الإنقسامات فى الأسرة المالكة (السعودية) وإحتمال إستغلال موقعهم فى الإمارات المتصالحة (إمارات وسلطنات الخليج الآن) للتعجيل بسقوط سعود . وقد خرجنا بإنطباع مؤداه أنهم يقدرون كثيراً إمكانات العراق تجاه المملكة العربية السعودية وإنهم ينظرون فى القيام بعمل مشترك مع العراقيين أو العمل من وراء جبهة عراقية فى حالة عدم رغبة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى مد يد المساعدة أو عجزها عن تلك (أعتقد أن مساندة أوديوك) (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى المملكة العربية السعودية ستفيد فى المرحلة الأولى لكنها ليست ضرورية بالنسبة لآليات الإجراء (أو الإنقلاب) الذى سيتخذ فى سوريا (لكن على الرغم من أن البريطانيين يدركون أن مسألة موافقة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) أو إذعانها عامل هام فى المرحلة الأولى . فإنهم مصممون على الشروع فى هذا العمل) . (من المؤكد أن الإجراءات التى ستتخذها أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) ستساعد فى إبطال تأثير الإجراءات المصرية المضادة) .

(جـ)المرحلة الثالثة : سيتم الاضطلاع بها توقعا لرد فعل مصرى عنيف تجاه المرحلتين الأولى والثانية . وقد خرجنا بإنطباع هو أن نطاق الإجراءات البريطانية سيتناسب تناسباً مباشراً مع رد الفعل المصرى . ويتراوح هذا من فرض ، العقوبات المحسوبة لعزل ناصر إلى إستخدام القوة (البريطانية والإسرائيلية على حد سواء) لإسقاط الحكومة المصرية . (ونأمل فى أن تكون الحكومة (المصرية) الجديدة التى ستقوم أكثر إذعاناً) . (كما أن نطاق خطط العمل البريطانية سيتوقف على مدى مسايرة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) لنا . (علينا أن نواجه إمكان أن يغلق ناصر القناة ونود أن نعرف كيف سيكون رد فعل أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) تجاه هذا . ونعتقد أن الإمكانات المتطرفة

ستتضمن عمليات خاصة من قبل الإسرائيليين ضد مخزون مصر من إمدادات الذخيرة والطائرات والدبابات التى إشترتها حديثا . وكذلك الهجوم الإسرائيلى المباشر على غزة ومناطق الحدود الأخرى .

(٧) سيصل سنكرسون (جيمس ايكلبرجر) لنيويورك صباح يوم ٢ إبريل . وما لم تصدر تعليمات بغير ذلك سيبقى تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس سى . آى . اس) فى لندن لضمان إستمرار الإتصالات فى حالة ما إذا رغب المقر الرئيسى فى نقل رسالة حول هذا الموضوع قبل وصول نيرمان (كيرميت روزفلت) .

وقائع الحرب فى رواية متعاطفة :

نورد هنا رواية متعاطفة مع عبد الناصر ، وعلى الرغم من اللغة الدعائية إلا أن بها بعض الحقائق التى قد تفيد فى فهم ما جرى فى تلك الحرب ، أنها رواية دكتور محمد صقر خفاجة التى أوردها فى بحث له بعنوان (مصر يبنى دعائم نهضتها - إصدار ١٩٥٧م) ونشر ضمن الكتاب الذى قدم له طه حسين عن (العدوان الثلاثى على مصر) وجاء فى رواية د . خفاجة ما يلى :

كان للعدوان الإسرائيلى تأثيره المباشر على أمريكا والإتحاد السوفيتى . ففى واشنطون كان الرئيس إيزنهاور يعرب عن « إمتعاضه من تلك المفاجأة الأليمة » مفاجأة العدوان الإسرائيلى على مصر ، وترسل وزارة الخارجية ، بل يرسل الرئيس إيزنهاور نفسه المذكرة تلو الأخرى إلى الحكومة الإسرائيلية طالبا وقف العدوان فى الحال ، دون أن تكترث حكومة بن جوريون بنداء أمريكا ، وذلك لعلمها أن وراءها حكومتين غادرتين فى إنجلترا وفرنسا قد افقتا على تنفيذ العدوان إذا قامت إسرائيل بالدور الأول فى المسرحية . ولم تنحصر الصدمة التى أصابت الرأى العام الأمريكى فى الدوائر الحكومية ، بل أن الكثيرين من الكتاب وأعضاء الكونجرس أعربوا صراحة عن رأيهم عندما وصفوا العدوان الثلاثى بأنه مؤامرة تنم عن الغدر والنذالة ويراد بها خلق ذريعة لتدخل بريطانيا وفرنسا فى شئون مصر . بل أن الكثيرين من أعضاء الكونجرس الديمقراطيين والجمهوريين كانوا ينادون الحكومة الأمريكية باتخاذ إجراءات حاسمة ضد إسرائيل بمنع المساعدات المالية والعسكرية والاقتصادية عنها ، وبتحذير حكومتى ، بريطانيا وفرنسا من إستغلال الموقف وإلا تعرضتا لسوء العاقبة إذا ما توسعت العمليات الحربية فى

الشرق الأوسط .

ولا شك أن موقف الرأى العام الأمريكى كان له أكبر الأثر فى التأثير على الحكومة الأمريكية التى أبدت موقفا حازما مشرفا خلال الأزمة وبخاصة عندما نظر أمر العدوان الثلاثى أمام مجلس الأمن والجمعية العامة ، وكان جزاء الولايات المتحدة على موقفها الحازم هذا أن تعرضت من جانب أبواق الدعاية المسمومة فى بريطانيا وفرنسا إلى حملة شعواء إتهمت فيها أمريكا بمهادنة مصر . وإتهمت فيها الأمم المتحدة بأنها منظمة ظالمة مغرضة تخضع لإرهاب مصر وتهديداتها !! .. « نعم هكذا تعدت الصفاقة كل حدود المنطق بعد أن تكشفت بوادر الخراب الذى كان آتيا لا محالة فى إنجلترا وفرنسا إذا ما تمادتا فى غيهما . والقول هنا للدكتور محمد صقر خفاجة فى بحثه (مصر تبنى دعائم نهضتها) :

وكان موقف الإتحاد السوفيتى دون شك أكثر وضوحا فى موقفه إزاء العدوان ، لأن حكومته لم تكن مرتبطة مع إنجلترا وفرنسا فى أحلاف عسكرية كما كان الحال بالنسبة للولايات المتحدة . فلو أن تلك الأخيرة إقترحت سحق العدوان الثلاثى بالقوة وتأييد مصر عسكريا لكانت مهزلة دولية ينشق فيها الحلفاء على أنفسهم وتصارع قواتهم بعضها البعض .. لذا إكتفت الولايات المتحدة بالتأييد القانونى فى ظل ما تقره هيئة الأمم المتحدة . أما الإتحاد السوفيتى فقد كان « متحرراً » من أحلاف الأطلنطى وما شابهها من التنظيمات العسكرية ، ولذا جاء كلام ساسة الكرميلن واضحا حازماً صريحاً ، مما أثار الفزع فى نفوس المعتدين وجلعهم يفكرون فى سوء العاقبة رغم تشدقهم وإدعائهم بوجود مؤامرة بين روسيا ومصر لتهيد السلم ، وما كان هذا الإدعاء الباطل إلا محاولة يائسة لتغطية سوء النية والغدر الذى تكشف للعالم فور قيام الدول الثلاثة بعدوانها على مصر .

وليس معنى ذلك أن أمريكا إنفردت بالعمل داخل الأمم المتحدة بينما إنفردت روسيا بالعمل خارجها ، بل أن المقصود من الإشارة إلى تحرر روسيا من روابط الأحلاف الغربية هو أن موقفها ساعدها على عرض الحلول العملية والدفاع عن مصر ضد العدوان إذا ما لم تمتثل الدول المعتدية لقرارات الأمم المتحدة التى دأبت روسيا منذ اللحظة الأولى على تأييدها مشاركة بذلك الولايات المتحدة فى إتجاهاتها القانونية وتمسكها بأهداف الميثاق ، على أننا بينما كنا

نسمع أخبار متطوعين يريدون المحاربة فى صفوف الدفاع المصرية متطوعين من الإتحاد السوفيتى والصين الشعبية كنا لا نسمع (ولا يعقل أن نسمع) عن متطوعين أمريكيين أو من إحدى الدول الغربية لأن حكم الواقع جعل من سياسة تلك الدول محالفة إنجلترا وفرنسا من الناحية الواقعية وإن لم تكن قد أقرت عدوانها على مصر .

وقد بدا تأييد الإتحاد السوفيتى ، كما كان تأييد الولايات المتحدة ومنذ اللحظة الأولى للعدوان الإسرائيلى ، فتكلم المندوب الروسى فى مجلس الأمن بلغة قانونية حازمة ، فقال متهماً بريطانيا وفرنسا بالتآمر على مصر : « إن الغزو المدبر يأتى من دولتين من الدول الدائمة فى مجلس الأمن ، وهما بهذا تخرقان ميثاق الأمم المتحدة ، وتهددان السلم العالمى ، وتحاولان حل مسألة قناة السويس باستعمال القوة ، مما يثبت معه أن الهجوم الإسرائيلى كان مدبراً للتمهيد لهذا الغزو البريطانى والفرنسى . كذلك تجلى موقف روسيا الحازم فى توجيهها الإنذار الصارم إلى إسرائيل ، وإستدعاء السفير الروسى من تل أبيب إحتجاجاً على عدوان إسرائيل الغادر . ولم يتردد رئيس وزراء الإتحاد السوفيتى ولم يدع فى كلماته مجالاً للشك حين أرسل إنذار حكومته إلى كل من حكومتى فرنسا/وبريطانيا مؤكداً أن الإتحاد السوفيتى مصمم على إستعمال القوة لصد العدوان الإنجلو فرنسى عن مصر إذا اقتضى الحال ذلك . وكانت كلمات المارشال بولجانين ذات ، معنى قاس مرير حين وجه كلامه إلى بريطانيا وفرنسا متسائلاً : « فى أى وضع ستكون إنجلترا وفرنسا إذا ما كانتا هما ضحية لعدوان من جانب دولة ثالثة تحت يدها وسائل حديثة مخيفة للدمار كالأسلحة الصاروخية .. وما الفرق بين إستعمال تلك الأسلحة ضد إنجلترا وفرنسا وإستعمال الأخيرتين لقواتهما الهجومية الهائلة ضد مصر الآمنة التى لا تملك وسائل الدفاع النسبية لصد هذا العدوان ؟ .

ولم تقتصر حكومة الإتحاد السوفيتى على مجرد إرسال مذكرات الإحتجاج أو التهديد الأجوف ، بل إنها إقترحت الأشتراك مع الولايات المتحدة فى إرسال قوة مشتركة من قوات الدولتين لصد العدوان الثلاثى على مصر ، إلا أن رد أمريكا على ذلك الإقتراح أشار إلى مخاوف الولايات المتحدة من أن إجراء كهذا سوف يعنى تصارع قوات دولتين من الدول الكبرى مع قوات دولتين آخرين ، وطالما أن الأمم المتحدة فى إستطاعتها فرض قراراتها على المعتدين بعد أن نددت بموقفهم غالبية دول العالم ، والتوقف عن العدوان . هذا وقد زاد شعب مصر إطمئنانا على سلامة مركزه وعدالة قضيته ما شاهده من تأييد الشعوب بالإضافة

إلى تأييد الحكومات . فقد نقلت الأنباء رغبة الآلاف من المتطوعين الروس للعمل بجانب القوات المصرية فى دفاعها ضد المعتدين .. و لم تستطع الصين الشعبية الإعراب عن موقفها فى الأمم المتحدة ، ولكن شعبها وقف وقفة مشرفة مشكورة حين أعلن أن نحو ربع مليون من الأهالى قد تطوعوا فعلاً لخدمة قضية السلام بمشاركة مصر فى دفاعها ضد العدوان . إن تلك الآلاف - ليس فى روسيا والصين فحسب ، بل فى شتى أنحاء العالم - كانت تحس كشعوب محبة للسلام فى صد العدوان الغادر عن مصر وعن كل بلد آخر يقع ضحية لمؤامرات تجار الحروب ومهددى السلام .

و لم تكن دول العالم الأخرى أقل حماسة فى تأييد قضية مصر ، وإن كان المقام يضيق بنا هنا لسرد جميع مظاهر الحماسة المتدفقة لنصرة مصر ضد المعتدين . ففى الأردن وسوريا والمملكة السعودية وغيرها من الأقطار العربية قامت الحكومات والشعوب تؤيد مصر وتعرض مساعدتها بكل ما لديها من إمكانيات ، وتعلن أن جيوشها وأرواح مواطنيها فداء لمصر . القطر الشقيق الذى كان يدافع مستبسلاً أمام عدوان مثلث غادر . وقد أثبتت معظم الأقطار العربية للمستعمرين كيف أن العدوان على دولة عربية يعد عدواناً على الأمة العربية بأسرها ، بل عدواناً على كل بلد آمن يناهض غدر المستعمرين وإستغلال المحتلين الآثمين .

وكانت تصريحات المسئولين فى دول العالم تدل دلالة واضحة على استنكارهم الصارخ للعدوان على مصر ، كما تدل على وقوف تلك الدول حكومات وشعوبا فى جانب الحق والعدل مهما كانت التيارات السياسية والحزبية داخل الدول وخارجها ، إذ لم يدع مركز مصر المشرف ودفاعها الباسل مجالاً لشكل أو تردد فى أية دولة كانت تنظر إلى القضية نظرة بعيدة عن تضليل المعتدين . وليس أدل على الموقف المخزى لحكومات تجار الحروب والمتآمرين الغادرين من ذلك الصوت المدوى الذى إنبعث من حزب المعارضة فى إنجلترا من غالبية الشعب البريطانى الذى كان يخجل لسياسة حكومة المحافظين . فقد تجمعت آلاف الوفود من البريطانيين فى المدن الإنجليزية تستنكر سياسة إيدن الخرقاء وتطالب حكومته بالإستقالة مؤيدة بذلك أصوات المعارضة البرلمانية التى قصرت بمعدل خمسين صوتا عن إحباط مؤامرة المحافظين واستمرائهم للعدوان على شعب مصر الآمن .

وإن ما حدث من جانب ذلك الفريق من الشعب البريطانى الذى كان يتوخى الحقيقة ويعارض العدوان الغادر بقلبه وبكل ما كان تحت يديه من وسائل الضغط البرلمانى ، لم يحدث

له مثيل فى تاريخ بريطانيا . لقد كانت أصوات المعارضة تتهم إيدن بالإجرام ، وتطالبه بالإستقالة ، وتأمره بالإفصاح عن الحقيقة والكف عن التضليل .. إن إيدن بتصريحاته الكاذبة المضللة أما أحمق غبى أو مجنون متهور .. وفى كلتا الحالتين أننا لا نريده رئيس حكومة ... هكذا قال صوت من أصوات المعارضة العمالية ... أنكم عصابة من المجرمين سفاكى الدماء .. هكذا قال صوت آخر .. مجرم .. منافق .. كاذب .. أغرب عنا .. استقل .. داعية حرب .. اخرج من هنا .. هكذا كانت تدوى أصوات المعارضة فى البرلمان البريطانى ، ولكنها ، كما قلنا ، الديمقراطية التى أعطت حكومة إيدن أغلبية خمسين صوتاً الحق فى التمادى فى حماقته وجنونه .. ثم بعد أن يلحق الخراب والدمار بالمدن المصرية ، والأضرار الاقتصادية والسياسية ببلاده ، يسارع إيدن إلى الإختفاء عن الأنظار ، ويسافر خارج بريطانيا . ليستريح من إنهيار عصبى .. هكذا وصلت هيبة السياسة الخارجية البريطانية .

فى الأمم المتحدة :

يرى د . خفاجة ما يلى :

بلغ إهتمام الأمم المتحدة بقضية العدوان الغادر على مصر درجة لم تحدث من قبل فى تاريخ هذه المنظمة الدولية . ولم تكن جلسات مجلس الأمن أو الجمعية العامة مجالا للدعاية المنبرية والخطب المطولة كما كان يحدث فى كثير من المواقف ، بل كان جل هم الوفود متجها إلى التكاتف للوصول إلى حل عملى سريع لوقف العدوان وردع المعتدين . ولم يحدث فى تاريخ الأمم المتحدة أن فازت قرارات بشأن قضية خطيرة كهذه مثلما فازت به القرارات التى استنكرت العدوان وطالبت المعتدين بالإنسحاب السريع . بل ليس من المبالغة القول بأن قرارات دول الأمم المتحدة تعتبر أخطر قرارات إتخذتها فى تاريخها لأنها تمثل عملاً جماعياً ضد قول معتدية أوقفت عند حدها وطولبت بالتراجع ، فامتثلت لأمر الغالبية من دول ، العالم ، وهكذا أنقذ العالم من شر حرب ضروس أراد ، المتآمرون الثلاثة أن يجروا العالم إليها ، ولقد قيل الكثير من الأسانيد والحجج القانونية فى الأمم المتحدة تأييدا لموقف مصر السليم ، كما ألقيت الكلمات الحماسية من مندوبى الدول المختلفة مثنية على موقف مصر المشرف فى دفاعها عن نفسها ، ومستنكرة بشاعة الغدر العدوانى المثلث ، وكانت بعض الجلسات تستمر حتى ساعات الفجر ، ومندوبو

الدول مثابرون مصممون على إتخاذ قرارات حاسمة بينما مندوبو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل واستراليا يطلبون التسويف والتأجيل فى الوقت التى كانت طائرات المعتدين وقواتهم تنزل أبشع ألون الإعتداء على المدنيين الآمنين .

وكان أن أثبتت الأمم المتحدة وجودها على الرغم من مناورات إنجلترا وفرنسا واستماتتهما فى التأثير على الدول الصغيرة حتى لا تنضم إلى زمرة المستنكرين الحانقين على الغدر المثلث والمسئولين عنه . وفيما يلى عرض سريع للأحداث التى جرت فى الأمم المتحدة نسرده على قدر ما يسمح به هذا المقال القصير :

٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦م :

تقدمت الولايات المتحدة بمشروعها الذى يقضى بإمتناع أى دولة عن إستخدام القوة أو التهديد فى منطقة الشرق الأوسط (وكان هذا موجهاً إلى إنجلترا وفرنسا) وبأن تنسحب إسرائيل على الفور من الأراضى المصرية إلى ما وراء خط الهدنة . ولكن إنجلترا وفرنسا عارضتا هذا القرار ، وأيدتا بذلك العدوان الإسرائيلى توطئة للسير فى مؤامرتهما .

٣١ أكتوبر سنة ١٩٦م :

بعد أن عارضت الدولتان المعتديتان مشروع القرار الأمريكى تقرر دعوة الجمعية العامة على الفور للنظر فى أمر العدوان المثلث (وذلك بناء على السابقة التى أخذ بها من قبل وهي الإتحاد فى سبيل السلم) . وهنا أيضاً تحدت كل من فرنسا وإنجلترا العالم بأسره وعارضتا عقد دورة طارئة للجمعية العامة .. وفى اللحظة الذى كان مشروع القرار اليوغوسلافى يقدم فى مجلس الأمن لعقد الدورة الطارئة للجمعية العامة كانت إذاعة صوت بريطانيا تتشدق وتفاخر بأن الهجوم الجوى قد بدأ على مصر

أول نوفمبر حتى صباح ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

بحثت الجمعية العامة مشروع القرار الأمريكى الذى يقضى مرة أخرى بسحب القوات المعتدية إلى ما وراء خط الهدنة ويوصى بأن يمتنع أعضاء الأمم المتحدة عن القيام بأعمال حربية فى منطقة العدوان ، وأن تبقى الجمعية العامة في جلسة طارئة حتى الإمتثال لهذا القرار ، ومرة أخرى تحدث الدول الثلاث الأمم المتحدة !! ففاز القرار بأغلبية ٦٤ صوتاً بينما عارضته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وإستراليا ونيوزيلندة . وفى اليوم الثانى من نوفمبر ،

حيث ثبت أن بريطانيا وفرنسا تستخدمان أسلحة حلف الأطلنطى فى العدوان على مصر ، ارسلت الولايات المتحدة مذكرة إلى الحكومتين المعتديتين تعترض على هذا المسلك وتذكرهما أن الأسلحة التى حصلنا عليها عن طريق إتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة يجب ألا تستخدم فى أغراض عدوانية . ولكن هذا لم يمنع بريطانيا وفرنسا من الإستمرار فى العدوان وإستخدام تلك الأسلحة فى الغارات الجوية على المدنيين الآمنين فى مصر .

٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

استمر العدوان الثلاثى على مصر ، وتقدمت كندا بمشروع قرار لإنشاء قوة طوارىء دولية تابعة للأمم المتحدة فوافقت عليه ٥٧ دولة ، وإمتنعت الدول المعتدية التى إستمرت فى عدوانها على مصر . وفى نفس اليوم قدمت الدول الأفريقية الأسيوية التسع عشرة مشروع قرار يقضى بأن يتولى السكرتير العام للأمم المتحدة تنفيذ وقف إطلاق النار ووقف تحرك القوات الحربية والأسلحة إلى المنطقة ، وأن يقدم تقريرا فى ظرف إثنتى عشرة ساعة عن مدى الإمتثال لهذا القرر ، وقد وافقت ٥٩ دولة على هذا القرار ، ورغم ذلك إستمر العدوان الثلاثى على مصر .

٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

وافقت الأمم المتحدة بأغلبية ٥٧ صوتاً وإمتناع ١٩ دولة على مشروع قرار قدمته كندا وكولومبيا والنرويج يقضى بتكوين قوة طوارىء دولية تقوم بتنفيذ قرار الجمعية العامة الصادر فى ٢ نوفمبر .

٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

استمر العدوان على مصر ، واستبسل الشعب المصرى فى الدفاع ، وتحمل الكثير من التضحية فى سبيل إعلاء كلمة الأمم المتحدة ، ودافع الشعب ضد العدوان الغادر على بور سعيد ، ولم تستطع قوى الشر أن تنال من مصر ولا من كرامتها وبسالة شعبها .



عبد الناصر فى الأزهر الشريف يوم بدأ العدوان الثلاثى على مصر وسنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل ولن نسلم

٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

إزاء إخفاق السياسة العدوانية المثلثة وإزاء غضب الرأى العام العالمى ، وأمام إستبسال الشعب المصرى فى الدفاع عن كيانه رخضت الدول المعتدية وقبلت إيقاف إطلاق النار إبتداء من الساعة الثانية بتوقيت القاهرة من صباح السابع من نوفمبر .

إنتهت رواية د . محمد صقر خفاجة .

ثالثاً : نتائج الحرب :

أيا ما كان التقييم الذى سبق شأن حرب السويس فإننا نسجل هنا عدداً من النتائج الهامة لهذه الحرب .

١ - إن مصر قد أحسنت إستغلال ظروف المواجهة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية والصراع بين فرنسا وبريطانيا وأمريكا فى تأكيد دور مصر القيادى وفى العمل على تحقيق إنسحاب للقوات المعتدية حيث خرج عبد الناصر من حرب ١٩٥٦م وهو أكثر قوة من حيث الزعامة السياسية للعالم العربى .

٢ - أن أحد النتائج المترتبة مباشرة على الموقف السوفيتى من العدوان هو توثيق العلاقات المصرية - السوفيتية وبداية توطيد النفوذ السوفيتى فى المنطقة ، كما أن أحد النتائج المباشرة هو خلافة الولايات المتحدة لكل من بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط وطرح إيزنهاور لمبدأ الفراغ ومعارضة مصر له وتأكيدها على ضرورة الإستناد إلى دفاع عربى عن المنطقة ضد إسرائيل العدو الرئيسى وليس السوفيت .

كل تلك المتغيرات قد قادت إلى خلق بذور التصادم المصرى - الأمريكى والذى إكتمل بالإرتباط الإسرائيلى - الأمريكى بعد الحرب .

٣ - قد ظهرت مؤشرات عديدة لدور المنطقة العربية فى مساندة الصمود المصرى حيث قطعت سوريا أنابيب البترول التى تحمل بترول العراق إلى المتوسط ، كما أعلنت السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من بريطانيا وفرنسا وحرمت بيع بترولها لكل منهما كما رفضت ليبيا السماح للقوات البريطانية المرابطة على إقليمها أن تتحرك ضد مصر ، لكن لم تتحرك أية قوات عسكرية للدفاع عن مصر حسب ميثاق الضمان الجماعى كما أنه

لم تتحرك جيوش الحلف العربى المكون من سوريا والأردن والسعودية ومصر والذى تم التصديق على معاهداته قبل العدوان مباشرة .

كما لزمت جامعة الدول العربية الصمت طوال فترة العدوان .

٤ - أن حرب ١٩٥٦ قد أكدت عدة مبادىء للأمن المصرى :

- ان سيناء لا تصلح لأى معركة دفاعية .
- أن الأخطار التى تواجهها مصر دائما تأتى من الشمال والشرق نظراً للطبيعة المفتوحة للسواحل المصرية .
- ضرورة الإستناد للمنطقة العربية فى تدعيم الأمن المصرى .
- ضرورة التماسك الداخلى والتعاون الموثق بين القيادات السياسية والعسكرية .
- حسن إستغلال الإطار الدولى وتدعيم العلاقات المصرية - السوفيتية .

٥ - إن مصر قد إستطاعت تحقيق إنسحاب منظم للقوات المصرية من سيناء وبالتالى حافظت على قوة وتماسك الجيش والقوات المصرية وتبرز خطورة تلك النتيجة لو قارناها بالإنسحاب العشوائى لعام ١٩٦٧م والذى الحق خسائر فادحة فى الجيش المصرى حيث لم يكن فى مصر بعد ١٩٦٧م سوى قوات مهلهلة وقيادات مذعورة[١] كما سنرى فى الفصول القادمة .

إن حرب السويس كانت بحق نهاية لعصر وبداية لعصر جديد ليس داخل مصر فحسب بل وفى العالم المحيط بها .

رابعاً : تقييم المفكرين المصريين لحرب السويس :

سوف نأخذ هنا مجرد نماذج لما كتبه علماء وأساتذة تاريخ فى تقييم الحدث ، وبخاصة أولئك الذين عاشوه وكتبوا عنه وسنمحور آرائهم فى الآتى :

(١) وجهة نظر طه حسين فى حرب السويس :

كان لطه حسين آراء ودراسات هامة فى كافة نواحى الحياة والفكر خلال المرحلة

---

(١) انظر لواء د . محمود خليل - مصدر سابق - ص ٣٩٣ .

السابقة على ثورة ١٩٥٢م ولكنه بعد الثورة تضاءلت المساحة التى أسهم فيها طه حسين على صعيد الفكر والسياسة ، وعلى الرغم من تضاءلها إلا أنه كان مساهماً فى الأزمات بالرأى والرؤية الثاقبة وكانت حرب السويس ١٩٥٦م واحدة من تلك الأزمات التى أدلى فيها طه حسين بالرأى ، ففى كتاب صادر عن هذه الحرب وجدنا هذه الرؤية التى نورد أهم أجزاءها :

يقول طه حسين :

إلاستقلال لا يستقيم للشعوب ولا يثبت فيها بالكلام مهما يكن بليغاً رائعاً ، وإنما يستقيم ويستقر ويثبت بالقوة التى تؤيده وتسنده وتحوطه وتذود عنه وعن الوطن كل من يطمح إلى العبث به أو الإعتداء عليه ، ومن أجل ذلك جدث الثورة فى تنظيم الجيش وتقويته والتمست له السلام الذى هو قوام القوة وملاك البأس ، وقد التمست هذا السلاح فى الغرب فلم تجد عنده إستجابة لها وإنما وجدت عنده البخل عليها والإشفاق منها والمكر بها والكيد لها والحذر من أن تصبح مصر دولة قوية يكبرها الصديق ويرهبها العدو . فالتمست الثورة ما تحتاج إليه من السلاح حيث إستطاعت أن تجده ، وظفرت منه بما أرادت ، وهنالك ثارت ثائرة الغرب ، والغرب الأوروبى خاصة ، فأصبح المكر بها والكيد لها ظاهرين لا يستخفى بهما الإنجليز والفرنسيون ، وإنما يجاهرون بهما فى غير تحفظ ولا إحتياط ، وأممت مصر قناة السويس غير متجاوزة حقها ولا مخالفة عن القوانين الدولية ولا ظالمة للشركة القديمة التى كانت تستغل القناة ، وهنالك صرح الشر ، وهنالك إنتهزت الفرص وإخترعت إختراعاً ، وأقبل الإنجليز والفرنسيون مجلبين بالقوة والبأس مجاهرين بالبغى والعدوان مخالفين عن أصول الحق والعدل والقانون معتدين على مصر الوادعة الآمنة التى لا تبغى لنفسها ولا لغيرها إلا الحياة الكريمة الرضية فى ظل العدل والحق والقانون والأخاء الإنسانى العام .

وكان هذا العدوان تمحيصاً للشعب المصرى من جهة . وإمتحاناً للأنسانية المتحضرة من جهة أخرى . فأما الشعب المصرى فقد تكشف عن حقيقته الخالدة وأظهر أنه يعرف النهوض بعبء الحق حين يجد الجد ، ويعرف الجهاد فى سبيل الحق حين يدعى إلى هذا الجهاد ، ويتعرض إستقلاله للخطر . وعرف أن كرامة الدنيا والآخرة لا سبيل إليها إلا بالجهاد والصبر والثبات ، وأثبت أنه يؤمن بدينه حق الإيمان ويستجيب لقول الله عز وجل ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ .

وأما الإنسانية المتحضرة فقد أثبتت شعوبها منفردة ومجتمعة فى هيئة الأمم المتحدة أن هذه المثل العليا التى تقوم عليها الحضارة من الحق والعدل والإنصاف ليست كلاماً يقال وإنما هى حقائق واقعة لا تتردد الأمم فى الذود عنها مهما يكن المعتدون عليها .

ونظر الإنجليز والفرنسيون فإذا مصر تلقاهم بثباتها الخالد العظيم وبتأييد الأمم المتحضرة كلها . وستثبت الأيام المقبلة أن مصر الثائرة ستقهر هذا الخطب كما قهرت خطوباً غيره من قبل ، وستنتصر على هذا العدوان كما إنتصرت على أمثاله من قبل ، وأن الإنجليز والفرنسيين سيرتدون عنها مدحورين خائبين ، وسيقنعون من الغنيمة بهذا الخزى العظيم الذى سيعودون به إلى بلادهم ، وسيلقون به شعوب الأرض وقد ألقى على وجوههم أغشية من الخجل المذل الذى لا يليق بشعب كريم .

* تلك هى رؤية طه حسين فى العدوان الثلاثى ، أو حرب السويس ١٩٥٦م ، وهى هامة وموحية فى الوقت نفسه .

(٢) رؤية د . محمد أنيس :

يرى د . أنيس بإعتباره مؤرخاً له ثقله وقدره أن عام ١٩٥٦م بدأ ومصر قد حددت بشكل نهائى قاطع واضح سياستها فى المعترك الدولى : تدعيم السياسة الإستقلالية عن الغرب ومحاربة الإستعمار فى كل مكان بصفة عامة وفى المجال العربى بصفة خاصة . ثم خطت مصر خطوة أخرى فى سبيل تدعيم سياستها الإستقلالية فى مؤتمر بريونى فهذا المؤتمر لم يكن أكثر من محاولة لنقل الكثير من مبادىء مؤتمر باندونج من آسيا إلى أوروبا . وكان من الطبيعى أن يسلط الغرب كل قوته على مصر بعد هذا المؤتمر وبعد أن وضح للعالم مدى الخطر الذى يتهدد الإستعمار الغربى من جراء السياسة الإستقلالية التى تنتهجها مصر .

ويرى أيضا فى الخطاب الذى ألقاه عبد الناصر فى ٢٦ يولية توضيح كاف لمدى الضغط الغربى الذى كان واقعاً علينا حينئذ . قال : « يريدون (الدول الغربية) منا أن ننفذ السياسة التى تملى ، ولكن مصر أبت وأرادت إلا أن تكون لها شخصيتها المستقلة . فمنع عنا السلاح وسلحت إسرائيل وأصبحت خطراً يهدد ، وقالت بريطانيا نحن مستعدون لتسليحكم ولكن على شرط أن يسكت عبد الناصر فى باندونج ودعونا ننفذ خطتنا فى

الأحلاف ، أصبح التسليح إذا أداة لتقييدنا وتقييد حريتنا ولكننا لسنا على إستعداد لدفع الثمن من شخصيتنا ومبادئنا وبهذا لم نستطع الحصول على أى شىء من السلاح لا بالثمن ولا مجاناً .

استطعنا بعد ذلك أن نحصل على السلاح من روسيا .. فحصلت ضجة ، ما سببها ؟ قالوا أن لديهم خطة وهى حفظ التوازن بين الدول العربية وإسرائيل ، طيارة للدول العربية كلها وأخرى لإسرائيل لحفظ التوازن . من الذى أقامكم أوصياء علينا لحفظ التوازن ؟ نحن لا نقبل وصاية أحد ، ولكنه الإحتكار للسلاح الذى كانوا يتحكمون به فينا فلما إستطعنا تحطيم هذا الإحتكار إنهارت كل خططهم . لم يستطع الإستعمار التحكم عن طريق منع الأسلحة .

وأرسلت أمريكا مستر ألن مندوبا لها ليحمل رسالة من الحكومة الأمريكية .. قالت الأنباء أنه يحمل تهديدا لمصر وإتصل بى أحد الرسميين الأمريكين لمقابلتى .. ونصحنى بأن أقبل الرسالة بأعصاب هادئة ، فقلت كيف أقبلها وفيها جرح للعزة المصرية ، فقلت لن يترتب عليها أى أثر عملى فهى مجرد رسالة ، فقلت أنى لست رئيس وزارة محترف ولكنى رئيس وزارة عن طريق ثورة ولن أتردد ، مندوبكم إذا حضر وتكلم كلمة سأطرده . هذا كلام رسمى سأعلن للشعب أنكم أردتم إهانة عزته وكرامته وسنقاتل جميعاً لآخر قطرة من دمانا وأنى سأقاتل فى سبيل مصر لآخر قطرة من دمى فهددوا بقطع المعونة فقلت سأعلن قطعها ونحن لن نتلقى دورساً فى السياسة .

حدث هذا الضغط وتلك التهديدات فى أكتوبر ١٩٥٥ - والقول للدكتور أنيس - ثم خطت الدول الغربية بعد ذلك خطوة أخرى للضغط على مصر تمثلت فى موقفها من مشروع السد العالى . ذلك أن كلا من إنجلترا والولايات المتحدة والبنك الدولى (وتسيطر عليه أمريكا) كانت قد وافقت على منح مصر مساعدات وقروضا تغطى العملات الأجنبية اللازمة لتمويل المشروع ثم عادت نتيجة لموقف مصر الدولى المستقل وعدائها للإستعمار وحربها لحلف بغداد ، فسحبت العروض التى قدمتها وعلقتها - نفاقا وكذبا - بحل المشاكل المتصلة بمياه النيل ليوقعوا بين مصر من ناحية والسودان والحبشة وأوغندة من ناحية أخرى ، كما عمدوا إلى التشكيك فى سلامة الإقتصاد المصرى . وقابلت الحكومة المصرية سلوك الدول الغربية بتأميم شركة قناة السويس . ومع أن تأميم شركة قناة السويس

جاء من ناحية الترتيب الزمنى ردا على موقف الدول الغربية من مشروع السد العالى فمن المعتقد أنه كان فى أجندة السياسة المصرية منذ وقت غير قصير . ورغم أن هذا التأميم كان حلا لمشكلة تمويل السد العالى وضرورة يحتمها التحرر الإقتصادى وتصفية الإحتكارية الأوروبية فى مصر إلا أنه كان من ناحية أخرى بمثابة الجولة الرابعة فى النضال بين مصر من ناحية والإستعمار الغربى من ناحية أخرى والإمتحان الثانى لسياستنا المستقلة .

ويرى د . أنيس من موقف إنجلترا وفرنسا إزاء مشكلة قناة السويس إنبعثت رائحة البارود . فرغم أن تأميم هذه الشركة من صميم أعمال السيادة المصرية إلا أن خطة إنجلترا وفرنسا كانت تهدف إلى أن تخلق منه أزمة سياسية مفتعلة ففاجأت الأوليان العالم بالتهديد بإستخدام القوة والتعبئة على نطاق واسع وتحرك قواتهما المسلحة وإتخاذ خطوات إقتصادية معادية ضد مصر ثم تدبير خطة تهدف إلى إيقاف الملاحة فى القنال بتحريض المرشدين الأجانب وغيرهم من الموظفين فى شركة القنال على الإستقالة بالجملة دون إخطار كاف للسلطات المصرية حتى إذا ما تعطلت الملاحة عمدت الدولتان إلى التدخل المسلح بحجة فتح القناة وحماية المصالح البريطانية والفرنسية المعطلة . أخفقت المؤامرة البريطانية الفرنسية وإستمرت الملاحة على حالتها الطبيعية فى القنال . ولكن أزمة القنال كانت من المشاكل التاريخية النادرة التى كشفت عن عمق التناقض داخل معسكر الدول الغربية الثلاث ، بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو تناقض فى أبدع حدوده خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر لأن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية متساوية فيما تطورت إليه أزمة الشرق الأوسط - وهو خلاف فى مدلوله رغبة الولايات المتحدة فى أن تحتل مكان الدولتين الإستعماريتين فى الشرق الأوسط تماما كما فعلت فى الهند الصينية . فالولايات المتحدة أبان أزمة القناة ورغم إشتراكها مع إنجلترا وفرنسا فى كل الخطوات التى إتخذت ضد مصر كتجميد رؤوس الأموال المصرية فى البلاد الغربية الثلاث ومحاولة تدويل إدارة القناة والضغط فى مجلس الأمن ، كانت تعارض فى إستخدام القوة ضد مصر ، وهذه المعارضة وهذا التناقض بصفة عامة بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو الذى دفع هاتين الدولتين إلى الإنفراد بالعمل المسلح ضد مصر وتدبير المؤامرة الثلاثية بالإشتراك مع إسرائيل . والحق أن موقف الولايات المتحدة غير المشجع من هذه المؤامرة كان من العوامل العامة فى إخفاقها .

وبعد – فمن الواضح أن المؤامرة الثلاثية لم تكن تهدف فقط إلى تدويل القناة بالقوة ولا إلى تحطيم قوة مصر العسكرية بل كانت موجهة إلى إتجاه مصر السياسى الذى سارت فيه منذ مؤتمر باندونج ذلك الإتجاه القائم على إستقلالها الدبلوماسى فى المجال الدولى ومحاربة الإستعمار فى قوى الشعوب فى العالم وبالذات فى الشرق العربى . هذه هى الحقيقة الأساسية التى يجب أن نبدأ بها عند كل تقدير للموقف اليوم فلئن كانت إنجلترا وفرنسا قد أخفقتا إخفاقاً ذريعاً فى إجبار مصر على تغيير موقفها السياسى الدولى المستقل بالقوة وإذا كانت الولايات المتحدة بموقفها السلبى من حلفائها قد ساعدت على إخفاق خطة هاتين الدولتين فليس معنى هذا إطلاقاً أن الولايات المتحدة لن تتخذ من جانبها كل ما وسعها بالطرق الدبلوماسية وأنواع الإغراء والضغط لإجبار مصر على أن تغير موقفها الإستقلالى المتحرر . فالتقدير السليم للخلاف بين الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا أنه خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر أو المضمون ، وهذه بالضبط هى معركتنا فى المرحلة القادمة معركة المحافظة على إتجاهنا السياسى المتحرر ضد ضغط الدبلوماسية الغربية .

ومن وجهة نظر د . أنيس أنه من التقدير السليم أيضا أن نقول أن السياسة الإستقلالية التى سارت عليها مصر هى بعينها التى أنقذتها من المؤامرة العسكرية الثلاثية بل أنقذت العالم كله من حرب عالمية ثالثة . ففى حصر القوى المتحالفة معنا إبان هذه المعركة يجب أن لا ننسى أبداً دور القومية العربية والشعوب الأسيوية الأفريقية والدول الإسلامية الكبرى والرأى العام العالمى .

فالواقع أن الضمير الإنسانى لم يهتز كما إهتز لمصر فى أزمتها الأخيرة ، ولم يكن الرأى العالمى إيجابياً فى نصرة الحق كما كان فى قضيتنا والمعسكر الشرقى لم يكن حاسماً فى ردع إنجلترا وفرنسا كما كان فى أزمة الشرق الأوسط والولايات المتحدة لم تقف موقفاً يهدد التحالف الغربى بالإنهيار كما فعلت فى موقفها من الأزمة المصرية ولم يهدد الكومنولث البريطانى بخطر التفكك كما هدد اليوم .. كل هذا بسبب إتجاهنا السياسى المستقل وهو إتجاه ينبع من المصالح الحقيقية للشعب المصرى . فنحن نعادى الأحلاف الإستعمارية عامة لأنها موجهة ضد إستقلالنا وضد حرية الشعوب قبل أن تكون ضد الدول الشرقية . ونحن نعادى حلف بغداد بالذات لأنه يجر شعوب الشرق الأوسط ومنها شعب مصر إلى عجلة الإستعمار بكل ما فيه من تخريب لمصالح هذه الشعوب الإقتصادية وإعتداء على سيادتها . ونحن نرحب بالسلام العالمى ، على أساس إندحار الإستعمار ، لأن السلام العالمى يمنح الشعوب بما فى ذلك شعب

مصر فرصة للبناء الداخلى .

وأخيراً يؤكد د . أنيس فى رؤيته التقييمية لحرب ١٩٥٦م أن اتجاه مصر السياسى المستقل منبعث تماماً من صميم مصالحنا الذاتية وإن كان يترتبط أشد الإرتباط بمصالح الشعوب عامة والشعوب العربية خاصة .

لقد أخفقت المؤامرة الثلاثية على مصر ، لا جدال فى هذا . وبقيت معركة الضغط السياسى علينا للحيلولة بيننا وبين السير قدما فى إتجاهنا السياسى المستقل .

(٣) رؤية الإسلاميين الأصوليين :

لكى تكتمل الصورة التقييمية لحرب السويس ، كان لابد من تقصى رؤية الإسلاميين الأصوليين ، وبخاصة العلماء والباحثين الجادين منهم ، ونحن نورد هنا - مع تسجيل إختلافنا فى العديد من النقاط معهم - رأى أسامة حميد ، أحد أبرز الباحثين الإسلاميين المنتمين لتنظيم الجهاد الإسلامى فى مصر ، والذى يرى أن مهمة عبد الناصر خلال الفترة من ١٩٥٤م - ١٩٥٧م أى شاملة حرب السويس كانت هى تصفية القضايا الوطنية . ولنتناول بإيجاز رؤيته ودون تحريف .

بداية يقول أسامة حميد فى بحثه فى تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - مصدر سابق ص ٧٨ - لكى يمكن أن نحكم حكما صحيحاً على موقف العسكريين من القضايا ا لوطنية يجب أن ننظر إلى :

١ - تركيبتهم الفكرية والنفسية ومفهومهم للإنتماء وأثر ذلك على موقفهم من القضايا الوطنية .

٢ - تناقضات القوى العظمى فى ذلك الوقت ومدى تعويل العسكريين عليها .

بالنسبة للنقطة الأولى :

يمكننا أن نقسم العسكريين إجمالا إلى :

* إسلاميون (سياسيون وليسوا أصوليين) : كمال الدين حسين - حسين الشافعى (رغم جرائمه فى حق الإخوان) - وهؤلاء كان عداؤهم للغرب ولليهود من منطلق عقائدى - فمثلاً بمجرد أن نشبت حرب فلسطين - سارع كمال الدين حسين بالتطوع أما عبد الناصر

فقد أجل موضوع التطوع حتى يدرس الأمر على مستوى الدولة كلها حسبما يذكر حمروش .

* يساريون ، وهؤلاء – على قلتهم – لم يعادوا الصهيونية من الأصل – وبالطبع لم يكونوا معادين لأمريكا – بل أن الذى حذف كلمة « الأمريكى » من عبارة الإستعمار الأنجلو أمريكى فى منشورات الضباط الأحرار لم يكن سوى خالد محيى الدين (حسبما شهد لحمروش) .

* وطنيون (ومنهم كثير من المتطرفين فى وطنيتهم) مثل عبد الناصر – صلاح سالم وجمال سالم – بغدادى – السادات وعموما كان هذا الجناح يشكل أغلبية الضباط الأحرار – وهؤلاء لم يكونوا يحملون أية عقيدة – ويمثل أفكارهم أصدق تمثيل ما أورده عبد الناصر فى « فلسفة الثورة » حيث أوضح أن فهمه لقضية فلسطين مر بمرحلتين :
١ – كان يشترك فى الإضرابات إحتجاجاً على وعد بلفور – ولكن كان ذلك مجرد « صدى للعاطفة » .

١ – ثم بدأ « الفهم يتضح عندما بدأ يدرس وهو طالب بكلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل « أ » ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعاً فى أعماق بأن القتال فى فلسطين ليس قتالاً فى أرض غريبة (وكأن هذه البديهية محل شك) وهو ليس إنسياق وراء عاطفة وإنما هو واجب يحتمله الدفاع عن النفس .

(فإن هذا الفهم بمدركات فلاح مصرى بسيط مثلا) .

ويحرص عبد الناصر على التأكيد فى فلسلفة الثورة « وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين وهو لا يحس بالإنتماء لفلسطين كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه – ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب .

– كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر – بل أن عبد الناصر قد وصل به الأمر إلى أنه أعلن صراحة رفضه لحرب فلسطين (مذكراته بمجلة المصور أواخر ١٩٥٢م التى تساءل فيها لحساب من تدور تلك الحرب)– ومن المثير للسخرية أن عبد الناصر أورد فى فلسفة الثورة قصة لقائه بضابط إسرائيلى وطلبه الإستفادة بخبرات اليهود فى محاربة

الإنجليز !!

وإذا كان هذا هو موقف معظم العسكريين من إسرائيل - والقول لأسامة حميد - فلن نستغرب بعد ذلك من موقفهم من أمريكا - يقول السادات (البحث عن الذات) كانت صورة أمريكا فى أذهاننا مقترنة بمناصرة حركات التحرر ويقول هيكل (فى كتابه عبد الناصر والعالم) كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معانى النجاح والفتنة - براقة متسامية على الفشل الذريع الذى منى به الإستعماريون القدامى وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيون بدور رئيسى فى الشرق الأوسط ومستعدين لقبولها[1] .

بل إن المرء ليشك فى أن العسكريين كانوا يعادون بريطانيا بحق - فقد كان تمثال أحمد ماهر قائماً أمام مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة و لم يستثر هذا مشاعرهم وما زال التمثال قائماً إلى اليوم .

نخلص من ذلك إلى أن العسكريين :

- لم يكن لهم إنتماء أوسع من الإنتماء لمصر (حيث تم تقنين هذا الإنتماء فى دستور ١٩٥٣م) .
- لم يحملوا عقيدة معادية للأعداء التاريخيين والحضاريين للأمة .

ويرى إسامة حميد أيضا :

ولذلك - فعندما سعوا لتحقيق العدالة الإجتماعية - لم يكن تعنيهم تصفية القضايا الوطنية التى لم يجرؤ حزب الوفد نفسه على المخاطرة بتصفيتها محافظة على ما قد يكون قد تبقى له من رصيد - وقد كان شعور العسكريين بعدم الإنتماء للعرب أو للإسلام مما سهل فى تصفية القضايا الوطنية .

---

(١) قارن ذلك بسلسلة المقالات التى كتبها سيد قطب بمجلة الرسالة ١٩٥١ بعنوان « أمريكا التى رأيت » وفيها وصف أمريكا بأنها « لا تساوى شيئاً فى ميزان القيم الإنسانية » (والقول للإسلاميين الراديكاليين) .

ولكن الأمور لم تسر كما خططوا لها - فيقول عبد الناصر « فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة »[١] . (١٩٥٥م) وتوالت الغارات اليهودية على غزة وسيناء بعد ذلك (خاصة غارة مايو ١٩٥٥م) - والغارة على خان يونس فى أغسطس ١٩٥٥م وإحتلال اليهود للعوجة فى سبتمبر وغارتهم على الكونتلا فى أكتوبر وعلى الصبحة فى نوفمبر ١٩٥٥م) - وقد أدى ذلك إلى إلتماس التأييد من خلال إنتماء أوسع - وكان الإنتماء العربى الذى قننه دستور ١٩٥٦م .

وبسبب تركيبتهم النفسية المستهترة (التى تبدو بوضوح فى وثائق تلك الفترة) - إضافة إلى عدم معاداتهم للغرب - بسبب ذلك لم يتصور العسكريون أن يعادوا الغرب - وحسب مذكرات البغدادى (جـ ١ ص ٣٤٥) فقد إنقسم أعضاء مجلس القيادة آزاء العدوان الثلاثى إلى :

- صلاح سالم : إقترح التسليم للسفارة البريطانية[٢] .

- على صبرى[٣] (مدير مكتب عبد الناصر) أقترح قبول الإنذار الإنجليزى والتسليم للسفارة البريطانية .

- عبد الحكيم عامر (قائد الجيش) أقترح طلب وقف إطلاق النار تفاديا لتدمير البلاد وقتل المدنيين ولأن الشعب سيكره النظام والقائمين عليه .

- عبد الناصر : قرر الإنتحار وطلب من زكريا محيى الدين إحضار سيانور بوتاسيوم يكفى

---

(١) فى خطاب أول مايو الشهير (١٩٧٠) قال عبد الناصر : « بعد قيام الثورة كنا قد جمدنا اعتمادات القوات المسلحة وكان همنا بعد قيام الثورة أن نبنى بلدنا وأن نحولها إلى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة - كنا نريد أن نكرس كل شيء من أجل البناء - ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة » . لقد قتل فى غارة وحدها ٣٩ شخصاً وجرح العشرات .

(٢) راجع أيضاً شهادة مماثلة لمديلا مكتب عبد الناصر (الجيار) فى روز اليوسف عددى ١٢ يناير ، ١٥ مارس ١٩٧٦ .

(٣) راجع شهادة الجيار فى نفس العددين السابقين من روز اليوسف : لم يكن على صبرى من الضباط الأحرار لكنهم احتاجوه ليلة الانقلاب ليتصل بالسفارة الأمريكية وبعد ذلك عينه عبد الناصر مديراً لمكتبه ثم صار وزير شئون رئاسة الجمهورية ثم صار رئيساً للوزارة !!

لإنتحار كل مجلس القيادة .

- بعض الضباط أرادوا الإستمرار فى القتال لأن دواعى الشرق تستدعى منا الإستمرار فى القتال .

كل هذا بينما الشعب «يستهتر بالغارات الجوية وكانت معنوياته مرتفعة» حسب بغدادى . وياله من موقف مثير للسخرية عندما كانت أولى مهام بغدادى بعد خروج قوات العدوان من بور سعيد أن يسحب السلاح الذى استولت عليه الجماهير لتحارب - بل الأكثر إثارة للسخرية أن واحد من جماهير بور سعيد قال له « خلى السلاح معانا يا بيه يمكن ييجوا الإنجليز تانى نبقى ندافع بيه عنكم » !!

وفى موضع آخر من بحثه :

كانت الصراعات بين القوى العظمى فى ذلك الوقت مرتبطة بما أسفرت عنه الحرب العالمية الثانية ، أى صعود أمريكا وروسيا وأفول نجم فرنسا وبريطانيا وكانت الأخيرتان ما زالتا متشبثتين بنفوذهما فى الشرق الأوسط وكانت أمريكا تريد طردهما نهائياً - وقد راهن العسكريون دائماً على الدور الأمريكى بإعتبار أمريكا هى الجواد الرابح ولذلك كانت سلوكياتهم لا تتعارض فى أى جزئية مع أهداف أمريكا حسبما سيتضح بإذن الله - ولما كانت الناس مفعمة بالكراهية لقوى الإستعمار القديمة فقد إستغل العسكريون تلك الفرصة لتصعيد الحملة الإعلامية ضد بريطانيا وفرنسا .

لقد سعت أمريكا إلى تحقيق (الإستقرار) للنظام الجديد فى مصر .

وفى هذا الإطار ووفقا لرؤية أسامة حميد :

١ - ضغطت على بريطانيا فى موضوع الجلاء (لدرجة أن مفاوضات الجلاء لم تستغرق إلا أسبوعين) .

وهذا دليل على أن نقاط الخلاف قد سويت قبل الجلسات وكان ذلك بوساطة أمريكا كما يقول حمروش (جـ ٢ ص ٣٤) .

٢ - فى اليوم التالى لعدوان إسرائيل - أى فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦م - قدمت أمريكا إلى مجلس الأمن مشروع قرار يدين إسرائيل ويدعوا إلى إنسحابها ! ودعا كميل شمعون (أكبر

عميل أمريكى فى المنطقة) فى ١٠/٣١ إلى مؤتمر قمة عربى لإنقاذ عبد الناصر وعقد المؤتمر فى بيروت فى ١١/١٣ .

٣ - فى هذا الإطار أيضا يمكننا أن نفهم مدى قيمة المخاطرة فى عمل مثل تأميم القناة ودعم ثورة الجزائر[١] .

وبسبب الرهان على أمريكا - لم يكن العسكريون يتصورون معنى الحياد - وعندما طرح الهضيبى الفكرة إستنكرها العسكريون واستغربوا[٢] - وفى خطب عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية أورد الشىء الكثير عن إلحاحاته على أمريكا وإخطاره للسفير الأمريكى بأن روسيا مستعدة لمد مصر بالسلاح - حتى ألجئوه أخيراً إلى روسيا .

إن أهداف أمريكا فى مصر (منذ ١٩٥٠م) كانت قد تحددت فى :

- تصفيةالقضية الفلسطينية .
- فصل السودان عن مصر .
- إخراج الإنجليز من القناة .
- مقاومة الشيوعية (طالما أن هناك من يستطيع تأدية دورها دون أن يكون شيوعياً) .

وبصرف النظر عن وجود تواطؤ بين العسكريين وأمريكا أم كان مجرد توافق - فإن الأهداف الأمريكية الأربعة هذه قد تم تنفيذها فى زمن قياسى جدا (١٩٥٤م - ١٩٥٧م) وذلك وفقا لرؤية الأصوليين الإسلاميين الذين يمثلهم أسامة حميد .

---

(١) لا يعنى ذلك التقليل من قيمة هذا العمل - وفى الحقيقة - فإن عبد الناصر بما ارتكبه من جبال من الجرائم كانت له حسنتان : دعم ثورة الجزائر - التأمينات .

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى : عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس — مدبولى - ١٩٧٥

ملحق الفصل الخامس
(حرب السويس ١٩٥٦م فى مدركات عبد الناصر)

سنة ١٩٥٦م دخلنا معارك أيضا من أجل البناء ، من أجل التصنيع ، من أجل التنمية ، التنمية معناها ، رفع مستوى المعيشة لكل فرد من أبناء هذه الأمة وعلى هذا الأساس واجهنا مناورات . إيدن قال فى مذكراته ولو أنهم وعدونا بأنهم سيمولون السد العالى ولكنه لم يكن ينوى بأى حال من الأحوال أن يشترك فى التمويل ، أممنا قناة السويس .. أدينا الحق المغتصب لأصحابه .

(العيد العاشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٣م)

قدم لنا مشروع السد العالى فى ١٩٥٢م ووضعناه موضع الدراسة وقابلنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهى بعد عشرة سنوات . وإتصلنا بالبنك الدولى وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة فى التمويل . وقال إن فيه عقبات فهناك الإنجليز وإسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع ،وليس عندكم نظام برلمانى فنطلب منكم عمل إستفتاء على هذا المشروع .

بعد مفاوضات من أجل السد العالى سحبوا تمويل السد العالى وردينا عليهم بعد ٣ أيام من سحب تمويل السد العالى أو أربعة .

(خطاب ١٩٦٥/٣/١٠م)

ثم بعد هذا حينما أجمعنا على بناء السد العالى لم نتردد فى تأميم قناة السويس لنسترد أموالنا ونبنى السد العالى .. والسد العالى الذى يزيد الأرض الزراعية فى بلدنا بمقدار الثلث .. السد العالى الذى أراد له الإستعمار ألا يظهر إلى الوجود .. أنه اليوم حقيقة واقعة .
(عيد الثورة الثالث عشر ٢٦ يوليو ١٩٦٥م)

معركة السد العالى كانت معركة كل واحد فيكم بل كل واحد عربى من أبناء الأمة العربية كان يعتبر معركة السد العالى معركة العزة .. معركة الكرامة لما سحب تمويل السد العالى أعتقدوا أن سحب التمويل أن السد العالى لن يبنى . إن إحنا حانركع على رجلينا ونستجدى ونشحت علشان يبنوا السد العالى ، إحنا شعب عمره ما ركع على رجليه ولا استجدى ولا شحت .

السد العالى علشان يبنى خضنا معارك .. تأميم قنال .. التهديد .. الحصار الإقتصادى ، تجميد أموالنا .. العدوان الثلاثى .. الحرب النفسية ... المؤامرات ..

(مؤتمر الإتحاد الإشتراكى ١٩٦٥/٣/٨م)

* معركة تأميم قناة السويس :

أننا لن نكرر الماضى .. سنقضى على الماضى بأن نستعيد حقوقنا من قناة السويس ، هذه الأموال أموالنا .. وهذه القناة ملك لمصر لأنها شركة مساهمة مصرية . ولهذا فقد وقعت اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتى :

باسم الأمة .. رئيس الجمهورية .. مادة واحد : تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية ..

(خطاب الأسكندرية ١٩٥٦/٧/٢٦م)

لقد قوبل تأميم القناة بثورة عارمة وحرب أعصاب وتهديد ووعيد وكان الهدف هو أنتم لم يكن الهدف هو جمال عبد الناصر .. لأن عبد الناصر وحده لا يمثل شعبنا .. ولكن الهدف هو شعب مصر الذى سار فى طريق الحرية سار فى هذا الطريق يبنى وينادى بالحرية .

* هزيمة العدوان الثلاثى :

السلاح الأخير وكلنا نعرفه ، هو إسرائيل عميلة الإستعمار ، حينما أراد أن يهاجم مصر إعتمد أولا على إسرائيل عميلته ، وحينما أقام الإستعمار إسرائيل بين البلاد العربية وبين العرب كان يريد أن يجعل من إسرائيل رأس جسر له لتحقيق أهدافه بالقضاء على القومية العربية ، وبالتفرقة بين العرب وبتفكيك حدة العرب وتحطيمهم .. اتبع الإستعمار كل هذه الوسائل وكان لابد لأستمرار المعركة مع الإستعمار وكما قلت لكم إننا حاربنا الإستعمار أولاً لكى نخرجه من بلادنا ، واستمرت الحرب خارج بلادنا حتى لا يتمكن الاستعمار من أن يعود إلينا تحت أى إسم من الأسماء كمناطق النفوذ والسيطرة المقنعة . أو أعوان الإستعمار . أو أى أسلوب من الأساليب .

(المؤتمر العاونى ١٩٥٧/١٢/٥م)

حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القناة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المغتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقاتل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادىء التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الإنذار البريطانى والفرنسى بأنهم يطلبوا تسليم بور سعيد والإسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة فسيتدخلوا فى الحرب إللى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بيننا وبين إسرائيل .. رفضنا هذا الإنذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى ، وكنا نواجه معركة مع إسرائيل ، وفى نفس الوقت فى إنتظار عدوان .. أما فى بور سعيد أو فى الأسكندرية أو عن طريق ليبيا لأن القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم نشعر أبداً بأننا قد نخسر هذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى وهى فرنسا وبريطانيا ومعهما إسرائيل .

(خطاب فى ١٩٦٥/٣/١٠م)

* إنتصارات الشعب .. من معركة ١٩٥٦م :

لما هزمنا العدوان الثلاثى بعد ما أممنا القناة ، زادت آمالنا ، وزادت أمانينا وإتسعت ، وقلنا إن إحنا حددنا الملكية وقضينا على الإقطاع وإن إحنا تخلصنا من الملكية المتآمرة مع الإستعمار وتخلصنا من الرجعية . وكان لابد أن نسترد كل المصالح الإقتصادية الأجنبية .

(مؤتمر الإتحاد الإشتراكى مارس ١٩٦٥م)

فى أول سنة ١٩٥٧م وجدنا أو بالأحرى أممنا المصالح الأجنبية كلها الإقتصادية .. ابتدينا بالإنجليزية والفرنسية وكانت تمثل الجزء الأكبر ، ثم بعد هذا البلجيكية ده قبل قرارات يوليو سنة ١٩٦١م . رغم هذا ورغم الحصار الإقتصادى ورغم الحصار إللى عمل علينا ماقدرناس نجيب قمح .. مافدرناش نجيب أدوية .. إستطعنا إن أحنا نعيش ونطلع من المعركة منتصرين .

من المعركة وفى بور سعيد ، ومن قلب النار .. خرجت قرارات التمصير الإقتصادى لأصحاب البلد الحقيقية .. قوى الشعب العاملة ، اللى خرجوا يدافعوا عن الثورة ، اللى خرجوا يدافعوا عن البلد بأرواحهم ..

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، خرجت الخطة الشاملة لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات تحقيقا للكفاية والعدل ..

ومن المعركة فى بور سعيد سنة ١٩٥٦م ، ومن قلب النار ، خرجت قوانين يوليو الإشتراكية التى أعلنت فى سنة ١٩٦١م ...

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، استلهم الميثاق واهم فصول الميثاق وإحكام الميثاق ليكون منهاجاً للعمل الثورى الكامل فى سعيه لأهدافه الشاملة ، ومن أجل الشعب العامل ومن أجل قوى الشعب العاملة ...

من المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار .. لاحت مقدمات معارك المستقبل .

(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢م)

كانت الهزيمة اللى لاقاها الأعداء ، واللى لاقاها العدوان ، لم تكن بأى حال من الأحوال ، نهاية المعارك ، ولكنها كانت تدل على أن هناك مقدمات لمعارك المستقبل نعيش فيها .

(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢)

كان العدوان قد اندحرت قواته العسكرية عن مصر ، يجرب بكل طاقاته ، محاولة تحقيق أهدافه عن طريق غير طريق القوة العسكرية .. كانت الحرب الأقتصادية على مصر تحاول أن تحقق بالتجويع ما فشلت فى تحقيقه بضرب القنابل .. وكانت الحرب النفسية مع حرب التجويع تتجه إلينا تحاول أن تزرع الشك على أراضينا المؤمنة .. وتنشر رياح السموم فى أجوائها الطاهرة .

(إفتتاح مجلس الأمة ١٩٦٠/٧/٢٠م)

الفصل السادس
عبد الناصر وأحلام الوحدة العربية



عبد الناصر : وأحلام الوحدة العربية

إذا جاء الحديث ، اليوم ، أو غداً ، عن الوحدة العربية فى أى مجلس فكرى أو ثقافى أو سياسى ، جاء بالضرورة ، الحديث عن (عبد الناصر) وذلك لأنه.إرتبط منذ العام ١٩٥٣م (عام كتابة عبد الناصر لفلسفة الثورة وبدء إدراكه للدائرة العربية فى الإنتماء) ، فى أذهان العامة والخاصة (بإستثناء جزء منهم بالطبع) بمسألة الوحدة العربية والتى ظلت هاجساً دائماً يحرك خياله السياسى ، وسياساته وقراراته ومواقفه .

* من هنا ، وفى إيجاز شديد سوف نفرد هذا الفصل للحديث عن أحلام الوحدة العربية (إنها أحلام لأنها لم تتحقق على أرض الواقع طيلة العهد الناصرى إلا فى الوحدة مع سوريا والتى سرعان ما أجهضت) . وعن عبد الناصر وأحلام الوحدة العربية نمحور الحديث فى العناصر التالية :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها على وعيه القومى .

ثانياً : تطور الفكرة العربية فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) .

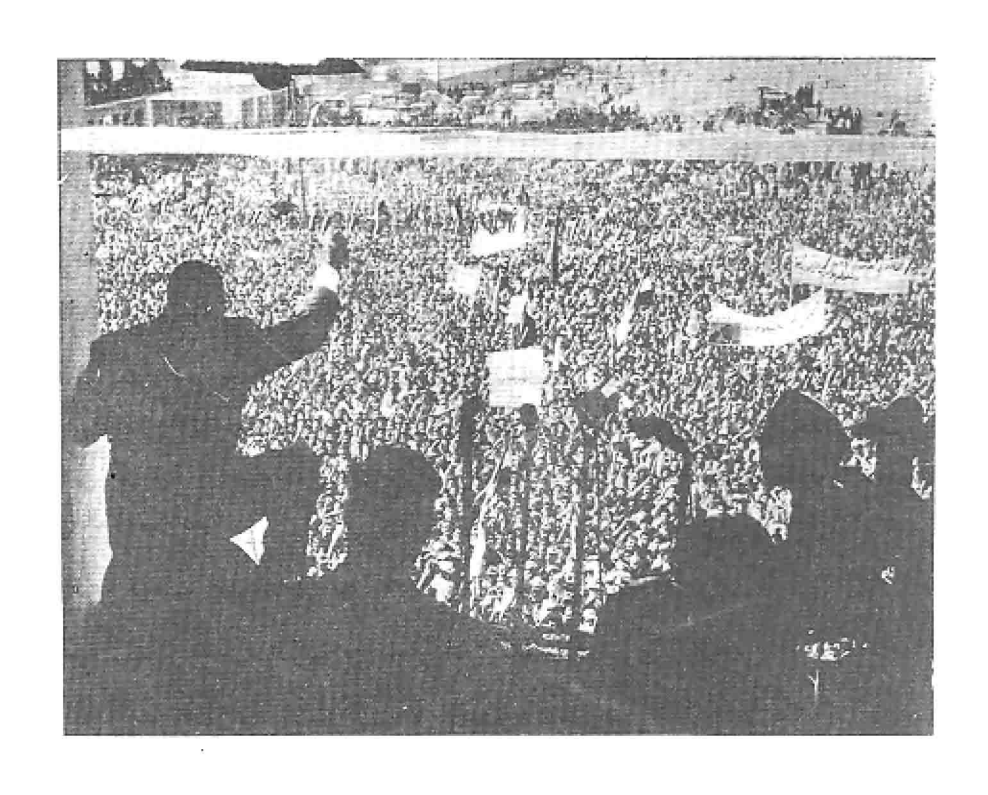
ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) .

رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها فى وعيه القومى :

إن المعلومات الوحيدة المتوفرة حول قراءات ، عبد الناصر قبل ١٩٥٢ هى المعلومات التى جمعها الكاتب السويسرى - الفرنسى ج . فوشيه وهى تحتوى على الكتب التى قرأها عبد الناصر عندما كان تلميذاً فى ثانوية النهضة فى القاهرة عامى ١٩٣٥م و ١٩٣٦م ، وعلى الكتب التى إستعارها من مكتبة الكلية العسكرية حين كان يدرس فيها عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، وفيما بعد عندما إختير ليعلم فيها من ١٩٤٣م إلى ١٩٥٢م ، والجدير بالذكر هو أن هذه الجردة لقراءات عبد الناصر التى قام بها فوشيه لا تعطى أية معلومات عن قراءات عبد الناصر بين ١٩٣٨ م و ١٩٤٣م وهى الفترة التى أمضى خلالها خدمة عسكرية لمدة ٣ سنوات فى السودان . كما أنها لا تلتفت إلى قراءاته خارج المدرسة والكلية العسكرية والتى تشمل الكتب والمجلات والجرائد العربية التى حصل عليها من خارج مكتبتى



فى حلب .. حين خرجت كلها تستقبل الرئيس .. ودوت هتافات فى سمع العالم كله ، ولم يستطع البطل الشهيد أن يرى كل الجموع المتراصة ، فأخذ الوضع ليلقى نظرة شاملة على الميدان الذى غص بالجماهير الفقيرة .

المدرسة الثانوية والكلية الحربية . ولقد إهتدى الكثيرون من الكتاب والباحثين بقائمة فوشيه لقراءات عبد الناصر وعلقوا عليها . ولن نعود إليها نحن فى بحثنا إلا للتساؤل عما إذا كانت تلك القراءات فى هذه الفترة تلقى ضوءاً إضافياً على نوعية إهتمام عبد الناصر بمصر وبالمنطقة العربية ؟ .

والسؤال لمارلين قصر والتى تجيب : يؤكد عبد الناصر بنفسه أثر تلك القراءات فى وعيه القومى فيقول : « ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع (الوعى العربى) لما أصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الآخير فريسة سهلة (...) ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الأعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب فى كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

نقدم فيما يلى تصنيفاً لقراءات عبد الناصر المعروفة فى مدرسة النهضة وفى الكلية الحربية وهى :

١ - دراسات دينية :

وقرأ فيها لكل من مصطفى كامل وأحمد أمين ، والأفغانى ومحمد عبده وعلى الغاياتى .

٢ - دراسات تاريخية :

يقرأ فيها لعبد الرحمن الرافعى : تاريخ الثورة المصرية ٣ أجزاء .

٣ - دراسات إستراتيجية :

المنشورات البريطانية حول الإستراتيجية العسكرية فضلا عن ١٦ مؤلفاً أجنبياً أوردهم فوشيه فى بحثه .

٤ - دراسات سياسية :

وقرأ فيها كتاب المعجزة اليابانية ٣ أجزاء - مجلة تايمز والكواكبى : طبائع الإستبداد - أم القرى - ولشكيب أرسلان مقالاته حول الشرق نشرت فى الأخبار واللواء .

٥ - دراسات عن السير والشخصيات التاريخية :

يقرأ فيها عبد الناصر عن حياة روسووفولتير وبونابرت(٤ أجزء) وبسمارك وفوش ، وغاريبلدى - غوردن - مارلبورو - تشرشل - هندنبورغ - وسيرة حياة مصطفى كامل ،

هذا فضلاً عن سير أخرى مكتوبة باللغة الإنجليزية .

٦ - دراسات أدبية :

وفيها قرأ لتوفيق الحكيم : عودة الروح وأهل الكهف ، وقرأ شعر أحمد شوقى وحافظ إبراهيم فضلا عن دراسات أدبية أخرى لكتاب وأدباء إنجليز .

إن جزئية هذه القائمة ، كونها لا تحصى إلا قراءات عبد الناصر المسجلة فى مكتبتى المدرسة الثانوية والكلية الحربية ، لا تسمح لنا إلا بإبداء بعض الملاحظات الأولية حول التأثيرات الفكرية الناتجة عن قراءاته :

أولا : لا شك أنه يمكن الإعتبار أن عبد الناصر كون لنفسه ، من خلال قراءاته ، ركيزة ثقافية وعلمية متينة فى الفترة الممتدة بين ١٩٣٦م و ١٩٤٦م ، ذلك أن هذه القائمة على جزئيتها ، تحصى حوالى ٧٥ كتاباً ذى قيمة علمية أطلع عليها ،، مما يدحض بشكل قاطع مزاعم بعض المستشرقين أمثال فاتيكيوتيس الذين صوروه كقائد « عديم الثقافة » .

تتوزع قراءات عبد الناصر المعروفة فى تلك الفترة بشكل متساوٍ بين مواضيع متعلقة بمصر ومواضيع متعلقة بالعالم الخارجى .

أما عن الشخصيات التاريخية التى أثارت إهتمام عبد الناصر فالملاحظ كما سبق وأشرنا أن قائمة . فوشيه بقراءات عبد الناصر المعروفة قبل ١٩٥٢م ، تشير إلى أن عبد الناصر إهتم كثيراً بمعرفة سير حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التى كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الدى ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا : أولهم من أجل الوحدة الألمانية ، وثانيهم من أجل الوحدة الإيطالية والثالث من أجل تكوين الأمة التركية الحديثة . وعلى المستوى المصرى الداخلى أهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التى كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الدى ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا وعلى المستوى المصرى الداخلى اهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة مصطفى كامل الذى ناضل من أجل استقلال مصر ووحدتها الوطنية .

وأطلع عبد الناصر فى الميدان العسكرى والإستراتيجى على فكر كبار المنظرين فى



عبد الناصر مع مجلس قيادة الثورة الليبي ومعمر القذافي

الإستراتيجية العسكرية أمثال كلاوز فيتس وليدل هارت وفوللر ولندسل ، وعلى تجربة كبار قادة الفن العسكرى الحديث أمثال بونابرت أو بسمارك وفوش وهند نبورغ وتشرشل وفوردن وغيرهم .

عندما سأل سولز برغر مندوب « النيويورك تايمز » عبد الناصر فى ١٩٦٩م ، إذا كان هناك شخصية معاصرة تأثر بها ، أجابه : « أعتقد أن أكثرهم تأثيراً على ، كان الفريق عزيز المصرى ، لقد أعجبت به عندما كنت ضابطاً صغيراً ، فلقد كافح فى سبيل الإستقلال وأصر عليه ، ولقد إلتقيت به مرات عديدة قبل الثورة وبعدها إستمرت لقاءاتنا تتكرر حتى وفاته .

والجدير بالذكر أن عزيز المصرى عمل فى الكلية الحربية فى عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، فى الوقت الذى كان عبد الناصر يتلقى دروسه هناك ، ومن المعلوم أيضا عن المصرى أنه أسهم فى إنشاء التنظيمات السرية التى جمعت الضباط العرب فى الجيش التركى : « الجمعية القحطانية » و « العهد » ، كما أنه أسهم بعد الحرب العالمية الثانية بإنشاء أولى التنظيمات التى إهتمت بالقضية العربية فى مصر مثل « الجمعية الثورية العربية » و « الرابطة الشرقية » (١٩٢١م) .

وحول تكون الوعى القومى العربى لدى عبد الناصر قبل ١٩٥٢م تتقدم مارلين نصر بالإستخلاصات التالية :

أولاً : هناك تطابق أو توافق بين نشوء تيار (عربى أو عروبى) داخل الحركة الوطنية المصرية ، وتكون الوعى العربى لدى عبد الناصر وكلا الظاهرتين تبلورتا فى الثلاثينات .

ثانياً : لم يتكون الوعى العربى لدى عبد الناصر عبر تنظيم سياسى محدد . فعلى الرغم من كونه قد إلتحق بضعة شهور فى جمعية « مصر الفتاة » وناضل مع الشباب الوفدى ، فإنه لم يتأثر بهذه التنظيمات الخاصة بقدر ما تأثر بمجملى حركة التحرر الوطنية والقومية فى مصر والبلدان العربية المجاورة .

ثالثاً : تابع عبد الناصر ، عندما دخل المؤسسة العسكرية ، مشاركته فى الحركة الوطنية من أجل الإستقلال بتعميق معرفته بآلية السيطرة الإستعمارية على مصر والمشرق العربى عبر ِ ءاته فى الكلية الحربية ، وعبر مشاركته كمناضل وضابط فى الجيش المصرى



عبد الناصر وعرفات الملك حسين يوقعون اتفاقية القاهرة لإيقاف مذبحة أيلول الأسود عام ١٩٧٠

فى حرب فلسطين إلى جانب الجيوش العربية الأخرى .

إذا لم يكن للبعد العربى لوعى عبد الناصر القومى فى درجة الصفر عشية ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢م . إنما كان هذا الوعى كامناً وفى حالة « اللا منطوق » ولم يعلن عنه عبد الناصر عبر الكلام والكتابة إلا إنطلاقاً من ١٩٥٣م فى «فلسفة الثورة» ثم فى خطبة حيث بدأ يبلوره ويفصله وذلك كما سيظهر فى الأجزاء التالية .

ثانياً : تطور (الفكرة العربية) فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) :

فى بحثه المتميز للسلام وأزمة الهوية فى مصر - القاهرة ١٩٨٥م يرى أستاذنا الراحل د . فاروق يوسف أنه بإستمرار إختلاط المصريين بالعرب وتفاعلهم معهم قوى الإتجاه العربى وضعف كل من الإتجاه الإقليمى المصرى والعالمى والإسلامى . وبدأ كثيرون من الأقباط والمسلمين يؤيدون التيار العربى الجديد ، الذى يجمع بين الصفة الدينية الإسلامية والصفة العلمانية القومية . ومن الذين أيدوا التيار العربى بحماس من الأقباط مكرم عبيد . ويظهر ذلك من قوله « نحن عرب ويجب أن نذكر دائماً أننا عرب وقد وحدت بيننا الآلام والآمال ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان وسهرتنا المظالم وخطوب الزمان كما تراجع كثيرون من أنصار التيار المصرى من المسلمين عن موقفهم السابق وممن تراجعوا عن فكرهم السابق بخصوص فكرة القومية العربية ولو بدرجات مختلفة الدكتور محمد حسين هيكل . والدكتور محمد عبد الله عنان ولو أنهما كانا يعتقدان أن الوحدة العربية بعيدة المنال فى الوقت الحالى . كما بدأت قيادات الأحزاب السياسية فى التحول إلى الفكرة العربية بما فى ذلك قيادات حزب الأحرار الدستوريين إمتداد حزب الأمة المعروف بدفاعه عن القومية المصرية . وكانوا يلجأون إلى العالم العربى للتشهير بالوفد . أما حزب مصر الفتاة فقد تضمن برنامجه الفكرة العربية .

وقد وصلت قوة الإتجاه العربى فى مصر إلى الدرجة التى جعلت أى إشارة مضادة له قد تؤدى إلى أزمة فكرية كما حدث فى بداية الثلاثينات عندما كتب طه حسين مقالاً فى جريدة كوكب الشرق الوفدية ذكر فيها خضوع المصريين فى الماضى « لضروب من البغى وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين ، وكان لذكر كلمة « العرب » ما أثار الكثيرون داخل مصر وخارجها ضده . وقد إنبرى

للرد عليه كتاب كثيرون ومصريون وعرب منهم عبد الرحمن عزام ومحمد على علوبة وأحمد حسن الزيات وعبد القادر حمزة وعلى الجندى ... الخ ، وقد عقدت عصبة العمل القومى عدة إجتماعات أصدرت على أثرها بيانات ساخطة ضد طه حسين بل وقد سار أعضاؤها فى موكب إلى ساحة الشهداء يحملون كتب طه حسين حيث أحرقوها هناك ودعوا إلى مقاطعة مؤلفاته ، وما كان منه إلا أن تراجع فى مقالاته اللاحقة وغير إتجاهه .

لقد كان إنشاء جامعة الدول العربية وإختيار القاهرة مقراً لها وإختيار أحد المصريين أميناً عاماً للجامعة إنما هو تجسيد للهوية العربية لمصر بموافقة حكومتها بالإضافة إلى شعور أغلبية شعبها بعروبة البلاد كما كان ذلك إعترافاً من البلاد العربية بالدور القيادى الطبيعى لمصر للعالم العربى . إلا أن هزيمة سنة ١٩٤٨م فى حرب فلسطين كان لها أثار سلبية على الإتجاه العربى فى مصر نتيجة لما قاساه الجيش المصرى فى الحرب دون أن تقم الجيوش العربية الأخرى بمساعدته برغم إستطاعتها القيام بذلك وخصوصاً الجيش الأردنى والعراق اللذان وقفا كمتفرجان فى الحرب الدائرة بين الجيش المصرى والعصابات الإسرائيلية بل لقد قام الجيش الأردنى ببعض التصرفات التى ساعدت القوات الإسرائيلية وأضرت بالجيش المصرى فى أثناء عملية القتال . ومن ذلك إنسحاب الجيش الأردنى من اللد والرملة . كما ظهر تواطؤ الملك عبد الله مع الإسرائيليين على حساب الجيش المصرى والقضية العربية . وعندما ظهر كل هذا واضحاً بدأت حملة فى بعض الصحف المصرية تنادى بالإبتعاد عن العرب والتنكر للعروبة . وقد عبر عن ذلك أيضاً بعض أعضاء البرلمان عند مناقشتهم للموضوع وما ترتب عليه من مآسى .

لكن قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م قضت على هذه الردة - وقد نظر عبد الناصر إلى الحكومات العربية التى كانت قائمة فى ذلك التاريخ على أنها مثل قطع الشطرنج تحرك بواسطة القوى الخارجية ولا إرادة لها وأن هذه الظروف العربية هى التى أدت إلى الهزيمة . ومنذ بداية الثورة وطوال عهد عبد الناصر شكلت الهوية العربية قيمة أساسية فى صنع السياسة الخارجية المصرية . وإنغمست مصر بالكامل فى المشاكل العربية من مساعدة لثوار تونس والجزائر والمغرب فى الغرب إلى عقد مواثيق الدفاع المشترك مع اليمن والسعودية والأردن وسوريا فى الشرق . ولقد نص الدستور الجديد الذى صدر سنة ١٩٥٦م بعد الثورة على هذه الهوية للبلاد عندما نص على أن مصر دولة عربية . كما وقف الشعب العربى بكامله من المحيط إلى الخليج بجانب مصر أثناء الإعتداء الثلاثى عليها .

وقد وصلت الفكرة العربية قمة إنطلاقها بقيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م وتكوينهما للجمهورية العربية المتحدة التى دخلت فى إتحاد كنفدرالى مع المملكة اليمنية فى نفس العام لتكوين ما سمى بإتحاد الدول العربية . وقد زاد عدد المصريين العاملين فى البلاد العربية وعدد الطلاب العرب الدارسين فى مصر وأصبح الإتجاه العام فى المنطقة العربية هو عمل توحيد ثقافى وإقتصادى بين البلاد العربية . وقد عادت مصر لتصبح مركز الثقل فى العالم العربى بل والإسلامى ولتتبوأ صورة مشابهة لصورتها أيام الحروب الصليبية وخصوصا فى عصر صلاح الدين الأيوبى ، حتى حاكمها جمال عبد الناصر فقد أصبح يماثل فى صورته السياسية صورة صلاح الدين . وقد قدم دكمجيان جدولا بيانياً للعلاقة بين الهوية المصرية والهوية العربية منذ سنة ١٩٥٢م ، ومنه يتضح أنه إبتداء من قيام ثورة ١٩٥٢م أصبحت الغلبة للتيار العروبى وأن ذلك قد برز بشكل واضح بعد فبراير سنة ١٩٥٥ وأنه بحلول سنة ١٩٥٩ كان التيار المصرى قد إندثر تماما بينما التيار العربى قد تصاعد بشكل كاسح .

ويرى د . فاروق يوسف أن هناك بعض المشكلات والمشاكل فى العلاقات العربية المصرية التى عادة ما تلقى بظلالها على مشكلة الهوية فى مصر . فموضوع هوية مصر وإن كان قد حسم فى بداية عهد الرئيس عبد الناصر لصالح الهوية العربية ، فإن هناك هويتين أخرتين فى مرحلة كمون وممكن تنشيطهما كلما سمحت الظروف وهما الهوية المصرية والهوية الإسلامية . ولذلك فإن أى مشكلات فى العلاقات المصرية العربية أو أية تطورات داخلية فى مصر يكون لها إرتباط بذلك قد يكون لها أثر على مشكلة الهوية فى مصر . وسوف نتتبع بعض هذه المشكلات والتى أهمها : أولاً : إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م ، وثانياً : هزيمة ، يونيو سنة ١٩٦٧م ، وثالثاً : السلام مع إسرائيل . وبتفصيل الجزأين الأوليين نلاحظ ما يلى :

١ - إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م :

يرى البعض فى هذا الصدد أن إنفصال سوريا عن مصر فى سنة ١٩٦١م وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة كان أول الأزمات السياسية المصرية العربية منذ قيام ثورة سنة ١٩٥٢م التى كانت لها إنعكساتها على هوية مصر العربية . فلم يقف الأمر عند حد إنفصال سوريا بل أعقب ذلك هجوم عنيف على النظام المصرى من الدول العربية الأخرى وخصوصاً من سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية والعراق وخصوصاً أثناء إنعقاد مجلس جامعة الدول العربية فى شتورا بعد الإنفصال مباشرة . مما

اضطر الرئيس عبد الناصر إلى إتخاذ قرارين خطيرين لهما أثر على هوية مصر العربية القرار الأول هو إلغاء الإتحاد الكنفدرالى الذى كان قائماً بين المملكة المتوكلية اليمنية وإعلان ضرورة دراسة موضوع الوحدة العربية . والثانى إعلان إنسحاب مصر من الجامعة العربية وإن كان القرار الأخير لم ينفذ بشكل نهائى .

ولقد ترك كل هذا فى نفوس المصريين مرارة وكانت له إنعكاساته السالبة على الإتجاه العربى فى مصر . ولكن بسبب وجود عبد الناصر على قمة النظام المصرى وهو الرجل الذى حسم الأمر لصالح الإتجاه العربى منذ بداية الثورة والذى كان يؤمن إيماناً مطلقاً بعروبة مصر ، فإنه لم يسمح لأى شخص داخل مصر أن يحاول إستغلال الخلاف المصرى العربى لصالح تقوية الإتجاه الشعوبى المصرى . كما فسر عبد الناصر إنفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة (نتيجة للحركة الإنقلابية فى سوريا التى قام بها الجيش هناك) على أنه صراع سياسى وصراع بين الطبقات الإجتماعية فى العالم العربى وبين الدول التقدمية والرجعية وإن الإستعمار والرجعية إنقضا على دولة الوحدة من أجل مصالحها وأن الشعب السورى نفسه برىء من تهمة الإنفصال[١] .

وقد أكد تفسير عبد الناصر هذا لإنفصال سوريا عدم إستقرار الأوضاع السياسية بها بعد الإنفصال . وزاد من هذا التأكيد قيام الثورة فى المملكة المتوكلية اليمنية وإنتصارها وإتجاهها إلى مصر طالبة العون والحماية حيث أمدتها مصر بكل المساعدات اللازمة وأرسلت جيشها للدفاع عنها[٢] ثم كان لإشتعال الثورة فى عدن والمحميات (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) بتأييد من مصر أثره أيضا على إثبات حيوية الإتجاه العربى فى مصر . وقد أعقب ذلك إنهيار أنظمة الحكم المعارضة للنظام المصرى بقيادة جمال عبد الناصر فى كل من العراق وسوريا وما ترتب على ذلك من قيام الأنظمة الجديدة بالإتصال

---

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الذى أذيع على الأمة العربية مساء ٥ أكتوبر سنة ١٩٦١ وكذلك خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ ، هيئة الاستعلامات المصرية ، خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٦٧ القسم الثالث ص ٥٥١ - ٥٥٦ ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ، وكذلك فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع هيكل ، بيروت : دار القضايا العربية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) عثمان سعيد الخليسى ، العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦ - ١٩٧٣ رسالة دكتوراة مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٧١ .

بعبد الناصر لعمل وحدة ثلاثية مصرية سورية عراقية . وقد جرى لذلك الغرض ثلاث جولات لمحادثات الوحدة بين الدول الثلاث سنة ١٩٦٣م . وتم الإتفاق على بعض المبادىء بخصوص الوحدة الجديدة وغيرت أعلام الدول الثلاث لتصبح مشتقة من علم الثورة المصرية . وبالرغم من فشل هذه المحاولة لإقامة الوحدة بين الأقطار الثلاث فإن ذلك لم يضر بالإتجاه العربى فى مصر لأن قادة مصر حملوا حزب البعث العربى الإشتراكى فى سوريا والعراق مسئولية الفشل وبرئوا الشعبين السورى والعراقى من ذلك . وبالرغم من عدم قيام الإتحاد بين الأقطار الثلاث فقد ظل رمزه قائماً فى شكل العلم الموحد الألوان والذى هو أساساً يرمز للثورة المصرية العربية . وكان لإشتعال مشكلة فلسطين مرة ثانية فى بداية الستينات وعمل إسرائيل على تحويل مجرى نهر الأردن أثره فى التقريب بين مصر والعرب رغم الخلافات الشديدة التى كانت قائمة بين مصر وبعض الدول العربية بسبب هجوم عبد الناصر على الدول المحافظة وتأييده للأنظمة والتنظيمات الثورية فى العالم العربى ولوقوفه إلى جانب الثورة اليمنية . وقد نص فى دستور مصر الصادر ١٩٦٤م أيضاً على أن مصر جزء من الأمة العربية .

٢ - هزيمة سنة ١٩٦٧م :

يرى د . فاروق يوسف بشأنها ما يلى :

كان لهزيمة سنة ١٩٦٧م أثراً سلبياً على الإتجاه العربى فى مصر لعدة أسباب منها الخسائر الجسيمة التى لحقت بالجيش المصرى وبسبب الأثر السىء الذى تركته الهزيمة فى نفسية المصريين تجاه الأمة العربية بسبب ما عاناه الشعب المصرى نتيجة لذلك . ولقد حاولت البلاد العربية أن تشارك فى تخفيف قسوة نتائج الهزيمة . إلا أن المشاركة لم تكن بالقدر المناسب الذى يجعل المصريين يحسون فعلاً بأن العرب أمة واحدة وأن لهم ، مصلحة واحدة ومصير واحد . وزاد الطين بلة المعاملة السيئة التى عومل بها المصريون العاملون فى البلاد العربية الذين زاد عددهم بسبب قسوة الهزيمة وقلة مصادر الرزق فى مصر بعد سنة ١٩٦٧م وتهجم بعض العرب حتى من الفلسطينيين على الجيش والشعب المصرى . وبالرغم من ذلك لم يجرؤ أحد فى مصر على مهاجمة القومية العربية أو الإتجاه العربى وذلك بسبب وجود الرئيس جمال عبد الناصر على قمة النظام السياسى فى مصر . وتأكيداً للإتجاه العربى فقد إقترح فى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨م على أن ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الإنتماء المصرى للأمة العربية تاريخيا ونضالياً ومصيرياً وحدة عضوية

فوق أى فرد .

إلا أنه نتيجة لضغط الظروف وقسوة المشاكل الأقتصادية وعدم حصول مصر على المساعدة المناسبة من الأشقاء العرب اتجه الرئيس جمال عبد الناصر تكتيكيا وليس إستراتيجياً إلى قبول الحل السلمى للمشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مؤقتاً حتى تلتقط مصر أنفاسها التى كانت قد تقطعت . وقد ظهر ذلك واضحاً فى قبول الرئيس جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز وقد ترتب على ذلك حملة ضد مصر وخصوصاً من جانب النظام السورى ومنظمة التحرير الفلسطينية وبالطبع ترك ذلك مرارة فى نفوس المصريين . مما أدى إلى نمو الإحساس بالمصرية والتى عبرت عنها وسائل الإعلام المصرية بطرق مباشرة وغير مباشرة . كما إضطر الرئيس عبد الناصر أن يعترف بذلك فى أحاديثه[1] إلا أن قيام الثورة فى السودان ثم فى ليبيا سنة ١٩٦٩م وإتجاههما إلى مصر طلباً للوحدة حد من الهوة التى كانت قد خلقت بين مصر والعالم العربى ، ذلك على صعيد الواقع المعاش بألامه وحقائقه المرة التى تدفعنا إلى التأكيد على أن الوحدة العربية بمعناها الشامل والحقيقى لم تتحقق أبداً فى العهد الناصرى .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) :

أننا سوف نورد هنا الرؤية التى وضعها عبد الناصر فى الفصل التاسع من « الميثاق الوطنى » والمعنون بـ « الوحدة العربية » ، والميثاق كما هو معروف يعد الإطار النظرى والفلسفى الحاكم لمدركات عبد الناصر فماذا لديه ليقوله عن الوحدة العربية .

---

(١) يظهر ذلك واضحاً فى الحديث الذى أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر إلى الصحفى الأمريكى جيمس روستون رئيس تحرير صحيفة نيويورك تايمز فى ١٩٧٠/٢/١٣ ، ونشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٥ أجاب عن سؤال عما إذا كان هناك ازدياد فى الشعور بالوطنية قائلاً : « قبل سنة ١٩٦٧ كان الشعور الأكثر ظهوراً هو الشعور بالقومية العربية وبعد سنة ١٩٦٧ ظهر أيضاً بالشعور بالوطنية المصرية إلى جانب الشعور بالقومية العربية ولكنه أردف قائلاً : (وأظنك تعرف أنهم عرضوا علينا صيغاً تنص على الانسحاب من سيناء وحدها ولم يوافق أحد على ذلك . وهذا هو الشعور بالقومية العربية والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بين الشعور بالوطنية المصرية والقومية العربية) » .

يقول الميثاق :

(أن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها .

إن الأمة العربية لم تعد فى حاجة، إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير .

إن الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية .

إن مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

إن هذه الخلافات تنبع من الصراع الإجتماعى فى الواقع العربى . واللقاء بين القوى المتقدمة الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والإنتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الإجتماعية التى تهب على الأمة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة .

* ويرى الميثاق :

إن إلتقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد فى كل مكان من الأرض العربية وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الأرض العربية هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة .

إن مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذى كان يفرض إلتقاء حكام الأمة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات .

إن مرحلة الثورة الإجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوة إلى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة .

إن وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الأمة العربية كلها .

وإختلاف الأهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى وإختلاف مراحله بين الشعوب العربية .

لكن وحدة الهدف عند القواعد هى التى ستتكفل بسد الفجوات الناشئة من إختلاف مراحل التطور .

إن وحدة الأمة العربية قد وصلت فى صلابتها إلى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة الإجتماعية .

ولا يمكن أن تدل أساليب الإنقلاب العسكرى . ولا أساليب الإنتهازية الفردية . ولا أساليب الرجعية المتحكمة ، على شيء إلا على دلالتها بأن النظام القديم فى العالم العربى يعانى جنون اليأس وأنه يفقد أعصابه تدريجياً وهو يسمع من بعيد فى قصوره المعزولة وقع أقدام الجماهير الزاحفة إلى أهدافها .

إن وحدة الهدف لابد أن تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية إلى الثورة الاجتماعية .

ولابد أن ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة سابقة من النضال الوطنى هى مرحلة الثورة السياسية ضد الإستعمار .

إن الإستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة وكان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .

إن الإستعمار نفسه دون أن يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الإجتماعية وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها .

وليس من شك أن الثورات الأصيلة تستفيد من حركات خصومها فى مواجهتها وتكتسب منها قوة دافعة .

* ويرى الميثاق :

الإستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيداً لإنتصار الثورة السياسية فى بقية أجزاء

الوطن العربى وتدعيماً لحق الإنسان العربى فى حياة إجتماعية أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثورى .

والعمل العربى فى هذه المرحلة يحتاج إلى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج إلى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته إلى ثوريتها وإرادتها على التغيير الحاسم .

إن الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضا فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها .

ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .

* ويذهب الميثاق إلى :

أنه ليس عملاً غير أخلاقى فحسب وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ومن ثم بالتالى فهى خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل .

وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً إلى الهدف الأخير .

إن أى حكومة وطنية فى العالم العربى . تمثل إرادة شعبها ونضاله فى إطار من الإستقلال الوطنى هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العرية هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد له ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية .

إن مثل هذه الظروف تمهد الطريق للدعوة إلى الوحدة الشاملة .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى فى رسالتها العمل من أجل الوحدة الشاملة ، فإن الوصول إلى هذا الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التى لابد من تحديدها تحديداً قاطعاً وملزماً فى هذه المرحلة من النضال العربى .

إن الدعوة السليمة هى المقدمة .

والتطبيق العلمى لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم تقدمية للوحدة هى الخطوة الثانية للوصول إلى نتيجة محققة .

إن إستعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه - كما أثبتت التجارب - فجوات إقتصادية وإجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف .

إن تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الإقتصادية والإجتماعية الناجمة من إختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية هذا الإختلاف الذى فرضته قوى العزلة الرجعية والإستعمارية .

إن جهوداً عظيمة وواعية يجب أن تتجه أيضاً إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق وتتغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وما تركتها دسائسها ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

ومن وجهة نظر الميثاق :
أن الجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لابد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلاً منها فى شئون غيرها .

وفى هذا المجال فإن الجمهورية العربية المتحدة لابد لها أن تحرص على أن لا تصبح طرفا فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ، إن ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فإن هذه المسألة يجب أن تظل فى إطار المبادىء الأساسية ، تاركة مناورات

الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وإمكانياته .

يرى الميثاق أن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى .

أنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكرياً من أجل التجربة المشتركة .

لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

إن قيام إتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال .

إن ذلك لا يؤثر – ولا ينبغى له أن يؤثر – على قيام جامعة الدول العربية ، وإذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشرط العربى إلى غايته العظيمة البعيدة فإنها تقدر على السير به خطوات .

إن الشعوب تريد أملها كاملاً .

والجامعة العربية – بحكم كونها جامعة للحكومات – لا تقدر أن تصل إلى أبعد من الممكن .

إن الممكن خطوة فى طريق المطلوب الشامل .
إن تحقيق الجزء مساهمة فى تقريب يوم الكل .
لهذا فإن الجامعة العربية تستحق كل التأييد على أن لا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التى تحدها ظروف قيامها وطبيعته .

ويختم عبد الناصر رؤيته فى الميثاق قائلاً :

إن الجامعة العربية قادرة على تنسيق ألوان ضرورية من النشاط العربى فى المرحلة الحاضرة ، لكها فى نفس الوقت تحت أى ستار وفى مواجهة أى إدعاء لا يجب أن تتخذ وسيلة لتجميد الحاضر كله وضرب المستقبل به .

وحول هذه الرؤية لمسألة الوحدةوحول غيرها من مدركات عبد الناصر المتناثرة فى خطبه

وأحاديثه يمكننا أن نرصد تأكيداً على كلمتين أو مفهومتين بحاجة إلى تحليل ورصد .

الأول هو مفهوم (الوطن) ، أما الثانى فهو مفهوم (الأمة) ، وبشأنهما نسجل الآتى :

١ - الوطـــــن :

يذهب د . سعيد بن سعيد في دراسة[1] له إلى أن اللفظ لا يجد دلالته الكاملة ، التى نعرفها له فى الحياة المعاصرة ، إلا فى الفكر السياسى الحديث ، يكشف اللفظ عن وعى الإنتماء إلى جماعة بشرية تشكل وحدة مستقلة بذاتها حيث لا يكون الإجتماع قائماً ، بالضرورة لا على أساس الإنتساب إلى ديانة واحدة ، ولا بسبب التحدث بلغة واحدة ، ولا حتى بفعل الإنتماء إلى حضارة واحدة . مصدر هذا الوعى هو الشعور بوجود تراب وطنى محدد ، وحدود معلومة ، وحضور كامل ودائم للسيادة داخل تلك الحدود وفوق ذلك التراب .. وهو أكثر من ذلك الشعور برابطة « المواطنة » أى الشعور بأن نوعا من الرابطة القوية تشد أفراد الشعب الواحد والمنتمين إلى الوطن الواحد ، تشدهم إلى بعضهم البعض . لقد أبدع كل من جون لوك وروسوا إبداعًا كبيرًا فى الحديث عن المواطن والمواطنة . فيما كان، يؤسسان، فعليا، إحدى الأسس الثابتة التى ينهض عليها الفكر السياسى الحديث ، وسيعرف هذا المصطلح بروزه الكامل إبتداء من الثورة الفرنسية ، كما سنجد أن التأكيد عليه ، أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى القريبة منه ، سيزيد فى كل مراحل الكفاح من أجل التحرر الوطنى ، أى فى كل فترات الأزمة التى تخلق الشعور بتعرض « الهوية » إلى خطر الإبادة .

تسرب مفهوم الوطن إلى الكتابة العربية المعاصرة محملاً بكل الشحنات الوجدانية التى نقلها إليه عصر القوميات فى أوروبا . سيرد المفهوم عند المفكرين العرب فى القرن الماضى ، وحتى مطلع القرن العشرين ، يرد فى معرض ترويجهم التلقائى للتراث الفكرى الجديد الذى أنفتحوا عليه ، ولعلنا نجد فى كتابات الطهطاوى وخير الدين التونسى ، وأديب إسحق على وجه الخصوص ، أفضل مثال على ذلك . ثم إننا نجد مفهوم الوطن يتداول عند المفكرين اللاحقين عليهم على نحو يزيد أن ، يبلور شعوراً قوياً جارفاً بالإنتماء

(١) سعيد بن سعيد : الخطاب القومى والمصطلح السياسى ، الناصرية نموذجاً - مجلة الوحدة - عدد ١٦ عام ١٩٨٦ ص ٤٧ وما بعدها .

إلى الوطن الواحد المهدد فى كيانه الذاتى ، المهدد كدولة معلومة الحدود واضحة الهوية . هذا ما نجده ، على سبيل المثال لا الحصر ، فى خطب وكتابات كل من مصطفى كامل وعبد الله النديم ، فى مطلع القرن العشرين ، فى مصر . وما نجده فى المغرب ، قرابة الأربعين سنة بعد ذلك ، عند كل من علال الفاسى ومحمد بن الحسن الوزانى ، لا يجب أن ننسى أن المفكر القومى العربى هو أولاً صاحب دعوة إلى التحرر الوطنى من الإستعمار ،

بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغة القانون ، صاحب دعوة إلى التحرر الوطنى من الإستعمار ، بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغة القانون ، فهو يناضل من أجل « دولة » تسعى لإسترجاع بعض أو كل من سيادتها المنتهكة . ولكنه هذا المفكر ، ف الوقت ذاته صاحب قضية ترى فى تلك الدولة واقع تجزئة مرفوضة ، ما دامت تلك الدولة لا تشكل سوىء جزء من الدولة العربية الواحدة ، أى منهما هو « الوطن » إذن ؟ هل هو الدولة الواجب تحريرها ضمن حدود معلومة ، فى شروط السيادة على نحو ما يحددها الفقة الحقوقى المعاصر ، أم أنه مجموع الأوطان الجميلة الممتدة من الخليج إلى المحيط على نحو ما يقول الزهراوى ؟

فى كتاب « فلسفة الثورة » يتردد لفظ الوطن كثيراً من المرات ولكنه يأتى دائما للتعبير عن مصر . يرجع جمال عبد الناصر بداية يقظة الوعى عنده إلى وجوده فى فلسطين محارباً فى صفوف الجيوش العربية سنة ١٩٤٨م فقد كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها فى مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه ، العمل التحرى من أجل « أرض عربية » هو الذى يفجر الوعى الوطنى ويذكيه كما يليق بموقف قومى حقيقى . ولكن متى أمعنا النظر قليلاً فإننا سنجد الحديث عن الوعى الوطنى يجعل حديثاً بوجود أرض معلومة الحدود وبوجود كيان متميز عن غيره من الكيانات السياسية الأخرى ومستقل عنها . فأثناء الحصار الذى تعرض له الجيش المصرى فى فلسطين ، فى منطقة « الفالوجة » ، كان الضباط يرددون فيما بينهم إن وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء . وعبد الناصر يصور الأمر فى صورة مماثلة وجدانية بين حصار « الفالوجة » وبين مصر ، الوطن المحاصر : « هذا هو وطننا هناك » ، إنه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ، وفى معرض تقويمه لثورة ٢٣ يوليو وللعمل الذى قام به الجيش يتساءل : « لقد آمنت بالجندية طول عمرى ، والجندية تجعل للجيش



عبد الناصر مع معمر القذافى وجعفر النميرى

واجباً واحداً هو أن يموت على حدود وطنه ، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطراً للعمل فى عاصمة الوطن ، لا على حدوده ؟ .

الواقع أن كافة الشروط التى يجعلها الفكر السياسى الحديث ضرورية لإستقامة الحديث عن الوطن تجتمع فى المواقف التى تعبر عنها الأقوال السالفة . الوطن له حدود معلومة ، وبالتالى فإن له أرضا وتراباً وطنياً ، والوطن له عاصمة معلومة ، وبالتالى فإن له سلطة وإدارة وصورة ما للوجود السياسى حتى وإن كانت جميعها موضع إنتقاد جزئى أو كلى . ثم أن لهذا الوطن جنداً وشعاراً وتمثيلات دبلوماسية وما شابه هذا من رموز السيادة ، إن له إسماً دقيقاً يدل عليه هو مصر « وطننا هناك » ... صحيح أن « فلسفة الثورة » تتحدث عن دوائر ثلاث تنتمى إليها مصر هذه (العرب ، أفريقيا ، العالم الإسلامى) وصحيح أن مصر قد لا يكون سوىء جزء من الدائرة الأولى (العرب) ، وعبد الناصر يلح على هذه النقطة كما هو معروف ، ولكن ما هو بين هو أن وعى الذات يتحدد كوعى بوجود « هوية مميزة » ، وبالتالى فهو وعى بوجود الوطن ككيان مفرد ، مستقل بذاته ، كمعنى يتوافق توافقاً كاملاً مع الفكر السياسى الحديث ومع الفهم الحقوقى المعاصر .

فى كتاب « الميثاق » يستطيع القارىء أن يلمس تقدما كبيراً على « درب العمل القومى » ، وربما برز للمرة الأولى ، مع هذا النص ، هذا التمييز فى الحديث عن الوطن بين « الوطن الصغير » و « الوطن الكبير » ، وربما ظهر مصطلح « الوطن العربى » فى الكتابة القومية الرسمية للمرة الأولى ، وإن أعظم تقدير لنضال الشعب العربى فى مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى إستطاع أن يؤثر فيه فى حياة أمته العربية وخارج حدود وطنه الصغير ، إلى آفاق وطنه الكبير . ولا يعدم القارىء مواطن عديدة يلح فيها الميثاق على إبراز مصر كجزء أو قسم من الوطن العربى الواحد ، وعلى إبراز الوجه القومى العربى .... كل هذا من باب القول المكرور المعاد ، ولا يكاد القارىء يعثر لجمال عبد الناصر على خطبة واحدة من خطبه الشهيرة تخلو من الوقوف المطول عن هذه المسألة . ولكن القراءة التى تريد الوقوف عند دلالة الألفاظ ، والتى تجعل هدفها رصد أنماط تداول المصطلح السياسى الحديث فى الخطاب الناصر نستطيع أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى وأن تتبين معطيات جديدة ومختلفة بعض الشىء .

تلاحظ باحثة لبنانية فى دراسة حديثة لها حول « التصورى القومى فى فكر جمال عبد

الناصر » بأن ما يدل عليه مفهوم الوطن العربي عند جمال عبد الناصر هو فى الواقع (مكان) ومجال جغرافى يمتد من المحيط إلى الخليج . وتضيف الباحثة المذكورة بأن أرض خاصة به وهو إنطلاقاً من هذا الواقع ليس هدفا لـ « السيادة » أو « التملك » .

تنطلق هذه الملاحظة من تصور محدد لمعنى الوطن ، هو المعنى الذى أشرنا إليه فى بداية هذا القسم ، تصور يتطلب وجود الأرض أو التراب الوطنى من جهة أولى، وإثبات كل الشروط اللازمة للتمتع بالحق فى السيادة من جهة ثانية ، وبالتالى فهى تنطلق من أرضية الفكر الحقوَق المعاصر وتتنفس فى مناخ الفكر السياسى الحديث .

إن ما يكسب ملاحظة باحثتنا وجاهتها هو أن ، الحديث عن الوطن ، فى حياتنا المعاصرة ، وسواء تعلق الأمر بالمجتمعات الغربية التى نشأ فيها هذا المفهوم أو اكتسب دلالته التى له اليوم ، أو تعلق بالمجتمعات التى إنتهى بها الأمر إلى إقتباس تلك الدلالة أو تبنيها (كما هو الشأن فى الوطن العربى) - فى كل هذه الأحوال لا يجد المفهوم مبرراته وأسباب وجود الكاملة إلا فى دائرة المنطلق المذكور . والحال أن للخطاب القومى العربى مسلمات ، وهو يحمل مضامين ، لا تجعله فقط غير ملتزم بمعطيات المفهوم السياسى (الوطن) ، بل هو يدينها ويرفضها بإسم أصالة ما . لذلك فإن هذا الخطاب يضيق ذرعا بمفهوم الوطن ، وهو يستحيل عنده إلى لفظ أو « وحدة جامدة » كما تقول مارلين نصر . لذلك فهو إما أن يختفى كلية أو يكاد (ليس له وجود يذكر فى كتابة ميشيل عفلق وفى كتابه « فى سبيل البعث » تحديداً) ، وأما أن يغدو هامشياً يطفو على السطح حيث لا تربطه بالحقل الدلالى لخطابه الخاص رابطة قوية . وهذا ما نلمسه بالضبط فى كتابة جمال عبد الناصر .

٢ - الأمـــــة :

وبشأن هذا المصطلح خلافا لما يصادفه مصطلح الوطن من حصار وضيق ، داخل دائرة التداول القومى، فإن مصطلح الأمة يلقى ، على العكس من ذلك ، كل إمكانيات التحرك الحر الذى لا تقيده أى عوائق أو حواجز من داخله . والتعليل البارز لهذه الواقعة هو أن القومية نظرية فى الأمة أولا وأخيراً . الأمة هى العصب المحرك فى الفكرة القومية ، ولذلك كان كل دعاة القومية قد أسهبوا فى الحديث عنْ « الأمة » ومعناها ؛ ودلالتها وكاد إبداعهم يكون مقتصراً على التفكير فى الأمة ، ولعل ما يكسب الناصرية صورة مميزة فعلا ، فى دائرة الخطاب القومى ، هو بالضبط إنتباهها الذكى إلى وجود هذه الفوارق بين معنيين

كل من « الوطن » و « الأمة » .

وإذا ما رجعنا مرة أخرى إلى « التصور القومى » القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر فإننا نجد أن السيدة مارلين نصر ، التى توسلت فى دراستها بمنهجية تحليل الخطاب السياسى ، تسجل بأن « دستور ١٦ يناير ١٩٥٦م ينص على أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » ، فى حين لم يشر الدستور اللاحق عليه إلى أن مصر هى أمة . ثم أن مارلين نصر تلاحظ ، مباشرة أنه من حينه لم تعد تذكر فى خطب عبد الناصر إلا « الأمة العربية » ، ووصفت مصر بـ « الوطن » وتلاحظ ، فى مكان آخر ، وبنظرة ثاقبة أن جمال عبد الناصر « لا يصف الأفراد الذين يكونون الأمة العربية بأنهم مواطنون ، فهذا الأسم مقصور برأيه على أبناء الدولة الواحدة . فإنه بقدر ما يحيل لفظ الوطن إلى منظومة مرجعية دقيقة ، هى الفقه الدستورى الحديث ، فإن لفظ الأمة ، فى التداول القومى العربى ، يهرب من تلك المنظومة ويتجه أكثر فأكثر نحو خصوصية مفترضة تعلوا على التأطير القانونى .

الأمة فى الخطاب القومى العربى كائن حى يتمتع بكل شروط الحياة ومقوماتها . « إنما الأمة تجربة رحمانية » ، كما يقول زكى الأرسوزى ، بمعنى أنها إمتداد لحياة الرحم . إن لها حاجات ومتطلبات تتبدل وتتغير بحسب مراحل الحياة للأمة وتطورها كما يذهب إلى ذلك ميشيل عفلق : « لكل أمة فى مرحلة معينة من مراحل حياتها محرك أساسى يهز أعماقها ويفجر فيها ينابيع النشاط والحيوية والحماسة ويتفتح له قلبها ، وهو بمثابة نقطة يتركز فيها إنتباه الأمة ، وتكون مفصحة عن أعمق حاجاتها فى مرحلة ما » . ولأنها حية فهى أيضا بمثابة الشخص ولذلك فإن جمال عبد الناصر يتحدث فى المؤتمر الشعبى فى القاهرة ، بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام حركة الإنفصال فى دمشق ، يتحدث عن « دقات قلب » الأمة العربية وعن « نبضها » و« جراحها » ، ويقول بأن ما حدث وقع على مسمع منها وأنه يهز مشاعرها .

الأمة فى الخطاب القومى العربى ، عموما ، إرادة وفكر قبل أى شىء آخر ، إنها ، حسب عفلق ليست مجموعا عدديا بل فكرة تتجمد فى هذا المجموع كله أو بعضه . ولذلك فليس لهذه الفكرة صلة بالزيادة أو النقص فى عدد الأفراد ، إذ ليس المجموع العددى مقدسا فى حد ذاته بإعتباره عددا بل بإعتباره مجسدا لفكرة الأمة أو قابلا لأن ،



بن بيلا .. وبورقيبة .. وعبد الناصر : دول المغرب حاضرة فى ذهن عبد الناصر

يجسدها فى المستقبل ، كل فرد من أفراد الأمة يجعل مكامن هذه الفكرة فى نفسه وكيانه « لأن الفكرة موجودة فى حالة البذور فى كل فرد من أفراد الأمة كما يقول ميشيل عفلق . وحيث أن الأمة كذلك فهى ، فى نظر المفكر القومى ، تملك كل مقومات الوحدة ومبرراتها ، وهذا ما نجد التأكيد عليه بشكل قوى عند جمال عبد الناصر . يفرد « الميثاق » بابا للحديث عن الوحدة العربية وصلة مصر بالوطن العربى ، ولكن ما يهمنا أن نشير إليه هو كيفية الحديث عن الأمة . ترجع الأدبيات القومية إلى إحدى النظريات الثلاثة التى يعتمد عليها الذين نظروا للقومية فى أوروبا فى القرن الماضى ، النظريات التى تنسب ، فى المعتاد ، إلى شعب من الشعوب بإعتبار أن ذلك الشعب يؤكد أكثر من غيره ، على عامل من عوامل الوحدة ، وهكذا يتحدث عن المدرسة الألمانية ، والإيطالية ، والفرنسية ، وبالنسبة لعبد الناصر فإن الأمة العربية تجمع بين العوامل الثلاث فى وحدة عضوية : « يكفى أن الأمة تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان . ويكفى أن الأمة تملك وحدة الأمر التى تصنع المستقبل والمصير » .

الأصل فى القوميات الأوروبية ، عند المثقف القومى العربى ، أن الأمة ، العماد الشرعى للقومية ، مشروع مستقبلى يتعين إنجازه تبعا لخطة وبرنامج دقيقين فهى إذن أمة قيد التكوين ، أما بالنسبة للأمة العربية ، فإنها كانت فى الأساس واحدة تامة الشروط ، وأن الدعوة إلى الوحدة هى طلب شرعى بالرجوع إلى التاريخ الطويل والحافل قبل ظهور الإستعمار الحديث ، وقبل أن تنكب الأمة بما أفرزه الإستعمار من إفرازات تهدد الأمة فى كيانها . هذه الإفرازات تشكل ، فيما بينها «تحالفًا معاديًا لآمال الأمة العربية»، على نحو ما يعبر جمال عبد الناصر عن ذلك : « التحالف الثلاثى : الإستعمار ، والرجعلية على يمينه ، وإسرائيل على يساره » .

الأمة مفهوم محورى فى الخطاب القومى العربى فى مقابل لفظ « الوطن » ، الذى يظل على كل حال « وحدة جامدة » ، أو تعبيراً خاليا من الدلالة السياسية المعاصرة لأنه ، كما حاولنا أن نبين ذلك ، خطاب يحمل فى ذاته موانع وعوائق تحول دون التحقق الكامل لمفهوم الوطن فى دلالته السياسية الحديثة ، كما أننا أشرنا إلى إنتباه عبد الناصر إلى هذه النقطة الدقيقة بالذات ، وإعتبرنا هذا الأمر خطوة متقدمة فى إستيعاب الفكر السياسى

الحديث عن طرف المفكر القومي ، في إستيعابه في جانب منه على الأقل . ولكن المثقف القومي محكوم بالمسلمات التي يأخذ بها والتي تؤسس ، في إجتماعها وتفاعلها فيما بينها ، الخصائص الموجهة للخطاب القومي . ولذلك نجد أن هذا المثقف ، الذي يعلن عداءه في أحايين عديدة للفكر الغربي ويعتبر أنه ليست به حاجة إليه ، نجده لا يرفض المبادىء الكبرى التي تقوم عليها نظريات القومية (وحدة اللغة ، وحدة التاريخ وحدة الهدف أو المصير) ولكنه يسعى إلى تلوينها بـ « الخصوصية العربية » . هو من أجل ذلك يرجع إلى السجل الأول يقرأ فيه ، يرجع إلى التراث العربي - الإسلامي : يقر مفهوما نشأ في الغرب ، في القرن التاسع عشر ، بسجل ثقافي وحضاري يرجع إلى العصور الوسطى الإسلامية . هو إذن يفصل المفهوم من المناخ الذي يتنفس فيه مناخه الطبيعي ، ويسعى إلى قصره على العيش في مناخ مغاير وتربة مخالفة . وإذن فإن المصطلح السياسي الحديث يعرض ، من الوجهة النظرية ، إلى عملية تشويه يفقد بناؤه بملسها تماسكه النظري ومن ثم دلالته ومعناه الفعليين[1] .

تلك هي حدود المدرك أو الحلم الناصري بشأن الوحدة العربية وهو حلم مع الأسف لم يتحقق حتى هذه اللحظة .

هذا ولإيجاز المدركات الناصرية تجاه مسألة الوحدة يمكننا الرصد العلمي لمراحها على أنها ست مراحل فقط على النحو التالي :

- وحدة الصف العربي فيما بين ١٩٥٢م - ١٩٥٧م .
- الوحدة الدستورية المصرية - السورية ١٩٥٨م - ١٩٦١م .
- وحدة النضال السوري ١٩٦١ م - ١٩٦٣م .
- وحدة العمل العربي من أجل فلسطين ١٩٦٣م - ١٩٦٦م .
- وحدة القوى الثورية : فبراير ١٩٦٦م - يونيو ١٩٧٦م .
- وحدة العمل العربي : يونيو ١٩٦٧م - سبتمبر ١٩٧٠م .

وهي مراحل على أهميتها إلا أن الواقع كان يناقضها تماما .

---

(١) د . سعيد بن سعيد - مصدر سابق .

رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

دائما كان للإسلاميين الأصوليين ، موقفاً معارضاً لسياسات وسلوكيات وأفكار النظام الناصرى ، وهو موقف رغم عدم عمليته فى بعض تقييماته ، إلا أن الإتيان به يعد هاماً فى سياق الحديث عن كافة ملامح التجربة الناصرية ، وقضية الوحدة : واقعاً وأحلاماً ، من أبرز هذه الملامح ترى كيف يراها الأصوليين .

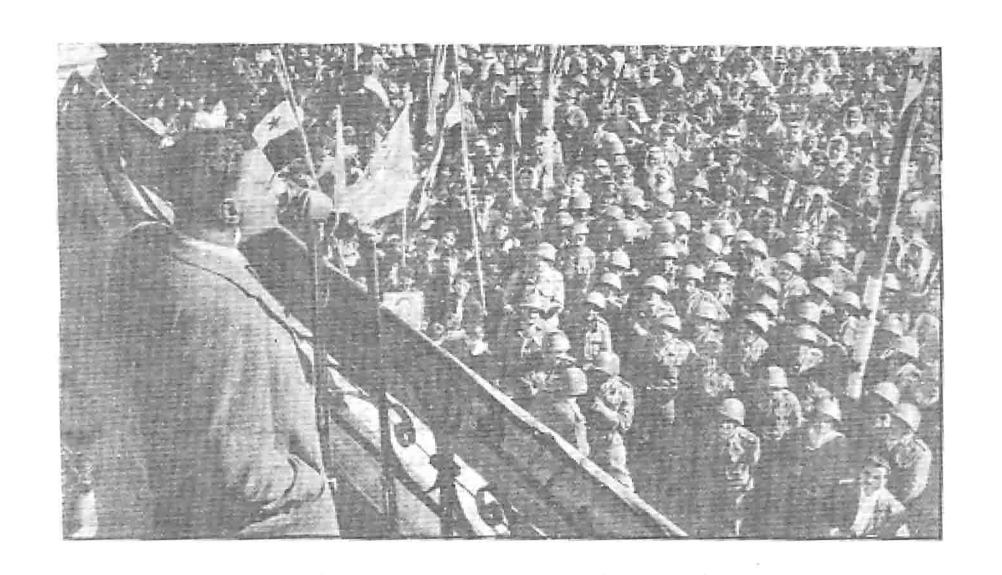
سوف نورد هنا،رؤية فكرية هامة لأحد باحثي ومفكرى هذا التيار ، والذى سبق الإشارة تفصيلا إلى رؤيته فى أجزاء مختلفة من هذه الموسوعة ، أنه الأستاذ (اسامة حميد) ، أحد قادة جماعة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهذه هى رؤيته نوردها دون تدخل كبير .

يقول أسامة حميد :

لم تكن تصفية القضايا الوطنية تقتضى فقط تصفية الإسلاميين - بل كانت تقتضى أيضا القيام بحملة تضليل ضخمة لإيهام الشعب بأن النظام يحقق إنتصارات - وتضمن ذلك رفع النظام لعقيرته ضد الإستعمار والإمبريالية والصهيونية والرجعية .. الخ والمزايدة على قضية فلسطين والوحدة العربية (علما بأن الوحدة العربية لم ترد بكلمة واحدة فى بنامج هيئة التحرير وكان عبد الناصر يستخدم تعبير الأمة المصرية حتى سنة ١٩٥٦م)[١] .

(١) راجع : حمدين عبد العاضى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة اليومية المصرية (٥٢ - ١٩٦١) ماجستير فى الصحافة من جامعة القاهرة ١٩٨٦

أيضاً نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر - رسالة من معهد البحوث والدراسات العربية نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .



فى دمشق .. وفى جميع مدن سورية ، كان لقاء القلوب بين الشعب وبطله .. بين أبناء سورية وجمال

وبسبب ظروف سوريا سنة ١٩٥٧م[١] فقد التمس البحث السورى مخرجا من أزمته بالوحدة مع مصر (بدأ ذلك فى الحقيقة منذ ١٩٥٦م حيث استغل البحث الضغط الجماهيرى فى دفع الوزارة الإئتلافية إلى تبنى الوحدة رسمياً) . وفى ١٩٥٧م عندما أشتدت أزمة سوريا - دعا البرلمان السورى برلمان مصر إلى الوحدة فلم يعرهم برلمان مصر أى إهتمام - وبسبب مبادرة اليمين السورى وضغطه للوحدة مع نورى السعيد فقد هددهم ضباط الجيش السورى وخيروهم بين « المزة أو القاهرة » فقبلوا الوحدة مع مصر للأفلات من الضغط الجماعيرى وريثما يعدلون خططهم .

جاء قادة الجيش السورى - كما يقول أسامة حميد فى أحد مواضع رؤيته - وطلبوا من عبد الناصر الوحدة فرفض بشدة وقال لهم أنه « يريد بناء مصر لتكون قاعدة قوية لنضال باقى الشعوب العربية » وبعد ضغوط شديدة وافق عبد الناصر على الوحدة بشرط أن يسبقها تمهيد على مدى خمس سنوات كما طلب منهم تحقيق إتحاد لا وحدة .

---

(١) إن ظروف سوريا فى ذلك الوقت تحتاج إلى مجلدات لشرحها لكن يمكن تلخيصها فى (وفقا لرؤية أسامة حميد) :

الظروف الدولية : كان هناك صراع تقوده أمريكا ضد كل من بريطانيا (التى تتبعها العراق والتى تسعى لتنفيذ مشروع الهلال الخصيب الذى يتضمن السيطرة على سوريا) وروسيا (التى عقدت صفقة أسلحة ضخمة وقرض روسى كبير جهود وزير الدفاع السورى خالد العظم المتعاطف مع الشيوعيين) وفى ١٩٥٧ أحبطت مؤامرة عراقية واسعة النطاق لقلب الحكم السورى وبعدها بشهور أحبطت مؤامرة أخرى لقلب النظام وانفجر الموقف عندما طردت سوريا ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين بتهمة التخطيط لإسقاط النظام السورى .

الظروف الداخلية : كان برلمان سوريا (١٩٥٤) مكونا من قوى كثيرة جدا ومتشرذمة وخشيت أمريكا من مساعى حزب الشعب الذى ضغط لجر سوريا إلى وحدة مع العراق ، كما خشيت من الشيوعيين الذين أرادوا تعزيز العلاقات مع روسيا ، فتوافقت أمريكا مع حزب البعث (لم يحقق إلا ١٥,٦٪ من مقاعد البرلمان) الذى أراد الخروج من عزلته وكذلك أراد استغلال نفوذه الكبيرة فى الجيش ونظرا لأن فكرة الانقلاب العسكرى لم تكن واردة أمام البعث (بعد أن أساء عبد الناصر لفكرة الانقلابات العسكرية بما ارتكبه من قمع وبسبب حيوية القوى السياسية السورية وقدرتها على تنفيذ انقلابات مضادة) نظرا لذلك طرح البعث موضوع الوحدة .

إن وحدة حقيقية . تؤدى إلى إستثارة كل القوى الكبرى أما الإتحاد فهو يعطى عبد الناصر مجداً شخصياً[1] مع تفريغ الوحدة من مضمونها - وفى الحقيقة لقد اعترف أمام العسكريين السوريين بأن الدول ستقاوم الوحدة[2] وهو ما أوضحه بعد ذلك محمود رياض (سفير مصر فى دمشق) .

كانت سياستنا فى أن نتجنب الوحدة وعرفنا أنها ستثير كل القوى ضدنا وكان وكيلا المخابرات (شعراوى جمعة وأمين هويدى) قد قدما تقريراً ، لعبد الناصر نصحا فيه « بتأجيل الوحدة » .

ولكن يبدو أن عبد الناصر إطمأن من عدم معارضة أمريكا للوحدة حال إتمامها - بدليل أنه عاد وقبل الوحدة - وفى الحقيقة لقد إعتبرت أمريكا الوحدة - فى إطار معين - أفضل وسيلة لتجاوز الأزمة السورية بعد أن فقدت كل البدائل الأخرى - يدل على ذلك أن أمريكا هى القوة الوحيدة التى لم تعارض الوحدة - بل أن دعمها لعبد الناصر ومساعدتها المالية قد ازدادت طوال فترة الوحدة . إن ما غمض من موقف أمريكا[3] قد يتضح إذا علمنا موقف روسيا من الوحدة (حيث ظروف الحرب الباردة تجعل أمريكا وروسيا على طرفى النقيض) - لقد أعلن خروشوف عداءه للوحدة العربية وكان صدامه الشهير مع عبد الناصر سنة ١٩٥٩م ، وفى اللحظات الحاسمة وقت الإنفصال كان جروميكو يحرض الإنفصاليين ويعدهم بالدعم من إذاعة موسكو .

وبعد إطمئنانه من جهة أمريكا - كان أمام عبد الناصر مشكلة أخرى هى خوفه من

---

(١) من مظاهر تمجيد عبد الناصر للقوة أنه نقل تمثالا لرمسيس إلى أهم ميادين القاهرة وسمى أهم شوارع القاهرة شارع رمسيس وسمى أول سيارة مصرية باسم رمسيس وهو ما يتناقض مع أفكار القومية العربية الحساسة لمثل تلك النعرات .

(٢) حمروش : عبد الناصر والعرب ط بيروت ص ٤٨ .

(٣) فى رسالة ماجستير ضخمة حاول محمد عبد المولى الزعبى دون جدوى أن يثبت أن أمريكا كانت تعارض الوحدة لكنه لم يجد دليلاً على ذلك سوى رسم ساخر (كاريكاتير) فى النيويورك تايمز . راجع : محمد الزعبى - الجمهورية العربية المتحدة : تجربة فى الوحدة العربية (١٩٥٨ ١٩٦١) ماجستير فى السياسة من جامعة القاهرة ١٩٦٨ .

الجيش السورى المسيس - وكان عبد الناصر قد فرغ لتوه من تسريح ألف ضابط مصرى من الجيش بمن فيهم كل الضباط الأحرار - لأنهم صاروا - مسيسين - ولذلك اشترط عبد الناصر على السوريين حل كل تنظيماتهم الحزبية فوافقوا ظاهراً .

وكعادتهم - والقولة لأسامة حميد - فى خيانة القضايا الوطنية فقد عارض الشيوعيين الوحدة وهرب زعيم الحزب الشيوعى السورى إلى الخارج (وكان هذا أحد أسباب إعتقالات الشيوعيين سنة ١٩٥٩م) أما الإسلاميون فى سوريا فقد رحبوا بالوحدة وإن أدانوا عبد الناصر وقال مرشد الإخوان فى سوريا (عصام العطار) كلمته الشهيرة « أنا مع الوحدة وضد عبد الناصر » .

أما البعث السورى فقد بدأ خطة للسيطرة على العالم العربى بإستخدام إمكانيات مصر المادية - وكان ، البند الأول من الخطة يقتضى وتبعيث الإتحاد القومى وتبعيث الوزارات التنفيذية التى استلمها وزراء بعثيون وتبعيث التعليم (هذه المصطلحات إستخدمها البعث فى نشراته السرية التى وزعت على أعضائه) ولكن عبد الناصر كان أشد دهاء وتآمراً من أشد الأحزاب السورية دهاء وتآمرا - وفى الحقيقة - لقد كان جهاز المخابرات الجبار (الذى تولاه عبد الحميد السراج رجل عبد الناصر فى سوريا) وهو الجهاز الوحيد الذى لم يخترقه البعث فى دولة الوحدة .

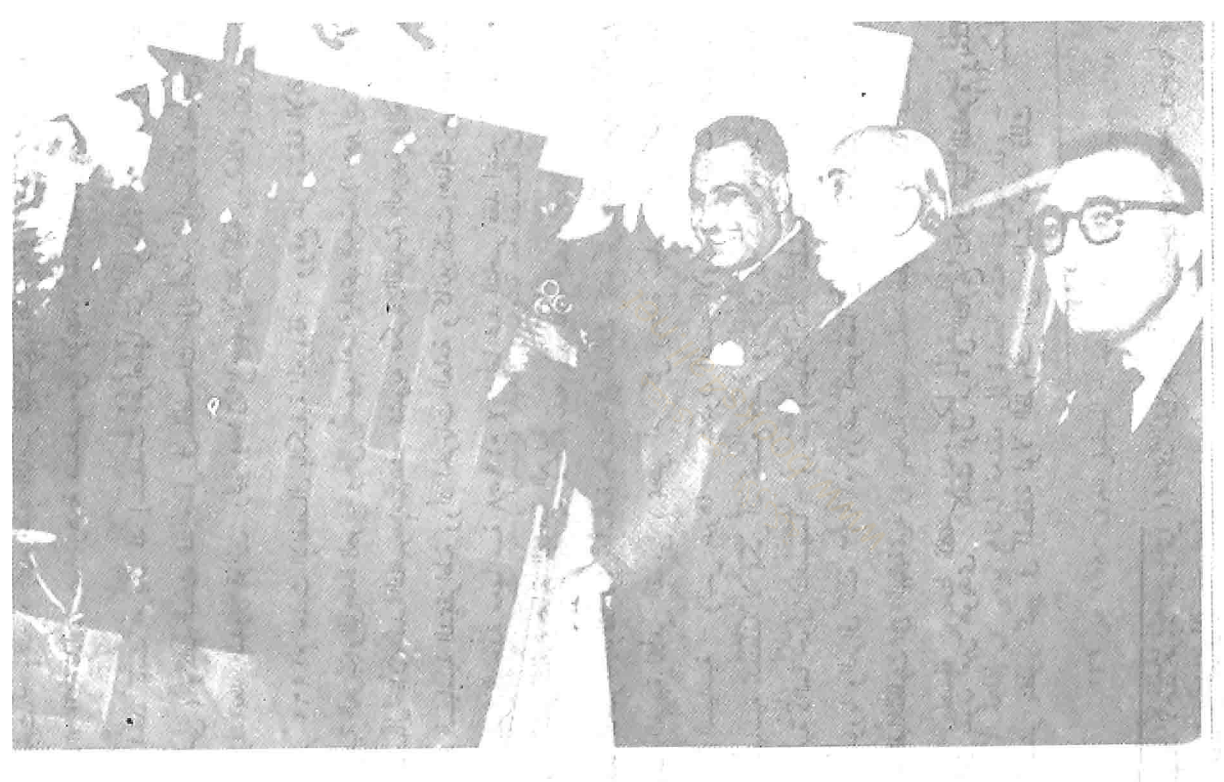
قوبل طلب البعث بتحويل دولة الوحدة إلى دولة عقائدية برفض حازم من عبد الناصر - ثم تلقى البعث لطمة أخرى عندما لم يحقق سوى ٢,٥٪ فى إنتخابات الإتحاد القومى .

وإنفجر الخلاف علنا عندما إقترح البعث « تشكيل مجلس نضال سرى منا ومنكم »[١] وهو ما قاله عبد الناصر بعد ذلك فى إحدى خطبه طلب البعث ثلاثة سوريين وثلاثة مصريين يشكلون لجنة تقرر كل الأمور « حورانى - ميشيل عفلق - البيطار ، عامر ، بغدادى ، زكريا محيى الدين) ولما رفض عبد الناصر تلك الأساليب إنسحب البعث من الحكومة وبدأ بإطلاق إتهامات ضد عبد الناصر لم تطلقها عليه الدول المسماة بالرجعية .

كانت مخابرات عبد الناصر - بالتنسيق مع البعث - قد صفت الإخوان والشيوعيين خاصة

---

(١) هيكل : ما الذى جرى فى سوريا ص ٩١ ٩٢ .



عبد الناصر فى دمشق مع شكرى القوتلى فى اليوم التالى لإعلان الوحده بين مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة

فى الجيش السورى - وإرتكب السراج - والقول لأسامة حميد - فظائع تقشعر لها الأبدان (مثل قتل الشيوعى اللبنانى فرج الله الحلو وإذابة جثته فى حمض الكبريت) - والآن جاء الدور على البعث - وبمجرد إتهام عبد الناصر للبعث بأنه « يحاول فرض نفسه على الأمة العربية وحده » فقد بدأت حملة رهيبة ضدهم من الإعتقالات والتعذيب .

عند هذا الحد كانت أمريكا قد إستنفذت أغراضها من الوحدة (حيث زال الخطران العراق والروسى) وكان البعث قد فشل فى الضحك على عبد الناصر كما بدأت الرأسمالية السورية تتحرك بعد صدور قوانين يوليو (١٩٦١م) الإشتراكية .

وفى أكتوبر ١٩٦١م حدث الإنفصال بالكيفية المعروفة - ووقع على وثيقة الإنفصال أشد المؤيدين للقومية العربية والوحدة العربية وعلى رأسهم أهم قيادي البعث (حورانى - البيطار) وبرروا الإنفصال بأن عبد الناصر إستهدف تشويه فكرة القومية العربية والوحدة العربية وخنق الحياة السياسية الديمقراطية ووأد الحريات العامة وكأنه كانت هناك حريات عامة فى مصر عندما طلبوا الوحدة معها سنة ١٩٥٨م) - أما عبد الناصر فقد إعتبر الإنفصال نقطة بدء لحماية الإشتراكية وحماية القومية العربية .

كان عبد الناصر - وفقاً لرؤية أسامة حميد - وكذلك كان كل حكام العرب الآخرين - فى النظريات الغربية للأمن القومى (بمعنى أمن كل وحدة سياسية على انفراد) ، وبالتالى فإن الجغرافيا السياسية - وليس غيرها - ستكون المفسر الأول للصراعات العربية . طبقاً للجغرافيا السياسية للمنطقة لا يمكن أن تجتمع مصر والعراق فى كيان واحد -وقد تمحورت السياسية العربية دائما حول تنافسهما - ورغم وجود ثلاثة أنظمة توصف بالتقدمية فى كل من مصر وسوريا والعراق سنة ١٩٦٣م ورغم دخولهما فى مشروع مشترك للوحدة فإن حقائق الجغرافيا تغلبت فى النهاية .

وفى ذلك يقول أمين هويدى[١] كانت أول مرة فى التاريخ تتلاقى فيها القاهرة وبغداد - وكان هذا يبشر بتطور كبير فى المنطقة لولا الظروف التى حالت دون ذلك .

---

(١) فى شهادته لأحمد حمروش جـ٤ ص ٩١ كان أمين عويدى ممن عارضوا وحدة مصر وسوريا ثم صار سفير مصر فى العراق .

إن هذا يطرح سؤالاً خطيراً : ما هو تبرير تقسيم عبد الناصر للعالم العربى إلى دول تقدمية وأخرى رجعية – خاصة وأن عبد الناصر فى ذروة المد الثورى كان مصرا على تحسين علاقته بأمريكا (رسالته الشهيرة إلى كيندى سنة ١٩٦١م) وخاصة وقد سارعت إحدى الدول الرجعية (اليمن) بالإنضمام إلى دولة الوحدة بين مصر وسوريا (١٩٥٨) – وهذا يقودنا إلى تساؤل آخر : وهل إنقلاب ١٩٦٢م فى اليمن كان فعلا حركة ثورية ؟

يقول أحد الناصريين[١] أثناء الدعم المصرى للثورة اليمنية خيل إلينا أننا أمام صراع بين الجمهوريين والملكيين بينما كان الصراع فى جوهره بين الشوافع والزيود (وفقاً لرؤية أسامة حميد) .

لقد أنفق عبد الناصر ٤ مليارات جنيه على الصراع بين الشوافع والزيود فى اليمن – وعندما وقعت النكبة (١٩٦٧ م) كان ٥٠,٠٠٠ جندى مصرى فى اليمن بينما لم يكن يدافع عن القاهرة سوى ٤٠٠ جندى .

إن الفقرات السابقة قد تكون (تحقيقاً بوليسياً) عن قضية الوحدة العربية – لكنها فى حد ذاتها ليست كافية لإيضاح موقف عبد الناصر من الوحدة – إن هذا الموقف قد يتضح إذا بحثنا عما قدمه عبد الناصر من خطوات تمهيدية قد تساعد فيما بعد على الوحدة .

ويختم أسامة حميد رؤيته الهامة والتى تعبر عن فكر تيار عريض من الحركة الإسلامية بقوله :

لا شك أن نوعين من الخطوات يمكن أن يخدما قضية الوحدة :
- تبنى قضية فلسطين وإسقاط جميع الأنظمة فى المنطقة من خلال ذلك .
- تخطيط الإقتصاد والمرافق بما يخدم هدف الوحدة فى النهاية .

وبالنسبة للنقطة الأولى فقد خطب عبد الناصر فى غزة عام ١٩٦٢م قائلاً : « أنا ماعنديش خطة لتحرير فلسطين – واللى بيقول لكم عنده خطة لتحرير فلسطين يبقى بيضحك عليكم[١] – وقد تحولت هذه العبارة إلى مقدمة لبرنامج يومى فى إذاعة الأردن .

---

(١) عادل حسين : نحو فكر عربى جديد – المستقبل العربى ١٩٨٥ ص ٢٣٩ .

(١) تم تزييف هذا النص فى جريدة الأهرام (١٩٦٢/٧/٢٧) فقد حذفت الجملة الأولى وحرفت الجملة الثانية إلى « أن الذى يقول أنه وضع خططا لحل قضية فلسطين إنما يخدعكم » .

وبالنسبة للنقطة الثانية - فإن الدراسات التفصيلية تنفى وجود إتجاه لدى النظام لتوحيد المنطقة يوما - بل لم يكلف النظام الناصرى نفسه إنشاء طريق برى يربط بين مصر والسودان) .

* وبعد تلك كانت رؤية الإسلاميين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر ، وهى رغم حدتها وعدم علميتها فى بعض المواضع إلا أن لها وجاهتها ، وتطلب منا الإنصات الجيد وإحترام صاحبها الذى تميز فى كل ما قدمه بالإلمام الوافى والعمق الفكرى ، إن هذا « الاحترام » قد يمثل بداية واعية لبناء وحدة عربية إسلامية جادة يقع على الإسلاميين أمثال (أسامة حميد) وعلى الناصريين القادرين على تقبل النقد بنائها .



معمر القذافى وأعضاء مجلس الثورة لليبى

ملحق رقم (١) الفصـل السـادس

[الوحدة العربية فى إدراك عبد الناصر]

(الشعب المصرى فى عمله فى الداخل ، لم يعزل نفسه عن حقيقة وجوده .. وإنما تفاعل الشعب المصرى ، مع أمته العربية ، محطماً كل العوائق ، وكل الحواجز متخصيا لها).

(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢م)

وإننا جزء لا يتجزأ من أمة عربية واحدة ، تاريخها واحد ، ونضالها واحد ، ومصيرها واحد .

(مجلس الأمة ١٩٦٥/١/٢٠م)

إن الوحدة العربية ليست حركة عنصرية .. وإنما هى حركة أمة واحدة .. عاشت نفس التايخ .. وتعيش نفس النضال .. وتتجه لنفس المصير .

(حديث صحفى ١٩٦٤/٧/٥)

عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكية .. وإنما قدر ووجود ، وحياة أمة واحدة .

صف واحد .. نضال واحد .. مصير واحد .

(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢م)

إذا تكلمنا عن القومية العربية والوحدة العربية .. فإننا نتكلم عن دعوة لها جذور عميقة .. رويناها بالدماء .. ورويناها بالأرواح .. وعمل الأجداد فى سبيل تقديسها .. وبذل أرواحهم .. وتضحية أنفسهم .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

إن قصة كفاح الشعب العربى ، وخطوات الكفاح واحدة ، لسبب واحد بسيط .. سبب كل فرد فى الأمة العربية يعرفه ويعلمه .. هو تشابه الظروف الكامل .. وتوافق هذه الظروف وترابطها .

وإذا قارنا مقارنة تاريخية ، بين كفاح الشعب العربى ، فى كل مكان ، وفى كل بلد من بلاد الوطن العربى .. فى العراق .. وفى سوريا .. وفى لبنان .. وفى مصر .. فإننا نرى الترابط بين المشاعر والترابط فى الحوادث .

فى كل وقت ثارت فيه بغداد ، كانت القاهرة تثور ، لأن المشاعر كانت تجميع بين بلدين .

فى كل وقت ثارت فيه دمشق .. ثارت فيه بيروت لأن الحوادث كانت تجمع بين بلدين .

كانت الحوادث فى العالم العربى مرتبطة متصلة .. العالم العربى كله يشعر بمشاعر واحدة فى وقت واحد ، لأن قضية العالم العربى هى قضية واحدة .. وقصة الكفاح فى العالم العربى قصة واحدة .. وإذا كان هناك تفاوت فى الزمن .. فإن هناك إتفاق فى الأهداف .. وإتفاق فى الآمال .

(عيد الثورة ١٩٥٨/٧/٢٢م)

إننا حين نتكلم عن القومية العربية ، فقد علمنا التاريخ ، أن الحفاظ على قوميتنا العربية فى الماضى ، كان السبب فى الحفاظ على حريتنا ، وعلى إستقلالنا .. وأننا حينما هببنا لندافع عن وطننا جميعاً وحينما لم ننخدع بالطائفية التى أرادت الحملات الصليبية أن تبثها بيننا ، وإتحدنا جميعاً .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

عندما كان العرب وحدة متماسكة ، إستطاعوا رد المعتدين على أعقابهم ، كما حدث أيام الحروب الصليبية .. ولكن بعد أن فرق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة، وفريسة للسيطرة الأجنبية .. وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عينى طوال فترة المناقشة التى كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر .

ولأول وهلة ، إتضح لنا أن مصر مثلها فى ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربى لا يمكن أن تضمن سلامتها إلا مجتمعة مع كل شقياتها فى « العروبة » فى وحدة متماسكة قوية .

إن موقع مصر الجغرافى والإستراتيجى الهام ؛ كان دائماً هو نقطة الضعف بالنسبة لها .. وأنه سبب هذا الموقع الممتاز ، تسابقت الدول إلى إحتلالها .. لذلك كان هدفنا أن نجعل من هذا الضعف قوة .

وقمنا بعد ذلك بدراسة ثروات العرب وخاصة البترول .. وعرفنا أن هذا البترول يمكن إستخدامه لصالح العرب .. وهذا هو نفس الذى حدث للقنال .. وهكذا إتخذت القومية العربية طابعها ، كضرورة إستراتيجية .. وذلك لضمان سلامة الوطن العربى ... وكمذهب سياسى ..

(حديث مع الصحفى الإنجليزى ديزمونت ١٩٥٧/٤/١م)

إن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقبل الحرب العالمية الأولى .. حينما تعرضت البلاد العربية للمحاولات الأجنبية للسيطرة والإحتلال .. وبدأ هذا الإحتلال ببلد عربى .. سرى هذا الإحتلال وهذه السيطرة سريان السرطان .. بين أرجاء الأمة العربية .

إن مصيرنا واحد ، وإن كفاحنا من أجل الحرية والإستقلال فى أى بلد عربى ، إنما يؤثر علينا فى جميع أنحاء العالم العربى .

(خطاب فى ١٩٥٩/٤/٢١م)

إن الوحدة العربية موجودة فعلا بين أبناء الشعب العربى .. إن الخلافات قائمة بين النظم والحكومات .. ولكن إذا حدث شيء فى الجزائر ، تجد له رد فعل فى جميع أنحاء الدول العربية .. وإذا وقع شيء فى سوريا ، يكون له رد فعل فى جميع أنحاء البلاد العربية .

(حديث إلى تليفزيون كولومبيا ١٩٦٥/٧/٩م)

إذن الوحدة .. هذه الوحدة من ناحية المصلحة .. هى قائمة .
وهذه الوحدة من ناحية المصير المشترك هى قائمة ..
ومن ناحية الماضى المشترك أيضا هى قائمة ..
وحدة المصير .. وحدة الوجود .. وحدتنا كدول عربية .

كنا على ثقة أن أمننا إحنا حتى من ناحية مصلحتنا مرتبط بأمن الدول العربية الأخرى .. وسلامتنا مرتبطة بسلامة الدول العربية الأخرى .

(خطاب فى ١٩٦٢/١٢/٢٣م)

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو نفسه الكفاح من أجل الحياة ، ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا .

وما من مرة توافرت القوة.. إلا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

(مجلس الأمة ١٩٥٨/٢/٥م)

إن تيار التاريخ يسير إلى الأمام .. وإن الدول الكبرى التى حاولت أن توقف هذا التيار لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعى للتاريخ .. بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية والتضامن العربى سبيل الأمان والسبيل الوحيد للحماية ، والسبيل الوحيد لرفع مستواه ، والسبيل الوحيد لتطويره إجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً .

(خطاب بدء تنفيذ السد العالى ١٩٥٩/١١/٢٦م)

إن القومية العربية التى إنطلقت لا يمثلها واحد ، ولا يمثلها حفنة من الناس .. لا يمثلها جمال عبد الناصر ولا يمثلها أى شخص آخر .. ولكنها أنتم .. كل فرد منكم .. يمثل هذا الشعب الذى قاتل .. يمثل هذا الشعب الذى صمم على الحرية ، وصمم على أن ينتصر .

إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، أنها لا تنحصر فى شخص واحد هو جمال عبد الناصر ولا تنحصر فى أفراد آخرين .. هم من يعملون مع جمال عبد الناصر .. ولكنها تمثل الشعب العربى ..

القومية العربية هى أنتم هنا فى دمشق .. وأخوة لكم فى بغداد ..وأخوة لكم فى القاهرة ..

وأخوة لكم فى عمان .. وأخوة لكم فى بيروت ..

القومية العربية أخوة لكم فى السودان .. وآخوة لكم فى اليمن .. وأخوة لكم فى ليبيا هذه هى القومية العربية التى لن تستطيع أية قوة فى العالم أن تحطمها أو تقضى عليها ..

ليست القومية العربية من وحى رجل واحد ، أو من وحى فرد واحد .. ولكنها من وحيكم أنتم ومن وحى آبائكم .. ومن وحى أولئك الذين استشهدوا فى سبيل هذه الأيام التى نعيشها ، لنرى فيها الأمة العربية وهى تتحرر .

(خطاب بدمشق ١٩٥٨/٧/١٨م)

ينبغى الفصل بين الوحدة العربية كتيار تاريخى قديم ومستمر ، وبين أى فرد يتحمل فى لحظة من اللحظات مسئولية العمل من أجلها .. أن دعوة الوحدة العربية بدأت من قبل جمال عبد الناصر .. وستبقى بعد جمال عبد الناصر .

(حديث صحفى فى ١٩٦٤/٧/٥م)

إن الوحدة ثورة .. ثورة على ما كنا نعيش فيه .. ثورة على كل الأساليب التى مرت بنا فى الماضى .. وثورة تستهدف إقامة المجتمع الذى تريده ..

الوحدة فى طبيعتها ، ليست إدماج إقليمين ، أو إدماج دولتين عربيتين فحسب ، ولكن الوحدة كما لمستها وأنا أقابل هذه الشعب فى القرى والمدن .. هى تطور قومى إجتماعى إقتصادى سياسى .

وحينما كان الشعب ينادى بالوحدة .. وحينما فرض الشعب الوحدة . إنما كان يثور ليحقق لنفسه الثورة السياسية القومية العربية .. وفى نفس الوقت ليحقق أيضا الثورة الإجتماعية التى عمل من أجل تحقيقها وكافح فى سبيلها طوال السنين الماضية .. فإن الشعب حينما كافح الإستعمار وتخلص منه .. فإن الإستقلال فى حد ذاته لم يكن غاية .. ولكنه كان الوسيلة لتحرير إرادته ليكون الشعب قادراً على أن يطور نفسه .. وعلى أن يضع الثورة السياسية والثورة الإجتماعية موضع التنفيذ .

(خطاب بحلب ١٨ فبراير ١٩٦٠م)

إن الثورة العربية الشاملة .. ما تزال هى القوى الأصلية القادرة ، على تحقيق الآمال العربية كلها ، لكنى أود أن أقول بوضوح .. إن الثورة العربية الشاملة ، لا يمكن أن تكون مجموعة

من المغامرات أو الإنقلابات ، وإنما هى الحركة التاريخية لجماهير الأمة العربية للقفز عبر التخلف .. إلى التقدم السياسى والإجتماعى والثقافى ، مستندة على القيم الحضارية للأمة العربية ، محققة بالنضال الثورى أهدافها .

(مجلس الأمة ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥م)

إن الوحدة ليست نداء يردد أصداء الماضى .. وإنما الوحدة العربة أصلاً وأساساً هى نداء بالتجمع وإنطلاق إلى بناء المستقبل .. وتوفير رخائه .

(مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٥م)

إن أمل الوحدة بين شعوب الأمة العربية ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سبقته ، وتأكدت قبله ، أمال أخرى تفتح له الطريق وتمكن له .. وتخلق أنسب الظروف الملائمة له .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧م)

إن مطلب الحرية السياسية ، لابد له أن يسبق ويتأكد فى كل وطن عربى ... قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية أمراً مطروحاً .. إن مطلب الحرية السياسية معناه لأى شعب ، أنه يستطيع أن يعلن رأيه ، ويبدى مشيئته .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧م)

كذلك فإن مطلب الحربة الإجتماعية .. لابد له أن يسبق ويتأكد ، فى كل وطن عربى ، قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية قابلا للتحقيق .. أن مطلب الحرية الإجتماعية معناه لأى شعب أنه يستطع أن يقرر لنفسه .. وأن يسود على مصيره .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧م)

هناك ترابط كبير بين الإشتراكية والوحدة .. ولذلك فإننا نقول بإستمرار ، أننا لن نتحد أبداً مع أى بلد عربى إلا حين يطبق الإشتراكية .. ويعلن ماذا يعنى بالإشتراكية .. وبذلك لا تتعرض الوحدة للخطر .. لأن تطبيق الإشتراكية ، وإعلان محتواها ، يمنع الإنتهازية التى

تعلن أنها اشتراكية ، ثم تتحالف مع الرجعية ، فى تسديد الطعنات للوحدة .. إن هذا يقضى على العناصر اللى وجدت بطبيعتها لتحارب الوحدة ..

إن الوحدة معناها الإشتراكية .. فلابد للرأسماليين أن ينقضوا على الوحدة أولاً حتى

لا يقعوا تحت بطش الإشتراكية ، كما يتصورون أن الإشتراكية تبطش بهم .. وهذا ما حدث فى تجربة الوحدة الأولى . ولذلك سميت الرجعية بالانفصالية ، لأن الإنفصال حماية للرجعية من الإشتراكية وربما كان انقضاضهم على الوحدة ليس كرهًا فى الوحدة .. ولكنه كره فى الإشتراكية .

إن انتصار الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية ، فى أوطان الشعوب العربية ، معناه هزيمة الإستعمار وهزيمة الرجعية المتحالفة مع الإستعمار .. وهما معا أكبر العوائق أمام الوحدة .

الإستعمار يريدنا أمة عربية ممزقة ليسهل عليه مواجهة شعوبها .. كما أن الرجعية وراء الحدود المصنوعة ، قد استطاعت أن بتنى لنفسها امتيازات طبقية شرهة ، من هنا نقول أن أمل الوحدة حين يتحقق ، يصبح تتويجا لكل الأمال العربية الأخرى ، وهو فى نفس الوقت ضمان لها .. وهو الاطار السليم لتطور الأمة العربية ، ونموها المتكامل وفرصتها الحقيقية لبلوغ مستوى التقدم المنشود .. فى عصر تتسابق فيه الأمم إلى التقدم بسرعة مدهشة .. بعد أن استطاعت ثورة العلوم أن تطوع لخدمة التقدم الإنسانى أدوات ووسائل ، لم تخطر من قبل على البال ..

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

ان الحرية السياسية والاجتماعية مقدمات ضرورية للوحدة .. وليس معنى هذا أنه يتعين علينا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماما فى كل أرض عربية .. لكى نبدأ الحديث أو العمل من أجل الوحدة .. أهداف النضال متداخلة .. أهداف النضال تعطى لبعضها ، وتأخذ من بعضها ، وتعزز إحداها الأخرى ، وتتعزز بها .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

ملحق رقم (٢) الفصل السادس

أولاً : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة
ثانيا : ميثاق الدول العربية المتحدد بين مصر واليمن

أولا : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨/٣/٥م

الباب الأول

م ١ – الدول العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية ذات سيادة ، وشعبها جزء من الأمة العربية .

م ٢ – الجنسية فى الدولة المتحدة يحددها القانون . ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية أو المصرية ، أو يستحق أية منهما بموجب القوانين والأحكام السارية فى سوريا ومصر عند العمل بهذا الدستور .

الباب الثانى

م ٣ – التضامن الإجتماعى أساس للمجتمع .

م ٤ – ينظم الأقتصاد القومى وفقاً لخطط مرسومة ، تراعى فيها مبادىء العدالة الإجتماعية وتهدف إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة .

م ٥ – الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون أداء وظيفتها الإجتماعية ، ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقاً للقانون .

م ٦ – العدالة الإجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة .

الباب الثالث

م ٧ – المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

م ٨ – لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها .

م ٩ – تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

م ١٠ – الحريات العامة مكفولة فى حدود القانون .

م ١١ – الدفاع عن الوطن واجب مقدس وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين والتجنيد إجبارى وفقاً للقانون .

الباب الرابع
نظام الحكم
الفصل الأول
رئيس الدولة

م ١٢ – رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ، ويباشر إختصاصاته على الوجه المبين فى هذا الدستور .

الفصل الثانى
السلطة التشريعية

م ١٣ – يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة ، يحدد عدد أعضائه ويتم إختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصفهم على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى .

م ١٤ – يتولى مجلس الأمة مراقبة أعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين فى الدستور .

م ١٥ – يجب أن لا يقل سن عضو مجلس الأمة عن ٣٠ سنة ميلادية .

م ١٦ – مقر مجلس الأمة مدينة القاهرة ، ويجوز دعوته للإنعقاد فى جهة أخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية .

م ١٧ – يدعو رئيس الجمهورية مجلس الأمة للإنعقاد ، ويفض دورته .

م ١٨ – لا يجوز أن يجتمع مجلس الأمة دون دعوة فى غير دور الإنعقاد ، وإلا كان إجتماعه باطلاً ، وبطلت بحكم القانون القرارات التى تصدر منه .

م ١٩ – يقسم عضو مجلس الأمة أمام المجلس ، فى جلسة علنية ، قبل أن يتولى عمله ، اليمين الآتية :

أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصا على ج . م . ع ونظامها وأن أرعى مصالح الشعب وسلامة الوطن ، وأن أحترم الدستور والقانون .

م ٢٠ – ينتخب مجلس الأمة فى أول إجتماع عادى له رئيساً ووكيلين .

م ٢١ – جلسات مجلس الأمة علنية ، ويجوز إنعقاده فى جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية أو ٢٠ من أعضائه – ثم يقرر المجلس ما إذا كانت المناقشة فى الموضوع المطروح أمامه تجرى فى جلسة علنية أو سرية .

م ٢٢ – لا يصدر قانون إلا إذا أقره مجلس الأمة . ولا يجوز تقرير مشروع قانون إلا بعد أخذ الرأى فيه ، مادة مادة .

م ٢٣ – يصنع مجلس الأمة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية أدائه لعلمه .

م ٢٤ – لكل عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يوجه إلى الوزراء أسئلة أو إستجوابات وتجرى المناقشة فى الإستجواب بعد سبعة أيام على الأقل من يوم تقديمه وذلك فى غير حالة الإستعجال وموافقة الوزير .

م ٢٥ – يجوز لعشرين من أعضاء مجلس الأمة أن يطلبوا طرح موضوع عام للمناقشة لإستيضاح سياسة الحكومة فى شأنه ، وتبادل الرأى فيه .

م ٢٦ – لمجلس الأمة إبداء رغبات أو إقتراحات للحكومة فى المسائل العامة .

م ٢٧ – إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاؤها لا يكون إلا بقانون ، ولا يعفى أحد من أدائها فى غير الأحوال المبينة فى القانون ، ولا يجوز تكليف أحد أو أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا فى حدود القانون .

م ٢٨ – ينظم القانون القواعد الأساسية لجباية الأموال العامة وإجراءات صرفها .

م ٢٩ – لا يجوز للحكومة عقد قرض أو الإرتباط بمشروع يترتب عليه إنفاق مبالغ من خزانة الدولة فى سنة أو سنوات مقبلة إلا بموافقة مجلس الأمة .

م ٣٠ – لا يجوز منح إحتكار إلا بقانون وإلى زمن محدود .

م ٣١ – يعين القانون طريقة إعداد الميزانية وعرضها على مجلس الأمة ، كما يحدد السنة المالية .

م ٣٢ – يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الأمة قبل إنتهاء السنة المالية بثلاثة أشهر على الأقل . لبحثه وإعتماده وتقر الميزانية بابا بابا ولا يجوز لمجلس الأمة إجراء أى تعديل فى المشروع إلا بموافقة الحكومة .

م ٣٣ – يجب موافقة مجلس الأمة على نقل أى مبلغ من باب إلى آخر من أبواب الميزانية ، وكذلك على كل مصروف غير وارد بها ، أو زائد على تقديراتها .

م ٣٤ – الميزانية المستقلة والملحقة تجرى عليها الأحكام الخاصة بالميزانية العامة .

م ٣٥ – ينظم القانون الأحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الأخرى .

م ٣٦ – لا يجوز فى أثناء دورة إنعقاد مجلس الأمة وفى غير حالة التلبس بالجريمة أن تتخذ ضد أى عضو من أعضائه أية إجراءات جنائية إلا بإذن المجلس ، وفى حالة إتخاذ أى إجراءات فى غيبة المجلس يجب إخطاره بها .

م ٣٧ – لا يجوز إسقاط عضوية أحد من أعضاء مجلس الأمة إلا بقرار من المجلس بأغلبية ثلثى أعضائه ، وبناء على إقتراح ٢٠ من الأعضاء ، وذلك إذا فقد الثقة والإعتبار .

م ٣٨ – لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الأمة ، فإذا حل المجلس وجب تشكيل المجلس الجديد ودعوته للإنعقاد خلال ستين يوماً من تاريخ الحل .

م ٣٩ – إذا قرر مجلس الأمة عدم الثقة بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة ، ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير إلا بعد إستجواب موجه إليه ، ويكون الطلب بناء على إقتراح عشرين عضواً من أعضاء المجلس . ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره فى الطلب قبل ثلاثة أيام على الأقل من تقديمه ويكون سحب الثقة من الوزير بأغلبية أعضاء المجلس .

م ٤٠ – لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولى الوظائف العامة . ويحدد القانون أحوال عدم الجمع الأخرى .

م ٤١ – لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يعين فى مجلس إدارة شركة فى أثناء مدة عضويته إلا فى الأحوال التى يحددها القانون .

م ٤٢ – لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة فى أثناء مدة عضويته أن يشترى أو يستأجر من أموال الدولة ، أو يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .

م ٤٣ – يتقاضى أعضاء مجلس الأمة مكافأة يحددها القانون .

الفصل الثالث
السلطة التنفيذية

م ٤٤ – يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ، ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور .

م ٤٥ – لا يجوز لرئيس الجمهورية فى أثناء مدة رياسته أن يزاول مهنة حرة ، عملا تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، أو يشترى أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .

م ٤٦ – لرئيس الجمهورية أن يعين نائباً لرئيس الجمهورية أو أكثر ، ويعفيهم من مناصبهم .

م ٤٧ – يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ، ويجوز تعيين وزراء دولة ونواب للوزراء . ويتولى كل وزير الإشراف على شئون وزارته ، ويقوم بتنفيذ السياسة العامة التى يضعها رئيس الجمهورية .

م ٤٨ – لا يجوز لنائب رئيس الجمهورية ، أو للوزير فى أثناء مدة تولية منصبه ، أن يزاول مهنة حرة ، أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعيا ، أو أن يشترى أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله ، أو أن يقايضها عليه .

م ٤٩ – لرئيس الجمهورية ، ولمجلس الأمة ، حق إحالة الوزير إلى المحاكمة عما يقع منه من جرائم فى تأديته أعمال وظيفته ، ويكون قرار مجلس الأمة باتهام الوزير بناء على إقتراح مقدم من خمس (١/٥) أعضائه على الأقل ، ولا يصدر قرار الإتهام إلا بأغلبية أعضاء المجلس .

م٥٠ – لرئيس الجمهورية حق إقتراح القوانين والإعتراض عليها وإصدارها .

م ٥١ – إذا إعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده إلى مجلس الأمة فى مدى ثلاثين يوما من تاريخ إبلاغ المجلس إياه ، فإذا لم يرد مشروع القانون فى هذا الميعاد إعتبر قانونا وأصدر .

م ٥٢ – إذر رد مشروع القانون فى الميعاد المقدم إلى المجلس وأقره ثانية بموافقة ثلثى أعضائه اعتبر قانون وأصدر .

م ٥٣ – لرئيس الجمهورية أن يصدر أى تشريع أو قرار ، مما يدخل أصلاً فى إختصاص

مجلس الأمة إذا دعت الضرورة إلى إتخاذه فى غياب المجلس على أن يعرض عليه فور إنعقاده فإذا إعترض المجلس على ما أصدره رئيس الجمهورية بأغلبية ثلثى أعضائه سقط ما له من أثر من تاريخ الإعتراض .

م ٥٤ – يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ، ويشرف على إدارتها .

م ٥٥ – رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .

م ٥٦ – رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ، ويبلغها مجلس الأمة ، وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة ، على أن معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضى الدولة أو التى تتعلق بحقوق السيادة ، أو التى تحمل خزانة الدولة شيئاً من النفقات الواردة فى الميزانية ، لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها مجلس الأمة .

م ٥٧ – لرئيس الجمهورية حق إعلان حالة الطوارىء .

م ٥٨ – تتكون ج . م . ع من إقليمين هما : مصر وسوريا ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذى يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويختص بدراسة وفحص الموضوعات التى تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للإقليم .

الفصل الرابع
القضاء

م ٥٩ – القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لأية سلطة التدخل فى القضايا أو شئون العدالة .

م ٦٠ – القضاة غير قابلين للعزل ، وذلك على الوجه المبين فى القانون .

م ٦١ – يرتب القانون جهات القضاء وتعيين إختصاصاتها .

م ٦٢ – جلسات المحاكم علنية ، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الأداب .

م ٦٣ – تصدر الأحكام وتنفذ باسم الأمة .

الباب الرابع
أحكام عامة

م ٦٤ – مدينة القاهرة عاصمة ج . م . ع .

م ٦٥ – يبين القانون العام الوطنى والأحكام الخاصة به ، كما يبين القانون شعار الدولة والأحكام الخاصة به .

م ٦٦ – لا تسرى أحكام القانون إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها ، ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها ، ومع ذلك يجوز فى غير المواد الجنائية النص فى القانون على خلاف ذلك بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الأمة .

م ٦٧ – تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من إصدارها ويعمل بها بعد عشرة أيام من تاريخ نشرها ، ويجوز مد هذا الميعاد أو تقصيره بنص خاص فى القانون .

الباب الخامس
أحكام إنتقالية وختامية

م ٦٨ – كل ما قررته التشريعات المعمول بها فى كل من إقليمى مصر وسوريا عند العمل بهذا الدستور ، تبقى سارية المفعول فى النطاق الإقليمى المقرر بها عند إصدارها . ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها وفقا للنظام المقرر لهذا الدستور .

م ٦٩ – لا يترتب على العمل بهذا الدستور الإخلال بأحكام المعاهدات والإتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر بين الدول الأجنبية ، وتظل هذه المعاهدات والإتفاقيات سارية المفعول ، فى النطاق الإقليمى المقرر لها عند إبرامها ، وفقا لقواعد القانون الدولى .

م ٧٠ – إلى أن يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانية واحدة تصدر إلى جانب ميزانية الدولة ميزانية خاصة يعمل بها فى كل من النظام الإقليمى الحالى لكل من سوريا ومصر ..

م ٧١ – يستمر ترتيب المصالح العامة ، والنظم الأدارية القائمة عند العمل بهذا الدستور

معمولا بها فى كل من سوريا ومصر إلى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

م ٧٢ – يكون المواطنون إتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف القومية ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحى السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الإتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

م ٧٣ – يعمل بهذا الدستور المؤقت إلى حين إعلان موافقة الشعب على الدستور النهائى للجمهورية العربية المتحدة .

ثانياً : ميثاق الدولة العربية المتحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية (١٩٥٨/٣/٨م)

الباب الأول
الإتحـــــاد

١ – ينشأ إتحاد يسمى « الدول العربية المتحدة » يتكون من ج . م . ع والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التى تقبل الإنضمام إلى هذا الإتحاد .

٢ – تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها .

٣ – مواطنو الإتحاد متساوون فى الحقوق والواجبات العامة .

٤ – لكل مواطن فى الإتحاد حق العمل وتولى الوظائف العامة فى البلاد المتحدة دون تفرقة وفى حدود القوانين .

٥ – حرية التنقل فى الإتحاد مكفولة فى حدود القانون .

٦ – تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التى يضعها الإتحاد .

٧ – يتولى التمثيل السياسى والقنصلى فى الخارج هيئة واحدة فى الأحوال التى يقدر فيها الإتحاد ذلك .

٨ – يكون للإتحاد قوات مسلحة موحدة .

٩ – تنظم الشئون الإقتصادية للإتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الإنتاج وإستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الإقتصادى .

١٠ - ينظم القانون شئون النقد فى الإتحاد .

١١ - ينشأ بين البلاد المتحدة إتحاد جمركى وذلك بالشروط والأوضاع التى يحددها القانون .

١٢ - ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة فى الإتحاد .

الباب الثانى
السلطــــات

١٣ - يشرف على شئون الإتحاد مجلس يسمى المجلس الأعلى يشكل من رؤساء الدول الأعضاء .

١٤ - يعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الإتحاد .

١٥ - يشكل مجلس الإتحاد من عدد متساو من ممثلى الدول الأعضاء ويبين القانون عدد أعضاء المجلس ومدة عضويتهم والأحكام الخاصة بهم .

١٦ - تكون رئاسة مجلس الإتحاد سنويا بالتناوب بين الدول الأعضاء وترشح الدول التى تمت نوبتها من يتولى الرياسة على أن يكون للرئيس نائب أو نواب من الدولة أو الدول الأعضاء فى الإتحاد .

١٧ - يختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للإتحاد فى المسائل السياسية ، والدفاعية والإقتصادية والثقافية وإصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحديد الإختصاصات ، وتصدر قرارات المجلس بالإجماع .

١٨ - يصدر المجلس الأعلى القوانين الإتحادية التى يختص بإصدارها وفقاً لأحكام هذا الميثاق ، وذلك بعد موافقة السلطات المختصة فى كل دولة .

١٩ - يعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للإتحاد .

٢٠ - تصدر الميزانية العامة للإتحاد بقرار من المجلس الأعلى ويعين القانون مواردها والحصة التى تؤديها كل دولة من الدول .

٢١ - مجلس الإتحاد هو الهيئة الدائمة للإتحاد ويتولى النظر فى الشؤون السياسية ويضع البرنامج السنوى المتضمن النظم والتدابير المؤدية إلى تحقيق الوحدة .

٢٢ - تعرض قرارات مجلس الإتحاد وبرنامجه السنوى الذى يضعه على المجلس الأعلى للإتحاد للتصديق عليها ويبت المجلس الأعلى فى القرارات التى أصدرها

مجلس الإتحاد وإعترضت إحدى الدولتين أو الدول .

٢٣ - تتبع مجلس الإتحاد الهيئات الآتية .

أ - مجلس الدفاع .

ب - المجلس الإقتصادى .

ج - المجلس الثقافى .

وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الإتحاد للتصديق عليها .

٢٤ - يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الإتحاد وإختصاصاتها .

الباب الثالث
أحكام عامة وإنتقالية

٢٥ - يصدر بتعيين المقر الدائم لإتحاد الدول العربية وحدوده قرار من المجلس الأعلى ويعقد مجلس الإتحاد والهيئات التابعة له جلساته فى المدينة التى يحددها بصفة دورية .

٢٦ - يبين القانون القواعد التى تسرى على إقليم المقر الدائم للإتحاد .

٢٧ - تكون للقوانين الإتحادية قوة إلزامية فى البلاد المتحدة ويعمل بها بعد ١٥ يوماً من تاريخ نشرها فى الجريدة الرسمية للإتحاد ما لم ينص القانون على غير ذلك .

٢٨ - يعين رئيس كل دولة وزيراً لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالإشراف على تنفيذ قرارات الإتحاد فى الإقليم الذى يتبعه .

٢٩ - يعين رئيس كل دولة وزيراً نائباً عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الأخرى ويكون له صفة الوزراء المحليين .

٣٠ - يلغى التمثيل السياسى بين الدول أعضاء الإتحاد .

٣١ - تسرى القواعد الجمركية المعمول بها فى الدول أعضاء الإتحاد إلى أن ينظم الإتحاد الجمركى بينها وفى خلال ذلك يجوز أن يضع القانون نظاماً جمركياً خاصاً للعمل بين الدول الأعضاء .

٣٢ - يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك إلى حين وضع النظام الدائم للإتحاد .

دمشق فى ١٦ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق (٨ مارس «آذار» سنة ١٩٥٨م)

الفصل السابع

عبد الناصر وإنجازات الداخل



عبد الناصر ... وإنجازات الداخل

بلا شك ، كان للحقبة الناصرية إنجازاتها الإيجابية على صعيد الداخل مثلما كان لها إنجازاتها على صعيد الصراع الخارجى والعلاقات الدولية ، وكان بجوار هذه الإيجابيات ، سلبيات عديدة ، وكان النظر إلى تلك الإيجابيات والسلبيات ، مختلفاً بين المدارس الفكرية المختلفة ، وأن النقد الحاد بالطبع من قبل الإسلاميين - خاصة الراديكاليين - منهم (كما سنرى) .

* وفى هذا الفصل الذى نعقده لإنجازات عبد الناصر بوجهيها (السلبى والإيجابى) ، سوف نكتشف ، ونسعى لإكتشاف حقيقة ما حدث بالفعل فى الداخل المصرى . وفى سبيلنا لهذا الإكتشاف سنتعرض بالتحليل للمحاور التالية :

أولاً : المدركات الناصرية لقضايا الداخل (التنمية والإشتراكية) .

ثانياً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى متعاطفة .

ثالثاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى إسلامية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى موضوعية .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : المدركات الناصرية لقضايا الداخل : التنمية والإشتراكية :

يمكننا أن نبلور مدركات عبد الناصر ، ونحددها تجاه مسائل التنمية والتطبيق الإشتراكى بالنظر الهادىء فيما أورده الميثاق الوطنى المعبر عن إيديولوجية النظام الناصرى ، فى فصله

الثامن والمعنون بـ (مع التطبيق الإشتراكى ومشاكله) وفيه يرى عبد الناصر أن العمل الإنسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع ولكى يحقق أهدافه ، ويرى أن العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب . والعمل حياة . وإن العمل الإنسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم .

وإن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الإنسانى .

لقد إستطاعت مجتمعات أخرى فى قرون سابقة أن تحقق إنطلاقها بتوفير الإستثمارات للتنمية الوطنية عن طريق نهب أموال المستعمرات وإستغلال ثروات الشعوب وتسخيرها للعمل العبودى من أجل غيرها .

ويرى الميثاق أنه فى مجتمعات أخرى تحقق الإنطلاق تحت ظروف سخرت فيها الطبقة العاملة بطريقة تتنافى مع الإنسانية لصالح الإحتكارات الرأسمالية الوطنية أو الأجنبية .

كذلك تحقق فى تجارب أخرى تحت ضغط بالغ القسوة على الأجيال الحية سلبها كل ثمار عملها من أجل الغد الموعود الذى لم يتسطع أن تراه أو وصلت إليه وهى تحمل على قلبها أقفالاً من الكبت النفسى وتؤرق خيالاتها أشباحاً من الإرهاب والطغيان .

إن طبيعة العصر لا تحتمل ذلك كله الآن .

إن البشرية تنبهت إلى شرور الإستعمار ونذرت نفسها للقضاء عليه .

والطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة إلى تحقيق أهداف الإنتاج . والطاقات المبدعة للشعوب تستطيع أن تصنع الغد دون أن تساق إليه بحمامات الدم الجماعية .

إن التقدم العلمى يجعل الوصول إلى الإنطلاق بغير هذه الوسائل الباليه كلها أمراً ممكناً وقابلاً للتحقيق .

كذلك فإن طبيعة العصر ومثله العليا تجعل إستعمال مثل هذه الوسائل القديمة أمراً مستحيل الحدوث .

إن العمل الوطنى المنظم ، القائم على التخطيط العلمى هو طريق الغد .

ويذهب الميثاق إلى أن العمل الوطنى على أساس الخطة لابد أن يكون محدداً أمام أجهزة

الإنتاج على جميع مستوياتها بل أن مسئوليته كل فرد فى هذا العمل يجب أن تكون واضحة أمامه حتى يستطيع أن يعرف فى أى وقت من الأوقات مكانه فى العمل الوطنى .

إن ذلك يقتضى أن تتحوق الخطة الشاملة فى أهدافها الإقتصادية والاجتماعية إلى برامج تفصيلية تكون فى متناول يد أجهزة الإنتاج . إن ذلك يقتضى ربط الإنتاج كما ونوعا بحدود زمنية تلتزم بها القوى المنتجة على أن تتم العملية كلها فى إطار الإستثمارات المخصصة .

إن الكم والنوع فى عملية الإنتاج لا يمكن فصلهما عن حساب الزمن وحساب التكلفة . وإلا أفلت التوازن الحيوى لعملية الإنتاج وتعرضت الأخطار . والأمر كذلك أيضا فى بارمج الخدمات .

إن وعى كل مواطن بمسئوليته المحددة فى الخطة الشاملة . كذلك إدراكه المحدد لحقوقه المؤكدة من نجاحها هو فضلا عن كونه توزيعاً للمسئولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز إحتمالات الوصول إلى الأهداف . هو فى الوقت ذاته عملية إنتقالية ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة إلى وضوح ذهنى وعملى يربط الإنسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى إتجاه التاريخ كما أنه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة .

ومن وجهة نظر الميثاق أن فلسفة العمل الوطنى يجب أن تصل إلى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات . بل ويجب أن تصل إليهم بالطريقة الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم .

إن ذلك يكفل دائماً أن يكون الفكر على إتصال بالتجربة وأن يكون الرأى النظرى على إتصال بالتطبيق التجريبى .

إن الوضوح الفكرى أكبر مما يساعد على نجاح التجربة ، كما أن التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر فى الواقع وتتأثر به . ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق إمكانيات أكبر لتحقيق النجاح .

وإنه لمن الزم الأمور هناك تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل . كما أنها تستكمل خلقة هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربة .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أنه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل

الوطنى أن يكتبوا أفكارهم لتكون أمام المسئولين عن التنفيذ كذلك من الضرورى تشجيع كل القائمين بالتنفيذ أن يكتبوا ملاحظاتهم لتكون أمام المسئولين عن التوجيه أن ذلك أمراً لا يمكن أن يترك للصدفة أو الإرتجال . وإنما ينبغى تنظيمه .

إن تنظيمه سوف يوفر للعمل الوطنى ذخيرة هائلة بغير حدود لآفاق الفكر ممتزجة بدقائق التنفيذ العملى ، إن هذه الذخيرة سوف تساهم فى رفع رصيد الكفاية الوطنية وتعميم نطاق الإستفادة بها .

إن فترات التغيير الكبرى بطبيعتها حافلة بالأخطار التى هى جزء من طبيعة المرحلة . على أن التأمين الأكبر ضد هذه الأخطار كلها هو ممارسة الحرية وخصوصاً بواسطة المجالس الشعبية المنتخبة .

أن العمل الوطنى كله . وعلى جميع مستوياته لا يمكن أن يصل سليما إلى أهدافه إلا بطريق الديمقراطية .

وعن وسيلة الديمقراطية يقول الميثاق :

ووسيلة الديمقراطية أن تتوفر الحرية فى مراكز الإنتاج جميعها لكى يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل على أن يتم ذلك بالطبع تحت إحكام تسلسل المسئولية .

كذلك فإن وسيلة الديمقراطية أن تتحقق سلطة المجلس الشعبية على جميع مراكز الإنتاج وفوق كل أجهزة الإدارة المركزية أو المحلية .

إن ذلك يضمن للشعب بإستمرار أن يكون سلطة تحديد أهداف الإنتاج ، وأن يكون فى الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها .

إن ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل الوطنى دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائماً مع الأهداف الكبيرة للعمل .

إن أى محاولة لإخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول إلى التقدم .

وإذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحدث ذلك فإنها لا تكون مقصرة فى حق الشعب

الذى صدرها للقيادة فقط وإنما هى فى نفس الوقت تكون قد عزلت نفسها عن جماهيرها وفقدت إتصالها بها . وسلمت بعدم قدرته على حل مشاكلها وبالتالى يصبح ولا مفر أمامها من أن تتنحى أو يسقطها الشعب ويسحب منها ما أسلمه إليها من مسئولية القيادة ..

إن حرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ، لكن ضرورتها أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى .

إن ممارسة الحرية على هذا النحو ليست لازمة فقط لحماية العمل الوطنى ولكنها لازمة لتوسيع قاعدته وتوفير الضمان للذين يتصدون له ، فممارسة الحرية على هذا النحو سوف تكون الطريق الفعال لتجنيد عناصر كثيرة قد تتردد قبل المشاركة فى العمل الوطنى والحرية هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على سلبيتها وتجنيدها إختيارياً لأهداف النضال .

ويرى الميثاق أن ممارسة الحرية بعد العملية الثورية الهائلة لإعادة توزيع الثروة الوطنية فى يوليو سنة ١٩٦١م لا تشكل خطراً على أمن النضال الوطنى ، بل أنها صمام الأمان له فإنها تخلق القوة الشعبية القادرة على الانقضاض على كل محاولة للتآمر والقيام بالتفاف لسلب الشعب ثمار نضاله .

كذلك فإن ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورة وتوسع هذه القيادات وتدفعها دائماً إلى الأمام وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى . من ثم فهى توفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى .

إن حرية القيادات يجب أن تستمد حقها من حرية القواعد الشعبية ولا تستطيع القيادات أن تمارس عملها بالإكراه والتعصب .

إن القيادة الحقيقية هى الإحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

ولابد فى الدستور الجديد من تنظيم عملية رجوع القيادات الشعبية إلى قواعدها وتأكيد مسئوليتها أمام المنابع الأصلية لقوتها . ولابد لنا أن نذكر دائماً أن القواعد الشعبية مفعمة بالثورية الطبيعية وأن ثورية القواعد وإلحاحها الدائم من أجل التقدم سوف يكون قوة دافعة لثورة القيادة .

إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لا يجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير فى الأملي. أن التغير الكبير بطبعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال . لكنه من إلزام الواجبات فى تلك الفترة أن تتضح أمام الشعب بجلاء صعوبة الوصول إلى الأهداف المرجوة . ان مجرد التغيير الثورى فى أوضاع المجتمع القديم لا يحقق أحلام الجماهير ولكن الجهود المتواصلة هى وحدها القادرة على الوصول إلى الأحلام .

وليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخدع الجماهير بالمنى . وإنما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغاً لآمالها .

إن ذلك أمر ينبغى وضعه موضع الإعتبار طول الوقت . وينبغى أن يصاحبه تقدير للتطلعات الكبرى للجماهير . وتقدير فى الوقت ذاته للروح المعنية لدى المسئولين عن قيادة العمل تحقيقاً لهذه التطلعات .

ويرى الميثاق أن المراهقة الفكرية خطر ينبغى التصدى له والقضاء عيه . أن الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات أو قوالب تحد قدرته على الإنطلاق أو تشيع فيه روح التردد إنما يقللون من قوة المجتمع بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع الوطنى .

إن التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .

إن تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش فيه .

ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .

إن الخطر فى المراهقة الفكرية فى هذه المرحلة إنما تخلق نوعاً من الإرهاب المعنورى يعرقل التجربة والخطأ .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أن القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطوير الوطنى قوة هائلة لابد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب . إن الثورة التى يملكها هذا الوطن صانع الحضارة من الخبراء والفنيين فى جميع المجالات قيمة هائلة لابد من الحرص عليها وتنميتها وحمايتها .

وفى بعض الأحيان فإن هذه القيادات فى حاجة إلى حمايتها من نفسها .

إن هذه القيادات قد تقع فى خطأ أن المشاكل الكبرى للتطوير الوطنى تحل خلال التعقيدات المكتبية والإدارية . إن هذه التعقيدات تضع أعباء جديدة على العمل الوطنى دون أن تساعده .

إنها قادرة لو تركت لخطأ وهمها أن تصبح طبقة عازلة تحول دون تدفق العمل الثورى وتجمد وصول نتائجه عن الجماهير التى تحتاج إليه . إن أجهزة العمل الإدارى ترتكب غلطة العمر إذا ما تصورت أن أجهزتها الكبيرة غاية فى حد ذاتها . إن هذه الأجهزة ليست إلا وسائل لتنظيم الخدمة العامة وضمان وصولها على نحو سليم إلى الجماهير .

وبنفس المقدار فإن التنازع على السلطات يؤدى إلى شلل القيادات العاملة فى التطوير الوطنى إذ تصبح كل منها عقبة أمام جهود أخرى . تجمد عملها وتلغى آثاره . كذلك فإن تكديس سلطات كبيرة فى أيد قليلة يؤدى دون جدال إلى إنتقال السلطة الحقيقية إلى غير المسئولين عنها بالفعل أمام الشعب .

لقد كان هذا الإعتبار هو المصدر الحقيقى للقانون الثورى الذى صدر بأن يكون هناك عمل واحد للرجل الواحد إن ذلك لم يكن إجراء عدل فقط ولكنه كان محاولة للوصول إلى أن يكون الفرد المناسب فى العمل المناسب لخبرته وقدرته .

والقيادات الجديدة لابد لها أن تعى دورها الإجتماعى ، وإن أخطر ما يمكن أن تتعرض له فى هذه المرحلة هو أن تنحرف متصورة أنها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت إليها إمتيازاتها .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أن قيادة المشروعات الكبرى فى عملية التطوير فى حاجة إيضا إلى أن تؤمن بأن الإسراف حتى وإن لم تتبعه إستفادة شخصية هو نوع من الإنحراف فإنه إهدار لثروة الشعب التى هى وقود معركة التطوير .

والإسراف يشمل التضخم فى مصاريف الإنتاج التى لا مبرر لها كما أنه يشمل فى الوقت ذاته عدم تقدير المسئولية فى دراسة المشروعات الجديدة . ويمتد إلى الإهمال فى التنفيذ بدون اليقظة الواجبة لسلامة العمل .

إن تلك كلها من سمات مرحلة التغييرات الكبرى ومن أخطارها ولكن السيطرة عليها والحد من تأثيرها ممكن بممارسة الحرية .

إن العمل الثورى لابد له أن يكون عملاً علمياً .

إن الثورة ليست عملية هدم إنقاض الماضى ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل .

وإذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها مجرد إنفجار عصبى تنفس به الآمه عن كبتها الطويل . ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً .

إن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ومن هنا الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به .

من وجهة نظر عبد الناصر فى ميثاقه أن الشعب هو قائد الثورة والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى .

والعلم وحده والذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدماً مأمون العواقب . وبدون العلم فإن التجربة والخطأ تصبحان نزعات إعتباطية قد تصيب مرة ولكنها تخطىء عشرات المرات .

إن مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمى فى صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الشعبية المختلفة .

إن السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقاً لمطالب الجماهير .

ومن هذا التصور فإن الجامعات ليست أبراجاً عاجية ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة .

ويقول الميثاق فى موضع آخر أن قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف . بل أن النضال الوطنى إذ ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للإنطلاق تجعل التخلف السابق ميزة أمام ما سوف يحققه التقدم الجديد .

إن الأمم التى أرغمت على التخلف . إذا ما استطاعت أن تبدأ الآن معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التى بدأ منها الذين سبقوها إلى المستقبل . ومن ثم تمنح نفسهاقوة إندفاع أشد فى اللحاق بهم والسبق عليهم .

إن المشاكل الإقتصادية والاجتماعية الكبرى التى يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لابد لها من حلول علمية .

على أن مراكز البحث العلمى الآن مطالبة فى هذه المرحلة من النضال ان تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع .

إن العلم للعلم فى حد ذاته مسئولية لا تستطيع طاقتنا الوطنية فى هذه المرحلة أن تتحمل أعباءها .

لذلك فإن العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية فى هذه المرحلة على أن بلوغ النضال الوطنى لأهدافه سوف يسمح لنا فى مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم إيجابياً مع العالم فى العلم للعلم .

وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبز المباشرة وحدها ، إن ذلك يصبح تفسيراً ضيقاً لرغيف الخبز الذى نريده . إننا لا نستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن فى عصر الذرة .

ويرى الميثاق أننا تخلفنا من قبل عن عصر البخار وعن عصر الكهرباء . ولقد كلفنا هذا التخلف مع أن ظروف القهر الإستعمارى الرجعى هى التى فرضته علينا كثيراً . وما زال يكلفنا الكثير . لكننا مطالبون الآن وعصر الذرة يشرق فجره على الدنيا أن نبدأ الفجر مع الذين بدأوه .

إن الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ولكن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعّجزات فى معركة التطوير الوطنى .

على أنه يتعين علينا أن نذكر دائما أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة . كما

أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الإحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .

ويختتم عبد الناصر مدركاته فى (الميثاق الوطنى) لأسس التقدم ورحانيتها بقوله :

وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل والعليا وأشرف الغايات والمقاصد .

تلك هى مدركات عبد الناصر وبتفصيل لما يقصده بالتنمية وبالتطبيق الإشتراكى ومشاكله فى مصر .. ترى هل صادف الواقع تحقيقاً فعليا لهذه المدركات أم أنه شهد قبرها ووأدها ؟ ذلك ما ستفصله المحاور التالية .

ثانيا : الإنجازات الناصرية فى الواقع « رؤى متعاطفة » :

هناك رؤى لعدد من المباحثين ، والتيارات الفكرية والسياسية يمكن أن تصنف فى خانة التعاطف مع التجربة الناصرية على صعيد الإنجازات الداخلية التنموية ومن هذه الرؤى نأخذ بعضا منها كنموذج :

(١) التنمية المستقلة :

يرصد أصحاب هذه الرؤى أن قرارات ثورة يوليو توالت فى شتى المجالات منذ بدئها عام ١٩٥٢م[١] قانون الإصلاح الزراعى ينزع سلاح الأرض من أيدى الإقطاعيين ويعيد توزيع الأرض على صغار الفلاحين .. تمصير للشركات الأجنبية – إنشاء المجلس الدائم للتنمية الإنتاج القومى .. إنشاء المؤسسة الإقتصادية نواة القطاع العام .. وبدأ تنفيذ برنامج شامل للتصنيع عام ١٩٥٨ م . وما أن بدأت سنوات الستينات حتى أنهى عبد الناصر الجدل الدائر حول إختيار طريق التنمية الإقتصادية ، بإختيار طريق التنمية المستقلة وذلك بعد سنوات من التجارب المتتالية سواء مع رأس المال الأجنبى فى بداية الثورة ، أو مع رأس المال المحلى بعد عدوان السويس ، فقد عدلت حكومة الثورة القانون لترفع نسبة مساهمة

---

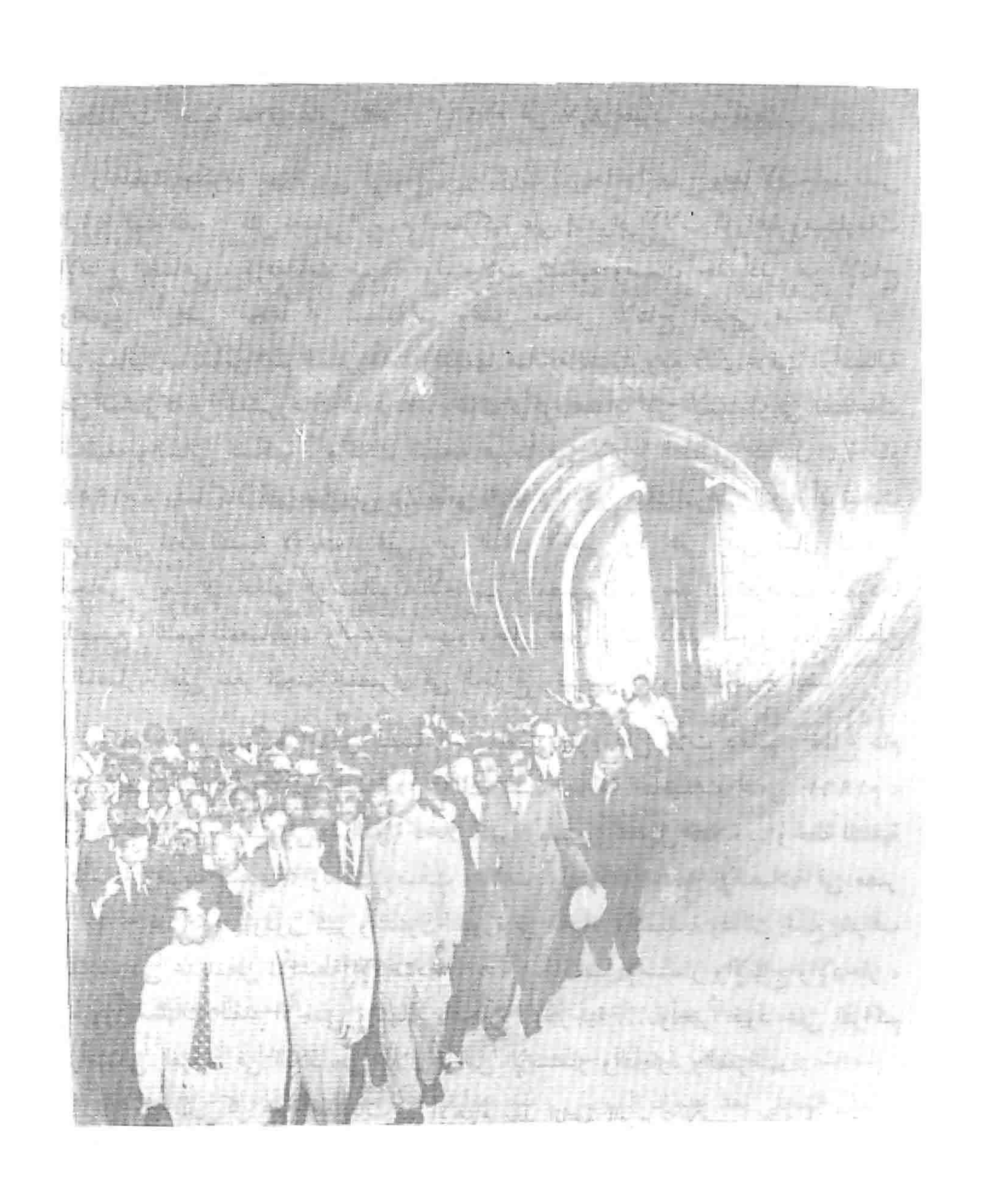
(١) كنموذج لهذه الرؤى انظر الملف الذى نشرته مجلة الموقف لعربى عدد يونيو ١٩٨٣ عن ثورة يوليو وكانت أبرز دراساته فى مجالات التنمية (دراسة عبد القادر شهيب) ودراسة (عبد الفتاح الجبالى) ودراسة (على فهمى) وسوف نستند فى فرعية التنمية المستقلة على هذه الدراسات .

رأس المال الأجنبى فى المشروعات إلى ٥١٪ ورغم ذلك لم يزد ما دخل مصر من إستثمارات أجنبية خلال عامى ٥٣ - ١٩٦١م عن ٨,٧ مليون جنيه فقط .

وأغدقت حكومة الثورة على الرأسماليين إمتيازات لم يحلموا بها - وفقاً لأصحاب نفس الرؤية المتعاطفة - مثل خفض الرسوم الجمركية على إستيراد الآلات الزراعية ومستلزمات الإنتاج الصناعى ، وإعفاءات ضريبية وتسهيلات إئتمانية وضمان حد أدنى من الإنتاج وتقديم الأراضى مجاناً أو بتسهيلات وعمل مجلس الإنتاج القومى مستشاراً فنيا للرآسماليين ، يدرس لهم المشروعات ويقدمها صالحة للتنفيذ ومع ذلك عزفت الرأسمالية عن المشاركة فى المشروعات الجديدة . وظلت تركزا إهتماماً على الإستثمار فى الصناعات الخفيفة والمبانى السكنية ، وكانت النتيجة هبوطاً فى الإنتاج الصناعى بمعدل ٤٪ عام ١٩٥٤م ، بينما كان قد وصل إلى ٦٪ عامى ١٩٤٩ . ومن هناك ان على الثورة أن تبحث عن سبيل آخر للتنمية لا يعتمد على رأس المال الأجنبى ولا على رأس المال المحلى الخاص ، بعد أن خذلها الرأسماليون الأجانب والمصريون ، وبعد أن تعرضت جهودها للتصنيع والتنمية للمضايقات والمتاعب منهم ، مثل رفض البنك الأهلى تمويل تجارة القطن والمضاربة على سعر الجنية المصرى فى الخارج وتهريب الأموال للخارج أيضا .

وكان هذا الطريق هو طريق التنمية المستقلة ، ويقوم على ثلاث دعائم : قطاع عام كبير يضطلع بأعباء عملية التنمية . ولذلك تمت حركة التأميمات عامى ١٩٦١م ، ١٩٦٤م ، التى وضعت فى يد الدولة دخلاً كبيراً ومستمراً لتمويل التنمية .. وخطة للتنمية متوسطة وطويلة المدى ، ولذلك وضعت ونفذت أول خطة للتنمية الإقتصادية فى مصر (٦٠ - ١٩٦٥م) ودور كبير ومسئول للدورة فى الحياة الإقتصادية ولذلك إتسع إشراف الدولة على عديد من الأنشطة الإقتصادية ، بدءًا بسياسات الإستثمار والإنتاج والإدخار ، ومروراً بعمليات النقد الأجنبى وإنتهاءًا بالتجارة الخارجية ... وأخيراً قيود على التراكم الرأسمالى الفردى فى البلاد من خلال قوانين الإستثمار والتجارة والضرائب .

ويضاف إلى كل هذه المقومات .. الإهتمام بعد إتاحة الفرصة لأى سيطرة أجنبية على البلاد ، بتحجيم هذا الوجود ، وعدم السماح بقيام أى علاقات إقتصادية مباشرة بين رأس المال المحلى الخاص وبين رأس المال الأجنبى ، من خلال عمليات التمصير للمصالح الأجنبية فى مصر وحظر أعمال الوكالة لرأس المال الأجنبى على المصريين فى القطاع الخاص ، وإحتكار



داخل أحد أنفاق السد العالى فى أسوان



السد العالى

القطاع العام والدولة لعمليات التجارة الخارجية والتعامل النقدى مع الخارج .

أما عن نتائج التجربة وفقا لدراسة عبد القادر شهيب (مصدر سابق) فيمكن إيجازها فى أنها أصابت الخطة الخمسية الأولى لتتنمية قدراً كبيراً من النجاح . وبلغ مجموع الإستثمار خلالها نحو ١٥٠٠ مليون جنية وإرتفعت نسبة الإستثمارات إلى الناتج المحلى من ٥٪ قبل الثورة فى أحسن الأحوال إلى ١٨٪ خلال سنوات الخطة . وإن كانت قد عادت إلى ٥٪ عام ١٩٧٤م ، وهو العام الذى شهد بداية التحول عن تجربة التنمية المستقلة فى مصر ، والأخذ بما سمى بسياسة الإنفتاح الإقتصادى والتى تعتمد على رأس المال الأجنبى وترتبط بحركة الرأسمالية العالمية .

وحظيت الزراعة بنصيب هام من الإستثمارات خلال سنوات الخطة الخمسية (٦٠/ ١٩٦٥م) . وكان السد العالى أهم عناصر الإستثمار الزراعى . وحقق - كما يقول الدكتور الجريتلى فى كتابه - أغلب الأهداف المتوخاة منه وزاد إستصلاح الأراضى إلى حوالى ٨٣٠ ألف فدان وتم تحويل نصف مليون فدان إلى الرى الدائم ، وبالإضافة إلى زيادة الطاقة الكهربائية المتاحة . حيث يمد السد العالى حالياً البلاد بنصف طاقتها ، الكهربائية .

ومنذ قيام الثورة وحتى موت عبد الناصر تم إستصلاح ٨٩١ ألف فدان - كما تقول الدراسة التى قدمها الدكتور محمود منصور عبد الفتاح فى المؤتمر العلمى السنوى السادس للإقتصاديين المصريين عام ١٩٨١م . أما خلال سنوات السبعينات - وبعد هجرة تجربة التنمية المستقلة - فقد تم إستصلاح ٢١ ألف فدان فقط .

ونجحت الثورة فى تنمية شبكة الكهرباء بالتعاون مع فرنسا ومصانع الأدوية بالتعاون مع سويسرا وألمانيا وأمريكا والسوفيت ، ومجمع الألومنيوم بالتعاون مع السوفيت ، ومصانع النسيج بالتعاون مع الهند وألمانيا وكانت الشركات الأمريكية تعمل فى مجالات البترول .

وساهم السوفيت من بين كل هؤلاء - كما شهد بذلك الدكتور عزيز صدقى - بدور كبير فى إقامة هذه القاعدة الصناعية ، وذلك بتقديم العون والخبرة والقروض لبناء ترسانات السفن وأحواض بنائها ومصانع للزيوت والحديد والصلب والأسمنت والألمونيوم . وكانت أهم مساهمة لهم فى بناء محطات القوى الكهربائية .

ونجحت الثورة أيضا فى بناء الآلاف من الوحدات السكنية لأصحاب الدخول المحدودة

والمتوسطة ومئات من المدارس لأبنائهم .

ووفقاً لأصحاب هذه الرؤى فإن نتيجة لذلك كله إستطاعت ثورة يوليو فى عشر سنوات وتحت قيادة عبد الناصر أن تقوم بتنمية أربعة أضعاف ما إستطاعت تحقيقه مصر فى الأربعين سنة السابقة على قيامها .

ونجحت بالتالى فى زيادة متوسط الدخل الحقيقى للفرد فى مصر بنسبة ٣,٦ خلال سنوات الخطة الخمسية الأولى (٦٠/ ١٩٦٥ م) بينما كانت النسبة ٢٪ فقط خلال السنوات فيما بين (٥٢ - ١٩٦٠م) ، وتمثل ذلك فى زيادة إستهلاك الفرد خلال سنوات الخطة بنسبة ٢٪ .

ونجحت الدولة أيضا فى ترتيب الفوارق بين الطبقات الفقيرة وأصحاب الدخول المحدودة . وإرتفع نصيب العمل من ٤٠٪ من الدخل القومى إلى ٤٧٪ فى نهاية الخطة الخمسية الأولى ثم إى ٤٩,٥٪ فى بداية عام ١٩٧١م ورغم الهزيمة العسكرية . ولكنه لم يلبث أن بدأ فى الهبوط منذ عام ١٩٧٢م . وبدأ الإتجاه الصعودى لأصحاب الملكية فى عصر الإنفتاح . وطبقاً لآخر التقديرات يستأثر الآن الملاك بنسبة ٧٠٪ من الدخل القومى ، أى أكثر من النسبة التى كانوا يحصلون عليها قبل الثورة . وهو ما يعنى أن الفروق الطبقية ، والتى كانت أحد أسباب قيام ثورة يوليو ، أصبحت اليوم أكثر إتساعاً مما كان قبل عام ١٩٥٢م . ورغم ذلك نجد من لا يخجل ويتحدث عن وجود عدالة إجتماعية أو تحسن فى مستوى معيشة الفقراء بشكل عادل .

أما عن مؤشرات توزيع الدخل فى مصر على عهد عبد الناصر مقارنة بعهد السادات مثلا فإن أول هذه المؤشرات هو النصيب النسبى للأجور فى الناتج المحلى الإجمالى . فإذا تتبعنا هذا المؤشر نجد أنه مر بمرحلتين الأولى من عام ١٩٥٠م حتى ١٩٧١م حيث إرتفع هذا المعدل من نحو ٣٨٪ عام ١٩٥٠م إلى نحو ٤٤٪ عام ٥٩/ ١٩٦٠م واستمر فى الإرتفاع حتى عام ٦٧/ ١٩٦٨م ، حيث بلغ حوالى ٥٠٪ . وقد ظل هذاالمعدل ثابتاً خلال الفترة من ١٩٦٧م حتى ٧١/ ٧٢ ويعود ذلك إلى أن هذه الفترة قد شهدت تكثيف الجهود الرامية إلى إعادة توزيع الدخل مثل الإصلاح الزراعى وتخفيض إيجارات المبانى السكنية والتأميمات والتمصير وما صاحبها من مزايا للعمال وكذلك تعديل قوانين الضرائب بما يزيد من درجة

تصاعدها وعدلت قوانين الإيجارات لصالح المستأجرين عدة مرات كما حدث توسع هائل فى الخدمات الصحية والتعليمية ونظم التأمين .. الخ .

فى حين أخذ هذا المعدل فى الهبوط خلال فترة السبعينات إلى أن وصل إلى ٤٤,٨٪ عام ١٩٧٤م ثم هبطت هذه النسبة إلى ٣٠,٤٪ عام ١٩٧٩م . ولا يرجع هذا الإنخفاض الكبير فى هذه النسبة إلى الزيادة الكبيرة فى العوائد البترولية وقناة السويس كما قد يظن البعض . لأن هذا الخلل فى توزيع الدخل قد إنعكس أيضا على قطاعات الإقتصاد القومى .

فقد إرتفعت عوائد التملك فى الزراعة من ٧١,٧٪ إلى ٧٨,٣٪ بين عامى ١٩٦٩م و١٩٧٩م وإرتفعت عوائد التملك فى قطاع التشييد من ٤٢,١٪ إلى ٦١,٨٪ ، وأيضا فى قطاع التوزيع تضاعفت هذه النسبة من ٤٣,٦٪ من الدخل إلى ٧٥,٤٪ خلال نفس الفترة .. وبالطبع فقد سارت الأجور فى إتجاه عكسى حيث قلت أهميتها النسبية بنفس القدر حتى أنه بحساب معدل التزايد فى كل من الاثنين خلال العشر سنوات نجد أن الأجور قد إزدادت إلى ٢٧٨٪ مما كانت عليه بينما عوائد التملك زادت إلى ٦١٤٪ عما كانت عليه .

ولكن يجب ألا يفهم من ذلك أن كل من يحصل على أجر إنما يقع فى شرائح الدخول المنخفضة نسبياً فهناك الأجور المرتفعة التى يقع أصحابها فى شرائح الدخول المرتفعة وأيضا لا يقل كل من لا يكون دخله فى شكل أجر بالضرورة فى شرائح الدخول العليا فى المجتمع لأن هناك من يعمل فى قطاع العمل غير المنظم (مثل الباعة الجائلين) وهؤلاء تكون دخولهم منخفضة رغم أن هذه الدخول لا تأخذ شكل الأجور .

ولا شك أن العامل الأساسى فى تقوية هذه الإتجاهات هو سياسة الإنفتاح وذلك نتيجة طبيعية ، لقوانين النمو الرأسمالى من جهة ولخصائص الرأسمالية المحلية وميلها إلى الأنشطة التجارية والطفيلية من جهة أخرى ، وخاصة إذا أخذنا فى الحسبان أن هذه السياسة تتيح الفرصة أمام من يملكون عناصر الإنتاج – رأس المال ، الأرض – إستغلالها فى مشروعات خاصة وتحقيق أرباح كبيرة من ورائها لما تستمتع به من مزايا وخاصة الإعفاءات الضريبية والتى لا تفرق بين أنواع النشاطات المختلفة فى المجتمع . وبالإضافة إلى ذلك التفاوت الموجود بين مرتبات العاملين فى القطاع الخاص وبين القطاع العام – وتشير الإحصائيات فى هذا الصدد إلى أن مرتبات العاملين فى القطاع الحكومى والعاملين بالبنوك المشتركة تتفاوت فيما بينها فتتراوح نسبة إرتفاع المرتبات فى أدنى درجات التعيين بنسبة ٦٠ ، ٣٠٠٪ وفى حالة

المؤهلات العليا تتفاوت هذه النسبة بين ٩٧٪ ، ٤٥٢٪ وتتضاعف هذه النسب فى الإدارة العليا لتصل إلى أكثر من ١٨ ضعفاً لما يتقاضاه شاغله الوظائف العليا فى الحكومة .

ومن المؤشرات الأخرى ما أشار إليه تقرير البنك الدولى فى عام ٨٠ من إرتفاع نصيب أعلى خمسة فى المائة من السكان فى مصر من ١٧٪ من الدخل القومى فى أواخر الستينات إلى ٢٢٪ فى أواخر السبعينات بينما إنخفض نصيب أفقر ٢٠٪ من السكان من ٧٪ من الدخل إلى ٥٪ خلال نفس الفترة .

وهو ما يدل على مدى الخلل الذى حدث فى توزيع الدخول فى المجتمع المصرى ككل خلال فترة السبعينيات عنه فى الفترة السابقة عليه .

ووفقا لدراسة عبد الفتاح الجبالى فلقد شهد الريف المصرى تغييرات هامة فى صدد توزيع الدخل فيما بين الستينيات والسبعينيات ، فمن المعروف أن قانون الإصلاح الزراعى قد ساعد - بعض الشىء - فى تقليل التفاوت بين الدخول فى الريف ، ذلك أنه بين سنتى ١٩٥٢م - ١٩٦٥م زاد عدد الملاك لأقل من خمسة أفدنة (وهم ٩٠٪ من الملاك) من ٢,٦ مليون إلى ٣ ملايين تمثل حيازتهم ٥٧٪ من المساحة المنزرعة بعد أن كانت ٥٣٪ فقط . هذا بينما ظل عدد المالكين لأكثر من ٥٠ فداناً على حاله حوالى ١٠,٠٠٠ مالك تناقصت حيازتهم من ٢ مليون فدان إلى نحو ثمانمائة ألف وإنخفضت حيازتهم من ٣٤٪ إلى ١٢,٦٪ إلا أنه بدءًا من عام ٧٤ شهد الريف المصرى تغييراً فى غير صالح صغار المزارعين - فيشير الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء - إلى أن المساحة المملوكة لصغار الملاك (أقل من خمسة أفدنة) قد أنخفضت بشكل حاد بحوالى ٩٩٢ ألف فدان عن عام ١٩٦٥م ، وهو ما أدى إلى فقد صغار المزارعين لحوالى ١٣٪ من نصيبهم النسبى من أجمالى المساحة الزراعية خلال تسع سنوات فقط وإنخفضت نسبة ما يملكونه من ٥٧,١٪ عام ١٩٧٥م إلى ٤٩,٨٪ عام ١٩٧٤م ، هذا بالرغم من أن وزنهم العددى قد بقى على ما هو عليه ، وفى الوقت نفسه إستطاعت طبقة كبار الملاك التى كان حجم ملكيتها قد تقلص نتيجة لقوانين الإصلاح الزراعى - كما سبق الإشارة - أن تستعيد جزءاً هاماً من ملكيتها السابقة وترفع نصيبها النسبى من ١٢,٦٪ من إجمالى الأراضى الزراعية إلى ١٦,٣ عام ١٩٧٤م .

أما عن سياسات التشريع فى العهد الناصرى فيرى على فهمى أنه يكفى أن نستعرض هنا هذه السلسلة المجيدة من الإنجازات التشريعية الخالدة ، منذ إصدار أول قانون للإصلاح

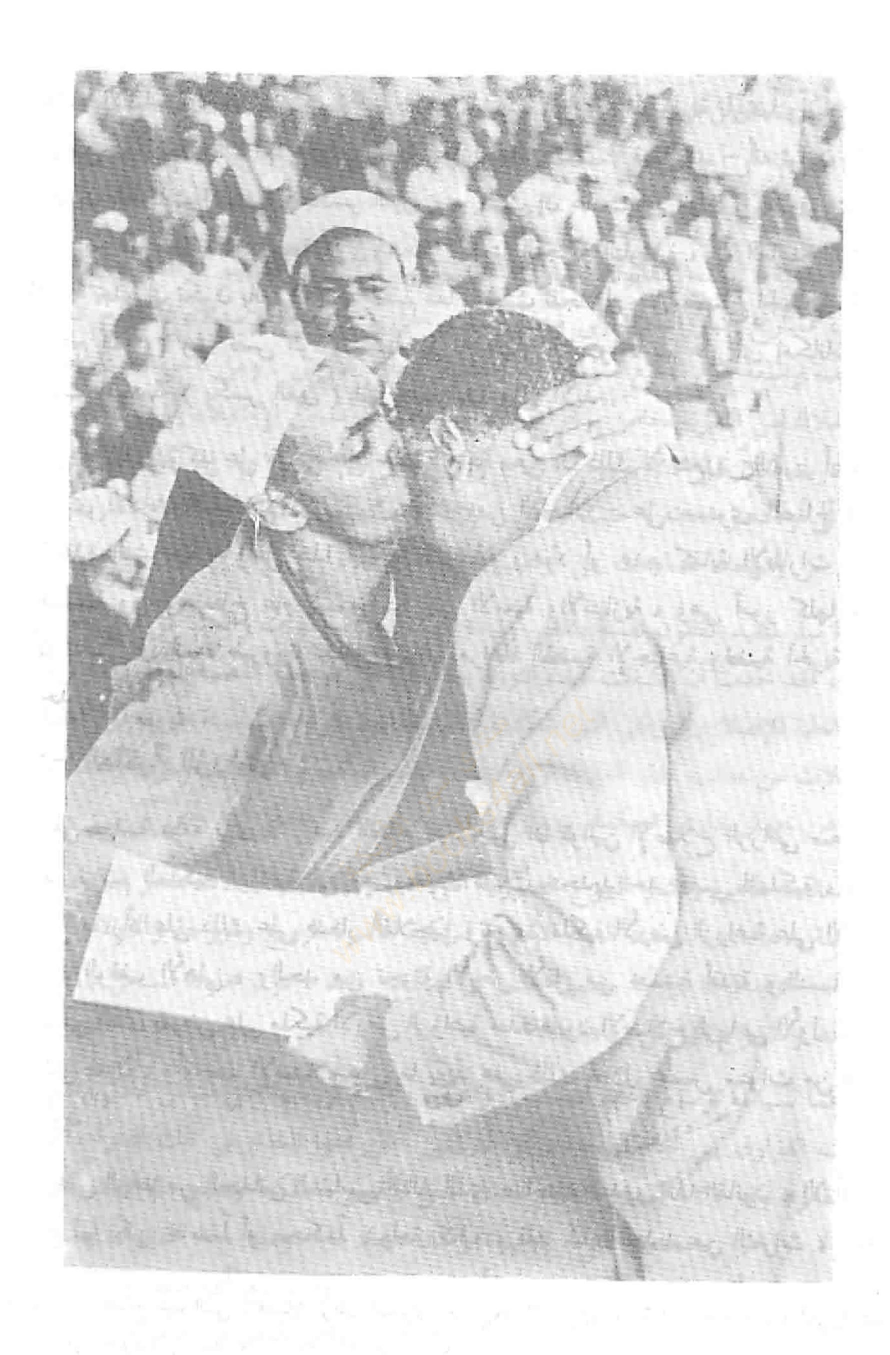
لزراعى فى سبتمبر / أيلول ١٩٥٢م ، برغم الإعتراضات المتعلقة بالموضوع أو بالتوقيت ، وكيف أسهم هذا القانون وتعديلاته فى إحداث تغييرات أساسية وتاريخية فى هياكل القوى المسيطرة فى المجتمع المصرى بعامة والريف المصرى بخاصة ، مما كان له إنعكاساته الكبرى على التدريج الإجتماعى والتغير الإجتماعى وبناء القوة والسلطة فى المجتمع ، وتغيير حقيقى فى الصورة الإجتماعية وهياكل العلاقات الإجتماعية الإقتصادية ، على الرغم من أن القانون لم يجىء عاكساً لكل الطموحات الشعبية فى هذا المجال ، كما أن ثمة التغيرات قد حدثت فى إدارة تنفيذه .

كما يمكن القول بأن الإقدام التشريعى على إلغاء الوقف الأهلى وإلغاء القضاء الشرعى ، على الرغم من تمكن وتجدر هذين النظامين فى المجتمع المصرى وفى الثقافة المصرية بإرتباطهما – على نحو ما – ببعض المفاهيم ذات الطابع الدينى ، كان مثل هذا التدخل التشريعى رعاية لمصالح هامة وضرورية .

ولعل سلسلة قوانين الإشتراكية من حيث التأميم ومشاركة العمال فى الإدارة والأرباح وتقنين بعض الخدمات الأساسية المقدمة لهم ، وما واكب ذلك من ضرورة التمثيل النسبى – فى حدود النصف بالأقل – للعمال والفلاحين فى المجالس النيابية ، لعل هذا أن يكون تتويجاً لثورة تشريعية حقيقية لحماية مصالح جماهير الكادحين ، برغم الكثير من المناورات فى التنفيذ لمسح مثل هذه المكاسب الشعبية ، وهى مناورات لم تكن القيادة الثورية طرفاً فيها بيقين ، وإنما كان مهندسوها بعض فئات الملتفين من الإنتهازيين ومن لف لفهم .

كما يمكن الإشارة – وفقاً لما ذكره على فهى فى دارسته – إلى التعديلات المتلاحقة فى قواعد تنظيم العلاقة بين ملاك العقارات المبنية والمستأجرين ، والتى كانت تهدف – فى حق وفى عدل – إلى أن يكون التوازن فى صالح الفئات الضعيفة من المستأجرين الذين ينتمون فى الغالب إلى الفئات محدودة الدخل ، وجدير بالذكر – هنا – إلى أن المشرع المصر – آنئذ – لم يكن ينظر بعين التشجيع إلى الإسكان الفاخر الذى إستشرى فيما بعد عبد الناصر على حسب الإسكان الشعبى والإقتصادى .

ومن هنا يمكن للراصد التقرير – فى موضوعية تامة – أن الإتجاهات التشريعية الرئيسية فى الفترة الناصرية كلها ، كانت من حيث مضمون المصالح التى تحميها ، هى فى خدمة



ومضى على الطريق يوزع أراضي الاقطاع على الفلاحين المعدمين . فلاح من ادكو يتسلم وثيقة الأرض

القضايا الأساسية لقطاعات كثيرة من جماهير الشعب العاملة والمطحونة تاريخياً وآنياً ، إلا أن ما يمكن أن يؤخذ عليها أنها حاولت إقامة التوازن الذى ثبت - فيما بعد - أنه توازن وهمى ، ذلك أن الطبقات المستغلة (بكسر الغين) ما فتئت إن عادت إلى الظهور بعد فوات الفترة الناصرية على نحو أكثر إستغلالاً ، وهكذا تعلمنا التجربة التاريخية ، أن القاعدة التشريعية الثورية يجدر أن تكون بالغة الدقة والحسم معاً ، بحيث تلجأ إلى حماية مصالح الجماهير المستغلة (بفتح الغين) وفى نفس الوقت تعمد إلى الإجهاز التام والحاسم على أى إمكانات لدى الفئات المستغلة (بكسر الغين) آنيا ومستقبليا وإلى الأبد .

ومع ذلك يؤكد على فهمى على حقيقة هامة وهى أن ذلك لا يمنع من التقرير أيضا بأن مستوى الأداء والتنفيذ لم يكن - فى الكثير من الأحيان - على مستوى المصالح المسماة بالقاعدة التشريعية ، ولعل هذا أن يرتبط بعدم وجود أو عدم كفاية الإطارات الكفؤة والمسيسة ووجود مناخ عام يسمح بتكريس الامعية والإنتهازية ، وهى أمور كلها جديرة بأن تناقش فى ضوء ضرورة تكامل وتناغم مراعاة القضية الإجتماعية وقضية الحرية فى آن واحد .

٢ - الملكية الزراعية :

فى دراسة هامة يرى د . عبد الفتاح عبد النبى أن قوانين الإصلاح الزراعى سعت إلى إعادة تنظيم الملكية الزراعية فى مصر حيث قضت بتحديد حد أقصى للملكية ، وإعادة توزيع ما زاد على ذلك على صغار الفلاحين وتحريم ملكية الأرض الزراعية على الأجانب وإلغاء الوقف الأهلى ، والحد من تجزئة الأرض لأقل من خمسة أفدنة وبالنسبة للحد الأقصى الذى يفرض على ملكية الأرض الزراعية حدد قانون الإصلاح الزراعى الأول الملكية بمائتى فدان ، وأوجب الإستيلاء على ما يزيد على ذلك خلال خمس سنوات من صدور القانون[1].

وعلى الرغم من الحماس السياسى البالغ الذى صاحب صدور هذا القانون ، إلا أنه فى الواقع لم يكن حاسماً أو محكماً بدرجة كافية ، فقد شابه العديد من الثغرات ، ووجه

(١) عبد الفتاح عبد النبى : قضايا الريف المصرى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - مجلة اليقظة العربية عدد مايو ١٩٨٦ .

بمشاكل جمة خلال تطبيقه ، مما أتاح الفرصة واسعة أمام بعد الملاك الخاضعين له من التهرب بطريقة أو أخرى من أحكامه الأمر الذى قلل فى النهاية من حجم الأرض الزائدة المقرر الإستيلاء عليها .

فمن ناحية ، سمح القانون لكبار الملاك بالتصرف فى أراضيهم الزائدة بالبيع قطعاً صغيرة ، فسارع كبار الملاك إلى بيع أراضيهم حتى لا تخضع للإستيلاء ، وأتاح القانون لهم فرصة واسعة لإجراء بيع صورى مع إستمرار حيازة الأرض . ومن ناحية أخرى إستفاد كبار الملاك من النص الخاص بإخراج أى مساحات مباعة من الإستيلاء إذا أثبت التحقيق أنها صدرت فعلاً قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أو قبل يناير عام ١٩٤٤م . إذا كان البيع لزوجة المالك أو أولاده وحفدته ، حيث تمكن الملاك أن يصطنعوا الكثير من العقود المزيفة التى مكنتهم من إستبعاد مساحات من أراضيهم من الإستيلاء .

كما سار تنفيذ القانون نفسه بخطى وئيدة نتيجة لكثرة العقبات والمشاكل التى واجهت تطبيقه ، فقد حدث أن إنشغلت قيادة الثورة بعد ذلك فى مواجهة القضية الوطنية ، وتركت اللجنة العليا للإصلاح الزراعى التى شكلت لتنفيذ القانون لتواجه بسلسلة طويلة من العقبات والتحايلات من جانب كبار الملاك أو قلة الإمكانيات المادية والكفاءات البشرية المطلوبة ، فضلاً عن جهاز إدارى تحكمه بيروقراطية عتيقة لم يطرأ عليها أى تغير .

ولمعالجة ظاهرة إنتشار البيوع الصورية التى لجأ إليها كبار الملاك صدر القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٨م ، ليحدد الحد الأقصى لملكية الأسرة الزوج والزوجة والأولاد القصر بمقدار ٣٠٠ فدان ، غير أنه حصر حكمه فى المستقبل فقط ، دون محاولة المساس بالملكيات الموجودة وما يوج بها من زيادات .

ودعماً لسياسة توسيع قاعدة الملكية الزراعية ، وإعادة توزيعها على أساس عادل وسليم ، ولتقريب الفوارق بين أبناء المجتمع الواحد التى أعلن عنها النظام فى تلك الفترة . صدر القرار بقانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١م ليعدل الحد الأقصى للملكية ليصبح مائة فدان للفرد ، والحيازة الزراعية بخمسين فداناً للأسرة وكان أهم ما اشتمله هذا القانون أيضا من تعديلات ، أنه ألغى الإستثناء الخاص بالأراضى البور ، ومنع بيع أى مساحة للأولاد أو لصغار الزراع ، وأعطى القانون الهيئة العامة للإصلاح الزراعى الحق فى الإستيلاء من تاريخ

العمل بهذا القانون على الأرض الزائدة .

وفى عام ١٩٦٢م ، نوه الرئيس عبد الناصر فى الميثاق الوطنى إلى أن النية متجهة فى المستقبل إلى وضع حد أعلى لملكية الأسرة - الأب والأم والأولاد القصر - بما لا يتجاوز مائة فدان حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الأعلى تسمح بنوع من الإقطاع ودعا الأسر التى ينطبق عليها القانون خلال الثمانى سنوات القادمة بالتصرف ببيع الأراضى الزائدة عن هذا الحد إلى الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى أو الغير .

وتداركاً لما أغفله القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١م من وضع حد أعلى لملكية الأسرة وتحقيقاً لما نوه إليه الميثاق ، صدر القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٩م ليصبح الحد الأعلى لما يجوز أن يملكه الفرد خمسين فداناً وبحد أقصى للأسرة مائة فدان . وتستولى الدولة على ما لدى ملاك الأراضى الزراعية وغيرها على ما يزيد على هذا الحد الأعلى .

وجدير بالذكر أن الأرض المستولى عليها وفقاً لهذا القانون لم تبلغ فى جملتها التقدير المتوقع لها . وذلك لسبب بسيط هو أن الملاك أخذوا تحذير الميثاق مأخذ الجد وسعوا إلى التصرف فى المقادير الزائدة على أطيانهم بأساليب مختلفة إكتشفت بعضها لجنة تصفية الإقطاع التى شكلت عام ١٩٦٦م لبحث تصرفات كبار الملاك . حيث بلغت جملة الأراضى التى فرضت اللجنة الحراسة عليها قرابة ٢٠٠ ألف فدان هى بعض الأراضى المهربة من قوانين الإصلاح الزراعى .

وتطبيقاً لهذه القوانين جميعاً ، آلت إلى الدولة ملكية ٩١٨,٦٥٠ ألف فدان حتى عام ١٩٦٨م ، وزع منها ٧٥٥ ألف فدان إنتفعت بها ٣١٧,٤ ألف أسرة وتحولت بقية الأرض أما إلى بساتين تشرف عليها شركات اقتصادية أو حكومية أو أراض خصصت للمبانى والتوسع السكنى والمنافع العامة أو أراضى بور ضعيفة الإنتاج .

ويدور هنا تساؤل حول مدى إسهام هذه القوانين والإجراءات فى معالجة مشكلة تركز الملكية الزراعية القائمة قبل الثورة . بعبارة أخرى ما هى التغيرات التى أحدثتها هذه القوانين على أوضاع الملكية الزراعية وإتجاهاتها فى الريف المصرى ؟

إذا إعتمدنا على المقارنة بين هيكل ملكية الأرض ، الزراعية قبل قانون ١٩٥٢م ، وبين الهيكل المقابل عام ١٩٦٥م ، سنلحظ أنه بعد تنفيذ قانونى الإصلاح الزراعى حدث تغير

جذرى وهام لصالح أصحاب الملكيات الصغيرة .

(٥ أفدنة فأقل) . ولكن نلاحظ أيضاً أن ملكية الأرض خارج نطاق الإصلاح الزراعى . إنتهت إلى إتجاه نحو تمركز الملكية فى نطاق الفئة من ٥ - أقل من ٥٠ فدان حيث يسير التطور فى إتجاه التركز إلى أعلى والتشتت إلى أسفل وساعد على ذلك سياسة الإصلاح الزراعى التى أتاحت الفرصة كاملة للفئات الإجتماعية التوسطة لشراء أراضى كبار الملاك الزائدة وإجراء التصرفات المختلفة ، وتوفيق الأوضاع بينها . كما دعم من هذا الإتجاه المناخ السياسى والإجتماعى الذى ساد المجتمع خصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧م ، حيث أصبح سوق الأرض أكثر إنفتاحاً بعد أن خفت عوامل الضغط على حركته ، وتشير البيانات المستخلصة من دراسة عينات واسعة نسبيا حول توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م إلى تغير كبير فى هيكل الملكية إذا قورنت هذه النتائج مع آخر إحصاء رسمى لهيكل الملكية عام ١٩٦٥م كما فى الجدول التالى :

توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م بالمقارنة بعام ١٩٦٥م[١]

الملكية بالفدان	النسبة المئوية من الملاك		النسبة المئوية من المساحات	
أقل من ٥ أفدنة	١٩٦٥	١٩٧٣	١٩٦٥	١٩٧٣
٥ - أقل من ١٠	٩٤,٥	٨٥,٦	٥٧,١	٢٦,١
١٠ فأكثر	٢,٤	٧,٨	٩,٥	١١,٢
	٣,١	٦,٦	٣٣,٤	٦٢,٧

ويوضح الجدول مدى التغير الذى طرأ على حيازة ملكية الأراضى الزراعية وخصوصاً بعد حرب ١٩٦٧م حيث تتجه الأراضى الزراعية نحو مزيد من التمركز فى الفئات الأعلى . كما تشير الإحصائيات التى جرت عام ١٩٧٧م إلى أن عدد الملاك الكبار الذين يمتلك كل

(١) عبد الفتاح عبد النبى مصدر سابق ص ٩٩ .

منهم خمسين فداناً فأكثر تصل نسبتهم إلى ٠,٣٧٠٪ من إجمالى عدد الملاك . ومساحة ما يمتلكونه ١٤,٥٪ من إجمالى الأراضى الزراعية . وعدد الملاك الذين يمتلك كل منهم عشرين فداناً فأكثر بما فيهم الذين يمتلكون خمسين فداناً فأكثر يبلغ عددهم واحداً فى المائة فقط من إجمالى عدد الملاك وما يمتلكونه يساوى ٢٦٪ من إجمالى الأرض الزراعية .

هذا ويرى د . عبد الفتاح عبد النبى أن تولى عملية إستصلاح الأراضى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثلاث جهات رئيسية هى الشركات المساهمة والأفراد ومصلحة الأملاك الأميرية وكان يتم التصرف فى هذه الأرض عن طريق بيعها للأفراد أو الشركات الخاصة من مزادات علنية لمن لديه القوة المالية على شرائها .

وقد إتجهت الدولة بعد قيام الثورة إلى التوسع فى سياسة إستصلاح الأرض الجديدة ، كحل جذرى للمشاكل الناشئة عن الإختلال فى التوازن بين السكان والأرض .. وتولت وحدها عملية الإستصلاح عن طريق تكوين مؤسسات مستقلة ومتخصصة فى عمليات الإستصلاح فأنشأت مؤسسة إستصلاح الأراضى ، ومؤسسة تنمية وإستغلال الأراضى ومؤسسة تعمير الصحارى ثم الهيئة العامة لتعمير الأراضى .

وفى إطار هذه المؤسسات وضعت الدولة خططاً طموحة إستطاعت من خلالها تحقيق أعلى معدل للإستصلاح وصل عام ١٩٦٥م إلى ١٥٠ ألف فدان ، وظل معدل استصلاح الأراضى فى تزايد مستمر إلى عام ١٩٦٧م حينما بدأ معدل الإستصلاح فى الإنخفاض بسبب توجه معظم نشاط شركات الإستصلاح لخدمة المجهود الحربى ، وتشير البيانات المتاحة أن جملة الأرض المستصلحة فى الفترة من ١٩٥٢م – وحتى عام ١٩٨٠م وصلت إلى ما يقرب من مليون فدان شهدت فترة الستينات وحدها ٨٨٪ من الإجمالى الكلى للأرض المستصلحة طوال هذه الفترة .

هذا وكانت القضية الأساسية الثانية التى عالجتها قوانين الإصلاح الزراعى وسعت الدولة إلى مواجهتها تتصل بإعادة تنظيم العلاقة غير المتكافئة التى كانت قائمة قبل الثورة بين مستأجرى الأرض الزراعية وملاكها ، حيث كان يوجد ما يزيد عن ٧٠٠ ألف مستأجر يقومون بزراعة ما يقرب من ٦٠٪ من رقعة الأراضى الزراعية يتعرضون لمغالاة شديدة من جانب كبار الملاك والوسطاء فى تحديد القيمة الإيجارية للأرض الزراعية ، وما يمثله ذلك من

ظلم وإرهاق بصغار الزراعي وتردى أحوالهم المعيشية ، لذلك صدر القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢م ، متضمناً أحكاماً تسعى لترتيب العلاقة بين المالك والمستأجر ثم صدر بعد ذلك القانونان رقم ١٤٨ لسنة ١٩٦٢م ، ورقم ١ لسنة ١٩٦٣م ، بغية ضبط هذه العلاقة وضمان تنفيذ أحكام قانون الإصلاح الزراعى .

بيد أن الظروف الموضوعية ، والممارسة العملية كشفت عن وجود صعوبات ومشاكل عديدة عاقت تطبيق هذه القوانين على الوجه الأكمل فمن ناحية كان هناك الضغط السكانى المستمر على الأرض الزراعية ، ووجود فائض من القوى البشرية لم تتح لها فرص عمل بديلة أو جديدة ، فى الوقت الذى إتجهت فى المساحة الإجمالية للأرض ، الخاضعة للإيجار إلى الإنخفاض من ٥٩٪ عام ١٩٥٠م إلى ٥١٪ عام ١٩٦١م ، نتيجة لإتجاه الملاك نحو زراعة أراضيهم على الذمة بإستخدام العمل المأجور ، والآلات ، الحديثة لتحقيق الربح ، وتعويض ما فقدوه من ريع بعد تحديد الملكية وحماية أنفسهم فى المستقبل إزاء ما قد تستحدثه قوانين الإصلاح الزراعى من حماية للمستأجر وصعوبة طرده أو إخراجه من الأرض .

يضاف إلى ذلك طروف التحول فى التركيب المحصولى والأخذ بنظام التجميع الزراعى التى أشرنا إليها من قبل ، وقد أفضت هذه الظروف وغيرها إلى زيادة الطلب على إستئجار الأراضى ، وإتسع بالتالى مجال السوق السوداء فى إيجارات الأراضى حيث تراوح السعر السوقى لها ما بين ٤ - ٥ أمثال الإيجار القانونى لها وفى هذا المناخ تعددت حالات التحايل على قانون الإيجار منها على سبيل المثال لا الحصر ، الإيجار الموسمى لزراعة واحدة ، أو أخذ كمبيالات ومستندات ومديونية موقعة على بياض ، وإرغام المستأجرين على توقيع عقود إيجار من صورة واحدة تحفظ لدى المالك ، والإمتناع عن تسليمهم مخالصات إلى غير ذلك من أساليب التحايل التى تفنن فيها الملاك وكشفت عن بعضها لجنة تصفية الإقطاع عام ١٩٦٦م[١] .

وعلى ضوء ذلك ، كان من الضرورى إعادة النظر فى هذه القوانين ، وتعديلها بما يؤدى إلى إحكام ضبط العلاقة الإيجارية وإستقرارها . فمصدر القانون رقم ٥٢ سنة ١٩٦٦م ، متضمناً أحكاماً جديدة مهمة غيرت مسار هذا الخلل .

(١) المصور : عبد الفتاح عبد النبى مصدر سابق ص ٩٢

تلك كانت أبرز إنجازات الثورة الداخلية وفقاً لرؤى متعاطفة معها .

ماذا عن تلك المختلفة معها ؟

ثالثاً : الإنجازات الناصرية : رؤى إسلامية :

كانت الرؤى الإسلامية (والراديكالية منها على وجه الخصوص) موغلة فى نقد عبد الناصر وتجربته فى التنمية ، ولقد إجتهد أصحابها فى البحث عن المعلومات التى تؤكد وجهة نظرهم وإجتهدوا فى توظيف هذه المعلومات بما يخدم رؤيتهم المعادية لعبد الناصر ، وسوف نورد هنا دون تدخل كبير ملخصاً لهذه الرؤية التى نعتقد أنها هامة .

بداية ووفقاً لهذه الرؤية يمكن أن معالجة هذه القضايا من زاويتين : التنمية – التوزيع[١] .

وتدل الملاحظات وفقاً لأصحاب هذه الرؤى على أن العسكريين :

١ – لم يكن معظمهم يمتلك فلسفة إقتصادية لتحقيق العدالة التوزيعية – فضلا عن أن يكون لديهم برامج مفصلة – وفى هذا الصدد يقول خالد محيى الدين لم يكن فى برنامج الضباط الأحرار شيء عن الإصلاح الزراعى[٢] بل ولم تكن فكرة الإصلاح الزراعى محل موافقة جماعية من ضباط القيادة[٣] .

٢ – وإن كان العسكريون قد هدفوا إلى تنمية البلاد (بالمعنى الضيق للتنمية أى زيادة معدل النمو) واعتقدوا أن تصنيع البلاد هو الوسيلة الوحية وفى هطا الإطار بما يلى :

(أ) تجريد أصحاب القوة السياسية فى البلاد من مصدر قوتهم (الإقطاع) وفى هذا الصدد صدر القانون الأول للإصلاح الزراعى[٤] .

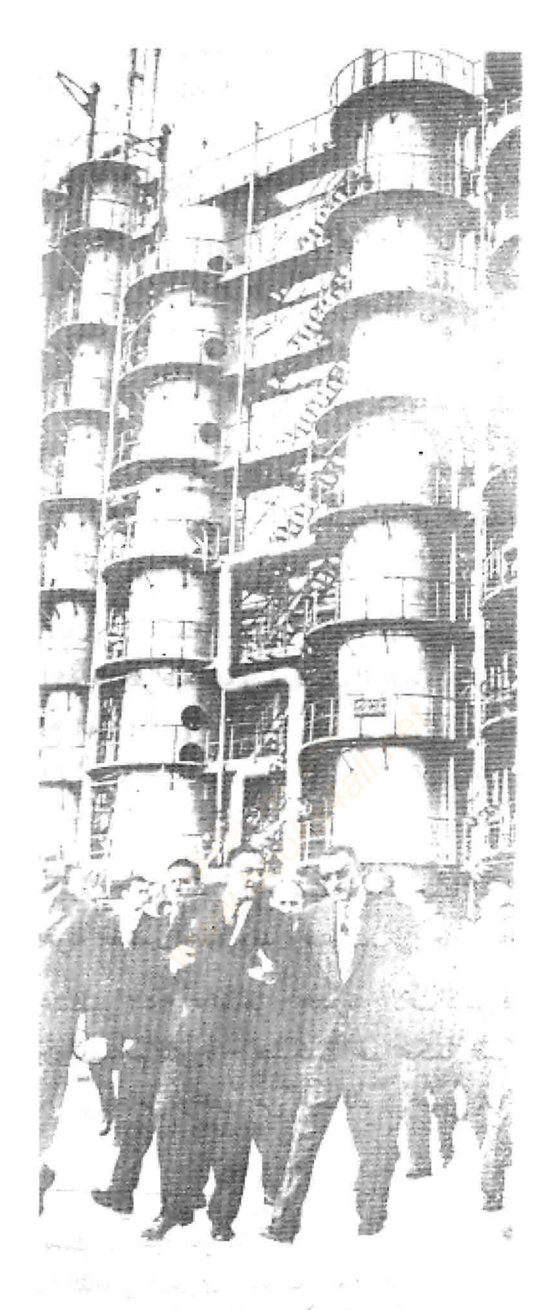
---

(١) هذه الرؤية مأخوذة من بحث أسامة حميد عن مصر فى الحقبة العلمانية – مصدر سابق .

(٢) شهادته لعبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ٣٢٠ .

(٣) حمروش : البحث عن الاشتراكية ص ٣٩

(٤) اتفقت جميع الدراسات على أن هذا القانون لم يهدف إلى تحقيق العدل وفى الحقيقة لقد ذهبت أراضى الإقطاعيين الكبار إلى إقطاعيين صغار وليس إلى الفقراء (والقول لأسامة حميد فى دراسته السابقة) .



فى معكل تكرير البترول فى السويس

(ب) لم تصادر ثروات الإقطاعيين وإنما أريد توجيهها للتصنيع - وفى هذا الإطار عدلت التشريعات الإقتصادية الخاصة بإستثمار رأس المال وإنتهجت سياسة إفتتاح إقتصادى وصدر سيب من القوانين منها القانون ١٢٠ لسنة ١٩٥٢م الذى يعطى رأس المال الأجنبى الحق فى الإسهام بنسبة ٥١٪ فى المشروعات[١] وقانون ١٥٦ لسنة ١٩٥٣م الذى يتضمن كل ما يخطر على البال من تشجيع وإغراء الرأسمالية على المساهمة فى التنمية[٢] وقوانين للإعفاء من العقوبة على جرائم التهريب (القانون ١٨١ لسنة ١٩٥٣م) والسماح بتقاضى عمولات على التعامل مع الحكومة ذاتها (القانون ١٣٨ لسنة ١٩٥٣م) .

ولكن بسبب الإضطراب السياسى الذى يعقب أى ثورة فقد خشى الرأسماليون - واتجهوا بدلاً من ذلك إلى الإستثمار العقارى والمالى .

وكرد فعل ذلك إتجه النظام منذ ١٩٥٦م وجهة جديدة :

— تبنى الإشتراكية الديمقراطية التعاونية (منقولة عن دكتاتور البرتغال سالازار) .

— إنشاء القطاع العام .

— وبدأت عملية تمصير - ولكن ببطء - وشملت تمصير البنوك وشركات التأمين (١٩٥٧م) .

* قلنا - والقول للإسلاميين - أن القضية الإجتماعية لم تكن تستأثر على الإهتمام الأول وفور قيام الإنقلاب كانت هوية القائمين عليه وقد وضحت من خلال عدة وقائع منها :

١ - فى ١٢ ، ١٣ أغسطس ١٩٥٢م تظاهر عشرة آلاف عامل فى كفر الدوار مطالبين بحقوقهم ومعلنين تأييدهم للثورة - فتشكلت لهم محكمة عسكرية ميدانية أصدرت أحكاماً بالإعدام على عامل وخفير من البسطاء (خميس ١٨ سنة وبقرى ١٩,٥

---

(١) لم يكن مسموحاً بذلك فى الفترة الليبرالية .

(٢) صلاح زكى أحمد : القاموس الناصرى : المستقبل العربى ١٩٨٥ ص ١٨٠ - ١٨١ .

سنة)[1] . صدرت أحكام بالسجن على آخرين (منهم فتى عمره ١٨ سنة أما الأطفال الذين كان عمرهم ١٠ ، ١١ سنة فقد قدموا أيضاً للمحاكمة ولكن شاءت إنسانية المحكمة وعدالتها أن تحكم ببراءتهم رغم ثبوت جريمة سرقة بعض أثواب القماش عليهم حسبما جاء فى الحيثيات .

٢ - فى نفس الوقت قام فتى إقطاعى بلطجى (عدلى لملوم)[2] وعصابته بإقتحام مركز للشرطة وإطلاق النار فى تحد لقانون الإصلاح الزراعى فحاكمته نفس المحكمة العسكرية السابقة وأصدرت عليه حكماً بالسجن (وأفرج عنه صحياً بعد ذلك) .

٣ - فى فبراير ١٩٥٣م قامت أسرة الفقى الإقطاعية بمجزرة فى قرية كمشيش أسفرت عن إعدام ١٤ فلاحاً (منهم إمرأتان) ولم يمسسهم سوء .

وقد استمر موقف العسكريين من الفقراء على ما هو عليه حتى مطلع الستينيات - فيذكر حمروش (جـ ٣ طبعة بيروت ص ٧٦) أنه بعد وحدة مصر وسوريا قام بعض المصريين الفقراء ببيع منتجات مصرية على أرصفة دمشق - فقام الأغنياء السوريون بإبلاغ عبد الحكيم عامر الذى قرر ترحيلهم إلى مصر على الفور ووضعوا فى السجن حتى تم ترحيلهم على طائرات حربية .

---

(١) يقول أسامة حميد : من المثيرات شهود الإثبات فى القضية كانوا من تنظيم حدتو الشيوعى الذى طالما تبجح بالدفاع عن حقوق العمال - وفيما بعد حاول أحمد طه (عضو مجلس الشعب الحالى وعضو اللجنة المركزية لحدتو وقتها وعضو المكتب السياسى وعضو السكرتارية المركزية ومسئول عن النقابات) حاول تبرير ذلك بقوله : « كان لدينا وعد من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعدم إعدامهم فلما أعدموا أضعف هذا من موقفنا » عبد الناصر وأزمة مارس ص ٣٠٢ » وقد وصف هذا بيان شيوعى العمال المطالبين بحقوقهم « يجب أن يؤخذ هؤلاء المجرمون بكل شدة » .
انظر مثالاً على تزييف حمروش لهذا الموقف وتهربه من تحديد موقف حدتو (ص ٢٨٨) .

(٢) أسرة لملوم أصلاً من قبيلة ليبية كانت تغير على الدلتا وكان جد عدلى أحد هؤلاء البلطجية (تصالحت معه الحكومة وأعطته ألف فدان .

ويتجلى نفس موقف العسكريين فى مواجهتهم لكل النقابات[1] .

لم يكن العسكريون يؤمنون بصراع الطبقات والقول لأصحاب الرؤية الإسلامية ، وفى ذلك يقول عبد الناصر (١٩٥٤/٧/٢٣م) « إن حكومة الثورة هى حكومة كل طبقات الأمة حكومة العمال والفلاحين والمسئولين والطلبة ورجال الأعمال الفقراء والضعفاء والأغنياء والأقوياء - إنها حكومة تنظر إلى مصر على إنها أسرة واحدة » ! .

ولذلك سعى العسكريون لتشكيل تنظيم سياسى يضم كل الطبقات فكان الإتحاد القومى (١٩٥٧م) ، (منقول بدوره عن دكتاتور البرتغال سالازار) ولكن فى الحقيقة بقى الإقطاع مسيطراً على هذا التنظيم[2] .

ونظراً للقدرة الفائقة للرأسمالية على تكييف نفسها مع أية أوضاع مستجدة - فقد تفاقم خطرها فى عهد عبد الناصر الذى قال (أنا كان عندى ١٠ - ١٢ مليونيراً أصبحوا حوالى ٣٠٠ - ٤٠٠)[3] (١٩٦١م) . ولذلك أعاد عبد الناصر تقييم الموقف الذى كان يهدد بإعادة سيطرة الرأسماليين على الحكم - وطوال عام ١٩٦١م كان عبد الناصر يمهد لضرب الرأسماليين الجدد :

« لقد وقعنا ضحية وهم خطير وهو تصور إمكانية المصالحة مع الرجعيين على أسس وطنية » .

- « على أى شيء كانت تدل تجربتنا - هل إستطعنا أن نقيم عدالة إجتماعية - هل إستطعنا

---

(١) راجع : مصطفى كامل السيد : المجتمع والسياسة فى مصر (١٩٥٢ - ١٩٨١) المستقبل العربى ١٩٨٣ - وقد لخص الكاتب علاقة نظام يوليو بالنقابات بأنها مرت بعدة مراحل :
٥٢ - ١٩٥٤ المواجهة مع النقابات .
٥٤ - ١٩٥٨ وقف الانتخابات فى عدد من النقابات .
٦١ - ١٩٦٥ البحث عن الأسلوب الأمثل لتوافق النقابات مع السياسة الجماعية الحاكمة .
٦٦ - ١٩٦٧ استطاع التنظيم الطليعى الدخول إلى قيادة النقابات .

(٢) راجع شهادة فريد عبد الكريم بجريدة الأهالى عدد ١٩٨٦/٣/١٩ .

(٣) حمروش جـ٥ ص ٨٤ .

أن نقضى على الإستغلال السياسى والإستغلال الإقتصادى والإستغلال الإجتماعى - أبداً لم نستطع » .

- قلنا نقضى على الإقطاع - هل قضينا على الإقطاع - الأسرة التى بقى لها ٢٠٠ فدان و ٥٠ فدان لكل ولد من أولادهم كتلوا هذه الأرض وأنا أعرف مناطق فيها ٣٠٠ فدان ملكية لعائلة واحدة ولا زالوا يعتبرون أنفسهم أسياد البلد كما كانوا قبل الثورة ولا زالوا ينظرون إلى الفلاحين كعبيد - هل نقبل هذا فى عهد الثورة .

- الأساس الذى بنى عليه الإتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم شىء ضد العقل وضد الطبيعة - وإحنا كنا طيبين جداً وعايزين نلم الإقطاعى اللى أخذنا منه ألف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمسة أفدنة - وكنا بنعتبر أنه حينسى ويقول إن إحنا نمشى فى المجتمع الجديد .

(حمروش جـ ٥ ص ٨٧) .

وكان عبد الناصر بذلك يمهد لمرحلة جديدة فى حقبة يوليو وفقاً لرؤية الإسلاميين .

وبسبب فشل الوحدة مع سوريا - وفقا لرؤية الإسلاميين - ظهرت الحاجة إلى :

١ - تصفية الرأسمالية التى إستفحلت فى عهد عبد الناصر - وكانت السبب المباشر فى إحباط تجربة الوحدة .

٢ - ضرورة وجود عقيدة للدولة ووضع حد لمبدأ التجربة والخطأ - خاصة وقد إنقسمت حركة القومية العربية الآن إلى جناحين : ناصرى وبعثى وكان الجناح الأخير يمتلك نظريات متكاملة وكان ينتقد الناصرية فى إفتقادها إلى عقيدة .

وعن الإشتراك فى عهد عبد الناصر يرى الإسلاميين كان إحساس عبد الناصر بتفاقم وإستفحال الرأسمالية هو أحد أسباب إتخاذه لسلسلة القرارات التى سميت قوانين يوليو الإشتراكية (١٩٦١م) وبعد شهر واحد من صدورها كان الرأسماليون السوريون قد أحبطوا

الوحدة (وليثبت من جديد المبدأ القائل بأن القومية كانت طوال التاريخ حركة فى خدمة المترفين)[1] - وبعد أن تم الإنفصال إزداد هامش المناورة أمام عبد الناصر لتحقيق المزيد من الإصلاحات الداخلية فقام عام ١٩٦٣م بتأميم ٢٩٣ شركة كما صدرت قوانين أخرى للإصلاح الزراعى .

هناك إنطباع ولدته الدعاية الناصرية مفاده أن فترة ٦١ / ٦٧ شهدت تحقيق العدالة الإجتماعية الحقيقية - وقد تولد هذا الإنطباع لدى بعض الناس من إستعراض الكم الضخم من القرارات والإجراءات التى إتخذت ولكيلا نأخذ القارىء فى دوامة هذه القرارات سنلخص حصيلتها فى عدة حقائق :

١ - لم يستفد الفقراء الحقيقيون من العهد الناصرى فى قليل أو كثير (راجع الأشكال البيانية رقم ١ ، ٢)- وعندما مات عبد الناصر كان فى مصر ٣ ملايين معدم[2] .

وفى الحقيقة فإن جميع ما وزع من أرض بمقتضى قوانين الإصلاح الزراعى بين عام ١٩٥٣م ، ١٩٧٠م لم يزد على ٨٠٠ ألف فدان (أى ١٣٪ من مساحة الأراضى الزراعية بمصر) وزعت بمعدل عدة قراريط لكل أسرة ولم يستولى قانون الإصلاح الزراعى الأخير (١٩٦٩م) إلا على ٣٥,٠٠٠ فدان (أى مساحة قرية مصرية كبيرة) .

وقد أثبت هذه الحقائق بالتفصيل كل من محمود عبد الفضيل[3] وإبراهيم العيسوى[4] وأحمد حمد الله السمان[5] وعادل الجبار[6]

(١) بالنسبة لأوربا - فقد كانت قبل عصر القوميات مقسمة إلى إقطاعيات صغيرة وكانت تنقل المال بينها صعبا - فعمل الرأسماليون على توحيدها لتوسيع الأسواق أمامهم - وهكذا توافقوا مع دعوة بعض المفكرين للقومية (أسامة حميد) .

(٢) حمروش . البحث عن الاشتراكية . ط . الموقف العربى ص ٢٤٦ .

(٣) فى كتابه الهام : التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف المصرى ٥٢/١٩٧٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .

(٤) فى دراسته : تطور توزيع الدخل وأحوال الفقراء فى مصر - مجلة مصر المعاصرة عدد أبريل ١٩٨٠ .

(٥) توزيع الدخل القومى فى مصر (٥٢/١٩٨٠) دكتوراه فى الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

(٦) سياسات توزيع الدخل فى مصر - مركز الدراسات بالأهرام (العدد ٥٥) .

ولقد فشلت جميع البرامج – وفقاً للرؤية الإسلامسة – للقضاء على نفوذ مقاولى الأنفار الذين كانوا يشغلون عمال التراحيل فى ظروف بالغة البؤس – وفى السد العالى (الذى بلغت مكعبات الردم فيه ١٧ ضعف حجم الهرم الأكبر) .

وقد دفعت آلاف من العمال فى مواقع العمل فى ظروف بالغة السخرة لا تعرف الرحمة .

يقول عادل الجيار (م . س . ذ . ص ٢٩) ، بعد إستعراض مفصل للإحصائيات : « إن النتيجة التى ، يمكن التوصل إليها هى أن عمال الزراعة وخاصة عمال التراحيل – أفقر فقراء الريف – هم أقل الفئات التى إستفادت من قوانين الإصلاح الزراعى ومن السياسات الإقتصادية فى الريف المصرى وأن أوضاعهم التى لم يطرأ عليها تغيير ما خلال الخمسينات وحققت طفرة تحسن فى أوائل الستينات وفى السبعينات » .

٢ – أما صغار الملاك فلم يتغير وضعهم كثيراً – فحسب محمود عبد الفضيل : فى ١٩٥٢م كان ٩٤,٣٪ من الملاك يملكون ٢,١ مليون فدان . وفى ١٩٦٥م كان ٩٤,٥٪ من الملاك يملكون ٢,٧ مليون فدان . أى أن هذه الفئة لم يزدد نصيبها إلا بمقدار عشر الأراضى الزراعية فى مصر .

٣ – إن النظام الناصرى نظام طبقى :

أ – فهو يكرس الفوارق بين الريف والحضر[1] وهى نفس أساليب الإستعمار فى إيجاد طبقة مستفيدة من أوضاع التبعية – ويلاحظ أن التفاوت بين الريف والحضر كان أشد ما يكون فى ذروة الإشتراكية (١٩٦٥م) .

ب – وحتى داخل الحضر كان هناك تفاوت توزيعى ضخم – بل إن مستوى هذا التفاوت قد إزداد فى ذروة ، الإشتراكية .

ففى ١٩٥٨م / ١٩٥٩م كان أفقر ١٠٪ من الأسر الحضرية تحصل على ٢,٢٪ من دخل الحضر ومن المثير أنه فى ظل الإشتراكية (٦٤ / ١٩٦٥م) إنخفضت هذه النسبة إلى ٢,١٪ .

---

(١) أظهرت نتائج تعدد ١٩٧٦ أن ٥,٥٪ فقط من مساكن الريف متصلة بمصدر لمياه الشرب النقية وأن ٥٨,٢٪ من المساكن تحصل على مياهها من مصادر خارجية وأن ٣, ٣٦٪ من المساكن لا تتوفر لها مياه نقية من الأصل – أيضاً أظهر التعداد أن ٨١,٤٪ من الأسر الريفية لا تتوفر لها مصادر الكهرباء (السمان ص ٢٤٨ ، ٢٥٠) .

وبينما كانت أغنى ٥٪ من الأسر فى الحضر تحصل على ٢٠,٨٪ من الدخل سنة ٥٨ / ١٩٥٩م . فإن نصيبها قد إزداد إلى ٢٢,٨٪ فى سنة ٦٤ / ١٩٦٥م ، (أحمد السمان م . س . ذ - ص ١٦٢ - ١٦٣) .

وهكذا توصل السمان (ص ١٦٣) إلى أن السياسات التى أدت إلى إستئصال أغلب الرأسماليين المصريين قد تسببت هى نفسها وغيرها من السياسات فى وجود مجموعة أخرى من ذوى الدخول المرتفعة بحيث أن حجم المجموعة الجديدة يعادل تقريباً حجم الطبقة التى كانت موجودة فى الخمسينات وهى نفس النتيجة التى توصل إليها أحد المعجبين بالناصرية[(١)] .

قبل ١٩٦١م سيطرت الطبقة الوسطى سياسياً ثم عقائدياً وبعد ١٩٦١م سيطرت إقتصادياً - لكنها كانت هيمنة قصيرة الأجل فسرعان ما تحولت شرائحها العليا إلى بورجوازية من نوع جديد وبدأ التباعد بينها وبين عبد الناصر وهذه الفترة إذن تتميز بشدة التناقض بين عنفوان النظام وظهور إرهاصات مرضه .

ويتجلى اتجاه عبد الناصر للطبقة المترفة فى قضية كمشيش (١٩٦٦م)[(٢)] .

٤ - أجمعت كل الدراسات على أن الإنجازات البسيطة التى تحققت عادت وإنتكست منذ ١٩٦٥م بسبب إستنفاد الآثار التوزيعية لقوانين الإصلاح الزراعى وترتب على ذلك وعلى الفوارق الموجودة أصلا بين الريف والحضر إن أصبح الريف طارداً للسكان وإزادادت نسبة

---

(١) انظر عرضا لرسالة فايز بكتاش : الناصرية أيديولوجية سياسية - دكتوراه من السوربون (١٩٧٧) ، فى مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٨٤ ص ١٦٦ - ١٦٩ .

(٢) يقول أسامة حميد : فى ١٩٦٦/٥/٤ قتل عضو الاتحاد الاشتراكى بكمشيش (صلاح حسين) على يد أحد أفراد عائلة الفقى الإقطاعية - كان صلاح حسين عضوا فى الإخوان واعتقل سنة ١٩٥٤ بهذه التهمة - ولكنه أيد الثورة على أمل تحقيق العدالة حيث كانت التناقضات فى كمشيش صارحة (مجزرة ١٩٥٣ - السابق ذكرها) وعندما زار عبد الناصر المنوفية وجد شعارات « ثورة كمشيش تحيى الثورة الأم » فاستنكر ذلك أمام السادات (وهو منوفى) فاعتبر السادات ذلك ضوءاً أخضر للتصفية الجسدية لصلاح حسين - وبعد عملية إخراج مسرحى حكمت المحكمة ببراءة القاتل وأن القضية ليست سياسية وإنما قضية ثأر .

سكان الحضر من ٣٤٪ من عدد السكان سنة ١٩٥٢م إلى ٤٢٪ سنة ١٩٧٠م دون أن تتوفر للمهاجرين فرص عمل حقيقية أو يوضع تخطيط لإستيعابهم[١] - مما دعا وزير الداخلية زكريا محيى الدين إلى إخراجهم من القاهرة بالقوة .

٥ - لقد بدأنا هذا الفصل بإفتراض أن عبد الناصر قد أراد تجميد القضية الوطنية لكى يتفرغ لتحقيق العدالة وفى الحقيقة - إن المتابعة التفصيلية لقضية التوزيع فى تلك الفترة ستظهر حقائق مذهلة - وستتهاوى بالتالى مقولتنا الأولى - ولكن يبقى أن نفسر لماذا لم تتحقق العدالة رغم الشواهد الكثيرة التى تدل على أن عبد الناصر كان يريد فعلا تحقيقها مثلا (إصراره على أن تختفى مهنة الخدم من مصر) .

إن السيطرة الإقتصادية لفئة من الناس تعنى سيطرتها السياسية - ولو حدث أن الجماهير سيطرت فعلا على مقدراتها الإقتصادية فستتحول الدولة إلى نظام حكم جماهيرى حقيقى - وهذا سيهدد مكانة عبد الناصر كوثن - وطالما أن الفقراء الحقيقيين غير قادرين على تنظيم أنفسهم بسبب تدنى مستواهم التعليمى فلم يكن عبد الناصر بحاجة إلى تأييدهم - وهكذا إكتفى برشوة أهل المدن وتوسيع جهاز بيروقراطى ضخم (أجمعت كل الدراسات على أنه كان يمكن الإستغناء عن أكثر من نصفه) - لكى يتحول هذا الجهاز إلى أداة تأييد للحكم (كانت معظم المعونات الأمريكية الغذائية فى الستينات تذهب للموظفين فى هذا الجهاز) .

إن فشل النظام الناصرى فى حل المشكلة الإقتصادية لم يقتصر فقط على التوزيع - بل تعدى ذلك إلى فشل فى التنمية - فبسبب تسلط مجموعة من الإنتهازيين (أهل الثقة) على القطاع العام فقد بدأ الفساد يدب فى أوصاله من أول يوم - وقد فشلت محاولات تحقيق الإكتفاء الذاتى فى محصول إستراتيجى كالقمح - لقد فشلت الإشتراكية حتى فى تأمين رغيف الخبز - ففى ١٩٦٥م قال عبد الناصر : « إننا منذ ١٩٥٩م حتى الآن أخذنا المليون دولار ، مساعدات من أمريكا بل أن كل رغيفين فى البلد منهما رغيف مأخوذ كمساعدة من

---

(١) راجع : بيلى إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الاقتصادى لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينيات - دكتوراه فى الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٢ وقد خلص الباحث إلى (ص ٢٢٦) : « لم يكن القضاء على مشكلة البطالة هدفاً من الأهداف الانمائية المراد تحقيقها بجدية فى يوم من الأيام » .

أمريكا » (حمروش - البحث عن الإشتراكية ص ١٤٣) .

ويذهب الإسلاميون إلى أن التحول الإشتراكى كان يقتضى تشكيل تنظيم سياسى جديد بدلاً من تنظيم الإتحاد القومى الذى حل - وهكذا أنشىء الإتحاد الإشتراكى العربى الذى فتح الباب لعضويته فى أول يناير ١٩٦٣م فدخله خمسة ملايين فى ٢٠ يوماً ولكن صدر قرار بإستبعاد الإخوان والشيوعيين فلم يبق فيه سوى ، الإنتهازيين - وفى ذلك يقول جمال سليم[١] : « كان أفراد الإتحاد الإشتراكى كالموظفين فى وزارة ما تنتمى إلى سلطة هلامية شائعة بين عدد من الأفراد لكل منهم رأيه وفكره وكان هذا هو المقتل الوحيد لثورة ٢٣ يوليو - على حد تعبيره - فالسلطة لا يمكن أن تشعل ثورة ولا تستطيع أن تبنى حزباً - وذلك أن السلطة عندما تتحدث لتقتنع لا تستعمل سلاح للإقناع إنما سلاح الإرهاب - ومن هنا كان الإتحاد الإشتراكى يضم الخائفين والموظفين والإنتهازيين والمنافقين ولا يمكن أن تقوم ثورة بهذه التشكيلة العجيبة .

وفى دراسة على ١٣١ وزيراً الذين تولوا فى عهد عبد الناصر كان وزيران فقط يشغلان مناصب بالتنظيم السياسى مما يدل على فشل التنظيم فى إخراج زعامات[٢]

ويرى الإسلاميون أنه وحيثما كان دفع الإشتراكات للإتحاد الإشتراكى إختيارياً فلم يسدد إشتراكات العضوية سوى ٢ - ٣٪ من عدد الأعضاء .

لذلك وصف عبد الناصر تنظيم الإتحاد الإشتراكى سنة ١٩٦٤م بأنه حتى الآن تنظيم على الورق وهذا لأننا حتى الآن لم ننظم العناصر الإشتراكية وكان هذا أحد أسباب إنشاء التنظيم الطليعى .

تلك بتفصيل وأمانة رؤية الإسلاميين عن إنجازات عبد الناصر وهى رؤية يعيبها عدم رؤية أى إيجابية على صعيد الداخل المصرى ويعيبها توظيف المعلومة فى سياق مختلف عما وردت

---

(١) التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر - مدبولى ١٩٨٢ - ص ٨ - كان جمال سليم متفرغاً سياسياً بالاتحاد الاشتراكى ومديراً لتحرير صحيفة الحزب وشارك فى التنظيمات السرية والعلنية على حد تعبيره .

(٢) عاطف العراق - الزعامة السياسية فى مصر - دار المعارف ١٩٨٠ ص ١٦٢ .

فيه ، ويعيبها إجتزاء بعض المعلومات من سياقها الحقيقى ، وعدم إيراد النص كاملاً ، مما يشوه الفكرة المستقاة من المعلومة وغيرها من العيوب والتى تؤكدها أكثر الحقائق الرقمية التالية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤية موضوعية :

بعيداً عن التعاطف ، أو العداء ، وهو ما نحبذه وما نقيم عليه هذه الدراسة الموسعة للحقبة الناصرية فإننا سوف نورد هنا حقائق وأرقام نتركها تتحدث عن نفسها ، وهى حقائق رصدتها أجهزة علمية محايدة[1] ، وسوف نقصر الحقائق على فرعية واحدة من فرعيات الإنجازات الناصرية ، وهى مجال الإسكان والتشييد بإعتباره من أخطر وأهم جوانب التنمية ... فماذا تقول الأرقام والحقائق .

الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٦١م :

عوامل مؤثرة على هذه الفترة :

١ - الظروف العسكرية :

ما كادت الحرب العالمية الثانية تخف أثارها وتبدأ عودة الأمور لطبيعتها حتى واجهت مصر عام ١٩٤٨م المشكلة الفلسطينية وما ترتب على ذلك من أعباء سياسية وإقتصادية حولت إنتباه الدولة عن التركيز على مشكلة الإسكان فيما قبل قيام الثورة عام ١٩٥٢م .

٢ - تشريعات الإسكان :

فى عام ١٩٤١م صدرت أوامر عسكرية (١٥١ لسنة ٤١) بتجميد الإيجارات وقد

---

(١) مصدرنا فى هذه الجزئية ما يلى :
ـ وزارة الإسكان والمرافق : تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد - أغسطس ١٩٦٨ .
ـ المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى (١٩٥٢ - ١٩٨٠) المركز القومى للبحوث الاجتماعية - مجلد السكان .
ـ الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء الملامح السكانية والإسكانية لجمهور مصر العربية .
ـ مهندس : حسين السرجانى : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها - الإسكندرية ١٩٩٢ .

إستقرت هذه الأوامر بالقانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م كما صدر القانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بتخفيض إيجارات المساكن التى إنشئت فى ١٩٤٤/١/١م حتى ١٩٥٢/٩/١٨م بنسبة ١٥٪ من قيمتها الإيجارية .

وفى نهاية الخمسينات صدر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بتخفيض إيجارات المساكن التى أنشئت فى ١٩٥٢/٥/١٨م حتى ١٩٥٨/٦/١٢م بنسبة ٢٠٪ . ولا شك أن بعضاً من التشريعات لم يكفل توازناً بين صالح المالك وصالح المستأجر .

٣ - سياسة الدولة :

من الأهداف السياسية لثورة ١٩٥٢م توفير العدالة الإجتماعية والعناية بمحدودى الدخل وفى هذا السبيل :

أ - صدر قانون الإصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢م بتقييد الملكية - وقد ساعد ذلك بطريق غير مباشر على تحول الإستثمار على تملك الأرض الزراعية إلى مجال النشاط العقارى .

ب - أسست الحكومة شركة التعمير والمساكن الشعبية عام ١٩٥٤م ومن أغراضها إقامة الوحدات السكنية لمحدودى الدخل .

جـ - التحول الإقتصادى والإتجاه إلى المشروعات الإنتاجية والصناعية وخاصة بعد عام ١٩٥٦م .

نشاط الحكومة والقطاع الخاص فى هذه الفترة :

١ - نشاط الحكومة :

أشرنا إلى أن الحكومة سنة ١٩٥٤م أسست شركة التعمير والمساكن الشعبية وقد قامت الشركة فى هذه الفترة بتنفيذ العديد من المشروعات نورد منها فى مجال الإسكان لمحدودى الدخل ما يأتى :

عدد ٢٠٧٨ مسكن بأمبابة .

عدد ١٤٠٦ مسكن بحلمية الزيتون .

عدد ٥٨٩ مسكن بحلوان .

كما قامت الحكومة عام ١٩٥٦م بعد الإعتداء الثلاثى على مصر بإعادة تعمير المناطق التى تأثرت بالعدوان على بور سعيد وإزالة الأحياء المتهالكة - وقد تم خلال ما يقرب من ستة أشهر تخطيط هذه المناطق وإنشىء بها ٤٥٤٩ مسكناً ولا ننسى هنا ما قامت به شركات المقاولات من جهد كبير فى إنجاز هذه المساكن إلى جانب كفاءة الإدارة فى توفير الإحتياجات من الموارد والمهمات وتشغيل العمالة .

٢ - نشاط القطاع الخاص :

أما بالنسبة لنشاط القطاع الخاص فلم يكن فى مجال الإسكان الشعبى ولكن كان إهتمامه الأكبر بالإسكان المتوسط والفاخر - إلا أن رغبة الملاك فى البناء كانت فى تذبذب بين الإقبال والإحجام نتيجة لما صدر من قوانين لتخفيض الإيجارات وللرهبة من صدور قانون للمبانى يماثل قانون الإصلاح الزراعى - ولكن يمكننا أن نذكر بصفة عامة أن القيمة الإيجارية للمسكن خضعت فى الفترة من سنة ١٩٥٢م حتى ١٩٦١/١١/٥م للعرض والطلب وتقديرات المالك مع الأخذ فى الإعتبار التخفيضات التى قررتها الدولة فى التشريعات .

لذا فرغم عدم الإستقرار ودون تخطيط لنشاط الإسكان فى هذه المرحلة فقد كان الإنتاج الكلى للوحدات السكنية عالياً نسبياً إذ يقدر بحوالى خمسين ألف وحدة سكنية سنوياً فى الأعوام من ١٩٥٢م حتى ١٩٦٠م .

حجم الإسكان بالنسبة للإحتياجات :

تشير البيانات المتاحة إلى أن هذه الفترة تميزت بعدم وجود مشكلة إسكان فى مصر إذ يستفاد من تقارير الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ما يلى :

١ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٥٢م .. ٢١,٥ مليون نسمة .
٢ - إجمالى عدد الوحدات السكنية عام ١٩٥٢م .. ٤,٥ مليون وحدة .
٣ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٦١م .. ٢٦,٦ مليون نسمة .
٤ - إجمال عدد الوحدات السكنية عام ١٩٦١م .. ٥,٥ مليون وحدة .

وهذا يوضح أن متوسط عدد شاغلى الوحدة السكنية هو (٥) تقريباً ويكاد يكون هذا المعدل ثابتاً خلال هذه الفترة .

شركات المقاولات تكوينها - إدارتها - طاقتها التنفيذية :

كانت شركات المقاولات بصفة عامة خلال هذه الفترة منشآت خاصة يمتلكها ويديرها أصحابها وكانت تتخذ شكل المشروعات الفردية أو شركات الأشخاص ، وقليل منها إتخذ شكل شركات الأموال - وبقيام الثورة عام ١٩٥٢م بدأ الأجانب من أصحاب هذه الشركات أو من العاملين بها تصفية نشاطهم فى مصر - وإعتمد نشاط المقاولات على العديد من الشركات المصرية أو المختلطة ومن أبرزها :

شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح / شركة إيجيكو : شركة رولان / الشركة المساهمة المصرية (العبد) / شركة حسن علام / شركة مختار إبراهيم / الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية (عثمان أحمد عثمان) / شركة المشروعات الهندسية والصناعية .

وكانت إدارة العمل بهذه الشركات تعتمد على المدير الفردى حتى بالنسبة لشركات الأموال التى كان يملك معظم أسهمها مجموعة من الأفراد القلائل .

وبتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م غادر مصر الكثيرون من الأجانب ممن كانوا يعملون بهذه الشركات مما فتح المجال لزيادة نشاط المقاولين المصريين مع زيادة حجم الأعمال التى أتاحتها مشروعات الثورة فى مجال التشييد كمشروعات الإسكان والمبانى العامة والصرف الصحى والمياه والرصف والرى إلى جانب مشروعات الصناعة فى مجال الغزل والنسيج ومواد البناء والصناعات المعدنية والغذائية .... الخ .

ويمكن تقدير طاقة أجهزة المقاولات فى مصر فى نهاية هذه الفترة بحوالى مائة مليون جنيه سنوياً هذا بالإضافة إلى نشاط قطاع المقاولات المصرى بالبلاد العربية .

وكان رأس مال أى من شركات المقاولات الكبرى حينئذ حوالى مبلغ مائة ألف جنيه أما الطاقة التنفيذية للشركات الكبرى فكانت فى حدود أعمال قيمتها مليون جنيه سنوياً فى المتوسط .

ونظراً لأنه لم تكن لهذه الشركات هياكل تنظيمية وكوادر فنية تسمح لتطوير نظم الإدارة فقد كان ذلك سببا فى الحد من تطور حجم أعمالها .

أما إسناد الأعمال لشركات المقاولات فى تلك الفترة فكان غالباً من خلال المناقصات العامة أو المحدودة ولهذا كان عامل المنافسة حافزاً لإنضباط الأداء ورفع الكفاية الإنتاجية وجودة الإنتاج حتى يمكن كسب ثقة العملاء من خلال التنافس على أفضل الأداء .

وقد بدأت بعض شركات المقاولات تدعيم كيانها بإنشاء ورش للأعمال التكميلية مثل : نجارة الباب والشباك والبلاط والرخام والمشغولات المعدنية .

وساعد على حسن أداء الشركات فى هذه الفترة وإنضباط مواعيدها توفر عناصر الإنتاج من مواد وعمالة ومعدات وخدمات .

ومنذ عام ١٩٦٠م أخذت الدولة بنظام التخطيط للتنمية .

وبدا واضحاً أن استثمارات التشييد تصل إلى حوالى نصف الاستثمارات الإجمالية مما دعا إلى التفكير فى كسر إحتكار مجموعة المقاولين بعد أن تزيد حجم الأعمال فى مجال التشييد وهكذا تناولت قوانين يوليو الإشتراكية عام ١٩٦١م بعض شركات المقاولات بالتأميم كما سيأتى ذكره فيما بعد .

مقاولو الباطن والعمالة الحرفية والأجور :

تعتمد شركات المقاولات فى المشروعات المسندة إليها على مقاولين يتعاملون معها من الباطن لتنفيذ أعمال الحفر والخرسانة والمبانى والتجارة والبياض .. الخ كل فى حدود إختصاصه وغالباً ما توفر الشركة لمقاول الباطن المواد والمهمات ووسائل الإقامة فى المناطق النائية وعلى مقاول الباطن تجهيز العمالة اللازمة لتنفيذ الأعمال تحت إدارته وإشراف الشركة .

ويصعب أثناء الخمسينات الوصول إلى حصر لشركات المقاولات أو مقاولى الباطن إلا أنه حسب إحصائيات السكان عام ١٩٤٧م يبلغ عدد العمال الحرفيين فى مجال التشييد ١١٣,٣٦١ ألف عامل (عن كتاب العوامل المؤثرة فى نمو السكان د . أحمد أمين مختار) .

وكان للحرفة والمهارات الفردية شأنها فى تلك الفترة كما كان توفر العمالة معتمداً على التوريث والتلمذة الحرفية فى ظل كادر حرفى يحتوى المعلم والأسطى والمساعد والصبى .

لذا لم يكن من المستغرب أن يكون من بين أصحاب شركات المقاولات من برز من الحرفيين بكفاءته وشخصيته وخلقه .

كذلك إختصت بعض المدن والمناطق بتوفير نوعيات من العمالة :

فعمال بناء الطوب من زفتي وميت غمر والشوبك بالجيزة .

وعمال بناء الأحجار من درنكة بأسيوط وطره .
وعمال الخرسانة من قرى أسيوط وسوهاج وقنا .
وعمال البياض المتميز من الأسكندرية والقاهرة .

أما الأعمال التكميلية الخاصة بالنجارة والمشغولات المعدنية والبلاط والقيشانى فأغلب عمالها من سكان الحضر .

وبالنسبة لأجور الحرفيين فى تلك الفترة فأنه لتوفير العمالة وتوازنها مع العرض والطلب لم يطرأ على الأجور زيادة تذكر وكان حكمها حكم تكاليف المعيشة التى كانت مستقرة إلى حد مقبول .

جدول رقم (١)
مقارنة بين متوسط الأجور اليومية بالجنية
للعمال العاديين والحرفيين فى مجال التشييد

المهنة	عام ٢٩٥٢م	عام١٩٦١م
عامل عادى	-,١٥٠	-,٢٥٠
عامل قروان	-,٣٠٠	-,٥٠٠
نجار مسلح	-,٥٠٠	-,٨٠٠
حداد مسلح	-,٤٠٠	-,٧٠٠
بناء/ مبيض/ مبلط	-,٤٥٠	-,٧٥٠
سبـــــــاك	-,٥٠٠	-,٨٠٠
كهربائـــــــى	-,٤٠٠	-,٦٠٠

مـــــواد البنـــــاء :

توفرت مواد البناء أثناء هذه الفترة وكانت أسعار المستورد منها والمحلى متناسبة مع مستوى المعيشة وعلى سبيل المثال كان الإنتاج المحلى من الأسمنت زائداً عن حاجة التشييد وبدأ تصدير الأسمنت عام ١٩٥٢م بكمية قدرهة ٤٠٠٠ طن واستمر التصدير فى الزيادة حتى بلغ ٦٥٠ ألف طن عام ١٩٦٠م / ١٩٦١م وبلغ ٥٤٨ ألف طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م أى ما يزيد عن ٢٥٪ من الإنتاج المحلى الذى بلغ ٢٠,٠٩٣ مليون طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م ويبين الجدول التالى بيانا بكميات الأنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت (بالألف طن) كذا بيان الأسعار بالجنية .

جدول رقم (٢)

كميات الإنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت

السنة	الإنتاج المحلى	الكميات المصدرة	الإستهلاك المحلى	الاسعار للطن	بالجنية
١٩٥٢	٨٣٨	٤	٨٣٤		
١٩٥٣	٩٦٨	١٤٣	٨٢٥	أسمنت عادى	٤,٦٤٠
١٩٥٤	١١١٧	١٥٤	٩٦٣	أسمنت سريع	٥,٦٤٠
١٩٥٥	١٢٤٩	٥٥	١١٩٤	سى ووتر	٦,١٩٠
١٩٥٦	١٢٢١	١٣	١٢٠٨	لوهيت	٥,١٤٠
١٩٥٧	١٣٣٩	٢٢٨	١١١١		
١٩٥٨	١٥٢٤	٢١٩	١٢٦٣	الأسعار تسليم مصانع القاهرة داخل	
١٩٥٩	١٧٥٤	٤٩١	١٢٦٣	أكياس ورق ٣ طيات يضاف	
٦١/٦٠	٢٠٦٩	٦٥٠	١٤١٩	٥٦٠,– للطن لجميع الأنواع	
٦٢/٦١	٢٠٩٣	٥٤٨	١٥٤٥	للتسليم فى مصنع المكس حتى	
				١٩٧٩/١/١م ومن عام ١٩٤٦م	
				أضيف رسم الإنتاج بواقع ٧٧٠,	
				مليم للطن وتزايد حتى بلغ ١,٥٠٠	
				فى عام ١٩٥٨م .	

ونشير فيما يلى إلى بعض أسعار مواد البناء عام ١٩٥٢م :

مليم جنيه	
٤٤,٠٠٠	للطن حديد تسليح (أساسى) .
٣,٢٥٠	للألف طوب أحمر .
-,٧٠٠	للمتر المكعب زلط .
-,٣٠٠	للمتر المكعب رمل .
-,٩٠٠	للمتر المكعب جير .
١,٣٠	للطن مصيص .
٢٥,٠٠٠	للمتر المكعب خشب سويد .

أساليب التشييد :

لا شك أنه إذا توافرت العمالة المدربة التى تتسم بالمهارة الحرفية لتنفيذ المشروعات الهندسية وخاصة مشروعات الإسكان - فلابد أن يتحقق حسن الأداء فى حدود تكلفة مناسبة وقد كان هذا هو الحال فى تلك الفترة (٥٢ / ٦١م) فلم تختلف أساليب التشييد كثيراً عما كان متبعاً من قبل .

فأعمال الحفر تتم يدوياً بإستخدام الأدوات ، البسيطة التقليدية والعمال متوفرون لدرجة تكاد تضيق بهم بعض مواقع العمل .

أما الخرسانة فكان هناك إهتمام بإختيار مكوناتها من رمل وزلط ورقابة تدرجاً بهزها فى الموقع - وكان وكيل الخرسانة وخلطها يتم يدويا مع إستخدام طبالى الخلط - أو إستخدام الخلاطات إذا كان هناك نص على ذلك فى العقود .

وكان قطع وتجهيز حديد التسليح يتم يدويا - أما الشدات والفرم اللازمة لصب الخرسانة فتجهز من الأخشاب .

وكان إستخدام السقايل الخشبية هو وسيلة الإنتقال الرأسى والأفقى للعمال والمواد ، فلم تكن الأوناش والمصاعد قد إتجه التفكير لاستخدامها بعد .

وبصفة عامة كان إستخدام الأخشاب هو الأسلوب السائد للشدات والسقايل لرخص أسعاره بالمقارنة للحديد رغم نسبة إستهلاك الأخشاب العالية ورغم الوقت والجهد الضائع فى إستخدامه .

إلا أنه كانت هناك قلة من الشركات المتخصصة فى أعمال الخرسانة والأجزاء الخرسانية سابقة الصب تؤدى أعمالها بأسلوب متطور فى تجهيز الحديد وعمل الشدات والفرم وخلط الخرسانة وصبها مع إستخدام معدات متطورة ومع دقة الإلتزام بالمواصفات .

وبالنسبة للمبانى كان إستخدام الطوب الأحمر هو السائد إلى جانب إستخدام الطوب الرملى والأحجار حسب ظروف الموقع - إلا أن البناء بالحجر بدأ يتناقص لتحول العمالة عنه ولزيادة تكلفته ولتوفر الطوب الأحمر (فيما عدا المناطق الصحراوية والقريبة من المحاجر) لما يتراكم سنوياً بعد فيضان النيل من طمى على الجسور والجزر النيلية وكذا ما يتخلف عن أعمال التطهيرات .

وللتصميم أثره على أسلوب التنفيذ - فقبل هذه الفترة تم بناء عدد من عمارات الإسكان يكاد لا يزيد تصميم إرتفاعها عن عشرة طوابق حتى لا تتجاوز مصاريف الصيانة وتشغيل المصاعد والإنارة وطلمبات المياه الحد الإقتصادى المعقول وأثناء هذه الفترة نشطت الرغبة فى إستغلال مواقع الأرض الممتازة والتى بدأت أسعارها فى الإرتفاع وكذا الرغبة فى زيادة إستثمار رأس المال مما دعا إلى الإرتفاع بالمبانى السكنية وكان هذا حافزاً لبعض الشركات لتدعيم إمكانياتها ببعض المعدات المتطورة ، إلا أنه كان لتوفر العمالة الحرفية حينئذ ما أمكن معه الإستمرار فى إستخدام الأساليب التقليدية فى غالبية المشروعات بما يحقق تنفيذ الأعمال بأسعار مقبولة دون إستخدام الميكنة .

أما أعمال التشطيبات للبياض والرخام والأرضيات وكذا الأعمال التكميلية الخاصة بالتجارة والأعمال الصحية والكهربائية فقد كان المجتمع ما زال متحفظاً بالنسبة للمواد المستحدثة البديلة والمصنعة - متمسكاً بإستخدام المواد التقليدية المتوفرة محلياً أو المستوردة وبالتبعية كان أسلوب التنفيذ تقليدياً وساعد على ذلك وفرة العمالة ومن سمات هذه الفكرة ما تميزت به من كفاية إنتاجية عالية إذ تم أثناء تلك الفترة الكثير من المشروعات بمستوى عال من الجودة فى مجال الإسكان والتشييد بصفة عامة مما يجعل هذه الفترة تعبر عن مرحلة متميزة فى التشييد .

تكاليف الإسكان :

إرتفعت تكاليف المتر المسطح من الإسكان خلال هذه الفترة تدريجياً وبمعدل مقبول يكاد يكون ثابتاً تتراوح نسبته بين ٢٪ ، ٣٪ سنوياً .

وكان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان الإقتصادى كالتالى :

عام ١٩٥٢م ٨,٠٠٠ جنيه

عام ١٩٦١م ١٠,٠٠٠ جنيه

كما كان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان المتوسط كالتالى :

عام ١٩٥٢م ١٢,٠٠٠ جنيه

عام ١٩٦١م ١٦,٠٠٠ جنيه

لذا كان عبء إيجار المسكن مناسباً بالنسبة لمتوسط دخل الأسرة .

الفترة ١٩٦٢ - ١٩٧٢م :

عوامل مؤثرة على نشاط الإسكان والتشييد :

١ - الظروف العسكرية :

تحملت موارد الدولة كثيراً من الأعباء المادية نتيجة للمجهود الحربى فى حرب اليمن وحرب يونيو ١٩٦٧م وما بعدها وذلك فى إقامة المنشآت والأعداد للنواحى العسكرية بما لم تتيح للدولة الإمكانات الكافية لمشروعات الخدمات بصفة عامة .

٢ - التشريعات فى مجال الإسكان :

- صدور القانون رقم ١٦٧ لعام ١٩٦١م بتخفيض الإيجارات ٢٠٪ إبتداء من إيجار شهر ديسمبر ١٩٦١م .
- صدور القانون رقم ١٦٩ لعام ١٩٦١م بإلغاء الضرائب العقارية لشاغلى الوحدات السكنية (حوالى ٣,٧٪ من القيمة الإيجارية) .
- صدور القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد القيمة الإيجارية للمسكن من تاريخ صدور القانون على أساس عائد سنوى قدره ٥٪ من قيمة الأرض ، ٨٪ من قيمة

المبانى – وبذا أصبحت القيمة الإيجارية لا تخضع للعرض والطلب .

- صدور القانون رقم ٧ لعام ١٩٦٥م بتخفيض إيجارات المساكن التى انشئت من عام ٤٤ حتى ١٩٦١/١١/٥م بمقدار ٢٠٪ – أما المساكن التى انشئت من ١٩٦١/١١/٥م حتى ١٩٦٥/٢/٢٢م فتخفض بمقدار ٣٥٪

وقد يكون المبرر لإصدار هذه القوانين محاولة من الدولة لإيجاد التوازن فيما بين مستويات الأجور والمرتبات السائدة وبين القيمة الإيجارية للمسكن لا سيما وقد بدأت ظاهرة مغالاة غالبية الملاك فى تقدير القيمة الإيجارية – ومن الواضح أن هذا التوازن قد أجرى بحكم القانون على حساب المالك .

وكان صدور هذه القوانين على مراجل وبأثر رجعى عاملاً من عوامل الهبوط التدريجى فى نشاط الإسكان – إلا أن هذا النشاط لم يتوقف فقد إتجه البعض إلى الإستثمار فى مجال الإسكان بعد صدور قوانين الإصلاح الزراعى وقرارات التأميم .

سياسة الدولة :

إتجهت سياسة الدولة فى هذه المرحلة إلى الإقتصاد الموجه من خلال سيطرة الدولة على الإمكانات المتاحة وأدوات الإنتاج لتحقيق خطة إقتصادية طموحة وفى سبيل ذلك أصدرت القوانين الإشتراكية بتأميم الشركات – ووضعت للتصنيع خطة طموحة إلى جانب مشروعات التنمية فى مجال الرى وإستصلاح الأراضى فلم يتح من خلال هذه السياسة الإمكانات المادية بالقدر الكافى لمشروعات الخدمات وفيما يلى بعض عوامل كان لها تأثير على نشاط الإسكان .

أ – إعطاء الأهمية والأسبقية لتنفيذ مشروعات التصنيع ومشروع السد العالى ومشروعات إستصلاح الأراضى والرى .

وقد إستنفدت هذه المشروعات الجانب الأكبر من مواد البناء المحلية والمستوردة من أسمنت وحديد تسليح وأخشاب مما كان له دائرة فى الحد من نشاط الإسكان .

ب – نتيجة لخطة الدولة الطموحة زادت حجم خطة التشييد عن قدرات قطاع المقاولات المتاحة للتنفيذ – مما أدى إلى إرتفاع ملموس فى أسعار الموارد والمعدات وتكاليف النقل والأجور .

جـ - كان من معوقات الخطة عدم إحكام التنسيق بين قطاع التشييد وقطاعات الصناعة والتجارة والنقل إلى جانب عدم إتاحة القدر الكافى من النقد الأجنبى .

فأمكانيات قطاع الصناعة لم تكن قادرة على توفير مواد البناء بالكميات والمواصفات والمعدلات الزمنية المناسبة .

وإمكانيات قطاع التجارة ممثلاً فى شركات القطاع العام للتجارة تتركز فى إستيراد مواد البناء والأخشاب والمعدات ووسائل النقل وقد دعت ظروف العجز فى النقد الأجنبى فى كثير من الأحيان إلى توجيه الإستيراد نحو دول معينة (الكتلة الشرقية) للحصول على المواد ... والمعدات اللازمة للتشييد مع التجاوز بعض الشيء عن درجة صلاحيتها .

ويعتبر النقل عنصراً أساسياً فى مكونات نشاط التشييد بالنسبة للإمداد بالمواد والمعدات فى الوقت المناسب دون تعطل للعمالة بالموقع ورغم وسائل النقل المتاحة لدى شركات المقاولات التى كانت تحقق حوالى ٢٥٪ من إحتياجاتها من النقل فإن التنسيق بينها وبين قطاع النقل كان حيوياً وكان للإختناقات فى النقل أثرها فى مضاعفة تكلفة عنصر النقل أثناء تلك الفترة .

ورغم الأثر السلبى لبعض العوامل السابق ذكرها على نشاط الإسكان فإنه من خلال النظام الإقتصادى الموجه من الدولة وفى ظل تحديد فرص العمل والأجور والمرتبات ورقابة الأسعار كان التوازن ما زال محتملاً بين الدخل وأعباء المعيشة شاملة الإسكان .

تأميم شركات المقاولات والقوانين الإشتراكية :

١ - الهدف من التأميم :

لقطاع التشييد أهميته الخاصة بالنسبة للإقتصاد القومى - إذ يعتبر الركيزة الأساسية لتنفيذ مشروعات الخطة حيث تبلغ نسبة إستثماراته حوالى ٤٧٪ من إستثمارات الخطة .

وفيما قبل صدور القوانين الإشتراكية عام ٦١ بتاميم الشركات كان لشركات المقاولات فى ظل القطاع الخاص حرية الإختيار فى التقدم لتنفيذ ما يروق لها من المشروعات والإحجام عن التقدم للبعض الآخر حسب نوعية المشروعات ومواقعها وما تنتظره الشركة من عائد إلى جانب متظهر فى بعض صور الإستغلال لمضاعفة الربح ... ونتيجة لذلك

نعتبر تنفيذ بعض مشروعات الدولة حسبما كان مقدراً لها بالخطة .

ونظراً لأن الدولة كانت مقبلة فى الستينات على مشروعات عديدة وضخمة للتنمية فى شتى المجالات الصناعية والزراعية والإجتماعية فقد إتجه التفكير إلى تجميع أجهزة الإنتاج وتوجيهها لتحقيق خطة الدولة وذلك بتكوين حاجز قوى من شركات المقاولات تحت سيطرة الدولة مع التنسيق بين هذه الشركات ومعاونتها وتوجيهها لتحمل مسئولية تنفيذ مشروعات الخطة فى مواعيدها وفى إطار التكاليف المقررة دون مغالاة .

٢ - القوانين والقرارات التى صدرت فى شأن قطاع التشييد :

نورد فيما يلى موجزاً لما صدر من قوانين أو قرارات فى هذا الشأن (عن تقرير الإصلاح التنظيمى والإقتصادى لقطاع التشييد والبناء - وزارة الإسكان - أغسطس ١٩٦٨) .

أ - صدرت القوانين الإشتراكية ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ لسنة ١٩٦١م بتأميم ١٧ شركة من شركات المقاولات كانت طاقتها التنفيذية حينئذ حوالى ١٥ مليون جنيه .

ب - صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٠٣ لسنة ١٩٦١م والذى بمقتضاه تحدد الحد الأقصى لأعمال المقاولات التى تسند للقطاع الخاص بمبلغ ٣٠ ألف جنيه لكل شركة سنوياً - ولم يكن هذا التحديد بالإضافة إلى طاقة الشركات المؤسسة ليسمح بإنجاز خطة التنمية الأمر الذى اقتضى صدور القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦١م بالسماح لشركات القطاع الخاص بطلب الإنضمام للقطاع العام بنسبة ٥٠٪ (خمسون فى المائة) .

جـ - فى أكتوبر ١٩٦١م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٢٥ بإنشاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات والتى بدأ إشرافها على ١٦ شركة من شركات المقاولات تشارك المؤسسة فى رأسمالها بنسبة ٥٠٪ وتمتلك البعض الآخر بالكامل ثم توالى قبول الشركات فى القطاع العام بنسبة ٥٠٪ حتى أصبحت الشركات التابعة للمؤسسة ٧٢ شركة .

فى نوفمبر عام ١٩٦٢م صدر قرار السيد / رئيس الجمهورية رقم ٣٢٢١ بإلغاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات وإنشاء ثلاث مؤسسات عامة هى :

- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية وتضم ٢٤ شركة .

- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة وتضم ٣٦ شركة .
- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق وتضم ١٢ شركة .

د - في ٨ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٤م بتأميم شركات المقاولات والقطاعات الخاصة بأصحاب هذه الشركات تأميماً كاملاً وبأثر رجعي إعتباراً من ١٩٦١/٧/٢٠م وتشمل ذلك ١١٩ شركة ومنشأة .

هـ - في ٩ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القرار الوزاري رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م المنفذ للقانون رقم (٥٢) لسنة ١٩٦٤م متضمناً إدماج بعض الشركات وكذا نقل تبعية بعض الشركات بين المؤسسات النوعية الثلاث وأصبح عددها بعد الإدماج ٣٥ شركة .

و - في ٦ فبراير ١٩٦٥م صدر القرار الجمهوري ٢٥٩ لسنة ١٩٦٥م متضمناً تعديل الهيكل التنظيمي لبعض الشركات التي سبق أن تقرر إدماجها بالقرار الوزاري رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م وبذلك أصبح عددها ٤١ شركة .

ز - في ٢٤ مارس ١٩٦٤م صدر القانون ٣٩ لسنة ١٩٦٤م في شأن تنظيم نشاط المقاولات خارج الجمهورية ووفقاً لأحكام القانون نقل إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق الشركتان الآتيتان :

الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية « عثمان أحمد عثمان وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية .

شركة النصر العامة للمقاولات « حسن علام وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة .

كما صدر قرار السيد / وزير الإسكان والمرافق بنقل الإشراف إلى المؤسسة المصرية العامة وذلك بالنسبة للشركتين الآتيتين :

شركة القاهرة العامة للمقاولات .
الشركة العربية العامة للمقاولات .

فى نوفمبر ١٩٦٥م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٤١٦ ورقم ٤٤٢١ متضمناً إدماج المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمبانى العامة فى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء . كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة المصرية العامة للأعمال المدنية وتعديل تسميتها إلى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء - كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة الجديدة مع تحويل المؤسسة المصرية العامة للأبنية العامة إلى شركة مساهمة عربية (المكتب العربى للتصميمات والإستشارات الهندسية) ونقل تبعية هذه الشركة إلى المؤسسة الجديدة وكذلك تعديل تسمية المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق إلى المؤسسة المصرية لأعمال المرافق وأصبحت وظيفتها إلى جانب أعمال المقاولات تخطيط ومتابعة تنفيذ أعمال المياه والمجارى بالجمهورية .

فى مارس سنة ١٩٦٧م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٠٨ لسنة ١٩٦٧م متضمناً إنشاء مؤسسة عامة تسمى « المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المبانى » تضم ١٩ شركة من شركات المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء مع تعديل تسمية المؤسسة الأخيرة بعد فصل هذه الشركات عنها إلى المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإنشاءات المدنية وتضم ١٨ شركة من ضمنها شركات المقاولات التى كانت تابعة لمؤسسة أعمال المرافق .

كما تضمن القرار الجمهورى سالف الذكر فصل شركة المكتب العربى للتصميمات والإستشارات الهندسية عن إشراف المؤسسة وضمها إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق وفقاً لأحكام القانون ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م .

والخلاصة أنه خلال الفترة صدر العديد من القوانين والقرارات بتأميم الشركات ودمج بعضها أو نقل تبعيتها فيما بين المؤسسات أو لإشراف وزير الاسكان وقد بلغ عددها أربعة عشر فيما بين ١٩٦١م ، ١٩٦٧م كما تغير تنظيم وتسمية مؤسسات المقاولات النوعية ونقل تبعية الشركات إليها خمس مرات أثناء تلك الفترة .

وبهذه المناسبة تولى وزارة الإسكان فى الفترة ما بين عام ٦٢ ، ١٩٧٢م عشرة وزراء ولعل الصورة السابقة تعطى مؤشراً لحالة الإستقرار الإدارى والنفسى للعاملين بقطاع المقاولات فى هذه الفترة .

٣ - أوامر التكليف :

وإلى جانب ما صد من القوانين والقرارات التنظيمية التى أشير إليها فإنه نتيجة مغالاة بعض الشركات فى الأسعار - أو لإتخاذ مواقف سلبية حيال التقدم للمناقصات رأت الدولة حفاظاً على تنفيذ مشروعات الخطة فى مواعيدها وحسب تقديراتها إصدار القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢م ، بتخويل وزير الإسكان والمرافق سلطة تكليف بعض الشركات بتنفيذ المشروعات - ووضع هذا القانون قواعد خاصة للمحاسبة بمقتضاها .

إنجازات التشييد فى هذه المرحلة :

مع سيطرة الدولة على أجهزة التشييد - أخذت فى تدعيم الهيكل الإقتصادى للدولة مع التركيز على مشروعات خطتها القومية .

جدول رقم (٣)

ملخص الإستثمارات للخطة الخمسية الأولى ٦٠ / ١٩٦٥م والخطة الخمسية الثانية ٦٥ / ١٩٧٠م وما يخص التشييد فى كل منهما (بالمليون جنيه)

الجهة	قيمة الاستثمارات فى الخطة الخمسية		قيمة الاستثمارات فى الخطة الخمسية الثانية ٦٥/ ١٩٧٠		إجمالى الاستثمارات من ٦٠/ ١٩٧٠	
	جملة الاستثمار	ما يخص التشييد	جملة الاستثمار	ما يخص التشييد	جملة الاستثمار	ما يخص التشييد
الزراعة	١١٨,٤	٤٨,٧	١٠٤,١	٣٦,٨	٢٢٢,٥	٨٥,٥
الرى والصرف	١٣٨,٢	٩٧,٤	١٤٨,٤	١١٩,٦	٢٨٦,٦	٢١٧,٠
السد العالى	٩٨,٦	٦٩,٣	٥٦,٧	٤٣,٤	١٥٥,٣	١١٢,٧
الصناعة	٤٠٣,٩	١٠٨,٨	٤٤٩,٧	١٣٢,٦	٨٥٣,٦	٢٤١,٤
الكهرباء	١١٢,٦	٢٨,٤	٢٤٩,٠	٥٩,٠	٣٦١,٦	٨٧,٤
النقل والمواصلات	٢٧٠,٨	٨٦,١)				
		)	٢٩٢,٤	٨١,٦	٥٩٦,٥	١٨٧,٣
قناة السويس	٣٣,٣	١٩,٦)				
المبانى السكنية	١٦١,٥	١٤٣,٦	١٥٣,٤	١٤٠,٤	٣١٤,٩	٢٨٤,٠
المرافق العامة	٥٠,٥	٣٦,٨	٤٤,٨	٢٤,٤	٩٥,٣	٦١,٢
الخدمات	١١٧,٨		٧٩,٩	٤٧,٨)		
المال والتجارة	١٠,٢	٧٨,٠	٩,٨	٥,٣)	٢٣٦,٢	١٣١,١٨
جهاز المقاولات	٨,٠		١٠,٥	,٠٨)		
القاهرة الكبرى	—	—	—	—	—	—
المجموع بخلاف القوات المسلحة	١٥٢٣,٨	٧١٦,٧	١٥٩٨,٧	٦٩٠,٩٨	٣١٢٢,٥	١٤٠٧,٦٨

ومن متابعة الاستثمارات المخصصة للتشييد خلال ٧٠/١٩٧١ يلاحظ أنها انخفضت بشكل ملموس حيث تم توجيه استثمارات كبيرة خلال العام للأعمال العسكرية (عن كتاب الكفاية الإنتاجية فى قطاع المقاولات د. خالد فودة) .

جدول رقم (٤)

قيمة ما تم تنفيذه فعلاً من استثمارات فى إنشاء الوحدات السكنية خلال الخطة ٦٠/٦٥ ، ٦٥/٧٠ (بالمليون جنيه)

نوع الإسكان	٦٥/٦٠	٧٠/٦٥
اقتصادى وريفى	٦٩,٣	١٢٧,٢
متوسط	٥٠,٠	٧٤,٥
فوق المتوسط	١٥,٧	١٥,٠

ويلاحظ أن استثمارات الإسكان المنفذة خلال ٦٥,٦٠ بلغت ١٨,٨٪ من إجمالى التشييد كما يلاحظ أن استثمار الإسكان المنفذة خلال ٦٥/٧٠ بلغت ٣١,٤٪ من إجمالى التشييد .

قطاع التشييد وشركات المقاولات : تكوينها/إدارتها وطاقتها التنفيذية .

١ - قطاع التشييد :

قطاع التشييد هو قطاع ذو إنتاج سلعى مباشر كما هو الحال فى قطاع الصناعة وقطاع الزراعة وفى إطار خطة الدولة يحدد لكل قطاع هدف واضح للإنتاج يصل إليه بتدرج مقدرة تحدد الخطة .

كما تحتسب القيمة المضافة لكل قطاع فى سنوات الخطة بالمقارنة لهذه القيمة فى سنة الأساس .

وبالرجوع للخطة الخمسية الأولى (٥٩/٦٠ إلى ٦٤/٦٥) يتبين أن قطاع التشييد هو القطاع الوحيد الذى خطط له إلا يزيد إنتاجه فى السنة الخامسة إلا بمقدار (٦٪) عن سنة الأساس بينما خطط لقطاعى الزراعة والصناعة أن يزيد إنتاجها بنسبة (٢٨٪ ، ٦٦٪) على التوالى كما هو موضح فى القسم الأول فى الجدول التالى :

جدول رقم (٥)
إجمالى الإنتاج القطاعى الزراعة والصناعة والقيمة المضافة
(بالمليون جنيه)

القطاع	(١) إجمالى الإنتاج			(٢) القيمة المضافة		
	٦٥/٥٩	٦٥/٦٤	نسبة الزيادة	٦٠/٥٩	٦٥/٦٤	نسبة الزيادة
الزراعة	٥٧٤	٧٣٦	٢٨٪	٤٠٠	٥١٢	٢٩٪
الصناعة والكهرباء	١٠٩٤	١٨١٤	٦٦٪	٢٧٣	٥٤٠	٩٨٪
التشييد والبناء	١١٥	١٢٢	٦ ٪	٥٢	٥١	١,٩٪
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادى	٣٥٨	٤٣٨	٢٢٪	٣٦١	٣١٦	٢١٪
قطاع التجارة	١٦٣	٢٠٨	٢٨٪	١٢٧	١٦٢	٢٨٪
قطاع الخدمات	٢٢١	٢٨٣	٢٨٪	١٦٩	٢١٤	٢٧٪
الإجمالى العام	٢٥٢٥	٣٦٠١	٤٣٪	١٢٨٢	١٧٩٥	٤٠٪

كما يتبين أيضاً فى القسم الثانى فى الجدول الخاص القيمة المضافة انخفاض مساهمة قطاع التشييد فى مجموع الدخل فى السنة الخامسة (٥١ مليون) إلى سنة الأساس (٥٢ مليون) أى بنسبة ٢٪ فى الوقت الذى تزيد فيه قيمة مساهمة قطاع الصناعة والزراعة بنسبة (٩٨٪) (٢٩٪) على التوالى .

ومن الغريب أن يراعى زيادة عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة فى كل قطاع عدا قطاع التشييد فقط خطط لعدد المشتغلين أن ينخفض من ١٧٠ ألف فى سنة الأساس ١٩٦٠ إلى ١٥٩ ألف فى السنة الخامسة ١٩٦٥ كما يتضح من الجدول التالى :

جدول رقم (٦)

جدول عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة

القطــــــاع	جملة المشتغلين بالألف ٦٠/٥٩	٦٥/٦٤
الزراعـــــــــــــة	٣٢٤٥	٣٨٠٠
الصناعـــــــــــة	٦٣٢	٨٤٧
التشييـــــــــــد	١٧٠	١٥٩
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادى		
التجــــــارة	٦٣٣	٧٣٠
قطاع الخدمات	٧٩٣	٩١٤
الإجمــــــالى	٥٩٧٥	٧٠٠١

(من تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى سنة ١٩٦٨)

ورغما من العبء الملقى على عاتق التشييد لتنفيذ أعمال تمثل ٤٧٪ من استثمارات الخطة (بخلاف المجهود الحربى) ورغما عن أن التخطيط بطبيعته يستهدف أن يحقق للاقتصاد القومى نمواً متوازناً وتوافقاً بين معدلات النمو فى جميع الأنشطة بحيث لا يسبق أحدهما الآخر فيشكل أعباء تقصر عنها إمكانيات باقى الأنشطة أو يتخلف عنها فيعوق تقدمها - فمن الواضح أن قطاع التشييد لم يحظ من التخطيط بنفس العناية التى حظيت بها القطاعات الأخرى وكان لذلك أثره على إمكانيات الشركات وطاقتها التنفيذية .

٢ - تكوين شركات المقاولات وإدارتها :

سبق الإشارة إلى أن إدارة العمل بغالبية شركات المقاولات كانت تعتمد فى الفترة السابقة على المدير الفرد الذى يرجع إليه فى كل أمور الشركة بحكم ملكيته وولايته على رأس المال - وله أسلوبه فى إدارة الشركة وكان لبعض الشركات هياكل تنظيمية ولوائح فى إطار هذا الأسلوب .

وكان فى صدور القوانين الاشتراكية وملكية الدولة لهذه الشركات ما يدعو لتطوير تكوينها وإحكام الإشراف عليها كأداة هامة من أدوات الإنتاج تعتمد عليها الدولة فى إنجاز مشروعات الخطة - واقتضى ذلك العمل فى بناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات ومراعاة أن يحكم سير العمل بها نظم ولوائح مالية وإدارية مع الاستفادة بالعنصر البشرى الموروث عن القطاع الخاص إلى جانب توفير الكثير من الفنيين والماليين والإداريون من ذوى الخبرة بالجهاز الحكومى أو النشاط الخاص استكمالاً لأجهزة الإدارة العليا بهذه الشركات - وصدور أوامر التكليف لخريجى الجامعات والمعاهد من المهندسين للعمل بها .

وقد تعرضت الشركات كوحدة اقتصادية فى أوائل هذه المرحلة إلى التحول المفاجىء فى التنظيم وفى الإدارة وفى زيادة طاقتها فلن تخضع للنمو الطبيعى إلى جانب ما تعرضت له بعض الشركات من عدم توفير الثقة والانسجام بين أفراد القطاع الخاص السابق ومن استجد عليهم فى ظل القطاع العام وكذا من ترجيح أهمية العنصر الفنى عن العنصر المالى .

وفى سبيل رفع الكفاية الإنتاجية وتنسيق جهود العاملين بها سارعت مؤسسات المقاولات المشرفة عليها إلى الاستعانة ببعض الخبراء المتخصصين فى الإدارة والتنظيم لبناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات وتوصيف الوظائف وتحديد اختصاصات أفراد الإدارة العليا - كما روعى ما أمكن أن يرأس الجهاز الإدارى ، للشركة أو يشترك فيه صاحب الشركة قبل التأميم .

وعلى العموم يمكن القول أن هذه الفترة كانت بداية للتنظيم الإدارى والمالى لشركات المقاولات تحت إشراف المؤسسات النوعية .

٣ - طاقة شركات المقاولات :

سبق أن ذكرنا أن طاقة قطاع التشييد قبل التأميم كانت حوالى ١٠٠ ليون جنيه سنوياً - بما فى ذلك طاقة الشركات التى أممت وتبعت لوزارة الإسكان وكانت لا تتعدى ٢٥ مليون جنيه سنوياً - وفى الفترة بعد التأميم كان اهتمام شركات مقاولات القطاع العام (التابعة للإسكان والتابعة لجهات أخرى) موجهاً نحو مضاعفة قدرتها كى تتمكن من تنفيذ حجم الأعمال الضخمة الذى فوجىء بها القطاع العام فى بداية الخطة الأولى وقد نجح إلى حد

بعيد حتى بلغت قدرته التنفيذية عام ٦٤/٦٣ حوالى ١٤٩ مليون جنيه من إجمالى الإنتاج الكلى لقطاع التشييد فى ذلك العام وقدره ٢٠١,٥ مليون جنيه .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن أجهزة التنفيذ التى يشملها قطاع التشييد تتكون من أجهزة تابعة للقطاع العام ويشمل :

أ - أجهزة تابعة لوزارة الإسكان والمرافق .
ب - أجهزة تابعة لجهات أخرى (الإصلاح الزراعى - وزارة النقل - وزارة الرى - هيئة قناة السويس - هيئة السكة الحديد - القوات المسلحة) .

ويمكن بصفة تقديرية اعتبار أجهزة وزارة الإسكان تمثل نحو ٥٠٪ من إجمالى طاقة التشييد واعتبار طاقة أجهزة القطاع الخاص نحو ٢٥٪ من إجمالى طاقة التشييد(*) .

ونورد فيما يلى حجم أعمال التشييد التى قامت بتنفيذها شركات القطاع العام التابعة لوزارة الإسكان .

(*) مذكرة بشأن تطوير قطاع التشيد للعرض على اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى - وزارة الإسكان والمرافق - القاهرة ٦٦/٦/٨ ص (١٠) (عن كتاب الكفاية الإنتاجية فى قطاع المقاولات د . خالد فوده)

جدول رقم (٧)

حجم أعمال التشييد التى قامت بتنفيذها شركات ومقاولات القطاع العام

السنة	إجمالاً قيمة ما تم تنفيذه (مليون جنيه)
٦١/ ٦٢	٢٩,٦٦
٦٢/ ٦٣	٥٤,٥٠
٦٣/ ٦٤	٨٣,٦٨
٦٤/ ٦٥	٨٤,٢٥
٦٥/ ٦٦	١٠٠,٢٣
٦٦/ ٦٧	٩٢,٤٣
٦٧/ ٦٨	٨٠,١٧
٦٨/ ٦٩	٧٤,٢١
٦٩/ ٧٠	١٠١,٠٧
٧٠/ ٧١	١٢١,٢٧

عن الجدول رقم (٩) من تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد والبناء وزارة الإسكان ، وعن تقارير وزارة التعمير بالنسبة لعام ٦٧/ ٦٨ وما بعدها .

وقد كانت أهميته الكبرى فى هذه الفترة لمشروعات الإسكان تمشياً مع الاحتياجات الفعلية . وفيما يلى بيان الوحدات السكنية التى تم إنجازها فى تلك الفترة (حسب ما جاء بدراسة الفريق المشترك لوزارة الإسكان ووزارة التخطيط والهيئة الأمريكية للتنمية الدولية) . (يونيه سنة ١٩٧٦م) .

جدول رقم (٨)

الوحدات السكنية التى تم إنجازها فى الفترة من ٦١ - ١٩٧١

السنـــــة	ما نفذ لحساب المحافظة والقطاع العام	ما نفذ لحساب القطاع الخاص	المجموع
٦١/ ٦٢	١٦٧٦٨	٢٥٦٧٥	٤٢٤٤٣
٦٢/ ٦٣	٣١٢٨٨	٢٢٥٩٠	٤٣٨٧٨
٦٣/ ٦٤	١١٨٨٠	١٠٨٦٤	٢٢٧٤٤
٦٤/ ٦٥	٩٠٢٠	٨٨٩٣	١٧٩١٣
٦٥/ ٦٦	٢٠٥٠٩	١٣٠٠٠	٣٣٥٠٩
٦٦/ ٦٧	٩٨٤٤	١٥٧٣٨	٢٥٥٨٢
٦٧/ ٦٨	١٠٩٦٧	٢٩٥٠٥	٤٠٤٧٢
٦٨/ ٦٩	٥٢٩٩	٢٨٧١٠	٢٨٠٠٩
٦٩/ ٧٠	٥٤٩١	٢٨٧١٧	٣٨٢٠٨
٧٠/ ٧١	٥٢٥٠	٢٢٥٢٠	٢٧٧٧٠

مقاولو القطاع الخاص والباطن والعمال - الهجرة - الأجور :

يصعب الحصول على معلومات وافية عن مقاولى القطاع الخاص والباطن وعمال التشييد فى هذه الفترة نظراً لعدم توفر البيان أو لتضاربها .

وحسب ما جاء بدراسة الفريق المشترك بوزارة الإسكان ووزارة التخطيط مع هيئة التنمية الدولية يقدر عدد العاملين بقطاع التشييد سنة ٦٩/ ٧٠ بنحو (٣٨٧٩٠٠) - فى حين يقدر عدد الحرفيين فى التشييد بنحو (١٥٧٦٥٢) حسبما جاء بتقرير منظمة العمل الدولية سنة ٧١ ، كما تحدد بإطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات الخمس يوليو سنة ١٩٦٠ - يوليو ١٩٦٥ أن عدد المشتغلين بقطاع التشييد سنة ٥٩ / ٦٠ يقدر بنحو (١٧٠) ألف ، وفى سنة ٦٤/ ٦٥ يقدر بنحو (١٥٩) ألف حسب احتياج الخطة (كما جاء بتقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد والبناء وزارة الإسكان جدول رقم ٢) كما يتبين أيضاً فى الجدول صفحة ٢١ الخاص بإجمالى إنتاج القطاعات

أن إجمالى التشييد والبناء قدر بقيمة (١١٥) مليون جنيه سنة ٥٩/ ٦٠ بقيمة (١٢٢) مليون جنيه سنة ٦٤/ ٦٥ أى بزيادة ٦٪ ونظراً لأن الأسعار زادت فى سنة ٦٤/ ٦٥ ، عنها فى سنة ٥٩ بحوالى ٥٠٪ فإن إجمالى قيمة التشييد بالخطة سنة ٦٤/ ٦٥ بنسبة الأسعار سنة ٥٩/ ٦٠ تقدر بحوالى (٨١,٥) مليون جنيه - وذلك يفسر انخفاض عدد المشتغلين بقطاع التشييد فى تنفيذ خطة ٦٤/ ٦٥ عنها فى سنة ٥٩/ ٦٠ ومعنى وجود فائض فى العمالة .

وإلى جانب انكماش حجم العمل بعد سنة ٦٧ فيما عدا (المجهود العربى) كان معدل الزيادة فى أجور عمال التشييد طفيفاً أثناء هذه الفترة بالمقارنة لارتفاع مستوى المعيشة مما دعا لهجرة الكثير منهم إلى البلاد العربية وراء العمل والأجر الأعلى .

كما اتجهت أيضاً شركات مقاولات القطاع العام تغطية لطاقتها العاطلة إلى العمل خارج الجمهورية بالدول العربية (السعودية - الكويت - ليبيا - العراق - الجزائر) وبالدول الإفريقية (مالى - النيجر - ساحل العاج) .

ونورد فيما يلى بيان بالأجور اليومية (بالقروش) للعمالة الحرفية أثناء تلك الفترة .

جدول رقم (٨)
بيان بالأجور اليومية للعمالة الحرفية

المهنة	الأجر بالقرش سنة ٦٢	سنة ٦٥	سنة ٧٠	سنة ٧٣
عامل عادى	٢٥	٣٥	٥٠	٦٠
عامل قروان	٤٠	٤٥	٥٥	٨٠
نجار مسلح	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
حداد مسلح	٧٥	١٠٠	١١٥	١٥٠
بناء/مبيض/مبلط	٨٠	١١٥	١٣٥	١٧٥
سباك	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
كهربائى	—	٩٥	١١٠	١٥٠

وكان من أسباب زيادة الأجور أثناء تلك المرحلة صدور قوانين التأمينات الاجتماعية وتحديد ساعات عمل وحد أدنى للأجور - وزيادة تكاليف المعيشة وتنفيذ عدد من المشروعات الحيوية فى وقت واحد فى بداية تلك المرحلة (السد لعالى - تهجير النوبة - المجمعات الصناعية) بدء عزوف راغبى العمل عن التشييد بحثاً عن مجال عمل أقل مشقة وأيسر دخلاً - إلى جانب هجرة الكثير من العمال للخارج .

ويبين الجدول التالى معدلات زيادة الأجور فى كل سنة منسوباً للسنة التى تسبقها والزيادة التراكمية بالنسبة لسنة ١٩٦١ (من بحث زيادة الأسعار خلال الفترة من يوليو ٦١ حتى مارس ٧٤ - تحت إشراف الدكتور مهندس محمد على المصرى - وزارة الإسكان والتعمير) .

جدول رقم (٩)
معدلات زيادة الأجور فى كل سنة ٦١/ ١٩٧١

السنــــــة	٦١	٦٢	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
معدلات زيـادة الأجـر سنويـاً	ـ	٣٠	٢٥	١٥	٦	٤	٢	٦	٧
الزيادة التراكمية لسنــة الأساس ١٩٦١	١٠٠	١٣٠	١٦٠	١٨٦	١٩٧	٢٠٩	٢١٧	٢٢٦	٢٤٠

مواد البناء المحلية والمستوردة وأسعارها :

لم يستجد على مواد البناء الأساسية تغيير يذكر سوى التطور المحدود فى استخدام بعض المواد المصنعة البديلة للوفر فى التكلفة - كالخشب الحبيبى وبلاطات الأسفلت للأرضيات - واستخدام المواسير وبعض الأدوات من البلاستيك فى أعمال الكهرباء والأدوات والصحى .

وكانت مواد البناء المحلية (الأسمنت - الرمل - الزلط - الجبس) متوفرة أما الطوب الأحمر فقد بدأت أسعاره فى الارتفاع نتيجة لهبوط حجم إنتاجه بعد إنجاز مشروع السد العالى وحجز طمى النيل خلف السد وتوقف تراكمه على الجسور والجزر النيلية .

جدول رقم (١٠)

الموقف بالنسبة للإنتاج المحلى للأسمنت ١٩٦٢ - ١٩٧٢

(الكميات بالألف)

السنة	الإنتاج	الكميات	الاستهلاك		الأسعار بالطن بالجنيه المصرى					
					مخلوط	عادى	سريع	ونتر	لوهيت	
٦٣/٦٢	٢٣٧٣	٣٢٧	—	٢٠٩٦	٤,٦٤	٥,١٤٠	٦,١٤٠	٦,٦٩٠	٥,٦٤٠	٦٨,—
٦٤/٦٣	٢٦٠٧	١٣٢	١٠	٢٤٨٥						
٦٥/٦٤	٢٤١٠	٢١٠	٤٨٣	٢٦٨٣	٥,٥٠٠	٦,٠٠٠	٧,٠٠٠	٥,٥٥٠	٦,٥٠٠	١٨,٠٠
٦٦/٦٥	٢٥٧٤	٣٥٢	١٥٥	٢٣٧٧						
٦٧/٦٦	٢٦٦٠	٢٨٨	٥٩	٢٤٣١						
٦٨/٦٧	٢٩٠٤	٦١٤	—	٢٢٩٠						
٦٩/٦٨	٣٤٤٨	٨٨٥	—	٢٥٦٣	٥,٥٠٠	٧,٠٠٠	٨,٠٠٠	٨,٧٧٠	٦,٥٠٠	١٨,٠٠
٧٠/٦٩	٣٤٠٣	٦٢٩	—	٢٧٨٤	٥,٥٠٠	٧,٠٠٠	٨,٠٠٠	٨,٥٥٠	٧,٥٠٠	١٨,٠٠
٧١/٧٠	٣٨١١	٩١٨	—	٢٨٨٣						
٧٢/٧١ (١٨ شهرا)	٥٧٥٧	١١٧٦	—	٤٥٨١	٦,٥٠٠	٨,٠٠٠	٩,٠٠٠	٩,٥٥٠	٨,٥٥٠	١٩,٠٠

الأسعار الموضحة للطن فى أكياس ٣ طيات تسليم مصانع القاهرة يضاف مبلغ ٥٦٠ مليم للطن الواحد لجميع الأنواع تسليم المكس الاسكندرية ، يضاف للأسعار نولون النقل والذى يحسب طبقاً لوسيلة النقل وموقع التسليم يضاف رسم إنتاج بواقع ١,٤٠٠ جنيه وأربعمائة مليم للطن اعتباراً من فبراير ١٩٧٢ وأضف رسم خزانة بواقع ١,٠٠٠ جنيه واحد للطن .

جدول رقم (١١)
بيان عن الإنتاج المحلى والاستيراد من حديد التسليح

السنـــة	الإنتاج المحلى بالطن	المستورد بالطن	الإجمالى بالطن
٦٥/ ٦٦	١٧٧٣٢٤	—	١٧٧٣٢٤
٦٦/ ٦٧	١٧٢٢٦٣	٦١٧٧٩	٢٣٤٠٤٢
٦٧/ ٦٨	١٩٢٠٤١	٤٢٣٤٥	٢٣٤٣٨٦
٦٨/ ٦٩	٢٢٩١٤٠	٣٥٩٥٢	٢٦٥٠٩٢
٦٩/ ٧٠	٢٢٢٧٦٩	٣٤١٢٧	٢٥٦٨٩٦
٧٠/ ٧١	١٨٩١٩٦	١٠٣٧٨٢	٢٩٢٩٧٨
٧١/ ٧٢	٢٠٥٠٨٣	٩٠١١٢	٢٩٩٩٥

كما نوضح فى الجدول التالى تطور اسعار مواد البناء (شاملة النقل) خلال هذه الفترة .

جدول رقم (١٢)

تطور أسعار مواد البناء (شامل النقل) بالجنيه المصرى

مواد البناء	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
حديد تسليح ٣٧ بالطن	٥٨	٦٠	٦٤	٦٠	٦٢	٦٢	٦٥	٦٥	٦٨	٨٠	٨٥
أسمنت عادى للطن (أساسى)	٥.١٤٠	٥.١٤٠	٥.١٤٠	٦.٠٠	٦.٠٠	٦.٠٠	٦.٠٠	٧.٠٠	٧.٠٠	٧.٠٠	٨.٠٠
طوب أحمر بالألف	٣.٦	٦.٧	٧.٠٠	٩.٠٠	٧.٥	٧.٥	٧.٥	٦.٠٠	٧.٥٠٠	٨.٥٠٠	٩.٠٠
زلط م٣	.٨٠	١.٠٠	١.٢	١.٥	١.٥	١.٠	١.٢٠	١.٥٠	١.٥٠٠	١.٨٠٠	٢.٠٠
رمل م٣	.٣٧	.٤٥	٠.٧٠	١.٠	١.٦٥	.٦٥	.٧٥	.٨٥٠	.٨٥٠	.٩٥٠	١.١٠٠
جير م٣	٢.٤٠	٣.٠	٤.٨٠	٤.٣٥	٤.١٥	٤.١٥	٤.٢٥٠	٤.٢٥٠	٤.٥٠٠	٤.٥٠٠	٤.٨٠٠
جبس بالطن	٤.٣٠	٤.٨٠	٥.٠	٥.٣٠	٥.٣٠	٥.٣٠	٦.٥٠٠	٦.٥٠٠	٧.٥٠٠	٩.٠٠٠	٩.٠٠٠
بالطين	٥.٢٠	٥.٨٠	٦.٠٠	٦.٢٥	٦.٢٥	٦.٢٥	٧.٥٠٠	٧.٥٠٠	٧.٠٠٠	١٠.٠٠٠	١٠.٠٠٠
خشب سويدى م٣	٣٦.٠	٢٧.٠	٥٠	٦٠.٠٠	٨٠	٨٠.٠٠	٩٠.٠٠	٩٠.٠٠	١٠٠.٠٠	١٠٠.٠٠	
١٠٠.٠٠											

وقد حرصت الدولة على تثبيت أسعار مواد البناء خاصة المستورد منها وعدم زيادتها لنفس النسب التى زادت بها الأسعار فى مناطق إنتاجها وذلك بتحملها فروق الأسعار - وفيما يلى بيان بمعدل زيادة الأسعار فى مواد البناء بالنسبة لسنة الأساس ١٩٦١ (عن بحث زيادة الأسعار تحت إشراف الدكتور مهندس محمد على المصرى - وزارة الإسكان والتعمير) .

السنة	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢
الزيادة التراكمية لأسعار مواد البناء	١٠٠	١٠٣,٤	١١١,٣	١٢١,٥	١٢٥	١٣٧,٣	١٥١	١٥٤	١٥٧	١٦٢,٧	١٦٢,٧	١٧٨

وقد اعترض خطة توفير المواد الكثيرة من الاختناقات بالنسبة للحديد والأسمنت والخشب كمواد أساسية حاكمة فى التشييد إذ كان كثيراً ما لا يتوفر المطلوب من إحداها بالقدر الكافى مما كان له أثره على خطة التنفيذ .

ثامناً : أساليب التشييد :

كان من الضرورى فى تلك المرحلة تطوير وسائل التشييد من العمل اليدوى إلى الميكنة بما يساير التطور الجارى فى مجال الصناعة – وكذا لدعم إمكانات التشييد فى مواجهة الدولة – وقد تمت فى هذه الفترة دراسات عديدة لاستخدام الميكنة فى تطوير أساليب التنفيذ بشركات مقاولات القطاع العام – ومن هذه الدراسات : تصنيع قطاع التشييد – رفع الكفاية الإنتاجية لشركات المقاولات – الإصلاح التنظيمى والاقتصادى – دراسة مشتركة مع الخبراء الروس لتطوير وتصنيع طرق الإنشاء – زيادة ودراسة لمصانع المبانى الجاهزة ببعض الدول الأوربية غير أنه بسبب ما تتطلبه الميكنة من استثمارات ضخمة إلى جانب ما عانته البلاد فى خلال حرب ١٩٦٧ لم يكن فى الإمكان اتخاذ خطوات إيجابية لميكنة أساليب التشييد وكان استخدام العمالة الحرفية فى التنفيذ هو الأسلوب المناسب لظروف الدولة الاقتصادية وإمكانيات التمويل المحلى والخارجى طالما أن هذه العمالة فيها الفائض ولديها القدرة بوسائلها التقليدية على تحقيق الخطة المطلوبة . ولم تتمكن شركات المقاولات بصفة عامة من تطوير أساليبها ولم تسمح إمكانياتها إلا باستعاضة المستهلك من معداتها والحصول على بعض معدات أغلبها من دول الكتلة الشرقية – وذلك لعدم توفر النقد الأجنبى الحر .

تكاليف الإسكان وعبء المسكن ودخل الأسرة :

ارتفعت تكلفة مبانى الإسكان هذه الفترة تدريجياً وباعتبار سنة ١٩٦١ سنة الأساس زادت التكلفة حوالى (١٠٪) سنة ١٩٦٢ وحوالى (١٠٠٪) حتى سنة ١٩٧٢ واتجه الأمر لضغط هذه التكلفة ما أمكن على حساب الوفر فى مسطح المسكن وخفض مستوى مواصفات الأعمال والمواد المستخدمة .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادى عام ١٩٦٢ ١٢ جنيه .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادى عام ١٩٧٢ ١٦ جنيه .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٦٢ ١٦ جنيه .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٧٢ ٢٢ جنيه .

وهذا يتيح قيمة إيجاريه للمسكن الاقتصادى حوالى ٦ جنيهات شهريا للوحدة ٥٠م٢

كما يتيح قيمة إيجارية للمسكن المتوسط حوالى ١٢ جنيهاً للوحدة ٧٠م٢ وبالمقارنة لمستوى الدخل كانت قيمة الإيجار فى الحدود المحتملة ولكن عدم توازن العرض مع الطلب كان له أثره على القيمة الإيجارية للمسكن كسلعة يتزايد عليها الطلب .

* تلك هى الإنجازات .. وفى مجال محدد (كنموذج قطاع الإسكان والتشييد) ، وبلغة رقمية مصمتة وهو ما يقدم فى أغلبه (وليست كله بالطبع) صورة عن إنجازات إيجابية محددة ، على غير ما يذهب أعداء عبد الناصر . وتجربته وبخاصة من الإسلاميين والشيوعيين هذا مع تأكيدنا على أهمية رؤيتهم وأهمية الإنصات إليها والتفاعل الإيجابى معها حرصاً على مستقبل لن تقوم له قائمة إلا بتحالف بين كافة الاتجاهات والتيارات الوطنية .

ملحق (١)

الإشتراكية فى إدراك عبد الناصر

إن الأوضاع القديمة كلها ، تركت للشعب المصرى تخلفاً مروعاً ، إن النهب والإستغلال عبر قرون ، نزحا الجزء الكبير من الثروة المصرية وناتج العمل المصرى ، بل إننى أكاد أقول ، إنها إستهدفت أن تنزح جزءاً من العزيمة المصرية ، حتى تقلل من إحتمالات الثورة . وتؤمن بالسيطرة ، مجال النهب والإستغلال إلى الأبد :

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤م)

إن إرادة التغيير الثورى ، التى تصدت للسيطرة ، تصدت أيضا لآثارها ، وللآثار التى أحدثها النهب والإستغلال .. تصدت للتخلف .. إرادة التغيير التى أسقطت أسباب التخلف .. كانت هى نفسها التى فرضت خطة التقدم .

(العيد الثانى عشرة للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤م)

وكان النجاح العظيم يوم ٢٣ يوليو وخلوده .. كان هذا النجاح كبداية للثورة ومدخل لها .. إن الجيش أدرك مكانه ، وهو أنه جزء من هذا الشعب ، وبالتالى أظهر إرادته كجزء من الإرادة الشعبية ، ولم يكن الأمر بعد ذلك فى حاجة الى عناء كبير ، فإن القلة الرجعية الحاكمة وجدت نفسها تواجه الزحف الشعبى الباسل من غير سلاح فى يدها .

(مؤتمر الإتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩م)

كان علينا أن نتحرر من الماضى .. كان علينا أن نتخلص من براثن الماضى . كان علينا أن نقوم بعملية كاملة لتطوير حياتنا .

كانت هذه العملية هى عملية الإنشقاق من الماضى والتحرر من الأغلال الغير المنظورة والأغلال المادية .. الثمانين ألف عسكرى إنجليزى الذين كانو فى مصر .. السيطرة والإقطاع والإحتكار والرأسمالية المستغلة . والأغلال الغير منظورة التى هى التأثيرالفكرى والإرهاب الفكرى .

عملية الإنشقاق من الماضى ، كانت هى طبيعة هذه المرحلة .. كان مطلوب إستخلاص الآمال الوطنية . كل الآمال الوطنية من كل الضياع التى تدور فيه فى حلقة مفرغة .. إستخلاص الآراء الوطنية من كل أنواع الضغط والقصر .. ثم إستخلاص الثروة الوطنية

من الإحتكار والإستغلال .. ثم البحث عن نقطة البداية السليمة التى نستطيع أن ننطلق منها لأهدافنا الكبرى .

كل هذا كان مطلوب أن يتحقق ، مع معارك لا تنتهى مع كل أعداء الثورة الوطنية والثورة الإجتماعية التى كنا نمر بها من جانب كل اللى مش عايزين للتغير الحتمى أن يأخذ مجاله .. كنا عايزين نحقق هذه الأهداف .

ونحن فى وسط هذه المعركة .. الإستعمار كان لنا معه معارك .. المصالح الدولية ، التى كانت تعتبرنا داخل مناطق النفوذ ، كان لنا معاها معارك ..
(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤م)

إن شعوبنا لا تصنع بالإستقلال علما ونشيداً وصوتاً فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدد فحسب ، ولكنها تريد ، إلى جانب ذلك ، أن يكون للإستقلال مضموناً إجتماعياً ، يصور كرامة البشر ، كما يصون الإستقلال كرامة أرضهم .. كل واحد واجه هذا التحدى حين كان يظن أن أصعب الأوقات قد فاتت بالخلاص من الأجنبى .. وكل منا بغير جدال وقف أمام هذا التحدى يسأل نفسه ، والآن ماذا أفعل ؟
(مؤتمر القمة الأفريقى فى ١٧/٧*١٩٦٤م)

لقد كان إحراز النصر فى هذه المعركة ، هو الضمان الوحيد لتثبيت كل إنتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها .. وكان لابد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الإجتماعية بجناحين من الكفاية والعدل ..

كانت الكفاية تعنى زيادة الإنتاج فى جميع المجالات .. زيادة رقعة الأرض الزراعية .. زيادة غلة كل فدان فى الأرض الزراعية .

كانت تعنى زيادة المصانع بالتوسع فيها طبقاً لخطة مطابقة لإحتياجنا وبتدعيم الكفاية الإنتاجية لكل ما كان لدينا منها ولكل ما نبنيه عندنا من جديد .

كانت تعنى توجيه المال الداخلى وتحويله إلى طاقة خالقة وتحريكه بكل سرعة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية .

كانت تعنى التوسع الكبير فى وسائل المواصلات ، فى القوى الحركة فى الخدمات

التى تمكن القوى البشرية للوطن من أن تعطى للإنتاج دون ما عقبات أو موانع كل ما تملكه من قدرة على الفكر وعلى الغمل ولقد كان ما تم إنجازه فى هذا المجال ضخماً وكبيراً .

لقد أنشئت الأجهزة العاملة بكل الوسائل ووضعنا تحت تصرفاتها من الإمكانيات ما يمكنها من فتح الطريق أمام العمل الجدى فى جميع القطاعات .

(خطاب فى ١٩٦١/١٠/١٦)

ولا يمكن أن يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على إنهاء سيطرة رأس المال على الحكم .. والعمل على إنهاء الإقطاع .. والعمل على زيادة الإنتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..

سيطرة رأس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية رأس المال ، وبقاء البناء الإجتماعى والإقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الرأسمالية .

وإذا سيطرت الطبقة الرأسمالية على البناء الإجتماعى والإقتصادى ، فإن معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر أو غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الأقطاع وديكتاتورية رأس المال التى تحاول أن تخضع المجتمع كله للإستغلال والسيطرة ..

إننا رأينا قبل الثورة كيف أن الوزراء كانوا يشتغلوا عند الرأسمالية .. ازاى الوزراء بيقبضوا ، إزاى الوزير كان فى الحكم ، وكان يأخذ ماهية من فلان أو فلان .. أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة وإنقالت فى محكمة الثورة ..

إذن ديكتاتورية رأس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدبر الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من أجل إستغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح .

(عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢م)

تحالف الإقطاع ورأس المال قد سقط ، وإسترد الشعب أرضه ليزرعها .. يسنده تنظيم تعاونى . رأس المال يعطى ليهم كسلفيات بدون فوائد . إسترد الشعب المصانع من تحالف الإقطاع مع رأس المال ، للشعب .. للعمال .. يشتركون فى إدارتها ، ويشتركون فى أرباحها ، ويصبح العمال أسياد للآلات لا عبيد لها .. ولا وقوداً لهذه الالات وفى حمايتهم كل إمكانيات التأمين الإجتماعى ضد الأمراض وضد الإصابة .. وضد البطالة وضد المرض

وضد الشيخوخة ..

إسترد الشعب أمواله المنهوبة . وجهها للتنمية الشاملة ، علشان يزرع أرض جديدة ليقيم مصانع جديدة ، لنبنى مراكز للخدمة الإجتماعية والصحية والثقافية جديدة . لرفع الحياة على أرض الوطن ، ولزيادة فرص العمل أمام أجيال تأتى إلى الحياة ، وتطالب بالحق فيها ، من أجل مجتمع يقوم على دعائم الكفاية والعدل .. ولقد كان منطقياً بهذا ضرورياً أن يخرج السلطة من تحالف الأقطاع ورأس المال .

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليوا ١٩٦٤م)

لقد كان القضاء على الإستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت إلى الإستغلال ضربات متلاحقة ، بدأت بالإصلاح الزراعى ، إلى تأميم قناة السويس ، إلى التمصير ، إلى تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، إلى قرارات يوليو المجيدة وقرارات أغسطس ١٩٦٣م وقرارات مارس ١٩٦٤م التى أنهت مشكلة التعويضات على التأميم ، وقامت بعملية تصفية للإمتيازات القديمة لم يكن منها مفر .

ولم يكن توجيه الضربات إلى الإستغلال موقفاً سلبياً ، ولكن تحويل رأس المال الضخم أداة الإستغلال الرئيسية ، إلى الإنتاج العام والخدمة العامة ، كان من أبرز نقط الإرتكاز للعمل الوطنى الإيجابى .

إن تحويل المقادير الضخمة من رأس المال ، إلى ملكية الشعب العامل ، وإلى خدمته ، ساعدت إلى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، أو بالطريق غير المباشر .

إن الأرض التى وزعها الإصلاح الزراعى من أملاك أى إقطاعى قديم ، حولت فلاحاً معدماً وأسرته ، إلى مالك له حق الحياة .. ورأس المال الضخم ، الذى تحرر من الإحتكار ، شارك فى إقامة مصانع ، أتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلاً أمامه أبواباً إلى مراكز القيادة فى وحدات الإنتاج الضخمة .

(مجلس الأمة فى ١٩٦٤/٣/٢٥م)

هكذا سقط الملك .. وسقط الحكم الملكى بعد أيام من إعلان الجيش لموقفه .

وهكذا سقط الإقطاع ، وسقطت سيطرة رأس المال على الحكم ، وفقدت الأحزاب القائمة مقومات وجودها ، وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً لتصحيح الأوضاع .. ولقد كان مستحيلاً أن تبقى الفرصة حكراً بالوراثة لقلة من المواطنين .. وكان مستحيلاً أن يبقى الجهل والمرض والضعف حكراً بالوراثة لكثرة من المواطنين .

(مؤتمر الإتحاد القومى ٩/٧/١٩٦٠م)

إن أخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف إجيالاً عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع إلى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع إلى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضاً .

إننا لا نملك أن نتخلف إطلاقاً عن العالم الجديد ، ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. إننا تخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء ..

ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له إذا فاتنا الفجر الجديد .. إن الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم فى الوجود .

هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ، وأحب أن أضيف إليها .. أن هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الإستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه .

كانت حركة النضال اليومى للجماهير ، تؤكد لى فى كل لحظة ، أن هذا الجيل هو الذى إختار قدره بالثورة .. وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة إليها هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على أنه لابد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولابد من الوصول إلى مستوى التقدم المقبول عالمياً وإنسانياً .

(مجلس الأمة فى ١٦/٣/١٩٦٥م)

إن إرادة التغيير .. هى أرادة هذا الشعب ، رفع مستوى المعيشة ، مضاعفة الإنتاج ، زيادة

الدخل القومى – هو سبيلنا لأن نعيش حياة سعيدة .. وعلى أن نوفر لأبنائنا حياة أسعد من بعدنا .

(خطاب فى ١٩٦٣/١/٩)

أنه بات محتماً أن نسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر . ولقد طلبت إلى الأجهزة المسئولة عن التنمية أن تدرس إمكانية مضاعفة الدخل القومى فى أقل من عشر سنوات ولابد لنا أن نسير وأن نبنى .. وما من جدال أن الإطار الإشتراكى للمجتمع الآ يساعدنا على دفع عجلة الإنتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة .

(خطاب فى ١٩٦١/١٠/١٦)

علينا واجب كبير من أجل بناء هذه الأمة ، ومن أجل أن ننجز فى ٣٠ سنة ، ما أنجزته أوربا فى ٣٠٠ سنة .. إذا كنا عايزين تعيش عيشة سعيدة .

(خطاب فى ١٩٦٢/٧/٢٤م)

لازم نؤمن ونصمم على أن نتغلب على هذا التحدى ، اللى هو البيت الطين ، اللى ورثناه من عهد الإقطاع بيت الفلاح ، المسافة بينه وبين المعمل اللى لازم نقطع هذه المسافة فى أسرع وقت علشان تقدر تقول إن إحنا فعلاً بنينا بلدنا وطورنا بلدنا ..

(عيد النصر السادس ٦٣/١٢/٢٣)

وكان الإتجاه الذى إنتهى إليه الشعب فى الميثاق ، هو أن الحل الوحيد لمواجهة المستقبل ، وصنع التقدم المحقق فيه ، هو بذل الجهود المضاعفة ، من أجل التنمية مع الاحتفاظ للإنسان المعاصر ، بكل حقوقه فى الحياة .

إن شعبنا خرج من هذه الدراسة الشاملة لموقفه ، ولمشاكله ، ولخططه المقبلة ، بما يمكن تلخيصه فى جملة واحدة .. «إن تحدى الحياة يفرض عليه أن يقوم بما يشبه المعجزة .. من أجل التنمية بإعتبارها الصيغة المحققة للتقدم فى جميع نواحيه» .

ولقد كان الرأى الذى إنتهى إليه إجماع شعبنا ، هو أن هذه المعجزة مع صعوبتها ليست مستحيلة بل هى ممكنة ، بالإرادة الإنسانية ، وبالعمل الإنسانى ، وبالعقل الإنسانى .

(مؤتمر التنمية الإقتصادية ١٩٦٢/٧/٩م)

نبدأ من تخلف طويل ، أحدثه القهر والنهب الإستعمارى ، وضاعفت مسافته عزلة عن

مجرى الحضارة فرضت علينا .

نبدأ ومن حولنا عقبات متشابكة ، تقتضينا الجهد الطويل لكى نعبر على نقطة البداية الصالحة للمواجهة ، وعلى مركز الإنطلاق الموائم .

نبدأ ومن وراءنا دفع متزايد من آمال شعوبنا التى أضناها الحرمان ، وتريد أن تعوض الماضى ، وتهرع لاحقة بالمستقبل .

نبدأ فى جو مشحون بالمعتقدات الإجتماعية المختلفة ، كل منها تعرض علينا إجابة لا إجابة غيرها على التحدى الذى نواجهه .

نبدأ والمسافة بيننا وبين من سبقونا إلى التقدم تزداد إتساعاً بحكم الثورة العلمية وإحتمالاتها .

نبدأ والكثيرون منا يواجهون ظروفاً وقيوداً لا يستطيعون إخضاعها لآمالهم بين يوم وليلة .. مواردهم لم تخلص لهم بعد ، أو هى شحيحة لا تفى بالمنتظر ، والخبرة نادرة ، والتكنولوجيا الحديثة محتكرة أو هى غالية .

ما الذى تصنعه ؟ وأين الطريق الصحيح ؟

(مؤتمر القمة الأفريقى ١٩٦٤/٧/١٧م)

كان محتماً أن نفتح الطريق أمام العدل . ولقد كان ذلك يقتضى أن نسير فى طريقين :

أولاً : تعبئة الإقتصاد القومى ، حتى تتسع أفاقه ، إلى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيباً منه .

ثانياً : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس ، إحقاقاً لمبدأ العدل الإجتماعى ، وتمكيناً للإستقرار داخل الوطن .

(مجلس الأمة فى ١٩٦٠/١١/٤م)

سنة ٥٢ حصل إيه ! إيه الأموال اللى استثمرت من أجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى إستمر من أجل التصنيع مليون جنية و ١٠٠ ألف كمان أو ١٢٠ ألف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص .

إحنا تركنا رأس المال يعقد الإتفاقات فى الخارج .. رأس المال بتوفر له العملة الصعبة .. بتوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل ، وهو كل اللى عمله كان بيأخذ أرباح

المصانع ، إيه المخاطرة اللى فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ، مفيش مخاطرة ، بأى حال من الأحوال ، مشروعات طبعاً تحولت إلى أرباح شخصية ، كلنا نعرف أن المشروعات الصناعية حققت أرباح كثيرة فى السنين الأخيرة ، نظراً لمنع إستيراد جميع البضائع الإستهلاكية وإحنا بنستورد فى الإستهلاك ١٠٪ ولكن ١٠٪ تبان لأن إحنا الإستيراد بتاعنا بيزيد ، ولكن الباقى الـ ٩٠٪ بنستورد المواد الخام أو السلع .

(خطاب فى ١٩٦١/١١/٢٥م)

مشروع كهربة خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربة خزان أسوان ؟ لأن مشروع كهربة خزان أسوان لما يتنفذ حيبقى فيه مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال ، وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيحصل إيه ؟ . حيطالبوا بحقوقهم . ويعملوا تكتلات ، يبقى خطر عليهم ، وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة .

(خطاب فى ١٩٦٣/١/٩م)

بعدين لما أعلنا تأميم الشركات البريطانية أو الفرنسية ، مش تأميم تأميم ، أعلنا تمصير .. على طول إتلموا على بعض وتقدموا .. وكل واحد فيهم عايز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء اللى أصلها فرنسية أم أصلها إنجليزية . وأنا فى هذا اليوم قلت إن جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع بأى حال إن أحنا نخلى الرأسماليين يزيدوا من تحكمهم ، بأنهم يأخذوا أيضا ، ممتلكات فرنسا وممتلكات إنجلترا .

كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت إن إحنا نقيم القطاع العام ، ونبدأ قطاع عام فعلاً ، على أساس واسع ، ونبدأ فى تطبيق الإشتراكية بمفهومها الحقيقى اللى يبدأ بخلق قطاع عام فى الصناعة وفى التجارة .

(اللجنة التحضيرية ١٩٦١/١١/٢٥م)

بعد كده بدأ الإنحراف ، إنحراف إزاى ؟ بقى فيه قطاع عام ، بقى فيه قطاع خاص ، القطاع الخاص عايز يكسب ، الصناعة اللى كانت بـ ٢ مليون جنيه ، بقت ٨٨ مليون جنيه .

المبانى اللى كانت فى ٥٢ بنبنيها بـ ٥ مليون جنيه ، تيجى فى سنة ١٩٦٠م الحكومة بتنزل بـ ١٦٠ مليون جنيه ، للعمليات اللى فى المشروعات الحكومية اللى لا أول لها ولا آخر .

الرأسمالية المستغلة تنفذ وتريد أن تربح ، موش الربح الحلال اللى مفروض يكسبوه ، ولكن الربح الحرام .

بعض الناس رفضوا آلات جيه من الخارج ، دفعين فيها عملة صعبة .. فى التوريد بيرشوا .. فى التصدير بيرشوا .. وفى الإستيراد بيرشوا لأنه حايحقق أرباح وعايز يحقق أرباح .

(خطاب فى ١٩٦١/١١/٢٥م)

فى سنة ١٩٦٠م أنا كنت أشعر إن إحنا يمكن الدفع الثورى غير قائم . الثورة بدأت تتعثر ، الرأسمالية المستغلة بدأت تنفذ ، وبدأت تتهرب ، وبدأت تتسلل للصف .. والأمثلة كانت واضحة أمامى ، وكانت باينة ، كان الخطر إيه ؟ الرأسمالية المستغلة والرجعية توشك أن تجند الثورة الوطنية أو تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص .

(خطاب فى ١٩٦١/١١/٢٥م)

لقد قمنا برحلة طويلة ، لكن كان من المهم أن تعود إلى قياس الطريق الذى قطعناه ، لكى نتأهب لمسئولية الطريق الذى ما زال يمتد أمامنا .. لكى يكون لنا ما حققناه ، دافعاً إلى ما ينبغى أن نحققه .. لكى ندرك بتقدير المسئولية لا يشوبه الغرور أو الإستعلاء ، إن أكتافنا تستطيع أن تتحمل عبء عصرنا وأمانيه ..

ولقد كانت تلك .. مرحلة التحول العظيم .. بكل أثقالها الضخمة وآمالها المجنحة .. بكل أخطارها المروعة وإحتمالاتها المفعمة بالرجاء .

كانت فوق وجداننا أثقال قرون تضغط عليه وتشده ، وكنا نستطيع أن ننكص عن قبول تحدى العصر ، نكتفى بعد ٢٣ يوليو بتغيير فى شكل الحكم لا يصل إلى المضمون ، هروباً من فداحة المهمة التى تنتظر كل من يتصدى للتغيير الجذرى لأوضاع المجتمع .

وكان يمكن أن تشدنا الواجهات الشكلية للديمقراطية ، ولقد كدنا أن نقترب من هذا المنزلق سنة ١٩٥٤م ، ناسين أن القوة السياسية فى أى مجتمع ، هى تعبير خارجى عن مواقع

القوة الإقتصادية ، ومهما أنشأنا من الواجهات ، ومهما أطلقنا عليها من الأسماء البراقة والصفات ، فلسوف يبقى دائما ، أن كل شيء خارجى ليس إلا غطاء للحقيقة الداخلية ورداء ، وإذا كانت القوة الإقتصادية ، كما كان حالها سنة ١٩٥٤م ، فى يد القلة ، فمعنى ذلك إن القوة السياسية كانت باقية فى يد القلة ، بصرف النظر عن بلاغة الشعارات ورنينها فى الأسماع .

وكان يمكن أن تقودنا ظروف الواقع ، إلى قبول أحكامها ، تظل الأمور تدور فى الحلقة المفرغة ، تضيع بدايتها ونهايتها .. كان يمكن أن نقبل فى هذه الفترة ما كان يبدو حقيقة واقعة ، وهى أن طاقاتنا الحالية ، لا تستطيع أن تصل إلى مستوى آمالنا ومن ثم فلابد من التواضع بالآمال إلى قرب الطاقة الحالية .. ولقد كان من هنا التخوف من خطة لتنمية الدخل القومى ، تستهدف مضاعفته ، مرة على الأقل ، كل عشر سنوات .. ولقد كان التجاوز عن الأمل والقبول بظروف الواقع ، إستسلاماً له ، ويأساً من الثورة ، وتسليماً بعجزها عن التغيير الثورى .

كذلك كان يمكن أن يضللنا فى هذه الظروف ، مظهر الرخاء عن ، جوهر الرخاء ، إن الرخاء للقلة على حساب الكثرة فى المجتمع ، صدام فى داخله ، لا يمكن تجنبه ولا ضمان سلامته ، فضلاً عن عدم أخلاقياته ومنافاته لكل مبدأ إنسانى ، بل كل حق إنسانى .

ولقد أدركنا بوضوح ، أن التنمية لابد أن تقترن بالتوزيع ، كذلك أدركنا ، أن سلامة الأقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا فى أسواق المضاربة الدولية .

إن السلامة الحقيقية للإقتصاد ، تقاس بقدرته على الإنتاج ، وليس يهمنا أن يظل النقد المصرى محتفظاً بشكل قيمته ، متحرراً عن أعباء التنمية ، متسكعاً فى أسواق المضاربة الدولية عاطلاً مستهتراً ، لكنه براق المظهر يتحرك فى جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان أسهل أن نوفر له ذلك الشكل الخارجى ، ونوفره عن العمل ، ونتركه للتسكع الطليق ، لكننا نطلب من كل قيمة فى وطننا ، كما نطلب من كل إنسان فرد ، أن يتحمل طاقته أداء للواجب .. ونهوضاً بأمانيه .

(مجلس الأمة ١٩٦٤/٣/٢٥م)

نتحدث عن رؤوس الأموال الأجنبية .. فنحن لم نشجع هذه الأموال التى أرادت أن

تستغل ، وفضلنا عليها القروض ، لأن رأس المال الأجنبى الذى يصل إلى الجمهورية العربية المتحدة ، إلى مصر ، يستخدم فى الإستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام أرباح ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الأرباح إلى الخارج .

ومعنى ذلك أننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لرأس المال تحول بالعملة الصعبة إلى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة تفضل فيها أن نأخذ القروض ، ونسددها على سبع سنوات أو عشرين سنة أو ١٢ سنة أو أكثر ، ولهذا عندما نأخذ رأس المال الأجنبى ننتهى منه بعد عشر سنوات أو أكثر .

وهناك إستثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج إلى إستمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلا أو المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس أموال أجنبية إستثمرت بالنسبة لشركات الأدوية .. ولكن إشترطنا أن يكون نصف رأس المال أجنبى ، ونصف رأس المال وطنى .

والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبترول ، ونحن لدينا مناطق واسعة ولم نبحث فيها عن البترول أبداً ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ رأس مال وطنى عندها ٦١ منطقة تبحث فيها عن البترول ولدينا شركات أخرى ٥٠٪ رأس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن أن تحقق إمكان البحث عن البترول فى جميع أنحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، أعطينا لرأس المال الأجنبى الحق فى الإستثمار على أن يكون شريكا لرأس المال الوطنى ، أى رأس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ رأس مال أجنبى و ٥٠٪ رأس مال وطنى .

وعلى كل حال ، بالنسبة لرأس المال الأجنبى ، الذى يريد الإستثمار فى مصر ، ليس هناك قاعدة مطلقة ، ونحن نبحث كل طلب على حدة ، والطلب الذى نجد أنه يفيد التطور ، ويدخل ضمن الخطة ، ممكن أن نوافق عليه .

(المؤتمر الصحفى الدولى الثالث ١٩٦٣/١٠/١م)

إن المصالح الرأسمالية المتحكمة فى الوطن ، أدركت منذ اليوم الأول ، أنها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم الذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢م لكن الرأسمالية المتحكمة ، تصورت أنها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ،

وزيادة تركيز إحتكارها للثروة ، من إحساسها برغبة الثورة فى توسيع قاعدة الإنتاج .

ولم تدرك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة المجيدة .. يتعين عليها أن تسأل نفسها دائماً زيادة الإنتاج لمن ؟ .. ولقد بدأت الإرادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عملياً بالإتجاه إلى إقامة وحدات إنتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلاً فى البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التى جرى تأميمها ونقلها إلى الملكية العامة ، ثم إتباعها بقرارات يوليو الإشتراكية سنة

١٩٦١م التى ضمنت الملكية العامة للجزء الأكبر من وسائل الإنتاج خصوصاً فى المجال الصناعى ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للإنتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى والجوى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الإستهلاكية بما لا يسمح بالإستغلال .

وإرتبط لذلك تحقيق إشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر أى إحتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجالها واسعاً فسيحاً للنشاط الخاص .

وبذلك فإن الإقطاع التقليدى ، الذى أراد أن يهرب إلى المظهر المصرى للإستغلال الرأسمالى ، قد تهاوى من جميع أركانه وتداعى ، خصوصاً بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكته فى نهب ثروة الشعب وجهده .

(إفتتاح مجلس الأمة ١٩٦٤/٣/٢٥م)

جربنا وسائل الإصلاح التقليدية .. جربنا التمصير قبل التأميم . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا أن فيه أموال أيضا تتحول للخارج ، وفيه إستغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الإستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه إلى التأميم ، وأن نضع الأسس التى تمكننا من إقامة عدالة إجتماعية . إقامة مجتمع متحرر من الإستغلال السياسى والإقتصادى والإجتماعى .

(العيد العاشر للثورة ١٩٦٢/٧/٢٢م)

ولقد كان هذا يحتم وجود خطة شاملة ، يجرى التطوير الإقتصادى والإجتماعى وفقها ، وعلى أساسها ، ولكن وضع خطة شاملة كان يتطلب أن تستبين الصورة كلها ، وتدرس دراسة مفصلة ، وفى الوقت نفسه بدء العمل دون تأخير .

(مؤتمر الإتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩م)

وليس التخطيط هو وضع كشف للأمانى والأحلام .. ومثل هذا التخطيط ضياع من الأوهام لا يصل إلى غير الفشل .. وأما التخطيط الناجح .. التخطيط العلمى فهو بمثابة التصميم الأصلى لبناء على إتساع رقعة وطن بأكمله ، البناء الإقتصادى والإجتماعى والثقافى .. يقوم على حساب دقيق لإحتياجات المستقبل ، وعلى حساب دقيق لتعبئة الموارد ، وعلى حساب دقيق لتحقيق المراحل مرحلة بعد مرحلة .. كما يرتكز كل طابق على ما تحته وتقوم الطوابق كلها على أساس متين .

(العيد العاشر للعلم ١٩٦٤/١٢/١٤م)

الخطة الإنتاجية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقوم بها الدولة فقط ، ولكن يجب أن تكون على جميع المستويات ، فى جميع أنحاء الجمهورية ، وأنه حينما تقوم الدولة بخطة عاجلة للإنتاج فإن على كل مؤسسة ومصنع وشركة ، أن تقوم بدورها بعمل خطة تناسب محيطها وعملها . وبهذا تكون هناك خطط صغيرة متكاملة إلى جانب الخطة العامة الكبرى التى تقوم بها الدولة وتعمل على تنفيذها ، وتدعو الشعب إلى أن يتكاتف وإلى أن يضعها موضع التحقيق .

(خطاب بحلوان ١٩٥٩/٧/١٤م)

لم تكن مبادرة الجيش فى ٢٣ يولو ١٩٥٢م إلى التدخل ، إلا تعبيراً عن هذا الغليان ، ولقد كان تدخل الجيش يوم ٢٣ يوليو ، بمثابة فتح الباب أمام العمل الثورى . ولقد كان تصورى الشخصى كواحد من الذين إشتركوا فى أحداث ٢٣ يوليو ، أن الشعب متحفز إلى ثورة ، وأن العقبة الوحيدة ، هى أن القلة الحاكمة ، سواء فى ذلك الإستعمار أو القصر أو الأحزاب أو الرجعية ، ترهب جموع الشعب لسيطرتها على الجيش وسلطتها فى إصدار الأمر إليه بقمع كل ثورة يختلج بها الكيان الشعبى .

وكانت خطة ٢٣ يوليو ببساطة ، تتجه فى عملها إلى مجرد أن يعلن الجيش موقفه بوضوح فى الصراع الذى يمزق الوطن ..

(مؤتمر الإتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩م)

كان عندنا إستعمار بريطانى .. كان عندنا ٨٠ ألف عسكرى إنجليزى .

كنا واقعين تحت سيطرة الملكية الرجعية .. كان الإقطاع بيتحكم ورأس المال المستغل ، كان يسيطر ويحكم .. الإحتكار كان يسيطر .

كل هذه أوضاع قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤)

ملحق (٢)

التشريعات المتصلة بنشاط الإسكان فى الفترة من عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٨٠م

أولاً : فى مجال التعمير والتخطيط والتقسيم :

١ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠م فى شأن تقسيم الأراضى المعدة للبناء (معدل بالقانون رقم ٢ لسنة ١٩٥١م) .

٢ - القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٩م باجازة تحديد مناطق صناعية فى المدن ومجاوراتها .

٣ - المواد من ١٠ - ١٥ من القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م فى شأن المساكن الشعبية

٤ - القانون رقم ٧١٢ لسنة ١٩٥٤م فى شأن حظر إقامة مبانى أو منشآت فى الأماكن المجاورة للمصانع الحربية .

٥ - القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٥٦م فى شأن نزع ملكية الأحياء لإعادة تخطيطها وتعميرها .

٦ - القانون رقم ١ والقانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٣م فى شأن المنشآت والمناطق السياحية .

٧ - القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٤م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بالتعمير .

٨ - القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٩م فى شأن إنشاء المجتمعات العمرانية الجديدة .

ثانياً : فى مجال الهدم والبناء :

١ - القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨م فى شأن تنظيم المبانى .

٢ – القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء والهدم .

٣ – القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المنشآت الآيلة للسقوط .

٤ – القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٥٤م فى شأن تنظيم المبانى (الذى ألغى القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٤٨م .

٥ – القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦١م فى شأن تنظيم هدم المبانى .

٦ – القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنظيم المبانى (الذى الغى القانون رقم ٦٥٦ لسنة ١٩٥٤م .

٧ – القانون رقم ٦ لسنة ١٩٦٤م فى بشأن أسس تصميم وبشروط تنفيذ الأعمال الإنشائية وأعمال البناء .

٨ – القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء .

٩ – القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٦م فى شأن ترميم وصيانة وتعلية المبانى .

١٠ – القانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م المعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٨م بإعفاء المبانى المخالفة .

١١ – القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٦٦م بإعفاء المبانى المخالفة التى أقيمت بعد العمل بالقانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م .

١٢ – الباب الثانى من القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين (الذى حل محل القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م) .

١٣ - القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٧٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء (الذى ألغى كلا من القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م ، والقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م) .

١٤ - الباب الثانى من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين فى شأن هدم المبانى غير السكنية لإعادة بنائها وفى المنشآت الآيلة للسقوط والترميم والصيانة (الذى حل محل القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م) .

١٥ - مجموعة القوانين المقيدة للبناء ومن أهمها قانون الزراعة الصادر عام ١٩٦٣م المعدل بالقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٣م ورقم ٥٩ لسنة ١٩٧٨م وكذا قانون الآثار رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١م والتشريعات الخاصة بالمناطق الشاطئية والمطارات وقانون الطرق العامة رقم ٨٤ لسنة ١٩٦٨م الذى يفرض قيوداً على الأراضى الواقعة على جانبى الطرق العامة .

١٦ - القانون رقم ١٣٥ لسنة ١٩٨١م فى شأن المبانى العامة .

ثالثاً : فى مجال الإسكان :

١ - القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م الخاص بالمساكن الشعبية (المعدل بالقانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٤م ، والقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٠م) .

٢ - القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٥١م بشأن قطع المياه الرئيسية عن الأماكن المؤجرة .

٣ - القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦م بأحكام قانون الجمعيات التعاونية .

٤ - القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٧م بشأن الإشراف على المساكن الشعبية .

٥ - القانون رقم ٢٣٠ لسنة ١٩٥٩م فى شأن إقراض الجمعيات التعاونية لبناء المساكن .

٦ - القانون رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥م فى شأن التعاون الإستهلاكى الذى يسرى على الجمعيات التعاونية لبناء المساكن (الغى بالقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى) .

٧ - القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٧٠م فى شأن الحراس الخصوصيين .

٨ - القانون رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٦م فى شأن صندوق تمويل مشروعات الإسكان الإقتصادى .

٩ - القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى .

رابعاً : فى مجال تشريعات إيجار الأماكن :

١ - القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين وقد وردت عليه التعديلات التالية حسب ترتيب صدورها .

٢ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٩م بإضافة فقرة إلى المادة الثانية فقرة (هـ) بوضع حد لإستعمال حق المالك فى هدم الأماكن المؤجرة بقصد إستعمالها لدور التعليم الحرة أو الحكومية .

٣ - القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٤٩م بشأن العقوبة الجنائية التى توقع على المؤجر لمخالفة بعض أحكام القانون ١٢١ لسنة ١٩٤٧م .

٤ - المرسوم بقانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بشأن تخفيض أجور الأماكن التى أنشئت منذ أول يناير سنة ١٩٤٤م بنسبة ١٥٪ .

٥ - القانون رقم ٦٥٧ لسنة ١٩٥٣م فى شأن الأجازة لناظر الوقف فى طلب الإخلاء إذا تنازل المستأجر عن الإيجار أو أجر المكان كله أو بعضه من الباطن .

٦ - القانون رقم ٥٦٤ لسنة ١٩٥٥م بشأن عدم سريان أحكام القانون رقم ١٢١م لسنة ١٩٤٧م على المساكن الملحقة بالمرافق والمنشآت الحكومية المخصصة لسكنى موظفى هذه المرافق وعمالها .

٧ - القانون رقم ٣٥٣ لسنة ١٩٥٦م بشأن وجوب موافقة اللجنة المشار إليها فى القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م لإمكان إخلاء المكان بسبب هدمه وإعادة بنائه .

٨ - القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بشأن تخفيض أجور الأماكن المنشأة منذ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢م بنسبة ٢٠٪ إبتداء من الأجرة المستحقة عن شهر يوليو سنة ١٩٥٨م .

٩ - القانون رقم ١٩٦٨ لسنة ١٩٦١م بشأن تخفيض أجور الأماكن التى أنشئت بعد العمل بالقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بنسبة ٢٠٪ وذلك إبتداء من الأجرة المستحقة عن الشهر التالى لتاريخ العمل بهذا القانون .

١٠ - القانون رقم ١٦٩ لسنة ١٩٦١م بشأن الإعفاء من الضريبة العقارية لبعض العقارات وتخفيض أجور هذه العقارات بمقدار هذا الإعفاء .

١١ - القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٦٢م بتجريم خلو الرجل .

١٢ - القانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٦٢م بتعديل نطاق سريان القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٤٧م .

١٣ - القانون رقم ٧ لسنة ١٩٦٥م فى شأن تخفيض إيجار بعض الأماكن .

١٤ - القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٥م الذى الغى حق المؤجر فى طلب الإخلاء لحالة الضرورة أو الهدم لقصد إعادة البناء .

١٥ - القانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٦م بتعديل الفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م المتعلقة بتقييد الإخلاء بسبب التأخر فى سداد الأجرة .

١٦ - القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد إيجار الأماكن (المعدل بالقانون رقم ١٣٣ لسنة ١٩٦٣م) .

١٧ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين .

١٨ - أمر نائب الحاكم العسكرى رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م فى شأن بعض التدابير الخاصة بتأجير الأماكن وتمليك العقارات المبنية والأرض الفضاء وإستهلاك المياه وخلو الرجل .

١٩ – أمر نائب الحاكم العسكرى العام رقم ٥ لسنة ١٩٧٦م بتعديل بعض أحكام أمر نائب الحاكم العسكرى العام رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م .

٢٠ – القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

٢١ – القانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨١م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بتأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

خامساً : فى مجال المرافق :

١ – القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م بشأن صرف المياه للمحال العمومية والصناعية فى المجارى العمومية .

٢ – القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م الخاص بصرف مياه المبانى والمواد المتخلفة فى المجارى العامة .

٣ – القانون رقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م فى شأن صرف مياه المحال العمومية والتجارية والصناعية فى مجارى المياه .

٤ – القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢م فى شأن صرف المتخلفات السائلة (إلغاء القوانين رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م ورقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م ورقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م المشار إليها) .

٥ – القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٤م فى شأن منشآت قطاع الكهرباء .

٦ – القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٧٨ بتنظيم الموارد العامة اللازمة للشرب والإستعمال الآدمى .

سادساً : فى مجال الصحة العامة وتحسين البيئة :

١ – القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م بشأن الباعة المتجولين .

٢ – القانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٤٦م والقانون رقم ١٧٧ لسنة ١٩٦٠م فى شأن التخلص من البرك والمستنقعات ومنع إحداث الحفر .

٣ - القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م بتسوير الأراضى الفضاء والمحافظة على نظافتها .

٤ - القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م فى شأن نظافة الميادين والطرق والشوارع وما إليها وتنظيم عملية جميع ونقل القمامة .

٥ - القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٧ فى شأن الباعة المتجولين (الغى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م المشار إليه) .

٦ - القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧م فى شأن النظافة العامة (وقد الغى القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م ورقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م المشار إليهما) .

٧ - القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٧٨م فى شأن التخلص من البرك والمتستنقعات ومنع إحداث الحفر .

سابعاً : فى مجال التراخيص للمحال بمختلف أنواعها :

١ - قرار وزير الداخلية فى ١٢ يوليو سنة ١٩٦١م ، بلائحة التياترات .

٢ - القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م الخاص بالمحلات الخطرة والمقلقة للراحة والضارة بالصحة .

٣ - القانون رقم ٤٥٣ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المحال الصناعية والتجارية وغيرها من المحال المقلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة (الغى القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م) .

٤ - القانون رقم ٣٧١ لسنة ١٩٥٦م فى شأن المحال العامة (الغى القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤١م) .

٥ - القانون رقم ٣٧٢ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الملاهى . (الغى قرار وزير الداخلية الصادر لسنة ١٩١١م فى شأن التياترات) .

٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٩١ لسنة ١٩٦٧م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بالأمن الصناعى والتراخيص بإقامة المحال الصناعية والتجارية والمحال العامة والملاهى .

ثامناً : فى مجال أملاك الدولة الخاصة :

١ - الدكريتو الصادر عام ١٩٠٢م بلائحة شروط وقيود بيع أملاك الميرى الحرة .

٢ - القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الأموال المستردة .

٣ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٦٢م فى شأن التركات الشاغرة .

٤ - القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م بتنظيم تأجير العقارات المملوكة للدولة ملكية خاصة والتصرف فيها المعدل بالقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٧م .

٥ - القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٨١م فى شأن الأراضى الصحراوية (الذى ألغى أحكام القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م فيما يتعلق بالأراضى الصحراوية .

تاسعاً : فى مجال تملك غير المصريين للأراضى والعقارات المبنية :

١ - القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣م بحظر تملك الأجانب للأراضى الزراعية وما فى حكمها .

٢ - القانون رقم ٨١ لسنة ١٩٧٦م بتنظيم تملك غير المصريين للعقارات المبنية والأراضى الفضاء .

عاشراً : فى مجال نزع الملكية :

١ - القانون رقم ٥٧٧ لسنة ١٩٥٤م بشأن نزع ملكية العقارات للمنفعة العامة أو التحسين (معدل) .

٢ - القانون رقم ٢٢٢ لسنة ١٩٥٥ بشأن فرض مقابل تحسين على العقارات التى يطرأ عليها تحسين بسبب أعمال المنفعة العامة .

حادى عشر : فى مجال إستعمال الطرق والميادين العامة :

١ - المرسوم الصادر فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٨م بلائحة الإعلانات .

٢ - القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م بإستعمال الطرق العامة وأشغالها .

٣ - القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم الإعلانات . (الغى المرسوم الصادر

سنة ١٩٣٨م ملائحة الإعلانات) .

٤ - القانون رقم ١٤٠م لسنة ١٩٥٦م فى شأن أشغال الطرق (الغى القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م) .

ثانى عشر : فى مجال المقاولات :

١ - القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنفيذ أعمال خطة التنمية الإقتصادية .

٢ - القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بشركات المقاولات .

٣ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م بقصر أعمال المقاولات للحكومة والمؤسسات والشركات شبه الحكومية على الشركات التى تساهم فيها الحكومة والمؤسسات بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ من رأسمالها (الحد المسموح به للقطاع الخاص مائة ألف جنيه سنوياً) .

٤ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٨٧٥ لسنة ١٩٦٥م بجواز إدخال الجمعيات التعاونية للإنشاء والتعمير بالمحافظات ضمن الجهات المنصوص عليها فى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م.

٥ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤ن بقصر أعمال المقاولات على الهيئات والمؤسسات العامة ووحدات القطاع .(رفع حد القطاع الخاص إلى خمسمائة ألف جنيه سنوياً) .

٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٧ لسنة ١٩٧٨م بإلغاء القرار رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤م (الغى الحد الذى كان وارداً بالنسبة للقطاع الخاص .

٧ - القانون رقم ٧١ لسنة ٧٧ بفرض بعض الرسوم على مقاولى القطاع الخاص

الفصل الثامن

عبد الناصر والغرب



عبد الناصر والغرب

تؤكد حقائق العهد الناصرى ، أن ثمة كراهية متبادلة بين عبد الناصر والغرب ، وأن هذه الكراهية ، لم يشفع لها ذلك التقارب ، بل والغزل السياسى الملحوظ عند أهل الحكم من المحيطين بعبد الناصر بعد حرب السويس ١٩٥٦م ، فالغرب لم يكن يأمن جانب عبد الناصر ، والأخير كان حذراً فى تعامله مع المنظومة الغربية بشقيها (الإشتراكى) و(الرأسمالى) ولكن أبعاد وملامح هذه العلاقة ، نعقد الفصل الحالى لها ، وذلك عبر المحاور التالية .

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب .

ثانياً : رؤية عميل أمريكى لشخصية عبد الناصر .

ثالثاً : عبد الناصر والأحلاف الغربية فى المنطقة .

رابعاً : رؤية الأصوليين والإسلاميين للبيئة الدولية وموقف عبد الناصر منها .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين (نموذجا) .

وبتفصيل ما سبقي يتبين الآتى :-

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب :

كانت المدركات الخاصة بالموقف من الغرب (وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية) غير واضحة أو محددة بشكل كاف لدى عبد الناصر قبل حرب السويس ١٩٥٦م تحديداً واستمرت كذلك حتى اعلن (الميثاق الوطنى) الذى يعد النظرية السياسية الناصرية الوحيدة التى تخلفت عن (جمال عبد الناصر) ، وذلك على إعتبار أن (فلسفة الثورة) و (بيان ٣٠ مارس) لا يرقيا إلى مستوى النظرية مع أهميتها بالطبع .

لذا ، فإننا سوف نتناول هذه المدركات النظرية تجاه الغرب من خلال ما قدمه الميثاق فى مجال السياسة الخارجية ولكن لنحدد نقطة هامة مثاراً لجدل دائم بين السياسيين والمثقفين فى مصر والعالم العربى . وهى علاقة (الضباط الأحرار) وخاصة عبد الناصر بالولايات المتحدة قبل الثورة إنما يمكن أن نؤكد مطمئنين الآتى :



فى حفل استقبال بالهند فى اكتوبر عام ١٩٦٦ وقد فوجىء بتأثر بالغ للسيدة أنديرا غاندى لم تستطع أن تكتمه فراحت تداريه بيديها

١ - أن جمال عبد الناصر وجد فى إتصالات الضباط الأحرار فى المخابرات برجال المخابرات الأمريكية ، ما يؤهله لمعرفة حقيقية للكثير مما تريده الحكومة الأمريكية ، وما تستطيع أن تقدمه فى المقابل .

٢ - أنه خشى تدخل القوات البريطانية لإجهاض حركة الجيش ، فوجد أن ما يطلبه من الولايات المتحدة هو أن تمنع هذا التدخل ، ومن ثم قبل الإتصال بها دون أن يتصور أنه يمكن أن يدفع الثمن .

٣ - أنه أحس بأهمية ونفوذ (كيرميت روزفلت) أحد عملاء المخابرات الأمريكية فى المنطقة آنذاك بإعتباره مستشاراً للرئيس الأمريكى ، ومن ثم أحس أن الإتصال به لن يضر إذا لم يفد .. وأغلب الظن أن لم يعرف فى ذلك الوقت حقيقة إرتباطه بالمخابرات المركزية .

٤ - واضح أن تعيمات جمال عبد الناصر إلى ضباطه الذين قاموا بالإتصالات نفذت بدقة إلى حد أن كيرميت روزفلت لم يعرف - حتى بعد نجاح الثورة من الرأس المدبر لها ؟

٥ - إن كيرميت روزفلت الذى فشل فى تغيير نظام الحكم ، بإنقلاب سلمى يقوم به الملك ، وبعض رجاله ، وجد أن قوة شابه فى الجيش على وشك أن تتحرك حركة بدنية عنيفة ، سواء دعمها أو تجاهلها ، فسعى إليها حتى إذا ما أصبحت فى السلطة ، وجد الأبواب أمامه مفتوحة ووفقاً لقول الكاتب الصحفى الساخر عادل حموده (إن هذه عادة الأمريكان ولن يشتروها يزرع غيرهم الشجرة فى صمت ، ويقطفون هم الثمار فى صخب .

(عادل حموده : عبد الناصر والحروب الخفية مع المخابرات الأمريكية الدار العربية القاهرة - ١٩٨٩ ص ١٢٤) .

تلك هى الحقيقة باختصار دون دخول فى أوهام (جلال كشك) وروايات هيكل وأحمد حمروش وصلاح الشاهد وغيرهم والآن ماذا عن المدركات الناصرية تجاه الغرب كما أوردها الميثاق : بداية يقول الميثاق ، (إن السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، هى انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى .

إن أى سياسة خارجية لأى وطن من الأوطان لا تكون إنعكاساً أميناً وصادقاً لعمله

الوطنى ، تصبح إدعاءًا يكشف نفسه بنفسه ويصبح نفاقاً وإتجاراً بالشعارات .

وان تلك هى المهزلة التى تقع فيها الحكومات الرجعية حين تحاول التضليل أن تستعير سياسة خارجية براقة لا تكون صدى للواقع الوطنى وتعبيراً عنه أن الشعوب الواعية تفضح هذه الحكومات وتقتص منها حساب الضلال الذى حاولت أن تزيفه عليها .

والسياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، إنعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى تمتد فى ثلاثة خطوط حفرت مجراها عميقاً ومستقيماً بنضال شعب باسل صعد لكل أنواع الضغط وإنتصر عليها) .

وفى مواضع أخرى يرى الميثاق أن الخطوط الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية العربية تعبير عن كل مبادئها الوطنية هى . الحرب ضد الإستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى أقنعته ، ومحاربته فى كل أفكاره ،

«والعمل من أجل السلام» لأن جو السلام وإحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

تم التعاون الدولى من أجل الرخاء فإن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلاً للتجزئه كما أنه أصبح فى حاجة إلى التعاون الجماعى لتوفيره .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الإستعمارضرب مثلاًحياً ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب .

إن شعبنا كشف الإستعمار العثمانى وقاومه برغم التحايل عليه بأستار الخلافة الإسلامية .

ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسى حتى ارغم المغامر الذى دوخ أوروبا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض إلى فرنسا .

ثم صعد لمؤتمرات الاستعمار العالمى واحتكاره الدولية التى إستعملته أسرة محمد على .

وتدافعت موجاته الثورية واحدة إثر الأخرى حتى جرفت أمامها بعد سنوات طويلة من التضحيات النبيلة كل الحواجز التى أقامها الإستعمار على أرضه لحماية وجوده ، لقد واجه شعبنا ثلاث إمبراطوريات هى الإمبراطورية العثمانية والفرنسية والبريطانية وقاوم غزوها وإنتصر عليها .

إن شعبنا دفع خلال عشرات السنين بل مئاتها غالياً لإنتصاره على الإستعمار ، لكنه فى النهاية حصل على النصر الذى برر أمام التاريخ كل التضحيات وشرف مقدارها .

ويرى الميثاق فى موضع آخر أنه بعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق الشعب إلى التقدم الثورى ، داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل ، ودكت حصون الإقطاع ، وإجتثت جذور الرجعية .

لقد كانت تلك كلها هى الركائز التى ثبت الإستعمار عليها وجوده فوق أرضنا وبإنقضاض شعبنا عليها وتدميرها فإن الوجود الإستعمارى فقد حلقات إتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هى إرغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد أن طوت أعلامها وابتلعت كبريائها .

إن شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بإرغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد وهو عام ١٩٥٦م الفاصل فى نضالنا الوطنى .

إن الإستعمار الذى جلا عن أرضنا طبقاً لإتفاق تم تنفيذه فى يونيه سنة ١٩٥٦م ما لبث إن عاد فى اكتوبر من نفس العام متصورا أنه قادر على إخضاع إرادة شعبنا وإذلاله وإجبارة على الركوع خضوعاً لإرادة المستعمرين وفى موضع اخر يؤكد الميثاق على أن شعبنا الذى عقد العزم على حماية إستقلاله ، ورفض كل الحيل الإستعمارية التى حاولت أن تجره إلى مناطق النفوذ وقاد مقاومة هائلة فى الشرق الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط ، لم يتردد فى مواجهة العدوان المسلح الثلاثى الذى أقدمت عليه إثنتان من دول العالم الكبرى زحفت عليه من القاعدة الإستعمارية التى خلفتها المؤامرات الرامية إلى إرهاب الأمة العربية وتمزيقها وهى إسرائيل .

إن الإستعمار فى معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه .

إن الإستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصرى حاول أن يحقق إستقلاله ويبنى تقدمه من أحد موارده الوطنية الذى طال إستغلال الإستعمار له وإحتكاره لكل عائد وقيمته .

إن الشعب المصرى بإسترداده قناة السويس ضرب الإستعمار إحتكاراته فى الصميم .

وأثبت صلابته بتحمله العتيد لتبعات إصراره – إلى حد قبول المعركة المسلحة فى وجه قوى زاحفة جرارة .

إن الشعب المصرى بثباته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو إستطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى .

ولقد كان التحول الرائع فى المعركة نقطة فاصلة فى حركات التحرير إن الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده . لم يعد وحيداً . وإنما انقلب الموقف رأساً على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة .

إن الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا أنفسهم فى عزلة عن الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية وتضامنا معه .

إن الهزيمة المريرة التى منى بها الإستعمار فى حرب السويس ، أنهت عصر المغامرات الإستعمارية المسلحة .

إن نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا .

إن الإستعمار الذى ما زال متمسكاً بأهدافه غير أسلوبه .

إن شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعوب ضدها .

إن إصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر الشعوب رغم إرادتها إلى ذلك الإستعمار كان صوتاً عالياً بالحق وإرتفع فى جميع المجالات منها ومحذراً ويقول عبد الناصر وميثاق فى موضع آخر إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى ، وهو تصمي على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإستعمارية ضد نضال شعوب ، وليس تعقب سياستنا للتسلسل الإسرائيلى فى أفريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان إستعمارى مدمر .

إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو إدراك سليم للمغزى الحقيقى لسياسة التميز العنصرى ، إن الإستعمار فى واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى ، بمقصد تمكينه من إستغلال ثرواته وجهده . وليس التمييز العنصرى إلا لونا من ألوان إستغلال

ثروات الشعوب وجهدها ، فإنالتمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم ، إن الرق كان الصورة الأولى من صور الإستعمار والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر أثرها على ضحاياهم وإنما يلحقون الأذى بالضمير الإنسانى كله وبما أحرزه من إنتصارات .

وفى موقع آخر يؤكد الميثاق على (أن شعبنا لم يدخر جهداً فى سعيه نحو السلام .

إن السعى نحو السلام قاد خطى شعبنا إلى مراكز دولية أصبحت لها الآن من قوة الإشعاع ما يضىء الطريق نحو السلام .

إن شعبنا الذى ساهم بكل إخلاص فى أعمال مؤتمر باندونج وإنجاحه والذى شارك فى أعمال الأمم المتحدة وحاول عن طريق هذه الأداة الدولية العظيمة دفع الخطر عن السلام أثبت الشجاعة فى الإيمان بالسلام .

لقد تكلم من باندونج مع غيره من دول آسيا وأفريقيا ، نفس اللغة التى تكلم بها أمام كبار الأقوياء فى الأمم المتحدة .

إن شعبنا فى دعوته إلى السلام وفى عمله لتوطيد إحتمالاته إشترك مع الجميع ، وواجه الجميع بقوة التعبير الحر .

إن شعبنا الذى شارك فى الجهود الإنسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك إيجابياً فى العمل من أجل نزع السلاح إنما كان يصدر عن إيمان مطلق بالسلام .. لأنه يؤمن إيماناً مطلقاً بالحياة .

إن شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على أرضه .

إن صدق دعوته للسلام ينبع من السلاح إليه .

إن السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الإستمرار فى معركته المقدسة من أجل التطوير .

إن العمل من أجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعام عدم الإنحياز والحياد الإيجابى .

إن إرتفاع هذا الشعار اليوم على شعارات كثيرة من العالم هو تحية عظيمة لإخلاص شعبنا فى خدمة السلام ، إن الدعوة الأولى لأول مؤتمر لدول عدم الإنحياز هذه الدعوة التى صدرت

من القاهرة ولقيت إستجابه رائعة لدى الكثير من الشعوب ، كانت فى نفس الوقت تقديراً إنسانياً للمنهج الذى سلكناه فى خدمة السلام بعد إيماننا به وإخلاصنا له .

بل إن الذين يحاولون اليوم إستغلال شعار عدم الإنحياز والحياد الإيجابى ليستروا به أمام شعوبهم إنحيازهم إلى معسكرات الحرب والإستعمار إنما يقدمون إطراء غير مباشر لشعبه الذى كان رائداً فى رفع هذا الشعار عن إيمان وفى النضال من أجله عن حاجة حقيقة إليه نابعه من صميم كفاحه لإحراز التقدم وفى موقع آخر يؤكد عبد الناصر فى الميثاق على أن التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لشعوب العالم هو إمتداد طبيعى للحرب ضد الإستعمار .. ضد الإستغلال .

وهو إستطراد منطقى للعمل من أجل السلام لتوفير الجو الأمثل للتطوير .

إن التعاون الدولى من أجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية إلى الهدف النهائى الذى تسعى إليها سياستها الخارجية إنعكاساً لنضالها الوطنى .

إن شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والأمم العاملة من أجل السلام العالمى والرخاء الإنسانى .

إن المعارك الدولية التى خاضها شعبنا إنما كانت معارك دفاعية خاضها قتالاً عن حقوقه المشروعة وحقوق الأمة العربية التى يشعر بإنتمائه الحيوى إليها إنتماء الجزء إلى الكل .

ولقد رفع شعبنا حتى فى أحلك ظروف المعارك القاسية التى أرغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الإستسلام) إيماءه واضحه إلى أنه يقبل التعاون الدولى ولكنه يقاوم السيطرة ..

إن شعبنا يؤمن ان الرخاء لا يتجزأ وإن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو أقوى ضمانات السلام العالمى .

ومن وجهة نظر عبد الناصر فى الميثاق أيضا أن السلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتاً مخيفاً ، إن السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف .

إن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الأول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة .



فى مكتبه يستقبل الشيخ محمد برهان الدين صاحى سلطان البهرة الإسلامية بالهند

إن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقارب ما بين مستويات الأمم ويزرع المحبة بينها بديلا عن سموم الكراهية .

إن التعاون الدول من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الإنسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الإستعمارى .

إن التعاون الدولى يمتد على جبهة عريضة نحاول الجمهورية العربية أن تتحرك عليها .

إنه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فإن إحتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الإستعمارية ومن رأى عبد الناصر فى الميثاق أن التعاون وكذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه الدعوة إلى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتقضى على جوانب التخلف المظلم .

كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه إلى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن تترصد لها وتتربص بها .

كذلك هو يشمل الدعوة إلى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولةي بحيث لا تستخدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم .

إن شعبنا يمد نواياه المعززة بالأعمال لتحقيق التعاون الدولى عبر كل المحيطات وإلى كل الأقطار .

ويرى عبد الناصر فى ميثاقة : إذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة أفريقية ويؤمن بتضامن أسيوى أفريقى ويؤمن بتجمع من أجل السلام بضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى وثيق يشده إلى العالم الإسلامى . ويؤمن بإنتمائه إلى الأمم المتحدة وبولائه لميثاقها الذى إستخلصته آلام الشعوب فى حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة وأخيرا يخلص الميثاق إلى (إن الإيمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم انما هى حلقة مسلسلة واحدة) .

ويرى أن شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية إن شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرق لأفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والإجتماعى والإقتصادى .

إن شعبنا ينتمى إلى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين .

إن شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الإعتقاد .

إن شعبنا يعتقد فى رسالة الأديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء الإنسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وأن فقرات كثيرة فى هذا الميثاق قد كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب .

ويؤكد عبد الناصر أخيراً على حقيقة مدركة وهامة وهى : أن شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحرية على أرضه بالحرية والحق ، وبالكفاية والعدل وبالمحبة والسلام .

وإن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ، ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه .

تلك هى أبرز ملامح رؤى ومدركات عبد الناصر تجاه السياسة الخارجية . والغرب بوجه عام . ترى كيف نظر الغرب إلى عبد الناصر ؟ وهل كانت نظرتهم له مشابهة لنظرته لهم؟

ذلك ما تجيب عليه الجزئية التالية .

ثانياً : رؤية عميل أمريكى لشخصية جمال عبد الناصر :-

والعميل هو (مايلز كوبلاند) ورؤيته مستمرة من الفصل الرابع فى كتابه الشهير لعبة الأمم والفصل معنون (بحليفنا المستقل ناصر فى الحكم) وسوف نورد هنا مقتطفات من رأى هذا العميل مع التحفظ عليها وهو التحفظ الذى سنورده تفصيلاً بعد نهاية كلامه يهمنا أن نؤكد على أن كوبلاند كان هو المساعد الإقليمى المسئول للمخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط مستر كيرميت وروزفلت الذراع الأيمن لألن والسن . يقول كوبلاند فى كتابه « ولم تعلم الحكومة الأمريكية بوقع انقلاب يوليو إلا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢م ، ولكن سبق هذا سيل من المعلومات التى تتدفق من

خلال تقارير وكالة المخابرات المركزية» ، مُشيراً إلى أن أحداثاً ستقع فى مصر بدون تحديد زمانها أو تحركاتها ، وأيدت الصحافة المصرية الإنقلاب الأبيض بكلمتها ، ووقف الشعب مع رجال الثورة بدون أى أسف على الإحاطة بالملك الخليع وظهر اللواء محمد نجيب وديعاً أنيساً بغليونه الجذاب كأنه (الآمر الناهى وإن لم يكن كذلك حقيقة كما ظهر مساعدوه من الضباط الشبان بقامتهم النحيلة وأجسامهم الرياضية على أنهم أمال الشعب وأحلامه فى بناء كيان الدولة المصرية الحديثة . ولم تردد الإذاعات المصرية أيا من البلاغات المثيرة أو البيانات العنيفة التى كانت تدين الإنقلابات العسكرية فى سوريا وإنما إكتفت بتعريف الشعب على عزمها على تطهير الحكومة من الفساد وإقامة حكم قادر فعال ، وإصلاح الأحزاب السياسية وغير ذلك ولكن البلاغات كلها لم تتطرق البتة إلى مشكلة فلسطين أو إلى ذكر لإسرائيل ولا على الأقل بكلمة واحدة . وفقاً لرؤية كوبلاند .

وأما السفارة الأمريكية وفقا لرؤية كوبلاند فلم تقف على تفاصيل الإنقلاب إلا من فم على صبرى أحد ضباط عبد الناصر الذى أصبح فيما بعد من أشد خصوم الأمريكيين . وقد وقع الإنقلاب فى الساعة الثالثة ليلاً وفى ساعة متأخرة من صباح ذلك اليوم أرسل عبد الناصر السيد على صبرى للإجتماع رسمياً بالسفير كافرى وتقديم تقرير شامل له عن وقائع وأحداث ليلة الإنقلاب إلى جانب تأكيد الحكومة الجديدة عن عزمها على إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة ، وتلا ذلك تأكيد علنى آخر من اللواء محمد نجيب – وكان يعتبر آنئذ أب الإنقلاب – أن قضية فلسطين لا تعنيه فى شىء . ولكنه سرعان ما قام بزيارة السفير كافرى بعد ساعات طالباً سحب ذلك التصريح وإستبداله بآخر (أقل) تقبلاً للرأى العام فى الولايات المتحدة ، ولكنه أكثر إنسجاماً مع المبادى والأسس التى إتفقنا وعبد الناصر على إنها ضرورية وهامة لكسب الرأى العام المصرى. وقبول تأييده للعهد الجديد .

أما المسئولون فقد غمرتهم موجة من السرور نتيجة هذا الإنقلاب وأدركوا جميعاً أن أصبح فى حوزتهم على المسرح العالمى لاعب جديد من الطراز الذى بذلوا قصارى جهدهم للعثور عليهم ، وكأن كل ما سيضعونه معا من السخط سيحظى بنسبة عالية من التعاون المثمر وإحتمالية ضئيلة من الخلاف والشجار .

كانت التقارير والتفسيرات الأولية تشير إلى أن اللواء محمد نجيب كان رأس الثورة وعلى



عبد الناصر وخروشوف فى الإسكندرية

هذا الأساس بنت الحكومة البريطانية والأمريكية علاقاتها مع العهد الجديد . وكلن سرعان ما ذاب الثلج وإنتزع عبد الناصر زمام الأمور منه ولم يمض بعد أكثر من عدة شهور على الإنقلاب والغريب أن كيرميت روزفلت قد إقتنع عندما تأكد له عبد الناصر أنه ليس هو رأس الثورة مع أن وليم ليكالاند المسئول السياسى فى السفارة الأمريكية فى القاهرة وبعض موظفيها قد أكدوا أن اللواء نجيب لم يكن أكثر من ستار إتخذه عبد الناصر لنفسه حتى موعد ظهوره على المسرح شخصياً وزادت العلاقات قوة بين ليكلاند والضباط الأحرار عن طريق حسنين هيكل الذى كان صلة الوصل بينهم ، وقد أصبح هيكل فيما بعد من أقرب المقربين لعبد الناصر فى حين لم يكن آنئذ أكثر من محرر فى صحيفة سياسية يملكها مصطفى أمين أحد أصدقاء عبد الناصر . وقد هيأ هيكل الجو للعديد من المقابلات بين ليكالاند رجل السفارة الأمريكية وقادة الضباط الأحرار بما فيهم عبد الناصر نفسه ،واعتاد ليكالاند أن يستقبلهم فى شقته المطلة على النيل بترحاب وإكرام زائدين .

وكانت نتيجة هذه اللقاءات أن بدأت سفارتنا فى القاهرة ترسخ علاقاتها مع عبد الناصر نفسه كرجل الدولة الحقيقى والآمر الناهى بلا منازع فى حين بقى الشعب يصفق للواء محمد نجيب ويهتف له فى الشوارع والساحات . ولكن السفير كافرى لم يقطع علاقاته الرسمية باللواء نجيب وقام بزيارات تقليدية متقطعة له ناقلاً بعض الرسائل الرسمية من حكومته فى واشنطن التى لم تنطو على أكثر من مجاملات وتقاليد دبلوماسية . فى حين كانت العلاقات الحقيقية للحكومة الأمريكية مع الثورة المصرية تتم عبر الصلات الوطيدة التى نشأت بين عبد الناصر وليكلاند بفضل جهود هيكل نفسه الذى أضحى ذا دور رئيسى فيها بعد نجاحه فى الباس وجهات نظر كل من عبد الناصر والسفارة الأمريكية حلة بهية قبل نقلها إلى الطرف الآخر .

هذا وقد أمسك كيرميت روزفلت وأعضاء اللجنة الخاصة عن الإتصال المباشر بعبد الناصر بعد الإنقلاب ، وقنعوا بمراقبة تطورات الأحداث فى مصر بدون الإنغماس فيها . فقد تطورت الأمور بهدوء تام حسب الخطة المرسومة لها وكان الكف عن الإتصال المباشر بعبد الناصر ضرورى لإستبعاد أى شبهه لتوطئنا مع النظام الجديد وكانت رغبة جميع المهتمين بشئون الشرق الأوسط ترك الحرية كاملة لحكومة الإنقلاب لمعالجة مشاكل البلاد وحلها بطريقتها الخاصة ولم نعثر على أى مبرر للكشف عن القوى الحقيقة وراء الإنقلاب وإظهار اللواء نجيب على أنه ليس أكثر من ستار ما يلبث أن يزاح ولكن لم يكتب لهذا الوضع على أن يعمر

طويلاً فما لبث أن تبدل فى عام ١٩٥٣م بعد مجىء الرئيس إيزنهاور إلى البيت الأبيض وإبداء رغبته فى العودة إلى ممارسة دورنا مباشرة فيما نزمع تخطيطه وإنجازه مع نظام حكم عبد الناصر وكان الدافع الأول لهذا هو إتقان دراستنا لدور هذا اللاعب الجديد فى مسرحياتنا والتأكد من تحركاته وفق توقعاتنا وكان الدافع الثانى ضمان حصولنا بتحركاته هذه على إستراتيجية نصر عند نشوب أول نزاع مع أعدائنا وأما ثالث الدوافع فكان الإستفادة من هذا التقارب والتفاهم لتحقيق تعاون أوسع وأعمق بيننا قدر الإمكان ومع أننا أدركنا أن مساعداتنا لعبد الناصر سوف تزي من قوة مركزه فى مسرحياتنا الدولية ولكننا لم نستبعد تحول دوره فيها إلى خصم لنا ومنازع وكل ما يقى لنا وقتئذ هو الأمل فقط فى أن نفلح فى موازنه خطر خصومته لنا بزيادة طاقتنا وتوطيد عزائمنا على أن يكون سلوكنا هذا يخدم أهداف ومصالح كلا الطرفين معاً .

وبينما كان وزير الخارجية جون فوستر دالس يحزم حقائبه عشية جولة له فى الشرق الأوسط فى أيار (مايو) ١٩٥٣م أبلغ كيرميت روزفلت عن رغبته فى الوقوف على نيات ومطالب رجال الثورة فى مصر بعدما استتب لهم الحكم ودانت لهم قطوفة . وانتهى الرأى إلى قيام روزفلت بإنتفاء رجل عسكرى من طراز ضباط الانقلاب وانتدابه لتلك المهمة وكان إختيار روزفلت موفقا عندما إنتزع من زوايا النسيان المستر ستيفن مد حيث كان يمضى وقته فى الصين الشيوعية بمهمات كإنقاذ العلماء الألمان المعتقلين هناك والتوطؤ مع قادة العشائر الكردية على الحدود السوفيتية لأغراض تجسس على الأمور الحربية وبمهمات أخرى كالآتى عهدت إليه سنة ١٩٤٩م فى سوريا (إنقلاب حسنى الزعيم) وسماها وقتئذ (بالعهد الحزين) فروزفلت قليل الخبرة بشئون الضباط فى الجيوش العربية الناشئة ، فى حين أن تاريخ إنسان ملىء بالمغامرات (ستيفين ميد) سيكون له إنطباع حسن فى نفوس الضباط الأحرار وبالفعل قام (ستيفين ميد) بجمع شتات حديث تلك اللقاءات وما فيها من أفكاره مبعثرة وبتدوينها وإرسالها لواشنطن بشكل مذكرة قيمة للإستعانة بها كدراسة عملية لانقلابات آتية ، وكان منها ما يلى :

١ - إن قوى أى جيش (دون إستثناء) جيش الدول غير العربية التى لها أهداف غير عسكرية) تعتمد على توفر رجال إداريين من طراز رفيع على رأس قيادته ، مدركين كل الإدراك حقيقة دورهم فى إصدار الأوامر وتنفيذها وحقيقة دورهم كونهم جزءا لا يتجزأ من قيادته وتركيبه العام ويعود سبب إنتصار عبد الناصر إلى أدراكه هذه الحقيقة وسيطرة

رجاله الإداريين الأكفاء على وحدات الجيش وقطعاته . وسواء أكان عبد الناصر وأصحابه الأوائل ثواراً بحق أو لا ، فإن بقية أتباعه من الضباط ليسوا كذلك ، وكان اتباع عبد الناصر للأساليب العسكرية فى التحضير للإنقلاب وفى إنجازه ، ضماناً لفوزه ، لسهولتها المأمونة فى إصدار الأوامر وتنفيذها .

٢ - وينبغى أن يكون زعيم الإنقلاب من نفس الطبقة الإجتماعية المؤيدة له ، أو أن يكون قادراً على التظاهر بهذا حتى يتحقق من التقارب والإنسجام بينه وبين أتباعه ليشاركوه إنتصاراته ويشاطروه مشاعره . وهذا كما حدث فعلا : فالإنقلاب الجميع من الضباط الأحرار وعبد الناصر ، وعبد الناصر - برأيهم - لم يكن أكثر من منسق لعلاقاتهم ومنظم لتحركاتهم . وخيم نفس الشعور على علاقات الفئة الأولى من الضباط الأحرار مع الفئة الثانية وكذلك بين الأخيرة والفئة التى تتلوها ، وهكذا دواليك . وكانت هذه طريقة فنية مكنت عبد الناصر من ضبط أمور الدولة وكسب تأييد ذلك الجزء المهم سياسياً من جماهير الشعب المصرى (والذى لا يتجاوز ١٠٪) وبذلك أحدث الطرق فى إدارة أضخم المؤسسات الصناعية ومراقبة الأوضاع فيها .

٣ - وسيستبدل العديد من أفراد الإدارة فى النظام القديم بغيرهم بغية إقامة نظام إدارة العهد الجديد على أساس من الإنضباط والنظام الدقيق وليس على أساس الولاء للأشخاص ، ويتوقع أن يتم ذلك حال إستكمال قادة الإنقلاب سيطرتهم على أركان الدولة ، ولم يكن ولا أنصار ضباط عبد الناصر له مباشرة ، وإنما كان ذلك من خلال ولائهم لأحد أولئك الضباط الأحرار فكانوا يعرفون (برجال زكريا) أو (رجال البغدادى) وكان على عبد الناصر أن يتخلص من هذه الظاهرة الخطيرة دون إقصاء أعوانه الرئيسيين الذين كان لبعضهم دور رئيسى فى نجاح إنقلابه ولكنهم أضحوا عالة عليه بعدئذ (وهذه ظاهرة مشتركة بين جميع قادة الثورات) واضطره ذلك إلى تعينهم فى مناصب شكلية . وقام بأسناد المناصب الرئيسية إلى ضباطه الموهوبين حتى يشغل عليهم كامل أوقاتهم . فى حين قام بنقل من يدين لهم بالولاء الشخصى إلى مراكز أخرى . وأدرك ستيفن ميد أن هذه الظاهرة التخطيطية التى بدأت من عبد الناصر يجب إعتبارها مبدأ أساسياً يحتذى به لتثبيت دعائم حكم قادة الإنقلابات العسكرية عامة (وهذا ما أخفق حسنى الزعيم فى سوريا فى تنفيذه بناء على إقتراح ستيفين ميد نفسه) .

٤ - وكان اعتقاد عبد الناصر أن الاعتماد على الجيش ، حتى يقف النظام الجديد على قدميه أمر لابد منه فى كافة أرجاء البلاد ، كما أن استرضاء كافة الأحزاب والهيئات لإظهار تأييدهم للثورة وأعرابهم عن أنها أمل الجماهير لتحقيق الإصلاح والإزدهار أمر لا يقل اهمية عن السابق . وفى حال منح هؤلاء الأفراد أى قسط من الحريات فلن يكون هذا سوى هدف لتشكيل واجهه منهم للرأى العام مهمتها تهدئة هياج الجماهير ، وتبرير كافة تصرفات الحكومة وقراراتها (وعلى أساس إقتصار مهمتهم) وعلى هذه التشكيلات رفض عبد الناصر إقتراح قبولهم أعضاء مؤسسين فى مجلس الثورة) . وإتفقت آراء جميع ضباط الثورة من رؤساء ومرءوسين على أن من مهام عبد الناصر تحويل الجيش إلى مؤسسة ذات نظام دقيق وانضباط رفيع (كالتى كانوا يخلمون بها قبل إلتحاقهم به) . كما اتفقوا على الوقوف ضد أصحاب الفكر والاضطرابات العامة وإباحة المحرمات وتفرنج المجتمع والتحلل الجنسى وغيرها من مفاسد حكم الملك فاروق التى تهدد نظامهم المدلل . أما قيام المظاهرات فقد خشى منه بعض إتباع عبد الناصر واعتبروه ظاهرة خطيرة لتحريك المشاعر وتهيجها وبالتالى فتح الطريق أمام الهيئات السرية للإستيلاء على الحكم فى البلاد ومع أن عبد الناصر وقف ضد هذه الفكرة فى البداية لكنه حقيقة لم يشذ عن هذا المنحى من التفكير إطلاقاً .

وفى موضع آخر من كتاب يؤكد كوبلاند أنه وفيما يخصنا نحن الأمريكيين فكل ما نطمح اليه لا يتعدى العثور على لاعب ملائم وما هو يشاركنا الجلوس إلى طاولة (لعبة الأمم) ويؤدى دوره بكل إنسجام وهدوء فعلى صعيد السياسة الداخلية لم نكن لنتدخل فى قرارات عبد الناصر وتصرفاته إطلاقاً ، ولم تكن تعنينا شيئاً طالما أنها لا تضع مخططات سياسته الخارجية موضعاً يتعارض مع سياستنا الخارجية ، ويعرض مصالحنا للخطر ، وليس لنا أن نوجه أى إنتقاد لعبد الناصر بخصوص طريقة توطيده لدعائم سلطته الداخلية ، واتباعه أساليب بونابرتيه فقد كانت وجهة نظره حيال أصدقاؤه الأمريكيين ترتكز دائما على قوله المشهور : إذا كنتم تعافون وسائلى للوصول إلى أهداف فلا تتلكؤوا فى إقتراح وسائل أفضل - إننى - على الأقل أصغى إلى ما ستقولون .. ولم نفكر بإمتحان إخلاصه هذا سوى أنه لم يخطر ببالنا طرق أفضل ، ووسائل أنجح ليسلكها بدل وسائله ويستخدمها لتحصيل ما يخططه لنفسه .

وفى موضع آخر من كتابه وفى الفصل الخامس المعنون بـ (الطراز الناصرى للحكم



مع ويلي برانت



مع كريشنا منون

ووسائل القمع) يقول كوبلاند كم طرح على ذلك السؤال عبر السنين والأيام ، و لم يتغير جوابى عليه أو يتبدل : (لنفترض جدلا أن القدر أحاط عبد الناصر بظروف ما ، وأوصدت جميع الأبواب إلا اثنين : أما بقاؤه فى السلطة ودمار البلاد أو خروجه منها ونجاة البلاد فأيهما يختار ، ولم يكن جوابى دائما سوى : ليس لنا خيار فى الجواب ففى تحليلنا لواقع أى زعيم من فئة عبد الناصر يعشق السلطة حبا فى التسلط ، يتبين لنا أنه سيفعل كل مافى وسعه للبقاء فيها ولو أدى ذلك إلى إنهيار البلاد إقتصاديا ، أو دخولها حربا خاسرة متقطعة مع عدوتها (إسرائيل) وإذا كان الحاكم بونابرتى الطراز فإن مبررات استأثاره بالسلطة ستبقى قوية على أمد الدهر ، ولن يتزحزح قيد أنملة عن إعتقاده بأن أسوأ الكوارث والنكبات لن تفلح فى طى صفحة ذلك التفويض الذى منحه إياه للشعب فى يوم من الأيام ولن يجرأ إنسان على تجريده من السلطة والإطاحة به . وهذا ما حصل تماما أثناء الحرب العربية الإسرائيلية فى عام ١٩٦٧ : فلقد كانت أسوأ كارثة عرفتها مصر فى تاريخها الطويل ، كما كانت أعظم فرصة لأعداء عبد الناصر لينقضوا فيها عليه ويطيحوا به ولكنها مرت وإنقضت وخرج منها عبد الناصر أقوى مما كان عليه فى أى يوم مضى .

وفى فصل آخر معنون بالناصرية والإرهاب يحكى كوبلاند بعض الأمور والمعلومات التى قد تكون هامة فى فهم رؤية عميل امريكى للناصرية ولعبد الناصر يقول كوبلاند أمضيت الهزيع الأخير من عام ١٩٥٦م ، وأوائل عام ١٩٥٧م ، منهمكا فى شرح أفكار ناصر أمام مجموعات عديدة من الرسميين الأمريكيين ، باسطا لهم متاعبه ومشاكله ، ومعلقاً عليها بنفس الطريقة التى كان هو نفسه يود أن تعرض شئونه بها أمامنا . وكنت أنفق الساعات الطوال فى مكتب الوزير دالس ، أو فى مكتب وكيله هربرت هوفر ، بغية ضم جهودنا معا فى محاولة لتحديد معالم أبعاد الردود التى كنا نتوقع أن تصدر عن ناصر ، ردا على بعض الإجراءات التى كانت الحكومة الأمريكية تنوى إتخاذها . و لم أكن أواجه أية صعوبة فى شرح سلوك ناصر عساه يكسب بعض عطفنا وينال شيئاً من تأييدنا . إلا أننى لم أنجح فى تبسيط سائر نواحى سلوكه وأخفقت فى شرح إحداها . كما أخفقت فى عدم إثارة حفيظة زملائى ورؤسائى كلما حاولت ذلك ثانية . ولقد أخبرت مرة أن أحد كبار الرسميين فى وزارة الخارجية قد التفت إلى جاره بعدما غادرت أحد تلك الإجتماعات الهامة التى كان يدعونى إليها الوزير دالس إلى تمثيل دور ناصر فى لعبة الأمم وقال له (إننى لا ألتق بذلك الإنسان أى بى – فإنه يتكلم بإلحاح وإهتمام أكثر من ناصر نفسه) وفى مناسبة أخرى التفت إلى

آلن دالس (مدير وكالة المخابرات المركزية) وقال لى إذا حاول بكباشيك أن يحشرنا فى الزاوية فلن نتأخر فى شطره نصفين) ولا أظن أن إنساناً على وجه البسيطة يفوق آلن دالس فى فهم وتطبيق أحد مبادىء التحليل السياسى القائل (ضع نفسك فى مكان الآخرين) ومع ذلك فلن يتمكن آلن نفسه من معالجة أى من مشاكل ناصر دون أن يثور ويغضب ، وذلك لأنها حقا مصدر غيظ وإزعاج .

وفى موضع آخر يقول كوبلاند كان إقتران الناصرية بالإرهاب وتلازمها به مصدر تعب لنا وقلق أقضى مضاجعنا ، دون أن نجد سبيلاً لفهمه أو تحليلاً لدافعه فالأمريكيون ينفرون من الإرهاب ويكرهون سماع أخباره متناسين أن تحركات الغرب ضد المتمردين من زعماء آسيا وأفريقيا لا تعرف غيره غاية وسبيلاً ولكن ما العمل ؟ فناصر نفسه يمتدح العنف وأساليبه ويدعو لها جهرا ففى داخل بلاد ناصر وأراضيه ، يسود القانون ويعم النظام ، وفى خارجها لا تجد لهذا داعيا ولا سببا ، فإذاعة القاهرة تحض علنا على إشعال الفتن وأحداث الإضطرابات المدنية فى البلاد - كل البلاد - التى يسوسها زعماء معارضون له أو يحكمها رجال يأبون أن يكونوا مطية له ولا تجد إذاعة القاهرة أحيانا أى حرج فى توجيه الدعوات علنا لاغتيال الحكماء والرؤساء . وكانت نتيجة كل هذا وذاك إشمئزاز رجال السياسة الأمريكيين من هذه الإستفزازات ، وقلق الدبلوماسيين ورجال المخابرات من هذه الحماقات ، وأعمال الطيش والجنون .

إلا أنه لا يستبعد وجود تفكير ذكى خلف ارتكاب ناصر لأعمال العنف والإرهاب . فهو يحاول أن يظهر على أنه زعيم ولكن مضطر لمقاومة المنشقين عنه ولاستخدام العنف للبطش بالخارجين عليه والرافضين دخول كتلته كزعيم . فإتحادات العمال لا تملك أن تصبح قوة فعالة دون أن تتضمن (وحدة الصف) ويلتزم قادتها (بوحدة الهدف) والمتمردون فى مثل هذه الظروف - مهما قل عددهم وضعفت قوتهم - يفسدون جهود الغالبية ، ويحيلون قوتها ضعفاً ووحدتها إفتراقاً . وهكذا يتصرف ناصر . فبالعنف وحده يعامل الخارجين عليه كما يعامل زعماء إتحادات العمال (فى الولايات المتحدة ، ولا أظن ذلك) المتمردين عليهم ، بل أن ناصراً أشد بطشا منهم وأكثر تنكيلاً . وما مرد الفارق فى الشيع الشبه إلا إلى تلك الفوارق بين المجتمعات .

ومن الصعب التسليم بأن الإرهابيين يجيدون فى العنف أكثر مما يجيده شعب وديع ألجأته

ظروفه الى تنبيه كسبيل للنجاة . وفى الوقت الذى لا يلعب الإرهابيون أى دور رئيسى حتى فى أسوأ المظاهرات التى تحدث فى أمريكا فإنهم يفوزون بحصة الأسد منها فى البلاد « عن ناصر » وقد أطلق المشرفون على النشاط السياسى الناصرى لقب المتعممين على هذا النوع من الإرهابيين .

وفى قاموس السياسة العنصرية وفقا لكوبلاند فإن كلمة المتعصب ترمز إلى ذلك الإنسان الذى أنكر ذاته فى سبيل المبدأ الذى اعتنقه ، وكرس حياته للوصول إلى الهدف الذى إرتضاه ، مهما كانت المشاق وبلغت المصاعب وبالتعريف فإن المتعصب هو الخاسر دوما ولكنه دائما دون تعصب أو تزمت ويدفع ناصر بإستمرار أمثال هؤلاء « المتعصبين » إلى خوض غمار المعارك تلو المعارك ، مهما كانت الخسائر جسيمة وخرجت عن حدها المألوف ، حتى يحبط مساعى المنشقين عنه ويقنع الخارجين عليه بالإنضباط للكتلة وبعبارة أوضح فلعبة المتعصب شبيهة جدا بلعبة التشكن أوالفرخة فلسان حال المتعصب يقول « إننى أعلم علم اليقين أننى لن أذوق طعم النصر ، بل قد أموت ، إلا أننى لن أكون وحيدا ، فستكون معى حتما إن لم تكن قبلى .

ولاعب مثل ناصر والقول لا يزال لكوبلاند ولا يملك من الموارد إلا أقلها لن يتلكأ فى إستغلال أولئك « المتعصبين » لقد أثبت التاريخ ، مراراً وتكراراً ، أنه بهذه الطريقة دون سواها تتمكن الأقلية من فرض إرادتها على الأكثرية – مهما بلغ تعدادها وقويت حجتها .

ذلك وبإختصار ومتقطعات كوبلاند وهذا العميل حسب وصف الذين شاهدوه عن قرب فإنه كان يمد ومثل لاعبى كرة البيسبول الأمريكية ، العنيفة ، التى يبطن فيها اللاعبون فانلاتهم السميكة بأكتاف صناعية تحميهم عند التصادم .. فهو طويل القامة ، عريض الصدر ، قوى الكتفين .. ضيق العينين ..لا يوحى أبداً بالصور التقليدية ، الغامضة ، والشهيرة للجواسيس والعملاء فى الأفلام والروايات .

وخلال فترة وجوده فى الشرق الأوسط ، أثبت أنه يجيد التحدث باللغة العربية بلهجتها المختلفة ، وسهل له ذلك كثيراً .. فهو فى مصر يتكلم مثل المصريين ... وفى سوريا يتكلم مثل السوريين .. وفى لبنان يتكلم مثل اللبنانيين ... وهكذا ... كان يتعامل مثل إبن البلد فى دولة عربية ينزل إليها ... وفتحت أمامه الأبواب والنوافذ .. وكان نادراً ما يتعامل بحذر .

فى سنة ١٩٦٩م نشر كتاب لعبة الأمم وقبل أن تهدأ العاصفة التى أثارها الكتاب ، طلب تأشيرة دخوله لمصر .. و لم يصدق نفسه وهو يحصل عليها .. و لم يصدق نفسه وهو يخرج بسهولة من مطار القاهرة ولابد أنه أحس بالزهو والسعادة بينه وبين نفسه .. فها هو جمال

عبد الناصر الذى بدأ ضده حملة من الدعاية السوداء فى علبة الأمم لا يجرؤ على منعه من دخول مصر .. ولابد أنه أحس أن سنارته غمزت بصيد ثمين ، وأن فرصته لكسب الأموال إضافية قد حانت .

نزل كوبلاند فى فندق الهيلتون .. وذات ليلةوهو عائد إلى الفندق فوجىء بشاب قوى ، يعترض طريقه ، ويصر - فى إستفزاز واضح - أن يبيع له حليا من البلاستيك الرخيص الذى يشتريه السياح .. وبدأ واضحاً أن هناك هدفاً آخر للشاب القوى غير البيع .. إلا أن تدخل بعض المارة أفسد التنفيذ .

فى اليوم التالى ... فى ميدان العتبة ، نفذ الهدف ، وعاد كوبلاند من جولة لم تتم فى الميدان القديم إلى الفندق ، وقد إمتلأ وجهه بالجروح وجسده بالكدمات .. وكان أن فهم الرسالة وحمل حقائبه وسافر على أول طائرة تغادر القاهرة ، التى لم يعد إليها حتى وفاة جمال عبد الناصر .

يقول محمد حسنين هيكل : إن كوبلاند (شأنه شأن غيره من موظفى الوكالة لا يستطيع أن يكتب أو ينشر بغير أذن ، ومعنى ذلك أن ما كتبه نشره كان محل موافقة ومن وكالة المخابرات المركزية التى كان يهمها تلطيخ صفحة الثورة المصرية والإساءة لقائدها جمال عبد الناصر) وهذا صحيح .

فرغم حرية نشر بعض الوثائق والمذكرات فى الولايات المتحدة ، فإن وكالة المخابرات المركزية تخضع كل مؤلفات موظفيها للرقابة الصارمة ، ولا تسمح بنشر المؤلفات التى لا ترضى عنها ، كما فعلت فى كتاب فيكتور مارشتى الذى صودر ومنع من التداول بأمر المحكمة فى ١٨ إبريل (نيسان) ١٩٧٢م .. وذلك تحت بند (عدم الإضرار بمصالح الولايات المتحدة ، وعدم إفشاء أسرار الوكالة التى يمكن أن تهدد الأمن القومى) .. وإستندت المحكمة فى منع الكتاب إلى أن العقد بين الوكالة ورجالها يتضمن تعهدا بعد إفشاء أية معلومات يحصلون عليها خلال عملهم إلا بإذن مسبق . ويؤكد كثير من الكتاب أن كتاب كوبلاند

من هذه العينة .

ولا نشك أيضا فى أن الكتاب تضمن وقائع حقيقية ، حدثت فعلاً .. لكن صياغتها ، كانت صياغة ميلودرامية زاعقة ، أوحت بإستنتاجات ، وخلصت إلى نتائج جانبها الصواب .. تماماً .. بل وكان هدفها المصلحة وفقا لقول هيكل أن فى ملفات الحكومة المصرية فى رئاسة الجمهورية ، ومجلس الوزراء ، وإدارة المخابرات العامة ، مجموعة وثائق تكفى لإدانة ما يلزم كوبلاند ولست أعرف لماذا لا تنشر كلها أو ينشر بعضها فى مواجهه ما يكتبه وينشره مايلز كوبلاند ؟

فى هذه الملافات خطاباً بإمضاء كوبلاند يطلب أموالا من الحكومة المصرية لينشىء لحسابها إدارة مخابرات مقرها لندن أو جنيف يقوم على خدمتها وتأشيرات على هذه الخطابات برفض العرض لأننا لا نستطيع أن نعهد لعميل المخابرات الأمريكية بإنشاء مخابرات مصرية

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدى فيها إستعداده لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر فى كتابه (لعبة الأمم) - وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه ، لأن مجرد الرد عليه يعطيه قيمة ليست له .

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أجل جميع المسئولين لا يقابلونه . ولا يردون عليه ، بينما هو يريد أن يخدم ، ولا يطلب من مصر إلا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه - وتأشيرات على هذه الخطابات يمنع دخوله إلى مصر ، وبعدم حاجتها إلى خدمته ، وبإنها ليست مسئولة لا عن معيشته ولا عن مستوى معيشته ، وأنه مغامر على إستعداد أن يبيع نفسه ، ومصر ليست مستعدة لأن تشترى) .

ويؤكد هيكل ذلك بالفعل ففى القضية التى رفعها مصطفى أمين بعد الإفراج عنه ضد مدير المخابرات العامة الأسبق صلاح نصر .. قال هيكل أمام المحكمة التى نظرت القضية . إن كوبلاند كان موظفاً فى المخابرات المركزية الأمريكية ، ثم طرد منها ، وحاول إستغلال صلاته بالعالم العربى ليفتح مكتب إستشارات فى بيروت ، وفى هذه الفترة كتب إلى جمال عبد الناصر أكثر من ثلاثين خطاباً وتقريراً فحاول فيها إقناعه بإستعمال خدماته وخبراته ويطلب فى مقابل ذلك مكافأة .. ولم يرد جمال عبد الناصر على واحد منها هذا هو ملف كامل بالخطابات مصطفى أمين يعترف بأن مايلز كوبلاند كان يسعى للدخول

فى أعمال تجارية مع مصر .. فقد قال فى خطابه الشهير إلى جمال عبد الناصر بعد إتهامه بالتجسس لحساب المخابرات المركزية :

وتعرفت فى هذه الفترة أيضا بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الأمريكى . وكان يعمل فى سفارتهم بالقاهرة ، وعرفنى به نائب مدير مكتب الإستعلامات الأمريكى بالقاهرة فى ذلك الوقت ، وكانت علاقاتى به جيدة ، وكان يحضر إلى مكتبى ، وأحيانا إلى بيتى .. واستمرت علاقتى مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة ، وبعد أن انتقل إلى بيروت وعمل مديرا لإحدى الشركات الأمريكية هناك ولا زلت أتقابل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم فى كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه فيها إلى بيروت ، وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين . وكان يطلب خدمات وهى أن أتوسط لدى سيادتكم فى مسائل تجارية ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها ، وهى بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الأمريكية . وفى بعض الأحيان يكتب إلى طالباً تحديد موعد لمقابلة سيادتكم .

من هنا شابت المصلحة والابتزاز الرخيص رؤية مستر مايلز كوبلاند ومن هنا قلنا إننا يمكن التحفظ على ما ورد بها رغم صحة بعضه ولا شك .

ثالثا : عبد الناصر والأحلاف الغربية فى المنطقة :

كان عبد الناصر وفقا لمناصريه ومؤيديه معارضاً لهذه الأحلاف وهى أحلاف أكتوت هذه المنطقة بنارها إذ لم تعلن منطقة فى العالم من إستغلال الإستعمار لأجيال طويلة مثلما عانت الشعوب العربية على مر التاريخ ولقد أدى إحتكار القوى الأجنبية بالجحف للثروات الطبيعية لهذه البلاد كذا إستثمار رأس المال المستغل بها إلى وقف التنمية الإقتصادية ، وإلى عرقلة نمو القوى الإنتاجية فيها ، مما أدى إلى إزدياد فقر الغالبية من الشعب أما الدول العربية التى نالت إستقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ،فقد وقعت تحت وطأة نوع آخر من الإستعمار .. إستعمار إقتصادى عانت بسببه من الإحتكارات الأجنبية .. ولذا لم يكن غريبا أن نرى الدول العربية التى تملك مصادر بترولية ضخمة تعتمد على الدول الرأسمالية الكبرى ، التى تحكمت فى حقول بترولها ومصادر ثرواتها الطبيعية وكان لابد هذه القوى الإستعمارية أن تعقد إتفاقات ومعاهدات مع بعض الدول العربية لتبرر إحتلال قواتها الأجنبية



أعلى الصورة : عبد الناصر ونهرو وأونو فى مؤتمر باندونج ١٩٥٥

أسفل : عبد الناصر مع سيكوتورى رئيس غينيا

لأراضيها على أنه بخروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كدولة عظمى إزدادت إحتكارتها بالمنطقة العربية إذ إرتفعت إستثمارتها فى بعض الدول العربية عشرة أضعاف عما كانت عليه من قبل ، فقد إستطاعت الولايات المتحدة أن تطرد الإنجليز والفرنسيين المنافسين لها من الأسواق العربية ، وإستماتت الإحتكارات الأمريكية للسيطرة على إقتصاديات البلاد العربية وإخضاعها لنظامها وقد إستطاعت الولايات المتحدة فى ظل ما أطلقت عليه المساعدات الفنية والاقتصادية التى جاءت بها النقطة الرابعة فى برنامج ترومان ، أن تفرض إتفاقات جائرة على كل من المملكة العربية السعودية والعراق والأردن وغيرها .

وبموجب هذه الإتفاقات حاولت الإحتكارات الأمريكية أن تضمن مركزاً ممتازاً لرأس مالها فى الدول العربية وأن تجذب هذه الدول إليها فى تحالفات سياسية وعسكرية . ولقد إتخذت منافسات الإحتكارات الأجنبية فى البلاد العربية على مصادر المواد وعلى الأسواق والميادين إستثمار رأس المال طابعاً مريراً . فحتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت الإحتكارات الإنجليزية تسيطر على ٨٠,٩ فى المائة من بترول الشرق الأوسط بينما كانت الإحتكارات الأمريكية لا تسيطر على أكثر من ١٢,٨ فى المائة .

ولكن الموقف تغير بعد الحرب ففى عام ١٩٥٢م وصلت أسهم الولايات المتحدة فى بترول الشرق الأوسط إلى ما يقرب من ٦٦٪ إقتطعته من نصيب ما كان يملكه الإنجليز .. وعلى الرغم من التناقضات التى كانت قائمة بين القوى الإستعمارية ، فقد إتفقت هذه القوى على التعاون معا ، خوفاً من نمو تحركات التحرر الوطنية فى هذه المنطقة . ومن ثم إستعانت هذه القوى فى ربط دول المنطقة فى تكتلات وتحالفات ومعاهدات ومواثيق ، بأمل أن تستطيع أن تسحق أى حركات تحررية ، وأن تستخدم أراضيها ومصادرها البشرية لخدمة أغراضها الخاصة . وهذا ما يوضح تماما المشروعات العديدة التى قدمها الغرب لتحقيق تكتلات سياسية – عسكرية فى المنطقة على أن محاولات جذب هذه القوى الإستعمارية لدول المنطقة العربية إليها تعكس حالة التوتر التى كانت تسود بعض المحتكرين لتدعيم مراكزهم فى هذه البلاد على حساب الآخرين .. وهكذا نرى إنجلترا تبذل جهوداً جبارة مثمرة لإنشاء مشروع (سوريا الكبرى) الذى كان من المفروض أن يضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين الهلال الخصيب) الذى يضم الدول سالفة الذكر مع العراق .. وكذلك حاولت بريطانيا أن تستخدم جامعة الدول العربية لتحقيق أغراضها ....

وتجيء الولايات المتحدة لتستخدم قوتها فى تدمير هذه المشروعات البريطانية بمحاولة إنشاء تكتل من الدول العربية ، يخدم أغراضها الخاصة بحجة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وهكذا ظهرت على مسرح السياسة الدولية محاولة أمريكية لتنظيم ما أطلق عليه قيادة الشرق الأوسط ثم ظهر حلف بغداد ولقد خاضت مصر بعد قيام ثورة ٢٣ يوليه عديداً من المعارك السياسية ، بعضا منها أثار الإنتقادات والمشكلات أمام أسلوب عمل الثورة المصرية ، والبعض الآخر كثيراً إلى إمكانيات العمل للثورة المصرية خارجياً وداخلياً ومن بين هذه المعارك السياسية ذات المردود الإيجابى على تطور أسلوب عمل الثورة المصرية هذه المواجهة المتعارف على تسميتها بمعركة الأحلاف الغربية ، التى حاولت القوى الإستعمارية سواء التقليدية أو الصاعدة فيما بعد الحرب الثانية - فرضها على المنطقة العربية خدمة لأهدافها الإستراتيجية ولمصالحها الإقتصادية المتنامية .

وتبدأ قصة هذه المواجهة مع بروز الطابع التحلى على توجيهات ثورة يوليه داخلياً وخارجياً ، بمعنى إندفاعها إلى نقض ثوب البعية الرغمة عليه من الإستعمار البريطانى ، مما حد القوى الرأسمالية الغربية التى بذل محاولات عديدة لإعادة ربط مصر برابطة ما مع المعسكر الرأسمالى الغربى تحت واجهات ومبررات عديدة ويحدثنا مايلز كوبلاند فى كتابه لعبة الأمم - عن أن الإرادة الأمريكية والرئيس الأمريكى إيزنهاور كان يرى بصفة شخصية أن السياسة الخارجية لبلاده لكى ترعى المصالح الأمريكية لابد أن تكون معززه بوسائل عسكرية لمواجهة الطموح الشيوعى ، وأن الدفاع المنطقى ضدهم هو الدفاع العسكرى الذى يبدأ أولاً عن طريق منظمة حلف شمال الأطلسى (ناتو) وتشترك فيه الدول الأوربية ، ومن ثم بإحلاف شبيهة به فى بقية أجزاء العالم (الدكتور سعد الدين إبراهيم (محررا) ولمشروع القومى لثورة يوليو والتمركز العربى للتعدد والنسبة - ٨٤٤ ١٩٨٤ ص ١٧٠ وما بعدها .

وأما منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (ميدو) فكانت فى رأى الرئيس الأمريكى إيزنهاور هى أولى تلك الأحلاف الواجب تنفيذها بعد حلف الأطلسى .

وفى مارس ١٩٥٣م ، إجتمع أنتونى إيدن البريطانى وجون فروستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية والرئيس داويت إيزنهاور ليستبحثوا فى أمور الدفاع عن الشرق الأوسط بصورة متكاملة . وفى الوقت الذى كان يعنى ذاك الإجتماع بالنسبة للرئيس إيزنهاور ضرورة إخراج حلف (ميدو) إلى حيز الوجود فقط كان لا يعنى بالنسبة لا يدن سوى الاحتفاظ بالقواعد

العسكرية بالشرق الأوسط ولا سيما قاعدة قناة السويس تحسبا لنشوب أى نوع من النزاع العسكرى ، من الحرب المحلية التى ربما تعيق إستخدام قاعدة قناة السويس إلى حرب عالمية ثالثة ، أو حرب بين فقراء آخرين مثل الحرب بين العرب وإسرائيل ، إلى حرب بين بريطانيا وحلفائها وبين الروس الصاعدون دوليا آنذاك . وأيا كان الخلاف بين وجهتى نظر الرئيس الأمريكى ووزيره دالاس، وبين الوزير البريطانى فعند كان الأمر فى النهاية يعنى لدى الطرفين إيجاد رابطة محددة لجو مصر والمنطقة العربية لخدمة الأهداف الغربية عموما فى صراعهم مع السوفيت ولم يكن الصراع مع السوفيت يمثل لدى القيادة المصرية فى ذلك الوقت أولوية من أية وجه بل كان الصراع مع الصهيونية هو الذى يحتل الأولوية المطلقة لدى الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت ومن ثم لم تكن المبرارات التى قدمها الأمريكيون والإنجليز ذات بال فى إقناع الرئيس عبد الناصر لتغيير قناعاته السياسية فى هذا الصدد الأمر الذى أدى إلى وضع فكرة (الميدو) على الرف نهائياً كما يقول كوبلاند بعد محادثات دالاس وعبد الناصر فى مايو ١٩٥٣م إذا كانت هذه الخطوة التى أقدم عليها الأمريكيون - أى التخلى عن فكرة هذه المنظومة الدفاعية - قد جاءت بعد مشاورات مصرية - أمريكية فقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن تخلى الأمريكيين عن هذه المنظمة الدفاعية المقترحة - كما تخليا مؤقتاً إلى حيث تتاح ظروف أكثر ملاءمة لإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود وقد جاءت هذه الظروف المناسبة بالنسبة للغرب والأمريكيين أثناء وفى أعقاب توقيع إتفاقية الجلاء البريطانى عن مصر فى أكتوبر ١٩٥٤م .

فى هذه الاتفاقية أوضحت أن هناك إتفاقاً مصرياً على عدم الإرتباط بميراث الإستعمار التقليدى أو أيا من صورة وأشكاله الجديدة وذلك بدأت المحاولات الأمريكية لإقناع القيادة المصرية فى الدخول والإرتباط مع الغرب برابطة ما لمواجهة التغلغل الشيوعى فى المنطقة . ويشير أحمد حمروش إلى هذه المحاولات التى توقفت مع قرار الحكومة الأمريكية بمنح مصر معونة تقدر بـ ٤٠ مليون دولار كمساعدة ، وذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٤م - أى بعد أقل من شهر واحد من توقيع الإتفاقية وقد تركزت مثل هذه المحاولات الأمريكية فى إيفاد ضابطين من وزارة الدفاع الأمريكية بحجة التعرف على ما تحتاجه مصر من أسلحة للأمن الداخلى - إلا أن هذين الضابطين فشلا فى إقناع القيادة المصرية بالمبررات الأمريكية لربط مصر مع الغرب تحت أية واجهة عسكرية .

رؤية الحوارين الناصرين

أما عن رؤية الحواين الناصرين فتمثلهم هنا بصلاح نصر فى كتابه الهام (الحرب النفسية) فإن لهم رؤية خاصة بشأن المواجهة وأساليب الإستعمار والرجعية (خاصة الأحلاف) وكيف استطاع عبد الناصر التغلب عليها ؟

يقول صلاح نصر :

فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م انبثقت الثورة المصرية بعد ما يقرب من قرن من الزمان عاشتها فى ظل الاستعمار وأعوانه رجعية وعملاء - مفجرة الطاقات الكامنة للشعب المصرى . وبعد عامين على الأقل من قيام الثورة كانت المسألة الوطنية هى التى تمثل التحدى الأول . ولقد حاول الاستعمار البريطانى ممارسة أساليبه القديمة فى المراوغة والتسويف ولكن ما لبث أن شعر بالمواجهة الحقيقية لأول مرة . وأطلق الرئيس عبد الناصر عبارته المشهورة (على الأستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل .. وبعد توقيع إتفاقية الجلاء فى ١٩ من أكتوبر عام ١٩٥٤م كان هناك ثمة شعور دولى هام بأن الصراع الطويل الذى دام ما يقرب من ٨٠ عاماً بين الشعب المصرى والاستعمار البريطانى قد آن له أن ينتهى . وحاولت الدعاية البريطانية أواخر عام ١٩٥٤م وأوائل عام ١٩٥٥م بأساليبها الماكرة التمهيد لما تسميه بالعلاقات الجديدة فى الشرق الأوسط .

ولكن الموقف فى الشرق الأوسط تغير فى نهاية العام نفسه وتغير بذلك أساليب الدعاية الموجهة إلى شعوب المنطقة لقد أصبح هم إسرائيل منذ قيام الثورة المصرية أن تنبه إلى الخطر الذى يهدد كيانها وأمنها من جانب قيادة هذه الثورة وتتزايدت مخاوفها بعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة السويس ، وكانت هذه القوات تشكل حزام الأمن للدولة العميلة .

ويرى صلاح نصر أن تحرشات إسرائيل بالثورة المصرية بالإعتداءات المتكررة على الأراضى المصرية ، وكان الهدف الأساسى من هذه التحرشات إشعار العالم الغربى بصفة خاصة أنه لابد من ضمان دولى جديد لكيان إسرائيل ، وفى نفس الوقت حاولت هذه الدولة التقليل من هيبة الثورة المصرية أمام الرأى العام العربى لقد كانت قيادة الثورة على وعى كامل بالأهداف الحقيقية البارزة وراء تحرشات إسرائيل وعدوانها المتكرر وكان لابد من

مواجهة اللعبة الإسرائيلية بالحزم والتصميم ولما كانت إسرائيل وما زالت ترسانه للسلاح الغربى فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد حاولت مصر الحصول على السلام اللازم لأمنها القومى من الغرب ، ولكن كل جهودها باءت بعدم التوفيق ورفض الغرب تقديم أى مساعدات .

فالغرب كما هو معروف لا يقدم السلاح للدول العربية إلا فى أضيق الحدود وبمساومات سياسية .

وكان لابد من الحصول على السلاح ، أن أحد المبادىء الستة الكبيرة لثورة ٢٣ من يوليو هو إقامة جيش وطنى قوى ، وبداهة لا يوجد جيش وطنى قوى بدون سلاح حديث . وكانت إسرائيل قد تمكنت من الحصول على الكثير من الأسلحة من بعض الدول الشرقية منذ عام ١٩٤٨م وما بعدها . لقد كانت ولا تزال - تسعى إلى الحصول على أى سلاح من أى مورد بصرف النظر عن حقيقته أو عقيدته.

وعقد مؤتمر باندونج الأول فى ١٩٥٥/٣/٢٩م وخرجت الثورة المصرية من نطاقها المحلى الغربى إلى آفاق رحبة لقد كانت روح باندونج تجسيداً حيا للواقع النضالى لشعوب آسيا وأفريقيا التى تكافح من أجل : الإستقلال الوطنى ، والحرية السياسية ، والعدالة الإجتماعية ولقد قامت مصر بدور قيادى بارز فى الاعداد لمؤتمر باندونج حتى إعلان قراراته الشهيرة ، كما كان المؤتمر أرضا صالحة للتعارف الوثيق بين الرئيس عبد الناصر ومعظم القادة المناضلين فى أفريقيا وأسيا .

وبعد عودة الرئيس عبد الناصر إلى القاهرة فى إبريل عام ١٩٥٥م كواحد من أبرز أبطال باندونج بات مؤكدا أن الغرب أصبح لديه الآن ما يزيد من مخاوفه إذا ما تمكن الجيش المصرى من الحصول على أسلحة حديثة ويأتى عام ١٩٥٥م مشحوناً بالعمل الثورى المصرى على نطاق الأمة العربية .

فى هذا العام بالذات - أكدت المعالم الواضحة لثورة ٢٣ يوليو بعد أن أعلنت القيادة السياسية فى القاهرة معاصرتها لحلف بغداد ، وفى هذا العام بالذات تأكدت المعالم النضالية للثورة المصرية عندما أخذت على عاتقها الوقوف بحزم ضد إتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى ربط الدول العربية بالأحلاف العسكرية .

وفى هذا العام بالذات أيضا تمكنت الثورة المصرية من خوض تجربه رائدة كان لها أثرها الدولى البعيد عندما عقدت القيادة السياسية المصرية - ولأول مرة - صفقة الأسلحة التشكيلية .

كذلك فإنه فى هذا العام بالذات تكشفت تماما النوايا العدوانية للإستعمار الغربى ضد ثورة ٢٣ يوليو وبدأت سلسلة الضغوط ... النفسية ، والإقتصادية والعسكرية ضد مصر ... هذه «السلسلة» الطويلة التى بدأت منذ عقد صفقة السلاح التشيكى ولما تنته حتى الآن .

لقد كان تسليح الجيش المصرى فى حد ذاته - وبصرف النظر عن مصدر السلاح - وهو الذى أرق الغرب الإستعمارى - طويلاً .

إن بناء القاعدة المادية لقوة الثورة المصرية متمثلها فى جيشها الوطنى كان هو الخطر الذى حاول الإستعمار تأخيره بكل الوسائل والأساليب . وعندما تمكنت مصر من كسر مبدأ إحتكار السلاح كان ذلك سابقه خطيرة فى عرف الدبلوماسية الغربية وسياستها العسكرية وبدأت حرب الدعاية بكل وسائلها وكل أساليب توجه ضد الثورة المصرية من كل عواصم الغرب وإسرائيل ، وكل العواصم العربية التى تدين بوجودها وإستمرار بقاءها للاستعمار نفسه .

ولقد قيل يومها أن مصر قد اشترت سلاحا ملحداً ، وبدأ الإستعمار يكتشف فجأة مدى تعاطفه مع الإسلام وهو الذى أستذل شعوبه زماناً طويلاً . وارتفعت شعارات الفرعونية ، الأطماع المصرية وأحلام ناصر وظهر تباكى إسرائيل على انهيار مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط الذى لم يعد فى صالح أمن إسرائيل وقوتها العسكرية ، وقال حكام العرب الضالعون مع الإستعمار : إن الشيوعيين تمكنوا من إيجاد موضع لقدم فى الشرق الأوسط .

وبعد عام واحد من حصول الجيش المصرى على أسلحة حديثة لم يكن أمام الغرب الإستعمارى من سبيل يرتاده ضد الثورة المصرية بعد إستنفاد كل ضغوطه العائلية والنفسية إلا إستخدام الحرب المسلحة ضد مصر ولقد كانت ملحمة بناء السد العالى هى الفرصة المواتية التى إستخدمتها بريطانيا - بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . وقصة تمويل السد من جانب الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا معروفة ، ويتذكرها العالم أجمع كدليل واضح على فساد الدبلوماسية الغربية وضيق نظرتها وعصبيتها تجاه حركات التحرر الوطنى ليس فى الشرق

الأوسط فقط ولكن فى العالم أجمع .

كما رفض الغرب تقديم السلاح للجيش المصرى لبناء جيش وطنى قوى يحمى مكاسب الشعب المصرى - رفض أيضا وبعناد المساهمة فى تمويل مشروع السد العالى لبناء القاعدة الاقتصادية التى تمكن الشعب المصرى من الوصول إلى الحد الأدنى للمستوى اللائق لحياة الإنسان فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وكان الرد المصرى الثورى هو تأميم قناة السويس ليكون عائدها فى خدمة تمويل السد العالى .

لقد كان التمهيد للعدوان على السويس فى حد ذاته من جانب بريطانيا وفرنسا وتهيئة الرأى العام العالمى لقبوله ، وإستخدام أحدث أساليب الدعاية والإثارة ، وتسخير كل أجهزة الدعاية والإعلام والصحافة والأذاعات على أوسع نطاق ممكن ضد مصر كان كل هذا مادة تصلح كأساس لدراسات عديدة مستقلة تبحث فى هذه الأساليب ، ومناهجها ، وطرق تخطيطها ومدى ما أحرزته من نجاح أو فشل .

كذلك فإن بسالة الشعب المصرى ومقره ومقدرة جيشه على صد العدوان المسلم وإدانة الرأى العام العالمى للعدوان قد جعلت حرب السويس ذات دلالة تاريخية بالغة الأثر . ولم تعد أساليب القهر والعدوان المسلح ، والتواطؤ تجدى فى صد حركات التحرر العالمية أو إنحرافها عن أهدافها الحقيقية .

لقد أدان ضمير العالم هذا العدوان ، وكان الانتصار المصرى عليه تجربة رائدة وضعها النضال المصرى فى خدمة الشعوب التى تكافح من أجل إستقلالها الوطنى فى : أفريقيا آسيا ، أمريكا اللاتينية وليس صدفة أن كلمة المد التحريرى فى العالم كله سجلته سنوات ما بعد حرب السويس - وعبثا حاول الإستعمار التقليل من أهمية الخيبة التى أصابته فى حرب السويس ، وكان لابد من تغيير مخططاته . إذا كانت الحرب المسلحة لم تقدم حلاً حاسماً فلا بأس من العودة إلى الأساليب التقليدية . وبدأت الحرب الاقتصادية لتجويع الشعب المصرى . وبدأت عمليات التشكيك على أوسع نطاق فى سلامة الإقتصاد المصرى وفى قدرته على الوفاء بإلتزاماته الداخلية والدولية .

وبدأت عملية عزل ثورة مصر فى داخل حدودها بعيداً عن التيار التحررى الثورى الذى أشعل شرارته المتوهجة حرب السويس لتشمل كل المنطقة العربية .

وعاد الخوف الغربى التقليدى من التوغل الشيوعى فى الشرق الاوسط واصطنع الغرب مشروع إيزنهاور كبديل مادى لخوف غير منظور فى منطقة أصبح ثابتاً ومؤكداً أن أهلها هم الذين يصنعون مستقبلها وفق إرادتها الحرة .

وكما أن حلف بغداد لم يعد أكثر من مجرد إسم فى التاريخ ، فكذلك كان مشروع إيزنهاور . وفى هذه الفترة تزايد الضغط على الشعب السورى كنوع مباشر من الضغط على الشعب المصرى ، وكان الرد العربى الحاسم ، هو قيام الجمهورية العربية المتحدة بأقليتها المصرى والسورى فى ٢٢ من فبراير وتزايد ريح إنشغال ريح الدعاية الغربية ضد الدولة ومرة أخرى تزايدة أحاديث عن إمبراطورية ناصر التى تتحكم فى ٩٠٪ من بترول الشرق الأوسط وبدأت حرب التخريب فى داخل دولة واحدة ومحاصرتها من خارجها وأقيم الإتحاد الملكى الهاشمى المصطنع فى مواجهتها ولكن قامت ثورة ١٤ من يوليو فى العراق لتهدم إتحاد التيجان ولترفع إسم بغداد من فوق واجهة الحلف الذى صنع الإستعمار ورفع شعاراته نورى السعيد .. وظهر واضحًا أن المد الثورى العربى يسير فى طريق قدره .

وبصدور قرارات يولية الإشتراكية فى عام ١٩٦١م ، وإستيعاب الثورة الوطنية لأبعادها الإجتماعية لم يعد أمام الإستعمار الغربى الممثل الشرعى للرأسمالية فى قمتها الإحتكارية إلا طريق التآمر .

وكان الإنفصال فى ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦١م الذى إحتفل به الإستعمار والرجعية العربية رسمياً فى شتورة فى أغسطس ١٩٦٢م .

ولكن المد الإستعمارى الرجعى لم ينته قبل أن تثبت الثورة العربية أصالتها وعراقتها وإمتداد جذورها فى التربة العربية .

فلقد أفاق العالم على ثورة شعب اليمن ضد الطغيان الألمانى الرجعى المتخلف فى ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢م .

وقبل أن يتمكن الإستعمار من محاصرة ثورة اليمن فى طريق التخلص منها نهائياً كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية عند إلتزامها واقفة إلى جانب شعب اليمن وثورته .

كذلك قضى شعب العراق على إنحرافات عبد الكريم قاسم وشعبيته فى فبراير عام ١٩٦٣م

وبرز المضمون الإجتماعى لثورة ٢٣ يوليو عندما إختارت طريق التحول الإشتراكى بإعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ من مايوا ١٩٦٢م وإقراره من جانب اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٠ يونيو من نفس العام . وقال الإستعماريين : إن الميثاق قابل للتصدير إلى كل الدول العربية ، وان اشتراكية مصر هى إشتراكية عدوانية قابلة للإنتشار .

وإذا كان الإستعمار والرجعية فى المنطقة العربية قد جربا كل أساليب الحرب الخفية والعلنية إبتداء من حملات : التشكيك ، والتسويف وعقد الأحلاف العسكرية ، وبناء كيانات إتحادية هزيلة إلى الحرب المسلحة فى السويس ، والحرب المأجورة ضد ثورة اليمن فإنهما لجأ إلى وسيلة جديدة هى الحلف الإسلامى التى يتزعمه الملك فيصل فى الدولة العربية الإسلامية ويعاينه بورقيبة فى تونس ، وشاه إيران ، ويحرك خيوطه صانعو السياسة فى واشنطون ولندن . غير أن مصير الحلف الإسلامى حدده الشعب العربى منذ عام ١٩٥٧م عندما حاول الملك سعود بتكليف خاص من الرئيس السابق إيزنهاور أن يدعو له فى المنطقة الغربية وإلى هنا تنتهى نقطة الحوار بين ماذا عن الرؤية العلمية للمساءلة (والقول لصلاح نصر) .

خلف بغداد كان دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة قد ورث مشروع اتشيسون الخاص بقيادة الدفاع عن الشرق الأوسط الذى كانت مهمته تنظيم إقليم الشرق الأوسط ضد الهجوم السوفيتى ... كان المشروع يتركز حول مصر لأسباب جغرافية ، ولوجود القاعدة البريطانية الضخمة على الجانب الغربى من قناة السويس والتى تم إنشاؤها على مدى سنوات طويلة ، وتكلفت أكثر من أربعة ملايين جنيه إسترلينى ، وكانت تعد أعظم قاعدة عسكرية فى العالم ومع ذلك لم يستطع الأمريكيون إقامة قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط حول هذه القاعدة العملاقة ، لأن المصريين لم يقبلوا ذلك بل على العكس كانوا يطالبون دائما بجلاء البريطانيين عن القاعدة نهائياً وكذلك عن منطقة القناة حيث عسكرت القوات البريطانية عشرات السنين . (والقول لصلاح نصر) .

وأملاً فى تنفيذ مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط ضغط جفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة فى القاهرة على بريطانيا فى فبراير سنة ١٩٥٣م لتسوية الخلاف الذى كان قائماً بينها وبين مصر حول مساءلة السودان ، كما ضغط عليها فى أكتوبر سنة ١٩٥٤م للجلاء عن السويس كانت المساءلة المصرية تشغل بال العالم الغربى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ، فدعت واشنطن الإنجليز إلى مفاوضة الثورة مباشرة وذهب إيدن إلى واشنطن ليتفق مع إيزنهاور على

سياسة مشتركة تجاه مصر ، وكان غرضه من هذه الزيارة الضغط على مصر ، بأن يوضح لها أن هناك جبهة غربية مشتركة فى سياستها نحو مصر ولكن رسالة إيزنهاور التى أرسلها إلى الحكومة المصرية فى شهر مارس سنة ١٩٥٣م ، بينت إستعداد الولايات المتحدة للعمل على تحقيق مطالب مصر الأساسية بشرط ألا يضع المصريون عراقيل أمام مشروعات الغرب الخاصة بالدفاع المشترق عن الشرق الأوسط .

ولقد أدركت القاهرة مقدماً أن هناك تباينا فى وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا تجاه حل المشكلة المصرية وكانت المفاوضات بين مصر ولندن قد توقفت فى ٦ من مايو نتيجة إصرار بريطانيا على الإحتفاظ بقواتها فى منطقة قناة السويس ، وإصرار مصر على إجلاء هذه القوات من أراضيها . (والقول لصلاح نصر) .

وكان لابد أن تتدخل الولايات المتحدة وتقوم بدور الوسيط ففى النصف الأول من مايو سنة ١٩٥٣م ، حضر دالاس الى القاهرة ومعه مشروع ضخم للدفاع عن الشرق الأوسط يمثل فى أهميته للمنطقة ما يمثله حلف شمال الأطلنطى للدفاع عن الغرب .

ولكن القاهرة إستقبلت مشروع دالاس بفتور ، كا لو كانت تعرف مضمونه قبل أن يغادر دالاس واشنطن وفسرت القاهرة المشروع بأنه خطه إستراتيجية تهدف إلى الإحتفاظ بسيطرة الأنجلو ساكسون العنصرية على الشرق الأوسط محافظة على مصالحهم البترولية فى المنطقة وفشلت مهمة دالاس ، وطويت جميع مشروعات الغرب فى مصر إلى حين وبعد مضى ثلاثة أيام من توقيع الجلاء بين مصر وبريطانيا فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٥٤م بدأت مفاوضات أخرى بين الولايات المتحدة ومصر .. كان الأمريكيون يظنون أنه طالما حصل الرئيس عبد الناصر على مبدأ سحب قوات البريطانية من بلاده فهم يستطيعون إقناعه للإشتراك فى حلف عسكرى يواجه الإتحاد السوفيتى ولقبول إرسال بعثة عسكرية أمريكية إلى مصر وهو ما لم يحدث وفقاً لصلاح نصر .

وبعد وجه النظر هذه يثور سؤال : لماذا واجه عبد الناصر سياسة الأحلاف الغربية ؟.. ثم ما هى المبررات التى لجأ إليها الرئيس .. عبد الناصر فى فضح ومواجهة هذه السياسة الغربية وأدت إلى إنتصاره فى هذه المعركة السياسية التى امتدت ما يقرب من عشرة أعوام إن هذا التساؤل يفترض بدوره التأمل فى أقوال وخصب وتصريحات الرئيس عبد الناصر للتعرف على هذه المبررات . وبصفة عامة فقط تراوحت هذه المبررات بين نوعين . الأول

منهما ، مبررات عامة تعلقت بسياسة الأحلاف والكتل الدولية ككل ، الثانى مبررات خاصة أوضحها الرئيس عبد الناصر فى معرض تفسيره وتبرره مواجهة كل مشروع على حدة وبين هذه المبررات مجتمعة يمكن إيجازها كالآتى :

١ - إن سياسة الأحلاف تتعارض مع معنى الإستقلال الوطنى وتعنى سيطرة الدول الكبرى على الدول الصغرى وقد أوضح ذلك الرئيس عبد الناصر بقوله - (رفضنا الدعوة إلى الأحلاف لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة ، وطلبنا من الدول العربية التضامن تحت لواء الدفاع المشترك لأن هذه الأحلاف هى أحلاف الذئب والحمل ولابد أن يأكل الذئب الحمل فمصر تعترف بحق الدفاع الجماعى النابع من ذات الأقليم دون إشراك الدول الكبرى ، وهذا لأن الدول الكبرى إذا إشتركت فى أى ميثاق فإنها تكون صاحبة الأمر الأول فيه ، أما بقية الدول فلن تكون إلا منفذة لسياسة تملى عليها من هذه الدول وبذلك تضيع شخصية الأول الصغرى فى شخصية الدول الكبرى وهو ما يمنع من التعاون السليم بين مع الدول الكبرى فى مثل هذه المنظمات أو الأحلاف .

٢ - إن هذه الأحلاف تجسيد لمناطق النفوذ التى لا ترتضيها مصر لنفسها أو لغيرها من الدول العربية فإننى - والقول لعبد الناصر (لا أقوم المصالح البريطانية أو الأجنبية وإنما أحارب السيطرة وما يسمونه منطقة النفوذ فلن نقبل أن تكون منطقة نفوذ لأحد إننا نوجه كل إهتمامنا إلى البلاد العربية ونعارض إنضمام أية دولة عربية إلى أية منظمة دفاعية لا تنبثق من داخل الدول العربية وفى موضع آخر يؤكد الرئيس عبد الناصر أن سياستنا هى الوحدة ضد الأحلاف وضد السيطرة الأجنبية وضد مناطق النفوذ .. حرية كاملة لا يملأ فراغ فى بلادنا إلا أبناء وطننا .

٣ - إن عقد معاهدات دفاع بين الدول الصغرى والدول الكبرى لاتحاد مصالح الدول الصغرى بل يتعارض معها كلية فنحن إذا تحدثنا عن الدافع والمعدات تفرق بين عقد معاهدة دفاع مع دول كبرى وبين إنبثاق هذا الدفاع من المنطقة نفسها ذلك لأنه إذا انبثق الدفاع من المنطقة نفسها فهو يخدم عندئذ مصالح جميع دول المنطقة دون فرض أى سيطرة من الخارج .

٤ - إن هذه المعاهدات وتلك الأحلاف هى نوع من أنواع العدوان الذى يؤدى بدوره

إلى الإحتلال والسيطرة الأجنبية وذلك على عكس بعض الآراء التى تقول إننا كدول عربية وكدول صغرى لن نستطيع مطلقاً أن نعيش فى أمان ولن نستطيع أن نتخلص من السيطرة الأجنبية لأننا لابد أن نقع تحت سيطرة أجنبية أخرى ولابد لنا من دولة كبرى تعتمد عليها لكى ثمينا كان الذين يعقدون الأحلاف والمعاهدات يبشرون بهذه الفكرة وقال المتناسون أن هذا الحلف وهذه المعاهدة ليست إلا نوعاً من أنواع العدوان لأن المعاهدة أو الحلف الذى ينتج عنه إحتلال وسيطرة أجنبية لا يمكن بأى حال من الأحوال التى يحمى الوطن .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للبيئة الدولية وعلاقة عبد الناصر بالأحلاف الغربية :

إننا هنا فنقوم – مثلما فعلنا فى الفصول السابقة بإيراد وجهة نظر الحركة الإسلامية الراديكالية فى كل ما يتصل بعبد الناصر – إيماناً منا بأهمية ذلك وديميقراطية ذلك أيضاً ترى ماذا تقول هذه الرؤية ؟

لا خلاف الباحثين حول صحة الغرض القائلة بأن التحويلات الاجتماعية فيما يسعى بالعالم الثالث تتأثر بالظروف والتوازنات الدولية – إنما فقط فى مقدار هذا التأثير .

إن قراءة الصفحات القادمة للإسلاميين الراديكيين ستوصلنا إلى إستنتاج مؤداة تحولات السياسة الدولية قد توافقت تماما مع ما إفترضه الدراسات الإمبريالية بشأن التحولات الإجتماعية الداخلية بعد الثروات وحتى تحولها إلى نظام سياسى .

١ – إن دور أمريكا العالمى بعد ١٩٤٥م لم يكن عائقاً أمام إنقلاب ١٩٥٢م (بشرط أن يكون هذا الإنقلاب فى إطار محدد) .

يقول أسامة حميد عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها (١٩٤٥م) كانت الإتجاهات الإشتراكية قد أسفرت عن نفسها فى أماكن كثيرة فى العالم خاصة فى بلاد أسيا الفقيرة – وفى نفس الوقت أنهى الروس عزلتهم التى فرضوها على أنفسهم بعد الثورة الشيوعية – وتوافق هذا أيضاً مع تضعضع البنيان الإقتصادى للدولتين الإستعماريين فرنسا وبريطانيا اللتين تعرضتا للتخريب على يد الألمان .

فى هذا الجو دارت الحرب الأهلية بين الشيوعيين والوطنيين فى الصين (حتى إنتصر

الشيوعيين سنة ١٩٤٩م) كما بدأت المجازر فى دول أوروبا الشرقية ضد معارضى الإتجاهات الشيوعية التى تسلطت على الحكم وإنتعشت الحركة الشيوعية أيضا فى كوريا والهند الصينية .

وبالنسبة للشرق الأوسط – كانت الحرب الأهلية اليونانية (١٩٤٧م) حاسية فى آثارها على المنطقة – فمن أجل اليونان صدر مبدأ ترومان – الشيوعيين فى البداية وتهديدهم لأثينا نفسها وعدم قدرة بريطانيا على حماية مصالح الغرب فى وقت بدأت نذر الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا كل ذلك إضطر بريطانيا إلى إتخاذ خطوتها المشهورة باسم التناول الإستراتيجى – حيث طلبت من أمريكا أن تتولى مصالح الغرب .

لقد كانت مصالح أمريكا (متواضعة) حتى ذلك التاريخ والقول لأسامة حميد وإقتصرت على النفوذ الثقافى (جماعات فى القاهرة وإسطنبول) وذهب النفط السعودى ولذلك كانت خبرة أمريكا بالشرق الأوسط محدودة (بخلاف بريطانيا) ذات التراث الإستعمارى العقيد وبدأت العمليات الإستطلاعية لرجال المخابرات الأمريكية فى المنطقة توصلوا بعدها إلى أن المصالح الغربية تواجه مأزقاً ليس من السهولة حله :

فمن جهة – كان سقوط النظام اللبرالى فى مصر بالذات مساءل وقت ولم يكن ممكناً إحداث توقيعات فيه (وكانت أمريكا أيضا تريد التخلص منه لأنه – وهذا هو الأهم – لن يستطيع إستمرار فى الهدنة مع اليهود من فرط ضعفه) .

ومن جهة أخرى كان الإخوان يشكلون تهديداً للمصالح الغربية وكان سفير دالاس أحد السفراء الثلاثة الذين إجتمعوا فى فايد (١٩٤٨م) وطلبوا من حكومة النقراشى حل جماعة الإخوان .

كما أنه لم يكن متصوراً أن تسمح أمريكا بقيام نظام إشتراكى فى جو الحرب الباردة السائد وقتها (لأن هذا النظام سينحاز لروسيا – ولم يكن من مخرج سوى إيجاد نظام يحاول حل قضيتى العدالة والتحرر الوطنى (فى الحدود التى لا تضر بمصالح الغرب) وهكذا يمكن تصفية الثورة الحقيقية – وأما مصير هذا النظام نفسه – فسيتحدد طبقاً للأحداث .

ولم تكن هناك من فئة منظمة قادرة على أحداث التغيير المطلوب والتهادن مع اليهود

سوى الجيش - فقد كانت جميع الأحزاب والتنظيمات الأخرى إما مرفوضة جماهيريا (الأحزاب الليبرالية) أو مرفوضة أمريكا (الإخوان - الحزب الإشتراكى) وبدأت أمريكا فى تنفيذ فكرتها الجديدة لحفظ المصالح الغربية فى عالم سريع التطور فكانت إتصالاتها التى طمأنت فيها بعض الضباط الوطنيين المتحمسين والطامحين فى نفس الوقت بانها لن تعترض على أفكارهم فى إسقاط النظام والإصلاح الداخلى وهكذا بدأت سلسلة الإنقلابات فى المنطقة بدأت بإنقلاب حسنى الزعيم (١٩٤٩م) فى سوريا - وفى نفس الوقت كانت أمريكا تركز جهودها على مصر وبعد أن تأكدت من خطر المراهنة على فاروق - وبسبب تنبؤات وزارة الخارجية الأمريكية بإمكانية أن يقود الإخوان ثورة شعبية بعد معارك القناة وحريق القاهرة - فقد جاء كيم روزفلت إلى مصر فى مطلع ١٩٥٢م وساهم فى إشعال ثورة يوليو .

٢ - البيئة الدولية (١٩٥٥م - ١٩٦٥م) جعلت حركات التحرر الوطنى ممكنه

يقول الإسلاميون الراديكاليون هنا ما يلى :

بينما كان الصراخ يعلو بشأن حلف بغداد - كانت الأحلاف قد فقدت قيمتها فعلا إختراع الصورايخ البعيدة المدى .

ذلك الأهمية النسبية للنفط العربى بسبب إتمام أوروبا لمرحلة إعادة التعمير كما وثقت أوروبا بإستمرار تدفق النفط وتلاشى خطر سيطرة الروس عليها .

لم يكن رأس مال الأمريكى بحاجة إلى فتح العالم الثالث أمامه - لأن أمريكا بعد أن شجعت إنشاء السوق الأوروبية المشتركة (١٩٥٨م) وجدت أمامها فجأة مجالات واسعة جداً للإستثمار فى أوروبا .

إذن كانت المحطة أن أمريكا لم تعتبر أن هناك خطورة عاجلة على المصالح الغربية فى الشرق الأوسط بل والعالم الثالث كله - وهكذا شهدت هذه الفترة نهرو - بن بيلا - سوكارنو - نكروما، ولم يكن عبد الناصر بدعاً من هؤلاء .

ولكن أمريكا كانت تخشى على المدى البعيد أن يتغير النظام الإجتماعى بما يهدد أى مستقبل للتغلغل الإقتصادى الغربى - وهكذا فقد إعتبروا عبد الناصر منذ ١٩٦٣م قد خرج من إطاره بتوسيع من دور القطاع العام وتوسيعه للجيش وبدئه برنامجاً ذرياً وبرنامجاً لصناعة الصواريخ .

لقد أخذت مصر من أمريكا فى ذروة (المد الثورى) ٥٠٠ مليون دولار (بأسعار ذلك الوقت طبعا) فى الفترة (٥٨ - ١٩٦٦م) على الأمل إلا يخرج عبد الناصر عن إطاره .

ومنذ ١٩٦٥م بدأت بوادر الإنفراج بين الشرق والغرب وتساقط سوكارنو (١٩٦٥م) وتكروما (١٩٦٦م) وأيقن عبد الناصر أن دوره آت عما قريب .

٣ - الصراع الإنجليزى الأمريكى مكن عبد الناصر من الظهور كبطل عندما تنازل الإنجليز لأمريكا عن دورهم فى الشرق الأوسط (١٩٤٧م) لم يكونوا يقصدون أن تستولى أمريكا على كل شيء - إنما كانوا يريدون تدخل أمريكا بما يضمن وقف أى توسع شيوعى محتمل - ولكن أمريكا كانت تهدف إلى طرد الإنجليز نهائيا (وقد ظهر الصراع بينهما واضحاً فى إنقلابات سوريا المتكررة فكان إنقلاب الحناوى إنجليزياً ردا على إنقلاب حسنى الزعيم الذى إعتبر إنقلابا أمريكيا) .

وفى ١٩٥٦م كانت أوربا الغربية قد أعيد بناؤها داخلياً وأراد الإنجليز والفرنسيون تحدى مركز أمريكا (مثلما تحدث الصين روسيا فى نفس الوقت) ولكن انهزمت القوتان الاستعماريتان القديمتان أمام إصرار أمريكا على انسحابها من الشرق الأوسط وأصبح عبد الناصر بطلا رغم أن الهزيمة العسكرية كانت كفيلة بمحاكمات وإقلاق فى أى نظام يحترم نفسه - ورغم أن أعضاء مجلس قيادة الثورة فكروا فى الإنتحار وهى رواية أصبحت متواترة .

إن السبب الجوهرى فى هزيمة بريطانيا ليس هو قيام أمريكا بما أسماه إيدن (خنق الإقتصاد الإنجليزى) ولكن السبب هو بلوغ كل من بريطانيا وفرنسا من الشيخوخة كإمبراطوريات - ومن ثم فإن تحديهما لحركة التاريخ كان لابد أن ينتهى بالهزيمة .

٤ - إن التوجيه العقائدى القومى والإشتراكى كان يخدم مصالح الغرب لقد أثبتت خبرة حرب فلسطين (١٩٤٨م) إن خطة عزل الشعب عن الإسلام ليست كافية لإخماد الروح فيه - وهكذا طورت القوى الشيطانية أفكاراً جديدة تتضمن ضرورة تغيير عقيدة الشعب وتخريبه نهائياً - ولكن هذه الخطة رغم وجاهتها من الناحية النظرية فإنها مستحيلة التطبيق عملياً لأن محاولة تحدى الإسلام - فضلاً عن أنها ستستغل لا محالة - فإنها ستتطلب مقداراً هائلاً من ممارسة القهر البوليسى والكبت الفكرى وهو إن كان كفيلاً بتخريب الإنسان ومن ثم هزيمة ١٩٦٧م إلا أنه لا يضمن إزالة الإسلام .

لقد إعترف بعض الناصريين بهذه الحقيقة مؤخراً – ولكنهم إعترفوا على إستحياء إن إنساناً فقد ما زودته به الثروات الدينية الروحية فى الماضى و لم تعوضه الثروة الإجتماعية الحديثة ما فقد – بلغت ثورتنا بالتوجه إلى ناحية واحده من نواحى الإنسان وأهملت غيرها إهمالاً كلياً فلم تدعم ثورة الإقتصاد بثورة الفكر والثقافة وكان مقدراً للثورة العربية لو خاطبت روح الفرد مخاطبة عميقة أصيلة أن تنفحه قدرة على الفداء جديدة تضاف إلى ما يلهمه به تراثه .

٥ – الجغرافيا السياسية لمصر تضفى على النظام الحاكم وزناً كبيراً من المعروف تاريخياً أن جميع التجارب العلمانية قد بدأت فى مصر ثم صدرت إلى المنطقة وكانت الأفكار القومية والإشتراكية شيئاً مخيفاً بالنسبة إلى الأنظمة المفلسة المحيطة بمصر واعتقدت هذه الأنظمة أن النظام المصرى قادر على إختراقها – ولما كانت هذه الأنظمة مرتبطة بالغرب فقد ولد عداء لعبد الناصر انطباعاً زائفاً بأن عبد الناصر عاد للغرب ان إستقرار وزيادة شرعية أى نظام حاكم فى المنطقة لابد بالضرورة من أن يمر عبر العداء للغرب .

٦ – الإنفراج فى العلاقات الدولية جعل نظام يوليو يعرف إمكانياته الحقيقية إذا أراد التصدى للغرب : يؤكد الإسلاميون الراديكاليين هنا ما يلى :

قلنا أن عبد الناصر أحسن منذ ١٩٦٥م أن الدور سيأتى عليه ولقد أورد فى تصريحاته وخطبه كلاماً بهذا المعنى – وبالفعل لم يتأخر دوره وكانت حرب ١٩٦٧م – وإذا تأكد لعبد الناصر أن أساليبه السابقة فى إستغلال التناقضات الدولية لإظهار نفسه بمظهر البطل الخارق للعادة – لم تعد ممكنه الآن – فقد قبل بقرار ٢٤٢ الذى نص على (إنسحاب إسرائيل من أرض احتلتها) و(إحترام السيادة والحدود الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة وحقها فى أن تعيش بسلام فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها محمية من التهديد وعاد أيضا وقبل مبادرة روجرز التى نصت على (الإقرار من جانب الأطراف[1] بسيادة وسلامة الأراضى والاستغلال السياسى – وعندما جاء السادات إستكمل مسيرة سلفه فى التفاوض – ولكن إزاء تعنت إسرائيل والإصرار الشعبى المصرى على الحرب فقد اضطر السادات لخوض

---

(١) الأطراف هى مصر وإسرائيل والأردن .

حرب ١٩٧٣م التى أعلن فيما بعد رسميا أن هدفها كان العبور واتخاذ أوضاع دفاعية مسافة ١٠ - ١٢ كم[١] شرق القناة يتم خلالها تحريك الموقف الدولى .

٧ - التوافق بين تصاعد عائدات النفط العربى والتحولات الإجتماعية الجديدة فى مصر :

يؤكد الإسلاميون الرادليكيون ممثلين هنا فى رواية أسامة حميد أن القادة الفكرة لحركة الجهاد الإسلامى فى مصر ما يلى أنه كان على نظام يوليو أن بنفس الشىء من الكبت الذى فرضه عبد الناصر فكان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨م الذى دعا إلى المجتمع المفتوح أو اعترف بفقدان النظام - للسيطرة العقائدية ولكن البيان لم ينفذ بحجة أنه (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) ولذلك عندما جاء السادات وسط ظروف بائسة فقد سعى لإقامة شرعية خاصة به بأن هدم النموذج الناصرى القمعى مما أدى إلى رد فعل جماهيرى جارف تبدى فى تأييد السادات فى خطواته لتصفية خصومة (مايو ١٩٧١م) وشيئاً فشيئاً ثم التخلى عن كل الضوابط القديمة وأصبح ممكناً أن يعمل النفط عمله جنبا إلى جنب مع التخطيط الأمريكى لتخريب المجتمع المصرى[٢] .

تلك هى رؤية الإسلاميين الرادكيين لعبد الناصر وعلاقته بالغرب و نجاحه الولايات المتحدة الأمريكية وهى رؤية رغم حدثها وعدم علميتها فى بعض جوانبها ، إلا أن لها وجاهتها - مثل كل الرؤى السابقة التى قدمها أسامة بشأن القضايا الكبرى لثورة يوليو وهى لذلك تستحق منه التأمل ودقة النظر .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين نموذجاً :

* لأن العلاقة كانت حذرة وقلقة بين عبد الناصر والغرب رغم ما يذهب إليه الأصوليون الإسلاميون ، من (عمالة عبد الناصر للغرب) ، نقول وعلى خلاف ذلك ، كانت العلاقة قلقة ، ومملوءة بالشكوك تجاه نوايا وأهداف عبد الناصر ، ولأنها كذلك - أى العلاقة

---

(١) من المعروف أن هذه المسافة هى أقل مسافة ممكنة لإقامة رؤوس جسور - وقد كشف النقاب بعد ذلك أن الانهيار السريع بم يقابله تقدم على الجانب المصرى بسبب عدم وجود خطط للتقدم أصلا - وقد أعرب ديان فى مذكراته عن دهشته من عدم استغلال المصريين للفرصة .

(٢) يقول أسامة حميد : كان لابد من دلك قبل الدخول فى معركة ٧٣ لأن الإنسان الذى يعيش ف كبت لم يكن لينتصر أبدا .

مع الغزب - لذا كان التجسس وقضاياه المتنوعة التى حاول من خلالها الغرب إختراق مصر وكانت العديد من القضايا والعملاء الذين كشفهم جهاز المخابرات العامة (بقيادة صلاح نصر) وذلك قبل إنحرافاته الأخلاقية والسياسية المعروفة والتى أودت بصلاح نصر إلى السجن فيما بعد .. ورغم ذلك كان هذا الجهاز (وربما لا يزال) يمنع الإختراق الغربى لمصر (ويحاول هو أن يخترق الغرب لصالح مصر) .

* وكانت قضية (مصطفى أمين) واحدة من تلك القضايا التى كشفها جهاز المخابرات العامة .. وفى هذا المحور سوف نقدم لمحة من هذا الجهاز ، وعن قضية مصطفى أمين كنموذج لقضايا التجسس مع الغرب التى كشفها جهاز المخابرات العامة .

مدخل إلى نشأة جهاز المخابرات العامة :

بداية يقول السياق التاريخى والسياسى الذى ولد فيه (جهاز المخابرات العامة) فى مصر إبان عهد عبد الناصر والذى كان يقع على عاتقه ضبط كافة قضايا التجسس لصالح الغرب ومنها قضية مصطفى أمين ، يقول السياق أنه فى النصف الأول من الستينات كانت مصر قد أممت شركة (قناة السويس) - من أعوام أربعة مضت ١٩٤٦م - وبدأت عملية الوحدة مع سوريا (١٩٥٨م) ، وقامت بتمصير وتأميم الشركات والبنوك الأجنبية فى مصر ، وبدأت الخطة الخمسية الأولى ، والتى زادت فى نهايتها (١٩٦٥م) معدلات التنمية ولأول مرة فى مصر ، وفقاً لما يؤكده الناصريون المتحمسون عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه بين سنة ١٩٥٤م/١٩٥٥م و ١٩٦٤م/١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩٠ بليون ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنية ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليونا إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة .

وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩/١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م/١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

كان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه فى الناتج المحلى الإجمالى إلى ٣٠٪ وتحققت فعلا زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنوياً ، أى ضعف ما تحقق فى الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلى ٢٣٪ أى دون الزيادة المخططة ، وإستهدفت الخطة أيضاً زيادة الإنتاج الزراعى ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلا لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسى كان دستور ١٩٦٣م قد صدر وأجريت الإنتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول إجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفى هذا الإجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسياً وأسماها بمرحلة « التحول العظيم » فقام بوضع مبادىء الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم : الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هى : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية وتحقيق الوحدة العربية .

واستكمالاً لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشاكل التى تواجه مصر وتحتاج إلى مواجهة وهى مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة ، مشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين العاطلين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد والنقد الذاتى الشجاع .

أعوام الستينات ، إذن كما أسماها عبد الناصر كان أعوام التحول نحو البناء الشامل فى الداخل ، وكان الوطن العربى يطغى بالإنقسامات والثورات التى كان على قمتها ثورة اليمن وثورة الجزائر ، ويشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطنى بالعالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم فى سيلان وانشغلت الهند عن جهود التنمية فى حرب شاملة مع باكستان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالية فى أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكى البلجيكى للكونغو فى أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريرى من ثورة الكونغو واستطاعت أن تتغلب

عليها بل وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

كانت مصر فى تلك الأيام تبدو وكأنها عملاق يصحو بعد طول سبات – وفقاً لما يؤكده الناصريون المتحمسون – وكان التغيير يتم بسرعة وفى كل إتجاه وفى كل مكان أيضا . وكان أمراً طبيعياً أن يؤثر هذا التغيير الذى شمل كل أنحاء الدولة ، فى جهاز المخابرات العامة المصرية الوليدة(١) .

وإذا كان هذا الجهاز قد ولد فى الأيام الأولى للثورة ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الفكرة فكرة إنشاء جهاز المخابرات العامة – كانت واضحة فى الأذهان وضوحاً كافياً ومن هنا يصبح أمراً طبيعياً أن تتغير القيادات العليا فيه مرة بعد مرة .. وكان طبيعياً أيضاً ، أن يكون البحث عن أسلوب لإدارة هذا الجهاز ، وتبين إحتياجاته فى نفس الوقت ، هو الهدف الأساسى لكل قيادة .. ولذلك فإننا نستطيع أن نعتبر قرار تعيين الصاغ – رائد – صلاح نصر ، وهو واحد من أهم الضباط الأحرار قبل الثورة وبعدها ، كنائب لرئيس الجهاز قبل العدوان الثلاثى مباشرة ، ثم رئيساً له بعد ذلك .. كان إيذانا ببدء مرحلة جديدة وحاسمة فى حياة هذا الجهاز .

ولنترك صلاح نصر بنفسه يحكى كيف عين نائباً لرئيس المخابرات ثم رئيساً لها :

(فى صباح الثالث والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦م ، إستدعانى عبد الناصر لمقابلته فى قصر الطاهرة بمنطقة سراى القبة بالقاهرة ، حيث كان يقيم وأسرته مؤقتاً ، ريثما تتم بعض الإصلاحات والإنشاءات فى منزله بمنشية البكرى وكنت أعمل فى ذلك الوقت مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة) . ويواصل صلاح نصر روايته قائلاً :

كان عبد الناصر ينظر إلى الأشياء بنظرة تفاؤل أو تشاؤم .. فمثلاً كان يتفاءل بالإقامة فى منزله بمنشية البكرى الذى شعله مع بداية الثورة ، وكان فيما مضى سكنا خاصا متواضعاً لناظر المدرسة الثانوية العسكرية التى الغيت بعد الثورة ، وقد أدخل عبد الناصر عليه فيما بعد بعض الإنشاءات والتوسعات كى يفى بإحتياجات منصب رئيس الجمهورية .. وكان عبد الناصر يكره سكنى القصور ويتشاءم منها ويذكر أن فاروق عزل من قصر رأس التين ،

---

(١) ورد تحليل أدبى لنشأة جهاز المخابرات العامة فى مصر فى أكثر من عمل أدبى لعل أهمها قدمه صالح مرسى فى روايته (رأفت الهجان) ط٢ ، ١٩٨٨ ، دار نشر أبوللو – القاهرة .

كما كان يتفاءل بمبنى قيادة القوات المسلحة فى كوبرى القبة الذى بزغت منه الثورة ، فلما إنتقلت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى مبنى القيادة المشتركة فى ألماظة ، تشاءم من هذا النقل . وعبر عن ذلك بقوله : « أنا متشائم من يوم إن نقلت القيادة إلى مبنى القيادة المشتركة » .

كنت أظن فى بادىء الأمر أن عبد الناصر قد دعانى لمناقشتى فى أمور القوات المسلحة ، وحالة الأمن بها حيث كنت مسئولاً عن أمن القوات المسلحة .

وقد بدأ حديثه بسؤالى عن شتى الأمور التى تتعلق بهذا الموضوع ، ثم تدرج حديثه إلى ما تتعرض إليه البلاد من تآمر فى الداخل والخارج وقد أسهب فى الحديث لما يقرب من الساعة .. وفجأة وبلا مقدمات قال لى :

« أنا عاوزك تروح المخابرات العامة » ....

كان هذا العرض مفاجأة لى ، ولم أكن تواقا لقبوله ..

قلت له : أروح أعمل إيه ؟

قال : تشتغل نائب مدير ..

كنت فى ذاك الوقت ضابطاً فى القوات المسلحة برتبة البكباشى وأبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً ، وكان منصب نائب مدير المخابرات ، بدرجة نائب وزير .. وكان الكثير من المسئولين يتوقون إلى هذا المنصب ، ومع ذلك فقد عزفت عنه ، وإعتذرت لعبد الناصر عن عدم قبوله .

لم أكن أدرى حقيقة رسالة المخابرات ، ولم تكن لى دراسة بعلم المخابرات ، ولا أعرف من أمورها شيئا سوى بعض المعلومات عن المخابرات الإستراتيجية تلقيتها أثناء دراستى بكلية أركان حرب .. وكانت الفكرة السائدة فى مصر أن المخابرات تعنى التجسس على الناس .. كانت إسما غير مستحب لدى الناس .. لقد تسلطت هذه الفكرة على عقول كثير من المصريين حتى عقول أولئكل الذين يعملون فى مناصب كبرى بالحكومة .. الوزراء أنفسهم كانوا لا يعرفون ما هى المخابرات .

وكنت أحد المسئولين الذين تسلطت عليهم هذه الفكرة فى ذاك الوقت فنفرت منها .. ولكننى بعد أن عملت بها ، أدركت مهام المخابرات ، وأحببت العمل بها ، وتبين لى أن رسالتها من أشرف الرسالات ، بالرغم مما تعرضت له فى محنتها من تشهير العملاء والخونة .

كان على صبرى فى ذاك الوقت يعمل مديراً لمكتب عبد الناصر ، وقد عينه عبد الناصر فى منصب مدير المخابرات ليستفيد بدرجة الوزير المخصصة لمنصب مدير المخابرات وكان زكريا محيى الدين مشرفا على المخابرات والمحرك الفعلى لها ، لانشغال على صبرى فى إدارة أعمال مكتب عبد الناصر .

وكان على أن أبرر سبب رفضى لعرض عبد الناصر فقلت له :

أولاً أنا شغوف بعملى كضابط بالقوات المسلحة ، وأريد أن أكمل المشوار فى هذا الطريق ، وثانيا لأننى لا أستطيع العمل فى جهاز يتنافس على إدارته رئاستان : مدير المخابرات والمشرف العام ، وأخيراً لأننى لم أنسجم فى العمل مع رئاسة المخابرات القائمة لإختلاف الطباع ، والانسجام فى العمل من أهم عوامل نجاح أى عمل .

ولكن عبد الناصر سد أمامى سبل التملص من هذا العرض .

قال لى : « إننى سأعين على صبرى وزيراً للدولة بعد عدة شهور ، وستتولى أنت رئاسة الجهاز أما زكريا فقد يتفرغ لوزارة الداخلية ، وستصبح أنت رئيس الجهاز المسئول أمام رئيس الجمهورية شخصياً » .

ومع ذلك لم يبد على وجهى الإرتياح ... وهنا قال لى عبد الناصر فى إصرار :

أعتبر هذا تكليف من الثورة لأحد رجال الثورة . وأسقط فى يدى .. ويبدو أن عبد الناصر كان قد أعد قرار تعيينى .. فنهض من مقعده بجوارى وتوجه إلى مكتبه وأحضر قرار التعيين من فوقه وقال لى : « سأوقع القرار » .. وفعلاً قام بتوقيع القرار .

وبذلك تركت عملى بالقوات المسلحة وتوجهت فى اليوم التالى وقد إرتديت ملابسى المدنية إلى مبنى المخابرات العامة الذى كان مشيدا خلف مبنى مجلس الوزراء القائم أمام مجلس الشعب .

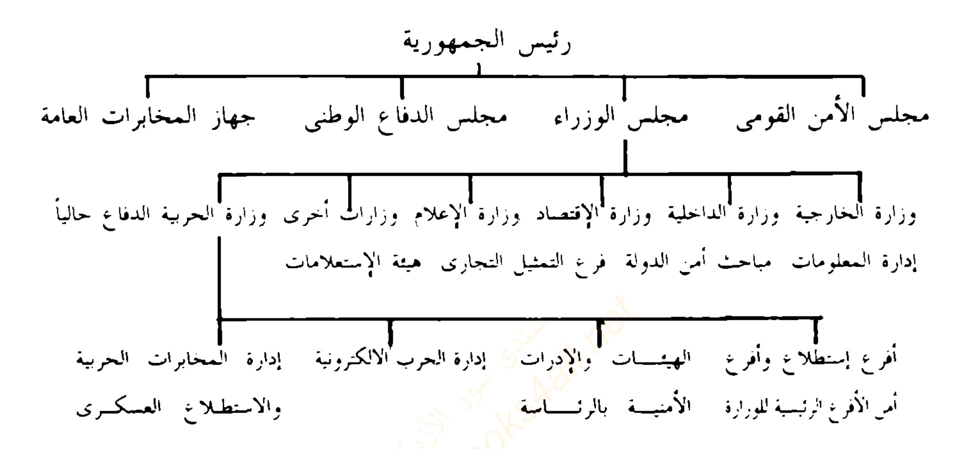
والواقع أن عبد الناصر بر بوعده ، ففى ١٢ من مايو سنة ١٩٥٧م أصدر قرار بتعيينى رئيسا للمخابرات .. وبدأت مرحلة جديدة فى حياتى السياسية[1] .

---

(١) المصدر : مذكرات صلاح نصر (الأصول) الجزء الأول ، مطبوعات مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر ، مايو ١٩٨٦ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

وهى بداية إستمرت فصولها حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وبعدها اعتقل صلاح نصر ، وتم التحقيق معه خلال الشهور الأولى من عام ١٩٦٨م ، ثم حكم عليه بالسجن .. لانحرافات عامة ، إلا أن هذا لا ينفى قيامهم بالكشف عن العديد من قضايا التجسس الهامة التى حاول الغرب بها إختراق مصر والتى منها قضية تجسس مصطفى أمين .. فماذا عنها ؟

شكل (١)
(مجتمع المخابرات فى عهد عبد الناصر)



قضية مصطفى أمين نموذجاً :

نقدم هذه الوقائع محددة بشأن القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة عليا والمتهم فيها الكاتب الصحفى المعروف مصطفى أمين بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية . إننا سوف نورد هنا حقيقتين لا ثالث لهما وسنخرج منهما بنتيجة واحدة : الحقيقة الأولى هى أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات عام ١٩٦٥م - والحقيقة الثانية هى مذكرة المدعى العام الإشتراكى عام ١٩٧٤م المقدمة لرئيس الجمهورية بالعفو عن مصطفى أمين لبطلان الإجراءات والإعترافات .

أما النتيجة التى سيسوقها الآن وبعد الإستماع إلى هاتين الحقيقتين فهى أن مصطفى

أمين قد أجرى بالفعل هذه الإتصالات وقام بالفعل بهذا التجسس .

ولكن ..... كان هذا جميعه بضوء أخضر من عبد الناصر وبمعرفته الشخصية إلا أن مصطفى أمين بالغ فى مساءلة التجسس والاتصال وحاول أن يدير العملية كلها لصالحه وأدى هذا التحرك عبد الناصر وأجهزته لقص أجنحة مصطفى أمين قبل أن يطير بها وبهم تلك هى النتيجة ... والآن إلى الحقائق ...

الحقيقة الأولى : أقوال مصطفى أمين فى التحقـــيـــقــات

كان مصطفى أمني يتوقع حدوث انقلاب شيوعى فى مصر .. ومن أجل ذلك فإنه فى حديثه المسجل من مندوب المخابرات الأمريكية قد إتخذ عددًا من الإحتياطات .. أن يبلغ على أمين أن يكتب فى عاموده ما يشعر بالتفاؤل .. وأن يهرب أمواله للخارج ويناقش مع المخابرات الأمريكية المكان الذى يمكن أن يعيش فيه بحيث يستطيعون حمايته ، ولا تنقطع صلته بهم ، بل يظل يؤدى لهم خدماته وفى جلساته مع (بروس) أعطاه أيضا مزيدا من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية عن مصر ، والهند والجزائر وأفريقيا ، والصين ، ويوغوسلافيا ، وفيتنام .. وكلها معلومات ادعى أنه عرفها من الرئيس .

ويؤكدالناصريونبين المتشددون وكل ما ورد فى هذه المعلومات على لسان الرئيس كاذب - كالأحاديث السابقة - فلم يتصل به الرئيس ولم يعطه أية معلومات (عبد الله إمام - قضية تجسس مصطفى أمين - دار الموقف العربى) .

وفى هذا الجزء من تسجيلات يتعجب بروس مما يكتبه مصطفى كامل فيقول أنه يكتبه فى عشر دقائق ، وأنه سيترك مصر ، ولكن لن يترك التعاون مع المخابرات الأمريكية .

وقد بدأ اللقاء بأن أعطى مصطفى أمين (لبروس الدويل رجل المخابرات والمستشار السياسى للسفارة الأمريكية واحداً من أهم الأسرار العسكرية وفقا لما سجل فى التحقيقات .

فتح المحضر يوم السبت ١٩٦٥/٨/٢١م الساعة الواحدة مساء بإدارة المخابرات العامة بالهيئة العامة السابقة ، حيث وصلنا إدارة المخابرات قبل إفتتاح هذا المحضر لمواصة

التحقيق ، وقدم لنا السيد ممدوح محمد تفويضا لبقية شرائط التسجيل التى ندب للإستماع إليها وقد تبين من ذلك التفريغ ما يأتى :

الشريط السادس : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٩٦٥/٦/٣م بين الشخص المصرى - مصطفى أمين - الذى رمز إليه بحرف A والأمريكى (بروس أوديل) الذى رمز إليه بحرف E على ٢٩ صفحة ، وقد جاء فى بدء المقابلة على لسان سؤال عن المعلومات بشأن ما تم فى تحويل المبالغ (لعلى) وقد ذكر أنه سبق أن تسلم عشرة وسيتسلم خمسة ، ثم ذكر أنه حدث فى إتصال تليفونى به يوم ٢٨ الساعة ١١ صباحاً وأخبره المتحدث أن إنفجاراً قد وقع فى مؤخرة المدمرة المصرية القاهرة ، وأضاف أن الإنفجار كان من داخل السفينة وقتل فيه كثير من الضباط والجنود وأن ٤٥ منهم جرحوا وحالتهم سيئة ، وأنه ألقى بالذخائر التى لم تنفجر فى البحر ، وذكر أن محدثه أبلغه أن هذه المدمرة من أحسن مدمرات الأسطول المصرى .

وقد ساءل أثناء الحديث عن مكان وجود تلك السفينة ، وما إذا كانت بالأسكندرية من عدمة ، فرد بالإيجاب مقرراً أنها سحبت إلى الإسكندرية ، وقد ورد على لسان أنه لو كان هذا الإنفجار قد حصل فى الإسكندرية لوصلت إليه المعلومات من مصادرها .. واستطرد E فى الحديث إلى أن اهتمام المسئولين كان ينحصر فى الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر فى الأرواح ، وأقر أنه تحادث تليفونيا مرة أخرى يوم ٢٩ وذكر أن نائب رئيس الجمهورية السيد حسن إبراهيم على علاقة بسيدة متزوجة تدعى .. وقد طلقها من زوجها .... هذا الأسبوع واتصل بها وأخبرها أنه يريد الزواج منها ، وكان على الأخير أن يسأل نفسه عن أثر هذه الزيجة لو تمت وما إذا كان سيستطيع نائب رئيس الجمهورية أن يظهر بزوجته فى المجتمعات .

ثم تحدث E بعد ذلك عن تغيير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه البلاد وذكر A أن الرئيس أخبره أنه من أغسطس الماضى حين غادر جون باردو سفير الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد شعر عند مقابلته للسفير ، ومقابلته الأخيرة للسيد على صبرى أن المعونة الأمريكية لمصر ستقطع وإن العلاقات السياسية فى عهد كنيدى كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالى الذى تغيرت فيه العلاقة تغيراً كبيراً ، وقد استعملوا سياسة القوة

التى لم يقابلها أن تصد من جانب الإتحاد السوفيتى الذى بدا متخوفاً وسنكون نحن الضحايا لهذا الموقف ثم ذكر أنه لم يحدث اتصال تليفونى يوم الأحد ٢٠ ، وقد حادثه يوم ٢١ تليفونيا ، وذكر أنه قابل السيد محجوب ، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من السيد محمود رياض يتضمن أن السيد محجوب قد أعرب له إستيائه تغلغل العناصر الشيوعية فى الصحافة المصرية ، وتخوفه من أن تؤثر الآراء المنشورة فى الصحف المصرية على الشعب السودانى ، وذكر الرئيس أنه ما بلغ السيد محجوب بأنه قلق كذلك من تغلغل الشيوعية فى الصحافة المصرية ، وإنه يعتقد أن المخطط الشيوعى هو الإستيلاء على الثورة السودانية ثم الثورة المصرية .

وشكا مما نشر بجريدة أخبار اليوم بالعدد الذى صادرته حكومة السودان وقد مرت بشتائة إحتجاجاً لسفر المصرى بالسودان ... كما ذكر الرئيس أن السيد محجوب أبلغه بأن عدداً من الكنغوليين قد وصل إلى السودان ، وتحدث عن الفضائح التى يرتكبها بعض زعماء الكونغو الشوريين ، وذكر أن عدد الكونغليين الذين وصلوا السودان يتراوح بين ٢٠٠ أو ٥٠٠ بأسلحتهم التى لم تستخدم .

وفى نهاية الحديث مع محجوب ذكر الرئيس أنه يرغب فى التخلى تدريجياً عن مساعدة الكونغو ، وطلب محجوب أن يقوم بوضع خطة التخلى هذه على أن يتعهد السودان بتنفيذها ، وسيدعى مجلس الوزراء السودانى للإجتماع لبحث هذا الموضوع وطلب أن يكون الاتصال الرئيسى فى هذا الشأن ، واقترح الأخير أن يزور مصر وفد من حزب الأمة فوعد محجوب بذلك كما وعد بأن رئيس هذا الحزب هو الذى سيحضر إلى مصر ، وقد ساءل عن سر الختم خليفة فذكر محجوب أنه سوف يعين سفيراً وسينحى عن رئاسة الوزراء ، وأنه متخوف من الشيوعيين .

وذكر المصرى كذلك أنه حصل حديث تليفونى فى اليوم السابق مع الرئيس الذى أبلغه أنه تم إكتشاف خلايا سريه فى وحدات المشاه بالجيش المصرى وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد وقد سأل الأمريكى عما إذا كان المصرى تقابل مع صديقه الكولونيل فأجابه بالنفى ثم سأله عن مدى صحة الشائعة الخاصة بسفره . أى سفره إلى نيويورك إن الجميع يظنون ذلك وقد سئل فذكر أنه ذاهب إلى اليمن فتحدث عن أنه طلب منه أن يستفسر له عن مدى صحة هذه الشائعة واستطرد قائلاً إن الرئيس لو علم عن طريق حكومة الولايات

المتحدة ، الصحفيين ، والمسئولين ، والمثقفين مستاءون من الإتجاه الشيوعى ، الظاهر فى الصحف المصرية والاتجاه العدائى ضد الولايات المتحدة الامريكية فسيكون ذلك مجدياً وإنتهى فى حديثه هذا بطلب نقل أكثر أو أقل من ذلك .

تلا ذلك الحديث فترة تناول الغداء تحدث بعدها A فى أنه مسافر إلى آثينا وأنه سيعود خلال الأسبوع التالى ، وسيتصل به فور عودته ، وطلب منه ألا يذكر سوى أسمه الأول ، عند محادثته تليفونيا دون لقب ونبه أن يكون الإتصال بمنزله إذا إقتضى الأمر ذلك ، وأفاد بأنه سوف يحاط علماً بالمخابرة .

ثم سأل عن وسيلة الإتصال بعلى ، وكيف يمكن تدبيرها خارج لندن إنه قد بحث الأمر مع على ، وأنه يكتفى أن يتقدم إليه بدعوة وتذكره ويبلغه بأنه قادم من طرف مصطفى ، وإقترح الاتصال التليفونى بعلى ولكن رفض فكرة الاتصال التليفونى وتحدث بعد ذلك بشأن الطلب الأخير توصيل أوراق هامة جداً فى حوزته للخارج واقترح أن يقوم سعيد فريحه بهذه المهمة غير أنه رفض هذا الإقتراح واتفق على بحث هذا الموضوع فى مقابلة ثانية ، وقد استفسر على الظروف المحيطة بوفاة كل من الدكتور الشحات وطه التمر ، وأحمد مندور وما إذا كان الأول انتحر وكان الأخير انتحر من ثلاثة أيام سابقة فأفاد بهذه المعلومات غير صحيحة وأن وفاتهم طبيعية فذكر أن هذه المعلومات وصلت عن طريق تقارير مقدمة إليهم وسأل عما إذا كان لدى معلومات بشأن مقابلة الرئيس للوفد اليمنى يوم ٣٠ ومقابلته للأمير عبد العزيز فأجاب بالنفى وذكر أثناء الحديث ان سبق أن فائدة منذ عودة أشهر بأن اللجنة أوصت بعدم إقامة مصانع على الأراضى الزراعية واستفسر عما إذا كان يذكر ذلك فأجابه بالإيجاب وأفاد بأن هذا الموضوع قديم وتحدث فيه منذ ٦ أشهر سابقة .

ثم سأل على المعلومات بشأن وجود السيد المشير عامر بالمستشفى فذكر أنه قد إجريت لسيادته عملية الزائدة الدودية . وأضاف أنه يعلم أن علاقته كانت سيئة بالرئيس وقد تعاركا ثم أحس السيد المشير بألم فى بطنه فصحبته إلى المستشفى وأضاف بأن لا يوجد من هو مبرر من الحال ثم تحدث على الوحدة العربية والشيوعية والإشتراكية وعلاقة الجمهورية العربية المتحدة بالإتحاد السوفيتى وإتجاهات الرئيس بالنسبة لهذه المواضيع .

وطلب أثناء الحديث أن يكون لديه معلومات مبكرة عن تصرفات سيقوم بها الجانب الأمريكى لتوصيلها للرئيس قبل حدوثها فيستنفع بأنه على بينة ببواطن الأمور ثم سأل

الأمريكى عما إذا كان الرئيس قد علق على الأحداث على الهدنة بين الأردن وإسرائيل فذكر بأن سعيد بإنقاذ السيد الشقرى وعلق على ذلك الفلسطينيين يرون أن الشقرى أكثر قربا للشيوعية ... ؟إنتهى التقرير بعد ذلك بمكالمة تليفونية بينهما .

واضح أن مشكلة مصطفى أمين الشخصية هى الشيوعيون وهى المشكلة التى كان يركز عليها فى أحاديثه مع « بروس » وكانت هذه الأحاديث فى منزله قبل القبض عليه ، وهو ينقل معلومات مختلفة ، وأسراراً عسكرية وينسبها إلى الرئيس ، ومما يلفت النظر أن بروس حذره من الإتصال به فى منزله إلا للضرورة القصوى ، ويذكر فقط إسمه الأول ، ولا يذكر الأسم كاملاً .. ثم تواصل النيابة تفريغها للأشرطة .

الشريط السابع : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٦/٦/١٩٦٥م بين الشخص المصرى المرموز له بحرف (أى) والأمريكى المرموز له بحرف (إيه) وقد أفرغ على ٦٥ صفحة ، وقد بدأ بحديث من الأول جاء فيه « أن على » إتصل به تليفونيا فى اليوم السابق وأخبره أن المال لم يصل إليه .. فذكر (إيه) أنه كان ينبغى أن يصل المبلغ يوم ٣ أو ٤ على الأكثر وذكر (أى) أن « على » قد إنتقل إلى فندق « ماى فير » بلندن وينوى أن يقيم فيه فترة من الوقت كما ذكر أنه أى (أى) ينوى السفر إلى الإسكندرية بضعة أيام حتى يوم السبت أو الأحد التالين وبعد ذلك ذكر (إيه) عبارة لنبدأ يوم الأربعاء .

ثم إنتقل إلى الحديث عن « أرشى روزفلت » ذكر أنه صديقهم وأنه تقابل مع (أى) وعلى منذ سنة ١٩٤٤م فيما عرفت منه ، وأفاد أن هذا الشخص هو رجلهم فى لندن ، وتحدثا بعد ذلك حول معرفة « على » به ، وانتهى الحديث بصدده إلى أن يكتب (أى) خطاباً « لعلى » ليتقدم إليه ، أرشى به فيتم التعارف بينهما ، وأثناء الحديث حول هذا الموضوع تحدث (أى) حديثاً تليفونياً فيه على سيده ، ثم أخبر (إيه) أن التسليم قد تم وأنه أبلغ تليفونياً أن برقية وصلت تفيد بأن الصحيفة وصلته .

وقد حرر (أى) فيما يبدو خطاباً باللغة العربية « لعلى » يقدم فيه (أرشى) إلى ثم ترجمه فيما بعد هو ثابت فى التسجيل شفاهة إلى (إيه) وقد جاء فيه أن حامل ذلك الخطاب سوف يقوم بدور رجل الإتصال ، وفى إمكان المرسل إليه أن يعتمد عليه كما اعتاد الإعتماد على إبن عمه فى كل ما يريد .

وإستطرد المرسل إلى أن مسألة خروج الصحفيين من الصحافة لا تزال كما هى ، ولم يطرأ بشأنها أى جديد ، ويحتمل إلا يجد فيها شيئاً قبل أواخر شهر سبتمبر ١٩٩٢م عندما يقوم (آر أى عبد الناصر) بتغيير بناء الاتحاد القومى ، وأن الرئيس سوف يذهب إلى الجزائر فى نهاية الشهر ثم إلى يوغوسلافيا ، وأن السيد السعدنى أخبر المرسل بأن المرسل إليها أصبح حلاء هاماً جداً فى لندن ، وطلب منه أن يكتب فى العامود المخصص له ما يشعر بالتفاؤل كما طلب منه أن يكتب عن مصر إذ لوحظ أن كثيراً ما يكتب عن إنجلترا مما يفيد أنه يعتقد أن الحالة سيئة فى مصر ، وأنهى خطابه بأن سكرتيرته قد اتصلت به وأبلغته بأنها تسلمت برقية تفيد أن الجريدة قد وصلته .

ثم ذكر (إيه) الأمريكى أنه قد قرأ المقالات الثلاثة الأخيرة التى كتبها (أى) المصرى وإنه مندهش لهذه الكتابة ، وأنه يتصور أنها تقتله ، وتأخذ منه وقتاً كثيراً ، فأفاد (أى) المصرى أنه لم يستغرق أكثر من عشر دقائق فى كتابتها ، ثم جاء على لسان (إيه) أنه ذهب إلى بيروت لزيادة أرملة صديق له هناك ، وبدأ (أى) بعد ذلك بأن ذكر أن (آر) الرئيس حادثه يوم ١٥ الساعة ٨ صباحاً ، وأخبره أنه متعب من مقابلة كل هؤلاء الزعماء ، ومحاولة إيجاد حلول للمشكلات القائمة بشأن النزاع بين باكستان والهند والنزاع بين الصين والاتحاد السوفييتى ، والنزاع بين ماليزيا وأندونيسيا وخاصة أن هناك معارك بين الأفريقيين وأنه يرى أنه إذا تم الاجتماع الأفرو آسيوى دون أن يسبقه تصفية لهذه المشكلات ، فمعنى ذلك أنه سيفشل كما يرى أن قوته تستند على التضامن.

وأضاف أن (آر) الرئيس ذكر كذلك أنه تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » يقول فيها أن موقف الولايات المتحدة من الإتحاد السوفييتى سيء بسبب النزاع مع الصين الشعبية ، واقترح « تيتو » أن يحاول (آر) الرئيس إعطاء الإتحاد السوفييتى التأييد المعنوى بشأن فيتنام وحث الهند والجزائر وبعض الدول الأفريقية فى هذا الإتجاه ، وسوف يكون لذلك أثر طيب على زعماء الإتحاد السوفييتى محاولاً إقناع هؤلاء الزعماء بمنح الجمهورية العربية المتحدة مساعدات ضخمة نظير قيامها بهذا الدور الذى سوف يعضد موقف الاتحاد السوفييتى من الصين الشعبية .

واستطرد (أى) المصرى قائلاً : أنه ذكر لـ (آر) الرئيس أن « تيتو » يحاول الحصول على فائدة لنفسه ، ويحاول أن يبيع الجمهورية العربية المتحدة للإتحاد السوفييتى ، ذلك أنه

سوف يقول إن الفشل يعود. إليه .

وقد أجاب (آر) الرئيس على ذلك بأن دوره هو تدعيم قوة القاهرة ، بمعنى أنه لا يريد إعطاء القوة إلا لتيتو ، ولا لآخر وقد تخلل الحديث بعد ذلك فترة تناول الطعام ، وتحدث (أى) المصرى قائلاً إنه حصل إتصال تليفونى آخر يوم الأحد ١٣ الساعة ٩ صباحاً ، وقد أخبره (آر) الرئيس بأنه جرت اتصالات مع الولايات المتحدة ، وأن هذا الموضوع يتسم بالسرية وأن نتائج هذه الإتصالات هامة إلا أنه لا يود أن يعلق عليها آمالاً كبيرة ويفكر فى إيفاد (هيكل) إلى واشنطن . وقد يكون ذلك بناء على إقتراح السفير الأمريكى المعجب به . وسوف تحصل الجمهورية العربية المتحدة على ٣٩ مليون دولار كمساعدة وقد صحح أثناء هذا الحديث الرقم إلى ٣٧ .

حشد آخر من الأكاذيب فى كل الإتجاهات على لسان الرئيس ... فبركة متقنة لأحداث ، ومتاعب وأخبار يقول بعد ذلك فى التحقيق أنها لم تقع إطلاقاً وأنها من نسيج خياله .. يستمر مصطفى أمين فى أكاذيبه وفقا للتحقيقات أنه ذكر أن (آر) الرئيس لا يريد الاعتماد على المساعدة الأمريكية حتى لا تشعر الولايات المتحدة أننا فى حاجة ماسة لها ، لأنها إذا شعرت بهذا فسوف تكسرنا ، وقد أخبر هيكل السفير الأمريكى بأن الجمهورية العربية على إستعداد لإعطاء إمتياز القطن للولايات المتحدة ، وقد قام (إيه) بشرح الإجراءات التى تتم بين كل من مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ والكونجرس وأخيراً موافقة الرئيس الأمريكى بشأن حصة المعونة الأمريكية الخارجية .

وطلب (إيه) أن يوضح لـ (آر) أن ما سوف يدور فى مؤتمر الجزائر سيؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وأن (آر) الرئيس يخطىء فى فهم طبيعة الرئيس الأمريكى ، وهو من رجال تكساس الذين يتصفون بالعناد ، وذكر أثناء الحديث أن (آر) الرئيس متخوف من استخدام الولايات المتحدة لسياسة القوة فى فيتنام وسان دومنجو ، فرد (إيه) على ذلك بأن هذا يقتضى من (آر) الكف عن مهاجمة الولايات المتحدة .. وذكر أن مصر لم تكف عن هذه المهاجمة سواء منحت المعونة أم لا ..

وإنتقل (أى) بعد ذلك للحديث عن إتصال مع (آر) يوم الجمعة ١١ حيث حادثه من برج العرب ، وقد كان السيد المشير هناك لقضاء فترة نقاهة ، ذكر (آر) الرئيس . أنه يواجه مشكلتين ، الأولى فشل الإتحاد القومى والثانية تتعلق برئاسة الوزارة ، وذكر أنه

يفكر فى أن يتولى السيد زكريا محيى الدين رئاسة الوزارة ، وقد تحدث (آر) فيما ذكر (أى) أنه تحدث مع خالد محيى الدين بشأن الشيوعيين فى الصحافة فقال خالد محيى الدين إلى (آر) الرئيس أن مصطفى أمين يبالغ بطلب تعيينه سفير فى إحدى الدول الأفريقية ، وأنه سيسافر إلى لندن لإجراء عملية لإبنته وسأل (آر) الرئيس بعد ذلك عن السيد البغدادى ، فأخبره بأنه يريد أن يكون ملكاً ، وذكر أنه رئيس منتخب وأن البغدادى قد وجه الدعوى إلى ٦٦ من كبار الضباط ، وأنه لو كان يود لما ذهب منهم أربعة ، وأن هؤلاء الضباط كانوا يمزحون فى طريقهم إلى السيد البغدادى قائلين أنه سوف يكون مصيرهم مصير المماليك .

وورد على لسان (أى) بعد ذلك أن (آر) الرئيس لم يتصل به من يوم الثلاثاء الموافق ٦ حتى يوم ١١ فقد كان يقضى هذه الفترة إجازة فى برج العرب . واستطرد إلى المساعدات التى تقدمها مصر للجزائر بمناسبة انعقاد المؤتمر الأفريقى ، وأنها أرسلت جميع الإحتياجات ، من سيارات ، وطهاة ، ومترجمين ومفروشات .

وقد سأل إيه عما إذا كان (آر) تحدث عن اليمن ، فأجاب (ايى) أنه لم يذكر سوى أن النعمان يريد تقديم إستقالته ، لأنه طلب مساعدة مالية كبيرة ، وقد أخبره (آر) أن المال غير متوافر ، على فرض توافره فلا يمكن أن تمنح مثل هذه المساعدات لوزارة تضم ثمانية بعثيين . وذلك ورد على لسان (آر) فى الحديث الذى جرى معه يوم ١١ .

واستطرد قائلاً أنه قد تذكر حديثاً جرى بشأن إتصالات هيكل مع الولايات المتحدة يوم ١٣ وأن (آر) أخبره بأن الخلافات مع الولايات المتحدة تدور حول إسرائيل والكونغو واليمن ، وأنه بالنسبة لإسرائيل فقد استخدم نفوذه ، ليرجع أمين الحافظ عن فكرته فى حرب شاملة ضد إسرائيل ، وتحدث فى مؤتمر فلسطين وقال إننا غير مستعدين لدخول الحرب مع إسرائيل ، وبالنسبة للكونغو فقد أوقفت الجمهورية العربية مساعداتها للثوار ، وبالنسبة لليمن فنحن مستعدون للإنسحاب ، ولكن الملك فيصل يريد نوعا من الخضوع غير المشروط ، وتساءل عما تريده الولايات المتحدة بعد ذلك كله ، فقد نسى أيضاً فيما ذكر ما جرى من حديث بينه وبين (آر) الرئيس يوم الثلاثاء بشأن أزمة ورق الصحف ، لقد أخبره (آر) الرئيس أنه طلب من السيد خالد محيى الدين أن يقابل سفير الإتحاد السوفيتى ، ويخبره بحاجة البلاد الماسة لورق الصحف وأخبره أن مصطفى أمين إستطاع فى يوم ما، أن يحصل

على ما قيمته مليون دولار من ورق الصحف من الولايات المتحدة ، وأضاف أن الدكتور حاتم إتصل به صباحاً وأخبر بأن محمد جلال عيسى قد نشر مقالا ضد الشيوعية فى مجلة الرسالة ، فأصدر الدكتور حاتم أمراً بعدم نشر مقالات له وعلق (أى) على ذلك بأنه مفيد وأن المقال يهاجم د . لويس عوض المحرر بجريدة الأهرام ، ويبدو أنه هو الذى شكا من هذا المقال .

وقد سأل (إيه) عما إذا كان (أى) يعتقد أن نتيجة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، هى أن الاتحاد السوفيتى سيعطى معونة إضافية . فأجاب (أى) بأن الإتحاد السوفييتى لا يملك ما يعطيه ، وسأل (إيه) عن سبب تغيير سفير الإتحاد السوفييتى فى مصر ، فأجاب (أى) بأن ذلك لم يكن مفاجأة لأن ذلك السفير معروف بصداقته « لخروشوف » وأن (آر) ذكر أنه مرتاح جداً لتغرير هذا السفير . وأنه يرى أن هذا لتغيير فى مصلحة الجمهورية العربية بسبب تمتع السفير الجديد بثقة الزعماء الجدد وأن الإتصالات ستتم بسرعة فى عهد السفير الجديد .

تلك هى أبرز وأهم أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات معه وتلك هى الحقيقة الأولى فى قضيته المثيرة .. ماذا عن الحقيقة الثانية .

الحقيقة الثانية : مذكرة بطلب العفو عن السيد / مصطفى أمين يوسف المحكوم عليه فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة

أصدرت محكمة أمن الدولة العليا المشكلة برئاسة الفريق أول محمد فؤاد الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م حكمها فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م الذى قضى بمعاقبة السيد / مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وكانت نيابة أمن الدولة العليا قد وجهت إليه أربع تهم أولها أنه تخابر مع أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الأضرار بالمركز الحربى والسياسى والدبلوماسى والإقتصادى للدولة . والثانية أنه سلم لشخص يعمل لمصلحة دولة أجنبية معلومات خاصة بالدفاع ، عن البلاد ومعلومات حربية وسياسية ودبلوماسية وإقتصادية والثالثة أنه قام بعمليات مقاصة بتحويل نقد أجنبى للخارج ودفع ٢٠ آلاف جنيه بالنقد المصرى لأجنبى ليقبض

مقابلها بالخارج . والرابعة أنه اشترك بطريق الإتفاق ولمصلحة مع أجنبى غير مقيم بالجمهورية العربية المتحدة فى التعامل بالنقد الأجنبى .

وانتهت المحكمة فى حكمها إلى إعادة المتهم الثلاثة الأولى والثالثة والرابعة ، وبراءة من التهمة الثانية . وقضت بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة .

واستندت المحكمة فى حكمها بالإدانة - بصفة أساسية - على ثمان تسجيلات صوتية ، مسجلة على أحد عشر شريطا ، تتضمن بعض أحاديث جرت بينه وبين أحد الملتحقين بالسفارة الأمريكية .

كما استندت على إقرار مكتوب بخط يده حرر فى ستين صفحة وبعض إعترافات فى التحقيق .

وعندما مثل السيد / مصطفى أمين يوسف أمام المدعى العام الإشتراكى عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام الإشتراكى عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام طبقا للقانون رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٢ ، تطرق البحث إلى أسباب فرض الحراسة عليه ، وعند مواجهته بالحكم الصادر ضده بالأشغال الشاقة المؤبدة دفع السيد / مصطفى أمين يوسف ببطلان الإجراءات ، وبطلان الإعترافات المنسوبة إليه لصدورها تحت تأثير إكراه بدنى ومعنوى .

وكان طبيعياً أن يتصدى المدعى العام الإشتراكى لبحث ما أثاره السيد / مصطفى أمين يوسف ، فتبين له من الإطلاع على ملف القضية أن التسجيلات الصوتية التى إستند عليها الحكم فى الإدانه قد قدمتها هيئة الأمن القومى - بإدارة المخابرات العامة - فى ظل مراكز القوى القديمة ، ولم تراع فى شأنها ما يحتميه قانون الإجراءات الجنائية من ضرورة إستئذان القاضى الجزئى قبل إجراءها الأمر المؤدى إلى بطلان الدليل المستمد منها . هذا فضلا عن أنها - فيما احتوته من أحاديث - ليست كافية لتقويم الإدانة مستندة عليها فسياق الحديث قد جاء فى معظمها غير مترابطة ولا متكاملة وتضمن الكثير منها فراغات فى الأشرطة خلت من تسجيل أية أحاديث الأمر الذى يدعو إلى عدم إطمئنان إلى سلامتها ، وإلى الإعتقاد بأن يداها تكون قد عبثت بهما لتحكموا دليلاً فى صالح المتهم .

وأما إعتراف المتهم فقد قامت أدلة قاطعة تشير إلى أنه قد تم تحت تأثير إكراه يدوى

ومعنوى لا طاقة للبشر باحتمالة ، الأمر الذى يهدر الدليل المستمد من هذا الإعتراف فقد إستقر الفقه ، وجرت أحكام المحكمة وذهبت محكمة النقض فى أحكامها إلى أنه عند حدوث الإكراه والتعذيب يتعين إطراح الأقاويل التى جاءت على ألسنة الشهود والمستعوجين الذين خضعوا لهذا التعذيب بأى وجه وأنه لا يصح التعويل على تلك الأقاويل ولو كانت صادقة مطابقة للواقع متى كانت وليدة تعذيب أو إكراه أيا كان قدره من الضآلة (نقض ١٣ أكتوبر ١٩٦٩م مجموعة أحكام النقض - السنة العشرون - ص ١٠٥٦ رقم ٢٠٨) .

إزاء ذلك فإن الحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا برئاسة الفريق أول محمد فؤاد الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م بمعاقبة السيد مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة يكون قد بنى على باطل وتحتم تصحيح الأوضاع الناتجة عنه .

وحيث أن المادة ١٢٧٩ من الدستور قد جعلت المدعى العام الإشتراكى مسئولاً عن إتخاذ الإجراءات التى تكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ، ونظامه السياسى ، والحفاظ على المكاسب الإشتراكية والتزام السلوك الإشتراكى .

وحيث أن محكمة أمن الدولة العليا التى أصدرت الحكم سالف البيان قد شكلت طبقاً للمادة الثانية من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤م .

وحيث أن هذه المادة قد نصت على أنه... ، لا يجوز الطعن بأى وجه من الوجوه فى الأحكام الصاغرة من هذه المحكمة ولا تكون هذه الأحكام نهائياً إلا بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

وحيث أن هذا الحكم قد تم التصديق عليه فى ١٦ أغسطس ١٩٦٦م وأصبح بالتالى نهائياً . فإن الطريق الوحيد لإنصاف المحكوم عليه هو إستصدار قرار جمهورى بالعفو عنه طبقاً للمادة من الدستور . لذلك فإن المدعى العام الإشتراكى يعرض الأمر على السيد / رئيس الجمهورية ليتفضل بالموافقة على مشروع القرار المرفق بالعفو عن العقوبة المحكوم بها على السيد / مصطفى أمين يوسف وكافة الآثار والعقوبات التكميلية والتبعية المترتبة على هذا الحكم .

القاهرة فى ١١ إبريل ١٩٧٤م

المدعى العام الإشتراكى
دكتور مصطفى أبو زيد فهمى

النتيـــــجة :

نخرج من هاتين الحقيقتين بنتيجة أساسية سبق الإشارة إليها ، وهى أن مصطفى أمين كان يتجسس بأمر من عبد الناصر وكان يؤدى دوره بضوء أخضر من أجهزة المخابرات العامة .. إلا أنه كان قد بدأ يخرج من الخط العام ، فتم ضربه وبموافقة عبد الناصر ، وهنا يثير البعض أقوالا معناها أن محمد حسنين هيكل ، كان وراء عملية الإيقاع باستاذه مصطفى أمين ، وأنه هو الذى أوحى لعبد الناصر بذلك ولقد حاول هيكل أن يبدأ نفسه عام ١٩٨٦م فأصدر كتاباً ضخماً أسماه (بين الصحافة والسياسة) خصصه لقضية مصطفى أمين ، ولكن القضية لا زالت تداعياتها ترى وهى تداعيات تؤكد مجتمعه أن الموقف من الغرب كان لدى عبد الناصر يشوبه الحذر والشك المتبادل رغم الإعجاب ومحاولة التبعية التى حاول الغرب أن يربط بها عبد الناصر منذ فجر يوم ٢٣ / يوليو / ١٩٥٢م بل وقبلها أثناء تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ، ونشاطاته قبل الثورة .

إن علاقة عبد الناصر بالغرب ، شابها العديد من علامات الإستفهام . جنباً إلى جنب مع علامات التعجب والتى حولها البعض منا - بفعل الإحباط المعاصر إلى علامات من الإعجاب ، والإنبهار الشديد بمواقف عبد الناصر تجاه الغرب .

وهى علامات (الإعجاب) لم يكتشف بعد فى لغتنا العربية شكلاً للعتبير عنها . وذلك لأنها منطوقة أكثر منها مكتوبة ، وهى منطوقة أكثر فى زمن الردة والتراجع ، وليس هناك أبدع من زماننا هذا نموذجاً لتلك الردة وذاك التراجع .

قـــرار رئيس جمهورية مصر العربيـــة
رقم ٧٢٦ لســـنة ١٩٧٤
بالعفو عن السيد / مصطفى أمين يوســـــف
المحكوم عليه في القضية رقم ١٠ لســـنة ١٩٦٥
أمن دولة عليـــا

رئيس الجمهـــورية

بعد الاطلاع على الدســـتور ؛

وعلى القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ بإصدار قانون العقوبات والقوانين المعدلة له ؛

وعلى القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ بإصدار قانون الإجراءات الجنائية والقوانين المعدلة له ؛

وعلى القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ في شأن تنظيم السجون ؛

وعلى المذكـــرة المقدمـــة من المدعي العـــام الاشـــتراكي .

قـــــــــــرر

المـــادة الأولى — يعفى من العقـــوبة المحكوم بها على السيد / مصطفى أمين يوســـف في القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليـــا وكذا كافـــة الآثـــار والعقـــوبات التكميليـــة والتبعيـــة المترتبـــة على الحكـــم الصـــادر فيها .

المـــادة الثانيـــة — ينشـــر هذا القرار في الجريدة الرســـمية ويعمل به من تاريخ صـــــدوره .

صدر برئاســـة الجمهوريـــة في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٩٤ (١٨ مايو سنة ١٩٧٤)

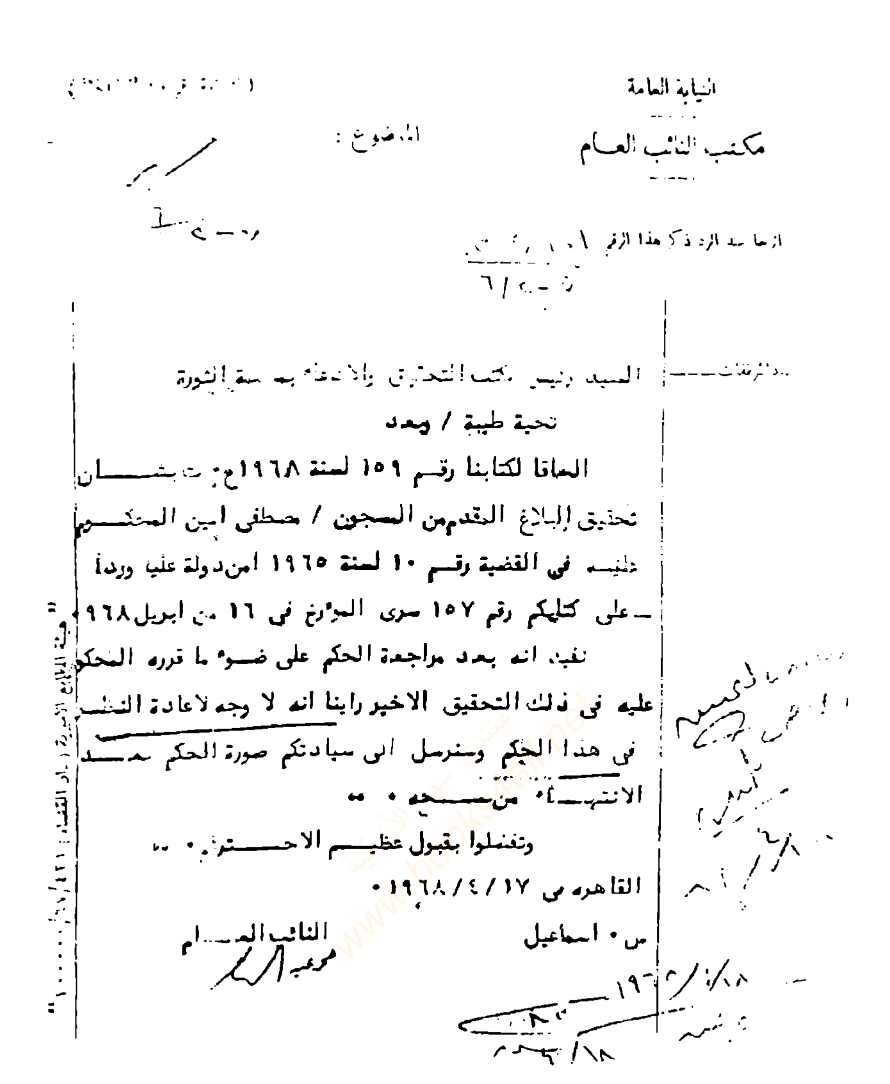
(أنـــور السـادات)

صورة مرسلة إلى

أمين عام مجلس الوزراء

(السيد صلاح الدين شفيق)

قرار السادات بالعفو عن مصطفى أمين



النيابة العامة

مكتب النائب العام

الموضوع :

السيد رئيس مكتب التحقيق والادعاء بمحكمة الثورة

تحية طيبة / وبعد

الحاقا لكتابنا رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٨م بشان

تحقيق البلاغ المقدم من المسجون / مصطفى امين المحكوم

عليه في القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ امن دولة عليا وردا

على كتابكم رقم ١٥٧ سرى المؤرخ في ١٦ من ابريل ١٩٦٨

نفيد انه بعد مراجعة الحكم على ضوء ما قرره المحكوم

عليه في ذلك التحقيق الاخير راينا انه لا وجه لاعادة النظر

في هذا الحكم وسنرسل الى سيادتكم صورة الحكم بعد

الانتهاء من نسخه ..

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام ..

القاهره في ١٩٦٨/٤/١٧

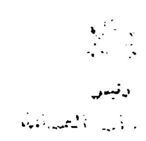
النائب العام

محمد عبد السلام

س. اسماعيل

النائب العام فى عهد عبد الناصر يرفض الإفراج عن مصطفى أمين

بسم الله الرحمن الرحيم



شهـــادة

تشهد المخابرات العامة بان التحقيق فى القضايا التى تم أو يتم تحقيقهـــا بواسطة المخابرات العامة يجرى فى سرية تامة وهناك فصل تام بين جميـــــع المتهمين أو الشهود ولا يسمح اطلاقا بان يشاهد متهم أو شاهد فى قضية مـــا متهم آخر أو شاهد فى قضية اخرى يتم تحقيقها •

وان جميع من شملهم التحقيق فى قضية مصطفى أمين لم يتم اتصالهـــم أو شاهدتهم السيد / مصطفى امين أو من شملهم التحقيق فى قضيته اثناء تواجدهم فى جهاز المخابرات العامة •

أعطيت هذه الشهادة بناءا على طلب السيد / صلاح نصر لتقديمها الـــى مكتب المحامى العام بخصوص التحقيق الذى يجرى فيما يدعيه السيد / مصطفى أمين وبعض المتهمين فى قضايا سابقة بوقوع تعذيب عليهم •

تحريرا فى : ١٩٧٥/١/٥

وكيـــل
المخابــــرات العامــــــة

المخابرات العامة وقضية مصطفى أمين

الفصل التاسع

عبد الناصر والأخوة الأعداء

الصراع مع الشيوعيين والإخوان

١٩٦٥



عبد الناصر والأخوة الأعداء
الصراع مع الشيوعين والإخوان (٩٦٥ م)

كانت العلاقة بين عبد الناصر والشيوعيين ، وعبد الناصر والإخوان ينطبق عليها بحق مقولة (صراع الأخوة الأعداء) ، فلم تعرف هذه العلاقة الإستقرار الدائم ، إذ شابها دائماً الصدام ، والصراع ، وفى هذا الجزء من الموسوعة ، سوف نركز الحديث على (ملامح) هذه العلاقة خلال الستينات ، خاصة بالنسبة للإخوان ، أما الشيوعيين فإن الصدام بينهم وبين الثورة تزايدت حدته عام ١٩٥٨م . ولإيضاح هذه الملامح لعلاقة الأخوة الأعداء سوف نمحور الحديث حول العناصر التالية :

أولاً . جوهر الخلاف الناصرى / الشيوعى (الديمقراطية والقومية العربية) .
ثانيا : إغتيال شهدى عطية كنموذج لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين .
ثالثا : الصدام الثانى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م .
وبتفصيل هذه العناصر يتسبين الآتى :

أولاً : جوهر الخلاف الناصرى / الشيوعى (الديمقراطية والقومية العربية) .

سوف نورد هنا رواية الشيوعيين أنفسهم لجوهر خلافهم مع عبد الناصر ، وسوف نورد هنا ملخص رؤية مؤرخ الحركة الشيوعية فى مصر (أو هكذا يقول عن نفسه رغم إختلاف الشيوعيين فى ذلك) . إنه الدكتور رفعت السعيد ، فماذا يقول ؟[1] .

يؤكد د . رفعت أن جوهر الخلاف مع عبد الناصر حول قضيتين هما الديمقراطية ... والقومية العربية وبالنسبة لقضية الديمقراطية يقول بهذا الصدد .

إذا كان علينا أن نبدأ بالبحث عن نقاط الإلتقاء بين الشيوعيين والحكم وبينهم وبين أنفسهم فلقد طالعنا الإجابات المشتركة التى قدمها ممثلو المنظمات الشيوعية المصرية الثلاث التى كونت الحزب الشيوعى المصرى ... لمراسل جريدة الأونيتا (ممثل الحزب الشيوعى الإيطالى) .

---

(١) د. رفعت السعيد : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية : الوحدة والانقسام – الحل – ١٩٥٧ – ١٩٦٥ القاهرة – شركة الأمل للطباعة ١٩٨٦م .

يتميز الوضع الراهن بالإنتصارات الفائقة التى أحرزتها الحركة الوطنية ، وللمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديث نجد حكومة وطنية تدافع عن مصالح الوطن ، ويدعمها تحالف عريض يشمل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الوطنية ، وعلى رأس هذه الجبهة حكومة عبد الناصر[١] .

وطالعنا كذلك البيان المشترك الصادر عن المنظمات الثلاث فى فبراير ١٩٥٧م .

يحاول المستعمرون وعملاؤهم أن يذرفوا دموع التماسيح على ما يدعونه من إهدار الحريات فى مصر متجاهلين أن الشعب المصرى والوطنيين المصريين لم يتمتعوا فى يوم من الأيام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم ، وأن هذه الحرية المتاحة للوطنيين تتسع فرصها يوما بعد يوم ، وأن الذين ضاقت حريتهم هم المستعمرون وعملاؤهم من المأجورين وغلاة الرجعيين[١] .

وفى نفس البيان يقول د . رفعت السعيد إن مصر لتتطلع كذلك إلى المسارعة بتكوين الإتحاد القومى كتنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الإستعمار .

ويمتد الموقف ليحاول أن يتصور أن ساعة التصادم قد تباعدت ولعلها قد تلاشت . ويصل الأمر بالنشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى الصادر فى ٢٢ مارس ١٩٥٨م والتى تقدم نتائج إجتماعات اللجنة المركزية الموحدة فى إجتماعها الأول (٨ يناير ١٩٥٨م) .

يصل بها الأمر إلى القول « من المستبعد أن تقوم الحكومة بحملة ضد الشيوعيين » . وإذا كان من الضرورى - ولو من حيث الشكل - لفت أنظار الرفاق إلى ضرورة الحذر ، فإن اللوم .. كان يجب أن يوجه - كما حدث دوما - إلى ناحية أخرى غير . يادة السياسية للحكم . واعتاد الشيوعيون جميعا عملية الفصل - الغريبة - بين الحكم وبين أجهزة الحكم ..

فكل خير يأتى .. هو من الحكم . وكل خطأ يأتى فإن مصدره بالضرورة هو بعض أجهزة الحكم التى تصور عادة وكأنها خارجة عن توجهات الحكم ومتآمرة ضده .

ولنواصل قراءتنا للنشرة الداخلية فهى بعد أن استبعدت قيام الحكومة بحملة ضد الشيوعيين عادت لتؤكد ، ولكن يجب على الرفاق ألا يتخلوا عن واجبهم نحو حماية الحزب لأن أجهزة الدولة وخصوصا المباحث العامة، وأجهزة الإستعمار تبذل نشاطا فائقاً فى التحرى عن كل ماله علاقة بنشاط الحزب وتنظيماته[٢] .

---

(١) الأونيتا - ١٤/٥/١٩٥٧ .

(٢) منشور معنون « بيان إلى الشعب » فبراير ١٩٥٧ .

ويواصل د . رفعت قوله :

ولا بأس .. وإستكمالا للصورة من أن نواصل معا تقليب بعض النشرات الصادرة عن الحزب فور توحده والتى عبرت عن التوجه العام للإتفاق بين الرفاق .

إتحاد الشعب الجريدة المركزية للحزب تقول .. تحت عنوان : « على صبرى مقتنع بضرورة الجبهة مع الشيوعيين » ... فى حديث له مع مجلة آخر ساعة قال السيد على صبرى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والمرشح لرياسة المجلس التنفيذى لإقليم مصر .. بينما كانت الحرب الأهلية بين الكومنتانج والشيوعيين تقطع أوصال الصين ، دقت اليابان أبواب الصين ويومئذ تنبه ماوتسى تونج إلى هذه الحقيقة التاريخية الهامة فأصدر بيانه المشهور الذى يدعو فيه إلى تعاون كل شيوعى مع الكومستانج لمواجهة العدوان اليابانى ،ويومها إنتصرت الصين على محتل دخيل .. ونحن نوافقه تماما وحرفيا على ما قاله ونسأله :

لماذا لا يفرج عن الشيوعيين المصريين المسجونين ولماذا يمنعون من دخول الإتحاد القومى .. لقد أثبت الشيوعيين المصريون أنهم قادرون على الإستفادة من تجارب التاريخ ، وبقى أن يثبت قادة حكومتنا الوطنية أنهم قادرون على الإستفادة منها كما عبر عن ذلك السيد على صبرى[(١)] .

ونتوقف لنلاحظ (والملاحظة هنا من وضع د . رفعت السعيد) .

- إن ثمة نغمة أكثر حدة فى الإنتقاد .

- إن النقد يوشك أن يوجه إلى قادة حكومتنا الوطنية وليس الى جهاز ما من أجهزة الحكم .

هذا التطور أتى بعد الوحدة مباشرة ولعل أسبابه متعددة .

- إن فترة العدوان الثلاثى قد انتهت وبدأت مرحلة جديدة . لعلها انعكست عبر مسارين متقاطعين أو متناقضين فالشيوعيون وجدوا أن المعركة الوطنية التى خاضتها القوى الوطنية الموحدة قد آن لها أن تحقق ثمارا ، وأن النظام يرغب ليس فقط فى أن يستحوذ على كامل هذه الثمار ، وإنما أن يستخدمها هى بذاتها كأداة لحصار شركائه فى المعركة .

والنظام الذى صعد نجمه محلياً وعربياً ودوليا بعد معركة صد العدوان الثلاثى الذى

(١) اتحاد الشعب - جريدة الحزب الشيوعى المصرى - العدد الثانى - ١٩٥٨/٢/٢٧ نشرة بحجم ضعف الفلوسكاب مطبوعة بالمطبعة على شكل كراس من عشر صفحات (نسخة أصلية) ويلاحظ تطور أدوات الطباعة يرقى عملية الإخراج والتوضيب

استمتع فيها بتأييد جارف محلياً وعربياً وعالمياً . والذى حقق الوحدة مع سوريا وسط ضجيج إعلامى وجماهيرى صاخب . هذا النظام بدأ يستشعر بأنه ليس بحاجة إلى مثل هذا التحالف مع الشيوعيين .. بل لعله بدأ يستشعر عبء هذا التحالف دولياً (مع أمريكا) وعربياً (مع البعث والقوميين) ومحليا (مع قوى اليمين) .

– إن وحدة الشيوعيين فى حزب واحد قد أثارت مخاوف الكثيرين فى النظام من خطر ترك الحبل لهم أكثر مما يجب .

– إن الشيوعيين بدأوا يستشعرون بعض الضغوط فى مجالات العمل الجماهيرى .. وبعض الخلاف فى عملية الوحدة مع سوريا وبدأت مسألة الديمقراطية تكتسب فى أذهانهم وحركتهم إلحاحاً خاصاً ..

ويواصل د . رفعت السعيد تجميع الملاحظات فيقول :

مقال بعنوان « متى يتعلم بعض المسئولين احترام مشاعر الجماهير ؟ » أرسلت وزارة التربية والتعليم إلى مدرسيها ومدرساتها ونظارها خطابات على السركى تطالبهم فيها بحضور الإحتفالات بنتائج الإستفتاء ، وتهدد بأن أسماء المتغيبين سترسل إلى وزارة الداخلية ، علاوة على خصم يومين من مرتباتهم ، ولا يمكن أن نتصور إساءة إلى الإحتفالات الشعبية أكثر من هذا العمل الذى ارتكبته عناصر بلغت حداً لا يطاق من التخلف والإستخفاف بمشاعر الشعب والجهل بنفسية الجماهير ، ولا شك أن هذا الإجراء وأشباهه – مثل ما أذيع من أن وزارة الداخلية ستسجل محاضر للمتغيبين – لا شك أن هذا كان له أسوأ الأثر فى نفوس المواطنين وأن هذه الإجراءات هى المسئولة عن تخلف عدد كبير بالفعل عن الذهاب إلى صناديق الإستفتاء أين هذه الإجراءات السمجة المتخلفة من جور الحرية الرحيب الذى جرى فيه الإستفتاء فى الإقليم السورى[1] .

وفى ذات الصدد نقرأ « الشيوعيين ليسوا خطراً على الأمن العام » ... أفرجت وزارة الداخلية عن المسجونين الذين قضوا نصف المدة بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب عبد الناصر رئيسا لها ولكنها حرمت المسجونين الشيوعيين من هذا الحق بحجة إنهم خطر على الأمن العام .. وقد أثار هذا التصرف إستياء الجماهير الوطنية ، ولم تستسغ الإفراج عن القتلة واللصوص وحرمان الشيوعيين الشرفاء من هذا الحق .. إن الذين يهددون الأمن

---

(١) المصدر السابق .

العام فى مصر الوطنية هم الرجعيون والخونة وعملاء الإستعمار ... والشيوعيون كانوا دوماً يزالون ، وسيظلون دائماً فى مقدمة صفوف الوطنيين ، والرماح المشرعة فى أوجه المستعمرين والسند الأكبر للحكم الوطنى .

وفى مواجهة القرار الجمهورى الصادر بشأن قصر حق الترشيح لعضوية مجالس إدارات النقابات بكافة أنواعها على الأعضاء العاملين بالإتحاد القومى ، أصدر المكتب السياسى فى إبريل ١٩٥٨م بياناً يندد بهذا القرار وقد ضمن هذا البيان فى شكل عدد خاص من جريدة إتحاد الشعب .. وجاء فيه .. « إن هذا القرار عدوان على الديمقراطية وطعنة لحرية التنظيم النقابى ويتعارض مع الإتفاقية الدولية الخاصة بالحرية النقابية التى وقعتها الحكومة ، كما إن هذا القرار يمثل ضربة للحركة النقابية ذلك أنه قد جاء فى وقت تشهد فيه الحركة النقابية بوادر يقظة شاملة .

وأكد البيان أن هذا القرار يحرم النقابات من العدد الوفير من النقابيين المخلصين وأنه مقصود به إبعاد الشيوعيين والعناصر التقدمية عموما ، وبذلك ستقع النقابات فى قبضة العناصر الرجعية والمتخلفة والفاسدة والمرتشية ، كما أن القرار ضار بالوحدة الوطنية إذ أنه يعنى حرمان جميع الطبقات من حرية التنظيم النقابى السليم .. بل أنه ضار بقضية الوحدة العربية خاصة وأنه جاء فى أعقاب إجراءات تعسفية اتخذت ضد الأحزاب الوطنية فى سوريا ..

وأكد البيان أيضا أن هذا القرار ضار بمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية وأنه جاء فى وقت يتدهور فيه مستوى معيشة الطبقات الشعبية وترتفع فيه أرباح المؤسسات الرأسمالية .. ثم وجه البيان الدعوة إلى جميع المواطنين للإتحاد والمطالبة بإلغاء هذا القرار .

وهكذا نقترب زمنياً وفكرياً من منطقة الخلاف ليس فقط بين الشيوعيين والحكم .. وإنما بين الشيوعيين أنفسهم وهى منطقة الديمقراطية .

إنها الرغبة المستمرة والإصرار على جر الحزب من جديد إلى سياسة يسارية مخربة مصفية للحزب .

ويرتكب الرفاق الأربعة الخطأ الأكبر إذ ينقلون إلى الخارج مدار داخل إجتماعات المكتب السياسى فينقلون تصريحات أو تعليقات قيلت داخل الإجتماعات المغلقة ، ليستخدمونها فى صراع سياسى مفتوح ويبدو حجم الخطأ إذا ما لاحظنا إنه إقترن بذكر الأسماء الحركية (وكانت معلومة للجميع) وإذا ما كانت التصريحات متعلقة بالحكم .

الرفيق خالد قال فى المكتب السياسى إن المعسكر الإشتراكى كان قلقا على أوضاع مصر ،

وأن ا لإتحاد لم يسارع إلى الإتفاق على القرض بل أنه «شخلع» عبد الحكيم عامر وقال له لماذا تريد هذا القرض ..

ثم .. وبالطبع توقع الرفيق خالد كثيراً من الحريات بتوصية من الإتحاد السوفيتى وهو مالا تقوله إلا أخبار اليوم ... إن تقديم قضية شيوعية قديمة كانت مركونة ، الى المحاكم اعتبرت فى نظرهم بدءاً لحملة جديدة عاتية ، وسفر عبد الناصر إلى موسكو كان للضغط على الإستعمار الأمريكى .. إن كل هذا لا يبدو فى مطبوعات الحزب سافرا، ولكنه يقال فى اجتماعات المكتب السياسى .

ثم يتحدث الرفاق الأربعة عن رؤيتهم لأسلوب المعارضة فيقولون : « وإذا كنا نعارض القرار الجمهورى رقم ٨ (القرار الخاص بقصر الترشيح لعضوية مجالس إدارة النقابات على الأعضاء العاملين بالإتحاد القومى) إلا أننا لا نصل بمعارضتنا له إلى ما يهدم تحالفنا مع الحكم الوطنى أو ما يلغى من واجباتنا الإيجابية إزاد إنتصاراتنا وإزاء أعمالنا المجيدة .. إننا لا نستقبل جمال عند عودته الظافرة من بلاد تقود المعسكر الاشتراكى .... لنقذف فى وجهة بمنشورات تطلب بإلغاء القرار الجمهورى رقم ٨ ..

ثم .. ان المظهر الأساسى لليسارية فى حزبنا هو العودة وفى كل مناسبة إلى التشكيك فى وطنية الحكم فى مصر ، وتغليب التناقض الثانوى على التناقض الأساسى والعودة بذلك وفى التطبيق إلى سياسة معادية للحكم الوطنى . وهكذا تواصل الانتهازية دورها التاريخى فى ضرب الحركة الوطنية وضرب الجبهة .

ثم يحدد الرفاق الأربعة موقفهم من الإتحاد القومى قائلين .. إن قمة أشكال الانعزال اليسارى الآن هى الموقف من الإتحاد القومى . فقد ، إنتهى التحليل القلق المتناقض الذى أصدره المكتب السياسى بأغلبية خالد وعباس ورفاقهما .. إلى أنه حزب البرجوازية .. وانتهوا إلى مقاطعة الإتحاد القومى .. ثم بعد ذلك يقولون إنهم سيتحالفون معه عندما يتكون حزبا للبرجوازية .

ثم .. إن الإتحاد القومى هو أوسع أشكال التحالف فى التطبيق . فى تاريخ هذه الثورة ، وهو تحالف فى المجال الوطنى والسياسى والإجتماعى والثقافى ، والمناداة بمقاطعته ، وعدم دعوة الجماهير إلى الإنضمام إليه ، هى إمتداد لسياسة محاربة الحكم الوطنى وامتداد لسياسة الإنعزال التى أجادها قادة الانتهازية اليسارية . ولقد أثبتت التجربة الخصبة لكفاح كوادر الحزب ، ان الإتحاد القومى انفتحت أبوابه بل واتسعت المراكز القيادية فيه لبعض الشيوعيين ، بل وثبت ان الذين يحاربون الإتحاد القومى ويعملون على وأده هم الإقطاعيون وأعوان الإستعمار الذين يحرضون على إستبعاد الشيوعيين منه . إن الإتحاد القومى مفتوح للعمال والفلاحين والمثقفين

سائر الفئات الوطنية باعتبارهم مواطنين ، وباعتباره شكلاً جديداً من أشكال التحالف بين القوى الوطنية .

ونوقف عند عبارة « بإعتبارهم مواطنين » ونسأل عما إذا كانت تعنى الرضا بالإنضمام كأفراد .. أى كمواطنين دون التشبث بفكرة الدخول كحزب أو حتى كتيار أو كممثلين لتيار ؟

مجرد سؤال .

وإستكمالا لوجهة النظر المتعلقة بالخلاف حول الديمقراطية نقدم فقرات من تقرير معنون « موقفنا من الإتحاد القومى » .. أصدره رفاق حدتو بالإسكندرية بعد وقوع الانقسام وعندما بدأوا فى إصدار نشرات مستقلة :

الشيء الملاحظ فى مدينة الإسكندرية ان الرفاق لا يهتمون بتنظيمات الإتحاد القومى وغير متحمسين للاشتراك فيه ... ثم يمضى التقرير السياسى للحزب الشيوعى المصرى ودعاه إلى حل الحزب والأنضمام كأفراد إلى الإتحاد القومى .

والثانى : إن هذا التقرير يمثل كما قال الرفاق الأربعة الأغلبية التى صنعها تحالف رفاق الراية، ع . ف فى المكتب السياسى للحزب .

ولنطالع رأى هؤلاء الرفاق :

كنا نتوقع أن تجىء تصريحات السيد أنور السادات السكرتير العام للإتحاد القومى للصحف لتبدد كثيراً من التساؤل لدى الأغلبية الساحقة من جماهير الشعب والمثقفين حول الإتحاد القومى ما هو ، وما هى أهدافه ، وما تكوينه ، وما علاقته بالأحزاب السياسية حالياً ومستقبلاً ، غير أن تصريحات السيد أنور السادات لم تضف فى هذا الشأن جديداً .. فهو حتى الآن حريص على التأكيد بأن الإتحاد القومى ليس حزبا ، ولا نظاما للحزب الواحد ، ولا جبهة وطنية ، ولا هيئة تحرير أخرى ، ولا جهازاً حكومياً . ولابد بعد هذه التأكيدات أن يتساءل الوطنيون بإلحاح : وإذن فماذا يمكن أن يكون هذا الإتحاد القومى ؟ .

ثم يشير التقرير إلى الهجوم المستقر على الشيوعين الذى شنه السادات مهاجما ذوى الأفكار المعنية ويرد على هذا الهجوم قائلاً : «إن القضية الأساسية التى تختفى وراء تلك الحملة هى قضية الفشل فى تكوين الإتحاد القومى ، قضية إنقضاض الجماهير الشعبية عن دخول الاتحاد القومى ، ولا يملك السيد أنور السادات إلا أن يعترف ضمناً بهذا الفشل الواقع ، ومع ذلك فهو لا يريد أن يعترف بالسبب الحقيقى لفشل الاتحاد القومى ألا وهو فرض

الإتحاد القومى على الشعب ، مع حرمان الشعب من تكوين أحزابه ، إن السيد السادات لا يريد أن يواجه قضية الشعب الأساسية التى يثيرها الاتحاد القومى وهى قضية الديمقراطية ، غير أنه يكتفى بالتلميح إلى أن الشيوعيين هم وراء فشل الإتحاد القومى بسبب نظرتهم الجامدة عن الديمقراطية التى لا تتحقق عندهم على حد قوله إلا بوجود آحزاب .»

إن السيد السادات يرفض وجود الجبهة الوطنية كما يرفض وجود الأحزاب وهى الأساس الذى يمكن أن يقوم عليه اتحاد قومى راسخ البنيان ، ولما لم تكن هناك أحزاب إلى جانب الاتحاد القومى سوى الحزب الشيوعى فليس لنظرية السيد أنور السادات سوى معنى بديهى وهو رفض دخول الشيوعيين فى الإتحاد القومى .

ثم يمضى التقرير .. وهكذا يحسن أن نؤكد جميعا حقيقة تعدد الطبقات فى مصر ، وحقيقة قيام الصراع الطبقى فيما بينها ، وليس الصراع الطبقى من إختراع الشيوعيين وإنما هو حقيقة موضوعية فى المجتمعات ما بقى فيها تعدد الطبقات .. إن إلغاء الصراع الطبقى لا يكون إلا بإلغاء الطبقات ذاتها .. ولن يحتقق ذلك إلا عن طريق الإشتراكية وهذا بالضبط ما يكافح الشيوعيين من أجله[1]

لقد إتخذت الطبقات فى مصر أحزاباً لها فى الماضى . كما ظهر الحزب الشيوعى الذى يمثل أحدث الطبقات الإجتماعية وهى الطبقة العاملة وجمهرة الكادحين فالطبقة العاملة المنظمة فى المصانع طبقة لها مصالحها المتميزة ، ولقد ناضلت منذ نهاية القرن الماضى فأحسنت النضال من أجل مصالحها الخاصة ومصالح الوطن كله ، وهى اليوم طبقة واعية حسنة التنظيم لا ينكر أحد وجودها ولا يجهل أحد نضالها . ولقد وجد الحزب للطبقة العاملة على الرغم من جميع العقبات .. وفى ظروف بلادنا التى يجب أن تتحد لمواجهة العدو الواحد لا يمكن أن يكون وجود الحزب الشيوعى ونجاحه فى تمثيل طبقته ونضاله لتوحيد صفوفها مصدراً لاستياء أحد من الوطنيين .

ثم .. فالواقع الذى لا شك فيه إن الإتحاد القومى لا يتنافى مع الحزبية بل إنه يقوم أساساً على فكرة الحزبية وهو نفسه حزب من الأحزاب . إن الإتحاد القومى حين يرفض أن يكون جبهة وطنية . وحين يرفض أن يمثل أكثر من إتجاه واحد ، فإنه يمثل عندئذ

(١) حول الاتحاد القومى – رد على السيد أنور السادات – كتيب مطبوع بالمطبعة من عشرين صفحة من القطع الصغير موقع المكتب السياسى للجزب الشيوعى المصرى مؤرخ ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ – (نسخة أصلية) ص ٥ .

إتجاهاً واحداً هو إتجاه الرأسمالية الوطنية ... وهكذا وباسم الوحدة الوطنية ، وباسم الدعوة لنبذ الحزبية ، تسارع طبقة واحدة هى طبقة الرأسماليين الوطنيين بتكوين حزبها ، وحظر تكوين الأحزاب الأخرى ، وفرض حزبها الواحد على الطبقات الوطنية جميعا .

وأيضاً لقد أصبح الإتحاد القومى بتكوينه الحالى وبمواقفه الراهنه خطراً على الوحدة الوطنية . فالاتحاد القومى بتكوينه غير الديمقراطى ، وبرفضه أن يكون جبهة وطنية ، وبإصراره على أن يكون حزباً فوق كل الأحزاب ، بل حزباً فوق الجبهة الوطنية ، وبسيطرته المفروضة على التنظيمات الجماهيرية النقابية والسياسية ، وبتعاونه الوثيق مع المباحث العامة ورجال الإدارة قد تحول بذلك إلى سلاح ضد الجماهير الشعبية يحاربها فى حريتها وفى أرزاقها ، ولا يمكن بالتالى أن يكون ساحة الوطنية التى تضم الوطنيين جميعاً[1] .

وهنا مكمن الخلاف حول قضية (الديمقراطية) كما يراها الشيوعيين . ترى ماذا يرون بشأن الوحدة العربية والقومية العربية .

فى بداية الأمر تحدث الشيوعيين المصريون عن القومية العربية كمرحلة من مراحل النضال ضد الإمبريالية ، كصرخة فى المعركة ضد العدو المشترك .. ولكن بعد أن توحد الشيوعيون المصريون فى حزب واحد ، تحولوا إلى القول بفكرة القومية العربية . وأصدر الحزب دراسة تحدد موقفه من القومية العربية موقعة بإسم خالد وعباس وقد جرى توزيعها على نطاق واسع .

ويشير إلى هذه الدراسة أيضاً بل ويورد نصوصاً كاملة منها الحكم ودوره فى كتاب كرس أساساً لترويج سياسة العداء للشيوعية ويقول دروزه ففى عام ١٩٥٨م قدم الحزب الشيوعى المصرى لأعضائه دراسة عن القومية أصدرهاا فى كراس بعنوان « مفهوم القومية العربية بقلم الرفيق خالد وعباس »[1] .

وقبل أن نستعرض ما جاء فى هذا التقرير الهام نود أن نقرر أن كلا من المؤرخ المعروف عجوانى والحكم دروزه قد أخطأ فى نسبة هذا التقرير إلى الرفيقين خالد وعباس .. ذلك

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(١) الحكم د. روزه . الشيوعية المحلية ومعركة الحرب القومية – الطبعة الثالثة – ١٩٦٣ – مكتبة منيمنه – بيروت ص ١٧٢ .

إن كاتبي التقرير كانا « فريد » (محمود أمين العالم) وسيد (د . عبد العظيم أنيس)[1] .

ماذا يقول التقرير الذى قال د . فؤاد مرسى أنه كتب بطلب من المكتب السياسى للحزب والذى ينقله د . رفعت السعيد فى كتابه ..

إن نشأة النظام الرأسمالى تعنى بالضرورة القضاء على التجزئة والنظم الإقطاعية فى أشكال الحكم والإنتاج والحياة الإجتماعية ، وتدعم كل المقومات للوحدة القومية وتطورها ، ولهذا يؤرخ لظهور القومية بظهور النظام الرأسمالى .. ولم تشذ نشأة القومية العربية عن هذا القانون الموضوعى للتاريخ وإن اختلفت عن سائر القوميات الأوروبية فى مدلول نشأتها وذلك للملابسات الخاصة التى صاحبت هذه النشأة .

ولم تتخذ الحركة الوطنية العربية طابعاً دينياً متعصباً بل ساهم فيها - وما زال يساهم المسلمون والمسيحيون على السواء ، فكان المثقفون المسيحيون فى بيروت والشام خاصة من أوائل الداعين إلى الوحدة العربية والعاملين على إحياء التراث الثقافى العربى .

ثم يحدد التقرير مقومات القومية العربية فيقول :

١ - القومية العربية هى حصيلة تاريخ مشترك لجماعة من الناس عاشوا وتآلفوا وناضلوا معا مئات السنين .

٢ - القومية العربية لها لغتها الواحدة التى تحمل تراثها وخلاصة خبرتها التاريخية .

٣ - القومية العربية تشترك فى رقعة واحدة من الأرض مهما إختلفت وتعددت مظاهرها الجغرافية .

٤ - القومية العربية لا تشترك فى حياة إقتصادية واحدة ولكن هذه المشكلة ليست عائقاً أمام وجود القومية العربية .. لأنه من الواضح أن هذه الحقيقة مرتبطة تماماً بأن دولا إستعمارية مختلفة لا تزال تسيطر على مقدرات إمكانيات وثروات أجزاء من الوطن العربى .. ولقد كانت السوق العربية المشتركة موجودة فى الماضى قبل الإحتلال الغربى بشكل أو بآخر . وعمل الإستعمار على تحطيم هذه السوق بوعى ، والقضاء على تكامل الإنتاج فى الوطن العربى ،

---

(١) بمناقشة للدكتور رفعت السعيد مع د. فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف ومحمود العالم أكدوا أن الكاتبين كانا فريد وسيد . ونضيف أنه بعرض النّصوص المنقولة .بن الحكم د. روزه منسوبة لهذا التقرير على د. فؤاد مرسى بأن النصوص تتفق مع ما تعيه الذاكرة عن هذه الوثيقة .

ومع ذلك فأسس التكامل فى الإنتاج لا تزال قائمة ، وإن كانت متناثرة تقوم بينها الحدود المفتعلة .

٥ - التكوين النفسى المشترك أو (الطابع القومى) للأمة العربية .

ويمضى التقرير محذراً العديد من الرفاق الذين لم يكونوا قد تقبلوا بعد هذه الفكرة قائلاً : « مهما كانت الفوارق السطحية التى تبدو لنا هنا فى مصر مقنعة للبعض منا بأننا فى نهاية الأمر مختلفون نفسياً عن بقية العرب ، إلا أن هذه النظرة ليست إلا بقايا الانعزالية فى مصر إزاء القومية العربية » .

ثم يتحول التحذير إلى تأكيد أن القومية العربية على هذا الأساس الذى أوضحناه ليست شعاراً سياسياً تكتيكياً ولا هى عصبية دينية . إن القومية العربية ليست تطلع طبقة إجتماعية صاعدة نحو أسواق جديدة بهدف تكوين إمبراطورية جديدة تخدم أغراضها التوسعية . إن القومية العربية ظاهرة تكون أمة واحدة لها كافة المقومات الأساسية للأمة الواحدة ، وتناضل كل فئاتها الوطنية الشعبية لتجميع شتاتها المبعثرة وتكامل إقتصادها الممزق وتطويره ، وخلق سوقها المشتركة واستعادة ثرواتها وأراضيها التى سلبها الإستعمار ، والقضاء على كل القوى الرجعية والاستعمارية المعرقلة لنموها ، ورفع مستوى معيشة أبنائها وتطوير حياتها وتنمية ثقافتها ..

وأخيراً .. إن القومية العربية فى جوهرها حركة شعبية نضالية معادية للإستعمار ، فالإستعمار هو الذى أقام الحدود والحواجز فى وجه هذه القومية ..

ولهذا كانت معركة التوحيد معركة فى جوهرها معادية للإستعمار ، وهى بالضرورة حركة تقدمية من الناحية الإجتماعية ، ففى نضالها ضد الإستعمار تناضل كذلك ضد عملائه وحلفائه من الإقطاعيين والإحتكاريين وهى تحرر ثروات أرضها وطاقات شعبها من الإستغلال .. والإستعباد .. وهى بهذا تتيح لأبنائها إرتفاعاً فى مستوى المعيشة كما توفر لهم حريات ديمقراطية متعاظمة .

ولكن الأمور تطورت فى عكس هذا الإتجاه المؤيد للوحدة العربية .

ففى يناير ١٩٥٨م .. والحزب الشيوعى يوشك أن يتحد .. كانت الجمهورية العربية المتحدة توشك أن تولد .. ويعتبر الحزب هاتين الوحدتين رمزاً لصعود الحركة القومية والحركة المعادية للإستعمار .

وفى خضم هذه الدوامة .. تأتى ثورة العراق كما يراها الشيوعيين وتفتح أبواب الإنطلاق غير محدودة أمام الحزب الشيوعى العراقى ، وتبدو العراق نموذجاً عربياً مختلفاً ، فقد شهدت الأسابيع الأولى من ثورة العراق إنطلاقاً مدهشاً للديمقراطية .. بما شجع الفكرة القائلة بأن العراق الجديد هو الطريق الديمقراطى والتحررى للقومية العربية ، وأنه البديل عن الطريق الديكتاتورى الذى يمثله عبد الناصر .

ويقول عجوانى : « لقد إتجه الشيوعيون المصريون والسوريون بأنظارهم تجاه الثورة العراقية .. الأمر الذى أقلق عبد الناصر كثيراً ..

وأصبح الأمر بالغ التعقيد وفقاً لما يقوله د . رفعت السعيد .

صحيح إن ثورة العراق كانت ضربة عنيفة للإستعمار والرجعية .

ولكن النموذج المصرى الناصرى الذى أسرع بتأييدها بدأيتحسس آثارها الجانبية ، وأخذ منها ما هو سلبى بالنسبة له . فهناك نموذجاً ديمقراطى منطلق بغير حدود . هذا النموذج يلفت أنظار القوى الوطنية والتقدمية العربية والعالمية بعيداً عن النموذج الناصرى الذى ظل ولفترة طويلة وحيداً ، ومستمتعاً وحده بكل إعجاب ، وكل تاييد .

وبدأ الإحساس بالمنافسة .. أو إن شئنا إستخدام ألفاظ قد لا تليق ببحث أكاديمى لكنها معبرة تماما .. بدأ الإحساس بالغيرة . فالبَطل الذى إستمتع وحده بدور النجم .. واللاعب الوحيد على المسرح بدأ يشعر بأن الأنظار تنصرف عنه إلى بطل جديد لعله صعد بصورة أكثر درامية وأكثر جاذبية ومصطحباً معه جالة من الصخب الديمقراطى أثارت الإهتمام ولفتت الأنظار .

ولعل البطل قد أحس أن التأييد التقدمى العربى والدولى قد أصبح موزعاً وليس منصباً عليه وحده والقول لمؤرخ الحركة الشيوعية المصرية .

ولعله أحس بهواجس عديدة ..

لكن الأمر بالنسبة للشيوعيين أكثر من معقد ، فإن النظام لم يعد يطالبهم بالتأييد الكامل وبلا نقد ، وإنما بتأييده وحده دون الآخرين .

وفى ذات الوقت كانت بعض مشكلات الوحدة المصرية – السورية قد بدأت فى البروز ويتطلب الأمر بياناً مطولاً يصدره المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ... يتحدث فيه عن الدعوة المتعجلة للوحدة مع العراق .. أو بالدقة لفرض الوحدة على العراق ربما بهدف احتواء هذا المد الديمقراطى فيقول بيانه الذى صدر وقتها ....

« .. ونحن من أشد أنصار هذه الوحدة ، نطالب بها ، ونعتبرها خطوة ضرورية لتدعيم الثورة فى العراق ، والتعجيل بالوحدة العربية الشاملة . ولا شك أن ، الاستعماريين سيقفون فى سبيل تلك الوحدة بكل وسيلة لديهم . وهاهم يتآمرون عليها حتى تخنق ، تارة بمحاولة تفكيك الوحدة المصرية السورية ، وتارة بمحاولة الإيقاع بين البرجوازية العراقية والبرجوازية المصرية .. » .

ولكن .. فى ظل قومية كالقومية العربية ممتدة فى بلاد مترامية الأرجاء ، وتسودها ظروف إقليمية واقتصادية وسياسية واجتماعية متفاوتة ، يصبح من الضرورى أن نضع فى الإعتبار دائما حقيقتين أساسيتين هما الخصائص الإقليمية والفروق الإقتصادية .

وكانت عبارة «الخصائص الإقليمية» تثير حساسية مفرطة لدى الحكم المصرى الذى كان مصمما على تطبيق نموذجه الخاص على كل أرض تتحد معه ..

بل إن البيان يقول : « إن أية وحدة تفرض بغير مراعاة للحقائق التاريخية والموضوعية ليست وحدة ناجحة » .

وأيضا أنه من الضرورى .. أن نضع فى الإعتبار الخصائص الإقليمية للبلاد المتحدة حتى لا تلغى شخصيتها أو نضعفها .

وتفرقت السبل بين الشيوعيين والحكم كما يقول د . رفعت السعيد وكان الموقف السابق للشيوعيين من القومية هو نقطة الخلاف الثانية الأمر الذى صعد الصدام وأودى بالشيوعيين إلى السجون وبل القتل .

ثانياً : إغتيال (شهدى عطية) كنموذج علاقة عبد الناصر بالشيوعيين :

ولتأكيد الخلاف السابق بين عبد الناصر والشيوعيين نأخذ نموذجاً مثالياً يحلل ويقيس أبعاد وحجم هذا الخلاف ، إنه نموذج (مقتل شهدى عطية شافعى) فماذا عنه ؟

شهدى عطية الشافعى أحد زعماء الحركة الشيوعية المصرية ، بآفاقها الإشتراكية منذ الاربعينات ، فبعد عودته أثناء الحرب العالمية الثانية من إنجلترا ، وبعد أن حصل على درجة الماجستير فى الأدب الإنجليزى شارك فى تأسيس دار الأبحاث العلمية ، وهى الدار التى قدمت لمصر عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء الوطنيين .

وفى عام ١٩٤٥م صاغ شهدى ومعه زملاء له آخرون برنامجاً للحركة الوطنية ، صدر فى كتيب بعنوان : « أهدافنا الوطنية » . وفى هذه الفترة قام شهدى بترجمات للعديد من

كتب الفكر الإشتراكى العلمى ، منها الإشتراكية العلمية والخيالية - لانجلز - وقام بدور بارز فى نشر الفكر الإشتراكى والمساهمة فى قيادة الشباب الثورى للمساهمة فى الحركة الوطنية الجماهيرية التى أخذت فى التصاعد عقب الحرب العالمية الثانية ضد الإحتلال البريطانى ، فقاد مجموعة من الشباب الإشتراكى ، كان لها دور بارز فى تأسيس اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة فى صيف عام ١٩٤٥م .

وكان من بين هذه المجموعة جمال غالى ، وسعد زهران ، وجمال شلبى ، وعبد المنعم الغزالى ، ومحمد الجندى ، وفاطمة زكى ، ولطيفة الزيات .. ثم كان له دوره القيادى فى التحضير لقيام اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، والتى قادت يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٦م أحد أهم أيام النضال الوطنى ضد الإحتلال البريطانى .

وعندما شن « إسماعيل صدقى باشا » صاحب مشروع صدقى - بيفن حملته الصليبية ضد الحركة الوطنية ، كان شهدى ممن صدر الأمر بإعتقاله ، ولكنه تمكن من الإختفاء لمدة ثلاثة شهور .

وعندما عاد إلى الحياة العلنية ، قاد العمل من أجل إنشاء جريدة جماهيرية للإشتراكية ، تكن منبراً للعمال والفلاحين ، فصدرت جريدة الجماهير عام ١٩٤٧م والتى كان يرأس تحريرها محمود النبوى ، وكان المسئول الفعلى عنها هو شهدى . وعرفت الجماهير حينئذ مقالات شهدى العنيفة ضد الإستعمار وعملائه .

واعتقل شهدى فى آخر عام ١٩٤٨م وقدم إلى المحاكمة ، فصدر الحكم ضده بالأشغال الشاقة سبع سنوات ، وعندما طالبه والده بأن يقدم إلتماسا إلى الملك ، رفض وخرج من السجن فى عام ١٩٥٥م ، وكانت ثورة ٢٣ يوليو تخوض معركة عنيفة ضد الأحلاف العسكرية وضد حلف بغداد ، فصدر له كتابه ، « أمريكا والشرق الأوسط » .

وتبين شهدى ، خط التطور الرئيسى لثورة ٢٣ يوليو بإعتبارها وطنية معادية للإستعمار وركز فى نضاله على :

الأولى : ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .

والثانية : وحدة كل فصائل الإشتراكية العلمية ، حيث كان الإنقسام يمزق صفوف الماركسيين .

وفى عام ١٩٥٦م ، وبعد تأميم قناة السويس ، شارك شهدى فى الكتابة فى جريدة المساء بمقالات وأبحاث ودراسات ، وخلال العدوان الثلاثى ، إنخرط فى المقاومة

الشعبية . وفى هذه الفترة افتتح مكتب مصر للترجمة والنشر ، ونشر كتابه « تاريخ الحركة الوطنية » ، ونشر روايته « حارة أم الحسينى » على حلقات فى جريدة المساء .

وفى عام ١٩٥٨م – وبعد شهور من قيام الوحدة المصرية – السورية ، وقيام الثورة العراقية ، وسقوط حلف بغداد – تمكنت القوى الإستعمارية والرجعية من أن تحدث الفرقة فى الصف الوطنى الديمقراطى وابتداء من عام ١٩٥٩م شهدت المنطقة صراعاً داخلياً عنيفاً داخل صفوف القوى الوطنية ، وشنت أعنف حملة ضد الشيوعيين المصريين ، وكانوا قد انقسموا فى يوليو عام ١٩٥٨م ، بعد إتحادهم فى فبراير عام ١٩٥٨م .

ودخل شهدى السجن مع المئات من المثقفين والعمال والفلاحين فى أول يناير عام ١٩٥٩م . ويؤكد الشيوعيين أن شهدى لم يفقد الرؤية الموضوعية لواقع الحركة الوطنية المصرية والعربية ، وإن ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، ثورة وطنية معادية للإستعمار ، تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة بعد تمصيرها للإقتصاد المصرى ، أثر المواجهة مع الإمبريالية العالمية عقب تأميم قناة السويس ، وإقامة الوحدة المصرية – السورية . وفى اللحظة التى تسلم فيها شهدى وزملائه قرار الإتهام ، والذى بمقتضاه يقدمون إلى محكمة أمن الدولة العليا ، لم يفقد – بإعتباره المتهم الأول – الرؤية الموضوعية ، وضرورة الإستمرار فى المطالبة بإعادة الوحدة إلى الصف الوطنى والعربى ، فكتب من داخل السجن رسالة وجهها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، أكد فيها شهدى أن حملة العداء للشيوعية لم تكن إلا من تدبير القوى الإستعمارية والرجعية ، لإضعاف جبهة التحرر الوطنى العربى[1] .

وعندما مثل أمام محكمة أمن الدولة العليا فى الأسكندرية ، القى شهدى كلمة إفتتاحية فى جلسة الثلاثاء ٨ مارس عام ١٩٦٠م ، جاء فيها :

واجب كل وطنى أن يؤيد هذا الحكم ، هذا واجب كل وطنى مخلص ، والتأييد الصادر لا عن مطمع ولا عن خوف . ولم أطلب أبدا ثمناً لهذا التأييد وقمت بالواجب من كل أعماق كمواطن مخلص شريف ، ولا عن رهبة ولا عن خوف ، وسبق إعتقالى والحكم على بالأشغال الشاقة ، وجاء لى والدى وقال ممكن السعى إلى تخفيف الحكم ، فقلت له السجن أحب إلى من أعمال الجبناء ، فبتأييدى للحكم الصادر من قلب خالص وسأستمر فى تأييده

---

(١) شهادة عبد المنعم الغزالى : فى كتاب تطور الحركة الوطنية المصرية – دار شهدى – القاهرة – ١٩٨٣ .

حتى ولو قدر الحكم على ، وكل نظام فيه عيوب ونواقص ، والكمال من صفة الله وحده .

وقال فى نفس الكلمة :

« هل أحاكم لمجرد إعتناق المبادىء الشيوعية كوصف الإدعاء ، وحتى لو ثبت للمحكمة بانى أؤيد النظام وأنى لا أسعى لقلبه .. هل أحاكم اليوم لمجرد هذا المبدأ ؟... مستحيل لأن مفيش دولة تحاكم من أجل المبدأ ، والرئيس جمال عبد الناصر قال لا يمكن أن تكون محاكمة لمجرد إعتناق مبدأ » .

وقال للمحكمة : والنيابة مثلا كانت تسألنى : صحيح إنت بتأيد الحكومة اليوم إنما بكره حتعمل إيه ؟.. وحكاية بكرة شاغلة الأذهان ، وقالوا إن كل الثورات الشيوعية قامت على القوة .. أقول : لم تقم ثورة ضد حكم وطنى ، وكل ثورة قامت ضد حكم رجعى خائن ، وعمر الثورة ما كانت ضد حكم وطنى .. وقال : « المهم ألا يلجأ الحزب الشيوعى إلى القوة فى ظل حكم وطنى . والخلاف لا يمكن أن يخرج من الوحدة الوطنية ».. ثم قال : « إن المسئول عن هذه الأزمة هو الإستعمار والصهيونية .. والخلافات البسيطة إستغلها الإستعمار والقوى الرجعية لتكيل للجمهورية العربية المتحدة لإشارة الشكوك والمهاجمات ، والجمهورية العربية ستنتصر برغم الشكوك وسيصفو الجو ضد الإستعمار والصهيونية والعدو الداخلى والسحب القائمة لابد أن تنقشع ، وتشرق الشمس من جديد ، ورغم هذا فلقد عذبوا حتى قتلوا وعذبوا وانتهت محاكمة شهدى وزملاؤه ، ومن قبل كانت قد إنتهت محاكمة قضية أخرى ، كان على رأسها د . فؤاد مرسى وزملاؤه ، وقد رحلوا إلى أوردى ليمان أبو زعبل ، حيث كان يلقى مئات من الشيوعيين دون محاكمة ، تعذيباً متواصلاً منذ أكثر من سبعة شهور .

وليلة الخامس عشر من يونيو عام ١٩٦٠م ، نقل شهدى وزملاؤه إلى أوردى ليمان أبو زعبل ، وأعد لهم إستقبال خاص بدأ مع فجر يوم ١٥ يونيو عام ١٩٦٠م ، تحت إشراف اللواء إسماعيل همت والعقيد الحلوانى والعقيد عشوب ، والرائد صلاح طه والرائد حسن منير والضباط عبد اللطيف رشدى ، ويونس مرعى ، ومرجان إسحاق وعبد الفتاح هندى ، وكمال رشاد والصول أحمد مطاوع ، كما أشرف على التعذيب الطبيبين د . أحمد كمال أبو العلا ود . البير فهمى ، وعدذ كبير من قوة الأوردى وحراسه .

وكانت كل أدوات التعذيب معدة .. العصى والكرابيج الحبال وقناة مملوءة بالمياه لإغراق المعتقلين فيها و « عروسة » الجلد وبدأت عملية ضرب مركزة ومخططة .. ومن بين صفوف المعتقلين أخذ شهدى وحده ليركز الضرب عليه .. وخلال عملية من عمليات الجلد قتل

شهدى داخل الأوردى وقبل موته أرسل برسالة خاصة إلى عبد الناصر سنوردها فيما بعد . وعندما سقط شهدى كان شهيد الجميع .. فقد إفتدى بحياته كل زملائه الذين عاشو شهوراً طويلة خلف جدران هذا السجن الرهيب ، يتلقون ألواناً عديدة من التعذيب .

وفى يوليو ١٩٦٠م ، كتبت زوجة الشهيد رسالة إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا التى حوكم أمامها شهدى وزملاؤه ، تطلب منه التحقيق مع المسئولين عن جريمة قتل زوجها .

وبعد الحادث جاء الرائد حسن منير ومعه زوجته وإبنته إلى زوجة شهدى – وقال لها الموت مكتوب على كل إنسان ، والأستاذ شهدى مات كما يموت كل الناس وإنه معرض للإيذاء بسبب التحقيق فى هذه القضية وإن الداخلية تريد أن تدفع لأبنة شهدى أربعة آلاف جنيه ولها ألفان من الجنيهات . فقالت له زوجة شهدى ، إن دم زوجى لا يمكن أن تأتى أنت أو غيرك لتدفع ثمنه . إنه ضحى من أجل الوطن والشعب ، وأن الجرم الذى إقترفتموه يجب أن تعاقبوا عليه .

وفى فبراير عام ١٩٦٨م ، أقامت زوجة الشهيد ، وبصفتها وصية على إبنتها حنان ، دعوى تطلب فيها التحقيق عما لحقها وإبنتها من ضرر ، وتولى إقامة الدعوى والدفاع أمام القضاء المحامى أحمد الخواجه ، ونقيب المحامين حينذاك .

وطلب الدفاع – ضم تحقيقات النيابة منذ أول جلسة نظرت فيها القضية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٩م ، وإستمر تأجيل نظر القضية حتى قدمت صورة خطية غير كاملة لتحقيقات النيابة بجلسة ١٩٧٤/١/١٠م ، إزاء إصرار المحكمة على ضرورة ضم التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة ، وقد إتضح للمحكمة بعد ضم التحقيقات من كتاب مدير منطقة أبى زعبل إلى مدير مصلحة السجون « رقم ٢٥٠ سرى » أن الصورة المقدمة كانت لدى مصلحة السجون من ١٩٦٠/١٠/١٢م ، ومع ذلك لم تقدمها إلا بعد ست سنوات من رفع الدعوى ، محاولة منها فى إخفاء معالم تلك الجريمة .

ولا شك أن توفر ظروف جديدة للقضاء ساعتد على ظهور تحقيقات النيابة ، والتى كشفت عن الجريمة البشعة .

وفى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٤م ، أصدرت المحكمة حكمها التمهيدى ، والذى فيه حددت جلسة التحقيق فى ١٩٧٤/٥/١٦م ، وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٧٤م ، استمعت المحكمة إلى شهود حضروا الواقعة وعذبوا مع الشهيد وهم : عبد المنعم الغزالى الجبيلى وعبد العزيز محمود الصباغ ، وعادل محمود حسين ، ود . سعد الدين أحمد بهجت .

وفى ٢٨ نوفمبر ، وبعد أن استمعت المحكمة إلى مرافعة الدفاع عن زوجة الشهيد وابنتها حنان ، ومرافعة الخصوم ، أصدرت حكمها الذى جاء فيه :

« وحيث أنه فيما يتعلق بموضوع الدعوى ، فقد ثبت فى يقين المحكمة أن رجال الشرطة ، وحرس ليمان أبو زعبل تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ، قد تجردوا من القيم الإنسانية والأخلاقية حسبما ذكر شهود المدعية ، الذين تطمئن إلى أقوالهم المحكمة ، نظراً لمركزهم الثقافى ، مما لا يتطرق معه الشك فى صدق أقوالهم ، واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ، وإتخذوا معه صنوف العذاب التى لا يقرها شرع أو قانون ، ولا يحكمها دين أو خلق ، وتجردوا من آدميتهم فى الإنتقام من هذا المخلوق الضعيف الذى ساقة القدر إلى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الإنسانية وإنقلبوا وحوشاً آدمية إنتهزت فرصة وقوع فريستها الضعيفة بين أيديهم مجرداً من الحول والقوة ، وإرتكبوا معه من صنوف العذاب وألوان التعذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن ، حتى سقط ذلك المخلوق الضعيف صريع هذا الظلم والقسوة بين هذه الأيدى الآثمة ، لا لذنب جناه إلا جريمة رأى لم يفصل فى إرتكابه لها بعد .

وكان فى هذا الحكم ما يكفى .

أما بخصوص رسالة شهدى إلى عبد الناصر فقد جاء فيما ما يلى :

مذكرة من شهدى عطية
إلى الرئيس جمال عبد الناصر
من داخل السجن

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إنى أشعر يا سيادة الرئيس بقوة قاهرة تدفعنى دفعاً إلى الكتابة إليكم ، مهما تعرضت فى سبيل ذلك للمخاطر – نعم .. أنى أعرف أنى مقدم لمحكمة أمن الدولة كالمتهم الأول فى قضية شيوعية (ولو أن جلستها لم تحدد بعد) .. ونعم إنى أدرك أن الفصل فى أمرى إنما يجب أن يترك لهذه المحكمة . ولكنى أشعر أن قضية الوطن أكبر من كل شيء ، وأن محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات .. إنما هى أخطر من ذلك بكثير .. إنها قضية مبدأ وقضية جزء من أبناء هذا الوطن ، هم من أخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللأسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والإتهام ! وياله من إتهام ! إتهام بقلب

نظام حكم وطنى هم من أشد الناس حرصا عليه ، ومن أكثر الناس إستعداداً لبذل دمهم دفاعاً عنه .

والواقع ، إن القضية ليست قضية الشيوعية ، ولا المبادىء الشيوعية ولا حتى التنظيمات الشيوعية ، فقد كانت هذه موجودة كلها .. أو مفروض وجودها على الأقل فى السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٦ - ١٩٥٩م ، وهى مع هذا لم تكن تتعرض لمثل هذا الهجوم على نطاق واسع ، ولمثل هذه المحكمات . وقد قرأت قرار الاتهام بإمعان فلم أجد إشارة واحدة ، ولو من بعيد ، تدل على إنه نمى إلى علم المباحث أن تغيراً مفاجئاً قد تم فى خط الشيوعيين المصريين، كأن قرروا مثلاً التحول من التأييد إلى الوجوم ، أودعوا بشكل مباشر أو غير مباشر ، خفى أو ظاهرى إلى قلب نظام الحكم القائم ! مجرد الدعوة إلى مظاهرة أو لأى تحرك من التحركات ، أو حتى مجرد إثارة الخواطر .

وقد كان هذا تعبيراً ولا شك عن خلاف فى أوجه النظر بالنسبة للقضايا التى تشغل بال القومية العربية ، قضية الوحدة السياسية وما يتصل بها .

وكان طبيعيا أن يحدث هذا الخلاف ، فأجزاء الوطن العربى مختلفة فى درجة تطورها الاقتصادى والسياسى والإجتماعى والفكرى . ومن ثم لم يكن شاذاً قط أن تتعدد أوجه النظر وأن ينشأ الخلاف ، كما ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولكن الأمر الذى كان شاذاً حقا هو أن يتحول هذا الخلاف إلى خصومة وعداء بين حكومتين عربيتين حديثتين مستقلتين وأن تنقسم القوى العربية الوطنية إنقساماً مشبعاً بالعداوة والخصومة وروح الانتقام .

وما كان هذا ليحدث قط لو أن قوى رجعية لم تنتهز فرصة الخلافات ، لتضرم فيها النار ولتضخم فيها ولتهول من أمرها ، حتى يتحقق الانقسام فى الصف العربى والصف الوطنى - وقد كان الإستعمار وإتباع الإستعمار وذيوله فى بلاد العرب على رأس هذه القوى الرجعية . فإن من كان يتتبع وكالات الأنباء الغربية والصحف الغربية الإستعمارية ، والصحف التركية والإسرائيلية وغيرها ، كان يهوله الكذب والتهويل والتحريف .. الشيوعيون قد أصبحوا هم حكام العراق . الشيوعيون العراقيون والسوريون وقد أجتمعو على فصل سوريا عن مصر وضمها للعراق .. المفاضلة بين نظامى الحكم فى العراق والجمهورية العربية المتحدة ، أيهما أكثر ديمقراطية والمفاضلة الرجلين جمال وقام أيهما أكثر معقولية بالنسبة للإستعمار .

دعايات مسمومة كانت تنصب ها على شىء واحد هو توسيع هوة الخلاف بين الجمهوريتين ، تحطيم كل مسعى لحل مشاكلهما سلميا ، تحطيم كل خطوة لتحقيق التضامن والإتحاد بينهما ، لأن الإستعمار والصهيونية كانا يدركان جيداً - إن تمام التضامن والإتحاد

بين الجمهوريتين إنما هو إنذار والتصفية النهائية الكاملة للنفوذ الإستعمارى فى الوطن العربى وإنما هو إيذان بالقضاء التام على كل إتباع الإستعمار وأفكاره فى الشرق العربى .

ولكن الإستعمار والصهيونية وإذنابهما ، لم يكن ليكتفو بالتفرقة والإنقسام بين الجمهوريتين ، إنما أرادوا أن يشعلوها ضراماً فى الشرق العربى كله ، بأن تنقسم الصفوف الوطنية بين شيوعيين وقوميين ، يتطاحنون معا - ويضرب بعضهم بعضا ، حتى تتاح الثغرة للإستعمار والصهيونية فيضربا ضربتهما ، وحتى يشتد ساعد إتباع الإستعمار فى داخل الشرق العربى وتزداد سطوتهم تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وحتى لو إرتفعت أصوات هؤلاء الأذناب تزعم أن الخطر الإستعمارى قد زال أو أوشك أن يزول وإن القضية الرئيسية هى لمن تكون السلطة ، ثم وعلى أى غرار يكون شكل الحكومة أتكون ديموقراطية شيوعية أم ديموقراطية وطنية ، لا شرقية ولا غربية !

وقد كان الإستعمار وعملاء الإستعمار على إلمام كامل بالحقائق كانوا يعرفون جيداً أن الشيوعيين العراقيين لم يكونوا بالقوى التى يستطيعون بها الإستيلاء على الحكم حتى لو فرض وأرادوا ذلك ، وكانوا يعرفون جيداً إن الشيوعيين فى الإقليم المصرى من أشد أنصار الحكم الوطنى إخلاصاً ، وأكثرهم دعوة للشعب الإلتفاف حول زعامة عبد الناصر ، لا للجمهورية وحدها ، وإنما للشرق العربى بأسره . وكانوا يعرفون أن الشيوعيين حملة لواء الجبهة الوطنية المتحدة التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين وصغار الملاك من أجل دفع الوطن إلى الإمام ، ومن أجل معركة البناء وهذا الأمر كان يغيظهم أشد الغيظ ، ويؤلمهم أشد الإيلام ، وعلى هذا كان الإستعمار وعملاؤه يدركون أن الشيوعيين المصريين أبعد مايكونوا عن التفكير حتى مجرد التفكير - فى قلب نظام الحكم أو الإستيلاء على السلطة .

ولكن الإستعمار وعملاؤه كانوا يريدون بإشعال نار الخلافات بإثارة البغضاء والتشكك ، أن تتسع الحملة على الشيوعية ، فتخرج من نطاق العرب إلى الشيوعية فى كل مكان ، فتعزل الجمهورية العربية المتحدة عن المعسكر الإشتراكى وعن عونه الأدبى والمادى والسياسى والإقتصادى . فلا يبقى لها إلا أحد أمرين - إما أن يشتد بأس هؤلاء الأتباع فيقوضون الحكم الوطنى ، حين يتم إنعزاله داخلياً ودولياً .

تلك كانت خطة الإستعمار وعملائه ولن لم تكن هذه هى القوة الرجعية الوحيدة .. كان هناك الإقطاع على النطاق العربى ، وبقايا الإقطاع فى النطاق الداخلى كان هناك بقايا الباشوات الذين أنزلت بهم الضربات تلو الضربات . وكانت هناك الإرستقراطية الجديدة التى ارتفع دخلها من ٧٠ إلى ٧٠٠ جنيه فى الشهر الواحد والتى أخذتم تهددون - فى خطابكم

الرائع بالمؤتمر التعاونى فى نوفمبر ١٩٥٨ م - إن لم يرتدع أفرادها ويفكروا فى مصلحة الوطن !

هذه القوى الرجعية كلها كان من مصلحتها ياسيادة الرئيس أن تشعل نار الخلافات ، وإن تنفخ فى الحزازات لتحولها لهيباً . نعم . فقد كانت هذه القوى الرجعية تدرك أن سياسة الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، لم تكن موجهة ضد الإستعمار فحسب ، إنما هى أيضاً موجهة ضد الإقطاع ، وضد الإحتكار وضد سيطرة رأس المال على الحكم ، وأن إتحاد هاتين الجمهوريتين إيذان بتحقيق هذه السياسة كاملة ، أى إيذان بضرب الإقطاع سند الإستعمار على النطاق العربى . وإنذار بتصفية بقايا الإقطاع فى الجمهوريتين ، وناقوس الخطر بالنسبة للإحتكار وكل إتجاه إحتكارى ، مما يهدد مصالحهم ونفوذهم فى الصميم ، ومن ثم وزعوا أنفسهم على النطاق العربى ، ما بين متظاهر بتفضيل قاسم ، ومتظاهر بإيثار جيال ! والكل يعمل على إشعال نار الخلاف ، وإضافة الجديد من الوقود .

كل يوفر صدر هذه القوى الوطنية على تلك ، ويعمل على الإمعان فى تقسيم الصفوف ، وكان إن اصطلحت هذه القوى الرجعية كلها ، أن توجه ضربتها الرئيسية للشيوعية والشيوعيين وخاصة فى الإقليم الجنوبى ، أولا حتى تتخلص من قوة من أشد القوى حرصا على تنفيذ سياسة عبد الناصر التحررية نصا وروحاً - وهى السياسية التى تعادى مصالحهم - وثانيا حتى تحول أنظار الحكم الوطنى والزعيم عبد الناصر من الضربات التى كان يكيلها لها أو التى كان يعتزم كليها لها ، من حد للأرباح ، وتخفيض لتكاليف المعيشة ، ومزيد من إخضاع القطاع الخاص للقطاع العام ، وتطهير الشركات والقطاع الحكومى من الجشعين والمبذرين والمرتشين ، ومن المضى فى التوسع فى تطبيق الإصلاح الزراعى ، وثالثاً حتى يتاح لها فى غمرة التوسع فى تطبيق الإصلاح الزراعى .

وثالثا : حتى يتاح لها فى غمرة الحملة ضد الشيوعية أن تقوى نفوذها الإقتصادى والسياسى ، وأن تضعف وتخرب التشريعات والتدبيرات التى اتخذت ضدها فى السنين الأخيرة ، وأن يشتد بأسها حتى تستيطيع يوما أن تقول لا لأى تشريعات جديدة موجهة ضدها ، أو أن تحيلها حبراً على ورق بمجرد صدورها ، بل أن يبلغ بها إشتداد البأس إلى درجة أما أن تسيطر تماماً على الحكم الوطنى أو تهدمه من أساسه لتكون لها السيطرة من جديد ، حتى ولو على حساب استقلال هذه الأمة ، وكرامتها وحريتها ، حتى ولو أسلمت البلاد للسيطرة الإستعمارية والصهيونية .

هكذا كانت خطة الرجعية على النطاق العربى وفى النطاق الداخلى ، وقد تلاقت هذه

الخطة تماماً مع خطة الإستعمار والصهيونية .

يا سيادة الرئيس :

إنى عندما أتوجه إلى سيادتكم بهذا الخطاب ، فإنما أخاطبكم من الأعماق وبكل إخلاص وأمانة . ها هى ٩ شهور قد مضت على بدء هذه الحملة ضد الشيوعية . فلنر حصيلتها على النطاق العربى . هل أزالت الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ؟ هل قضت على أوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد أو حتى التضامن بينهما ؟ والتضامن والإتحاد بين هاتين الجمهوريتين المتحررتين المستقلتين بالذات ، هو اليوم فعلا عماد التضامن العربى بأسره ، وركنه الركين وحصنه الحصين ؟

ثم ، ألا ترى النظام الملكي فى الأردن هو الذى توطدت أركانه ، والنظام الملكى فى السعودية – الذى سبق أن تآمر على حياتكم الغالية -- هو الذى ثبتت أوصاله وأن أبا رقيبة لا زال ماضيا فى غيه ؟

ثم لنر حصيلة هذه الحملة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ! ألم يفز رجال حزب الشعب فى انتخابات الإتحاد القومى فى الإقليم الشمالى ، وكلنا نعلم من هو حزب الشعب . ألم يكن أقوى عميل فى سوريا لحلف بغداد ولنورى السعيد وللوحدة مع العراق الملكية ؟

ألم تفز هنا فلول الأحزاب المنحلة ومن رجال العائلات الإقطاعية فى إنتخابات الإتحاد القومى فى الإقليم الجنوبى ، وكلنا يعلم أنهم فى جوهرهم معادون للحكم الوطنى لأنه قد حرمهم من كثير فى نفوذهم السياسى والإقتصادى .

ثم .. ألا نجد المعارضة تشتد لقراركم الرائع الذى صدر بتحديد أرباح الشركات أوائل عام ١٩٥٩م ، وقانون التأمين الإجتماعى .. بل ألا نرى التخريب من كل مكان بالنسبة لقراراتكم الموفقة الأخيرة بتخفيض تكاليف المعيشة ؟

ولنسأل يا سيادة الرئيس حتى بالنسبة لحقل صحافة من أكثر الجرائد اليوم توزيعاً ؟ أليست أخبار اليوم التى تجتذب اليوم كثيراً من الصحفيين ، والتى كانت أيام الملك أشد الصحف ملكية ، وأيام مشروع صدقى – بيفن أشد الناس مناداة بتوقيعه ، وأيام المعركة المسلحة فى القتال أواخر ١٩٥١م أشد الصحف تشكيكاً فى فائدة المعركة ، ألا ترى يا سيادة الرئيس موقفها المائع الباهت من أمريكا وتصريحاتها الأخيرة بالنسبة لمشروع الجزائر ، وبالنسبة للملاحة فى القنال .

يا سيادة الرئيس :

ثم ماذا كان موقفنا نحن رغم إعتقالنا ، رغم كل ما لاقيناه من عنف وإرهاق ؟ ألم تكن هذه محنة ما أقساها محنة ؟ ومع هذا لم تزحزحنا قيد أنملة عن الثقة بوطنيتك ، وعن الثقة فيك كزعيم هذا الشعب حولك وحول حكمك الوطنى ، تحالف كافة الطبقات الوطنية من أجل تنفيذ برنامجك البنائى تكاتف هذه القوى كلها فى داخل الإتحاد القومى وتحويله فعلا إلى تنظيم فعال للشعب كله .

تأكيد وحدة مصر وسوريا التى هى الحصن الحصين للعرب كافة ، وإدانه كل حركة إنفصالية أو أضعاف لهده الوحدة بأى شكل من الأشكال وحل مشاكلها على أسس من شأنها تعديم الوحدة لا إضعافها .

إزالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين ، وتناسى الاحقاد فى سرعة وحسم ، وتمهيد الجو للتضامن بين الشقيقتين ، كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما مما يمهد بدورة للوحدة الشاملة العربية ، ونحن ننتظر من الدولة الأكبر وهى الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الزعيم الأكبر وهو جمال عبد الناصر ، أن يكونا هما الأرحب صدرا وهما الساعيان لإزالة هذ الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هى التى ينتظر منها الصبر والحكمة وإزالة مخاوف الشقيقة الصغرى ، وليس فى هذا ما يغض من كرامتنا ولا عزتنا ، وإنما فى هذا ما يؤكد زعامتكم وقيادة الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الأقوى ما لا وجيشا وموارد وفيرة .

تأكيد العلافات الودية مع المعسكر الإشتراكى ، فكما أنه ثبت أنه الصديق فى المحنة الماضية ، فقد استمر فى صداقته فى هذه المحنة القاسية ، فلم يتأخر عن الوقوف بصلابة ضد مؤامرات الإستعمار والصهيونية ، بتجميع الصف العربى كله ، والصف الوطنى جميعه ، وإعداد ما نستطيع من قوة اقتصادية وقوة عسكرية لمواجهة أى عدوان أو ضغط .

هذه هى سياستنا ، وهذا هو تطبيق مبادئنا وهى تنطبق تماما مع سياستكم الوطنية التحررية ، لأننا لسنا اليوم ولا فى السنين العشر القادمة بصدد تطبيق الإشتراكية ، وإنما نحن اليوم بصدد إستكمال ما بدأته ثورة ٢٣ يوليو ، تحرير الوطن العربى من الإستعمار ، وتحرير اقتصادنا من مخلفات الإستعمار وإرساء قواعد الديمقراطية فى إطار التحالف الوطنى لكافة القوات الوطنية .

يا سيادة الرئيس :

ألم يحن الوقت والإستعمار يتلمز مرة أخرى لنا ولقتالنا بحجة كفالة حرية المرور للسفن

الصهيونية والإستعمار ماض فى غيه بالنسبة لشقيقتنا الجزائر ، والإستعمار ماضى فى إستخدام ضغطه الإقتصادى، أن يلتئم الصف الوطنى والصف العربى فى سرعة وحسم وأن تزال الجفوة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة فى قوة وشجاعة ، وإنكم تستطيعون هذا ، بل أنتهم وحدكم تستطيعون هذا ، بوقف محاكمتنا ، ووقف هذه الحملة بالإفراج عنا ، حتى تشعر كافة القوى الديمقراطية وجميع القوى التقدمية (حتى غير الشيوعية)بشروق الشمس وتبدد السحب القاتمة التى حجبت نورها طوال هذه الشهور التسع .

وهل لى يا سيادة الرئيس أن أطمع فى أن تبعث بمندوب نطمئن إليه من قبلكم أستطيع أن أفضى إليه بمكنون قلبى . يا للشكر الذى لا أستطيع أن أسطره هنا فى خطاب لا أدرى فى أى يد قد يقع .

وتفضلوا سيادتكم بقبول أخلص تحياتى وأصدق تمنياتى .

سبتمبر ١٩٥٩م .

شهدى عطية شافعى[١]

* ورغم هذه الرسالة العاطفية للغاية .. قتل جنود عبد الناصر (شهدى) ، تماما مثلما قتل عبد الناصر (الشيوعية) فى مصر رغم محاولات التأميم والتمصير ... فالفعل واحد وإن اختلف أسلوب التنفيذ .

ثالثاً : الصدام الثانى بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر عام ١٩٦٥م :

تميزت الفترة التى واكبت الصدام الأول بين الإخوان المسلمين ومجلس قيادة الثورة ، بأنها كانت فترة عدم استقرارسياسى وصراع مع القوى السياسية القديمة من جهة وصراع فى داخل المجلس من جهة ثانية ، وتميزت العلاقة بين الإخوان والثورة وقتئذ بالتطور من التعاون وقت قيام الثورة وقبلها ، فالصراع المكتوم منذ ٢٣ يوليو حتى ١٤ يناير ١٩٥٤م .. فالصراع العلنى الذى أخذ شكلاً عنيفاً فى محاولة اغتيال عبد الناصر ، فاعتقالات وإعدام لقيادات الإخوان[٢] .

---

(١) نص هذه الشهادة فى كتاب شهدى عطية فى كتاب : الحركة الوطنية المصرية – مصدر سابق .

(٢) كانت المحصلة الأخيرة لصدام ١٩٥٤ كالآتى : ٦ أفراد نالوا حكم الإعدام ، ٨ نالوا حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة ومنهم حسن الهضيبى ، ٨٦٧ أحكاماً مختلفة بالسجن من محاكم الشعب ، ٢٤٥ أحكاماً بالسجن من المحاكم العسكرية .

بالنظام السياسى حيث استطاع النظام أن يواجهه مع الإخوان للمرة الثانية ، وكان من نتائج هذه المواجهة إعدام البعض من قيادات الإخوان وسجن الباقين ، وتطرفهم داخل السجون

ومنذ أكتوبر ١٩٥٤م حتى ٧ أغسطس ١٩٦٥م والعلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السايسى الناصرى مقطوعة ، بسبب الغياب الفعلى لجماعة الإخوان المسلمين داخل السجون ، ولكن التاريخ ينبئنا بأن هذا الغياب لم يكن مانعاً بأى حال من التحرك بالشكل السرى ، ومن خلال عملية تخطيط واسعة النطاق بقيادات جديدة ، كانت وقت الصدام الأول لا تزال حديثة السن والخبرة ، وكان عام ١٩٦٥م هو العام الفيصل فى علاقة الإخوان ليخرجوا منها مع بداية السبعينات وقد تحولت نظرتهم وفلسفتهم للمجتمع المحيط بهم . وليبدأوا سلسلة من المواجهات العنيفة مع النظام السياسى الجديد الذى حاول إحتواءهم وتوظيفهم فى مواجهة القوى الأخرى ، كانت نتيجتها النهائية اغتيال الرئيس أنور السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م من خلال أحد التنظيمات الدينية السرية .

من هنا فإن الباحث يرى أنه بينما كان الإطار العام الذى توالدت فيه أحداث الصدام الأول حريا به أن يؤدى إلى وصول الإخوان إلى مقاعد السلطة لو قدر لهم أن يتخلصوا من القيادات الجديدة وخاصة عبد الناصر ، فإن أحداث الصدام الثانى حدثت بين قوتين غير متكافئتين ، وأن محاولة ضرب النظام السياسى الناصرى ، لم تكن تجدى وخاصة أن عمليات التنمية قد سحبت سياسياً واجتماعياً البساط من تحت الأقدام المعارضة له . وفى هذا المبحث يدرس الباحث أربع جزئيات هى :

١ - **الإطار العام للصداع الثانى** : فى النصف الثانى من عام ١٩٦٥م كانت الخطة الخمسية الأولى قد أوشكت على الإنتهاء ، وزادت معدلات التنمية خلالها ، ولأول مرة فى مصر ، عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه من بين سنة ١٩٥٤م - ١٩٥٥م و ١٩٦٤م - ١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩

بليون ، ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنيه ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليوناً إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة ، وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩م / ١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م / ١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

وكان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه فى الناتج المحلى الإجمالى إلى ٣٠٪ وتحققت فعلا زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنويا ، أى ضعف ما تحق فى الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلى ٢٣٪ أى بدون الزيادة المخططة ، واستهدفت الخطة أيضا زيادة الإنتاج الزراعى ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلاً لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسى كان دستور ١٩٦٣م قد صدر واجريت الإنتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول اجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفى هذا الاجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسيا وأسماها بمرحلة التحول العظيم .[١] فقام بوضع مبادىء الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها ، وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هى : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية ، وتحقيق الوحدة العربية[٢] .

وإستكمالا لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشكلات التى تواجه مصر وتحتاج إلى مواجهة وهى : مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة، ومشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ، ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد الذاتى الشجاع[٣].

عام ١٩٦٥م ، إذن ، كما أسماه عبد الناصر بحق كان عام التحول نحو البناء الشامل فى الداخل ، وكان الوطن العربى يطغى بالإنقسامات والثورات التى كانت على قمتها ثورة اليمن وثورة الجزائر ، وشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطنى فى العالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم فى سيلان وانشغلت الهند عن جهود التنمية فى حرب شاملة فى باكستنان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالة ، فى أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكى البلجيكى للكونغو فى أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٦٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريرى من ثورة الكونغو واستطاعت أن تتغلب عليها وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

وفى وثائق الرئيس الأمريكى إيزنهاور ما يؤكد الموقف المعادى لعبد الناصر حيث كان يرى أنهم قد وصلوا إلى قناعة مفادها أن مصر تحت حكم عبد الناصر لن تقوم بأى بادرة على الإطلاق للتقارب مع إسرائيل أو الغرب عموما . فى هذا السياق حدث الصدام الثانى بين النظام السياسى والإخوان ، ويرى أحمد حمروش كيف أنه قام بعض أعضاء طليعة الإشتراكيين بكشف تنظيم سيد قطب فقام عبد الناصر بإبلاغ هذه المعلومات إلى وزارة الداخلية ، ولكن وزارة الداخلية وبعض الجهات الحكومية أخفقت فى كشفت هذا التنظيم ، وأن عبد الناصر إزاء إصرار أعضاء تنظيم طليعة الإشتراكيين على وجود تنظيم لم يجد بدا من الإستعانة بالمباحث الجنائية العسكرية التى أمكنها أن تضع يدها على تنظيمات وخلايا عديدة[1] .

٢ - وجهة نظر الإخوان المسلمين فى صدام ١٩٦٥م :

ويثير الإخوان فى هذا الصدد أمرين ، أولهما إنشاء التنظيم وتطور نشاطه ، وثانيهما : حدوث التعذيب داخل السجون ، أما فيما يتعلق بإنشاء التنظيم فإن مجمل تراث الإخوان بشأنها يشير إلى عدة حقائق حول حقيقة إنشاء تنظيم سرى للإخوان بزعامة سيد قطب ، وتطور نشاطه السياسى والدينى إلى حد الصدام مع النظام السياسى القائم وذلك على النحو التالى :

أ - بدايات التنظيم : بدأ التنظيم عام ١٩٥٧م بعلم المرشد العام وقتئذ حسن الهضيبى بهدف إجتماعى هو معونة أسر المعتقلين والمسجونين ، ثم تحول فيما بعد إلى نواة للتنظيم .

وكان كتاب (معالم فى الطريق) الذى ألفه سيد قطب هو المنهج الفكرى للتنظيم حيث رأى أنه حين تكون الحاكمية العليا فى مجتمع لله وحده ، متمثلة فى سيادة الشريعة الإلهية ، تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية ، وحيث أن المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتى هو « المجتمع المتحضر » ، أما

---

(١) بشكل موسع انظر أحمد حمروش : مجتمع عبد الناصر الجزء الثانى ، مصدر سابق .

المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف ، بالمصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى » وحيث المعركة - وفقاً لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسلهل وقفها ، وسهل حل أشكالها ولكنها فى صميمها معركة عقيدة ، أما كفر أو إيمان وإما جاهلية أو إسلام .

ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث : «ان هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية ، ولا العدالة الإجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله على طرفة عين ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله ، وليس لأى بشر أو جماعة من البشر وأن أى حاكم إنسان بل أى ، مسئول بإنسان ، وإنما ينازع الله سلطته ، بل أن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه» .

وبعودة إلى البدايات العملية للتنظيم نجده قد بدأ وفقا لإعترافات أعضائه فى جمع الأسلحة وتوظيف طاقات الشباب فى صنع المتفجرات ووضع خطط لاغتيال عبد الناصر وعدد من المسئولين والفنانين ، وكان تدريب الخلايا يتم على ثلاث مراحل : مرحلة الإعداد الروحى ، ثم الإعداد الجسدى بالمصارعة والمشى ، ثم التكليف بأعمال التنفيذ ، وكان للتنظيم أجهزته المختلفة فكان هناك جهاز لجمع المعلومات وآخر للإستطلاع وثالث لجلب المراسلات والأموال من الخارج ورابع لشراء السلاح وتخزينه بالقاهرة وخلية كيماوية لصنع المواد الحارقة وأخرى من المهندسين لمعاينة الأماكن التى ستنسف وإمكانية ذلك .

ووضع التنظيم خططا لنسف عدد من الكبارى وكذلك المصانع ومحطات الكهرباء ومطار القاهرة ومبنى التليفونات وبعض مراكز المرافق ، وقد أعدت خرائط تم ضبطها لهذه المواقع كلها ، وحرق عدد من دور السينما والمسارح لإحداث ذعر ، يتقدم بعده التنظيم إلى الحكم بغير معارضة وذلك حتى يقوم مجتمع الإسلام . ووضعت أكثر من خطة لاغتيال عبد الناصر وفقاً للرواية الرسمية واعترافات الأعضاء واحدة منها أثناء موكبه الرسمى فى القاهرة ، أو فى الأسكندرية ، وكان هناك من يراقب سير الموكب فى أماكنه المختلفة ووضعت خطة أخرى لنسف القطار الذى يستقله الرئيس فى طريق إلى الإسكندرية للإحتفال بعيد الثورة وثالثه لاغتياله فى شارع الخليفة المأمون وهو فى طريقه إلى بيته بمنشية البكرى .

وتؤكد الوقائع السابقة ما يقوله (سيد قطب) فى الوثيقة الهامة التى كانت آخر ما كتبه

قبل إعدامه[1] وجاءت أقواله التى نوردها هنا بنصها على النحو التالى :

يقول سيد قطب :

خرجت من السجن ، وفى تصورى صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية فى الظروف العالمية والمحلية الحاضرة وصورة لخطوات المنهج التى يجب أن تسير عليه . وقد ذكرت ذلك من قبل ولكنى ألخصه هنا قبل البدء فى التفصيلات :

١ - المجتمعات البشرية بجملتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته ، ولم تبعد فقط عن الأخلاق الإسلامية ، والنظام الإسلامى ، والشريعة الإسلامية . وإذن فأية حركة إسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام ومدلول العقيدة وهو أن تكون العبودية لله وحده . سواء فى الاعتقاد بألوهيته وحده ، أو تقدير الشعائر التعبدية له وحده ، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها .

٢ - الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ فى تربيتهم على الأخلاق الإسلامية وفى توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية وتاريخها وخط سير الإسلام فى التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التى كانت فى طريقه والتى لا تزال تتزايد بشدة ، وبخاصة فى المعسكرات الصهيونية والصليبية الإستعمارية .

٣ - لا يجوز البدء بأى تنظيم إلى بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة ومن الأخذ بالخلق الإسلامى فى السلوك والتعامل ومن الوعى الذى تقدم ذكره .

٤ - ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية هو نقطة البدء . ولكن نقطة البدء هى نقل المجتمعات ذاتها - حكاماً ومحكومين - عن الطريق السالف إلى المفهومات الإسلامية الصحيحة - وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير فى إتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية .

٥ - وبالتالى لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب فى الحكم يجىء من أعلى ، ولكن عن طريق تغير فى تصورات المجتمع كله - أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله - وفى قيمة وأخلاقه والتزامه بالإسلام يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لابد منها فى حسمهم !

---

(١) سيد قطب : لماذا أعدمونى : كتاب الشرق الأوسط - الشركة السعودية للأبحاث والتسويق - د. ت .

٦ - فى الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة ، وهى سائرة فى خطواتها هذه بحيث إذا إعتدى عليها وعلى أصحابها يرد الإعتداء . وما دامت هى لا تريد أن تعتدى ، ولا أن تستخدم القوة فى فرض النظام الذى تؤمن بضرورة قيامه - على الأساس المتقدم وبعد التمهيدات المذكورة - والذى لا يتحقق إسلام الناس إلا بقيامه حسب ما يقرر الله سبحانه . ما دامت لا تريد أن تعتدى ولا أن تفرض نظام الله بالقوة من أعلى فيجب أن تترك تؤدى واجبها وألا يعتدى عليها وعلى أهلها . فإذا وقع الاعتداء كان الرد عليه من جانبها .

هذه كانت الصورة المتكاملة فى تصورى لأية حركة إسلامية حاضرة .. ولكن حدث إن التقيت بعد خروجى على التوالى بالشبان الآتية أسماؤهم - من بين من التقيت بهم من الإخوان وغير الإخوان ممن لهم إتجاه إسلامى : عبد الفتاح إسماعيل - على العشماوى - أحمد عبد المجيد - (وقد عرفت بقية اسمه هنا فى السجن الحربى) مجدى صبرى .. وعلمت منهم بعد لقاءات متعددة أنهم مكونون بالفعل تنظيماً يرجع تاريخ العمل فيه إلى حوالى أربع سنوات أو أكثر ، وأن أقلية منه ممن سبق اعتقالهم أو ممن لم يكونا من الإخوان من قبل ، وأن هذا التنظيم تم بأن كلا منهم على إنفراد فكر فى وقت من الأوقات السابقة - فى هذه السنوات من ضرورة العمل لإعادة حركة الإخوان المسلمين وعدم الإكتفاء بهذه الصورة القائمة لوجود الجماعة ، وهى أن تكون هناك بعض الإشتراكات والمساعدات لإعالة الأسر التى لم يعد لها مورد رزق ، مع مجرد التجاوب الصامت بين الإخوان والقعود والإنتظار ، وأنهم فى أثناء تحركهم كل على حدة لتنظيم أى عدد من الإخوان الراغبين فى الحركة أو تحريكهم التقوا بعضهم ببعض ، وبعد أن إستوثق بعضهم من بعض إنضموا كل بالمجموعة التى كانت قد إنضمت إليه وكونوا هذا التنظيم الواحد . وأنهم - وكلهم من الشبان القليلى الخبرة - ظلوا يبحثون عن قيادة لهم من الكبار والمجربين فى الجماعة ، فإتصلوا بالأستاذ فريد عبد الخالق ، كما إتصلوا بإخوان الواحات (الذين اتصلوا بالأستاذ فريد كلهم والذى اتصل بالواحات عبد الفتاح) وبغيرهم ، ولكنهم لم يجدوا حتى الآن قيادة لهم ، ذلك أنهم بعد أن قرأوا كتاباتى وسمعوا أحاديثى معهم قد تحولت أفكارهم وتوسعت رؤيتهم إلى حد كبير .

وقد كانوا يفكرون من قبل على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية لإزالة الأوضاع والأشخاص التى ضربت جماعة الإخوان المسلمين وأوقفت دعوتهم ، وإقامة الجماعة وإقامة النظام الإسلامى عن هذا الطريق .. أما الآن فقد فهموا أن المسألة أوسع من ذلك بكثير وأن طريق العمل طويل ، وأن العمل فى المجتمع يجب أن يسبق العمل فى نظام الدولة ، وأن تكوين وتربية الأفراد يجب أن يسبق التنظيم .. إلى الآخر .. وأن من وراء هم من الشبان

قد أخذوا يتصورون الأمور على هذا النحو إلى حد ما ،ولكنهم هم في حاجة إلى قيادة تزودهم بالمزيد ، وترشدهم فى التحرك ليستطيعوا هم أن يؤثروا فيمن وراءهم ، ويوسعوا إدراكهم ، ويغيروا تصوراتهم ..

وكنت أمام أمرين : أما أن أرفض العمل معهم .. وهم لم يتكونوا على النحو الذى أنا مقتنع به ، فلم يتم تكوين الأفراد وتربيتهم وتوعيتهم قبل أن يصبحوا تنظيماً وقبل أن يأخذوا فى التدريب الفعلى على بعض التدريبات الفدائية .. وأما أن أقبل العمل على أساس تدارك ما فاتهم من المنهج الذى أتصوره للحركة وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم بحيث لا يقع إندفاع فى غير محله خصوصاً وبعضهم ينوى فعلا ، وعقلية البدء بإقامة النظام الإسلامى من قمة الحكم قد تغلب على الفهم الجديد وعلى عقلية البدء بإقامة العقيدة والخلق والإتجاه فى قاعدة المجتمع .. وقررت اختيار الطريق الثانى والعمل معهم وقياداتهم .

ولكنى قلت لهم مخلصا فى ذلك ، حقيقة أن الحركة الإسلامية فى الظروف الحاضرة تحتاج إلى نظرة واسعة وفهم ووعى الإسلام ذاته وتاريخ حركته وكذلك فهم للظروف العالمية المحيطة بالإسلام وبالعالم الإسلامى ... الخ .. وأنتم تقولون أنكم لم تجدوا قيادة ، وتريدون أن أقوم لكم بهذا الدور ... ولكننى كما تعلمون رجل مريض بأمراض مستعصية على الطب حتى الآن وخطيرة والآجال نعم بيد الله ولكن قدر الله يتم بأسباب يوجدها الله .. لذلك يجب أن تعتمدوا على الله وتحاولوا أن تكونوا أنتم قيادة ، ومهمتى الحقيقية معكم هى بذل كل ما أملك لتوعيتكم وتكوينكم العقلى لتكونوا قيادة .. أما دينكم وخلقكم وتقواكم وإخلاصكم وتعاملكم مع الله فأنا أرى وأحس أنكم سائرون فيها بخير والحمد لله .. وكنت أكرر عليهم هذه المعانى وأتجه بهم هذا الإتجاه ..

وكانت الوسيلة لتحقيق ذلك هى إجتماعى بهم أحياناً مرة كل أسبوع ، وأحياناً مرة كُل أسبوعين .. وفى فترات إنشغالى مرة كل ثلاثة أو كل شهر .. وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية ، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة والصهيونية والصليبية قديماً وحديثاً من الإسلام ، مع إلمام خفيف بالأوضاع فى المنطقة الإسلامية فى التاريخ الحديث منذ عهد الحملة الفرنسية ، وأحياناً التعليق على الأحداث والأخبار والإذاعات ، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم .. فقد كلفتهم أن يخصصوا منهم ومن بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية والإذاعات العالمية ، وإذا أمكن الكتب التى تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتهتم بالإسلام وبالمنطقة الإسلامية .

وحدث أربع مرات أن جاءنى أحمد عبد المجيد بحصيلة تتبعهم للأخبار الصحفية العالمية

والمحلية والإذاعات كذلك . وكانت صورة بدائية ساذجة ، ولكنها الخطوات الأولى الضرورية ، ومنها كنت أعرف مدى عقليتهم العامة .. غير أن جلساتى معهم كانت محدوده بحكم قصر المدة التى اتصلوا بى فيها فى مجموعها إذا إستبعدنا الفترات التى كنت مشغولا فيها أو مريضا أو بعيداً عن القاهرة لا تزيد على ستة أشهر ، ولا تحتمل أكثر مما يتراوح بين عشرة أو اثنى عشر اجتماعاً ، لا يتسنى فيها إلا القليل وبعضها كان يشغل بمسائل عملية أخرى تختص بموقف التنظيم من بقية الإخوان كما تتعلق بمسائل التدريب وأسلحته .. وبخطة مقابلة الاعتداء على التنظيم وتوقع ضربه حسب ما يتردد من أخبار وإشاعات .. وأظن أن هذه هى المسألة الرئيسية التى تهم المشرفين على القضية أكثر من غيرها .. ولكننى كنت أرى أنه لابد من عرض الصورة الكاملة التى تساعد على فهم هذه المسألة من كل جوانبها .

ويواصل قطب شهادته بالقول :

كنا قد إتفقنا على إستبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامى وفى الوقت نفسه قررنا إستخدامها فى حالة الاعتداء على هذا التنظيم الذى سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام فى المجتمع ، وكان معنى ذلك البحث فى موضع تدريب المجموعات التى تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه ، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض ، وموضع المال اللازم كذلك .

فأما التدريب فقد عرفت أنه موجود فعلاً من قبل أن يلتقوا بى ، ولكن لم يكن ملحوظاً فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذى فهم عقيدته ونضج وعيه ، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة ، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذى تتوافر فيه هذه الشروط عندهم وبعد مراجعة بينهم ذكروا لى أنهم حوالى السبعين ، وتقرر الإسراع فى تدريبهم نظراً لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب إذا ظل كل زادهم هو الكلام من غير تدريب وإعداد .. ثم تجدد سبب آخر فيما بعد عندما بأدت الإشاعات ثم الإعتقالات بالفعل لبعض الإخوان ... وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان :

الأول : إنهم أخبرونى – ومجدى هو الذى كان يتولى الشرح فى هذا الموضوع – انه نظراً لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب فقد أخذوا فى محاولات لصنع بعض المتفجرات محلياً ، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلا ، ولكنها فى حاجة إلى التحسين والتجارب مستمرة .

والثانى : إن على عشماوى زارنى على غير ميعاد وأخبرنى أنه كان منذ حوالى سنتين قبل التقائنا قد طلب من أخ فى دولة عربية قطعاً من الأسلحة ، حددها له فى كشف .

ثم ترك هذا الموضوع من وقتها . والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل - وهى كميات كبيرة حوالى عربية نقل ، وإنها سترسل عن طريق السودان مع توقع وصولها فى خلال شهرين .. وكان هذا قبل الاعتقالات بمدة ولم يكن فى الجو ما ينذر بخطر قريب .. ولما كان الخبر مفاجئاً فلم يكن ممكناً البت فى شأنه حتى نبحثه مع الباقين ، فاتفقنا

على موعد لبحثه معهم . وفى اليوم التالى - على ما أتذكر - وقبل الموعد جاءنى الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وحدثنى فى هذا الأمر وفهمت أنه عرفه طبعاً من على وكان يبدو غير موافق عليه ومتخوفاً منه . وقال : لابد من تأجيل البت فى الموضوع حتى يحضر صبرى . وقلت له : أننا سنجتمع لبحثه .

وفى الموعد الأول - على ما أتذكر لم يحضر صبرى - لذلك لم يتقم تقرير شىء فى الأمر ، وفى موعد آخر كان الخمسة عندى وتقرر تكليف على بوقف إرسال الأسلحة من هناك حتى يتم الإستعلام من مصدرها عن مصدر النقود التى إشتريت بها ، فإن كان من غير الإخوان ترفض ، والإستفهام كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو مجزأة وطريقة إرسالها ، وضمانات أنها مكشوفة أم لا ؟ وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يخطره بإرسالها .

ومضى أكثر من شهر - على ما أتذكر - حتى وصل للأخ على رد مضمونه الباق فى ذاكرتى : أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة مالهم ، وإنهم دفعوا فيما ما هم فى حاجة إليه لحياتهم تلبية للرغبة التى سبق إبداؤها من هنا وإنها إشتريت وشحنت بوسائل مأمونة .

ولا أتذكر أن كان هذا الرد أو رد تال جاء بعده قد تضمن أن الشحنة أرسلت فعلاً ولا يمكن وقف وصولها وأنهم يفكرون فى طريق ليبيا إلى جانب طريق السودان أو لأنه قد يكون أيسر عن طريق السودان (لا أتذكر النص بالضبط) والأرجح أنه رد واحد . وعند ذكر ليبيا قلت : أنهم إذا فكروا فى طريق ليبيا فإنى أعرف من يستطيعون مساعدتنا فى نقل مثل هذه الأشياء .. وكنت أفكر وقتها فى اثنين من إخوان ليبيا عرفتهما بعد خروجى من السجن إحدهما (الطيب الشين) وكان يدرس فى مركز التعليم الأساسى بسرس الليان وله علاقة بسائقى عربات النقل بخط الصحراء بين ليبيا ومصر ، والآخر (المبروك) ولا أذكر إن كان أسمه الأول (محمد) أم لا لأنى أعرفه بإسم واحد .. وكان فى مناسبة ذكر لى أن بعض أقاربه يشتغلون بالقوافل بين مصر وليبيا .. ولم أستوضحه وقتها عن القوافل لأنه كان كلاماً عابراً بخصوص ما إذا كان يلزمنى أى شىء ليس موجوداً فى مصر ويمكن الحصول

عليه من ليبيا أو من الخارج وقوله لى أن أطلب أى شيء فنقله مأمون تماماً لأن أقاربه فى القوافل .. كذلك لا أعرف بالضبط نوع التجارة التى يزاولها هو ويحضر من أجلها إلى مصر .. إلا أنه فى مرة قال لى : أنه يستورد من الإسكندرية البرانس التى تلبس فى المغرب وتصنع فى مصر وليس فى المغرب .. ومرة قال لى أن معه شحنه كتب .. ولكنى غير متأكد من نوع التجارة التى يزاولها .

وأما مسألة المال فقد جاء ذكرها مرات فى اجتماعاتنا أو فى أحاديثهم متفرقين معى ، وعرفت أن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغاً ولكنه كان يقول لهم دائماً : أنه هو مؤتمن عليه وهو وديعة عنده لينفق فى أغراض معينة ولذلك فهو لا يمكن أن ينفق منه فى إعانات البيوت مثلاً ولا يملك التصرف فى شيء إلا بإذنه ..

وقد قال لى الشيخ عبد الفتاح مثل هذا الكلام ، ولكن لما عرضت مسألة الإنفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات وعلى الإنفاق لتسلم شحنة الأسلحة التى أرسلت بعدما تبين أنه لا يمكن وقفها ولا يمكن تركها كذلك قال إن أى مبلغ تحت تصرفكم . واستأذننى فى هذا فأذنت له ، وفهمت أنه كان يعتبر المبلغ أمانة لا يتصرف فيه إلا بإذن قيادة شرعية ، ولكنى لم أعلم بالضبط مصدر هذا المبلغ ولا مقداره .. كل ما كان واضحاً أنه من الإخوان فى الخارج وليس من أية جهة أخرى .. فهذا ما كنت أحب أن أتأكد منه فى علاقاتهم السابقة لأنى كما قلت لهم لا أجيز للحركة الإسلامية أن تستعين بأجنبى عنها لا فى مال ولا فى سلاح ولا فى حركة .. كذلك لم أعرف بالضبط مقداره ولكنى أستنتج أنه أكثر من ألف جنيه .. فقد جاء ذلك فى كلمات عرضية .. وكان الشيخ عبد الفتاح يقول كذلك ، أنه فى مكان أمين .. ولم أكن أستوضحه عن هذه التفصيلات لأننى كنت أكتفى بأقل قدر منها .. وكذلك كل أعمالهم التنفيذية فقد كان يكفى منها عنده ما يتعلق بالخطة العامة .. أما التفصيلات فكانت متروكة لهم لأنهم أخبر بها منى .. ولكن تبعتها بالطبع تقع على لأن الخطة العامة كانت تتم بموافقتى .. كذلك جاءنا مبلغ مئتى جنيه من إخوان العراق سلمتها للأخ على فور تسلمها ، وكان حاضراً لتكون فى عهدتهم وتحت تصرفهم .

تلك هى شهادة سيد قطب كاملة نقدمها دون تدخل من جانبنا لإحقاق الحق وإيماناً منا بأهمية معرفة كل الحقائق وكل الآراء حتى لو إختلفنا معها .

ب - روايات الأعضاء :

بتحليل أهم أجزاء وجهة نظر الإخوان من الأعضاء القياديين يلاحظ أن عبد المجيد الشاذلى المسئول عن الإسكندرية فى التنظيم يقول : أن تدبير عملية إغتيال عبد الناصر

وكبار المسئولين كان محدداً لها وقت متأخر لكن عندما شعر الإخوان أن الحكومة كشفت أمرهم قررت قيادة القاهرة التعجيل بالخطة وحمل مجدى متولى بإعتباره ضابط الاتصال بهذا القرار إلى قيادة الإسكندرية لتنفيذ الخطة ، ودار نقاش قالت قيادة الإسكندرية أنه ليس لديها الأفراد المدربون على السلاح لتنفيذ الخطة ، لكن قيادة القاهرة ردت بأنها على إستعداد لمد الإسكندرية بالإعداد . وقد وقع إختيارهم على منطقة الكورنيش المجاورة لكازينو أندريا الموجود فى منطقة المنتزه لمراقبة تحركات المسئولين . وكان يمكن لشخص أن يصطحب زوجته إلى الكازينو كأى أسرة للمراقبة ، وكان لابد من مراقبة كل المنطقة ، وعلى هذا فقد قرر - أى عبد المجيد الشاذلى - هو شخصياً القيام بذلك ، لولا بعض الظروف فكلف شخصا أسمه الهامى بدوى بالمراقبة ، لكنه لم يعرف نتيجة ذلك لإلقاء القبض عليه ، ويستطرد قائلاً أنه كان المفروض أن تقم بعد ذلك مجموعة تضم سبعة أشخاص بالتنفيذ ولم يحدث لأن التنظيم قد ضبط[1] .

أما زينب الغزالى فملخص روايتها يمكن إجماله فى الآتى : أن تنظيم الإخوان بدأ الإتفاق عليه فى السعودية عام ١٩٥٧م وأنه أخذ شكل الدعوة الإسلامية حيث :

«فى الكعبة الشريفة قال لى عبد الفتاح إسماعيل : يجب أن نرتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله لا نتقاعس حتى نجمع صفوف الإخوان ، ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيا كان وصفهم ومقامهم . وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته ، وعدت إلى مصر[2]».

وتقول فى موضع آخر : ومع أوائل ١٩٥٨م كانت لقاءاتى قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل فى منزلى ، وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردده وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم ، على منزلنا فسألنى : هل هناك نشاط للإخوان المسلمين ؟ أجبت نعم ، فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته ، قلت إعادة تنظيم جماعة الإخوان[3] .

كما ذكرت أنه قد تمت موافقة المرشد العام حسن الهضيبى على هذا التنظيم وقد رشح سيد قطب للإشراف عليه ، ثم تمت عملية مسح شامل لمحافظات مصر لتجنيد أعضاء التنظيم

---

(١) عبد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٢١٤ - ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

(٣) زينب الغزالى : أيام من حياتى (القاهرة ، دار الشرق ، ١٩٧٨) ص ٣٣ .

الجديد ، وقام بها عبد الفتاح إسماعيل ، وبعد ذلك اتجهت الدعوة إلى تأكيد عدم شرعية حل تنظيم الإخوان المسلمين ، وعدم الاعتراف أو الولاء للنظام السياسى القائم لأنه لا يحكم بالقرآن الكريم ، وتصل الأمور إلى ذروتها فى رواية زينب الغزالى عندما تؤكد أن المخابرات الأمريكية والروسية والصهيونية العالمية قد قدمت تقاريرها إلى عبد الناصر مشفوعة بتعليمات بضرورة القضاء على هذه الحركة الإسلامية[١] .

وتتفق أغلب روايات الإخوان على أن فكرة التشكيل بدأت خلال الفترة (١٩٥٧م – ١٩٥٩م) بهدف تجميع الإخوان الذين خرجوا من السجون بتشكيل تنظيمى مع التركيز الدينى والعقائدى ، وتكونت المجموعة من مجدى متولى ، ومن عبد المجيد الشاذلى وصلاح شاهين ورشاد الجندى ، ثم إلتقت هذه المجموعة الرباعية بأربعة آخرين هم عبد المجيد محمد عبد المجيد الذى كان خراطاً فى السد العالى ، والمهندس أحمد فريد الذى كان وقتها طالباً فى الهندسة والطبيب عبد الفتاح الجندى الذى كان وقتها طالباً فى الطب والمهندس عادل زهرة ، وإلتقت المجموعتان وانتخب رشاد الجندى رئيسا لأنه الأكبر سنا والأكثر تعقلاً ولأنه من بلقاس حيث يمكن القيام بإتصالات مع آخرين ، وتم تفويضه فى الإتصال بمن لهم أفكار متشابهة .

وحدثت تطورات للتنظيم وتغييرات استقرت فى عام ١٩٦٢م على توزيع الإختصاصات على النحو التالى : عبد المجيد الشاذلى مسئولاً عن الإسكندرية ، عبد الفتاح الشريف مسئولاً عن البحيرة ، وعبد الفتاح إسماعيل مسئولاً عن دمياط ، ومجدى عبد العزيز متولى مسئولاً ومندوب إتصال مع الإسكندرية . وتشكلت لجنة لتنظيم المجموعات من ثلاثتهم ، وذات مرة فى منتصف عام ١٩٦٢م قال عبد الفتاح إسماعيل لعبد الفتاح الشريف أن لديه ٥٠ فدائياً مستعدين للعمل أثناء وجود الرئيس جمال عبد الناصر فى أحد الإحتفالات[٢] . وفى مارس ١٩٦٤م إتصل عبد الفتاح إسماعيل بعلى عشماوى الذى كان عضواً فى القيادة المسئولة عن تشكيلات الأقاليم ، وذهبنا إلى منزل زينب الغزالى وهناك كان يوجد شخص ثالث هو عبد العزيز على باشا ، ودارت المناقشات حول المهمة القادمة فى الإسكندرية .

ويقول مجدى عبد العزيز أثناء محاكمته أن مرحلة جديدة كانت قد بدأت عندما خرجت من الجيش فى أغسطس ١٩٦٤م واقتربت من على عشماوى وسيد قطب وفى أثناء أحد الاجتماعات قال على عشماوى أنه استلم خطاباً من السعودية قالوا فيه إنهم حيبعتوا أسلحة

---

(١) نفس المصدر – ص ٣٤ – ٤١ .

(٢) شهادة مجدى متولى فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ٢١٤ – ٢١٨ .

من السعودية عن طريق السودان على أن تتسلمها من « دراو » جنوب السودان[1]

وتعليقاً على هذا قال سيد قطب لعلى عشماوى طبقا لرواية مجدى متولى روح سافر وإعمل الترتيب اللازم لإستلام هذه الأسلحة . لقد كان سيد قطب يتدخل فى التنظيم سواء من الناحية الحركية أو العقائدية وحتى الشخصية[2] .

ويذكر محمد صادق حتحوت ، مهمة أخرى من مهام مجموعة المعلومات فهمى إلى جانب جمع المعلومات وسماع الإذاعات كانت تراقب أعضاء التشكيل حتى تتأكد من أن الحكومة لا تراقبهم وكانت وسيلة ذلك أن يمشى عضو المعلومات وراء أى عضو فى التشكيل ليرى ما إذا كان يتبعهم أم لا ، وكان حتحوت يقوم بتدريب أعضاء التشكيل على المصارعة اليبانية ، ووضع مشروعاً لنسف ١٢ كوبرى ، منها كوبرى قصر النيل وكوبرى بنها ، وذلك بأن اشترى خريطة فيها هذه الكبارى ثم درسها وعرف أكثر نقطة ضعف فى كل كوبرى وعلم عليها بقلم رصاص بعلم (×) ، وذلك لنسف الكبارى من هذا الموضع بأقل شحنة وبأقل تكاليف بهدف قطع المواصلات[3]

ويذكر شعبان الشناوى المسئول الثانى بالدقهلية أن الاغتيالات لم تكن مهمته وإنما مهمته كانت نسف محطة كهرباء طلخا[4]

أما سيد قطب فمجمل أقواله تتمثل فى عدم علمه بمسألة التنظيم وهو فى السجن وعلمه بعد خروجه من السجن ، وأن صلته الوحيدة بهذا التنظيم المزعوم كان هى كتبه ومن خلال زينب الغزالى وشقيقته حميدة ، عندما سئل عن هوية الأشخاص الذين زاروه بعد خروجه من السجن قال :

أعضاء القيادة تحدثوا معى حديثاً طويلاً وذكروا لى أنهم ليسوا وحدهم وإنما وراءهم مجموعات أخرى من الشباب وذكروا لى تاريخ هذه المجموعات ، وقالوا أنهم فى سنة ١٩٥٩م حتى عام ١٩٦٣م كونوا مجموعات ، وبعد عدة لقاءات قالوا أن لهم تنظيما سريا يرجع إلى عدة سنوات سابقة وإن هدا التنظيم قائم على أساس أنه فدائى ينتقم لما جرى للجماعة

---

(١) شهادة مجدى عبد العزيز فى : عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين ص ٢١٤ – ٢١٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) شهادة محمد صادق حتحوت ، فى المصدر .
(٤) شهادة شعبان الشناوى ، نفس المصدر .

عام ١٩٥٤م ، ولكن أنا قلت لهم أن هذا الهدف صغير لا قيمة له ونتائجه أخطر من فوائده[١]

وعندما سئل عن الهدف من إنشاء مثل هذا التنظيم أجاب : إنشاء جيل من الشباب المسلم الواعى الفاهم ليكون نواة مجتمع مسلم فى نهاية الطريق .[٢] وأجاب سيد قطب عن الأسلحة ، وعن رئاسته للتنظيم عام ١٩٦٥م بعد خروجه من السجن وعن نائبه يوسف هواش وأهداف التنظيم وعمليات النسف والإغتيالات فأثر جميع الإتهامات الموجهة إليه عدا الإتهام الخاص « بأننا فى حالة حرب مع الدولة »[٣] وهى الإتهامات الأساسية التى تؤكد

وجود تنظيم مسلح للإخوان ، تعداده يزيد على ٣٠٠ عضو ، له تمويل خارجى ، السعودية ، وله منهاجه وأفكاره الدينية المتناقضة مع توجيهات النظام السياسى الناصرى يومئذ ، وإن القول بأن صدام ١٩٦٥م كان تمثيلية – كما يقول بذلك مجمل أدب الإخوان المسلمين بعد عام ١٩٦٥م قول خاطىء وعار من الصحة لا تؤيده الوثائق والأسانيد التاريخية الخاصة بتلك الفترة ، والتى سبق إيرادها ، ويؤكدها أكثر شهادات محمد يوسف هواش وعلى عشماوى ، وعبد الفتاح إسماعيل ، وغيرهم من قادة التنظيم ، ويرى الباحث أن الرواية الرسمية لنشأة وتطور نشاط التنظيم قد يكون مبالغاً فيها ، ولكن الحقائق التى وردت فى شهادات أعضاء التنظيم تقوم كحجة دامغة على صدق الإفتراض القائل بوجود مثل هذا التنظيم ويتعاظم دوره خلال عام ١٩٦٥م .

جـ - التعذيب داخل السجون :

فيما يتعلق بالتعذيب الذى مورس على الإخوان المسلمين داخل السجون فتكاد تتفق أغلب روايات الإخوان أو من أرخ لهم على حدوثه بالفعل إبان هذه الأحداث ، وتفاوتت درجات وأشكال التعذيب وفقاً للروايات ولكنها استقرت حول عدة وقائع :

– إستخدام آلات التعذيب المختلفة كالكرابيج ، والكلاب ، والعصى ، والحرق بالنار ، والمس بالكهرباء ، والإغراق فى الماء البارد ، والحبس الإنفرادى مدداً طويلة ، ويقول جابر

---

(١) شهادة سيد قطب فى : عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩٩ – ٢٠٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال : جابر رزق : مذابح الإخوان فى سجون ناصر (القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧) .

ومن الوسائل الأخرى التى كانت تتبع بانتظام مع الإخوان وفقا. لروايتهم هى جعل أحدهم يتكلم دون تحديد موضوع يدور الحديث حوله ، بينما يسجل أحد الكتبة ثم يستعاد رزق ضمن روايته عن التعذيب ، وأذكر إن الشيخ محمد المطراوى إمام وخطيب مسجد المتهم فى رواية ما قال مرة ومرات ، وهو فى حالة من الإرهاق الشديد والاضطراب والقلق لا يستطيع أن يركز ذهنه فيما قال أول مرة ولا شك أن هذه الطريقة استطاعوا بها أن يحصلوا على كل ما لدى الإخوان من معلومات[٢] .

وتؤكد روايات الإخوان أيضاً على حدوث تعذيب مماثل فى سجون القلعة وأبى زعبل حيث كانوا يبدأون ، التحقيقات ليلاً فكانت تفتح زنزانة أو أكثر من زنازين سجن القلعة ، ويسحب منها مجموعة من الأفراد حسب ما تقع أيديهم عليهم ويؤخذون ويعذبون بطريقة همجية بربرية لانتزاع أى اعترافات وكانت أدوات التعذيب هى الشومة والكرباج[٢] .

– ولكن زينب الغزالى تضيف إلى عمليات التعذيب الى تعرض لها الإخوان أبعاداً جديدة حين تؤكد على حضور عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر لعمليات التعذيب وإشراف شمس بدران شخصيا على تعذيبها[٣] . وتؤكد روايتها أيضا على تنوع وسائل التعذيب داخل السجن الحربى ومن قبله القلعة وأبى زعبل لتتدرج من الإقتياد فى ظلمة الليل عنوة ومعها كتبها ، فالسباب والشتائم من الحارس الغليظ ، فالضرب باليد على الأذن والوجه ثم الضرب بالسياط ، فالإكراه على مشاهد الشباب الإخوان وهم يضربون بعنف ويعلقون من الأرجل ، وأخيراً الدخول إلى حيث الحجرة رقم ٢٤ ، وهى المخصصة للكلاب المتوحشة ، التى « أحسست بها تتسلق جسدى كله ، أحس أنيابها فى فروة رأسى ، فى كتفى ، فى ظهرى ، أحسها فى صدرى ، فى كل جسدى »[٤] .

ويؤكد على ذات المعانى أيضاً باقى الإخوان المسلمين الذين خرجوا من السجن بعد رحيل عبد الناصر وأعادوا إصدار مجلة الدعوة عام ١٩٧٨م والتى أفاضت فى تفسير هذه النواحى ومؤكدة على حدوث تعذيب بى ومضخمة فى شأنه فى كثير من الأحيان[٥] .

---

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

(٣) زينب الغزالى ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

(٤) المصدر السبق ، ص ٤١ – ٨٦ ، كذلك ص ١٤١ – ١٧٥ .

(٥) من الملاحظ خلو الجرائد والوثائق الرسمية لهذه الفترة من أى إشارة إلى وجود تعذيب بدنى على الإخوان المسلمين داخل السجون . انظر مجلد الأهرام/ أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر لعام ١٩٦٥ .

هذا ، ويمكن تلخيص مجمل روايات الإخوان فى وجود التنظيم وتطور نشاطه ، وحدوث التعذيب الجسدى لهم فى أن تنظيماً سرياً قد أنشىء عام ١٩٥٧م ، واكتسب الفاعلية بدءاً من عام ١٩٥٩م ، وبدأ فى ممارسة نشاطة المباشر بعد خروج الشيخ سيد قطب من السجون عام ١٩٦٤م ، إلى أن كان أغسطس عام ١٩٦٥م حين اكتشف من خلال تنظيم طليعة الإشتراكيين والمباحث الجنائية العسكرية . وتؤكد روايات المؤرخين سواء من الإخوان أو خارجهم على وقوع التعذيب الجسدى البالغ عليهم وهو التعذيب الذى أدى إلى وفاة بعضهم داخل جدران السجن ، وهو التعذيب أيضا الذى ترك بصماته واضحة على منطق الفكر الإخوانى ، وموقفهم من مجمل التجربة الناصرية ، وإدانتهم لها بشكل إجمالى دون تحديد أو تفرقة بين فكر التجربة ، والتجربة ذاتها ، أو بين قيادات هذه التجربة ودون تفرقة عقلانية بين الإنجازات المادية الملموسة والواضحة للعيان ، وبين التقييم الشخصى للتاريخ ولهذه الإنجازات ، والذى شوه الرؤي العلمية الواضحة للأشياء فى أعين الإخوان المسلمين والأجيال التى تلتهم من شباب الجماعات الدينية على إختلافها .

٣ - وجهة نظر النظام السياسى فى صدام ١٩٦٤م)

من متابعة وثائق هذه الفترة وتاريخ البعض لها يلاحظ مدى الإتفاق العام بين وجهتى نظر الإخوان المسلمين والنظام السياسى حول الإقرار بوجود تنظيم سرى يهدف إلى إعادة الإخوان المسلمين إلى الوجود ولا يعترف بقرار حلهم عام ١٩٥٤م ، وبوقوع تعذيب بدنى لهم داخل السجون وبالأخص السجن الحربى ، هناك إتفاق عام على هاتين الواقعتين ، ولكن الإختلاف يأتى من التبرير والتغيير لأحداث وأبعاد القضيتين .

أ - الإخوان - كما سبق القول يرتكنون فى القضية الأولى - وجود تنظيم - إلى أحقيتهم وإلى عدم شرعية الولاء ، لعبد الناصر ، ويرتكنون فى القضية الثانية إلى وقوع تعذيب بدنى قاس عليهم داخل السجون إلى حد القول بحضور عبد الناصر شخصياً لمعاينة هذا التعذيب . بيد أن رواية النظام السياسى تختلف فى التفاصيل عما يقوله الإخوان .. فبالنسبة لموضوع وجود التنظيم ونشاطه يفسر عبد الناصر وجوده ومن ثم اكتشافه بقوله أنه :

«بعد أن رفضنا الأحكام العرفية منذ سنة وصفينا المعتقلات وأصدرنا قانونا لكى يعودوا إلى أعمالهم - ضبطت مؤامرة وسلاحا وأموالاً وصلت إليهم من سعيد رمضان من

الخارج وهذا دليل أن الإستعمار والرجعية بيشتغلوا فى الداخل[1] » .

ويرى البعض أن لكلام عبد الناصر هذا والمتعلق بضبط مؤامرة جديدة للإخوان ، ومن موسكو دلالة مباشرة تتعلق بإرضاء السياسة السوفيتية من خلال اختلاق مؤامرة ، ويمثل هذا الرأى فى الغالب الإخوان المسلمون أو المتعاطفون معهم ، وأيا كان الأمر فعبد الناصر يحسم القضية هذه المرة من القاهرة ، حيث يروى البعض أنه عندما طبع كتاب « معالم فى الطريق » لأول مرة كان هناك اعتراض على طبعه بل إنه منع ، وعندما قرأ عبد الناصر مسودته إتصل بالمسئولين مؤكداً أنه لا مانع من طبعه ، وطبع الكتاب ، وبعد شهر كانت هناك معلومات أمام عبد الناصر بأن الكتاب يعاد طبعه فهل يسمح بإعادة الطبع فوافق على ذلك ، وتكرر الأمر بعد ذلك ثلاث مرات خلال ستة شهور وفى المرة الرابعة عندما سئل الرئيس عبد الناصر هل يعاد طبعه قال نعم يعاد طبعه ولكنى أعتقد أن هناك تنظيماً[1] .

وبعد مرور عامين على أحداث الصدام يبرره ، عبد الناصر ، مؤكداً على فرضية وجود تنظيم حيث يقول .

« إحنا إعتقلنا عدد من الإخوان المسلمين بعد العمليات التى كانت موجودة من سنتين ، طبعا ما كانش مفروض إن إحنا هانعتقل هؤلاء الناس إلى الأبد ولكن كان المفروض إن إحنا سننظر فى هذه الإعتقالات ، وكانت فيه بعض تقارير موجودة بالإفراج قبل العدوان ، وقبل النكسة ، ولكن طبعاً الظروف اللى اتحطينا فيها خلتنا نوقف أى إفراج ، ماكنش يمكن إن إحنا نفرج ولكن أنا أشعر النهاردة إن وضعنا الداخلى يمكننا إن إحنا نفرج وعلى هذا تصدق على الإفراج عن عدد كبير من المعتقلين ، ومش حايفضل من المعتقلين إلا أعضاء الجهاز السرى والتنظيمات السرية المسلحة »[2] .

وعلى ذات المعنى ، معنى وجود تنظيم سرى للإخوان تتفق آراء أغلب المسئولين حول

---

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٦٥
ويلاحظ أن وجهة نظر النظام السياسى تتضح من تحليل جرائد هذه الفترة وتحديداً الأهرام خلال عامى ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ والتى ذهبت إلى وجود تنظيم مسلح للإخوان يمول بالأسلحة والمال من السعودية وبالتأكيد الأدنى من الأردن وتونس ، والمغرب . بل وذهبت الأهرام إلى وجود تنظيم ثان باسم « تنظيم الإخوان الهاربين » بزعامة سعيد رمضان وكامل الشريف وخطاب السيد خطاب ، انظر الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٩/٨ .

(٢) عبد الله إمام ، مصدر سابق ص ١٠٨ .
خطاب جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ .

ذلك ، ويهمنا بالأخص شمس بدران ، الذى كان مسئولا إبان وقائع الصدام الثانى على السجن الحربى ، والذى حوكم فيما بعد وأدين فى قضايا تعذيب الإخوان المسلمين ، وتتلخص رواية شمس بدران فى أن قضية الصدام مع الإخوان فى أغسطس ١٩٦٥م ، لم تبدأ فى هذا العام بل سبقتها قضيتان مرتبطتان بها تماما ، وهما قضية عبد القادر عيد عام ١٩٦٣م ثم قضية حسين توفيق عام ١٩٦٥م ، وملخص القضيتين وفقا للرواية السابقة إنها كانت تتعلق بتنظيم شكله عبد القادر عيد فى الجيش وضباط الصاعقة الذين كانوا تحت سيطرته المباشرة ويقودون فى ذات الوقت قيادة بعض الوحدات فى المشاة والمدفعية ، وبعد أن أتم عبد القادر عيد إعداد تنظيمه العسكرى بدأ يتصل بالإخوان لضمان التأييد المدنى عند وقوع الإنقلاب ، فاتصل بعبد العزيز كامل عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان ، ويؤكد شمس بدران أن التحقيق بشأن هذه القضية تم فى مبنى المخابرات العامة وأنه قد اشترك فيه[1] .

أما القضية الثانية التى سبقت أحداث الصدام فيلخصها شمس بدران بقوله أن المباحث العسكرية قد وصلها إن عبد القادر عامر أحد أعضاء جماعة حسين توفيق قد طلب من أحد السائقين فى مديرية التحرير شراء صندوقين من القنابل اليدوية ، وكان لابد من الإهتمام بالأمر ، وخاصة أن هذه الجماعة معروف عنها اللجوء إلى أسلوب الإغتيال منذ أمين عثمان ، ويروى شمس بدران أنهم كانوا فى سباق مع الزمن «إما أن نسبقهم ونعتقلهم أو يسبقونا وينسفوا القاهرة ولا يمكن أن تكون هذه مجرد فبركة أو تلفيق ، فالأسلحة التى ضبطناها ، والرسوم الكروكية التى رسمها مهندسوهم موضحين فيها أماكن النسف تؤكد ذلك »[2] .

ويخلص شمس بدران من رواية القضيتين السابقتين إلى وجود تنظيم جديد للإخوان على صلة مسبقة بقيادات هاتين القضيتين ، ويؤكد أنه قد أعتقل خمسمائة شخص وأفرج عن مائة وخمسين متهما، «ولو كنت الفق الإتهامات لكان لدى الفرصة لإدخال الوفد فى القضية عندما أقحمت زينب الغزالى اسم فؤاد سراج الدين[3] إذن ومن واقع الرواية الرسمية لعبد الناصر ولشمس بدران ، يتضح أن هناك تنظيماً سرياً مسلحاً للإخوان ، وهناك تمويل له من الخارج وتحديداً من الإخوان المسلمين فى السعودية ، وفى سوريا - سعيد رمضان - وأيضا من الحكومة السعودية ، يتضح عندما أكد عبد الناصر للملك فيصل على عدم جدوى

---

(١) شهادة شمس بدران فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

مساندتهم للإخوان فى مصر لعدم فاعلية ذلك . كما يقول[1] ولكن هذا التنظيم لم يكن مؤثراً فى صدامه مع النظام السياسى بدليل الإفراج عن أغلب أعضائه بعد حرب يونيو ١٩٦٧م ، وإن كان شمس بدران يرى عكس ذلك ، من أنه لو لم يسبق التنظيم لكان قد نسف القاهرة ، وقد يعود عدم احتلال الصدام الثانى بين عبد الناصر والإخوان المكانة الكبيرة فى اهتمام عبد الناصر إلى السرعة الملحوظة فى إلقاء القبض على أعضاء التنظيم ، وإلى الضعف الملحوظ فى بنائه الداخلى ، على العكس من أحداث الصدام الأول التى أرهقت النظام السياسى وكادت تودى بعبد الناصر ذاته ، ولكن على الجانب الآخر كان تأثير هذه الضربة على الإخوان المسلمين وسياستهم تجاه النظام الناصرى قاسياً ، وخاصة إذا قارنا ما حدث لهم من إجهاض مبكر بتعذيب بدنى قاسوه داخل السجن الحربى ، وهو ما تشير إليه روايات شمس بدران ، وكمال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم ، بالإضافة إلى روايات الإخوان أنفسهم» .

ب - أما بخصوص التعذيب فى السجون فتؤكد الروايات المتواترة عن المسئولين إبان هذه الفترة وبالأخص كمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادى على إقرارهم بوقوع تعذيب بدنى قاس للإخوان المسلمين داخل السجون عام ١٩٦٥م[2] بل وصل الأمر ببعضهم إلى إرسال رسالة إلى عبد الناصر يقول فيها « لا خير فى إذا لم أقلها لك .. إتق الله »[3] بل وإلى الإدعاء بإختلاق عبد الناصر لأحداث هذا الصدام وبعنف عمليات التعذيب[4] .

ويؤكد شمس بدران فى روايته السابقة أنه كان مسئولاً عن كل عمليات التعذيب التى جرت ولكنها لم تكن بالحجم أو النوعية التى إدعاها الإخوان ، وأن ما قام به كان بهدف حماية البلاد ، وإن السجن الحربى موروث عن الإنجليز وقد أعدوه للهاربين من القتال ، فجعلوه جحيماً يفضل الجندى الموت على دخوله ، ويؤكد شمس بدران على إن الإجراءات

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦٦/٢/٢٢ .

(٢) بتفصيل أكثر انظر عبد اللطيف البغدادى مذكرات البغدادى الجزءان الأول والثانى (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث . ١٩٧٧) - سامى جوهر : الصامتون يتكلمون (الاقهرة . المكتب المصرى الحديث . ١٩٧٥) .

(٣) رواية كمال الدين حسين فى سامى جوهر . المصدر السابق ص ٦٥ - ٨٨ .

(٤) نفس المصدر .

التى تمت بشأن الإخوان لم تكن بالقسوة التى إدعوها و لم يكن عبد الناصر على علم بها[١]

وكانت محصلة الصدام الثانى مع الإخوان هى الحكم بإعدام سبعة ، أعدم منهم ثلاثة هى سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش وخفف الحكم عن الأربعة الآخرين لصغر سنهم ، وحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على ٢٥ عضواً ، وبالأشغال الشاقة من ١٠ إلى ١٥ سنة على ١١ عضواً ، وعلى حسن الهضيبى بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وأصدرت دوائر المحاكم أحكاماً أخرى على ٨٣ متهماً وكان من بينهم إثنان حكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة هما إسماعيل الفيومى ومحمد عواد اللذان قيل إنهما هربا من السجن الحربى ، وصدرت أحكام بالسجن على ١١٢ وبرأت الدائرة ثلاثة ، وكان هناك معتقلون من الذين كانت لهم صلة بالجماعة و لم تثبت إدانتهم وتم الإفراج عنهم فيما بعد .

هذا على مستوى محورى الصدام ، وجود التنظيم ونشاطه ، ووقوع التعذيب من عدمه وفيها تتضح أبعاد العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسى ، والتى وصلت مع أغسطس عام ١٩٦٥م إلى الحد الذى يصعب بشأنه التراجع ، ومن ثم كان لابد من الصدام والإجهاض المبكر لنشاط الإخوان الجديد[٢]

٤ - الرأى الرسمى للأزهر فى منهج التنظيم ، الرد على كتاب معالم فى الطريق :

لإستكمال الصورة العامة لأحداث الصدام الثانى ، تجدر الإشارة إلى وثيقة تاريخية هامة أعدها الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بناء على طلب شيخ الأزهر وقتئذ حسن مأمون وقدم تقريراً إليه يرد فيه على كتاب سيد قطب « معالم فى الطريق » الذى اعتبر يومها المنهج العام لفكر التنظيم الجديد ويؤكد التقرير على عدة أمور منها :

أ - إن الإسلوب الذى صيغ به الكتاب أسلوب إستفزازى يهيج مشاعر القارىء الدينية خاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء ومؤلفه ينكر وجود أمة إسلامية منذ قرون طويلة

---

(١) شهادة شمس بدران ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) يذهب محمد حسين هيكل إلى القول بأن هذه الأحداث لو لم تجهض لكانت النتيجة وخيمة حيث مصر هى المستهدفة ، من الرجعية والاستعمار وإسرائيل ، وضرب مصر هو أكبر انتصار لهم ، الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٤/٨ ومن الأقوال المأثورة - للأسف - عن هيكل ، أنه كتب فى الأهرام عشية إعدام سيد قطب تحت عنوان (الحاكمية لله .. لا يا سيد) فى تهكم واضح على أفكار الشيخ سيد قطب .

ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة ، وأئمته وأعلام العلم فى الدين ، فى التفسير والحديث والفقه ، وعموم الإجتهاد جميعاً كانوا فى جاهلية وليسوا من الإسلام فى شىء حتى يجىء إلى الدنيا سيد قطب .

ب – إن المؤلف يدعو دعوة مكشوفة إلى قيام طليعة من الناس ببعث جديد فى الرقعة الإسلامية وأنه تكفل بوضع معالمها حين يقول « لابد لهذه الطليعة التى تعتزم هذه العزمة من معالم فى الطريق ، لهذه الطليعة كتبت معالم فى الطريق » .

جـ – أن المؤلف يؤكد على مقولة « الحاكمية لله » وهذه كلمة قالها الخوارج قديماً وهى وسيلتهم إلى ما كان منهم فى عهد الإمام على ، من تشقيق الجماعة الإسلامية وتفريق الصفوف ، وهى الكلمة التى قال عنها الإمام على « إنها كلمة حق أريد بها باطل » فالمؤلف يدعو مرة إلى بعث جديد فى الرقعة الإسلامية ثم يتوسع فيجعلها دعوة فى الدنيا كلها ، وهى دعوة على يد الطليعة التى ينشدها والتى وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة ، وليس أغرب من هذه الخيالية وهى نزعة تخريبية يسميها طريق الإسلام ، والإسلام كما هو أسمه يأبى الفتنة ولو فى أبسط صورها . وما معنى الحاكمية لله ؟ هل يسير الدين على قدمين بين الناس ليمتنع الناس جميعاً عن ولاية الحكم ؟ أو يكون المثل لله فى الحكم هو شخصية هذا المؤلف . وأن القرآن نفسه يعترف بالحكام المسلمين ويفرض لهم حق الطاعة علينا كما يفرض عليهم العدل فينا ويوجه الرعية دائماً إلى التعاون معهم .

د – والمؤلف عندما يطالب أن يقوم المجتمع الإسلامى أولا ثم توضع النظم والشرائع ، ينكر وجود مجتمع إسلامى وينكر وجود نظام إسلامى ، ويدعو إلى الانتظار فى التشريع حتى يوجد المجتمع المحتاج إليه ، ويبدو أن المؤلف شطح شطحة جديدة ، فزعم لنفسه الهيمنة العليا الإلهية فى تنظيم الحياة الدنيا حيث يقترح أولا هدم النظم القائمة دون إستثناء ثم طرد الحكام وإيجاد مجتمع جديد ثم التشريع من جديد لهذا المجتمع .

هـ – وبعد التفصيل والرد على الجوانب الأخرى فى كتاب سيد قطب يخلص التقرير إلى عدة نتائج هامة : فالمؤلف – سيد قطب – إنسان مسرف فى التشاؤم وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ، وأنه إستباح باسم الدين أن ، يستفز البسطاء إلى ما يأباه الدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن فى ذلك من إراقة الدماء والفتك بالأبرياء وتخريب العمران وترويع المجتمع ، وتصدع الأمن وإلهاب الفتن فى صورة سيئة ولا يعلم مداها غير الله وذلك هو معنى الثورة الحركية التى رددها فى كلامه . ويرى التقرير أيضا إنه إذا ربطنا بين دعوة سيد قطب وبين الأحداث المعاصرة ، ونظرنا إى ذلك الاتجاه فى ضوء الثورة المصرية ،

وما ظفرت به من نجاح باهر فى كل مجال من مجالات الحياة وضح لنا أن الدعوة الإخوانية ، دعوة مدسوسة على ثورتنا باسم الغيرة على الدين ، وإن الذين تزعموا هذه الدعوة أو استجابوا لها إنما أرادوا بها النكاية للوطن والرجوع به إلى الخلف ، وتلك هى الفتنة الكبرى .

هذا عن الرد الرسمى للنظام السياسى الناصرى على المنهج الفكرى للإخوان المسلمين جاء من الأزهر والذى كان يومئذ يمثل - ضمن أدوات ووسائل أخرى - إحدى وسائل تأكيد الشرعية للنظام السياسى ، وخاصة بع صور قانون إعادة تنظيم الأزهر فى ١٩٦١/٦/٢٣م ، وتأكيد تبعية هذه المؤسسة الدينية للنظام السياسى ، وهو ما حدث فى مجمل الأزمات السياسية التى واجهها النظام ، والتى كان الصدام الأخير مع الإخوان إحداها ، بيد أن موقف الأزهر لا يمكن التهوين من شأنه تجاه جماعة الإخوان ، وذلك لأن هذه الجماعة أخطأت التوقيت ، وأخطأت العدو ، الذى تحاربه . والذى كان وقتها معبراً حقيقياً عن أمال وطموحات الشعب المصرى والعربى سياسياً وحضارياً ، فلقد كان عبد الناصر رمزاً ، وزعيماً صلداً ، صعب على الترسانة ، الاستعمارية اقتلاع جذوره ، الجماهيرية الراسخة !!

خاتمة المحور :

ومن خلال هذا المحور يخرج الباحث بحقائق ثلاث أولها : إن تصرفات وسلوكيات النظام السياسى تجاه جماعة الإخوان المسلمين من خلال أحداث ووقائع صدامى ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م تؤكد أنها كانت سلوكيات سيطر عليها أسلوب المواجهة المباشرة ، حيث كان التحرك يأتى دائماً من جانب الإخوان أولا وقبل تحرك النظام ، وحيث كانت الأوضاع الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام السياسى وقتئذ ، لم تكن لتسمح له بأن يخلق تفجيراً وعدم إستقرار لن يستفيد هو منه كثيراً ، وثانيها : إن الصدامين فى المحصلة الأخيرة كانا فى غير صالح طرفى العلاقة عبد الناصر والإخوان المسلمين ، حيث خسر عبد الناصر عنصراً مهما على مستوى الجبهة الداخلية بشكل لم يدرجه إلا مع هزيمة ١٩٦٧م ، وإن كان قد كسب كثيراً إبان الأزمة وخاصة أزمة ١٩٥٤م ، أما الإخوان فإنهم فقدوا العديد من القيادات المؤثرة فى الهيكل التنظيم للجماعة ، كما فقدوا الوجود الرسمى والقدرة على التأثير العلنى لمدة طويلة .

ثالثهما : إن المستقبل المنظور سيظل يحمل بذوراً لصدامات أخرى قادمة بين التيار الدينى فى مصر وبين النظام السياسى ، ما دامت هذه الإشكالية قائمة : إشكالية الصدام بين الدين والدولة ، وما دامت عمليات العلمنة والإغتراب الإجتماعى والسياسى قائمة[1] .

الفصل العاشر

عبد الناصر والدين

الإدراك والممارسة



عبد الناصر والدين
الإدراك - الممارسة

تعد أشكالية الدين فى مدركات وسلوكيات عبد الناصر ، من أعقد الأشكاليات ، وأكثرها إثارة للجدل بين كافة التيارات السياسية والفكرية التى على علاقة تمارس مع الحقبة الناصرية ، سواء من الإسلاميين أو الشيوعيين أو الليبراليين ، أو الناصريين أنفسهم ، أو حتى أولئك الذين ليس لهم إتجاه أو بوصلة فكرية واضحة .

وفى سبيلنا لوضع هذه الإشكالية فى إطارها الصحيح من الدراسة الموضوعية ، نمحور حديثنا فى هذا الجزء من الموسوعة حول المحاور التالية

أولاً : الدين فى مدركات عبد الناصر .
ثانياً : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس الملية .
ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية .
رابعاً : عبد الناص والطرق الصوفية .
خامساً : عبد الناصر والإعلام الدينى .
سادساً : عبد الناصر والمساجد .
سابعاً : عبد الناصر وموقع الدين فى قضايا التطور الإجتماعى .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : الدين فى مدركات عبد الناصر :

كثر الحديث فى الأونة الأخيرة عن قضية (الناصرية والإسلام) وأخذ الحديث عنها أشكالاً مختلفة ، فتارة تناول الحديث علاقة (الناصريين بالإسلاميين) ، وتارة أخرى تناول علاقة (القومية) - وفقاً للتطبيق الناصرى - (بالإسلام) ، وتارة أخذ الحديث عنها مقولة محددة وجديدة هى (الناصرية الإسلامية) كبديل حضارى عما يسمى (بالناصرية العلمانية) .

* وأيا ما كان شكل الحديث ، ونوعيته ، إلا أنه ظل يعبر بدرجة أو بأخرى عن علاقة (الناصرية بالإسلام) ، وظل القصور يشوب تناولها تحديداً منذ مقتل السادات (أكتوبر ١٩٨١م) وحتى يومنا هذا ، من نواحى عديدة (ليس هنا مقام ذكرها تفصيلاً) ولعل

أبرز نواحي هذا القصور يتأتى من كيفية تعامل التيار الناصرى مع (تراث عبد الناصر : الفكرى والسياسى) ، وهو تعامل أما أنه قد ألبس هذا التراث ثوب القداسة فأسقط أخطاء وسلبيات عديدة كان يتحتم نقدها ومواجهتها بشجاعة الراغبين فى الإصلاح الحقيقى والنهوض الواعى لهذا الوطن . وأما أن التعامل مع هذا التراث قلصه أو إختزله تماما أو لم يعد يتذكر منه إلا (الناصرية كبرنامج سياسى ظروفى) يقف عند حدود إصلاحات القطاع العام وبعض قضايا التحرر الوطنى) .

إن منهج (القداسة) ، ومنهج (الإختزال) ظلا هما آفة التيار الناصر فى نطاق التعامل مع (تراث عبد الناصر) طيلة حقبتى السبعينات والثمانينات ، وهذه (الآفة الفكرية) بحاجة إلى عملية جراحية شاملة تعيد إلى الجسد الناصر حيويته والغربي أنه ومع الأسف لا يزال حتى هذه اللحظة جسد دون عقل جمعي ، وإطار نظرى متماسك ، وإذا ما تعافى الجسدذ من أمراضه ، فإن (العقل) سيتكون وستصبح بداخل الأفكار وتنضج .

* وفى سبيلنا لأعمال المشرط العلمى فى بعض آفات الرؤية الناصر للإسلام ، نتوقف بداية إزاء مقصودنا بالتراث الناصر تجاه هذه القضية فنشير إلى أننا نقصد هنا بمقولة « التراث الناصر » تراث جمال عبد الناصرى سواء على مستيو الفكر والخطاب السياسى أو على مستوى الفعل والحركة السياسية لأن ما يمكن أن يطلق عليه تراث ناصرى ، من قبل ناصريين عاشوا أثناء حياة عبد الناصر أو ناصريين أتوا من بعده ، يعد فى تقديرنا حتى هذه اللحظة - مع إستثناء قليلة - تراث لا يعتد به فى مجال النظر إلى الاسسلام : كعقيدة أو كممارسة سواء أخذت هذه الممارسة شكل الفعل الإجتماعى بمعناه الواسع (التدين اليومى - المواقف الإجتماعية للطرق الصوفية أو الجمعيات الشرعية أو للأزهر - أو الكنيسة القبضية .. الخ) أو الفعل السياسى بمعناه المباشر (الحركات الإسلامية تحديداً (الإخوان المسلمين (الجماعات الإسلامية على إختلافها) ، أنه تراث لا يعتد به قياسا بإنجاز عبد الناصر فى هذه القضية على أصعدتها العقيدى أو الإجتماعى أو السياسى .

* رغم ذلك لقد حاول البعض (من ناصري ما بعد عبد الناصر تحديدا) تناول هذه القضية ، بإخلاص ووعى وكان لكاتب هذه السطور جهد متواضع فى هذا المجال ، إلا أن تلك الإجتهادات الناصرية تظل محدوده إذا ما قيست سواء بإنجاز عبد الناصر الإسلامى بوجهيه السلبى والإيجابى ، أو بما هو مأمول منها أن تقدمه كحركة فكرية سياسية ، تبغى تغيير مجتمعها وتنشد بعثه من جديد وفق منهج علمى متماسك .

*لذلك ..



الإسلام كما أدركه عبد الناصر : رسالة متحرر !!

* وإنطلاقا من هذا القصور الذى نعترف به ، يتحتم

الدين والدولة فى المنظور الناصرى) من جذورها ، بمعنى ضرورة الإستناد إلى تراث عبد الناصر تجاه هذه القضية وصولا إلى خلق (النحوذج الناصر الإسلامى) تجاهه ، إن فرضيتنا الرئيسية هنا تنطلق من حقيقة محددة - سبق أن أشرنا إليها فى دراستنا وأبحاثنا السابقة وهى أن (الناصرية إجتهاد فى إطار الإسلام) ، وإنه لا بقاء حقيقى للناصرية فى مصر أو عربياً إلا إذا نظرت إلى نفسها من خلال الحقيقة السابقة ، من هنا فإن ثمة ناصرية واحدة فى تصورنا سوف يقدر لها الإقناع والتقدم ، وهى (الناصرية الإسلامية) ، أما ما عدا ذلك - وما أكثره مع الأسف - فإنه مجرد شطحات فكرية ومراهقة سياسية عاجزة لم يعد لها مبرر من واقع أو من تاريخ .

* إذن ....

* إن الناصرية التى نبحث موقفها من علاقة الدين وبالدولة فى عالم التسعينات ، ترى أنه هذه العلاقة لها محورين رئيسيين سبق لعبد الناصر أن تناولهما فكرا وممارسة وهما :

المحور الأول: كمنطلق ثورى للتحريك السياسى من أجل بناء الدولة الناصرية .

المحور الثانى: كأساس فى عملية التنمية الإجتماعية للدولة الناصرية المرتقبة .

وبتفصيل المحورين السابقين مستندين بالأساس إلى تراث عبد الناصر .. يستبين ما يلى :

أولاً : الدين كمنطلق ثورى للتحريك السياسى :

تؤكد الدراسات الاجتماعية الحديثة الصادرة عن مجتمعات العالم الثالث ، أن الدين بالنسبة لهذه المجتمعات ذات الثقافة التقليدية يمثل عنصراً فاعلاً ومؤثراً فى مجال تشكيل هذه الثقافة ، والتالى يصبح عاملاً مساهماً فى تشكيل الوعى الجماعى لهذه المجتمعات ، ومن هنا تصبح عملية دفع أفرادها . وتحريكهم سياسياً ، أعنى عملية تعبئتهم سياسياً خاصة فى حالة الأزمة ، تفترض استخداماً لعناصر ثقافتهم التقليدية التى يأتى العرف ونظام العادات والتقاليد و « الدين » فى مقدمتها .

ومصر لا تخرج من هذه القاعدة العامة تاريخيا ، فالدين مثل الآداة الفاعلة فى التأثير على الرأى العام ، خاصة خلال الأزمات والأحداث الهامة فى التاريخ المصرى الحديث وفى نموذج الحملة الفرنسية ودور رجال الأزهر فى مواجهتها ، ونموذج محمد على ، ودور رجال الدين فى تنصيبه ، وكذلك دور الدين فى ثورة ١٩١٩م وما تلاهما ، وأخيراً

النموذج الذى تتم دراسته الآن ، النموذج الناصرى واستخدام الدين فيه خلال الأزمات السياسية والأحداث الهامة بدءاً بأحداث الصدام الأول مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م ومروراً بسياسة الأحلاف ، فالعدوان الثلاثى وأزمة عام ١٩٦٥م ، مع الإخوان المسلمين وانتهاء بهزيمة عام ١٩٦٧م ، فى كل هذا ، ما يقوم هنا كتأكيد على حقيقة دور الدين فى التحريك السياسى .

ولقد تم ممارسة عملية التحريك هذه بوسائلها المختلفة التى منها الدين طوال سنوات الحكم الناصرى تقريباً ، وإن كانت بعض الفترات ، وبعض الأزمات كانت العملية فيها أكثر وضوحاً من الأخرى ، ولقد اتبع عبد الناصر منهجاً لعملية التحريك تلك ، ويقوم الإدراك الناصرى على مستويين : أولهما : مستوى إدراك الأزمة أو الحدث الذى يتم بسببه إدخال الدين كعنصر فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية . وثانيهما : مستوى الأدوات أو الوسائل التى تستخدم داخل عنصر الدين وكيفية استخدامها .

وفى المستوى الأول يلاحظ إن عبد الناصر لم يستخدم الدين فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية إلا عندما يدرك تعرض نظامه السياسى إلى أزمة حادة ، أى أن عبد الناصر لم يستخدم الدين أو الإستدلال به إلا فى ظروف أزمة قد تؤثر على شرعية نظامه أو تؤدى به ، تمثل هذا داخلياً فى أزمة الصراع مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م وتمثل خارجياً فى هجومه على السعودية والرجعية العربية .

أما بالنسبة لمستوى الأدوات أو الوسائل فيتضح من دلالة الإستدلال بالرسول وبتراثه الكفاحى وبالأزهر وتاريخه أو بصلاح الدين الأيوبى أو بقيم وخبرات النضال العربى والمصرى فى مواجهة الاستعمار الخارجى أو القوى الدخيلة عليه وربط كل هذه القيم بحاضر المنطقة والأزمة التى يعالجها . وتحدد الوثائق الناصرية الفترات التى كان للدين فيها دور فى عملية التحريك السياسى أو التعبئة السياسية ، وحصرها تحديداً فى الفترة (١٩٥٢م – ١٩٥٨م) وذلك لطبيعة الأزمة الداخلية والخارجية التى أثيرت وقتئذ ، والتى تمثت فى أزمة الإخوان المسلمين حين إستخدم الدين كفكرة ضد الإ=وان ١٠٣ مرات بنسبة ٤٥,٤٪ من الإجمالى العام وحيث أزمة العدوان الثلاثى وضرورة شحن الجماهير معنوياً من فوق منبر الأزهر .

وتأتى الفترة (١٩٦٧م – ١٩٧٠م) فى المرتبة الثانية حين استخدم الدين فى مجال تبرير هزيمة ١٩٦٧م أو محاولة التخفيف من وطأتها ، وكان عدد مرات إستخدامه ٥٨ مرة بنسبة تصل إلى ٢٥,٦٪ من الإ مالى العام .

أما أقل الفترات التى استخدم فيها الدين فهى الفترة (١٩٥٨م – ١٩٦٢م) حيث لم يستخدم الدين فى مجال التحريك السياسى أو التعبئة السياسية على الإطلاق ، وربما عاد هذا إلى طبيعة الزحم العام الذى ميز حركة القومية العربيّة وقتئذ ، وبدايات الوحدة مع سوريا ، وتحول إهتمامات النظام إلى الاتجاه القومى .

* ويلاحظ على الفترة الناصرية أن إدخال الدين كعنصر فى عملية التحريك السياسى أو التهيئة السياسية وانطلاقاً من الحقائق السابقة يمكن معالجته بتفصيل أكثر من خلال مستويين للتحليل وهما :

١ – التحريك السياسى على مستوى الأزمات الداخلية : للجماهير وإستخدام الدين والشعور الدينى لدى الجماهير إتضح هذا فى أزمة الإخوان المسلمين عامى ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م ، وفى عمليت التنمية الاجتماعية بدءاً من عام ١٩٦٠م .

ولقد انطلق عبد الناصر فى عملية التعبئة السياسية على مستوى الأزمات الداخلية من إقتناع مؤداه أن رسالات السماء كلها ، فى جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته ، وإن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وإنما ينتج التصادم من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بإفتعالى تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية « الميثاق – ص ١٠٥ » .

* وحيث يرى عبد الناصر « علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات ، وأنها تستطيع أن تمنح أمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، وإن كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمه ، فإن الحوافز ، الروحية والمعنوية ، هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد « الميثاق ص ١٣٢ » .

وتتضح الرؤية الناصرية لدور الدين فى الأزمات السياسية من تحليل الأزمتين التاليتين :

أ – أزمة الصدام مع الإخوان المسلمين عامى ١٩٥٤م – ١٩٦٥م :

يتناول هذا الجزء بالدراسة الإدارك الناصرى للأزمة أو الحدث وكيفية إستخدامه للدين فى عملية التعبئة السياسية تجاهها : فعلى مستوى الحدي أدرك ، عبد الناصر فى عام ١٩٥٤م أنه أمام أزمة قد تؤدى تدريجياً للإطاحة بنظامه السياسى الوليد . حيث أنهم – أى الإخوان – أرادوا أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ، التى أخرجتهم من السجون والتى حققت لهم العزة القومية ، لقد ذهب الهضيبى إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك وكان

رد عبد الناصر على ذلك - أى على محاولة تهديد بقاء النظام - إن الثورة لا تقبل الوصاية « خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥م » .

وعبد الناصر فى مواجهته للأزمة استخدم أسلوب التعبئة بالدين وذلك بإدخال متغيرين فى الحديث والمزج بينهما « الأنا » أى الحديث عن الذات والنظام و « الأنت » المقابل به أى الجماهير ، ويؤدى المزج بينهما إلى إدخال الجماهير فى حالة من القابلية للتصديق ، بأن « أنا يعنى أنت » وبأن ما يتعلق ب « أنا » من قضايا وأزمات هو ما يتعلق بـ « أنت » وإذا قدر لهذه الحالة أن يواكبها ظروف موضوعية ضاغطة أو مسهلة مثل إعلان الجمهورية والإصلاح الزراعى يصبح التصديق أكثر سهولة ، وللتدليل على هذه الناحية يقول عبد اناصر :

« لقد ذهب الهضيبى إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك ، وما دمتم متيقظين متبصرين فسيسقط كل مضلل وكل مخادع ، ولن نستعبد مرة أخرى لفئة تكون عميلة للشرق أو للغرب ، أو للإطماع الذاتية ، ولن نستعبد لنهازى الفرص الطامعين فى الحكم ، حينما خرجت فى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م كان معى ٣٠ جنيهاً فتركت ٢٩ وأخذت الجنيه لأنى كنت أعلم أنى قد لا أعود ولما نجحت الثورة طلبت الوفد ليحكم قلت لسراج الدين حدد الملكية الزراعية واقضى على الفساد ، فرفض تحديد الملكية ، كنا مثلكم نبحث عمن يقضى على الفساد .. لم نقم للحكم فحسب بل قمنها من أجل المثل العليا ، هم يقولون القرآن دستورنا ونحن نخلع الملك ونقضى على الفساد والظلم الإجتماعى ونحقق الجلاء فهل هذا الذى نعمله خروج على القرآن ؟ « خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥م .

ويقول عبد الناصر ليؤكد وبصيغة الأخوة ذات .. الدلالة والتأثير : « يا إخوانى عليكم بالعمل لقد حققنا لكم العزة والكرامة ، وبعد هذا لن نعمل وحدنا ، وسأترك لكم المضلل والمخادع فأنتم الذين تعملون للقضاء عليها خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٢٠م .

وفى عام ١٩٦٥م تمثل تهديد الإخوان المسلمين لدى عبد الناصر فى كونهم عملاء للإستعمار والرجعية ، حيث أنهم « رجعوا تانى قاموا بعملهم كعملاء ، عملاء للإستعمار وعملاء للرجعية ، وطبعاً لا يمكن لنا وإحنا نبنى هذا المجتمع المتحرر من الإستعمار ، والمتحرر من الرجعية ، لا يمكن إن احنا نسمح لعملاء الإستعمار أو عملاء الرجعية إنهم يؤثروا فى البناء إللى إحنا بنبنيه » .

وهذا البناء هو فى حقيقته الإنجازات السياسية والإجتماعية التى حققتها التجربة منذ عام ١٩٥٢م وتحدى هذا البناء يمثل تهديداً لشرعيته ، ومن هنا كانت التعبئة السياسية

للجماهير ، وبنفس الأساليب والأدوات السابقة مع إدخال عناصر جديدة مثل الدفع من الخارج أو مثل التهويل من قدرات الخصم ، يقول عبد الناصر :

طبعاً وإحنا بنبنى لازم بنعمل تحويل إشتراكى كامل ، ولكن التحويل الإشتراكى لابد أن يكون إشتراكى مدروس ... فيه أيضا قد يكون هناك بعض الناس يضخموا المشاكل ، وطبعاً يدخلوا ضمن طائفة العملاء زى الإخوان المسلمين ، الإخوان المسلمين ثبت فى المحاكمات ، إنهم كانوا عملاء للسعودية ، وعملاء لحلف بغداد ، ناس يخدعوا الشعب باتخاذ الدين ستار ، والدين وسيلة ، ولكن هذاالشعب استطاع أن يكشفهم واستطاع أن يقضى عليها . خطابيه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٣م .

ب - أزمة التنمية الإجتماعية :

تمثل التنمية الإجتماعية فى المجتمعات النامية مشكلة معقدة فى مستوياتها وأبعادها المتعددة ، ولكن بشكل مبسط يقصد بهذه الأزمة هنا ، عملية التوظيف الواعى والموجه لجهود الكل من أجل صالح الكل ، خاصة تلك القطاعات والفئات الإجتماعية التى حرمت فى السابق من فرص النمو والتقدم .

فإذا كانت أزمة التنمية الإجتماعية بهذا المعنى ، تعنى المعادلة الصعبة بين الإمكانات أو القدرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المحدودة وبين الآمال والأهداف الجماهيرية الكثيرة ، وعليه فإنها فى الإدراك الناصرى تتمثل فى وجود نوعين من المعوقات : المعوقات الداخلية واعتبارات التخلف والتبعية الإقتصادية والمعوقات الخارجية المتمثلة فى سلسلة الضغوط الدولية الإقتصادية من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والتى بدأت بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م وانتهت بالعدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧م ، والمرحلة التالية له ، ولقد أدرك عبد الناصر هذا المستوى بوضوح حيث الرجعية المحلية والدولية تقف دائماً وراء هذه الأزمة وادرك حلولها وإمكانات التخلص منها ، فعبد الناصر يرى أن الحرية الإجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عالد من الثروة الوطنية ويرى أن تحرير الإنسان سياسياً لا يمكن أن يتحقق إلا بإنهاء كل قيد للاستغلال يحد من حريته وإن (التجارب الرأسمالية) فى التقدم تلازمت تلازماً كاملاً مع الاستعمار فلقد وصلت بلدان العالم الرأسمالى إلى مرحلة الانطلاق الإقتصادى على

أساس الإستمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها ويقدم عبد الناصر تصوره لمواجهة هذه الأزمة على صعيدين الأول إقتصادى ، تمثل فى سياسات التأميم والتخطيط ، والثانى سياسى حيث إستخدم عملية التعبئة السياسية للجماهير لمواجهة تلك المعوقات وهو ما تركز عليه الدراسة ، فالخبرات الإسلامية والرسول ﷺ ، والصيام ورجال الأزهر ، وانتصارات الإسلام وغيرها مثلت الأدوات الغالبة وبخاصة فى الفترة التالية لعام ١٩٦٠م ، يقول عبد الناصر مستخدماً تلك الرموز :

الإسلام فى أول أيامه كان أول دين إشتراكى ، الدولة التى أقامها الإسلام والتى أقامها محمد عليه السلام ، كانت أول دولة اشتراكية ، محمد النبى أول من طبق سياسة التأميم فى هذه الأيام ، فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه : « إن الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار » معنى هذا فى تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هى المراعى والماء ، إنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلأ ، هذه الأشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع ، والدولة الإسلامية عندما قامت كانت هى أول دولة الإشتراكية ، والإسلام سار بعد النبى عليه الصلاة والسلام فى طريق الإشتراكية . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٢م .

ويحدد عبد الناصر الأعداء الموجه إليهم عملية التعبئة السياسية من خلال الدين ، فى معوقات الذات الثقافية ، أى المدركات الخاطئة عن الدين والتنمية والعدالة الإجتماعية وفى معوقات الخارج التى حصرها فى الرجعية والإستعمار فيقول : « إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وإنما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بإفتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية ، لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تتلمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها .. لكى توقف تيار الفكر . خطابه بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٦م .

ثم يدخل عبد الناصر إلى البعد الخارجى فيرى أن :

الرجعية النهاردة تتستر بالإسلام ، وبتتمسح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ولكن العالم العربى عالم واعى لأن الناس بتفهم الدعوة ، مين اللى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق دعوة تحت إسم الدين ، فكل واحد يعرف إنها بتنهب فلوس الناس وهى اللى بتستغل عمل الناس ، هى اللى بتستعبد العمال ، هى اللى تاركه الشعوب مستغله

ومحرومة من حقها فى الحياة وحقها فى الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائماً هى شريعة العدل . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٢/٢٢م .

٢ - التحريك السياسى : على مستوى الأزمات الخارجية :

عاصر النظام السياسى الناصرى إبان فترة حكمه أكثر من أزمة سياسية خارجية كادت أن تطيح به فى بعض الأحيان وسوف تقتصر الدراسة عنا على حدثين أو أزمتين خارجيتين وهما :

أ - أزمة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م .
ب - أزمة عام ١٩٦٧م .

ولقد استخدم عبد الناصر الدين والشعور الدينى لدى الجماهير فى تعبئتهم سياسياً ضد هذه الأزمات ، وتعدى هذا الاستخدام فى مجال الفكر إلى مجال السلوك السياسى حين اتجه عبد الناصر إلى الجامع الأزهر يخطب فى الجماهير أثناء العدوان على مصر فى عام ١٩٥٦م .

أزمة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م .

تمثل استخدام النظام الناصرى للدين فى عملية التعبئة السياسية لهذه الأزمة فى موقف محدد لعبد الناصر كشف بوضوح عن مدركاته الحقيقية اتجاه الدين وكيفية توظيفه فى عملية التعبئة السياسية من خلال توظيف الرموز الدينية ، ومن خلال الاستخدام للتراث الدينى لدى الجماهير ، تمثل هذه كله فى خطاب عبد الناصر الشهير الذى ألقاه من فوق منبر الأزهر فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م ، والذى أشار فيه لتاريخ الأزهر فى الكفاح ضد الإستعمار وهو الخطاب الذى أعلن فيه بداية المواجهة ضد العدوان ، ومن الأمور الهامة هنا أن هذا الإدراك الناصرى لدور الأزهر - الرمز ، فى عملية التعبئة السياسية لم يكن وليد هذه الأزمة السياسية فلقد سبق لعبد الناصر إن أدرك حقيقة أهمية الرمز الدينى فى عملية التعبئة السياسية ، وخاصة إذا كانت الأزمة خارجية تهدد بقاء أو شرعية النظام السياسى ، فعبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤م يقول :

لا يسعنى فى هذه المناسبة إلا أن أذكر جهاد الأزهر على مر السنين فقد حمل الأزهر دائماً الرسالة ولم يتخل أبداً عن الأمانة وكافح كفاحاً مريراً ، فى سبيل الحصول على حرية الوطن ، كافح الأزهر أيام الحملة الفرنسية ، وقاسى رجاله وعذبوا وقتلوا وشردوا

واقتحم المحتلون الأزهر فلم يتأخر الأزهر عن حملة رسالة الجهاد والكفاح لتحرير الوطن وبلاد العروبة والإسلام واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى الجيش إلى عرابى ، الذى قام متسلحاً بروح الأزهر يطالب بحقوق الوطن .

ويتابع عبد الناصر التراث النضالى للأزهر ضد الإنجليز إلى أن يصل إلى هدفه : « لقد جاء دور الأزهر وإن عليكم أن تحملوا الأمانة مرة أخرى وأن تدافعوا عن المثل العليا التى كافح من أجلها الأولون » .

وعلى نفس المستوى من الإدراك يواصل عبد الناصر عملية الشحن السياسى للجماهير من خلال الأزهر ، وفى أحيان كثيرة من خلال رجال الأزهر ، وهو الإدراك الذى كشف فيما بعد عن الرؤية الناصرية لهذه المؤسسة الدينية الرسمية ، والتى اتضحت كسلوك سياسى فى مشروع تطوير الأزهر عام ١٩٦١م ، ووصلت إلى أقصاها حين دخل الأزهر إلى حلبة الصراع السياسى ضد النظم العربية المعادية لعبد الناصر فى إبريل ١٩٦٧م ، وحين وصفت مجلة « الأزهر » الملوك العرب بأنهم الرجعيون والذين دنسوا الإسلام بالذهب الأمريكى من أجل أن يحافظوا على أملاكهم وبهذا فإنهم اتبعوا الشيطان وتركوا الله .

وشمتداداً للأزمة السابقة تولدت فكرة الأحلاف السياسية الخارجية والتى وقفت عبد الناصر ضدها وبوضوح فهو يقول : « قالوا نريد أن نقيم حلفاً إسلامياً ولكن كيف يقوم حلف إسلامى تحت زعامة بريطانيا أو تحت زعامة أمريكا ؟ إن هذا الكلام هو خديعة لنا لندخل مناطق النفوذ لم تستطع هذه الشعارات الجديدة أن تنطلى علينا ولكن إعلناها صريحة عالية ، إننا قررنا أن نستقل وحصلنا على الإستقلال » .

وهو يحدد خطورة القضية من زاوية أخرى حين يقول : « أنا مش متصور إن يبقى حلف إسلامى ويأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أى دولة أخرى لأنه حلف إسلامى إنه يتنافى فى هذه الحالة مع كلمة الإسلام ويبقى حلف غربى » .

(ب) أزمة عام ١٩٦٧م :

يتضح دور الدين أكثر فى مجال التعبئة السياسية لدى عبد الناصر فى المرحلة التى أعقبت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧م ، حيث امتلأت خطب ووثائق عبد الناصر بالمترادفات الدينية والدلالات اللفظية مثل : إرادة الله والجهاد الأكبر ، والجهاد الأصغر ، والإسلام ، والإيمان بالله ، والهزيمة قدر ، والصبر والثقة فى نصر الله ، والأخوة الإسلامية وغيرها ، ولعل عنف الهزيمة ، وعمق آثارها هو الذى ولد هذه التأكيدات على الدين والشعود الدينى ، وخاصة

لدى المقاتلين على الجبهة ولدى القطاعات الجماهيرية التى مثل لديها - عبد الناصر - نموذج البطل التاريخى الذى لا ينهزم أو الذى لا تستطيع أن تتصوره مهزوماً .

لقد اتضحت عملية التعبئة السياسية بالدين عند عبد الناصر حين كان يلتقى بالجنود أثناء حرب الإستنزاف ولقد أدرك عبد الناصر إنهم - أى الجنود - هم القطاع الجماهيرى صاحب الأولوية الأولى فى هذه المسألة ، لأنهم أصحاب الأزمة وضحاياها الحقيقيون ، من هنا كانت عملية التعبئة السياسية المباشرة وتأكيده على الإيمان والإرادة لدى الجندى المقاتل ، وهنا يقول عبد الناصر :

« يجب أن نؤمن بأن إرادتنا هى وحدها القادرة على تغيير الموقف وتحويل الهزيمة إلى إنتصار ، لذلك يجب أن نضحى وأن نبذل الجهد ونفتدى حياتنا وحياة بلادنا بالفداء والموت ، وبدى أقول حاجة مهمة ، إن مفيش حد مننا حيموت ناقص عمر وكل مخلوق له أجل محدد وكلنا مؤمنين بالله وبهذه الحقيقة ، ومن ناحية أخرى فلابد أن يتعمق هذا الإيمان فى قلب الجنود ، عاوز كل عسكرى يكون مؤمن بالدين وبالمبادىء والقيم ولازم التوجيه المعنوى يعمق هذه المعانى ويجعل عامل الإيمان بالله أساسى فى توعية الجندى ، وهذا الإيمان الذى يملأ قلب كل واحد يدفعه أن لا يتردد فى وقت الشدة وقد لمستم ذلك فى المعركة وعشتم أيامها وأدركتم قوة المبادى والإيمان . خطابه بتاريخ ١٠/٣/١٩٦٨م .

والأزمة - لدى عبد الناصر - تتطلب لمواجهتها ثقة بالنفس وبالله لأنها قدر الأمة العربية : إن المسئولية التى يلقيها الشعب عليكم أنتم رجال القوات المسلحة مسئولية كبيرة جداً والواجب الملقى عليكم واجب صعب ولكنه مش مستحيل ، وبالإرادة والإيمان بالله والثقة بالنفس والتدريب وبالجهد وبالعلم نستطيع أن نحيل الهزيمة إلى نصر لأن هذا قدر الأمة العربية . خطابه بتاريخ ٣/١١/١٩٦٨م .

وعن قوة الإيمان يرى عبد الناصر أن :

الدبابة مش حتحارب لوحدها ، المدفع مش هيضرب لوحده والإنسان هو القادر على تحريك كل هذه الأسلحة ، والإنسان العربى دائما كافح ، الإنسان العربى دائماً أثر فى التاريخ وسوف يكافح ويؤثر فى التاريخ ، ولكن علينا إحنا واجبات كبيرة جداً من أكبر القيادات إلى أصغر القيادات ، علينا أن نوجه هذا الإنسان التوجيه السليم اللى هو جندى ، علينا أن نوجهه إلى أن يشعر إن عليه رسالة كبيرة ، رسالة ثورة ، ورسالة نحو ربه ، ورسالة نحو وطنه وعلينا أن نبعث فيه روح الإيمان ، لأنه بدون الإيمان وبدون العقيدة الواحد

حيحارب ليه ؟ الواحد جيموت ليه ؟ الواحد بيموت لأنه مؤمن بشيء بيطلع يبذل نفسه من أجله واحنا هنا طبعاً نؤمن بالله ، ونؤمن بوطننا ونؤمن بحريتنا ونؤمن بحق أمتنا العربية فى الحرية ، ولذلك من أجل المثل اللى إدهلنا ربنا ومن أجل بلادنا ومن أجل أرضنا ومن أجل أمتنا العربية .... الواحد يطلع ويضحى بنفسه . خطابه بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢٠م .

ومن التحليل السابق يتضح أن عبد الناصر قد اعتبر الدين عنصراً أساسياً فى عملية التعبئة السياسية للجماهير ، فى أوقات الأزمة السياسية الداخلية والخارجية ، وهو ما أثبتته أزمات الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) .

المحور الثانى : الدين كأساس فى عملية التنمية الإجتماعية للدولة الناصرية :

مثل عقدا الخمسينات والستينات بالنسبة للدول العربية مرحلة الإستقلال السياسى ومحاولات التنمية المستقلة ، بعد فترة طويلة من الإستعمار الغربى ، وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م ، كان المجتمع المصرى يعانى من أزمتين مؤثرتين : أزمة سياسية حيث كان المجتمع يرزح تحت وطأة ثالثو سلطوى : الإحتلال الأجنبى ، والقصر وأحزاب الأقلية .. وأزمة إجتماعية تمثلت فى سيطرة الإقطاع وإنقسام المجتمع إلى طبقتين إحداهما أغلبية لا تملك ولا تحكم ، والأخرى أقلية تملك وتحكم معاً ، وأصبح الواقع يشهد أن نصف الأمة ليس فى حساب الأحياء .

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م إذن لتواجه بهاتين الأزمتين ، وهو الأمر الذى آثار أهمية مواجهة العديد من قضايا التنمية الشاملة ، فكان إن إثيرت قضايا مثل التخطيط والتمصير ، والتأميم ، والإشتراكية ، ومواجهة الرجعية المحلية والخارجية ، ودور أو وظيفة الدين فى هذه القضايا .

والنتائج التالية المأخوذة من وثائق الدراسة تبرز تطور تكرار الدين كعنصر فى عملية التغير الإجتماعى والتعبئة الشاملة ، والتى تؤكد من حيث أرقامها المناخ العام الذى سيطر على تلك الفترة حيث نجد أن الفترة (١٩٦٤م - ١٩٦٦م) كانت أعلى الفترات التى استخدم فيها الدين كعنصر فى عملية التغير الإجتماعى والتحول نحو التنمية الشاملة حيث بلغ عدد تكراراته كفكرة سائدة ٤٩ مرة من أجمالى الفترة التى وصلت إلى ١١٥ مرة أى بنسبة تصل إلى ٤٢,٦٪ من أجمالى الفترة ، تليها الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) التى وصلت إلى ٢٢ مرة أى بنسبة ٩١٪ ، أما أقل الفترات فكانت الفترة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) حيث وصلت نسبتها ٨,٧٪ من الإجمالى العام للفترة .

وإذا ما نظرنا إلى واقع الفترة الأولى - أى التى إزداد فيها تكرار عنصر الدين فى الخطاب الناصرى فإنها الفترة التى غلبت فيها عمليات التنمية على التوجه العام للنظام السياسى . أما الفترة التى خبا فيها الدين ، فيرجع إلى طبيعة الفترة حيث توجه اهتمام النظام إلى حيث الجانب العسكرى واستخدم الدين فى مجال التعبئة السياسية والصراع الخارجى أكثر منه تجاه التغير الإجتماعى وقضاياه ، ونفس الحقائق نجدها فى المواثيق الأخرى للفترة حيث غاب الدين كعنصر فى عملية التنمية عن كتاب (فلسفة الثورة) ، (بيان ٣٠ مارس) ١٩٦٨م . ويرجع ذلك إلى ذات الظروف الموضوعية السابقة ، وإلى كون القضية لم تكن مطروحة بإلحاح مثلما كان الحال مع الميثاق الوطنى الذى جاء فى فترة من أخصب فترات التحول الإجتماعى والتنموى التى خاضها المجتمع المصرى ، ومن تكرر الدين كفكرة فى هذه الفترة (٥) مرات هى كل المرات التى تحدث فيها الميثاق عن الدين كعنصر فى التنمية والتغير الإجتماعى أى بنسبة ١٠٠٪ .

وإذا رجعنا إلى التحليل الخاص بالكلمات الدينية ، نجد أن كلمتى الدين والإسلام قد سجلتا أعلى تكرار لهما فى الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) ، حيث رصد (الدين) ٧٦ مرة أى بنسبة ٣٩,٦٪ من الإجمالى العام للفترة ، و(الإسلام) رصد ٥١ مرة من الإجمالى العام بنسبة ٤٤,٣٪ .

وهذه الأرقام فى مجملها تقدم تجسيداً حياً على صعود دور الدين فى عملية التنمية والتغير الإجتماعى وإن ظل يؤكد على نسبية أهميتها ومصداقيتها مع فترة من أخصب فترات تاريخنا .

* ويمكن من واقع النتائج السابقة ، تناول الدين وقضايا التنمية الشاملة كيفياً على مستويين :

مستوى أول : الدين وعملية التغير الإجتماعى فى إدراك عبد الناصر ، وفيه يتم تحليل البيانات الكمية السابقة .

مستوى ثان : ويتم فيه تحديد لمستويات العلاقة بين الإشتراكية والإسلام فى إدراك عبد الناصر حيث أن الإشتراكية أصبحت هى أيديولوجية التنمية فى مصر .

(١) فعلى المستوى الأول : الدين والتغير الإجتماعى فى إدراك عبد الناصر :

يلاحظ تميز النموذج الناصرى فى هذا المجال بعدة خصائص ، يكشفها وجود عدة مراحل فى دخول الدين لمعارك التنمية والتغير الإجتماعى ، كانت عل يالتوالى :

أ - المرحلة الأولى (١٩٥٢م - ١٩٦٠م) :

وهى المرحلة التى تم فيها إستخدام الدين من أجل تحويل الثورة إلى نظام وإلى إكتساب الشرعية لتقوم على مفاهيم وقيم التضحية والجهاد وتناهض الإستعمار وتقضى على الإرهاب والتعصب وتعمل للوحدة العربية وتحارب الطائفية وتقف أمام الماركسية والإلحاد ، وقد استخدم الدين فى تأييد هذه القيم الثورية ، ومن أجل الارتباط بالجماهير وبعث القيم الأولى للدعوة الإسلامية والتى لا تختلف عن القيم السابقة فى شىء إلا فى اختلاف الزمن والإطار والمكان الذى طرحت فيه .

ب - المرحلة الثانية (١٩٦١م - ١٩٦٦م) :

وهى المرحلة التى بلغ فيها إستخدام الدين فى معارك التنمية الذروة سواء فى البناء الإشتراكى بعد قرارات يوليو فى عام ١٩٦١م ، ومعارك الإسلام والإشتراكية ، أو فى مقاومة الحلف الإسلامى والرجعية العربية العاملين على محاصرة القوية الثورية العربية ، وهذا يظهر الدين أسلوباً للدفاع عن النظام الإشتراكي ضد تهم الكفر والإلحاد وهجوم على الحلف الإسلامى باعتباره صورة أخرى لحلف بغداد الاستعمارى القديم .

جـ - المرحلة الثالثة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) :

وهى المرحلة التى بدأت بهزيمة عام ١٩٦٧م ، وتم التركيز على قيم مثل الإيمان والصبر والقضاء والقدر ، تحول بها الدين من معركة خارجية إلى انفعالات وعواطف داخلية ، وسادت بعض الإتجاهات المحافظة على الجانب الداخلى من ذات المؤمن والأمل فى نصر يأتى من وراء الحجب وترتب على هذه المراحل عدة تساؤلات حول مدى إدراك عبد الناصر للدين عامة وعن دوره فى التنمية والمجتمع خاصة ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات لابد أن نؤكد على معنى العلمانية الذى أراده عبد الناصر حيث هى علمانية اجتماعية ترى للدين دوراً فاعلاً ورئيسياً والتى يمكنها أن تقدم دعماً أيديولوجياً كبيراً لنظام الحكم الناصرى ، إنها فى هذه الحالة تعنى ارتباط العقيدة بالتغيرات الإقتصادية والإجتماعية المتسارعة .

بهذا التوضيح يمكن القول إن إدراك عبد الناصر ومن ثم سلوكه السياسى يقع إلى جانب المفهوم الاجتماعى الثورى للدين (الإسلام تحديداً) .

ولقد إتضحت هذه النتيجة فى الإدراك الناصرى حيث كان عبد الناصر يرى أن « حرية العقيدة الدينية يجب أن يكون لديها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية

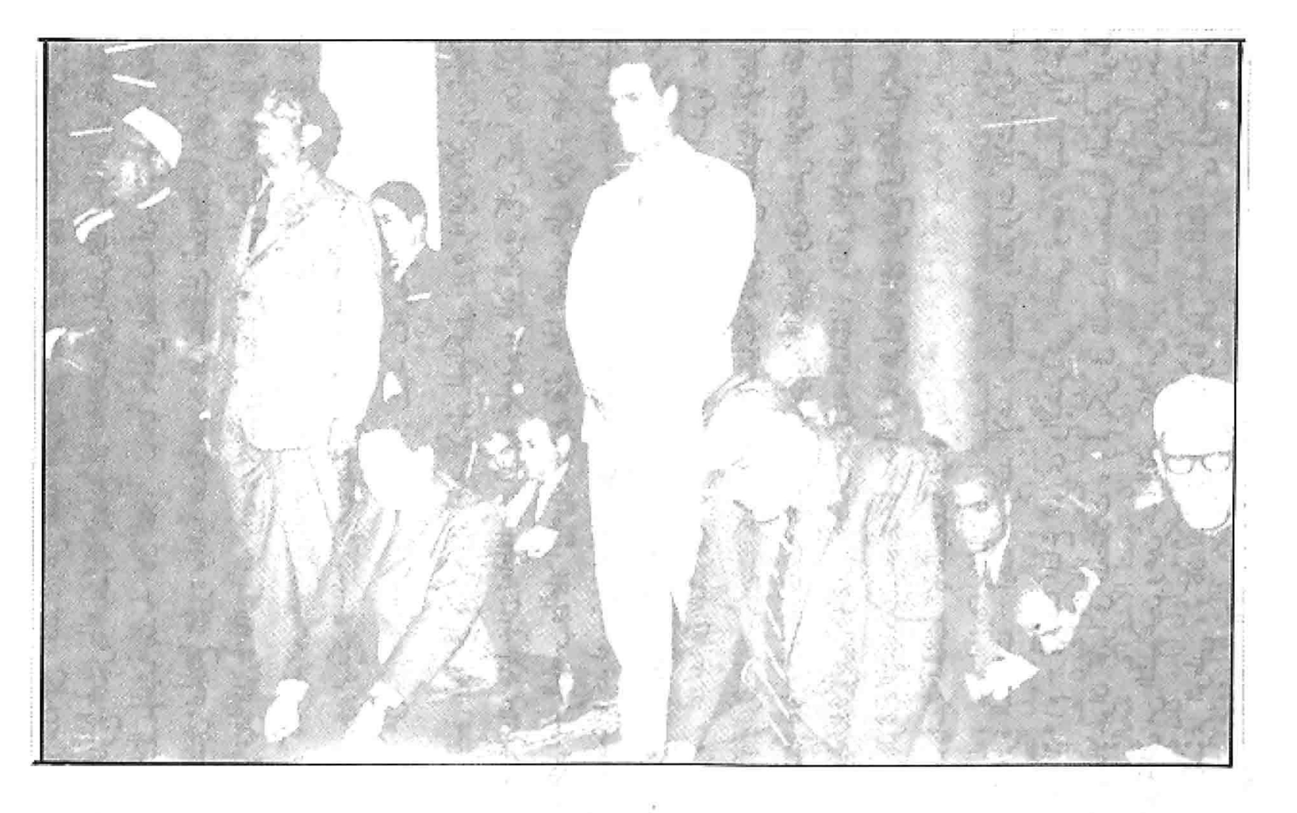
الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها ، بل إن أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان ، إن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله بإختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم » . الميثاق الوطنى – صفحة ١٠٥ .

إن الدين لابد من أن يتصل بقضايا الجماهير ، كالملكية العامة ، فموقف عمر من الملكية العامة هو موقف عبد الناصر ، وهو موقف إشتراكيتنا ، ملكية تكون أرباحها وثمراتها للشعب ، نشرة الإشتراكى بتاريخ ١٩٦٥/٢/٦م .

وتؤكد وثائق النظام السياسى أيضا إن « الإشتراكيون المخلصون فى أعمالهم ، وفى معركتهم ضد المترفين والعابثين الذين يبعثرون المال فى غير مصلحة الشعب ، وفى إيمانهم بأن الدولة الإشتراكية مسئولة عن كل فرد فى المجتمع ، هؤلاء الإشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادىء الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله » يراجع نشرة الاسشتراكى ١٩٦٥م – ١٩٦٦م .

إن الدين لدى عبد الناصر يصير جزءاً لا يتجزأ من عملية التحول الاجتماعى والثقافى نحو التنمية الشاملة يتأثر بنفس التحديات ويخضع لنفس الشروط المرتبطة بقضية التنمية والتغير وهنا يتم فى الفكر الدينى وليس في العقيدة أى فى عناصرها الإلهية الثابتة وهو التغير الذى يسمح لعبد الناصر أن يميز أعداءه وأن يكشف دعاويهم . فأموال المسلمين بتنهبها الرجعية باسم الدين ، وانهم بهذا يدافعون عن أنفسهم الدفاع الأخير . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٢م .

وحيث التفرقة بين الفكر الدينى والعقيدة الدينية تأتى من كون الفكرة الدينى من إنتاج البشر ، يحتمل الصواب والاجتهاد ويخضع لمصالح البشر واحتياجاتهم وعلى ذلك جرت عملية إخضاع مستمرة للقيم الدينية ومؤسساتها لتشريعات وسياسات الدولة وعمليات التنمية ، وفى هذا الصدد لعبت العقيدة ورجال الدين دوراً بادرزاً فى إضفاء الشرعية على سياسات عبد الناصر وتجاربه التنموية وتزداد أهمية هذا الاعتبار من زاوية كون المجتمع المصرى شديد التدين وتحظى العقيدة فيه بين الناس بمكانة عامة ، وهذا الدور ، دور الموصل لسياسات وأفكار القيادة السياسية للجماهير ، ليس جديداً على المؤسسات الدينية فى مصر فقد كان الكهنة أيام الفراعنة يقومون بنفس الدور وقام رجال الدين وعلماء الأزهر وشيوخه بنفس الدور أيام الخلافة الإسلامية والحكم المملوكى والعثمانى ، وفى ظل السياسات الثورة للنظام



عبد الناصر يصلي آخر جمعة قبل وفاته بأيام : السادات والقذافي وقوفاً

الناصرى ، وعمليات التنمية الشاملة ، أصبح من المنطقى - كما يرى البعض - بالنسبة لرجال الدين وغيرهم من القوى السياسية الأخرى أن ينصبوا من أنفسهم مدافعين عن النظام الجديد . يؤدى هذا إلى الحديث عن نقطة أخرى فى مجال الربط بين التنمية والدين وهى أنه من متابعة تاريخ التجربة الناصرية يتضح أن الخلاف بين عبد الناصر والقوى الدينية فى المجتمع - كما سيتضح فيما بعد - كان خلافاً سياسياً ، فمن الصحيح أن ، الإخوان - مثلاً - كانوا أو المتحمسين لنجاح الثورة وقالوا عندما قامت انها حققت أهدافهم ، وأصدروا بياناً بعد أسبوع من قيام الثورة طالبوا فيه بأن يمتد التطهير ليشمل التخلص ليس فقط من الملك وإنما أيضاء إلغاء كافة القوانين الرجعية المنافية للحريات والقضاء على التفاوت الاجتماعى بالحد من الملكيات الكبيرة وإستكمال التشريعات العمالية وإباحة تكوين الاتحادات النقابية والمطالبة بتمصير البنك الأهلى .

وطالبوا فى نفس الوقت بأن يكون الحد الأعلى للملكية ٥٠٠ فدان بدلاً من إطلاقها بلا تحديد ، ورغم إن هذا خلق تعاطفاً من الثورة تجاههم ، فإن البون كان كبيراً بين الإتجاه الإجتماعى العام لعبد الناصر وإتجاه الإخوان ، ولم يؤثرَ هذا التباين على تعاون عبد الناصر معهم ولكنه عندما تأكد له حقيقة تطلعهم إلى السلطة ، وبداية الصدام معهم حاول إستبدال العناصر غير المعتلدة منهم بأخرى يسهل التأثير عليها وتكون غير مرتبطة بتنظيم الإخوان ، ففى بداية الثورة ، تحديداً فى السنوات الأولى ، إستخدمت القيادة السياسية أسلوباً خاصاً فى الحكم ... كما يقول البعض حيث كانت القيادة السياسية تقوى على سلطتها ، وتضرب فى كل إتجاه تبعاً للظروف ، فكانت تضرب البرجوازية الكبيرة وفى نفس الوقت تحاول دعمها ، بضرب الشيوعيين وتقدم خدمات للطبقة العاملة ، وتحاكم الإخوان ، المسلمين وتنمى فى نفس الوقت الإتجاهات المحافظة ، بيد أن هذا الرأى يجافى الواقع فى تفاصيل عديدة لها ملابساتها السياسية الخاصة كما سيتضح فيما بعد .

وفى بداية فترة الستينات - أيضاً - وعند الإعداد للميثاق والقرارات الإشتراكية التى صدرت عام ١٩٦٢م - فى هذا المناخ الثورى والإشتراكي إختفى وجود اليسار والإخوان على السواء ، فالإخوان كانوا فى المعتقلات ، ولم يكن فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية أى من الشيوعيين وعين عبد الناصر كلا من أنور السادات وكمال الدين حسين أمينين عامين للمؤتمر الوطنى ، وكان الثانى فيما بعد مشرفاً على لجنة المائة التى وضعت تقرير الميثاق ، ولكن المؤتمر ضم الكثير من الشخصيات المحافظة .. والتى حرصت على طرح أفكارها وتصوراتها الدينية الخاصة رغم عدم مواءمة المناخ السياسى العام لذلك .

ولقد كان السادات وكمال الدين حسين من ضباط الثورة الذين كانوا على صلة بالإخوان المسلمين وكان الثانى متزمتاً فى أفكاره الدينية ، وظهر ذلك فى تقرير الميثاق الذى عكس وجهة نظر محافظة ، ويرجع البعض سبب إعتماد عبد الناصر على القوى الدينية المحافظة من غير الإخوان فى الفترة التى يقود فيها عمليات تحول إشتراكى إلى اعتبارات متعددة يأتى فى مقدمتها أن عبد الناصر لم ، يكن يضع اعتباراً للاختلافات فى النظرة إلى التحول الإجتماعى إلا عندما يتحول أصحابها المناوئين له من موقع الفكر إلى موقع العمل وعندما يختفى خطر الاتجاه إلى العمل السياسى ولا يظهر على السطح إلا الخلاف الفكرى فإنه فى ، هذه الحالة ينحاز إلى صف الإعتدال والقوى المحافظة .

لقد حاول عبد الناصر أن يدرك قيمة الرجوع والعودة إلى الدين ، لخلق الطريق الصحيح للتنمية الذى يبتعد عن الإحتراف حيث :

القرآن إيضاً كان يعطينا عظة وعبرة يعود إلى الماضي ويحكى لنا قصة عاد ثومود ، والطغيان ، حصل ليه ؟ علشان نأخذ من هذه القصص عظة وعبرة ونشوف إيه اللى حل باللى إنحرفوا ، وإيه اللى حل باللى خرجوا عن الطريق إلى كان يجب عليهم أن يتبعوه ، فالميثاق يسترشد ويستهدى بهذه الطريقة . خطابه بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٦م .

٢ - المستوى الثانى : الإشتراكية والإسلام فى إدراك عبد الناصر :

للعلاقة بين الأشتراكية والإسلام فى الإدارك الناصرى مستوياتها ، فهناك مستوى الإدراك للعلاقة ، وهناك مستوى التطبيق فى مواجهة ما أسماه عبد الناصر بالرجعية العربية ، وأحلافها وعملائها فى الداخل فلقد دارت المعركة الحقيقية بين الدين والاشتراكية بوجه عام ، والإسلام والاشتراكية بوجه خاص بعد قرارات يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١م ، والتى ولدت هجوماً من الخارج عليها تحت غطاءات سياسية ودعائية مختلفة كان فى مقدمتها الدين والإسلام ، فكان استخدام القيادات السياسية لرؤيتها ولإدراكها المسبق وطرح عبد الناصر تصوره القائم على إن الإسلام هو أول دين اشتراكى وتوالى تفسيره لهذا التصور – وتوالت أيضاً النشرات والوثائق الرسمية تأكيداً لهذا المعنى بالإشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادىء الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله بل إن موقفنا الاشتراكى الحالى يستمد أصوله وروحه من الإسلام وعبد الناصرى يرى أن : « الإسلام فى أول أيامه كان دين الاشتراكية ، الدولة التى أقامها الإسلام والتى أقامها محمد عليه السلام كانت أول دولة اشتراكية ، محمد النبى أول من طبق سياسية التأميم فى هذه الأيام » .

ويفسر عبد الناصر التأميم الإسلامى حين يقول :

فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه إن الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار ، فيه ناس قالوا أيضاً الملح ، معنى هذا فى تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هى المراعى . إنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلأ هذه الأشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع . النبى قال إن الناس يجب أن يكونوا شركاء فى هذا ما يجيش واحد يستولى عل بالمراعى ويقول هذه ملكى ، هل التأميم يختلف عن هذا فى أى شيء ؟ حين نقارن أنفسنا بهذا الوقت ، الأول كان يعيش على المراعى ، يعيش على الماء ، ويعيش على الكلأ والنار كانت مهمة ليه ، اليوم المصانع هيه بتمثل الأرض الزراعية وتمثل المقومات الأساسية فى المجتمع . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٦/٢٢م .

وأدرك عبد الناصر إن الدولة الإسلامية لم تتوقف اشتراكيتها بعد وفاة الرسول :

الدولة الإسلامية حينما قامت كانت هى أول دولة إشتراكية والإسلام سار بعد النبى عليه الصلاة والسلام فى طريق الاشتراكية ، أيام أبو بكر وأيام عمر سار فى طريق الإشتراكية وفى أيام النبى وفى هذه الأيام إنصفوا أهل الفقر من أهل الغنى ، فى أيام عمر أمموا الأرض ووزعوا الأرض على الفلاحين (خطابه السابق) .

كما يتجه عبد الناصر إلى مهاجمة الرجعية ، وهو ما يجسد المستوى الثانى للعلاقة بين الدين والاشتراكية فى إدراكه حيث حيقول :

الاشتراكية بتقول إن أموال المسلمين للمسلمين والرجعية بتقول إن أموال المسلمين لملوك المسلمين ، والدين بيقول أن أموال المسلمين للشعب مش للملوك ، وإن الاشتراكية تتمشى مع الدين ، والنهارده طبعاً الإسلام عقيدة يؤمن بها الشعب المليم العربى ، لابد للرجعية أن تتستر بالإسلام وتتمسح بالإسلام زى الإخوان المسلمين عملاء الإستعمار ما تستروا وتمسحوا بالإسلام وقبضوا فلوس حلف بغداد ، وقبضوا فلوس من السعودية وباعوا أنفسهم لكل من يدفع الثمن ، النهاردة الرجعية تتستر بالإسلام ، وبتتمسح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ، ولكن العالم العربى ، عالم واعى والشعب العربى ثائر ، ولن يمكن للرجعية أن تخدعه مهما تمسحت فى الدين ، لأن الناس بتفهم الدعوة من الى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق الدعوة تحت اسم الدين ، فلك واحد يعرف إن الرجعية هى اللى بتنهب فلوس الناس ، هى اللى بتستغل عمل الناس ، هى اللى بتستعبد العمال ، هى اللى تاركة الشعوب مستغلة ومحرومة من حقها فى الحياة ، وحقها فى الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً

شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائما هى شريعة العدل . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢١م .

والإشتراكية عند عبد الناصر فى علاقتها بالدين تنتقل إلى مرحلة أخرى حين يستشهد هنا بخبرة أبى بكر الصديق فى مواجهة المرتدين :

فلقد حارب أبو بكر مانعى الزكاة ، وهى حروب الرده فى الإسلام فالرده عن الزكاة ردة عن الإسلام ، رده عن النظام الإسلامى كله وعن الدعوة الإسلامية كلها ، وهذا نموذج للثورة الإجتماعية ، لابد أن تسير فى طريقها ويتم تأمينها حتى تنتصر وحتى تزيل الفوارق بين الطبقات حتى تقام العدالة الإجتماعية وحتى تقام الفرص المتكافئة بين الطبقات ، لقد إنتصر النبى أولاً ورجع إلى مكة منتصراً وحدث خلاف فى ذلك الوقت حول العفو عن الذين ناهضوا الدعوة وقاوموها ووقفوا ضدها أم لا ؟ فقال الرسول : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » وقال أيضا : « من دخل بيت أبى سفيان فهو آمن وكان هذا سبيل الثورة فى بدايتها ، وهو سبيل الرسول عندما رجع من إحدى المعارك التى أصيب فيها (معركة أحد) ... وقال : « اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » ولكنه قال أيضا : « إن المنافقين يقتلون ولو كانوا مستعلقين بأستار الكعبة » فلكل دعوة مؤيدون ومعارضون والمعارضون يتم العفو عنهم إذا ما تحولوا إلى الإسلام كما فعل عمر بن الخطاب عندما تحول من العداوة إلى التأييد أو قتالهم كقتال أبى بكر لمانعى الزكاة » .

وهنا حاول عبد الناصر الإرتكان إلى التراث الإسلامى فى مجال الحرب ، من أجل تأييد العنف الثورى فيما يتعلق بحقوق الفقراء من أموال الأغنياء مستدلاً بحروب الردة وقتال مانعى الزكاة .

وهكذا تصبح الحرب من أجل حقوق الفقراء أداة للتوكيد على تلك العلاقة ،علاقة الإسلام بالإشتراكية لقد أدرك عبد الناصر طبيعة العلاقة بين الدين والإشتراكية بين الدين والتنمية ، وهو الإدراك الذى ، وجد منذ البداية مع قيام الثورة ولكنه اكتسب فاعليته ومصداقيته مع بدء عمليات التحول الإجتماعى فى مصر مع بداية الستينات .

هذان هما أبرز جوانب العلاقة المفترضة بين (الدين) و (الدولة) على مستوى الإدراك الناصرى (إدراك عبد الناصر تحديداً) ، وهما محورات نتصور إن ضرورة أخذهما فى الحسبان عند بناء التصور الناصرى المستقبلى فى مجال علاقته بالإسلام على مستوياتها المختلفة باتت مهمة ، فأهمية أن يكون الدين منطلقاً للعتبئة السياسية والتحريك السياسى م نأجل بناء الدولة الناصرة المرجوة (والتى هى حتماً ستختلف عن دولة عبد الناصر) ، أهمية قصوى ودولة

معاصرة تفترض أن عليها رسالة نحو أمتها ونحو العالم مع نهاية القرن العشرين ، دون عملية تعبئة وتحريك سياسى للجماهير وللمجتمع ، هى دولة عاجزة ومحكوم عليها بالنهاية والزوال كذلك فالدولة الناصرية القادمة - إن شاء الله - هى دولة تبغى عملية شاملة للتنمية الإجتماعية ، والإستناد إلى مخزون روحى آخر غير مخزون الإسلام لدى القوى المحركة لهذه التنمية ، سوف يصير إستناداً عاجزاً ومؤقتاً ، ومحكوما عليه بالتراجع عند أول منحنى .

* إن الناصرية كما فهمها عبد الناصر - وكما يفهمها كاتب هذه السطور - ستظل (اجتهاد فى إطار الإسلام) ، وهى بهذا المعنى بحاجة إلى التفتيش المستمر بين ثنايا التراث الناصرى ، وبعثه بروح جديدة تتفق ومتغيرات الحياة والكون من حولنا دون تقديس مبالغ فيه لهذا التراث ، أو إختزال مخل له .

ولا نبالغ إذا قلنا أن الإسلام - أيضاً - سواء كعقيدة أو كممارسة بحاجة إلى هذه (الناصرية الإسلامية الجديدة) بقدر حاجتها هى إليه ، خاصة بالنسبة لمجتمع فى مثل ظروف

وهموم مجتمعنا العربى ، فالناصرية / التجربة ، والناصرية / التراث تقدم نفسها (كبرنامج سياسى أمثل) للإسلام المحمدى ، وهو برنامج سياسى يحاول أن يرتقى إلى مستوى النظرية المتماسكة . ويكاد أن يكون الوحيد فى منطقتنا وتاريخنا الحديث فى نطاق التنمية والتعبئة السياسية ومقاومة الوجود الأجنبى والدعوة إلى التحرر الفكرى والسياسى ، تحديداً منذ تجربة محمد على باشا (١٨٠٥) وحتى اليوم ، (قطعاً من المهم هنا الإشارة إلى النموذج الإسلامى الفذ الذى تقدمه إيران . ولكن الأمر مختلف فى نواحى عديدة ولهذا حديث آخر .

* إذن ..

بقدر حاجة (الناصرية) إلى (الإسلام) ، بقدر حاجة الأخير إليها ، شريطة أن تتخلى هى عما يناقضها مع الإسلام .

* إن (الناصرية الإسلامية) التى ندعو إليها تتطلب هى الأخرى من أجل الوصول إليها أن تتحرر عقلياً من قيود عديدة تكبل حركة العقل العربى والإسلامى وتحول بينه وبين النهوض الحقيقى ، وتجبره على إعادة إنتاج قضايا حسمت منذ مائتى عام مضت .

ثانيا : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس الملية القبطية :

(١) عبد الناصر والأزهر :

لعب الأزهر الشريف دوراً سياسياً بارزاً فى التاريخ المصرى بالإضافة إلى رسالته الفكرية والحضارية . ومر هذا الدور بمرحلتين أولهما : قبل عصر محمد على ، حين كان الأزهر يتمتع بدرجة كبيرة من الإستقلال على السلطة السياسية ، وكان له نظامه الدراسى الخاص الذى تقرره هيئة علمائه وشيخه الذى يختار بمعرفة هذه الهيئة ومصادر تمويل نشاطه العلمى المستقلة التى تستمد من الأوقاف التى أوقفها السلاطين وبعض الأثرياء عليه وحددوا فى حجج وقفها كيفية التصرف فى ريعها وتولى العلماء إدارتها دون تدخل من جانب الحكام .

وثانيهما : تبدأ مع قدوم الحملة الفرنسية وتتضح أكثر مع تولى محمد على للحكم من خلال تعضيد رجال الأزهر له بعد بروز قوتهم السياسية وإجبارهم للسلطان العثمانى على تحقيق مطالبهم بتولية محمد على ، ولكن الأخير لا يلبث أن ينتزع الدور السياسى لهذه المؤسسة من خلال تأكيد تبعيتها للدولة ماليا ، بنزع إشراف العلماء على أوقافه ، وبالتدخل فى إختيار شيخ الأزهر عن طريق التأثير على هيئة العلماء التى تتولى إنتخابه وخاصة إن ممارسة الشيخ لصلاحياته تحتاج إلى تصديق الدولة على إختياره ، ثم أصبحت الدولة هى التى تتولى تعيين شيخ الأزهر من بين العلماء الذين تثق فى ولائهم لمن يجلس فى سدة الحكم ، وبذلك فقد الأزهر إستقلاليته وتم تحجيم دوره التقليدى ، وكان لإنشاء النظام التعليمى الحديث فى عصرى محمد على وإسماعيل أثره الداعم لهذه الإتجاه ، ومع الجهاز البيروقراطى الحديث أصبح ا لمجال متسعاً أمام خريجى النظام التعليمى المدنى الحديث لاحتلال مراكز البيروقراطية المصرية ، بينما ضاقت فرص الأزهريين فى نيل نصيب منها .

على الرغم من هذا كان للأزهر دور سياسى واضح فى الفترات التاريخية التى عاصرت التحدى الإسلامى للنموذج الغربى ، فكانت تحركات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ذات إطار سياسى يرتكز على الأزهر ، وكان الأزهر إبان الثورة العرابية واضحاً فى تأييد زعمائها ، بل وخرج رجالها وفى مقدمتهم عرابى من الأزهر وكان والده ولمدة عشرين عاماً أحد علماء الأزهر وإحتضن الأزهر ثورة ١٩١٩م وخرج الأزهريون يطالبون بالإستقلال وبالوحدة الوطنية وكان فى مقدمتهم : مصطفى القاياتى ومحمود أبو العيون وعبد ربه مفتاح ومحمد عبد اللطيف دراز وعلى سرور الزنكلونى وتعددت مواقف الأزهر الوطنية وخاصة فى أحداث الكفاح الوطنى ضد الأجنبى ، ويصل البعض من استعراض المواقف السياسية

للأزهر إلى القول بأنه عندما تكون المواجهة مع الأجنبى فإن رجال الأزهر ينضمون إلى قوى الثورة الوطنية ، ولكنهم يخرجون عندما تكون المواجهة مع الحاكم بهدف الثورة والتغيير الإجتماعى .

ويذهب أصحاب هذه النظرة إلى أنه للإعتبارات الخاصة بالتمويل وسطوة السلطة السياسية وفى مواجهة الأزه رفإن الدور السياسى يبرز عندما تكون المواجهة مع أجنبى يتفق عليه الجميع بما فيهم السلطة السياسية ، ويغيب هذا الدور عندما تكون المواجهة نحو الداخل ، أى السلطة السياسية .

وفى الفترة السابقة مباشرة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أسهم الأزهر بأشكال متعددة فى دعم النظام السياسى من خلال إضفاء سمة الشرعية عليه ، تبدى هذا من ناحية فى إستمرار المساندة والتأييد فور تولى المنصب الجديد لشيخ الأزهر ، وذهابه إلى سراء عابدين لتقديم الولاء والشكر قبل الذهاب لتسلم مهام المنصب .

ومن ناحية أخرى فى أحداث التعديل البنائى داخل الأزهر نفسه حيث تم تعديل المادتين ١٢٢ و١٢٤ الخاصتين بانتخاب كبار العلماء بالأزهر من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م وأحياناً تأتى ناحية ثالثة تتمثل فى مبادة النظام السياسى للإحتفال مع الأزهر ببعض مناسباته التاريخية مثل الإحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، أو فى تحقيق بعض مطالبه الملحة كبناء دار للطباعة وإنشاء إدارة للدعاية الإسلامية ، أو وضع نظام جديد للمكتبة الأزهرية ولكن هذا لم يمنع من تمرد داخلى يحدث داخل هذه المؤسسة التاريخية ، يتواكب فى فاعليته مع حركة الشارع السياسى المصرى وقتئذ (نقصد هنا الفترة من ١٩٤٥م حتى قيام الثورة) والحركة الوطنية يومئذ ، حيث يخرج الأزهريون فى مظاهرة احتجاج لتحقيق مطالبهم الوظيفية وكرامة الأزهر المهنية أدت إلى إقالة الشيخ عبد المجيد سليم الذى تضامن معهم ، والذى أدلى بحديث أعلن فيه أن الحرب ضد الأزهريين معناها حرب ضد الإسلام ولكن حتى هذه الإنتفاضات ذات البعد المهنى ، لم تسلم من أن يتخللها تأييد ضمنى « لجلالة الملك » وؤن تتعالى الهتافات لتدوى بحياته وهو الأمر الذى يفسر عودة الشيخ عبد المجيد سليم بعد إحالته للتقاعد بحالى خمس أشهر واحتفائه بذلك بذهابه إلى قصر عابدين ليقدم شكره للملك راجع الأهرام فى ١٩٥٢/٢/١٠م .

وفى هذا السياق ، سوف يتم تناول مرحلة الإعداد لتنظيم فردود الفعل له ، وتقييمه .



كان عبد الناصر يحرص على زيارة الشيخ شلتوت في بيته .

١ - الأزهر بعد الثورة : مرحلة الإعداد لإعادة التنظيم :

دخل الأزهر دائرة الإهتمام السياسى للنظام الجديد منذ الأيام الأولى له ، فنجد الأزهر يطالب بإسترداد ثمن الهدايا التى أعطيت للملك السابق ، ونلمح تغييرات مباشرة فى مشيخته ، فيقال الشيخ عبد المجيد سليم ، ويعلن الشيخ الجديد عن تغيير وبرنامج شامل لإصلاح الأزهر ويبد دور الأزهر السياسى مع النظام الجديد ، فتتغير القيادات أكثر من مرة ، ويتولى عبد الرحمن تاج مشيخة الأزهر خلفاً للخضر حسين ، ويقال عبد اللطيف دراز ويتولى صالح موسى شرف سكرتير الأزهر بدلاً منه ، ويواكب تغيير القيادات ، تغير آخر مقابل فى الإتجاهات والأدوار التى تناط بالأزهر وعليه يلاحظ أنه فى عنف الأزمة التى يواجهها النظام السياسى ، وصراع السلطة بين محمد نجيب وعبد الناصر يصدر شيخ الأزهر فتوى تقول بأن « الزعيم الذى يتعون ضد بلاده ويخذل مواطنيه فإن الشريعة تقرر تجريده من شرف الوطن » وعليه تتجه السلطة الجديدة بالمقابل إلى إعلان إنشاء معاهد دينية جديدة للأزهر وإلغاء قيود ووظائف الوعاظ والمراقبين والمدرسين وزيادة ميزانية الأزهر .

ويتطور دور الأزهر ليتواكب مع الأحداث السياسية الهامة التى تعيشها مصر ، ليعلن تأييده لإتفاق الجلاء وللرئيس عبد الناصر ، ويؤكد « إن صلابة وحدتنا على النضال والتضحية أخضعت المستعمر » ويتجادل دور ، الأزهر مع الأحداث السياسية داخل مصر ليعلن فى ١٥/٢/١٩٥٦م ، أول تعديل فعلى لقانون الأزهر بعد الثورة ، وهو الخاص بتعديل المواد ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ من القانون الخاص بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والتى تقضى بالتيسير على طلاب امتحانات النقل فى الأقسام الإبتدائية والثانوية الخاصة بنشر الدعوة الإسلامية فى دول العام ، وواكب هذا التعديل تعيين الشيخ محمود شلتوت وكيلاً للأزهر ثم شيخاً له ، وتعيير كمال الدين رفعت وزيراً لشئون الأزهر والمعاهد الدينية . وكان هذا قمة التشابك بين دور الأزهر السياسى ورغبة النظام السياسى فى الإشراف عليه .

وعلى المستوى الفكرى هيأت ساحة العمل السياسى والفكر لإستقبال قانون إعادة تنظيم الأزهر بسلسلة من المقالات حول الأزهر ، بدأها الشيخ أحمد الشرباصى بمقال شامل فى الأهرام ٣/١١/١٩٥٨م يطالب فيه بضرورة إحداث ثورة فى الأزهر وما حول الأزهر ، ويرد عليه الشيخ عبد الحكيم سرور بأن هناك فعلاً ثورة داخل الأزهر ، وبأن الأمر كبير فى رجال النهضة الحديثة فى جمهوريتنا العربية فى ألا يتخلف أساتذة الأزهر وموظفوه عن أقرانهم فى أية وزارة أو مصلحة . ثم دعوة صريحة بضرورة الإلتفات إلى وضع المرأة

فى الأزهر وإلى موقف الأزهر ورجاله وقوانينه منه ، وضرورة تغييرها جميعاً ، حتى نسمع أنهم لم يعودوا يرون فى « دخولنا الأزهر طالبات أو محاضرات أو مدرسات ، إلا أحياء لسنة كريمة وتقاليد راسخة والقول للدكتورة بنت الشاطىء فى الأهرام ١٩٥٩/١١/١٧م . ويعلم بالأزهر بعد ذلك عن أن الأزهر سوف يدخل ميدان الفن . ويعلن أيضا بأنه سيقدم ٧٠ فناناً أزهرياً عروضهم النية فى متحف الفن . ويعلن أيضاً انتساب أول طالبة أمريكية مسلمة إلى الأزهر ثم تبدأ نغمة التغيير فى الظهور تدريجيا ، والإقتراحات تتزايد من قبل لجنة الشئون الدينية للأزهر ، وهى لجنة متفرعة من اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى ويرأسها كمال الدين رفعت ثم يعلن قبل قانون إعادة التنظيم بأيام قليلة عن فتح الأزهر أبوابه لقبول الفتاة وتعيين المدرسات فى هيئة تدريس الفتيات وتخصص فصول خاصة بهم ثم تنظم دراسات لرجال السلك السياسى وحملة المؤهلات العالية .

وكانت جميعها تغييرات مهدت لإعلان النظام السياسى لقراره فى يونيو ١٩٦١م بالقانون الجديد لإعادة تنظيم الأزهر .

٢ - قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ :

فى ٢٢ يونيو ١٩٦١م أرسل الرئيس جمال عبد الناصر إلى رئيس مجلس الأمة خطاباً كان نصه « أرسل إليكم صورة من مشروع القانون الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها لعرضه على مجلس الأمة لنظره على وجه الإستعجال » .

وبالإضافة إلى المقدمات السياسية والفكرية التى سبقت إرسال هذه الرسالة وتمرير القانون فى نفس الجلسة يلاحظ أنه فى هذا التوقيت كانت مصر تستعد لإستقبال مرحلة هامة فى تاريخها ، حيث س ٢٨ سبيتمبر من ذات العام حدث الانفصال بين سوريا ومصر ، وفى يوليو من نفس العام أصدرت الثورة قوانينها الإشتراكية ، وبعد أقل من عام صدر الميثاق الوطنى فى مايو ١٩٦٢م ، أى أن المناخ السياسى العام كان يدفع البلاد دفعاً إلى مزيد من الخطوات الثورية ، وفى إتجاهات متعددة ، بهدف تطوير المؤسسات القديمة واصة المؤييات الدينية ، وخاصة والخصم التقليدي للنظام السياسى على المساحة الدينية لم يكن موجوداً يومها ، وهو الإخوان المسلمون ، وعليه أتى الأزهر فى مقدمة هذه المؤسسات .

وحول الشكل العام للجلسة التى نوقش فيها مشروع القانون يقول الإستاذ / فتحى رضوان فى مقابلة شخصية معه « لإجبّار المجلس على الموافقة حضر رجال الثورة وجلسوا أمامنا على المنصة ، وتحديداً كان على المنصة أنور السادات وكمال الدين حسين وكمال

الذين رفعت وعلى يساره إثنين من رجال الأزهر هم محمد البهى ونور الحسن » ويقول أيضاً وهدد أنور السادات المجلس عندما علت أصوات تعارض المشروع قائلاً : كانت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثورة والذين حاولوا الوقوف أمامها ديسوا بالأقدام ، واليوم ثورة جديدة وسيصاب الذين يقفون أمامها بنفس المصير .

ويلاحظ أنه قد تغيب عن هذه الجلسة ١٧٩ عضواً أى حوالى ٤٩٪ من أعضاء المجلس وتوزعوا على النحو التالى : ٤٢ عضواً غائبين بأجازة ، ٨٩ عضواً معتذرون ، ٤٨ عضوا غائبون بغير أجازة وهو الأمر الذى يعطى دلالة أخرى حول وجود معارضة من بين أعضاء المجلس لهذا المشروع ، ومن حيث المبدأ ، لم يوجد بين الأعضاء الذين حضروا الجلسة من اعترض وفقاً للوثائق الرسمية سوى النائب / صلاح سعدة ، وتقول الرواية الرسمية أن الخلاف بين الأعضاء كان حول كيفية الموافقة على المشروع : هل تكون بقراءة أرقام المواد أم نصها . وإن رئيس المجلس بالنيابة الذى كان وقتها محم فؤاد جلال وكيل المجلس أمر بتشكيل لجنة خاصة لتقديم تقريرها حول هذا المشروع تمهيداً لإصداره ، نظراً لعدم وجود لجنة مختصة بشئون الأزهر والمعاهد الدينية ولقد قدمت اللجنة تقريراً لم يختلف فى شىء عن النص الأصلى للمشروع .

أما من حيث مضمون القانون فقد حدد الهدف من التطوير بأنه إلغاء مواد وأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م الخاصة بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المكملة له والخاصة بإعطاء درجة من الإستقلالية لهذه المؤسسة الدينية ، ثم يلى الإلغاء إستبدالها بأحكام جديدية تعطى للدولة سيطرة أكبر على هذه المؤسسة (مادة ١) ، وقد تمثل مضمون التطوير تعريف الأزهر بأنه الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث العلمى والفكرى للأمة العربية وإظهار أثر العرب فى تطوير الإنسانية وتقدمها (مادة ٢) وأدخل التطوير أشكالاً وتنظيمات جديدة على الأزهر كان أهمها :

ــ المجلس الأعلى للأزهر .
ــ المجمع العلمى للدراسات الإسلامية .
ــ جامعة الأزهر .
ــ إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .
ــ المعاهد الأزهرية . (مادة ٨) .

ويفصل القانون مهام هذه الهيئات مؤكداً على طريقة إدارتها واختيار أعضائها وقياداتها ، وربطها بعملية التنمية والتغير الإجتماعى التى يعيشها المجتمع المصرى (المواد من ٩ - ١٠١

شاملة الباب الثانى حتى الباب السادس) ، وكان لهذا التطوير دلالته السياسية الهامة من حيث تأكيده لسيطرة الدولة على الأزهر وتبدت سيطرة الحكومة فى العديد من النواحى :

(أ) يعين لتصريف شئون الأزهر وزير بقرار من رئيس الجمهورية (مادة ٣) ، ولهذا الوزير الحق فى أن يطلب إلى المجلس الأعلى للأزهر أو الإدارات أو الهيئات أو اللجان الفنية المختلفة التابعة له بحث موضوعات معينة لإبداء الرأى فيها أو اتخاذ قرار بشأنها كما أن له كل السلطات المخولة للوزراء فيما يتعلق بشئون الأزهر وهيئاته المختلفة (مادة ٣) .

(ب) قصر دور شيخ الأزهر على الشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر (مادة ٤) .

(ج) أعطى القانون رئيس الجمهورية حق تعيين شيخ الأزهر : سواء من بين هيئة المجمع العلمى للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة ، وإن كان من قبل تعيينه ليس عضواً فى تلك الهيئة ، صار بمقتضى هذا التعيين عضو فيها (مادة ٥) .

(د) أعطى القانون أيضا لرئيس الجمهورية الحق فى إختيار وكيل للأزهر من بين هيئة المجمع العلمى للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة وإن كان قبل تعيينه ليس عضواً فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها ، والوكيل يعاون شيخ الأزهر ، ويقوم مقامه حين غيابه (مادة ٧) .

٣ - التبرير الرسمى للقانون :

إستند النظام السياسى إلى مجموعة من الأسباب التى ساقها كتبرير لعملية التطوير ، وضمنها فى المذكرة الإيضاحية التى أعقبت القانون التى قدمها وزير الدولة كمال الدين رفعت والتى أشارت إلى أن الأزهر كان ذات اتجاه محافظ فى علومه ومواقفه ، وإن هذا الإتجاه أتى نتيجة الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال قرون من المواجهة مع محاولات العدوان الخارجية والداخلية ، وكما ترى المذكرة الإيضاحية فإن هذا الإتجاه قد استمر رغم زوال الأسباب التى دعت إليه ومظهر ذلك من وجهة نظر المذكرة إن خريجيه لم يزالوا حى هذه الأيام فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم ، رجال دين لا يكادون يتصلون لعلوم الدنيا اتصال النفع والإنتفاع « وترى المذكرة » إن الإسلام فى حقيقته الأصلية

لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى الحياة ليحيوا حياتهم فى حب الله عاملين مؤثرين فى المجتمع فى ظل الله . وإن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا .

وتؤكد المذكرة على هذا الإنفصال الواضح بين علوم الدين وعلوم الدنيا داخل الأزهر والذى تزامن مع التطور المعاصر العلمي والسياسى الذى يعيشه العالم الإسلامى « فالعلم الإسلامى اليوم قد أفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديد ، فى كثير من البلاد التى تخلصت حديثاً من ربقة الإستعمار ، رغبة فى التخطيط للبناء والعمل والإنتاج فى مجالات الصناعة والتجارة ، والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض. وهذه البلدان والتى تقع مصر فى مقدمتها حين تلتمي الخبراء من كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا الأجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو غير المواطنين وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون الخبرة معارف دينية صحية وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أن توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة .

وترى المذكرة إن هذه العناصر الثلاث الخبرة ، والمعرفة ، والعقيدة هى أهم ما تحتاجه ، مصر وباقى البلاد الإسلامية وفى هذا الإطار يأتى الأزهر ، والذى كان من المفترض أن يجمع العناصر السابقة داخلة ، ولكنه اكتفى بجانب العقيدة دون غيره وفقد خريجيه كل العناصر التى تؤهلهم لحمل أعباء النهضة داخل مصر وبلدان العالم الإسلامى . وترتب على هذا الموقف الذى يعيشه الأزهر كما تشير المذكرة التفسيرية للقانون ، أن تحول بعثات بعض البلاد الإسلامية إلى الجامعات المدنية فى مصر ، أو فى غيرها من البلاد إلى بعثات علمية فقط وعاد المبعوثون إلى بلادهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين وفى نفس الوقت عاد المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظاً كبيراً ، لكنهم لا يحسنون عملا ولا يطيقون إنتاجاً ولا يقدر على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشارت إليها المذكرة من قبل ، « وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الإجتماعية فى كثير من بلاد العا لم الإسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد » وكانت النتيجة المنطقية لذلك أن تنعكس هذه الأسباب على هيبة خريجى الأزهر وعلى عملهن ، فقللت من هيبتهم وعطلت طاقات رجل الدين المتصلبة بالحياة ، « وزين الشك فى قلوب الناس تجاه صورة رجال الأزهر ونقصت هيبتهم » . وبناء على هذه الأسباب مجتمعة كان لابد من التطوير وكان لابد من تجديد الأزهر والاعتراف بمكانته وأثره مع الإحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا وعلى العلاقات

الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من الف سنة - كما تقول المذكرة . وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن ولكنها جميعاً لم تنفذ إلى صَميم المشكلة ولم تحاول حلها جذرياً فكانت قشور من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً ، ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من تقرير مبادىء تكون أساساً لكل إصلاح . وقامت المذكرة الإيضاحية بإيضاح هذه المبادىء وهى :

(أ) أن يبقى الأزهر وأن يدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب وأن يظل حصنا للدين والعروبة ويرتقى به الإسلام ويتجلى فى جوهره .

(ب)أن يخرج علماء قد حصلوا على ما يمكن تحصيله من علوم الدين ، وتهيأوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج فى كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعته هى الدين .

(ج)أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم أخرى وتزال الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين فى كل مستوى وتتكافأ فرصهم جميعاً فى مجالات العلم ومجالات العمل مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر .

(د) أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية فى كل الجامعات ومعاهد التعليم فى مصر .

٤- ردود فعل القانون :

تعددت ردود الفعل على قانون تطوير الأزهر ، ولم تظهر الوثائق الرسمية ، ردود سلمية تجاه القانون وأتت فى أغلبها على تأييده ، فيقول الإستاذ فتحى رضوان راوياً ذكرياته الشخصية عن ردود فعل رجال الأزهر فى المقابلة التى أجريتها معه :

لقد أذعنوا لا عن رضاء .. ولكن عن خوف شديد ، وأذكر أن من بين علماء الأزهر الشيخ عبد الرحمن دراز الذى كان وكيلاً للجامع الأزهر ثم إحيل للمعاش وانتخب عضواً بمجلس الأمة ، فكان هو العالم الأزهرى الوحيد الذى أيد القانون . وتكلم فيه كلمة ثار الأعضاء فى وجهه فترك المنبر ونزل ، وكان معنا أيضا الشيخ حسن مأمون ، وكان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم انتخب نائباً لمجلس الأمة ، وهذا الرجل كان حائراً لا هو قادراً على المعارضة ولا هو قادر على قبوله ، وفيما علمت أن الشيخ محمود شلتوت الذى كان شيخ الأزهر كان يبكى ويقول للناس : « إدونى الأزهر بتاعى القديم » وقد أخبرنا بذلك الشيخ الدكتور / مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة الأسبق .

بيد أن الصورة لم تكن بهذا التوصيف الذى قاله الأستاذ / فتحى رضوان تماماً ، فلقد وجدت أصواتاً مؤيدة بما فيها صوت الشيخ محمود شلتوت ذاته الذى قال فى الأهرام ١٩٦١/٦/٢٤م أنه يترك الحديث عن هذه الدفعة الثورية لدعم الأزهر العلمية والإسلامية

فى الداخل والخارج إلى خطواتها التنفيذية ، وحسب الأزهر أنه يحظى دائماً برعاية الرئيس جمال عبد الناصر وبذلك تزداد رسالته على مر الأيام قوة وتتضاعف إمكاناته لتحقيق أهدافه الضخمة للعالم الإسلامى كله . وقال عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق : « إن القانون الجديد حقق أمانى المسلمين فى إصلاح الأزهر وتمكينه من أداء رسالته كاملة - الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥م .

وذكر د . محمد عبد الله ماضى إن القانون الجديد يذيب الفوارق التى كانت تحجب الطالب الأزهرى عن الدراسات العالية ، ويهيىء تكافؤ الفرص للجميع ، « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥م » وقال الشيخ منصور رجب الأستاذ بكلية أصول الدين إن هذا القانون الإصلاحى خطوة موفقة جريئة وأبرز معالمه تكون مجمع البحوث الإسلامية الذى يمثل فيه جميع علماء المسلمين « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥م » وذكر الشيخ فرج السنهورى أنه يمثل خطوة تهدف إلى التوفيق بين حياتنا فى مجتمعنا ومصلحة الدين والعالم أجمع ، أما أمين تنظيم الأزهر د . أمين الخولى فقال أن تنظيم الأزهر محاولة صحيحة وهدفها صالح لتحقيق ثلاث رسالات : رسالة إجتماعية ، ورسالة دينية ، ورسالة علمية . « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥م » .

ثم تتوالى الخطوات التنفيذية للقانون ، فتكون هيئات ولجان تنفيذية ، وتسند وظائف المأذونين لخريجى كلية أصول الدين ، ويتولى حسين الشافعى مسئوليات وزير الأزهر بالإضافة لتولية لوزارة الأوقاف والشئون وزير الأزهر بالإضافة لتولية لوزارة الأوقاف والشئون الإجتماعية ، ثم يوافق مجلس الدولة على اللائحة التنفيذية لقانون إعادة تنظيم الأزهر وهيئاته ، ثم يتولى د . محمد البهى وزارة الأوقاف والأهر خلفاً لحسين الشافعى .

ثم أصدر الدكتور البهى قار التنظيم الإدارى الجديد لإدارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر والذى تضمن إنشاء أربع مراقبات للشئون القانونية والتفتيش والحسابات والميزانية والمستخدمين والمعاشات والبحوث الفنية وكلها تتبع المجلس الأعلى للأزهر .

ويتطور الدور التاريخى للأزهر ، وتتزايد معه مهامه الرسمية وبالضرورة ميزانيته والتى تصل فى ٢٥ يونيو ١٩٦٤م إلى ٥ ملايين و ١٢٨ ألف جنيه منها ٢,٩٦٧٠٠ مرتبا وأجور ، ٨١١,٠٠٠ مصروفات عامة و ١,٢٥٠ ، مصروفات إستثمارية .

وعندما تحدث أزمة ١٩٦٧م يعلن الأزهر تأييده للنظام السياسى ومباركته لخطواته فى صد « عدوان الصهيونية والاستعمار » وفى عام ١٩٦٨م أصدر عبد الناصر قراراً بأن تدمج

وزارتى الأوقاف وشئون الأزهر ويتولى عبد العزيز كامل رئاستها وهكذا تأتى ردود الفعل على صدور قانون إعادة تطوير الأزهر ، بين تأييد قوى وعلنى فى أغلب الأحيان ، ومعارضة ضعيفة لا يسمع صوتها إلا فى داخل مجلس الأمة أو من خلال الذكريات الشخصية كما سبق الذكر .

٥ - تقييم قانون إعادة تنظيم الأزهر :

بداية يجب التأكيد أن هذا القانون لم يأت منفصلاً عن عدة تطورات سياسية ودينية قدمت له - كما سبق القول - وكان أهمها الرغبة فى إعادة ترتيب البيت المصرى من الداخل وإعادة توظيف دور المؤسسات الدينية التقليدية فى ضوء عملية التغير الإجتماعى التى زادت نغمتها مع بداية الستينات وعليه فإن عملية تقييم لقانون إعادة تنظيم الأزهر ينبغى أن تثير النقاط التالية :

(أ) يمكن النظر إلى موقف النظام السياسى الناصرى من المؤسسات الدينية الرسمية على أنه كان جزءاً من موقف أشمل يتصل برؤية النظام لعلاقة الدين بقضايا المجتمع الحيوية والوظيفية التى يقوم بها فى مجال التنمية . ومنذ سنوات الثورة الأولى تحدث عبد الناصر عن الدين فى صورة التسامح والاعتدال ، وفى إطار من الوطنية التى تفرض على الجميع الولاء للنظام والتفانى فى خدمة المجتمع ، ولم يكن حديث عبد الناصر عن الدين حديثاً عن الدين والعقيدة فى ذاتها ، وإنما فى إطار الإصلاح وإثارة الحس الوطنى الجديد ففى ١٨ إبريل ١٩٥٣م ، يتحدث فى المعهد الدينى بالإسكندرية مذكراً رجال الدين بدورهم فى الماضى فى رفع شعار الحرية والجهاد ضد الإستعمار ودعاهم إلى التعون مع رجال الجيش لإستئناف الجهاد حتى تناول مصر حريتها واستقلالها « فلتضعوا أيديكم فى أيدينا ولنجاهد معاً فى سبيل تحرير مصر فإن لكم رسالة عظمى ، إننا لن نسمح بعد اليو للفساد ، أن يقوم ولن يسمح رجال الدين أن يقوم فى مصر فساد أو طغيان » وناشد فى مناسبات تالية رجال الأزهر خصوصا بالإضطلاع بدور بارز فى مشروعات الإصلاح الجديدة ، حيث يقول عبد الناصر فى هذ الشأن : « رسالة الأزهر ليست فى مصر ، وليست فى الأزهر ، وإنما فى القرى والنجوع والتجمعات لتنصحوا ولترشدوا ، وهذه الدعوة وهذا الإرشاد يجب أن يكون بيننا بدلا من أن نشكو من الإستعمار ولا يمكن أن نلقى العبء على الحكومة وحدها وإنما نحتاج إلى جهود رجال الأزهر . خطابه بتاريخ ١٨/٤/١٩٥٣م .

(ب)فى إطار هذه الرؤية لعبد الناصر ، كان الأزهر وباعتباره أكبر المؤسسات الدينية فى

مصر والعالم الإسلامى يحتاج إلى تدخل لإصلاحه حتى يتم ربطه بالإتجاهات الجديدة فى المجتمع وبدأ بعض رجال الدين الموالين للثورة يتحدثون عن سوء الأحوال داخل الأزهر من حيث برامجه العلمية ونظامه الإدارى وإمكانات التعليم فيه مثل أحمد عبده الشرباصى والدكتورة بنت الشاطىء التى طالبت بدخول المرأة الأزهر طالبة أو محاضرة أو مدرسة . وبناء على هذا تكونت عام ١٩٦١م لجنة تفرعت عن اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى سميت بلجنة الشئون الدينية والأزهر ، وأعدت تقريراً بالتنظيمات المطلوبة وكان فى مقدمتها : إعادة التنظيم الإدارى ، الداخل للأزهر بحيث يكفل تفرغ شيخ الجامع الأزهر وعلماء الأزهر لرسائلهم الدينية وتخريج العلماء وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية فى الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية من خلال جامعة الأزهر وغيرها من التعديلات التى سبق إيضاحها والتى أتت بعد صدور القانون .

ج) بيد أن هذه التغيرات لم تكن بدون سابقة فى التاريخ المصرى ، فلقد سبق إن قام بما يشبهها ، محمد على فى بدايات القرن التاسع عشر ، حين إتخذ الأزهر كأداة للوصول إلى السلطة من خلال مبايعة عمر مكرم له ، ثم أداة ، لخدمة المؤسسة العسكرية ثم طلب من العلماء تأييد برامجه عن طريق إصدار الفتاوى وتسويغ القرارات السياسية للدولة بإستخدام الدين ، ورغم أن هذا النموذج لم يتكرر بعد ذلك كاملاً فى التاريخ المصرى إلا أننا نجد أن منصب شيخ الجامع الأزهر تعرض لعوامل الخلاف السياسى والحزبى ونزعات الملك الشخصية قبل الثورة . وكان تعيينه يتم بأمر ملكى فى حين أن مطالب الأزهريين كانت أن يتم بالإنتخاب ولم تزعن الحكومة آنذاك لمطالبهم ، وبالنظر إلى قانون ١٩٦١م يتضح أن عبد الناصر كان قد قرر أن يخضع الأزهر لسلطة الحكومة بوجه أشمل ، فهو الذى يعين شيخ الجامع الأزهر ، كما أن برامج الأزهر وإدارته ليس لها الإستقلال الكامل عن بقية جوانب السياسة العامة للدولة بل هى جزء منها وعلى الرغم من النص فى ما يتعلق بالشئون الدينية إلا أنه من الناحية العملية لم يتحقق له ذلك ، حيث كان وزير الأوقاف والأزهر أو وزير الأزهر صاحب الكلمة الأولى ، ولم يحدث فى تاريخ الفترة سوى إستثناء واحد عام ١٩٦٦م حين قرر عبد الفتاح حسن وزير الأزهر أن تعرض جميع القرارات والمسائل الخاصة بالأزهر على حسن مأمون شيخ الأزهر إنذاك قبل عرضها عليه .

(د) ومقابل هذه القيود قامت الدولة بالعناية الملموسة بالأزهر فبعد إن كانت ميزانيته عام ١٩٥٢م لا تتجاوز مليوناً و ٥٣٧ ألف جنيه إذ بها تصل عام ١٩٦٦م ، إلى ٣ ملايين

و ٢٩١ ألف جنيه وكان بالأزهر ٢٥ ، معهداً دينياً وصلت فى عام ١٩٦٦م إلى ٣٧ معهداً . وكان به ٢٢,١٣٥ ألف طالب وصلوا فى عام ١٩٦٦م أيضا إلى ٣١,٥٦٦ ألف طالب . ووصل عدد المبعوثين فى الخارج إلى حوالى ٢٠٠ عالم ، وبنى الأزهر مدينة للبعوث الإسلامية بتكاليف مليونى جنيه وقد يكون هذا الإنفاق على الأزهر بهذا القدر ذا حدين فقد تلاشت فى ظله حرية الأزهر واستقلاله الذى تمتع به وقت إن كانت ميزانيته مستقلة نسبياً عن الدولة قبل الثورة ، وأصبح رجاله موظفين فى الدولة حريصين عل يالمناصب الحكومية إلى درجة الوزير ، وكان عليهم أن يدفعوا الثمن لهذا الدور الجديد طاعة مستمرة واجتهاداً دؤوباً فى استخراج ما يضفى الشرعية على سلوكيات وسياسات النظام الجديد التى كانت فى تصورنا بغير حاجة إلى إثبات شرعية لأنها استمدتها بالفعل من قبل الإنجازات الحية التى أحدثتها بالمجتمع .

وأيا كان التقيم الذى يساق بشأن الإغداق المادى على الأزهر بإصدار قانون تنظيمه ، وأيا كان التقيم الذى يثار بشأن هذا القانون على وجه العموم فإن الباحث يخلص إلى أن الهدف الأساسى للنظام من إصدار مثل هذا القانون هو ضرورة أن تتسق حركة هذه المؤسسلاة الدينية الهامة مع توجهات عملية التنمية بأشكالها المختلفة أيضا ضرورة أن تتسق حركتها مع رغبة النظام السياسى فى إعاد ترتيب البيت المصرى من الداخل وفق مفاهيمه الثورية التى بدأت فى التبلور مع السنوات الأولى للستينيات .

* هذا ويرتبط بقانون تطوير الأزهر ، قانون آخر سبقه فى الزمن وان اتفق معه فى المضمون وهو قانون إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس الملية القبطية .

(٢) إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس الملية القبطية :

ترتب على الرغبة فى التجديد لدى النظام السياسى فى مصر خلال السنوات الأولى من الفترة موضع البحث مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية المهمة والتى كان منها إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والملية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وإحالة الدعاوى التى تكون منظورة أمامها إلى المجالس الوطنية ، وذلك تأكيداً لمفهوم التكامل القومى ولتذويب عدد من المؤسسات التقليدية التى كانت تعوق عملية التوحد القومى ، بين الطائفتين

الرئيسيتين فى المجتمع المصرى : المسلمون والأقباط[1] ولقد صدر القانون فى سبتمبر عام ١٩٥٥م عن مجلس قيادة الثورة ، وسوف يتم تناوله فى بندين ، أولهما يتصل بتحليل مضمون القانون ، وثانيهما بالتبرير الرسمى له .

١ - تحليل القانـــون :

يمكن تحليل القانون من خلال ثلاث زوايا :

الزاوية الأولى : وتتعلق بعملية الإحالة للقضايا القديمة التى كانت منظورة أمام هذه المحاكم والتى تنتهى فاعليتها مع نهاية ديسمبر ١٩٥٥م فلقد رتب نص الإلغاء للمحاكم الشرعية والمجالس الملية فى المادة ١ من القانون ضرورة أن تحال الدعاوى التى تكون منظورة أمام محكمة الإستئناف الوطنية ، التى تقع فى دائرتها المحكمة الابتدائية التى أصدرت الحكم المستأنف ، وتؤكد هذا أيضاً مادة ٢ منه[2] .

كذلك تحال - وفقاً للمادة ٣ - القضايا التى تكون منظورة أمام المحاكم الكلية إلى المحكمة الإبتدائية الوطنية المختصة وتحال الدعاوى المنظورة أمام المحاكم الجزئية الشرعية أو الملية إلى المحاكم الجزئية أو الابتدائية الوطنية المختصة .. أى أن الاختصاص الذى ترفع إليه هذه الدعاوى يصير إلى المحاكم الوطنية إبتداء من أول يناير ١٩٥٦م (مادة ٣) .

أما الزاوية الثانية : فتتصل أحكام نظام المرافعات واختصاصات المحاكم الوطنية ، فبالنسبة لأحكام قانون المرافعات نص القانون على ضرورة اتباع ذات ، الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية والوقف التى كانت من إختصاص المحاكم الشرعية أو المجالس الملية عدا الأحوالى التى وردت بشأنها قواعد خاصة فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين الأخرى المكملة لها (مادة ٥) .

وبالنسبة لأحكام المنازعات : فينص القانون (مادة ٦) على أن تصدر الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية والوقف التى كانت أصلاً من إختصاص المحاكم الشرعية طبقاً لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من ترتيب المحاكم المذكورة ، وبالنسبة للمنازعات المتعلقة

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية - مصدر سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) وزارة العدل : النشرة التشريعية سبتمبر ١٩٥٥ (القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميريه) نقلاً عن : الوقائع المصرية بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٥٥ ، العدد ٧٣ مكرر . ب .

بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة الذين لهم جهات قضائية ملية منظمة وقت صدور هذا القانون فتصدر الأحكام فى نطاق النظام العام طبقاً لتشريعتهم ، ويفصل القانون هذا الجانب من فض المنازعات والمتعلق بغير المسلمين بقوله : « لا يؤثر فى تطبيق الفقرة الثانية من المادة المتقدمة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم عن وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى إلا إذا كان التغيير إلى الاسلام فتطبق الفقرة الأولى من المادة السادسة من هذا القانون (مادة ٧) .

ويفصل القانون إختصاص المحاكم الجزئية الوطنية بنصه فى (مادة ٨) على أن هذه المحاكم تختص بالمنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية طبقاً لما هو مبين فى لائحة ترتيب المحاكم عدا دعوى النسب . فى غير الوقف والطلاق والخلع والمبادأة والفرقة بين الزوجين بجميع أسبابها المشار إليها فى المادة السادسة من اللائحة فإنها تكون من إختصاص المحاكم الإبتدائية وتختص المحاكم الإبتدائية ومحاكم الإستئناف وفقا لما هو مبين فى المواد ٨ ، ٩ ، ١٠ من اللائحة .

الزاوية الثالثة : وتتعلق بأوضاع القضاة والمحامين داخل هذه المحاكم حيث ينص القانون على أنه إبتداء من يناير ١٩٥٦م يلحق قضاة المحاكم الشرعية على إختلاف درجاتهم بالمحاكم الوطنية أو نيابات الأحوال الشخصية أو الإدارات الفنية بالوزارة ، وذلك بقرار يصدر من وزير العدل وفق قانون خاص بتنظيم شئون رجال القضاء الشرعى المنقولين إلى المحاكم الوطنية (مادة ٩) .

أما بالنسبة للمحامين فنص على أنه : إستثناء من أحكام القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤م الخاص بالمحاماة أمام المحاكم الوطنية يجوز للمحامين المقبولين للمرافعة أمام المحاكم الشرعية الحضور فى الدعاوى التى كانت تدخل فى إختصاص تلك المحاكم أمام المحاكم الوطنية على أن يقتصر حضور كل منهم على الدرجة التى هو مقبول للمرافعة أمامها فى المحاكم الشرعية ، وللمحامين المقبولين أمام المحكمة العليا الشرعية المرافعة أمام محكمة النقض أيضاً فى الدعاوى المشار إليها ، ويصدر قانون خاص بتنظيم قيدهم فى الجدول وحقوقهم وتأديبهم وما إلى ذلك (مادة ١٠) .

ونص القانون على وجود تنفيذ الأحكام الصادرة فى مسائل الأحوال الشخصية وفقاً لما هو مقرر فى لائحة الإجراءات الواجب إتباعها فى تنفيذ أحكام المحاكم الشرعية الصادرة فى ٢٤ إبريل ١٩٠٧م (مادة ١٢) ، كما نص على إلغاء كافة التشريعات التى

سبقته بخصوص هذا الموضوع (مادة ١٣)[١] وتنفيذ الوزراء كل فيما يختصه من هذا القانون (مادة ١٤) .

٢ - التبرير الرسمى للقانون :

إن تحليل الأوضاع السياسية والإجتماعية التى عاشتها مصر إبان إصدار هذا القانون ، يشير بأن صراعاً على السلطة كان قد حسم إلى أحد فريقى الثورة بعد ثلاث سنوات من قيامها وهو الفريق الذى يتزعمه عبد الناصر وإن صراعاً آخر مع قوة سياسية مناوئة هى الإخوان المسلمين قد حسم لصالح نفس الفريق ، وإن عملية الجلاء للقوات البريطانية كانت على وشك الإنتهاء وإرهاصات المواجهة مع الغرب من خلال الحديث عن صفقة تشيكية للأسلحة وعن إحتمالات تأميم شركة قناة السويس ، كانت قد بدأت فى الظهور .

وفى ضوء هذه التطورات والأوضاع المتصاعدة أتى القانون السابق ليقدم نفسه كتطور سياسى مهم فى سياق الأوضاع المحيطة ، حيث عبر عن ثلاثة توجيهات وأهداف وطنية تضمنها التفسير الرسمى للقانون فى شكل مذكرة إيضاحية سيقت كمبرر لقانون الإلغاء[٢] ، وهذه الأهداف هى تأكيد سيادة الدولة الوطنية ، ووحدة النظام القانونى الكاملة ، وإصلاح الأخطاء والعيوب التى لحقت بنظام القضاء .

(أ) فبالنسبة لتأكيد سيادة الدولة الوطنية ، فتذخب المذكرة إلى القول بأنه على العكس مما تقضى به قواعد القانون العام ، أن تكون سيادة الدولة تامة ومطلقة داخل بلادها كما تقضى بأن يخضع جميع السكان على إختلاف جنسياتهم لقوانين البلاد ومحاكمة ولجهة قضائية واحدة بصرف النظر عن نوع المسائل الت تتناولها خصوماتهم أو

---

(١) المذكرة التفسيرية لقانون إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية ، وزارة العدل ، مصدر سابق

(٢) حدد القانون هذه التشريعات فيما يلى :

— المادة ١٦ من قانون نظام القضاء - المواد : ١ - ٤ ، ١١ - ١٩ ، ٢٩ - ٥١ ، ٥٣ - ٩٧ ، ١٠٠ - ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ - ٢٧٩ ، ٣٢٨ - ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادر بها المرسوم بقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٣١ .

— أحكام الأمر العالى الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٨٨٣ والمعدل بقانون ٩ لسنة ١٩٢٧ والخاص بلائحة ترتيب واختصاصات مجلس الأقباط الأرثوذكس .

— الأمر العالى الصادر فى أول مارس ١٩٠٢ بشأن الانجليين الوطنيين .

— والقانون رقم ٢٧ الصادر فى نوفمبر ١٩٠٥ بشأن الأرمن الأرثوذكس .

— والقانون لأقم ٨ لسنة ١٩٥١ وجميع الأوامر العالية والقرارات الأخرى المخالفة لهذا القانون .

القوانين التى تطبق عليها ، فإن الحال فى مصر كانت على النقيض ، فجهات القضاء فى مسائل الأحوال الشخصية بالنسبة للمصريين أنفسهم بقيت متعددة ، وكل جهة تطبق قوانينها على قضائها رغم أن الدولة قد استردت سلطانها القضائى بالنسبة للأجانبة فأصبحت المحاكم الوطنية هى فى جميع منازعاتهم حتى ما يتعلق مها بأحوالهم الشخصية .

(ب)أما بالنسبة لوحدة النظام القضائى فتشير المذكرة إلى الثنائية التاريخية الخطيرة لهذا النظام ومردوداتها ذلك أن مصر ورثت نظام تعدد جهات القضاء فى مسائل الأحوالى الشخصية عن الماضى ، فقامت المحاكم الشرعية والقضاء الملى ثم تعددت جهات القضاء الملى فأصبح لكل طائفة قضاؤها وقوانينها وإجراءاتها الخاصة مما أدى إلى الفوضى والإضرار بالمتقاضين ، حيث إستتبع تعدد جهات القضاء رغبة كل جهة فى توسيع دائرة اختصاصها والاعتداء على سلطة غيرها خصوصاً مع عدم وجود حدود دقيقة أو ثابتة الاختصاص لكل منها ، وتدلل المذكرة على ذلك بأن المرجع العام فى تحديد ولاية محاكم الطوائف هو أحكام الخط الهمايونى الصادر فى الدولة العثمانية عام ١٨٥٦م ، وبعض القوانين العثمانية الأخرى التى لم تكن فى صياغتها وليدة حرص على أن توف الوضوح والأحكام ، وإنما كانت فى حقيقتها ثمرة تجهيل اقتضته ظروف السياسة وكانت النتيجة هى تنازع المحاكم بينها وتعدد الأحكام التى تصدر فى النزاع الواحد وبقى المتقاضون يستعدون محكمة على أخرى وظل مصير الحقوق رهينا بهوى الظروف .

وفى مجال التأكيد على سلبيات هذا الوضع القانونى التعددى تشير المذكرة إلى أنه بعد أن الغيت الإمتيازات التى كان يتمتع بها الرعايا الأجانب وبعد أن أصبحوا يخضعون لنظم التقاضى العادية أمام المحاكم الوطنية ، فإن من الشذوذ بمكان أن يظل الوطنيون من أهل البلاد المنتمون إلى الطوائف الملية غير الإسلامية محتفظين باستثناءات قضائية كانت فى كثير من الحالات عنوانا على الفوضى وعدم النظم[١] وأنه لا يتفق مع السيادة القومية فى شىء أن تصدر أحكام فى الصق المسائل بذات الإنسان من جهات قضائية غير مسئولة ولا مختارة من جانب الحكومة ، أو أن تكون تلك الجهات خاضعة لهيئات أجنبية تباشر أعمالها خارج حدود البلاد كما هى الحال بالنسبة لبعض الطوائف التى يرفع الطعن فى أحكامها إلى محكمة

ص ٢٣٥٣ - ٢٣٥٨ .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٥٤ .

« روما » وليس أقل من كل أولئك مساساً بالسيادة أن يلى القضاء فى بعض المجالس الطائفية أجانب لا يعرفون لغة المتقاضين ويصدرون أحكامهم بين المصريين بلغة غير لغتهم[١] .

(ج) أما بالنسبة لعيوب النظام القضائى فتذهب وجهة النظر الرسمية إلى القول بأنه قد إستفاضت الشكوى من حال قضاء الأحوال الشخصية وندد بها المتقاضون منوهين بوجه خاص بانتفاء الحد الأدنى من عوامل التيسير وضمانات التقاضى ، فللطوائف غير الإسلامية أربعة عشر مجلساً بعضها لا ينعقد للقضاء إلا فى تفرات متباعدة أو فى أمكنة بعيدة عن إقامة المتقاضين ، وفى ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى عسيراً على بعض الناس ، والقواعد الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح عليها من الأقضية غير المدونة وليس من اليسير أن يتهدى إليها عامة المتقاضين ، وفى ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى عسيراً على بعض الناس ، والقواعد الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح عليها من الأقضية غير المدونة وليس من اليسير أن يهتدى إليها عامة المتقاضين وهى مبعثرة فى مظانها بين متون الكتب السماوية وشروح وتأويلات لبعض المجتهدين من رجال الكهنوت مبعثرة فى كتب لاتينية أو يونانية أو عبرية أو سريانية أو أرمينية أو قبضية لا يفهمها غالبية المتقاضين[٢] .

والأخطر من هذا إن القواعد المتعلقة بتشكيل المحاكم الطائفية وإجراءات الترافع ونظر الدعاوى وتحرير الأحكام وطريق الطعن فيها لا تنظمها وحدة ولا يتوافر لها الإستقرار ، ونفقات التقاضى لا تنهج فيها المجالس منهجاً واحداً بل إن الكثير منها لا يمثل نظاماً محدداً فى هذا الشأن ، وليس لأكثر هذه المجالس أقلام كتاب منظمة أو سكرتارية تعينها على أداء مهمتها ، وما من شكل فى أن تلك الحال تدعو إلى تزعزع الثقة بأحكام القضاء وإرهاق المتقاضين .

إزاء هذا الموقف – كما تقول المذكرة – الذى يكتنفه الشذوذ من كل جانب – وأمام تلك الفوضى التى استفحلت أثارها ، تعددت محاولات الإصلاح الجزئية ، التى لم يكتب لها النجاح بسبب ما قام أمامها من عقبات وبقيت هذه الحالة وليس لها من ضحايا إلا المتقاضون أنفسهم وسيادة البلاد . ولما كانت الثورة قد قامت لتحقيق أهداف البلاد فى

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٥٥

الإصلاح والقضاء على الفساد فى شتى نواحيه فإن العقبات المتقدمة ما كانت لترد الحكومة عن أداء واجبها – كما تذهب المذكرة – فى إقامة صرح القضاء ، وهى مطالبة بتوافر سبل التقاضى لجميع رعاياها . دون ، تفريق أو تمييز ، وذلك وفق ما يتقضى النهوض بأعباء الإصلاح ولو لم يصادف هوى البعض وإلا فإن على الحكومة أن تسلم بوجود هيئات قضائية داخل الدولة تملى عليها إرادتها أو تناهض سياسة الإصلاح فيها أو تتحكم فى طرق الإصلاح .

لكن هذا رأى النظام السياسى إزاء ما هو مشهود من عيوب نظام القضاء فى مسائل الأحوال الشخصية أن يعالج الأمر علاجاً حاسماً ومحققاً فيه الإصلاح بتوحيد نظام القضاء والمحافظة على الحقوق وصيانتها وتوزيع العدالة توزيعا يظفر بثقة المتقاضين ويضع حداً للحالة المتقدمة وهى تمس الإنسان فى أدق المشاعر والعائلات فى أدق العلاقات ، وتؤثر فى أخلاق الأفراد والمجتمع[1] .

وعليه قام النظام بإصدار هذا التشريع الجديد على نحو يكفل – كما تقول المذكرة – توحيد جهة القضاء بالنسبة للمواطنين جميعاً بجعل حل هذه المنازعات من اختصاص القضاء الوطنى واحترام ولاية القانون الواجب التطبيقى ، حتى لا يكون هناك إخلال بحق أى فريق من المصريين مسلمين أو غير مسلمين فى تطبيق شريعة كل منهما ، ويلاحظ أنه لم تظهر أية معارضة من جانب رجال الدين ، بل على العكس قام شيخ الأزهر مع بعض المشايخ بتهنئة عبد الناصر على إخذه هذه الخطوة التحررية نحو إصلاح النظام القانونى فى مصر[2]

ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية :

قبل الدخول فى تفاصيل هذه العلاقة يهمنا الإشارة إلى البيانات الإحصائية التالية :

بلغ عدد الكنائس حتى نهاية عهد عبد الناصر فى مصر ١٤١٣ كنيسة ، منها فى الحضر ٦٤٨ كنيسة وفى الريف ٧٦٥ كنيسة .

والمحافظات السبع الأولى من حيث عدد الكنائس هى

محافظة المنيا إذ يبلغ عدد الكنائس فيها ٣٦٠ كنيسة .
محافظة أسيوط ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٤٧ كنيسة .

---

(١) نفس مصدر ، ص ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٥
(٢) د. حسن حنفى ، الدين والتنمية فى مصر ، ص ١٩٦

محافظة القاهرة ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠٦ كنيسة .
محافظة سوهاج ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠١ كنيسة .
محافظة الإسكندرية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٦٠ كنيسة .
محافظة الغربية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٢ كنيسة .
محافظة القليوبية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٧ كنيسة .

أما الأديرة فيبلغ عددها ٣٧ ديراً ، منها فى الحضر ٣٢ ديراً ، وخمسة فى الأرياف .

ويبلغ عدد الأديرة فى مدينة القاهرة ١٣ ديراً .
ويبلغ عدد الأديرة فى أسوان ٥ أديرة .
ويبلغ عدد الأديرة فى البحيرة ٣ أديرة .
ويبلغ عدد الأديرة فى بنى سويف ٣ أديرة .

ولا يزيد العدد عن دير واحد فى باقى المحافظات التى بها أديرة .

والأمر الذى تقرره ، ونؤكد عليه فى هذا المقام هو أن الكنائس والأديرة المحصاة تتبع طوائف مسيحية مختلفة وعديدة ، وأنه من هنا نستطيع تحديد ما يتبع كل طائفة من الكنائس والأديرة على حدة .. وهذا لا يعنى أننا قد أهملنا هذه المسألة كل الإهمال . فلقد أشرنا فى بعض التقريرات الإشارات التى سمح بها الإحصاء عن تبعية بعض الكنائس ، وبعض الأديرة ، لبعض الطوائف المسيحية .

الكنيسة والحياة الإقتصادية بعد الثورة :

لقد بدأ الأمر كله بحركة تنظيم الضباط الأحرار ، أو ما قيل وقتها وبعدها بقليل « إنقلاب عسكرى » أو « حركة الجيش المباركة » . ولكن سرعان ما أحدث هذا الإنقلاب أو تلك الحركة تغييرا إقتصاديا وإجتماعياً جذريا فى المجتمع المصرى . وكانت البداية بتحديد الملكية الزراعية ، ثم تمصير المصالح والشركات الأجنبية ، ثم تأميم الرأسمالية المحلية ، والبدء فى إقامة القطاع العام فى الصناعة والتجارة والقطاع التعاونى فى الزراعة الخ .... الإجراءات التى عدت « تحولاً إشتراكياً » أو « رأسمالية دولة »[١] .

وفى الوقت ذاته وضعت كثير من المدارس التبشيرية والأجنبية تحت رقابة الدولة الصارمة ، ووحدت المناهج التى يدرسها الطلبة ، بما قرب بين مفاهيمهم وقيمهم وأتاح

(١) سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٤ ص ١٤٨ .



الأسقف مكاريوس فى القاهرة عام ١٩٦١

قدراً كبيراً من المساواة فى فرص التعليم والتوظف ، وذلك بالتوسع فى فرص التعليم بمختلف المراحل حتى الجامعة والكليات العسكرية من ناحية ، والتحاق الطلبة بالتعليم العالى عن طريق المكاتب التنسيق بحيث أصبح مجموع الدرجات فى إتمام الدراسة الثانوية هو معيار القبول فى هذا المعهد أو تلك الكلية من ناحية أخرى وقد أوجد هذا فرصة للمساواة فى فرص التعليم . ثم بدأ العمل بإلحاق الخريجين بالوظائف والأعمال المختلفة عن طريق مكاتب العمل أولا ثم القوى العا ملة بعد ذلك الأمر الذى حقق ذات القدر من المساواة فى فرص العمل للخريجين (وذلك بصرف النظر عن الآثار السيئة التى نجمت عن هذا الأسلوب على المدى الطويل) . إلى جانب الإلتزام فى ترقية العاملين بالحكومة والقطاع العام بالأقديمة حتى الدرجة الثالثة ، مما كفل ذات القدر من المساواة أيضاً ، ولكن حتى الوظائف الوسيطة

وقد كان من الممكن أن تؤدى مجانية التعليم إلى تقوية الروابط الوطنية غير أن الذى حدث بعد ذلك إن عبد الناصر فى إحدى مراحل الصراع مع الإخوان المسلمين راح يزايد عليهم تكتيكياً بإصدار قرارين هما : جعل الديانة مادة أساسية فى مختلف مراحل التعليم تؤدى إلى النجاح أو الرسوم كغيرها من المواد . وافتتاح جامعة الأزهر على غرار الجامعات العصرية مقصورة على الطلبة المسلمين ممن يرغبون فى دراسة فروع العلم المختلفة إلى جانب المواد الدينية ، ولقد كان للقرار الأول أضراراً زادت عن فوائده فإن المدرسين الذين عهد إليهم بتدريس مادة الدين لم يكونوا دائما مؤهلين لهذا الغرض ، فنتج عن ذلك أبرز الاختلافات بين أبناء الفصل الواحد وبما لا يتمشى مع الهدف الأصلى لمجانية التعليم ، أما بالنسبة للقرار الثانى ، فقد بدت براعة عبد الناصر واضحة فى تقليص دور الأزهر الشامخ على مر العصور وتحويله إلى مجرد جامعة لا تكاد تختلف عن غيرها من الجامعات وكان ذلك جزءاً من سياسته العامة فى أضعاف كافة المؤسسات الرسمية والشعبية .

على كل حال ، يمكن القول بأن نوعاً من المساواة الطبقية قد تحقق بين المواطنين ، فقد أضيرت المصالح الأجنبية كلها أيا كانت هويتها الدينية ، كما أضيرت معظم المصالح الرأسمالية المحلية أيا كانت الطائفة التى تنتمى إليها ، كما أن الفئات الإجتماعية الواسعة التى استفادت من الأرض والصناعة والتعليم لم يفرق القانون بين طوائفها .

ومن الطبيعى أن إجراءات التأميم التى قامت بها الحكومة عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م قد قضت على عدد كبير من الأعمال والصناعات والوظائف المهنية والفنية التى كان للأقباط فيها نسبة عالية . فى قطاع النقل (شركات الأتوبيس داخل القاهرة وبين الأقاليم) كانت

خسارة الأقباط بنسبة ٧٥٪ ، حيث أمت شركتى أتوبيس « إخوان مقار » و« الأسيوطى » وكانتا تغطيان أكثر من ثلاثة أرباع القاهرة ، والباقى تغطية شركة أوتوبيس « أبو رجيلة » كما أممت شركة « حكيم مرجان » التى كانت تغطى القطر كله ، وكانت تعد الشركة الكبرى الوحيدة تقريباً فى النقل بين الأقاليم .

وفى مجال الصناعات ، أممت - على سبيل المثال لا الحصر - مصانع فؤاد جرجس ، وعطية شنوده ، وتاجر ، وكحلا ، وعلى الجانب الآخر لم تكن هناك مصانع ذات أهمية ، بإستثناء أحمد عبود .

أما البنوك ، فقد كانت غالبية رأس المال المساهم فى بنك القاهرة لموريس دوس وغيره من الأقباط ، وكذلك الحال بالنسبة لبنك مصر ... وهكذا ..

ويمكن القول بإيجاز أنه بمجرد النظر فى كشف ، الشركات الملحق بقرارات التأميمات التى صدرت عامى ٦١ / ١٩٦٢م ، يتضح بسهولة مدى الأضرار والخسائر التى حاقت بكبار أقباط الرأسمالية المحلية من جراء التأميمات .

ولا يمكن إغفال قطاع الأراضى الزراعية ، فقد أصابت قوانين الإصلاح الزراعى عدداً كبيراً من الأقباط . وتصادف أن نسبتهم بين كبار ملاك الأراضى الزراعية إلى عدد المسلمين كانت أعلى من نسبتهم العامة ، مما أدى إلى انتقال الملكية إلى صغار المزارعين أو المعدمين ، وهؤلاء غالبيتهم العظمى من المسلمين . ومن الطبيعى إن قوانين الإصلاح الزراعى لم تستهدف تلك النتيجة ، وإنما جاءت تلقائياً دون تخطيط (وهذا بصرف النظر عن النتائج الإقتصادية للإصلاح الزراعى والتى ظهرت على المدى الطويل وارتبطت بأسباب تدهور الإنتاجية الزراعية المصرية) .

وعلى أية حال ، فإن التأميم وغيره من القوانين الإشتراكية ، مثله فى ذلك مثل أى حدث فى أى مكان آخر بالشرق الأوسط ، كان عليه أن يختار طريق الارتباط بالدين الإسلامى للحصول على التأييد المعنوى والنفسى والفكر للأغلبية المسلمة من الجماهير ، وكان هذا طبيعياً ، فإن الجماعة الحاكمة المكونة من مسلمين ينتمون فى غالبيتهم لطبات دون الطبقة العليا ، نظرت إلى الولة فى إطار إسلامى ، وساعدها على ذلك ما أعلنه عبد الناصر بوضوح بمناسبة التأميم شبه الشامل للإقتصاد المصرى من أنه لم يستلهم هذا العمل من الأفكار الماركسية أو اللينينية . وشاعت أوقال نبى الإسلام والصحافة تؤيد كلها مطالب العدالة الإجتماعية . فذاع فى كتابات الكتبا والمفكرين القول المأثور عن « أبو ذر الغفارى » : « ثلاث للناس جميعاً : انار والماء والكلأ » وتلك كانت وسائل الإنتاج فى الوقت الذى قيلت

فيه ، واعتبرها أبو ذر الغفارى ملكاً للمجتمع وقام بعض رجال الدين المسيحى بمجارات هذا الإتجاه بتفسير العلاقة بين الإشتراكية والمسيحية مستندين فى ذلك إلى حياة السيد المسيح وتلاميذه من بعده . ولا شك أن تلك الإجراءات قد شغلت الجميع تماماً عن الشعور بأى توتر طائفى والإنهماك فى ملاحقة التطورات السريعة بالمجتمع .

واعتمد النظام الحاكم فى تنفيذ سياسته الإقتصادية على جهاز الإدارة المدنية كجهاز وحيد يستند إليه فى تقبل الجماهير لنشاطه السياسى (طالما أنه يصعب عليها تقبل الجهاز العسكرى) . ولكن هذا الجهاز كان أكثر مؤسسات المجتمع المصرى التى تظهر فى تكوينها أو فى مسلكها ظواهر التفرقة بين المسلمين والأقباط لأسباب تاريخة ترجع إلى طابعه المحافظ وإلى ضعف أثر حزب الوفد صاحب مبدأ الجامعة المصرية الوطنية فيه .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن إستناد النظام على هذا الجهاز الأوحد فى النشاط السياسى كان من شأنه الإبقاء على هذه الظواهر ، يضاف إلى ذلك الأسلوب الذى روعى فى إختيار قيادات الجهاز وأقسامه الهامة على أساس لن يكونوا من أهل الثقة . وهم فى الغالب أما من الضباط الأحرار بوجه خاص (والذين لم يكن بينهم سوى ضابط قبطى واحد لم يكن له وزن أو دور سياسى يذكر) أو ممن يتصلون بهم بروابط شخصية وثيقة من بين زملائهم الضباط . وعلى ذلك كان من شأن الإجراءات ، الإقتصادية سابقة الذكر أن جمدت أوضاع العاملين فى المشروعات المؤممة الذين وصلوا إلى مستويات بالغة الإرتفاع وظل الأمر كذلك لفترات مقبلة . وقد ترسب مع هذا الوضع شعور بعدم الإرتياح لديهم عامة ، ولدى الأقباط منهم خاصة ، سيما وأن وظائف الإدارة العليا كانت شبه محصورة فيمن سموا « أهل الثقة »

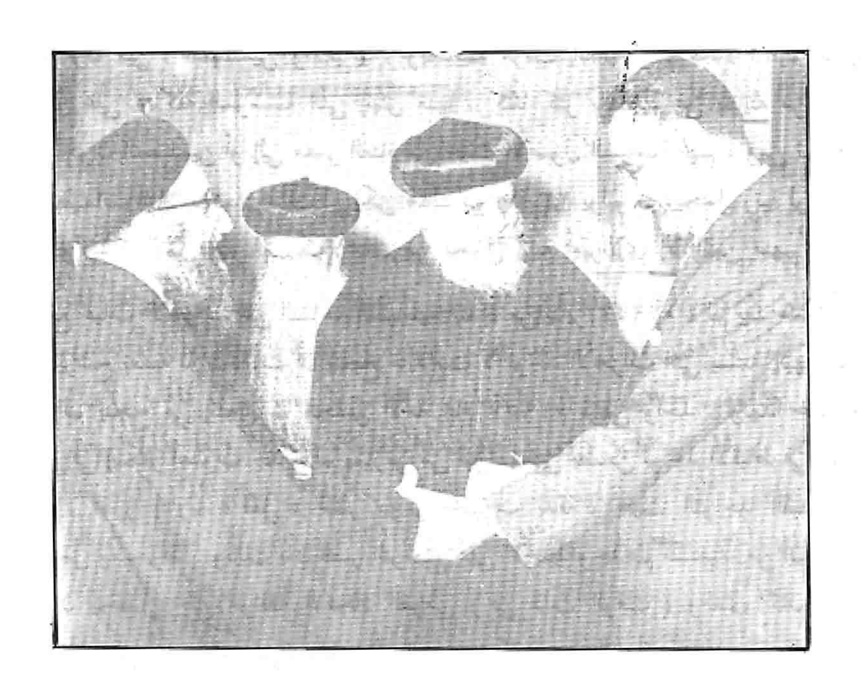
الأقباط فى الحياة السياسية :

يلاحظ إن حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت على تنظيم سرى للضباط الأحرار . ولم يكن ضمن هذا التنظيم سوى قبطى واحد ينتمى إلى الصف الثانى بالحركة . ويفسر الأستاذ طارق البشرى هذه الظاهرة ، بأن الجيش كان خاضعاً للنفوذ التقليدى للملك قبل عام ١٩٥٢م . ولا يلحظ إن كان للوفد نفوذ مؤثر على المؤسسة العسكرية المصرية ،

---

(١) طارق البشرى ، المرجع السابق ، ص ٦٧٦

(٢) سميرة حر مصدر سابق ص ١٥١



رجال الدين : من كل مكان كانوا يجيئون إليه . مع وفد من مسلمى غانا . ووفد آخر من مطارنة الأقباط المصريين فى الدقهلية وقنا وقوص وسوهاج والمنشأة عام ١٩٥٦

حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة ، ومن ثم بقى الجيش يحمل فى تكوينه العضوى أثراً للتفرقة بين ، المسلمين والأقباط ، وبخاصة الرتب العالية[1] . فجاء تنظيم الضباط الأحرار على شاكلة المؤسسة التى إنبثق منها . كما كثر بالتنظيم فى بدايته من ينتمون إلى الإخوان المسلمين أو إلى مصر الفتاة من حيث الأصول السياسية لهم ، ومن ثم حملوا أثراً لتنظيمات الثلاثينات . لذلك لم يكن هناك فى ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى قبطى واحد ، كما أنهم لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاى إلا اثنين منهم[2] .

ومع غياب الأحزاب عن الساحة السياسية ابتداء من يناير ١٩٥٣م ، لم يعد ممكناً لأى قبطى يرشح نفسه للإنتخابات أن ينجح ما دامت لا توجد الأحزاب التى يستند إليها ونتيجة لذلك لم ينجح فى إنتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧م قبطى واحد . ولهذا عمد عبد الناصر إلى إبتكار أسلوب جديد لم يمارس من قبل . حتى يضمن تواجد الأقباط فى مجلسه النيابى . فقرر إدارياً « قفل » عشر دوائر اختيرت بدقة ، حيث التواجد القبطى فيها محسوس وملحوظ . وذلك بأن قصر الترشيح على الأقباط وحدهم مستفيداً من أن المرشح لابد أن يحصل على موافقة الإتحاد القومى (فى ذلك الوقت) والذى كان له حق الإعتراض على أى مرشح دون إبداء الأسباب ، وتركت هذه الدوائر للتنافس بين المرشحين الأقباط وحدهم ، مع اشتراك كل أهالى تلك الدوائر أقباط ومسلمين فى عملية الإنتخاب[3] .

بيد إن هذا الأسلوب لم يقدر له النجاح فى أية انتخابات تمت بعد ذلك . ومن ثم تقرر العدول عن أسلوب قفل الدوائر فى الإنتخابات التالية . (١٩٦٤م ، ١٩٦٨م ، ١٩٧١م ، ١٩٧٦م ، ١٩٧٩م) . وعولج الأمر باتباع مبدأ دستورى جديد ، وهو منح رئيس الجمهورية سلطة تعيين عشرة أعضاء فى المجلس النيابى . وروعى فيما بعد أن يكون المعينون أقباطاً غالبيتهم أو كلهم . وبدأ الأمر وكأن الدولة تتفضل على إحدى الطوائف بما قد لا يسمح به المجتمع ، رغم أنها لم تعط هذا المجتمع الفرصة الحقيقية لإبداء رأيه عن طريق المشاركة السياسية الحقيقية وبإتباع الأسلوب الديمقراطى غير الملفق . وبهذا التعيين أيضا بدا النظام الحاكم وكأنه يعترف بوجود درجة من الطائفية من حيث يقصد أولا يقصد التخفيف

---

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الثانى .

(٢) د. ميلاد حنا : « نعم أقباط .. لكن مصريون » ، (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٠) ، ص ٨٦ - ٨٧ . فى سميرة بحر - مصدر سابق ص ١٥٢ .

(٣) مقابلة شخصية لسميرة بحر مع الرائد السابق للجماعة الأستاذ إبراهيم فهمى هلال المحامى .

من حدتها . وزاد من الأمر سوءاً إن الوزارات التى تولاها مسيحيون طوال حكم عبد الناصر كانت من الوزارات الهامشية وتم إختيار أقباط لها من فئة التكنوقراطيين . وكان الإختيار لهذا الوزير أو ذاك مبنياً على حسن سمعته وعلى تخصصه الدقيق فى مداته ، وغالباً ما كان إستاذاً جامعياً .

وقد نجم عن هذا النظام - « التعيين » - تولد الشعور لدى قطاعات من الأقباط بأنهم الفعل أقلية ، عليهم أما أن يقبلوا أن يعاملوا بهذه الصفة فى مختلف المجالات ، وأما أن يعترف بهم كمواطنين لا كرعايا فيعاملون كيقية المواطنين ، ولذلك فإن غيابهم عن كثير من المناصب الرئيسية فى أجهزة الإدارة أو فى مقاعد المجالس النيابية والشعبية - رغم ما يراه بعضهم من كفاءات بين صفوفهم - أدى بهم إلى الإعتقاد بأن المجتمع لا ينصفهم لا كأقلية ر أى بمراعاة التمثيل الطائفى) ولا كمواطنين (أى بمراعاة مبدأ الكفاءة وحده) . ولعل هذا الشعور كان الدافع لهجرة عدد كثير من أقباط مصر إلى الخارج وبخاصة إلى العالم الغربى ، سخطاً على ما أعتبره المهاجرون عقبات فى وجه طموحهم المالى أو المهنى أو كال حقهم كمواطنين ، ورغم أنهم بهذه الهجرة يفقدون الأقباط المقيمين فى وطنهم الأم عزة المهاجرين العددية والفنية بوصفهم من أنجب أبنائهم . ·

ومن الأمور المهمة بالنسبة لنشاط السياسى المسيحى فى عهد عبد الناصر ظهور (جماعة الأمة القبطية) كرد فعل لجماعة الإخوان المسلمين ، ولنترك الباحثين المسيحيين أنفسهم يقدمون تحليلهم لنشاط هذه الجماعة .

تقول سميرة بحر :

نتيجة لانتشار تنظيم الإخوان المسلمين وتغلغله فى جميع أنحاء القطر المصرى ، تكونت جماعة « الأمة القبطية » للدعوة إلى إحياء القومية القبطية فى مواجهة الفكر المغرق فى الإتجاه الدينى الإسلامى الذى روجت له جماعة الإخوان المسلمين . وهى جمعية أسسها محام شاب عمره عشرين سنة فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥١م . وكان مركزها القاهرة ، ولكن سرعان ما انتشرت فى جميع أنحاء مصر ، حتى بلغ عدد أعضائها ٩٢٠٠٠ عضو أغلبهم من الشباب (وقد استمر نشاط الجماعة سنة ونصف من ١١ سبتمبر ١٩٥١م إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٥م .

وأعلنت الجماعة أن غرضها دينى إجتماعى محض وتسعى لرفاهية الكنيسة الأرثوذكسية وليس لها الإشتغال بالسياسة ، وذلك بتطبيق حكم الإنجيل على أهل الإنجيل ، وتكلم « الأمة » القبطية باللغة القبطية ، أما وسائل الجماعة فى سبيل تحقيق هذه الأغراض فهى .

١ - التمسك بالكتاب المقدس وتنفيذ جميع أحكامه عن طريق دراسة علمية حديثة وأن يخرج

منه العلم بجميع فروعه .

٢ - دراسة اللغة القبطية بطريقة عملية علمية حديثة وإحلالها محل اللغات الأخرى ، والتمسك بعادات وتقاليد « الأمة » القبطية ، ودراسة تاريخ « الأمة » القبطية ، والتعامل على أساس التقويم القبطى .

٣ - إصدار جرائد يومية وأسبوعية وشهرية تكون المنبر القوى للدفاع عن « الأمة » القبطية ، وبهذا يوجد الرأى العام القبطى .

٤ - مطالبة الحكومة رسمياً بإنشاء محطة إذاعة خاصة ب « الأمة » القبطية .

٥ - الإهتمام بالدعاية محليا ودولياً « للأمة » القبطية والعمل على احترام الكرسى البابوى وتكريمه .

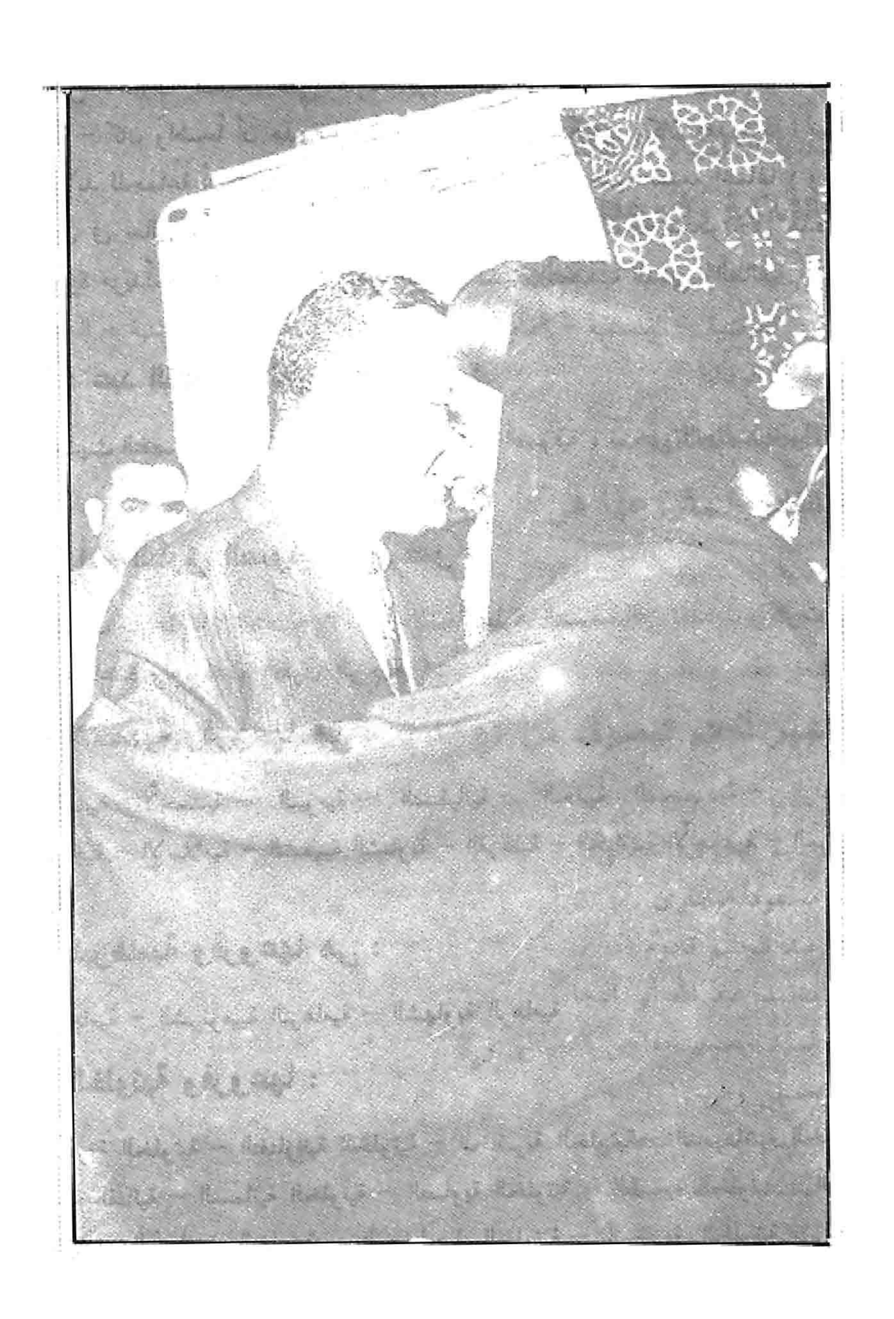
٦ - الإهتمام بالناحية الرياضية بمختلف وجوهها .

٧ - إنشاء درار كبرى تسمى المركز الرئيسى للجماعة فى وسط القاهرة بجوار الأحياء القبطية (الفجالة ، شبرا ، القللى ، الأزبكية) تجمع فيه مؤسسات ومشروعات الجماعة .

يتضح مما تقدم أن هذه الجماعة قد تكونت للوقوف فى وجه جماعة الإخوان المسلمين وعلى نمطها من حيث الحماسة الدينية ، وإن لم تصل إلى نفس قوتها . وبالنظر إلى أهداف الجماعة المشار إليها أنفاً ، يتضح مدى تشدد برنامجها وإشتمال وسائل تحقيق هذه الأهداف على استعمال القوة ، كما هو الحال بالنسبة للإخوان المسلمين ، وكما حاول الإخوان إزاحة عبد الناصر بعيداً عن المسرح السياسى بعد إن قام بحل جماعاتهم عام ١٩٥٤م ، وكذلك تحركت جماعة « الأمة القبطية » ضد البطريرك الأنبا يوساب الثانى بعد حلها رسمياً فى ٢٤ إبريل ١٩٥٤م وأجبرته على التنازل عن منصبه الدينى بالتهديد فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤م .

. وكانت شعبية هذه الجماعة محصورة - أساساً - بين الشباب القبطى ولعل ذلك يرجع إلى أن العناصر الأكثر نفوذاً وجاهاً فى المجتمع هى نفسها الأكثر مقاومة ومعارضة لمثل هذه التنظيمات القائمة على استعمال العنف والتشدد ، إذ لابد أن يخسر أفراد هذه العناصر ثرواتهم ومراكزهم الممتازة إذا هم أعلنوا عداءهم لنظام الحكم القائم . ومن ثم جذبت « الأمة القبطية » الشباب على وجه الخصوص ، لأنهم لا يملكون الكثير ليخسروه ، ولأنهم كانوا يائسين عاجزين مما كان يدفعهم إلى معاناة الكثير فى سبيل الحصول على الوظائف فى الإدارات والمصالح الحكومية وفى مجال القضاء .. الخ .

على إن استعمال العنف الذى مارسته جماعة الأمة القبطية فى حادث خطف البابا يوساب الثانى - وفقاً لقول سميرة بحر - كان أمراً مخالفاً لطبيعة الأقباط ، ولم يقدر لهذا الأسلوب



البابا كيرلس ... بابا المسيحيين فى مصر مع عبد الناصر .

أن يعيش لأسباب عملية . ففى محاولة تجربة استعمال القوة مع المسلمين - أثناء نشاط الجماعة - كان واضحاً أن هذه الجامعة تقاتل قتالا غير متكافىء وكان مقدراً لها الخسارة . وكان لابد للجماعة أن تتجنب ، النتيجة المحتومة التى بنت عليها مقدمة أعمالها (وهى أن المسلمين فى حالة حرب مقدسة ضد غير المسلمين) لأن النتيجة ستكون فى هذه الحالة بالضرورة مزيداً من المتاعب ، وتعريض الأقباط لشبهة التعصب الدينى والطائفية المرذولة .

رابعاً : عبد الناصر والطرق الصوفية :

للحديث التفصيلى عن علاقة عبد الناصر بالطرق الصوفية ، نمحور الحديث حول النقاط التالية :

(١) أهم الطرق الصوفية فى مصر :

صدرت فى عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م لائحة الطرق الصوفية التى تعددت وكثرت بمصر كثرة مشاهدة وأهم هذه الطرق اليوم هى :

١ - الأحمدية وفروعها هى :

الأنبابية الأحمدية - البيومية - التسقيانية - الحلبية المحمودية - الزاهدية - السطوحية - الإسلامية - الشعيبية الشناوية - الفرغلية - الكناسية الأحمدية - المرازقة - المنايفة .

٢ - البرهامية وفروعها هى :

البرهامية - الشرنومبية البرهامية - الشهاوية الرهامية .

٣ - الخلوتية وفروعها :

البكرية الخلوتية - التفتازانية الخلوتية - الخضرية الخلوتية - الدمرداشية الخلوتية - الرحمية القنائية - السمانية الخلوتية - الصاوية الخلوتية - الضيفية الخلوتية - المروانية الخلوتية - المسلمية الخلوتية - المصيلحية الخلوتية - المغازية الخلوتية - الهراوية الخلوتية .

٤ - الرفاهية وفروعها هى :

العزازية - الرفاعية .

٥ - السعدية وفروعها هى :

السعدية - الشيبانية - التغلبية .

٦ - الشاذلية وفروعها هى :

الادريسية - الجوهرية - الحامدية - الحمدوشية - السلامية - العروسية - العزامية - العفيفية - الفيضية - القاسمية - القاوقجية - المحمدية - المدنية الميرغنية - الختمية - الهاشمية - الوفائية .

٧ - السادة العنانية :

٨ - القادرية وفروعها هى :

الفرضية - القاسمية .

هذا عدا طرق أخرى أقرها المجلس الصوفى مرئياً ، وعدا طرق لا يزال لها مرشحون ولم تشغل بعد وجميع هذه الطرق يرأسها المجلس الصوفى الأعلى .

(٢) أشهر أعلام التصوف من ١٩٥٢ - ١٩٨٠م :

الشيخ حسونة النواوى .
الشيخ سليم البشرى المالكى .
الشيخ محمود الدينارى .
الشيخ عبد الحليم قادوم .
الشيخ محمد عبد الله أبو النجا .
الشيخ السيد محمد خفاجى الدمياطى .
الشيخ حسين والى .
الشيخ محمد بخيت المطيعى .
الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى .
الشيخ محمود خطاب السبكى .
الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى .
الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى وغيرهم .

أشهر أعلام التصوف فى الفترة الزمنية للبحث :

ـ المرحوم السيد العلامة المحدث العارف بالله الشيخ سلامة العزامى النقشبندى

ـ العلامة الصوفى الداعية إلى الله السيد محمد الحافظ النجاتى شيخ الطرق التيجانية .
ـ الشيخ الواصل نجم الدين الكردى
ـ الشيخ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش .
ـ رائد العشيرة المحمدية فى مصر سماحة الشيخ محمد زكى إبراهيم .
ـ سماحة شيخ الطريقة التفتازانية الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

المنهج المتبع فى الإنتساب إلى الطرق الصوفية بمصر :

يحدثنا صاحب جامع الأصول عن كيفية الأخذ والإنتساب إلى الصريق فيقول : أعلم أن الأخذ والانتساب إلى الطرق على أربعة أقسام . أحدها أخذ المصافحة والتلقين للذكر ، ولبس الخرقة ، والعذبة للتبرك أو للنسبة أيضا فقط .

وثانيها أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعاينها وهو يكون للتبرك أو للنسبة أيضا فقط .

وثالثها .. حل كتبهم لإدارك معانيها لذلك فقط .

ورابعها .. أخذ تدريب وتهذيب وترقى فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والغناء فى التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده . وعلى هذا المعول أكثر الطرق .

ويصح الإنتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ، ولو فى شيء يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلى من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

ومن ذلك نلاحظ أن المنهج الآن فى كل الطرق هو أخذ العهود على المريدين بعد إستتابتهم عن المعاصى ، وبعد أخذ العهد على المريد يمضى فترة فى الطريقة حتى يكمل فيجيز شيخه المباشر الذى هو خليفة الطريقة ، فيطلب عندئذ من شيخ الطريقة إعطاء هذا المريد أجازة الطريق ، وهى شهادة تحتوى تاريخ الطريقة وأسانيدها ، وتشهد بأن هذا المريد أصبح قادراً على إرشاد غيره من المريدين وإعطائهم العهود .

والملاحظ أن هذه الطريقة لأخذ العهود على المريدين هى نفس الطريقة المتبعة تقريباً فى القرن السابع الهجرى . فكما أوضحنا سابقاً أن الطريقة انتهت فى القرنين السادس والسابع الهجريين والقرون التالية لهما إلى أن ، أصبحت عهدا بين شيخ ومريد على التوبة والإستقامة .

غير أنه بعد القرون التالية للسابع الهجرى قد زاد على ذلك العهد السفهى تلك الشهادة

المطبوعة التى تشهد بأن المريد أصبح قادراً على إرشاد غيره من المريدين وعلى إعطائهم العهود أو ما يسمى أجازة الطريق .

(٣) عبد الناصر والطرق الصوفية :

كان للطرق الصوفية فى المجتمع المصرى عبر تاريخها الطويل ، والذى بدأ مع مقتل الإمام الحسين بن على بالعراق ورحيل أهله إلى مصر ، ونشأة المتشيعين لهم والمتباكين على مقتل الإمام الحسين[1] ، أثر سياسى وأجتماعى مهم فى تشكيل الشخصية المصرية وبالذات فى القرى المصرية وفى الأوساط الشعبية المصرية ، وخاصة إذا علمنا أن عددها فى مصر قد بلغ ٦٧ طريقة صوفية تحتوى ٦ ملايين مواطن بالإضافة إلى الأشكال والتنظيمات المساندة لحركتها[2] .

ولعبت الطرق الصوفية خلال القرن الحالى دوراً مزدوجاً فى قضايا الديمقراطية والإستقلال والتنمية والصراع الخارجى ، إذ يتميز دورها فى أغلبه بالتبرير لسياسات الحاكم والمساندة الروحية له من ناحية ، كما تميز بكونه أداة ضابطة لممارسات السلطة وخاصة تجاه بعض الأمور الدينية كقضايا الأحوال الشخصية من ناحية أخرى ، وكان للقدرات التى تتمتع بها الطرق الصوفية فى التأثير على اتباعها وخاصة فى توجيه طاقاتهم السياسية وجهة صوفية بعيدة نسبياً عن أساليب العنف والرفض التى ميزت التايرات الدينية الأخرى ، وبالأخص الإخوان ، المسلمين ، ولقد قوبلت هذه الدعوة باقبال متزايد من الجماهير ، ويعود ذلك إلى عوامل متعددة ، تأتى فى مقدمتها المعاناة الإقتصادية والقهر السياسى ، وبعض الموروثات الثقافية القديمة منذ عهد الفراعنة ، وجميعها ولدت تجاوبا ماهيرياً مع هذه الطرق ، ويمكن تلمس أبعاد العلاقة بين النظام السياسى الناصرى والطرق الصوفية من خلال مستويين من التحليل .

الأول : فكرى ويحدد مدركات الطرق الصوفية إتجاه القضايا السياسية الملحة فى هذه الفترة والتى تحدد بالتالى موقفهم الفكرى أو النظرى من النظام السياسى .

---

(١) بتفصيل أكثر انظر :
د. سيد عويس : الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١) ص ٤٨ - ٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

الثانى : عملى ويشير إلى المواقف العملية للطرق الصوفية خلال هذه الفترة إتجاه القضايا والأزمات السياسية وقتها .

١ - المستوى الفكرى :

يمكن تلمس أبعاد هذا المستوى من خلال تحليل رؤية الطرق الصوفية لكل من القضايا الداخلية الإ تماعية والسياسية كالإشتراكية والديمقراطية والقضايا الخارجية السياسية كالقومية العربية والمواجهة مع الصراع الخارجى .

أما بخصوص القضايا الداخلية فقد كان للطرق الصوفية موقف مؤيد للنظام السياسى الناصرى إتجاه أغلب هذه القضايا ، وإن بدا فى بعض الفترات القليلة أن للطرق الصوفية موقفها المخالف لتوجهات النظام فإن هذا لا يخفى التوجه العام الذى ميز رؤيتهم فالأشتراكية تمثل لدينه :

نوعاً من السمو بكرامة الموطنين جميعاً ، ولقد وجهت الجمهورية العربية شطراً من عنايتها لتقريب المسافات بين غنيهم وفقيرهم ، حتى يكون الجميع سواء فى حق الحياة وحتى تتوثق الرابطة بيهم ، ومن المعلوم أن هذه النقطة أساسية فى برنامج الإسلام فقد حض على البذل ووضع الثروة فى مكانها من عدد الحياة ، وحذر من كنز الأموال ، ومن الأغنياء السبل إلى الإيثار والإعطاء ، وأبعد عن الفقراء شعور الحرمان ومرارة العوز وجهود الخلفاء فى تعهد هذه الناحية فى الرعية معلومة[١] .

والإشتراكية الصوفية ليست دعوة إلى تقنين الإلحاد أو للتحلل من بعض قيمنا الخلقية والتى نعتز بها كمسلمين وكعرب بل وكبشر « فإن إشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة ، فاضلة لا فاجرة ، اشتراكية قوم يأمرون بالمعروفة ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله[٢] وعبد الناصر لديهم هو :

قائد البعث العربى وموجه تاريخنا ، ومحرر الشعب العربى من آثار المواريث الرجعية ومن قيود الطبقية والاستغلالية وهو الذى وقف ليعلن حق الإنسان فى حياة فاضلة ، وفى

---

(١) د. محمد خلفالله أحمد : الخطوط الكبرى للنهضة الإسلامية ، مجلة الإسلام والتصوف ، سبتمبر ١٩٦١ (مجلة شهرية تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية - الاقهرة) ص ١٦ - ١٧ .

(٢) سعيد حمزة مكرم المحامى : اشتراكينا مؤمنة لا ملحدة : مجلة الإسلام والتصوف ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

عمل شريف وفى مجتمع تتكافأ فيه الفرص وتتساوى فيه الأقدار وتتعاون فيه الطاقات ، مجتمع يسير على تخطيط هادف وعلى منهج محرر يستهدف التوازن ، الإقتصادى والعدل الإجتماعى والبعث والإنطلاق للقوى الشعبية العاملة[1] .

وتصل قيمة العدل لدى الطرق السوفية إلى قمتها عندما يصبح هو جوهر الرسالة الإسلامية وهو مفتاح السعادة للبشر[2] ، وهو ما يتمشى فى واقع الأمر مع رؤية النظام السياسى وقتها . وإشارات الكتابات إلى قضية التعليم ، وضرورة التربية الدينية للطلاب ، وأن تحتوى المناهج التعليمية على الجرعة الدينية الكافية ، وهنا تطالب الطرق بأن على « السادة المربين أن يوجهوا نظر تلاميذهم إلى الأنوار المتلألئة فى آيات القرآن الكريم ، وأن يعلموا تلاميذهم أن كتاب الله كتاب هداية ربانية وحياة إنسانية إيجابية مثالية والحديث لشيخ مشايخ الطرق الصوفية محمد علوان[1] .

وواجب طالب العلم فى أدب الطرق الصوفية أن ينظر للعلم نظرة تقديس وإجلال وإحترام وأن يعلم أن العلم جهاد للكمال وأن طاعة الله تعين على العلم وإن رياضة الروح تفتح عين القلب ، وعين العقل ، وإن العلم إذا وصل إلى نفس شريرة غدا شراً على نفسه وعلى الإنسانية كافة ، فالعلم فى الإسلام ليس بمهنة أو حرفة أنه رسالة ولهذه الرسالة أهداف إنسانية ، وطلب العلم فى نظر الإسلام جهاد فى سبيل الله[1]

ويلاحظ على موقف الطرق الصوفية من قضية التعليم أنها تعمدت إغفال دور الدولة ، وركزت الحديث على طالب العلم وعلى المعلم ، وعلى رسالة العلم ، أما دور النظام السياسى فى هذه العملية ، فلم تشر إليه أدبيات الصوفية . ولقد واكب الدعوة للعلم هذه

---

(١) محمد علوان : الرسالة ، مجلة الإسلام والتصوف ، نفس المصدر ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) عبد المنصف محمود عبد الفتاح : (العدل مفتاح السعادة ، مجلة الإسلام والتصوف (نوفمبر ١٩٦٠) ص ٥٧ - ٦٠ .

(١) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية به فى مدارسنا وحياتنا ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ٦٠) ص ٣ - ٦ .

(١) محمد محمود علوان : التصوف والتربية الخلقية فى مدارسنا وجامعاتنا ، مجلة الإسلام والتصوف (سبتمبر ١٩٥٨) ص ٣ - ٦ .

دعوة موازية إلى تخليص المجتمع من الخرافات ، وبالأخص تخليص الطرق الصوفية مما علق بها من شوائب ودعوات لا تمت إلى صلب منهجها بصلة[٢] .

أما بخصوص علاقة الحاكم بالمحكوم فتشير بعض الكتابات إلى أنه قد بنى الحكم فى الإسلام وفق أسس واضحه .

* بنى الحكم فى الدولة الإسلامية على أساس العدل والمساواه وأن يكون اختيار الحاكم على أساس الشورى وحكمه على أساس الشورى ، كما أن على الحاكم أن يلاحظ مصلحة الجماعة المادية والأدبية فلا يرهق أحداً من أمره عسراً ، ودعا إلى رفق الوالى برعيته ، وإن على الحاكم أن يحمى المجتمع من الرذائل والمفاسد .. وهكذا نجد تلك النصوص قد أقامت المجتمع فى الدولة الإسلامية التى تضم المسلم وغير المسلم على أساس من العدالة والرفق والشورى والمصلحة والتعاون ومنح الفساد والآثام التى تفتك بالمجتمع[٢] .

وهى ذات الدعوة التى طالبت بها الطرق الصوفية عند الحديث عن وضع الدستور الجديد حيث ينبغى أن ينص الدستور على أن يكون مصدر قوانينا وتشريعاتنا الإسلام وما يتلاءم مع أهدافه وغاياته[١] .

وفى هذه القضية نرى تأكيد الطرق الصوفية على مسألة العموميات حيث لا نجد تفاصيل لعملية تنظيم المجتمع إسلامياً ، وحيث ما يهم هو الإشارة إلى أن الإسلام الدين الرسمى للدولة دونما تحديد للكيفية التى يتم بها هذا ، ولم يكن فى أى من هذه ما يتناقض مع التوجيها الفكرية العامة للنظام السياسى .

أما بالنسبة للقضايا الخارجية فقد كان للطرق الصوفية رؤيتها إتجاه بعض القضايا التى عاشتها مصر إبان الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) ، وكانت قضية القومية الحربية من أهم القضايا التى شغلت القوى الدينية والسياسية على إختلافها ، وكان للطرق الصوفية رؤيتها

---

(٢) د. عبد الحليم محمود : تحضير الأرواح والتصوف والتحلل من الشريعة ، مجلة الإسلام والتصوف (نوفمبر ٥٩) ص ٦٢ - ٦٦ . كذلك حديث مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٤٨ - ٥٠ .

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : المجتمع الإسلامى ومصادر تنظيمه ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(١) فوزى عرفة : بعث وانبثاق : مجلة الإسلام والتصوف (مارس ١٩٦١) ص ٦٤ .

إتجاه هذه القضية حيث :

* العروبة التى ننادى بها ليست حركة جنس أو لون إنما حركة بعث لأمة كبرى تحتل أخطر منطقة فى الكوكب الأرضى وتمثل أرضها قلب العالم النابض وتمثل فوق هذا كله ، إنها أرض النبوات والرسالات ، أرض الإشعاع الروحى الذى تهفو إليه الإنسانية ، وتزود منه بيقينها وإيمانها ، إنها حركة مبادىء تستند إلى مواريث خادلة ، وتصور لوناً من الحضارة المؤمنة ، وتقدم منهجاً لأمن الإنسانية وسعادتها وأخوة الإنسان وتعاونه مع أبناء البشرية كافة[١] .

وقراءة الطرق الصوفية للتاريخ العربى نبهتهم إلى ثلاثة عوامل كان له أثرها فى نشأة القومية العربية الأول مما كان بين صحراء الجزيرة والبيئات المجاورة لها من اتصال فى القديم ، والثانى : السبق الحضارى الذى جعل من بعض بلاد تلك المنطقة تربة صالحة لنمو مدينة عالمية راقية ، والثالث الدين الذى أضفى على تلك المنطقة صفاء وروحانية ووضع لها أصول نهضة تشريعية وفكرية جديدة ، وأمدها – كما يقولون – بالإدارة الثقافية الضرورية للرقى الفكرى والإجتماعى وهى اللغة الخصبة الموحدة[٢] .

وتأكيداً لمواكبة الفكر الصوفى لتطورات قضية القومية العربية والوحدة نشرت مجلسة الإسلام والتصوف تفصيلاً لعلاقة مصر بالبلدان العربية المجاورة كالسودان وتونس والجزائر واليمن وحجم نوعية العلاقة بينهم[١] .

وكان للطرق الصوفية موقفها الفكرى أيضاً إتجاه المواجهة ضد العدوان الخارجى وتبدى هذا فى إعلانها على لسان شيخ مشايخ الطرق الصوفية إبان العدوان الثلاثى على مصر بأن :

اليوم الأمة العربية تدوى من حولها العواصف ويتربص بها جبابرة عتاة بغاة فيا أيها المتصوفة فى كل مكان ، إن عبادة الله لا يستقيم ميزانها إلا بالجهاد فى سبيل الله ، فى سبيل خير أمتكم ، ورفاهية شعبكم وحماية وطنكم[١] .

(١) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية : مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) ص ٤ .

(٢) د. محمد خلف الله محمد : الإسلام والقومية العربية ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٢٢ .

(١) يراجع : الباب الثابت « اعرف بلادك العربية » مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى والثانية/ عامى ١٩٥٩/٥٨ – ١٩٦٠/٥٩ .

(١) محمد محمود علوان : الروح والصوف والسلاح السرى للعالم الإسلامى ، مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٥ .

ويدعوهم بوضوح إلى أن يتقدموا الصفوف ، صفوف المجاهدين بأخلاقهم وإيمانهم وإيثار قلوبهم وصدورهم[٢] . وعند الاحتفال بالإنتصار الذى قاده عبد الناصر يصبح هذا الإنتصار عيداً للأنسانية وللحرية العالمية ، وللتحول التاريخى[٣] وهى ذات المواقف التى تبدت أثناء أزومة ١٩٦٧م التى إعتبرتها الطرق الصوفية شكلاً من أشكال المواجهة مع أوربا ، ودعت إلى إستقاء خبرة صلاح الدين الأيوبى نتيجة تماثلها مع إحداث الفترة التيعاصرت مواجهة واضحة مع الغرب ممثلا فى الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائها[٤] .

٢ - المستوى العملى :

فى سبتمبر ١٩٥٩م وجه الشيخ - محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية - بياناً إلى الأمة العربية قال فيه « إن معركة القومية العربية الدائرة الراحى الآن فى العراق ليست معركة العراق وحده بل هى معركة العالم العربى كافة وندد بالنكسة الرجعية وحمامات الدم ، وأكد أنها تشكل خطراً على الكيان العربى كله وعلى مقدساته وعقائده وميراثه الروحى العالمى[١] ، وفى الوقت نفسه دعا المجلس الصوفى الأعلى ، الطرق الصوفية إلى منع النساء من حضور حفلاتها المختلفة ، وكذلك أى مظهر من مظاهر الشعوذة[٢] .

وكانت هناك نوايا إلى إعادة تجميع الطرق الصوفية التى وصلت إلى ٦٠ طريقة تضم ٣ ملايين مواطن فى عام ١٩٦٣م تحت تنظيم جديد وبأهداف جديدة تتفق وقم المجتمع الإشتراكى وأن يقضى هذا التنظيم كما نوه رئيس المجلس الصوفى الأعلى بإنشاء مراكز ثقافية توجيهية لتدريب رجال الطرق وتجريد التقاليد الصوفية مما علق بها وتنظيم كتائب للخدمات الدينية والإجتماعية النافعة للشعب[١] .

وإبان أحداث الصدام بين النظام السياسى والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م ، كانت الطرق الصوفية إلى جانب النظام ، حيث أصدر الشيخ محمد محمود علوان بياناً فى مولد الإمام الرفاعى أعلن فيه أن رسالة التصوف هى الدعوة إلى الأمن والسلام ومحاربة أساليب

---

(٢) المصدر السابق .

(٣) محمد محمود علوان : أعياد المجد والبناء ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٥ .

(٣) انظر د. عبد الحليم محمود : أوربا والإسلام : مجلة التصوف والإسلام (فبراير ١٩٦١) ص ٢٢ - ٢٥ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٩/٢٤ .

(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٤ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٣/٩/٨ .

العنف والإرهاب وإن الإسلام حرم التآمر فى الخفاء والمفاجأة بالإثم والعدوان[1] وقبل الإحتفالات بأعياد الثورة كان للطرق الصوفية موقفها أيضاً حين أصدر شيخها أمراً ينوه فيه حول ضرورة أن يكون الإحتفال مهيبا ويتفق وجلال المناسبة[2] .

وكان لابد أن تصدر محاولات شتى لتطوير النظام الداخلى للطرق الصوفية ، وإن كانت فى أغلبها لم تأت بنتيجة عملية إلا على عهد السادات (عام ١٩٧٦م) ، مثل ذلك المؤتمر الذى عقدته الطرق الصوفية بالمقر الرئيسى للإتحاد الإشتراكى لمناقشة تطوير الطرق الصوفية فى ظل النظام الإشتراكى ، وقدم شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى ، بداية المؤتمر اللائحة الجديدة المعدلة لكمال الدين رفعت أمين الدعوة والفكر بالإتحاد الإشتراكى ، وأعلن شيخ مشايخ الطرق الصوفية تظهير صفوف رجال الطرق الصوفية من كل العادات والبدع التى تتنافى مع الإسلام ، كما أعلن عن إنشاء لجان شئون العالم الإسلامى رسالتها الإتصال بجميع الطرق الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى (وجمعها على كلمة الله فى إطار الإيمان والعمل الصالح لخير المجتمع الإسلامى)[1] .

وطالب كمال الدين رفعت - فى الإجتماع نفسه - أعضاء المؤتمر من رجال الطرق الصوفية بضرورة الإهتمام بالتوجيه الدينى الصحيح للشعب فى أنحاء الريف ، وقال إن الدين ليس أرثا وإن العمل أساس الجزاء فى الدنيا والآخرة ودعا إلى محاربة التعطل بالوراثة أو التكسب واستغلال إسم الدين وترك التواكل والسلبية والعمل الإيجابى المستمر[2] وتواصلاً مع الدور السياسى للطرق الصوفية أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بياناً فى إبريل ١٩٦٧م يستنكر فيه المؤامرات الرجعية للملك فيصل وشاه إيران والملك حسين والرئيس بورقيبة[3] .

وقبل النكسة - يونيو ١٩٦٧م - بأيام قليلة ، وتحديداً فى ١٩٦٧/٥/٢٧م ، أصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية بياناً مهما يبرر فيه إصدار الرئيس عبد الناصر أوامر لقوات الطوارىء الدولية لتنسحب من سيناء ، وإغلاق خليج العقبة ، وفسر هذه القرارات المهمة بقوله :

---

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٥/١٠/١ .
(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٧/٢٣ .
(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/١١/٢٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الأهرام بتاريخ ١٩٦٧/٤/١٢ .

* إنى أريد أن أوضح لكم - يقصد هنا أفراد الطرق الصوفية - أهمية هذا القرار بغلق خليج العقبة فى وجه إسرائيل ، ولماذا فقدت صوابها وترنحت من حول اللطمة .. ذلك لأن لهذا القرار نتيجتين مهمتين : الأولى .. أن سفنهم ولاسيما حاملات البترول ستضطر للمرور حول أفريقيا عن طريق جبل طارق ثم تجتاز هذا البحر كله عرضاً حتى تصل إلى موانيهم ، وهى تستغرق ما بين أسبوعين أو ثلاثة وتحتاج السفن إلى إستهلاك وقود يزيد على ثلاثة أمثال ما كانت تستهلكه لو أنها مرت عن طريق العقبة القصير ، الثانية .. أن خط أنابيب البترول الذى مدوه من خليج العقبة إلى حيفا وغيرها على البحر المتوسط قرار تاريخى يتعطل عن العمل ويأكله الصدأ .. إن هذا القرار تاريخى عظيم جعله الله حسرة فى قلوبهم ، وختم به على أفئدتهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم .. وإن أرادوها قارعة فنحن والعرب والمسلمون لها . وأسودنا واقفة تتحرق شوقاً إلى الأمر بالإنطلاق وراء العدو[1] .

ويحدد المطلوب الآن من الطرق الصوفية فى ثلاثة مطالب : الأول أن تثق بالقيادات ثقة قوية مضاعفة ، والثانى أن يأخذ كل منهم مكانه فى الحرس الوطنى أو الدفاع المدنى والثانى أن يكرروا ما صنعوه بالعدو إبان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م من صلابة وشجاعة وإيمان[2] .

وتأتى أحداث النكسة لتخلق واقعاً مغايراً للذى ابتغاه شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى رسالته إلى أبناء الطرق جميعا ، وهو الواقع الذى اتسم بتوجيه الإنتباه إلى أهمية المسائل الروحية ، وأهمية أن يجمع الطرق الصوفية التى وصل عددها إلى ٦٠ طريقة ، طريق واحد وفقاً ، لرؤية شيخها الجديد[1] وتتأخر مؤقتاً المسائل ، السياسية فى برامجه ، والتى وصلت أوجها كما سبق القول قبل إحداث النكسة بأيام قليلة .

وفى ديسمبر ١٩٦٧م سار أكبر موكب صوفى رسمى فى مصر تأييداً للقيادة السياسية فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧م ما يؤكد على إستمرارية دورها القديم فى تأييد النظام السياسى وخاصة فى أوقات الأزمات السياسية الداخلية أو الخارجية .

---

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

(١) أول حديث للشيخ مصطفى الطوخى ، الشيخ الجديد للطرق الصوفية ، الأهرام بتاريخ ١٩٧٠/٥/٢٢ .

وهكذا فمن واقع أفكار وممارسات الطرق الصوفية يتبين أنها بتنت سياسات أتت فى أغلبها مؤيدة للنظام السياسى وإن بدا فى الأفق خلافة حول بعض الأمور الدينية الخاصة بالأحوال الشخصية وهذا ما حدا بالنظام السياسى إلى عدم الأخذ بمشروع القانون الخاص بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية - كما سيرد - فى إبريل ١٩٦٧م .

ولقد كانت للطرق الصوفية مواقفها الواضحة إبان أزمات الصدام مع الإخوان المسلمين ، إبان عدوان ١٩٥٦م وقبل وبعد هزيمة ١٩٦٧م ، فكانت مؤتمراتها تعكس هذا الموقف المؤيد للنظاه السياسى .

خامساً : عبد الناصر .. والفيلم الدينى :

ثمة جوانب هامة ومعقدة بالنسبة لمن تناولوا التجربة الناصرية ، وبخاصة فى مجال إشكالية الدين ، وذلك هو مجال الفيلم الدينى ، وما أنجزته الفترة الناصرية فى هذا المجال .

سوف نقدم هنا نظرة إحصائية شاملة لعلها تفى بسد النقص فى مجال هام لمن يؤيدون أو يهاجمون التجربة الناصرية من منظور إهتمامها بالأمور الدينية ، ترى ماذا قدم عبد الناصر فى هذا المجال .

* يمكن محورت ما قدم فى هذه الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) برصد ما يلى :

أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة .

ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينمائية .

ج - الأفلام التسجيلية الإسلامية التليفزيونية .

د - الأفلام التسجيلية القبطية .

وكل من هذه المجموعات الأربع مرتبة حسب سنة الإنتاج .

نبذة عن كل فيلم من الأفلام الروائية :

١ - بيان الأفلام :

أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة :

عنوان الفيلم	المخرج	سنة الإنتاج
صلاح الدين الأيوبى	إبراهيم لاما	١٩٣١م

ظهور الإسلام	إبراهيم عز الدين	١٩٥١م
انتصار الإسلام	أحمد الطوخى	١٩٥٢م
بلال مؤذن الرسول	أحمد الطوخى	١٩٥٣م
السيد البدوى	بهاء شرف الدين	١٩٥٣م
بين الله الحرام	أحمد الطوخى	١٩٥٧م
خالد بن الوليد	حسين صدق	١٩٥٨م
الله أكبر	إبراهيم السيد	١٩٥٩م
وا إسلاماه	أندرو مارتن	١٩٦١م
شهيدة الحب الإلهى	عباس كامل	١٩٦٢م
رابعة العدوية	نيازى مصطفى	١٩٦٣م
الناصر صلاح الدين	يوسف شاهين	١٩٦٣م
هجرة الرسول	إبراهيم عماره	١٩٦٤م

ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينمائية :

من الحاكم بأمر الله إلى الصالح طلائع	حسن توفيق	١٩٥٦م
المراحل	حسن توفيق	١٩٥٧م
فى رحاب الإسلام	واصف عزيز	١٩٥٧م
كنوز الفن الإسلامى	ولى الدين سامح	١٩٦٠م
الأزهر الشريف	عدلى خليل	١٩٦٥م
رمضان كريم	محمد قناوى	١٩٦٧م
١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم	أحمد راشد	١٩٦٨م
١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم	عبد القادر التلمسنى	١٩٦٨م
الأزهر فى ألف عام	حسن رضا	١٩٦٩م
مولد السيدة	مصطفى محرم	١٩٧٠م

جـ - الأفلام التسجيلية الإسلامية التليفزيونية :

وتشمل مجموعات من الجوامع والمساجد :

السلطان حسن والقنائى أوب الحجاج وسنان باشا	دويدار طاهر
إبـراهيم الـدسوقى ومـقسيس أبـو الـريش	مراد الخولى
قايتبــاى والنــاصر محمــد	على الغزولى
المرسى أبو العباس والبوصيرى وسيدى جابر	أحمد مندور
المؤيــد والسيــدة زيــنب	عبد الحميد أحمد
الإشراف برسباى والعـارف بـالله والعتيـق	مهاب مرزوق
المتولى وسيدى شبـل والأحمدى والوزيـرى	كريم ضياء الدين
قــلاوون والأقمــر	روحية شهاب
عبـد الـرحمن لطفـى والعبـاسى	محمد سامى عطاالله
الحاكم وكانى بـاى الرمـاح	كمال أبو العلا
الحسين والأزهـر والغـريب	محمد السعيد يوسف
الملكـة صفيـة وبرقـوق	سالم سالم
الإمـام الشافعـى والجردانى	محمود سرى

د - الأفلام التسجيلية القبطية :

عنـوان الفيلـم	المخرج	سنـة الإنتـاج
رحلة إلى دير درونكا بأسيـوط	فريـد المزاوى	١٩٤٩م
الأب اليـاس	حسن رضا	١٩٥٧م
هروب العائلة المقدسة	ولى الديـن سامح	١٩٦١م
دير سانت كاتريـن	عبد القادر التلمسانى	١٩٦١م
المتحـف القبطـى	ولى الديـن سامح	١٩٦٢م
دير سانت كاتريـن	سعديـة غـنيم	١٩٦٢م
جبـل مـوسى	سعديـة غـنيم	١٩٦٢م
أجـراس السلام	رمسيس نجيب	١٩٦٥م
عيـد الميرون	يـوسف شاهين	١٩٦٧م
عيـد السعـف	محمـد قنـاوى	١٩٦٨م
مـرقص الـرسول	إحسان فرغـل	١٩٦٩م
عيـد القيامـة	مينـاس نصر	١٩٦٩م

* وبعد أن هذه الإحصائية التى قدمناها مجردة ، وعامة نقدمها أملين أن تفيد فى إعادة تقييم الإهتمام بمسألة الدين فى مجال الإعلام السينمائى الناصرى .

سادساً : عبد الناصر وحركة بناء المساجد :

بداية يهمنا الإشارة إلى أن المسجد أو رسالته فى الإسلام تحدد فى الآتى :

(أ) أنه مكان الصلاة .
(ب) أنه مكان لذكر الله .
(ج) أنه مكان الإعتكاف .
(د) أفضل مكان لمدارسة القرآن وتعليم أحكام الله .
(هـ) دار الشورى .
(و) دار الإفتاء .
(ز) دار القضاء .
(ح) دار لعقود القرآن .
(ط) دار للإغاثة والرعاية الإجتماعية والصحية .
(ى) مكان لإستقبال الوفود والسفراء .
(ك) مكان لتجميع الجيش عند الزحف فى سبيل إعلاء كلمة الله .

كانت تلك هى الوظائف القديمة .. أما الآن فقد أقامت الدولة المؤسسات التى تختص ببعض هذه الوظائف وهى مؤسسات لا علاقة لها فى الغالب بالمسجد (كالجيوش والقضاء والمجالس النيابية) وكان العهد الناصرى سباقاً إلى هذا التحييد لدور المسجد .

ومع التطور التاريخى سرعان ما أضيفت إلى المسجد كلمة الجامع وصار له وظيفة أخرى من أسمى وأجل الوظائف بعد أن أصبح مقراً لإجتماع علماء التفسير والحديث والفقه واللغة العربية ، فصار مركزاً للدراسات الدينية واللغوية والأدبية ، تعقد فيه الحلقات الدراسية . وبمضى الأيام ربزت الصفة الدراسية للمسجد الجامع بروزا واضحاً قوياً فى وقت لم تكن قد أنشئت فيه بعد معاهد العلم المخصصة للدراسة فقط والتى تناثرة فى أرجاء العالم الإسلامى فيما بعد . وبذلك كان المسجد الجامع مركز الإشعاع الفكرى فى المدينة التى قام فيها .

والمسجد الجامع الذى لا يزال مرتبطا بالقديم من حيث الوظائف الدينية التى يؤديها هو الأزهر الشريف .

والحكومة فى مصر تعرف عنه هذه الحقيقة ، ومن أجل هذا أولته من العناية والسيطرة ما جعلها تلقب أحد الوزراء فيها بوزير الأزهر والأوقاف ، وما جعلها تصدر القوانين فى شأنه ، وتحدد له من المسئوليات ما يجب عليه أن يقوم بها .

والقوانين التى تحدد شخصية الجامع الأزهر فيما يتصل بعملية المسح الدينى هذه هى :

(١) قانون عام ١٩٣٦م الذى صدر فى عهد مشيخة المراغى ، والذى ألغى العمل فى الأزهر بقانونى عام ١٩٢٣م ، عام ١٩٣٠م .
(٢) القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها . والذى سبق شرحه وتحليله أثاره وردود الفعل عليه .

ولكى نرصد حركة بناء المساجد فى العهد الناصرى نقدم الجدول التالى عله يفى بالغرض :

جدول بتوزيع المساجد الحكومية والأهلية على مستوى المحافظات مع نهاية العهد الناصرى

المحافظة	عدد المساجد الحكومية فى عام ١٩٧٠م	عدد المساجد الأهلية فى عام ١٩٦٤م
القاهرة	٥٤٠	٢١٨
الإسكندرية	١٧٨	١٧٢
بور سعيد		٢٧
السويس	٦٨	٦٠
الإسماعيلية		٢١٨
دمياط	٨٩	٨٦
الدقهلية	٣١٨	١٢١٧
الشرقية	٢١٧	١٧٨٧
القليوبية	١٥٤	٤٨٢
كفر الشيخ	١٥٤	٦٣٢

الغربيـــــــة	٢٥١	٧٥٩
المنوفيـــــة	١٩٥	٩١٥
البحيـــــرة	٢٤٩	٨٣٥
الجيـــــزة	٩٨	٤٥٧
بنى سويـف	١٤٤	٤٢٥
الفيـــــوم	٩٦	٥٧٥
المنيــــا	٢٠٧	٨٧١
أسيـــــوط	١٧٢	٧٨٢
سوهـــاج	١٣٠	١٩٨٣
قنـــــا	١٢٢	١٣٧٠
أسوان	٧٦	٢٥١
سينـــــاء		١٧
الــــوادى		
الجديـــــد		
البحر الأحمر		٦
مـــــرسى		
مطـــــروح		
الإجمالـــى	٣٥٥٨	١٤٢١٢

سابعاً : عبد الناصر وموقع الدين فى قضايا التطور الإجتماعى :

يكتمل موقف النظام السياسى تجاه قضية الدين والدولة خلال الفترة (١٩٥٢م – ١٩٧٠م) بتحليل موقفه إزاء بعض قضايا التطور الإجتماعى المهمة والتى مثلت قضايا حيوية لا تكتمل الدراسة دونما الإحاطة بها ، ويأتى فى مقدمة هذه القضايا : قضية التعليم ، وقضية الأحوال الشخصية وما يتفرع عنها من قضية المرأة ، وتحديد النسل وقوانين الأحوال الشخصية ، ومن ثم سوف يتناول هذا المبحث بالتحليل :

أولا : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م – ١٩٧٠م) :

ثانياً : الدين وقضايا الأحوال الشخصية خلال نفس الفترة .

أولا : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) :

نظر النظام السياسى لقضية التعليم كجزء من عمليات التنمية الإجتماعية التى واكبت حركته بامتداد الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) وكان لعبد الناصر رؤية الخاصة تجاه هذه القضية التى توزعت على مستويات ثلاثة : مستوى أول ، التعليم فيه يمثل أداة لتحقيق تكافؤ الفرص بين قطاعات المجتمع والقوى المختلفة حتى لا يحدث ما أسماه عبد الناصر بالإنفصال بين الشعب والمثقفين « إن من دخلوا الجامعة وجدوا الفلصة التى لم يجدها الآخرون ، لم يجدها العامل ، ولم يجدها الفلاح ، لم تجدها الغالبية العظمى من هذا الشعب ، إذن على من دخل الجامعة وعلى من يعمل فيهخا مسئولية كبيرة تجاه الشعب حتى تنصهر هذه العوامل التطبيقية التى تنبثق فى قلوب الناس[(١)] .

ومستوى ثان يصبح التعليم فيه أداة لعملية التنشئة السياسية ، وخاصة أن المجتمع يعيش عمليات تغيير اجتماعى ، وتحديث ثورى ، ولابد أن تتواكب معها جميع أدوات عملية التنشئة السياسية والتى يأتى التعليم فى مقدمتها ، وفى هذا المعنى يذهب إلى أن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ، فمن هنا يبد الدور العظيم الذى لابد للجامعات ومراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقم به[(٢)] .

ومستوى ثالث يصير التعليم فيه أداة من أدوات الحراك الإجتماعى ، فيساهم التعليم - من وجهة نظر عبد الناصر - فى التفاعل بين الطبقات القائمة ، وتكوين طليعة من المتعلمين والمثقفين المنتمين لكل هذه الطبقات والتى كانت أول من أيد الثورة فى بداياتها[(٣)] .

وداخل قضية التعليم أدرك النظام السياسى الموقع الخاص للدين ، فاحتل خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) أهمية ورعاية خاصة ، تبدى ذلك فى مجمل سياسات وقرارات النظام السياسى التعليمية ، وفى حجم المادة التعليمية المقدمة ، ونوعيتها ، ولمعرفة هذا الموقع الذى احتله الدين ، سوف نعالج العملية التعليمية خلال الفترة موضع البحث من خلال حجم ونوعية مادة التربية الدينية والتاريخ ، مقارنة بإجمالى المادة التعليمية المقدمة مع مقارنات بين الفترات الزمينة ، وبين المستويات التعليمية المختلفة (الإبتدائى - الإعدادى - الثانوى) ،

---

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٧

(٢) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٧م .

(٣) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

وعليه فسوف تكون مادتا التربية الدينية والتاريخ هما المتغيران الأصيلان فى تحديد موقع الدين فى العملية التعليمية ، ويعود اختيار مادتى التربية الدينية والتاريخ إلى أهميتهما فى تحديد رؤية النظام السياسى لأحداث وخبرات التاريخ فى بعدها الإسلامى أو الدينى ، وأيضا فى معرفة طبيعة ودور الدين فى حياة المجتمع المصرى ، وكيفية توظيف هذا الدول .

واهتم النظام السياسى الناصرى بتدريس مادتى الدين والتاريخ ولكن تفاوتت درجات الأهمية ، وفقاً لتطور النظام السياسى وتطور قضاياه الإجتماعية والسياسية ووفقاً للمستويات التعليمية ، فالذى يدرس للأعدادية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرحلة الثانوية ، ولمعرفة هذه النواحى نتابع المادتين خلال ثلاث فترات تاريخية مختلفة ، ومن خلال المستويات التعليمية الثلاثة (الإبتدائية والإعدادية ، والثانوية) الفترة الأولى ١٩٥٢/٥١م ، وهى تغطى واقع تدريس المادتين السابق لقيام الثورة مباشرة . أما الفترة الثانية فهى ١٩٥٤/٥٣م وهى التى تبرز لنا المؤشرات الأولى لعملية التغيير فى تعليمها ، أما الفترة الثالثة فهى الفترة ١٩٧٠/٦٨م والتى تمثل المحصلة الأخيرة لموقف النظام السياسى من مسألة التعليم الدينى والتاريخ .

١ – فبالنسبة للفترة الأولى ١٩٥٢/٥١م : يلاحظ تعدد أهداف النظام السياسى تجاه المادتين :

(أ) فبالنسبة لمادة الدين يلاحظ أن أهداف النظام السياسى تركزت فى :

— ترغيبهم فى شعائر الدين وفرائضه وتعويدهم أداءها والتمسك بها .
— إشعار التلاميذ روح التدين ومراقبة الله وحب الخير ومحاسبة النفس .
— أنشئتهم على الآداب الإسلامية التى تهذب النفوس وتثير نوازع الخير فيها .
— الإتصال بكتاب الله وتجويد تلاوته ومحاولة فهم ما يستطيع التلاميذ فهمه والإنتفاع به فى معناه ولفظه .

ويؤكد الإطار السابق أيضاً على ضرورة الربط بين قصص التهذيب والآيات والأحاديث التى لها علاقة بموضوع البحث وأن يضرب الأمثال لذلك من مظاهر حياة التلاميذ فى بيئاتهم[1] ولقد تم تطبيق هذا كاملاً على المنهج الدينى للسنوات الإبتدائية والتعليمية المختلفة ، وبدأ تدريسه الفعلى مع السنة الثالثة الإبتدائية ، ويلاحظ إن إجمالى عدد الحصص الدينية وصل إلى ٢٠ حصة أسبوعياً موزعة على سنوات الدراسة المختلفة ، وعلى المستوى النوعى ركز

(١) المصدر : منهج الدين واللغة العربية والخط العربى لمدارس المرحلة الأولى للبنين والبنات (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة دار المعارف العمومية ، ١٩٥٢م) ص ١٣ .

التعليم الدينى على موضوعات عامة بلا مضمون سياسى واضح كالصبر والمحافظة على الوقت وما إلى ذلك[٢].

(ب) بالنسبة لمادة التاريخ خلال نفس الفترة يلاحظ أنها كانت تقدم بمعدل حصتين أسبوعياً وإنها هدفت إلى :

ضرورة بذلك المدرس للجهد لإثارة انتباه التلاميذ ، حيث تمثل هذه القصص بداية عهدهم بدراسة التاريخ ، ويحسن أن يلم التلاميذ ببعض التواريخ المهمة التى تكون معالم أساسية للعصور التى يدونها مثل تواريخ ميلاد النبى ، وهجرته ، وفتح العرب لمصر وإنشاء القاهرة والأزهر[١]

وعليه جاء تركيز المنهج على الشخصيات التاريخية المهمة فى تاريخ مصر القديم ، وعلى سير أبطال الإسلام ، وأحوال مصر الحربية والإقتصادية وصلاتها الخارجية ، وحالتها الإجتماعية ، وتم التركيز أيضا على أهمية الدور الذى لعبته أسرة محمد على فى تاريخ مصر المعاصر[٢]

ويقدم منهج التاريخ فى هذه الفترة نفسه ، خاصة على مستوى المرحلة الأولى كتجسيد واضح لرؤية النظام السياسى الملكى لتاريخ مصر القديمة وحديثه ، حيث التركيز على جانب الشخصيات التاريخية المهمة ، وعلى الشخصيات الإسلامية ، وأسرة محمد على ، وجميعها تعكس إهتمام النظام بإبراز تأكيده على البعد الدينى ، والملكى فى تاريخ مصر والذى يمثله هو ذاته .

٢ - الفترة الثانية ١٩٥٤/٥٣م : لا يلاحظ تغير يذكر فى موقف النظام السياسى الجديد تجاه تدريسه لمادة الدين ، حيث تساوت الجرعة الدينية المقدمة لتلاميذ المراحل الدراسية المختلفة فنجدها تكاد تتساوى بالنسبة للمرحلة الأولى مع الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١م ، وأيضا تتشابه نوعية ما تم تقديمه من مادة علمية ، وكذلك الحال بالنسبة لمادة التاريخ مع تغير بسيط بالنسبة لما يتعلق بالنظام السياسى الملكى أو جذوره التاريخية والإجتماعية الذى يعبر عنها .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ - ١٨ .

(١) المصدر : مناهج الموضوعات الاجتماعية للسنتين الخامسة والسادسة فى المرحلة الأولى (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ، ١٩٥٢م) ص ١٠ - ١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ .





وضوء على باب الخيمة التى أقام فيها عندما سافر للحج عام ١٩٥٤ والسعى مع المطوف بين الصفا والمروة . والاتجاه بعد ذلك إلى عرفات

(أ) فبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ أن تدريسها قد بدأ مع السنة الأولى بعكس الفترة ١٩٥٢/٥١م التي بدأت مع السنة الثالثة الإبتدائية ، ويلاحظ تزايد الجرعة تدريجياً مع السنوات الخامسة والسادسة[١] وأيضاً يلاحظ تركيز المنهج إسلامياً ومسيحياً على ذات القيم

التي ركزت عليها المرحلة السابقة (كالصبر وحسن المعاملة ، والتواضع) وإن ازدياد الحديث عن قيمة الجهاد[٢] ، وكمياً نجد تناقص الجرعة الدينية المقدمة للطلاب في المستويات التعليمية الأخرى فهي تصل في الإعدادية إلى ٨ حصص دينية للسنوات الأربع[٣] ، وفي الثانوية تصل إلى حصة واحدة لكل قسم : الأدبي والعلمي[٤] . ومقارنة ذلك الإجمالي العام للحصص التعليمية تصبح الإبتدائية ٨,٥٪ والإعدادية ٥,٦٪ ، والثانوية ٢,٨٪ ، ولكن مضمون المادة تطور نسبياً حيث نجد التركيز على ضرورة عدم الإقتصادر على ما يقدم إليهم من دروس إذ ينبغي الإهتمام بالجمعيات الدينية والعناية بالمصرى وبأعمال البر والإحسان للفقراء وغيرها من القيم الدينية الإ تماعية التي تؤكد على علاقة الدين كمادة تدرس بالمجتمع الذي يعيشه الطالب[٥] .

(ب) بالنسبة لمادة التاريخ خلال الفترة ١٩٥٤/٥٣ ، يلاحظ أن هذه المادة لم يتم تدريسها في السنوات الأربع الأولى من المرحلة الإبتدائية وبدأت مع السنة الخامسة ، ولم يحدث تغيير منها حين يذكر فيما قدم من مادة علمية كذلك الحال بالنسبة لمناهج المرحلة الإعدادية والتي ركز منهج السنة الأولى فيها على بدء الحضارة الإنسانية ، والسنة الثانية تحدثت عن مصر الفرعونية ، والثالة عن تاريخ الإسلام في مصر ، والرابعة عن تاريخ مصر في العصر الحديث .

أما المرحلة الثانوية فلقد تركز التعليم حول تاريخ الدولة الإسلامية بالنسبة الثانية ، وتاريخ مصر والعالم العربي في العصر الحدث بالسنة الثالثة قسم أدبي ، ولقد تم التأكيد في المادة

---

(١) المصدر : مناهج الدراسة للمرحلة الابتدائية ٥٣ – ١٩٥٤م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزاة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ١

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ – ١٠ ، كذلك : مناهج الدين المسيحى للمرحلة الابتدائية (القاهرة ، وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٢ .

(٣) المصدر : مناهج مواد الدراسة للمرحلة الإعدادية ١٩٥٤/٥٣م (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٤ – ١٠ .

(٤) المصدر : مناهج مواد الدراسة للرحلة الثانوية ، ١٩٥٤/٥٣م (القاهرة ، وزارة المعارف ١٩٥٤ ، ٥٨٨ – ٦) .

(٥) مناهج المرحلة الإعدادية ، مصدر سابق ، ص ١٠ – ١٥ وكذلك مناهج الثانوية ، مصدر سابق

التاريخية على قيم العروبة والتراث على أهمية الدور الإسلامى فى نشر الحضارة فى العالم المحيط وإبراز دور العقل والفكر فى إنتشاره وكذلك الإدانة غير المباشرة للنظام الملكى السابق[1] .
وبالنسبة للجرعة الدينية نجدها تصل فى الإبتدائية إلى ٩,٥٪ من الإجمالى ، والإعدادية إلى حوالى ٤,٢٪ من إجمالى عدد الحصص الأسبوعية لمختلف المواد ، وفى الثانوية وصلت إلى ٥,٥٪ من الإجمالى ، وهى النسبة التى لا تختلف كمياً عن الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١م وهو ما يعطى دلالة على أن تغييراً سياسياً ومنهجياً شاملاً لم يكن قد حدث ، أو بعبارة أخرى لم يكن الوعاء التعليمى قد وصلته نتائج التغيير السياسى الذى أحدثته ثورة يوليو ١٩٥٢م ، والتى برزت نتائج واضحة مع بدايات عام ١٩٥٦م عندما حسمت العديد من القضايا السياسية والإ تماعية والداخلية والخارجية ، واستقرت الأمور فى أيدى النظام الجديد بقيادة عبد الناصر .

٣ - الفترة الثالثة ١٩٧٠/٦٨م :

وتعد هذه الفترة من أهم الفترات التاريخية التى تم التركيز فيها على قضية الدين ضمن البرامج التعليمية والثقافية المختلفة ، ويعود ذلك إلى طبيعة المرحلة التى شهدت أكبر هزيمة عسكرية للنظام السياسى المصرى ، أثرت سياسياً وإجتماعياً على قطاعات المجتمع المختلفة ، وكان لابد أن يترك هذا التأثير بصماته على قضية التعليم ، وموقع الدين والتاريخ كمادة دراسية فيها ، وتعود أهمية هذه المرحلة إلى كونها محصلة أخيرة لمجمل سياسات النظام التعليمية ولموقع الدين فيها ، ويتضح ذلك بإستعراض مضمون المادة التعليمية المقدمة .

(أ)فبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ تأكيدها فى المرحلة الإبتدائية على ضرورة تفهم التلاميذ للدين وأحكامه من معانى الإشتراكية القائمة على الكتابة والعدل وتكافؤ الفرص والتعاون على البر والتقوى ، وأن ينشأوا على إحترام العمل والإيمان بأهميته للفرد والمجتمع وأثره فى رفع مستوى المعيشة ورقى الأمة وتقدمها ، وأن تغرس فى نفوسهم الإيمان بأن الثواب والعقاب يقوم على العدل[2] وإن أهم وسائل تحقيق أهداف التربية الدينية التى تبناها النظام أن تستغل المواقف الواقعية فى حياة التلاميذ وفى تعويدهم السلوك الصحيح الذى يتفق

---

(١) منهج التاريخ للإعدادية ١٩٥٤/٥٣م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤م) ص ٥٢ .

(٢) منهج التاريخ للمدارس الثانوية ١٩٥٤/٥٣م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف . ١٩٥٤) ص ٥٦ - ٦٢ .

مع المبادىء الدينية ، وأن تستغل المناسبات الدينية والمناسبات القومية كعيد الهجرة والمولد النبوى وعيد الوحدة ، وعيد الأم فى تنمية معارف التلاميذ الدينية المرتبطة بهذه المناسبات القومية والاجتماعية ، وفى إكسابهم بعض الاتجاهات السليمة فى عيد الوحدة يمكن إستغلاله فى تمكين المعانى القومية والوطنية فى نفوسهم مع تبصيرهم بأن الإتحاد والتعاون والتآخى من المبادىء ، المهمة فى الدين[1] . ولقد وصل حجم الجرعة الدينية إلى ١٠٪ من إجمالى عدد الحصص المقدمة للمرحلة فى جميع المواد .

أما المرحلة الإعدادية : فلقد تم التركيز فيها على قيم عامة مفادها أن التربية عملية تربوية تتطور مع الزمن وتساير المجتمع وتتمشى مع الوجدان ، والعاطفة الدينية من أقوى العواطف التى تهدف إلى تحقيق القيم الأخلاقية والمثل العليا فى الحياة[2] . وعليه كانت التربية الدينية من أقوى العوامل فى إعداد الشباب الذى يؤمن بالله وبالوطن وبالمجتمع الذى يعيش فيه على أسس قوية من الديمقراطية الصحيحة والإشتراكية القويمة ، والتعاون المثمر بين أفراده لتحقيق العدالة الإ تماعية ، ولقد تركز مضمون المنهج على هذه القيم وبالأخص الجانب الذى يتجه إلى مواجهة الإستعمار وإلى قضايا التطور الإجتماعى وغيرها[1] .

أما المراحل الثانوية : فلقد تزايد المضمون الثورى للدين على عكس المراحل السابقة وأيضا مقارناً مع الفترات السابقة ، حيث نجد التأكيد على قيم الولاء للوطن ، ولأهدافه السامية التى تتفق مع أهداف الدين ، وجهاده فى مقاومة أساليب الإستعمار وإعتزازه بالتراث الإسلامى الخالد وانتفاعه بهذا التراث ثقافياً وخلقياً وتقوية ميوله إلى البناء على أمجاد الماضيين وبإرادة قوية وحب للتضحية فى السلم والحرب متخذا من البطولات الإسلامية أحسن قدوة[2] ، وغيرها من القيم الدينية المهمة والتى تتبدى واضحة فى منهج القرآن الكريم والحديد والبحوث الدينية

(١) المصدر : وزارة التربية والتعليم ، مناهج المرحلة الابتدائية المطورة لعام ١٩٦٩/٦٩م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ٧ .

(١) المصدر السابق ص ٧ — ١١ .

(٢) وزارة التربية والتعليم : المناهج المعدلة للمرحلة الإعدادية (القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٠م) ص ٢ — ٥ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥ — ٦ .

(٢) المصدر : المناهج المعدلة للثانوية العامة ١٩٦٩/٦٨م (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٨م) ص ٥ — ٨ .

(ب) بالنسبة لمنهج التاريخ يلاحظ أن مادة التاريخ كانت تحت عنوان « التربية الإجتماعية والوطنية بالنسبة للمرحلة الإبتدائية قد ركزت على قيم من سبيل تعريف التلاميذ بما يناسبهم من مبادىء الميثاق الوطنى ، واتجاهاته فى الديمقراطية والإشتراكية وتقوية إيمانهم وبما جاء به حتى تصبح جزءاً من مقومات شخصياتهم ، وتنمية روح الاعتزاز بالوطن الولاء متدرجين من الأسرة فالمجتمع المحلى فى القرية ، فالمدينة ، فالمحافظة ، فالجمهورية ، فالوطن العربى ، وقد تبدى هذا فى مناهج التاريخ والجغرافيا[1] ، ونفس القيم تم تدريسها على المرحلة الإعدادية والثانوية ، كما يظهر فى الجدول المرفق ، وكما تظهر القيم التى بثها المنهج التعليمى فى المرحلتين[2] .

وتمثل هذه المرحلة المحصلة الأخيرة للسياسات التعليمية للنظام السياسى الناصرى تجاه المضمون الدينى للمادة التعليمية ، سواء تضمنتها مادة الدين ، أو مادة التاريخ ، وكرس النظام السياسى فيها قيم الإنتماء والاعتزاز بالتراث الإسلامى والهوية القومية بالإضافة للقيم الروحية المتوارثة ، والتى كانت موجودة بوضوح أكثر فى الفترتين السابقتين ، وهذا ما يوضحه الجدول المرفق الذى تم إستخلاصه من واقع النتائج فى الفترات الثلاث السابقة .

---

(١) المصدر : وزارة التربية (التربية الاجتماعية والوطنية ، مناهج المرحلة الابتدائية المطورة) (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ١٧٠ - ١٨٠ .

(٢) انظر : المناهج المعدلة للمرحلتين الإعدادية والثانوية ١٩٦٩/٦٨م ، مصدر سابق .

جدول رقم (١٦)
تطور القيم الدينية داخل النظام التعليمى فى مصر
(١٩٥٢ - ١٩٧٠)

المرحلة التعليمية / العام الدراسى	١٩٥٤/٥٣	١٩٧٠/٦٨
الابتدائية :	الدين : تم التركيز على قيم آداب الزيارة - حسن المعاملة - تدبير الوقت - آداب الضيافة والتواضع. التاريخ : تم التركيز على قيم الكفاح المصرى القديم - قيم الترابط مع الأجداد قيم التوحيد والعبادة .	الدين: تم التركيز على قيم الصراحة - الوفاء بالمعهد - التسامح - حقوق الوطن والجهاد فى سبيله . التاريخ : تم التركيز على قيم البطولة فى التاريخ المصرى القديم - تاريخ الدولة الإسلامية ، بطولة صلاح الدين الأيوبى وجهاده ضد. الصليبين .
الاعدادية	الدين : تم التركيز على قيم الشجاعة - الصبر - الحلم - ضبط النفس عند الغضب - العفو عند المقدرة . التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة المصريين القدماء - تاريخ مصر لم يخل من الزعماء - تأثير الإسلام على مصر .	الدين : تم التركيز على قيم الأمانة - الشجاعة - التوسط فى الإنفاق والادخار - الموقف من اليهود إسلامياً - حب الوطن . التاريخ : تم التركيز على قيم إبراز التاريخ وأحداثه فى ضوء الميثاق الوطنى - التركيز على الدور الاجتماعى والشعبى للحكام الأول - الجهاد فى الإسلام .

المرحلة التعليمية	العام الدراسي ٥٣/ ١٩٥٤	٦٨/ ١٩٧٠
	الدين : تم التركيز على قيم الأبطال فى تاريخ الإسلام - عدم الاعتداء على الغير - الوفاء بالعهد - التعاون .	الدين : تم التركيز على قيم الاعتزاز بالتراث فى مواجهة الاستعمار - التسامى بالغرائز والميول لدى النشء - الإسلام وحقوق الإنسان - قيم الحرية .
الثانوية	التاريخ : تم التركيز على قيم قوة الإسلام قديماً - الحركات الاستقلالية فى الدولة الإسلامية القديمة .	التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة الحضارة العربية - تعميق القومية العربية والشعور القومى - دور الإسلام فى توحيد المنطقة العربية قديما .

فايل ـــ ناصر ٢١٩ ـــ د ١٢٢

من الجدول السابق يلاحظ ما يلى :

(أ) تركيز الفترة ١٩٥٤/٥٣م على قيم دينية تتقارب مع القيم التى تواجدت قبل عام ١٩٥٢م مما يعنى أن حجم التغيير الذى حدث فى بناء القيم الدينية داخل هيكل التعليم كان جزئياً ، وقد يكون مما ساهم فى ذلك عدم الاستقرار السياسى وطبيعة المرحلة الإنتقالية .

(ب)وجود قيم مشتركة بين فترتى الدراسة : كالصبر والشجاعه بالنسبة للقيم الدينية ، وكالتركيز على عظمة المصريين القدماء ، بالنسبة للتاريخ ، وهو ما يعنى أحد إحتمالين :

الأول : هو أن تكون نفس العقليات التى خططت للتعليم الدينى ، وللتعليم بوجه عام فى بداية الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) هى نفسها التى خططت له فى نهاية الفترة ، ومن الملاحظ هنا أيضا طول الفترة التى تولى فيها كمال الدين حسين مسئولية التعليم فى مصر (١٢) وهو المعروف بميوله المحافظة دينياً .

الثانى : هو رغبة النظام السياسى أو حاجته سياسياً ، أن تظل داخل العملية التعليمية بعض القيم والتى تمثل سمة أصيلة فى الشخصية المصرية : كالصبر واحترام الموت ، والشجاعة .. الخ ، وهى القيم التى قد تفيد النظام السياسى وقت الأزمات السياسية أو العسكرية .

(جـ)حدث على الرغم من التشابك السابق تغير سياسى فى العديد من القيم الدينية وفى التركيز داخل مادة التاريخ على بعض القيم وإبرازها كالقومية العربية والشعور القومى ، وكالإعتزاز بالتراث الإسلامى ، وربطه بواقع المجتمع المصرى والعربى ، وغيرها وهذا التطور يتوازى مع التغيرات السياسية والإجتماعية والثقافية العامة التى حدثت فى المجتمع .

ثانياً : النظام السياسى وقضايا الأحوال الشخصية :

يثير البعض بشأن موقف النظام السياسى من قضايا الأحوال الشخصية ، وتشمل قضية المرأة وتحديد النسل والقوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية ، افتراضاً مفاده أن ثمة عقد غير مكتوب قام بين عبد الناصر وبين رجال الدين يقضى بألا يقترب النظام السياسى من قضايا الزواج والطلاق والميراث فى مقابل إظلاق يده فى باقى الأمور السياسية والإجتماعية ، بيد أن هذا الإفتراض غير صحيح على إطلاقه ، فلقد تعامل النظام السياسى مع قضايا الأحوال الشخصية ليس باعتبارها قضية مستقلة بذاتها ، ولكن عل انها جزء من قضية التغير الإجتماعى والسياسى وعملة التنمية التى عاشتها مصر إبان هذه الفترة . وعليه أصبحت الأحوال الشخصية قضية إجتماعية واقتصادية وهو ما تبرزه مدركات ومواقف النظام السياسى بوضوح إتجاه قضيتى المرأة وقوانين الأحوال الشخصية .

١ - بالنسة لقضية المرأة :

يرى عبد الناصر أنها لابد أن تتساوى بالرجل ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة « حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابيا فى صنع الحياة[١] ولكن لا تصل

(١) الميثاق الوطنى : مصدر سابق ، ص ١٤ .

هذه المشاركة إلى الحد الذى يمكن معه تجنيد الفتيات العرب من أجل تحرير فلسطين ، إذ أن للمرأة رغم هذه المشاركة واجبات أخرى أكثر وأكثر بالإضافة إلى أن لدينا رجالاً أكثر[1] وهذه الرؤية تتضح أكثر عندما يطالب عبد الناصر بالتركيز على الدور الإجتماعى للمرأة وليس الدور أو المكتسبات الشخصية ، وعنده أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى يمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه إلى غايات النضال الوطنى[2] .

ومن حقوق المرأة الأساسية فى رؤية النظام السياسى التعليم الذى يمثل تطبيقاً حياً لمبادىء الثورة فى مجال تكافؤ الفرص[3] .

وبالنسبة لمواقف النظام السياسى إتجاه قضية المرأة يلاحظ أنه قد كفل لها العديد من الحقوق السياسية والاجتماعية المهمة ، وفى مقدمتها الإعتراف لها بحث التصويت والترشيح لأول مرة وذلك فى دستور ١٩٥٦م ، ولقد تزايدت نسبة المشتغلات بالمهن التعليمية والفنية من ٨,٣٪ عام ١٩٦١م إلى ١٩,٣٪ عام ١٩٧١م من إجمالى عدد العاملين ، وارتفعت نسبة المشتغلات بالأعمال الإدارية والتنفيذية من ٠,٩٪ عام ١٩٦٠م إلى ١,٤٪ من نهاية الفترة عام ١٩٧٠م وحدثت زيادة ملحوظة فى الحقوق الإجتماعية للمرأة كانت لها مؤشراتها الواضحة ، ففى عام ١٩٦٧م بلغ عدد الجمعيات النسائية ١٩٠ جمعية أما اللجان النسائية فى جمعيات مشتركة فيبلغ عددها ٤٧٠ لجنة ، كما يبلغ عدد الجمعيات الأخرى التى شاركت المرأة فى عضويتها ٢٣٣ جمعية .

وتجدر الإشارة أيضا إلى نشاط إجتماعى مهم ظهر بفعل النظام السياسى المصرى تجاه المرأة وهو نظام الرائدات الريفيات الذى أخذ به فى مصر منذ عام ١٩٦٤م ، حيث أن العمل الإجتماعى الرسمى بالريف كانت تمارسه وزارة الشئون الإجتماعية من خلال الوحدات الإ تماعية التى ، تعمل فى مجال تنمية المجتمع حيث يقوم به فى الغالب اخصائيون اجتماعيون بينهم نسبة محدودة من النساء ، وقد وجد أن طبيعة العمل الوظيفى وأعباءه بالإضافة إلى عدم انتماء الإخصائيين (بما فى ذلك الإناث . الى القرى التى يعملون

---

(١) خطاب للرئيس جمال عبد اللناصر بتاريخ ١٨/١١/١٩٦٥م .

(٢) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٣) كمال الدين حسين : بيانه أمام مجلس الأمة : التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (القاهرة ، منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشئون العامة ، أغسطس ١٩٥٧م) ص ٢٤ - ٢٦ .

بها فى الغالب ، كذلك يجعل تأثير العمل الإجتماعى الرسمى محدوداً ، فى إعداد قيادات نسائية محلية يتوافر لها المعرفة والإحساس بمطالب نساء القرية ، والقدرة على التعبير عنها والمهارة اللازمة لتجميع النساء الريفيات ، وراء الجهود المختلفة المحققة لها ، وتزداد مساهمة نساء القرية الإيجابية ، والجادة فى برامج تنمية المجتمع وتعمل كقيادة محلية وسيطة تعبر الفجوة الثقافية بين العقلية والمفاهيم الحضارية من جهة والعقلية والمفاهيم الريفية من جهة أخرى ، وتعاون القيادات الحضارية فى إدراك الواقع الريفى والعمل معه بالأساليب التى تتلاءم وطبيعة ظروفه وأوضاعه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية[1] .

هذا عن الوضع العام للمرأة فى مجال أهتمام النظام السياسى وسلوكياته السياسية تجاهها ، وتبقى الحديث عن أهم التعديلات التى أدخلتها الثورة على قضية تعليم المرأة وأخيراً قضية الأحوال الشخصية .

فبالنسبة لإنجازات النظام السياسى فى قضية تعليم المرأة : يلاحظ أن مجال التعليم الذى سبق الإشارة إليه كان من أهم المجالات التى دخلت فيه الثورة حدثت تغيرات عدة على المستويين الكمى والكيفى . وكان طبيعياً أن ينسحب التغيير على العنصر النسائى فى عملية التعليم ، حيث تجمع العديد من الدراسات على أن التغييرات التى أحدثتها الثورة فى النظام التعليم كان لها أثرها فى إتاحة الفرصة لتعليم النساء ، وخاصة من الطبقات الدنيا ، وتخص هنا مجانية التعليم ، والإهتمام بإنشاء المدارس بالريف والحضر ووجود حوافز لدى الأسر لتعليم بناتهم نتيجة لاتساع النطاق النسبى لفرص عمالة للنساء لأن التعليم لم يعد فى هذه الفترة مجرد غاية فى حد ذاته كما كان على العهد السابق بالنسبة لبنات الطبقات العليا وقد أدى إلى إقبال النساء على التعليم مما أدى إلى تغيير وأحياناً ضعف نوعى فى هذا المجال[2] ، ويمكن رصد هذه التغييرات إحصائياً على النحو التالى :

ـ فى المرحلة الإبتدائية كانت نسبة الإناث سنة ١٩٥٤ (٣٥٪) إرتفعت إلى (٣٨٪) عام ١٩٧٠م . هذا بجانب وجود إرتفاع ملموس فى نسب إستيعاب المدارس الإبتدائية للأطفال اللائى فى سن الإلزام فقد تبين أن هذه النسب كانت فى عام ١٩٦٠م (٥٦٪)

---

(١) تفاصيل هذا الجانب فى : على فهمى : العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر ، عدد خاص من المجلة القومية الاجتماعية ، تصدر عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (القاهرة ، ١٩٧٧م) ص ٩١ - ١٠٠ .

(٢) د . أنعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعى للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠م) ص ١٤٩

ارتفعت إلى (٥٨٪) عام ١٩٧١م .

ـ أما فى التعليم الإعدادى فنظراً لأنه لم يكن موجوداً قبل ١٩٥٢م ، فسوف تكتفى هنا بعرض تطور عدد الإناث بعد ١٩٥٢م ، ففى عام ١٩٥٤م ٥٣٪ ، كان عدد الإناث فى هذه المرحلة ٧٢ ألف تلميذة ، زاد فى عامى ١٩٦٦/٦٥م إلى ١٧٤ ألف تلميذة . وفى عام ١٩٧٢/٧١م ، ارتفع إلى ٣٠٤ آلاف تلميذة . وباتخاذ عام ١٩٥٤/٥٣م كسنة أساسية نجد أن عدد المقيدات فى عامى ١٩٦٦/٦٥م . ١٩٧٢/٧١م ، قد زاد بنسبة ١٤٢٪ ، ٣٢٢٪ على التوالى . وبالنسبة للإعدادى الفنى فقد لوحظ أن عدد المقيدات به ، قد تناقص حتى وصل إلى أقل من ٥٠٠ تلميذة فى عام ١٩٧٢/٧١م ، وقد يرجع ذلك إلى الصعوبات التى تواجه خريجات هذا النوع من التعليم فى الحياة العملية[١] وقد كانت نسبة الإناث فى التعليم الثانوى قبل ١٩٥٢م تصل إلى ١٢,٣٪ ارتفعت إلى ٣٢٪ عام ١٩٧٠م ، وبالنسبة للتعليم الجامعى قبل ١٩٥٢م يصل إلى ٥,٤٪ إرتفعت إلى ٢١,١٤٪ وهى النسب التى وزعت على الكليات التالية التى يظهرها هذا الجدول .

(١) د. أنعام سيد عبد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٤٩

جدول رقم (١٧) [١]

(نسبة التعليم الجامعى للإناث مقارناً بين عامى)

٤٠ - ١٩٤١ / ٧١ - ١٩٧٢

السنـــة / اسم الكليـــة	الإنـــاث ٤٠/١٩٤١م	الإنـــاث ٧١/١٩٧٢م
كلية الآداب	١٢,٨	٩٧,١٨
كلية الحقوق	١,١	٢٥,٩٣
كلية التجارة	—	٥٠,٩٤
كلية العلوم	٧,٦	٣٩,٤٥
كلية الهندسة	—	١٣,٩٧
كلية الزراعة	—	٣٠,٥٩
كلية الطب البشرى	٧,٣	٣٠,١٠
كلية طب الأسنان	٣,٧	٥٧,٥٧
كلية الصيدلة	١,٣	٦٢,٢٢
كلية الطب البيطرى	—	١٤,٧٥
كلية الإقتصاد والعلوم السياسية	—	٩٢,٤١
كلية دار العلوم	—	٤٧,٨٩
معاهد التمريض	—	٦٧٦ طالبة
كلية المعلمين	—	٣٠,٢٧
كلية البنات	—	٤٢٦٢ طالبة
الإجمالى	—	٤١,٢٢

الإقليمين المصرى والسورى ابان فترة الوحدة يشتمل على قانون موحد لجميع الطوائف والتأكيد على حقوق غير المسلمين فى القطرين[١]، وجاء الانفصال عام ١٩٦١ فأوقف هذه المحاولات[٢].

---

(١) المصدر : د. أنعام سيد عبد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

ويلاحظ من هذا الجدول ارتفاع نسبة الإناث فى الكليات المختلفة ، كما يلاحظ أيضاً أن هناك كليات التحقت بها القتاة لم تكن قائمة قبل ١٩٥٢ مثل : التجارة والهندسة والزراعة والطب البيطرى ودار العلوم .

٢ - بالنسبة لقوانين الأحوال الشخصية :

من المتعارف عليه أن الاهتمام بالأحوال الشخصية من قبل الدولة يعود إلى بداية القرن العشرين عندما صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢١ والذى عالج سن الزواج ورتب على مخالفتها عدم سماع الدعوى ، ثم المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، والذى عالج بعض مسائل الطلاق ، ثم القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ والذى عالج النفقة والعدة والعجز عن النفقة والمفقود[١] ، ثم المادة ١٣ من قانون نظام القضاء رقم ١٩٤٧ بتعداد المسائل التى تدخل فى نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشتمل على المسائل التى تدخل فى نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشتمل على المسائل المتعلقة بحالة الأشخاص وأهليتهم أو المتعلقة بنظام الأسرة أو بالمواريث والوصايا وغير ذلك مما يتصل بالأحوال الشخصية ، ونظراً لتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ كان لابد أن يحدث بعض التعديلات المواكبة لهذا التطور على نطاق قوانين الأحوال الشخصية وخاصة المرأة التى تأتى فى البؤرة من هذه القوانين[٢] ، والتى دخلت إلى حيث المجالات السياسية والاجتماعية والتعليمية بتطور سريع .

من هنا كان التعديل الجزئى فى قوانين الأحوال الشخصية والتى يتفق المؤرخون على أنها لم تمس فعليا طيلة الفترة إلا فى النطاق الذى يدعم حرية المرأة ، وبتعين مساواتها بالرجل ، فكانت للاتجاهات السياسية والتعليمية السابقة ، وكان أهم التعديلات التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية علم ١٩٦٠ عدم جواز تنفيذ حكم الطاعة على الزوجة الناشز جبرا عن طريق الشرطة وكان ذلك جائزاً منذ أقل من عقدين من الزمن[٣] . وقدم اقتراح بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية والمتعلقة بأحوال الطلاق فى أبريل ١٩٦٧ ، وثار بشأنه

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢١٣ .

(٢) من أمثلة هذه القوانين : القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥م الخاص ببعض الإجراءات فى قضايا الأحوال الشخصية والوقف ، والذى جاء مكملاً لقوانين إلغاء المحاكم الشرعية ، وهو لم يمس قضية المرأة بشكل جذرى .

(٣) على فهمى ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

العديد من المناقشات داخل مجلس الأمة وبالصحافة التى علت فيها نبرة التغيير فى هذه القوانين[٢]، ولكن هذا القانون لم يمر بل أغفل تماماً ، ويعود ذلك إلى أحداث حرب ١٩٦٧ التى أعادت ترتيل الأولويات فى العمل الداخلى بقضاياه المختلفة .

والجدير بالذكر أنه كان هناك أيضاً محاولات لتوحيد قانون الأحوال الشخصية بين

والخلاصة : أن قضيتى التعليم وقوانين الأحوال الشخصية ، وما يشتملان من عدة قضايا أخرى خاصة بالتطوير الاجتماعى ، لا يمكن عزلها .. كما سبق القول عن مجمل التحولات الاجتماعية والسياسية التى حدثت بمصر ابان الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) ، وبالنسبة لقضايا الأحوال الشخصية أولاً : نجد أن النظام السياسى كان دافعه فى هذه اعتبارات عديدة ، منها اعتبارات دينية خاصة تتعلق باعتبار عبد الناصر إنساناً محافظاً على المستوى الشخصى ، ومنها اعتبارات اجتماعية داخلية كاحتمالات الرفض المتوقعة من جماهير العلماء ورجل الشارع ، وأيضاً اعتبارات بعدم إمكانية النظام أن يضرب كل التيار الدينى - السياسى وغير السياسى مرة واحدة ، أى أن يصطدم بالإخوان المسلمين ثم يصطدم برجال الدين المحافظين ، أيضاً من خلال تعديل هذه القوانين ، من كل هذا يمكن القول بأن قوانين الأحوال الشخصية لم تتغير كثيراً على المستوى الاجرائى عما سبقها[١] .

ولكن ما تغيره خلال هذه الفترة هو دور المرأة فى المجتمع ، وهو الدور الذى أكده اقتناه النظام السياسى بضرورة هذا التغير وبأهمية الدور الاجتماعى والسياسى للمرأة ، بل لقد كانت مدركات القيادة السياسية أكثر تطوراً فى نظرتها للمرأة فى إطار أشمل ، اجتماعى وسياسى وحضارى ، ولابد أن يثار التساؤل أيضاً حول ذلك الاختلاف والتباين بين موقف النظام السياسى الناصرى من قضية الأحوال الشخصية على المستويين العلمى والنظرى ، ففى حين اقتصر التعديل النظرى فى هذه القضية طيلة الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) على القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ ، ومنشور وزارة العدل الصادر فى ٣ - ٢ - ١٩٦٧ والقاضى بالاستغناء عن اتباع طريق إعلان الزوجة لطاعة زوجها عن طريق الشرطة وقصره على الإعلان المدنى ، فإنه على العملى لم يقترب النظام كثيراً من هذه الجواب الأسرية ، على الرغم من هذا فلقد أعطى النظام السياسى - كما تبين فيما سبق - حقوقاً سياسية وثقافية وتعليمية للمرأة فقامت ما أعطى لها فيما سبق عام ١٩٥٢ .

---

(٢) د. جمال العطيفى : مناقشة صريحة لقانون الأسرة ، الأهرام بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٧م .
(١) الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٠

والملاحظة الأخيرة فى هذا المجال هى الغياب الكامل أو شبه الكامل لمادة الدين أو لأى مضمون دينى داخل مناهج التعليم الجامعى ، وقصر الدين على كليات بعينها داخل جامعة الأزهر ، وتواكب ذلك مع عملية التطوير التى أدخلها النظام السياسى على الأزهر ، وعلمنته لأمور الأزهر ولرسالته ودخول التعليم المدنى إلى الأزهر - المؤسسة الدينية التاريخية - بينما لم يحدث تطور مماثل ، أى دخول الدين إلى حيث التعليم المدنى فى نفس الفترة .

أما بخصوص التعليم فقد أتى فى مقدمة اهتمامات النظام السياسى ، حيث توسع كمياً ونوعياً وعلى مستويات مختلفة فى هذا المجال . ظهر هذا واضحاً على مستوى مجانية التعليم وعلى مستوى إنشاء المدارس والجامعات وعلى مستوى نوعية ما يدرس وعلى مستوى توظيف خريجى هذا المجال . ويلاحظ أيضاً اهتمام النظام السياسى بمادة الدين خلال فترات الدراسة المختلفة . ولكن تفاوت هذا الاهتمام فى الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) بحيث اختلفت مثلاً سنوات (١٩٥٢ - ١٩٥٤) عما تلاها من سنوات وتحديداً بعد عام ١٩٦٧ ، وكان الاختلاف على المستوى للنوعى لمادة الدين ، واختلف أيضاً مضمون ما تم تدريسه من مرحلة دراسية إلى أخرى حيث ازدادت الجرعة الدينية كمياً ونوعياً فى بعض المراحل وقلت فى بعضها الآخر طبقاً لظروف المرحلة والتطورات السياسية والأزمات المحيطة بالمجتمع .

وفى مجمل التصور بالنسبة لموقف ثورة يوليو من قضايا التطور الاجتماعى يلاحظ أن هذا الموقف كان منحازاً فى قراراته إلى فئات الشعب الفقيرة ، والتى لم يسبق لها ان حصلت على مثل هذه الحقوق التى أحرزتها لها الثورة . وإذا كان النظام السياسى قد قصر فى بعض مواقفه العملية إلا أن هذا لم يكن على إطلاقه وهو أيضاً لا ينسحب إلى الإدراك الذى لم يكن ذنبه قصور التطبيق الذى لازم النظام السياسى لثورة يوليو خلال بعض سنوات الفترة موضع البحث .

الفصل الحادى عشر

عبد الناصر وتنظيماته السرية

"التنظيم الطليعى نموذجاً"



عبد الناصر وتنظيماته السرية
(التنظيم الطليعى نموذجا)

مقدمة للتنظيم :

سبق أن أشرنا فى مواضع مختلفة فى هذه الموسوعة إلى التنظيمات السياسية فى عهد عبد الناصر وبخاصة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى) ، ولقد شهدت تجربته السياسية تنظيماً آخر سمى بـ(طليعة الاشتراكيين) ، ونظراً لأهمية دوره السياسى باعتباره التنظيم السرى الخاص بجمال عبد الناصر بعد إخفاق (الاتحاد الاشتراكى) فى دوره السياسى والاجتماعى وبعيداً عن الأسلوب التقليدى فى تحليل نشأة وتطور تنظيم (طليعة الاشتراكية) الذى نشأ داخل الاتحاد الاشتراكى) ، وهو الأسلوب الذى سبق الإشارة إليه فى الأجزاء السابقة من الموسوعة بعيداً عن ذلك ، سوف نورد هنا نص جلستين (شبه سريتين) جمعت بين عبد الناصر بعناصر تنظيمه الطليعى فى القاهرة والجيزة ، والتى تولاها كاملة لكى نستكشف من خلالهما وعلى الطبيعة مباشرة ، ودون تدخل كبير ، كيف كان يفكر عبد الناصر وكيف كان يدير صراعاته السياسية وكيف كان يربى كوادر تنظيمه الطليعى ... إنهما وثيقتان هامتان ، نوردهما ، كوثيقة للتاريخ[1]

---

(١) المصدر : الاتحاد الاشتراكى العربى - الأمانة العامة - طليعة الاشتراكيين : لقاءات واجتماعات مع السيد رئيس الجمهورية والسيد الأمين العام - العدد الأول - لقاء الرئيس جمال عبد الناصر مع أعضاء المكاتب التنفيذية للقاهرة والجيزة يومى ٧ - ٨ مارس ١٩٦٦م .



الاجتمـــاع الأول

« اجتماع السيد الرئيس جمال عبد الناصر »
وأعضاء المكاتب التنفيذية
« لمحافظتى القاهرة والجيزة »

٧ مارس ١٩٦٦م
١٥ ذو القعدة ١٣٨٥هـ

* * *

السيد الرئيس

نبدأ بالاستماع إلى الجيزة ثم القاهرة السيد أمين الجيزه يتفضل ..

أمين الجيزة :

سيادة الرئيس :

سأنتهز هذه الفرصة لطرح بعض القضايا العامة للمناقشة رغبة فى توضيح الرؤية لها ، وأود أن أشير إلى أننا لا ننقل أفكارنا الخاصة ، ولكن نعبر تعبيراً أميناً وصادقاً عن كل ما نلقاه فى القاعدة الجماهيرية من تساؤلات .

ويمكن تقسيم القضايا السياسية إلى فئات أربع :

أولاً : قضايا تتعلق بالتنظيم السياسى ، وهى تثير حواراً عميقاً حول مسائل ثلاثة :

١ - مبدأ التفرغ السياس : بدأ كثير من المواطنين المخلصين القادرين يتفاعلون مع المكاتب التنفيذية بصدق (وأمانة) الأمر الذى يؤهلهم لعضوية المكاتب التنفيذية ليس على العام ، وتفضل مشكوراً بالرد الوافى عليهما

ثانياً : قضايا تتعلق بموقف الجماهير فى القاعدة حيال التنظيم السياسى : وأبرزها قضيتان تحتاج كل منهما إلى تحديد حاسم وصريح .

أ - أزمة الشك التى تعانيها الجماهير : وذلك بسبب تعقيدات الجهاز الإدارى ، لأن المواطن العادى غالباً ما يحدد موقفه من النظام كله عن طريق التعميم الخاطىء فى ضوء انعكاسات اللوائح والروتين والموظفين الذين هم دون مستوى المسئولية .

ب - أزمة عدم وضوح الرؤية فى كثير مما يجرى ولا تعرف له الجماهير تفسيراً مقنعاً ، مثل تغيير مواقع الأشخاص القياديين ، دون تفسير معروف للقاعدة .

ثالثاً : قضايا الدعوة والفكر : نتساءل عن السبب فى تعدد الأجهزة المركزية للدعوة والفكر بين أمانة الدعوة وأخرى للمعهد الاشتراكى ، وهناك ثلاث مسائل فى هذا الموضوع :

أ - تستلزم قضية الدعوة فى هذه المرحلة إعداد كادر واع ومدرب من الدعاة ، وتوفير جميع الإمكانيات ضمان الوحدة الفكرية بين أفراد هذا الكادر .

ب - قضية حرية الصحافة وغيرها من أجهزة الإعلام ، أن الصحافة المملوكة للاتحاد الاشتراكى لا يمكن أن تكون بغير رقابة عليها ، وبالتالى فإن الجماهير ترى أن كل ما يكتب فى الصحف ليس إلا تعبيراً عن رأى الدولة الرسمى .

جـ - تتطلب قضية الدعوة والفكر مواجهة صريحة لكل تساؤلات الجماهير بالإقناع والحوار العميق الذى ينتهى إلى توضيح نهائى وحاسم لكثير من المسائل ، نذكر منها على سبيل المثال :-

١ - الأبعاد الحقيقية للاشتراكية العربية والخصائص المميزة لها وموقفها من الدين .

٢ - الهدف بالنسبة لقضية اليمن .

٣ - مزيد من التوضيح لرفضنا للحلف الإسلامى .

السيد الرئيس :

أود أن أعلق على نشاط المكتب التنفيذى ، خلال الفترة الماضية وهى شهران ونصف شهر فقط ، قبل التعرض للموضوعات التى آثرتها المستويات الدنيا فحسب ، بل وعلى مستوى المحافظة كذلك . ولكن فرصة التفرغ التى هى فى الأساس لعدد قليل من الأفراد قد لا تكون مفتوحة لجملة هذا العدد من المتفاعلين ، وأخشى إذا لم ينالوا شرف التفرغ للعمل السياسى أن يعتبروا أنفسهم مطرودين ومبعدين فتجتذبهم العناصر الأخرى أو ينطوون على أنفسهم ، وهذا يذكرنا بقول سيادتكم فى لقائكم مع أعضاء المكاتب لتنفيذية لمحافظات أسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم فى مقام رفضكم لفكرة الحزب الواحد ، إننا إذا أقمنا حزباً من ٥٠ ألف مثلاً ، معنى هذا أن توجد معارضة قبل أن يوجد الحزب ، بمعنى أن الذين لن نأخذهم فى الحزب سيعتبرون أنفسهم مطرودين ومبعدين تجتذبهم العناصر السياسية الأخرى .

ب - مبدأ التشكيل النوعى للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

جـ - قضية التنظيم السياسى فى الجامعة والمبعوثين إلى الخارج .

وموضوعات الأمانة العامة والجامعة والمبعوثين ، كانت محل نقاش خصب صباح اليوم فى

الجلسة التمهيدية مع السيد الأمين.

النقطة الأولى : أن شهران ونصف ، نعتبرها مدة قليلة لا تمكننا من الشعور بإحساس الناس ، الإحساس الطبيعي والحقيقي ، ففي رأيي إنكم مازلتم في حاجة إلى وقت لتشعروا بأحاسيس الرأى العام للجماهير ، بغض النظر عن رأى بعض الفئات المتصلة بكم اتصالاً مباشراً واعتبر رأيها رأياً خاصاً .. ففي رأى أن المثقفين عادة يتأثرون بالرأى الخاص أكثر من تأثرهم بالرأى العام ، الرأى الخاص لمجموعة من الناس الذين نلتقى بهم بحكم بيئتنا وطبيعتنا ، قد يرددون كلاماً لا يمثل الرأى العام ، لسان الرأى العام قد يكون عاجزاً وقاصلاً عن الوصول للمدعى الذى يصل إليه لسان الرأى الخاص ، بمعنى إننا قمنا بكثير من الأعمال للفلاحين والعمال والطبقات المظلومة ، ولكن كلامنا وتفسيراتنا قد لا تصل إلى هذه الطبقات وكذلك لا يصلنا - إلى حد كبير - ما يبين حالتها وواقعها ، وقد تدور فى مناقشات لمدة ساعات فى إطار الرأى الخاص ، وبهذا تضلل .

ولكى نستطيع أن نتجنب هذا . يجب أن نتوسع فى اتصالاتنا حتى نخرج بحكم سليم عن الرأى العام .

النقطة الثانية التى أحب أن أعلق عليها هى نقطة التفرغ للعمل السياسى وهذا الموضوع له وجهات نظر ، وأعتقد أنه ليس من الصواب المقارنة بين ما قلته فى الاجتماع الماضى ، وما قلته أنت اليوم عن التفرغ لأنى كنت أتكلم عن مجموعة الجماهير الكبيرة البسيطة التى يمكن أن تضلل وتستثار كرامتها بأن الثورة لفظتها ، أما اليوم ونحن نكون مجموعة من القياديين ، أى نخبة من الناس ، فلن نستطيع القياس على هذا المفهوم ، لأن الشخص الذى سيتأثر نفسياً من تخطيه لا يمكن أن يصلح لأن يكون شخصاً قيادياً ، ويستلزم الأمر - لكى يكون قيادياً - أن أسترضيه من ناحية شكلية ، وليس من ناحية المبدأ .

ورأيى بالنسبة للعناصر الطيبة الصالحة التى أشرت إليها ، فأرجو أن تكون صالحة وطيبة لوجه الله والوطن أولاً وأخيراً وليس لوجه المصلحة الذاتية ، وقد سألت فى الاجتماع الماضى لمحافظات الوجه القبلى عن قياديين يقترح ضمهم للمكاتب التنفيذية ، ولكن طبعاً لم أشر إلى متفرغين وغير متفرغين ، الحكمة فى أننا عملنا متفرغين فى المرحلة الحالية .

إن الاتحاد الاشتراكى يعانى من عدة شكوك ، لأنه لم تكن له فاعلية لمدة طويلة ، وأردنا أن ركز كل جهودنا حتى ينجح الاتحاد فى هذه المرحلة ، فقد كان الوزير الذى يشترك فى أمانة الاتحاد الاشتراكى يهتم أولاً بالذهاب لوزارته بحكم الطبيعة وبحكم الميراث الذى ولأثناه ، فهو يعتبر أن هذه الناحية التنفيذية التى بها السلطة والسلطان لها

البروليتاريا مثلا ، أو الطبقة العمالية ، لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلة فى الفكر الإشتراكى .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجوده فى تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذى يقضى على الآخرين ويخضعم بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا فى هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الإشتراكى هنا يختلف عن التطبيق فى أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس فى الإتحاد الإشتراكى ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدريج ولو كانوا شيوعيين فى الماضى .. فاعتقادى أنه فى الماضى وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - فى تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الإنضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا بسبب يأسهم على إستعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن نتردد فى إعتناقه ، لأننا كنا يائسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الإحتلال .. بل أنه وقبل أن نوقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون فى خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسينا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروهم ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسى .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارهم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأى خاطىء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شىء آخر .. وإذا أحس أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإنى أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولا ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسى .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسى ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدى إلى السلبية .. وإنت قلت أن السبب فى هذا هم الموظفون .. وأجابنى على هذا أنه

البروليتاريا مثلا ، أو الطبقة العمالية ، لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلة فى الفكر الإشتراكى .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجوده فى تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذى يقضى على الآخرين ويخضعم بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا فى هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الإشتراكى هنا يختلف عن التطبيق فى أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس فى الإتحاد الإشتراكى ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدريج ولو كانوا شيوعيين فى الماضى .. فاعتقادى أنه فى الماضى وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - فى تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الإنضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا بسبب يأسهم على إستعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن نتردد فى إعتناقه ، لأننا كنا يائسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الإحتلال .. بل أنه وقبل أن نوقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون فى خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسينا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروهم ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسى .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارخم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأى خاطىء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شىء آخر .. وإذا أحسن أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإنى أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولا ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسى .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسى ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدى إلى السلبية .. وإنت قلت أن السبب فى هذا هم الموظفون .. وأجابنى على هذا أنه

طالما أنك لم تنشىء التنظيم السياسى الذى يقوم بعمله وواجبه الحقيقى فسنجد باستمرار هذه الشكوك وهذه السلبية ، وإذا تدخلت فى هذه المواضيع فى أول عهدك ببناء التنظيم السياسى ، فإنك ستثير عليك شكوك الجماهير وتزيدها وبذلك لا تكون فى الطريق الصحيح .

كيف أتغلب إذن على شكوك الجماهير ؟ .. تقترح أنت أن تصلح اللوائح والروتين والموظفين .. الخ ، من هم الجماهير .. هم الموظفون والعمال ، والجماهير هم سواق الأتوبيس الذى يشتم الراكب أو لا يقف بالسيارة أمام المحطة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أو الكمسارى الذى يعتدى على الراكب .. نحن المسئولون عن تربية هؤلاء الناس وعن تثقيفهم فلا يصح اليوم أن تتملص من تبعية واجب نحن مسئولون عنه فلا كقيادات .

فى الحقيقة لم نستطع حل هذا الموضوع من خلال السلطة التنفيذية قد نستطيع تعديل اللوائح وما شابه ذلك ، ولكن لن نستطيع حل موضوع معاملة الموظفين للناس أبداً ، ولكن الذى يحل هذا الموضوع هو تنظيمنا السياسى ، وقد تكلمت فى الإ تماع الماضى عن كيفية الإندماج مع الموظفين والإجتماع معهم إشعارهم بالمسئولية بحيث يحس الموظف أنه يؤدى خدمة للناس قبل أن تكون المسألة إستلام ماهية ، وهذا الموضوع يصعب تنفيذ عن طريق السلطة التنفيذية ، أو عن طريق تغيير اللوائح .

ولكن عن طريق الإتحاد الإشتراكى يمكننا القيام بالكثير ، ليس عن طريق التأديب أو البوليس الحربى ، فالذى أعينة ففى الجمعية الإستهلاكية ثم يسرق فذلك يعوزه الشعور بالواجب ، وهو شخص لم تصله الدعوة ، ولو كانت الدعوة وصلت إليه لتردد بدلا من المرة عشر مرات قبل أن يقدم على السرقة ، إذن فنحن مسئولون عن إيصال الدعوة لهؤلاء ، وأن أستطيع توصيلها عن طريق الوزير أو وكيل الوزارة ولكن نستطيع عن طريق الجهاز السياسى أن نغير من هؤلاء الناس . ولن نستطيع ذلك فى مدة قصيرة بكل أسف لأن الأفكار الإستعمارية القديمة ما زالت موجودة ، ونحن بطبيعتنا عشنا طويلاً فى مجتمع رجعى ، وتتحكم فينا تقاليد رجعية لم نستطع التخلص منها بعد .

وهذا الموضوع يشبه الجدل الذى قام حول البيضة والدجاجة ، وعما إذا كانت البيضة قد خلقت الدجاجة أو العكس ، فهل نصلح الجهاز التنفيذى قبل أن نقيم التنظيم السياسى ، وهذا الموضوع فيه قولان ، وأرى أنى لا أستطيع تقويم الجهاز التنفيذى قبل قيام التنظيم السياسى ، ويكون الجهاز التنفيذى جزءاً من التنظيم السياسى ، وفى الجامعة مثلا ، بدون تنظيم سياسى لن تنتظم أشياء كثيرة مثل علاقة الطالب بالمدرس والمكنة والأجهزة الفنية .. الخ .

الحقيقة قامت محاولات كثيرة لحل هذا الموضوع تنفيذياً ولكن لم يكن هناك الإيمان الذى يساعد على النجاح ، ولكنى أقول إننا قد نستطيع سياسياً أن ننجح عندما يشعر كل واحد أن له رسالة أو تشعر الأغلبية بأن لها رسالة ، أو حتى الأقلية التى تكون لها القدرة على القيادة والحركة نستطيع القيام بكل هذه الأمور .

النقطة الأخرى : إن هناك مجتمعات نفذت هذه الأمور بالظلم والقتل وبالنفى ، ونحن فى مجتمعنا واشتراكيتنا لا نريد السير فى هذا الطريق .. كثير من الناس يرسلون لى خطابات يقترحون شنق أحد المتلاعبين بالتموين ليكون ذلك رادعاً للباقين ونقضى على السوق السوداء . ليس هذا هو السبيل ، فقد يكون الشنق له أثر لمدة معينة ثم ينسى ، فالشنق ليس مانعاً للجريمة ، فجريمة القتل عقوبتها الشنق ، ومع ذلك لم تمتنع هذه الجريمة ، كذلك السجن المؤبد لم يمنع جرائم الرشوة أو المخدرات ، ذلك لأن المجتمع فيه تناقضات غريبة لم تحل

أصل من هذا إلى أن شكوك الجماهير لا تقلقنا طالما نحن نسير فى الطريق الصحيح نحو تجنيد العناصر القيادية من الجماهير وتجميع أكبر عدد من الكادرات أو القيادات السياسية التى تستطيع بمرور الوقت أن تقضى على هذه الشكوك وهذه السلبية ، قد لا تقضى على السلبية نهائياً بالنسبة للناس ، لأن منهم الرجل الشرير والرجل الطيب .

أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية وعلاقة الإشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة وفى التليفزيون وفى الراديو ، وأوضحت الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك ، ومن مدة عشرة أيام نشر لى حديث فى الجرائد مع الصحفيين العراقيين ، وسبق أن تكلمت فى بور سعيد ، ولا ينقصنى إلا الصعودة لمئذنة القلعة ، وأن أقسم على ذلك !! ورغم هذا ستجد من يتشكك ولا يصدق .. إذن يوجد إناس لا يريدون التصديق أبداً ، وليست هناك فائدة من إقناعهم لأن قصدهم هو التشكيك فى الوضع الموجود ، ولأن مصلحتهم الشخصية تتنافى مع الإشتراكية .. هل حجرنا على الدين ؟ .. لا .. هل منعنا الصلاة ؟ .. لا .. بل بالعكس جعلنا تدريس الدين إجبارياً فى المدارس وجعلناه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب أو النجاح فى الإمتحان ، وكذلك نبنى الكثير من المساجد ، وزاد إهتمامنا بالجامعة الأزهرية ، إلى آخر هذه المواضيع ، وتوجد أيضاً بعض الموضوعات التى لها حساسية بالنسبة للدين ففى الإجتماعى السابق أشار أحد أعضاء المكاتب التنفيذية إلى صدور كتاب يتعرض للدين . وكان الكتاب هنا مصادفة . فقرأنا النص المشكوك فيه ولم نجد له أى تعريض بالدين ، فمؤلفه وهو أستاذ جامعى فى جامعة أسيوط يقول أنه لا داعى لأن نقول اشتراكية إسلامنا ، لأننا لا نريد وضع الإسلام

فى موضوع تجربة قد تفشل وقد تنجح ، وإنما الإسلام دين حق وفيه كذا وكذا ، هذه هى الكلمة التى فسرها على أن فيها تعريضاً بالدين ، وأنا رأيى أن كلام هذا الإستاذ سليم جداً ، فهو يرى ألا نقول إشتراكية إسلامية ، لأن معنى هذا أنه إذا فشلت الإشتراكية أو تعدلت التجربة أو التطبيق وتجربتنا ليست جامدة وليست منقولة فمعنى هذا أن يفشل الإسلام ، فلماذا نعرض الإسلام لمثل ذلك ؟ .. أنا مثلاً عندما تكلمت عن الإشتراكية والإسلام ضربت أمثلة حتى يعلم الناس أنه فى وقت ظهور الإسلام طبقت الإشتراكية والعدالة الإ تماعية فى موضوعات كثيرة فعندما ، دخل الإسلام العراق طبقت الإشتراكية بالنسبة للأرض ، وكذلك فى الأندلس ، ولكن لم تكن فى ذلك الوقت مصانع وما أشبه ذلك ، وبكل أسف إستغلت الرجعية الإسلام طوال السنين الماضية وأخذت من الدين ذريعة لسيطرتها فالملك فيصل الذى ينادى بالإسلام ويدعى الغيرة على الإسلام ، هل هو مسلم ؟ .. هل تمكن مقارنته بالنبى عليه الصلاة والسلام أو بأحد الخلفاء أو أى قائد إسلامى عادل أو حاكم مسلم إسلاماً صحيحاً ؟ .. هل كان لدى النبى سيارات وكذا مليون جنيه ، هل أستطيع مقارنة فيصل بعمر ؟ .. غير ممكن ، لأن عمر كان يعزل الوالى إذا أثر ويعتبر قراءة خروجا عن الإسلام ، وكان ينادى بأن الأموال كلها أموال المسلمين ، إذن الإسلام واضح فعلاً والمبادىء التى أعطاها لنا واضحة ، ولكن بعد عهد الأمويين سارت الأمور بخلاف ذلك ، وحاول الأثرياء إستخدام الدين لصالحهم .

فى البلاد الشيوعية لم يقضوا على الدين ، ولكنهم أهملوا الدراسة الدينية فى المدارس ، ومعن يهذا القضاء على هذه الناحية فى الأجيال الجديدة تدريجياً .. والأمر عندنا بالعكس فنحن ندرس الدين لأولادنا فى المدارس ، لو كنت منعت دراسة الدين كان لهم أن يسألونى عن ذلك ، ولكن جوهر الموضوع الآن هو أن هناك بعض الناس يريدون أن يتخذوا من الدين ذريعة ضد الإشتراكية ، تماماً مثل الملك فيصل فهو يقول إن الإشتراكية إلحاد ، لا عن إيمان وإخلاص ، ولكنه يريد إستخدام الدين لخدمة الأهداف الرجعية التى يتبناها ، هذا هو موضوع الدين ، ويمكنكم فى الإتحاد الإشتراكى أن تضربوا المثل ، إذا أديتم الصلاة فى مقرات الإتحاد ، فأداء الصلاة مع الناس وسيلة للقضاء على تشككاتهم ، بل بالعكس نحن نعتبر الدين وسيلة لحماية الناس من الإنحراف ، فمثلاً الموظفين وغيرهم ممن تشتكى منهم ، لو كان عندهم دين وإيمان لما ضايقوا الناس ، ولا عطلوا مصالحهم .

وبالنسبة للتناقض فى التفسيرات الإشتراكية ، فأنا شخصياً ضد الفلسفة والسفسطة المعروفة فى هذه النقطة ، ونحن نميل إلى تبسيط الأمور إلى آر مدى ، وعندنا الميثاق الذى

وضح كل الأمور ببساطة ، فحدود إشتراكيتنا موضحة فى الميثاق ، ليس هناك ما يدعونا إلى تعقيد الأمور وجلب أمثلة من هنا ومن هناك ، فالميثاق مبسط وقد تعمدنا فعلا أن نضعه بطريقة مبسطة ، و لم نسترشد بآراء أخرى توجد فروق كثيرة بيننا وبين – الشيوعية ، وقد تلتقى معها فى بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعى ، وقد تلتقى معها فى بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعى تجد فيه سبعة عشر أو عشرين مبدأ لا يسكع أو أى مصلح إلا الموافقة علينا ، وليس معنى هذا إنك شيوعى ، فهل تستغل الناس لتثبت للعام أننا لسنا شيوعيين وإننا أصحاب دين ؟ .. ليس أسهل من هذه العملية لنا كهيئة حاكمة فى هذا البلد .. ولو سلكنا هذا السبيل كنا قد إسترحنا من أغلب المشاكل التى قابلتنا فى

السنوات الأربعة عشر الماضية ، لو إستندنا إلى حكم الطبقة ، وهو الحكم الذى يعتمد على تحالف الإقطاع مع الرجعية لما إعترضنا اليوم مشاكل الأسعار لأنه كان سيصبح عندنا عمال عاطلون وعدد كبير من الشحاذين كل همهم التسول وليس عندما وقت للتفلسف ، فنتيجة الأعمال الجديدة أننا أوجدنا عدداً كبيراً من المتفلسفين ، لقد زاد عدد العمال من ٤,٥ مليون عامل يضاف إليهم مليون عامل فى الإصلاح الزراعى فيكون مجموع العمال ٨,٥ مليون عامل ، وأصبحت اليد العاملة فى الرغيف قليلة ويصل أجر العامل إلى خمسين قرشاً .. وجميع خريجى الجامعات يلحقون بالعمل ، وذلك نتيجة للعمل الإشتراكى الذى تبنيه ، فالمجتمع الإشتراكى بناء أكثر منه تأميم ، لأن التأميم يأتى فقط فى المرحلة الأولى من مراحل الإشتراكية ثم يتلو ذلك بناء الكثير من المصانع والمشروعات ، وأغلب هذه المشروعات لم تعطنا إيراداً ، فالسد العالى وإستصلاح الأراضى ثم المصانع الجديدة إتفقنا عليها كثيراً من الأموال و لم نأخذ منها إيراداً بعد ، ولذلك نجد أن العرض أقل من الطلب ويطلب الأخ زكريا تجميد بعض السلع بالنسبة للناس وتقليل النقود فى البلد ، وإلا عجزنا عن التقدم .

لو كنا إخترنا النظام الرأسمالى والإقطاعى ، كنا تركنا الأموال لبعض الأفراد وحكمنا البلد مع هذا العدد المحدود من العلائلات ، ولكان المجتمع فى ظاهره مريحاً ولطيفاً وليس متعباً مثل المجتمع الذى نعمل له وندافع عنه . قد أقول خطبة فى الراديو لا يسمعها إلا عدد ضئيل أو نسبة محدودة ممن أدافع عنهم ، إذ لا أتصور أن عند عمال التراحيل راديو يسمعون به كلمتى ، ولكنى أتصور أن ١٠٠٪ من الذين أتكلم ضدهم يسمعوننى ، فكيف إذن نجمع هؤلاء الناس ؟ .. العمل الوحيد هو التنظيم السياسى ... كيف أحل مشاكل عمال التراحيل ؟.. العمل الوحيد هو التنظيم السياسى حتى لا يتكرر ما حدث فى الدقهلية من أن أحد موظفى المحافظة اغتال النقود لنفسه ، فعدم وجود تنظيم سياسى عهد لوجود الإنحراف .

أما التناقضات أو التفسيرات بالنسبة للإشتراكية فلا خوف منها ، وكل ما يكتب فى الجرائد لايخيفنى ، وإنما يخفينى شيء واحد هو قيام تنظيم مثل تنظيم الإخوان المسلمين يستطيع أن يؤثر بما لا يقاس عن أى كلام فى الجرائد إذن السبيل الوحيد أن ننشر فكرنا ونقيم التنظيم السياسى ولا نخشى شيئاً .

وما زال الفكر عندنا محدوداً بالنسبة للإشتراكية .. وعندنا الميثاق والكلام الذى يقال فى الجرائد اجتهاد ، فمن مصلحتنا أن نفتح مجال الإجتهاد للفكر الإشتراكى فى بلدنا ، وليس هناك مانع فى أن يبدى أحد الكتاب رأياً فى إحدى الصحف ويرد عليه آخر فى صحيفة أخرى ، بل إنى أرى فى ذلك ميداناً لأفكار جديدة تجعلنا نعمق تجربتنا .

أما التقييد الذى نطلبه فبالنسبة للكتب مثلاً لا توجد رقابة وقد قرأت كتاب « معالم على الطريق » قبل صدوره وكان فى إمكانى مصادرته أو منعه ولكنى لم أفعل ، ولكمت إخوانى عنه وقلت لهم إن الكتاب به كذا وكذا ولا أخشى من صدوره ، وإذا لوافق على صدوره فيمكن نشر ما فيه بطريقة سرية وتكون الدعوة السرية أكثر سرياناً بين الناس على أساس أنه لا توجد حرية رأى فى البلد .

بالنسبة موضوع الصحافة : فقد رأيت الصحافة وهى تحت الرقابة ، ورأيتها بوضعها الحالى ، وهى بوضعها الحالى تحت الرقابة فمؤسسة روز اليوسف والمصرو تحت رقابة بهاء وهو محل ثقتنا ، ومؤسسة الأهرام ومؤسسة الأخبار تحت رقابة هيكل وهو موضع ثقتنا ، والجمهورية تحت رقابة بدوى وهو أيضاً محل ثقة .

وعندما كانت الصحافة تخضع للرقابة الحكومية كان يقوم بها موظف صغير ، فكانوا يوقظوننى فى الساعة الواحدة صباحاً للسؤال عن نشر موضوع ما لأن الموظف اتصل بمدير الرقابة الذى يتصل الوزير والوزير يتصل بى ثم نجد الصحف الثلاث صوره تكاد تكون واحدة ، وكما قلت فى الإجتماع الماضى أن هناك محاولات لهدم الصحافة المصرية ، وبالذات فى بيروت ، حيث تنفق مئات الألوب على خلق صحافة متقدمة عنا مستخدمين طرق الطباعة الحديثة ، فالحل الوحيد هو أن نترك الصحافة بدون رقابة .. وحتى بالنسبة للرقابة السياسية أفضل أن أتركها بوضعها الحالى عن أن أضعها تحت رقابة أبو الفضل بإعتباره مسئولاً عن النشر .. وطالما نقول أن هناك غموضاً فى الأفكار الموجودة ، لأنها لم تتبلور بعد ، فأنا ضد فرض رقابة سياسية من الإتحاد الإشتراكى ، ولو طلبنا من أبو الفضل وكمال رفعت وكمال الحناوى أن يتكلموا فى موضوع ما فسيقول كل واحد منهم رأياً مختلفاً عن الآخر ، إذن يجب التسليم بهذا الموضوع وقبوله فالعملية ما زالت فى المجال الواسع اجتهادية ، ولكن فى

المجال الضيق إذا التزمنا بالميثاق نستطيع أن نسير على خط واحد .

الكلام عن الإشتراكية لم يبدأ إلا أخيراً ، ففى أول الثورة لم أتكلم إلا عن المبادىء الستة ، ولم يزل الإنجليز موجودين حتى سنة ١٩٥٦م وخرجنا من العدوان الثلاثى وواجهنا مبدأ إيزنهاور ، ثم بدأنا الكلام عن الإشتراكية سنة ١٩٦١م ، ووضعنا الميثاق سنة ١٩٦٢م ونحن اليوم سنة ١٩٦٦م ، فالفترة التى اجتهدنا فيها قصيرة .

لو نظرنا للإسلام نجد أن رسالة أنزلت للناس فى ثلاثة وعشرين سنة ، وهو مثل أعطى لنا .. وعندما ننظر للماركسية نجد أنها إستغرقت ٨٠ سنة أو ١٠٠ سنة لكى تتضح للناس ، وللآن يوجد خلاف مذهبى بين الصين والروس ، وداخل روسيا ، يوجد خلالف بين الستالينيين وغيرهم .. الخ ، إذن المدة الزمية التى إستغرقتها الفكر عندنا قصيرة ولا أريد أن أقيد الفكر وأقول لكم التزموا بخطب جمال عبد الناصر والميثاق ، فقد يكون فيكم من يستطيع أن يجتهد ، والإجتهاد فى الفكر الإشتراكى محبب ، ولو لم يكن عملى كثيراً لاستطعت الإجتهاد أكثر ففى أيام وضع الميثاق تفرغت له فترة ، وحينما وضعنا القوانين الإشتراكية مكثت فى الأسكندرية شهرين للتفرغ لها والتفكير فيها ، حتى إنتقنيا إلى ضرورة تنفيذ قوانين سنة ١٩٦١م ، ولكن قد تكون لديكم كمتفرغين الفرصة للإجتها .

بالنسبة لوضوح الإشتراكية ، فاشتراكيتنا واضحة جداً فى الميثاق ، لأن الميثاق عبارة عن تسعين ، ميثاق وبرنامج ، الميثاق واضح ، والبرنامج حتى سنة ١٩٧٠م واضح وليس به غموض ، هل ستؤمم المساكن ؟.. أبداً .. ليس فى الميثاق تأميم المساكن ، هل سأمنع الملكية الخاصة ؟.. لا .. الميثاق لم يلغ الملكية الشخصية ، بالنسبة للقضاء على الإستغلال ، نقول أنه يجب القضاء عليه ، بل أنى آمل قبل وفاتى أن أجد أزمة فى الخدمة ، وحينئذ أعرف أنى صنعت شيئاً فى هذا البلد ، ولكن عندما نتكلم هذا الكلام تجد فئة لا يرضيها ذلك وهم الذين لديهم خدم ، ولو سألت أحهم عما إذا كان يرضى أن يعمل إبنه كخادم لأجاب بالرف: ، إذن يجب على الإنسان أن يفكر بهذه الطريقة .

بالنسبة للإجراءات التى تتخذ بدون تفسيرات كإجراءات رفع الأسعار مثلاً ، فإن هذا الموضوع يتعلق أيضاً بالتنظيم السياسى فلو كان لدينا تنظيم سياسى لما اكتفينا باتخاذ الإجراءات وإعطاء التفسيرات ، بل كنا نأخذ رأيه فى موضوعات كثيرة ، لكن طالما لا يوجد تنظيم سياسى ، فالإجراءات والتفسيرات عملية غير ممكنة فمثلاً موضوع ادخار يوم من العاملين أثار ضجة واضطررنا للتراجع لأن التنظيم لم يكن سلميا ، فالتفسيرات سببت صدى عكسياً .

وبالنسبة لتغير أماكن القياديين دون إيضاح أسباب ، فإن هذا يحدث فى أكثر البلاد ، فمثلاً ماكميلان استبعد لوين لويد وثمانية من الوزراء ولم يوضح الأسباب ، ورغم ذلك استمروا معه فى البرلمان ولم يشهروا به أو يشهر بهم ، لأن الضرر فى الحالتين يكون عائداً على المجموعة .

وبالنسبة لقضية اليمن فقد يسبق أن تكلمت عنها ، وأكرر القول أنه لو كان عندنا تنظيم سياسى لأمكن تعبئة الناس ، لن نعبىء كل الناس ولكن نعبىء القياديين ، وكل قائد يعبىء جنوده بحيث نمنع السلبية ونمنع البلبلة .. فيجب أن يكون الإتحاد الإشتراكى عبارة عن قادة وجنود ، وبذلك يكون عملنا الأساسى هو التجنيد ، وكما قلت أنت أنه فى الإجتماعات الضيقة يستطيع الإنسان فعلا أن يجند ، وأن يرتبط بالناس على مستويات مختلفة ، وبذلك يكون لنا تنظيمنا السياسى أو الكادرات من الأفراد المؤمنين والمرتبطين عن عقيدة وعن إيمان .

أمين الجيزة :

أعتبر نفسى فى الحقيقة قد وفقت فى عرض جميع المواضيع لأنى ما قصدت عرضها إلا سماع كل هذه الإيضاحات ، حتى إذا كان هناك أى غموض فى الفكر أو عدم وضوح للرؤية .. أمكننا أن نتبينها ثم ننتقل بهذا الإيضاح إلى القاعدة ، وتكون بذلك أكثر فاعلية .

السيد رئيس الجمهورية :

هل لإخواننا فى القاهرة أو فى الجيزة تساؤلات بالنسبة لما أثير من نقاط ؟ ..

السيد المشير عبد الحكيم عامر :

لابد أن يكون هناك كلام وآراء .

السيد رئيس الجمهورية :

هناك نقطة وجيهة بالنسبة للتفرغ يذكرها الأخ على صبرى وهى أنه يهمنا وجود أشخاص من المؤمنين فى الأجهزة التنفيذية فإن لهؤلاء فائدة كبيرة للدعوة داخل الأجهزة التنفيذية ، كذلك ليس من المصلحة أن نفرغ جميع الأشخاص الصالحين فى الأجهزة التنفيذية للعمل السياسى حتى لا نعزلهم فى الوقت الذى نتخذ التفرغ فيه وسيلة للتلاحم مع الناس فى جميع القطاعات .

د . عباس صقر :

لقد وضع المكتب التنفيذى فى الجيزة نصب عينيه هدفين هما بناء التنظيم السياسى القومى ، والإندفاع فى عملية الإنتاج لمضاعفة الدخل القومى ، ونرى لكى نتمكن من إجتياز مرحلة

التحول الإشتراكى أن تكون هناك حلول للمشاكل الأساسية فى داخل مواقع العمل وفى قطاعات الإنتاج ، ومن خلال بحث هذه المشاكل نستطيع من اللقاءات المتكررة التعرف على القيادات المؤمته الصالحة ، ونحن مقدرون لمسئولياتنا ومقتنعون بها ، وهى أن تكون قدوة فى السلوك الإشتراكى وأن تتم لقاءاتنا فى وضوح فكرى تام ، وأن نتجرد فى اختبار الأشخاص القياديين ..

وبالنسبة للصلاحيات نرى أن تكون لنا رقابة نافذة وفعالة على الأشخاص ، وعلى العمل داخل مواقع الإنتاج والخدمات ، بحيث يكون ما نراه فى هذا الشأن محل دراسة سريعة وإجراءات ثورية .

السيد رئيس الجمهورية :

يبدو لى أن هذا الموضوع سابق لأوانه ، إذ يجب أن نكون أنفسنا أولا ، فعندما أقول إن للإتحاد الإشتراكى الرقابة فمعنى ذلك أنى أعطيك مسئولية أنت غير قادر عليها ، وقبل التعرض لهذه المواضيع يجب أن يسبقها عاملان :

١ – التجنيد والتكوين والدعوة .

٢ – معرفة مشاكل الناس وحلها د ون الدخول فى منازعات مع الأجهزة التنفيذية .

لابد اليوم أن نسير مع تلك الأجهزة بأسلوب الدعوة والتعاون وهو أنجح بكثير من فكرة الرقابة ، والدول التى أقامت قبلنا رقابة الحزب تعمل الآن على حل هذه الرقابة ، لأنهم وجدوا أن الرقابة تزيد العمل بالطريقة البيروقراطية .. ولكن هذا لا يمنع من وجود رقابة عندنا بدون سلطة ، وهى التى تقوم بتنفيذها أنت ، وتحقق هدفك منها عن طريقى وعن طريق الأمانة العامة للإتحاد الإشتراكى فتقول للأمين العام أن محافظ الجيزة عمل كذا وكذا ومتنازع مع الإتحاد الإشتراكى ، فأنا والأمين العام نمثل السلطتين التنفيذية والشعبية . وعندنا القدرة على أن نفصل فى هذا الموضوع .

ليس هناك مانع أن تأتى وتقول لى أن الشرقية للسجاير فيها عمال أكثر من اللازم ، ولكن ليس لك أن تذهب لمجلس إدارة الشركة الشرقية وتقول له أنت خاضع لرقابتى ، لأنك بهذا ستوجد تناقضات لا أول لها ولا آخر ، ولكن يمكنك عن طريق التجنيد ، وعن طريق الدعوة ، وعن طريق الأعضاء الذين ستجندهم فى داخل الشركة الشرقية ، أن تعرف إن كان هناك عمال أكثر من اللازم أو أن هناك محسوبية ، وتبلغنا بذلك فنكون عندنا رقابة غير مباشرة .

إذن عندنا عمليتان ، أن ندعو ونجند الناس ، ثم نعرف مشاكل الناس ونحلها ، ويدخل الإنحراف ضمن مشاكل الناس وواجبك فى معالجة الإنحراف أن نعمل على التوعية أولاً قبل التقويم ، بمعنى أنك عن طريق الإتحاد الإشتراكى يمكن أن تجذب هؤلاء الناس وتباشر معهم عملية الدعوة والتجنيد ، وستجد أن مجتمعنا طيب وليس معقداً ، وسيستجيب لنا الكثيرون ، وسيتطوع للعمل معكم موظفون ولكن بشرط ألا يكون هناك إتصال منكم عليهم ، لو تكبرت على أحد فلن يسأل فيك أحد ، بالكلمة الطيبة يتفانى معك الجميع .

وبنفس الطريقة يمكن على متابعة ، ففى محافظة الجيزة عندكم شركة السكر وشركة الدخان وشركة كذا .. فعن طريق الأفراد المجندين الموجودين فى كل منها تستطيع أن تتابع ، ثم نأتى إلينا لتقول أن ميزانية هذه الشركة غير حقيقية ، وإنا قد حققت خسائر وأودعت فى ميزانيتها إنها حققت أرباحاً . وبهذا نستفيد جداً من هذه المعلومات ولكن حصولك على هذه المعلومات أن يكون عن طريق إظهار السلطة ، وإنما عن طريق التجنيد والدعوة .. وبهذا الأسلوب تستطيع مسح المحافظة وتحديد طريقك .

محمد عبد الحميد لبنه :

أرى أن هناك قوى رجعية تحاول إثارة البلبلة عن طريق خلق هذه القضية الفكرية ، هل إشتراكيتنا علمية أم هى إشتراكية عربية وما مصدها ؟.. وأرى أنه يلزمنا فى المكاتب التنفيذية أن نكون دائماً على إتصال بالقيادة السياسية من حيث الوعى الواضح فى النواحى الفكرية .

ويدفعنى هذا أيضاً إلى تساؤل آخر من موقف المكاتب التنفيذية بالنسبة للشيوعيين ، وقد سبق لسيادتكم فى إجتماع الهيئة البرلمانية إن رأيتهم أنه إذا توافرت فى هؤلاء الناس الصلاحية والقدرة على ممارسة العمل السياسى مع الإلتزام بخطنا السياسى فلا مانع من أن يمارسوا العمل معنا ، إلا أن الحساسية القديمة دفعتنا إلى إعادة إستطلاع رأى القيادة السياسية لتحديد الوضع إذا تقدم إلى المكتب التنفيذى بعض هؤلاء الزملاء . وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة للنقطة الأولى فقد نص الميثاق على أنها إشتراكية علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص فى الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الإشتراكية العلمية بالكفر ، ولكن إذا كنت تريد السؤال عما إذا كانت ماركسية ، فأنا أقول بصريح العبارة أنها ليست ماركسية وليست ماركسية لينينية ، وسبق أن قلت هذا الكلام بوضوح فى حديثى مع الصحفيين العراقيين ، ومن السهل جداً معرفة الخلاف وسبق أن شرحناه عدة مرات ، فليس هناك داع

للدخول فى فلسفة عما إذا كانت إشتراكية علمية أو شتوية أو صيفية ، وسبق أن تكلمت فى عيد العلم مفسراً هذا الموضوع ، وكان ذلك رداً لما ورد فى الميثاق بالنسبة للعلم ، ويجب أن تكون إجابتنا قاطعة ، فالميثاق لم يقل أنها إشتراكية عربية ، ولم يقل أنها ماركسية ولا لينينية ، وقد أسميتها إشتراكية مصرية ، وفى هذه الأيام توجد إشتراكية صينية وإشتراكية روسية ، وفى بولندا شيوعية وذكل فى يوغوسلافيا ، ولكنهم جميعاً يسيرون طبقاً للماركسية اللينينية وتطبيقها مبنى على أساس دكتاتورية البروليناريا أو حكم الطبقة ثم تصفية المجتمع ، ونحن لم نسر بهذا الشكل .

أما بالنسبة لسؤالك عن الشيوعيين فإن فيهم أشخاصاً صالحين وقبل سنة ١٩٥٢م لم يجدوا أمامهم طريقاً للكفاح فى سبيل حرية هذا البلد واستقلاله إلا إنضمامهم للحزب الشيوعى ، وبعد قيام الثورة رجعوا عن هذا الرأى ، وفيهم أيضا غير صالحين ، وأنا أعرف كل فئة بالأسم ، ولذلك يجب إستطلاع الرأى بالنسبة لم ينضم منهم إلى العمل السياسى ، ولابد من موافقة الأمين العام ، والأمين العام سيتصل بى شخصياً فى هذا الموضوع ، وعندى بيانات عنهم .

محمد عبد الحميد لبنه :

يوجد تعليق بالنسبة لتعدد الأجهزة على مستوى المحافظة نجد أربع أجهزة تعمل فى قطاع الزراعة وهدفها واحد وهو تقديم الخدمات للزراع ، وهى الجمعيات التعاونية الزراعية ، وبنك التسليف والمؤسسة التعاونية الزراعية . ومديرية الزراعة بالمحافظة ، والوضع يقتضى توحيدها تسهيلاً للتعامل مع الجماهير .

وهناك دراسات أخرى على الطبيعة عن الإزدواج ، فهناك محطات لا يقف عليها فى اليوم إلا قطار أو اثنان ، وكذلك محطات للنقل البرى لا تقوم بالشحن أكثر من مرة أو اثنين فى الشهر .

أكثر من ذلك تعدد الشركات والمؤسسات التى تعمل فى نوع واحد من الإنتاج ، فالشركة لها مجلس إدارة رئيس مجلس إدارة ، والمؤسسة لها أيضا رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة ، ثم هناك مجلس أعلى للمؤسسات برئاسة السيد نائب رئيس الوزراء للصناعة ، ثم بعد ذلك يعرض الأمر على مجلس الوزراء لإقرار ما ينتهى إليه المجلس الأعلى للمؤسسات ، وأعتقد أن هذا التعدد فى حاجة إلى إعادة نظر .

السيد الرئيس :

موضوع الزراعة ، ليس بالبساطة التى تكلمت بها .... بالنسبة لموضع المحطات ، ففى تصورى أنها لو ألغيت لإنهالت علينا الشكاوى كما حدث بالنسبة لمصلحة القطن ، وسياستنا عندما خفضنا ساعات العمل إلى سبع ساعات أن تزيد العمالة بحيث نقضى على البطالة التى كنا نشكو منها .

أما موضوع الشركات المتشابهة والمتعددة ، فرأيى رغم أن نظامنا اشتراكى ، إلا أننا نستطيع الأخذ بنظام الإدارة الرأسمالى دون أن يمس ذلك مبادئنا ، وأعتقد أن الدول الإشتراكية تتجه إلى ذلك ، وقد قرأت فى الأسبوع الماضى بعد مقالات منشورة فى الصحف السوفيتّية تقول بأن الإصلاح الإقتصادى والوازع ليس رجوعاً إلى الرأسمالية ، وإن لهم أن يأخذوا بالأساليب التنظيمية للرأسمالية ويعتبرون ذلك تحسيناً فى الإشتراكية ، وعلى هذا الأساس طلبوا ، الكترونيك ماشيزن لكى يطبقوها فى الإتحاد السوفيتى ، وقد كان عندى فى الأسبوع الماضى رئيس تحرير مجلة « لايف » ومعه إثنان من الصحفيين ولم يتصوروا إن محلات « شيكوريل وبنزايون وجاتينيو وهنانو والطرابيشى » ، تابعه للقطاع العام لأن المحلات شكلها « ضل » فى الإتحاد السوفيتى وكلها على نمط واحد ، فأنا أرى أن تكون هناك منافشة بين المحلات ، وحتى الأوكازيونات ووافقت عليها ، فليس من الضرورى نقل كل ما فى المجتمعات الأخرى إلى مجتمعنا دون بحث ، ومن الأفضل أن نترك مجتمعنا مفتوحاً ولا نقفله أبداً ، مجتمعنا مختلف عن جميع المجتمعات وسنسير فى تطبيقنا للإشتراكية ، ونترك مجتمعنا مفتوحاً للسياح ولا أعمل ستاراً حديدياً ، وفى هذا المجتمع يجب أن نأخذ بما يفيدنا من أساليب الرأسمالية فى تطبيقنا للإشتراكية .

عندنا الآن الشركة والمؤسسة والوزارة ، الشركة عنها سلطة كبيرة ، والمؤسسات عندها سلطة ، وكذلك الوزير ، والحقيقة أن مشاكلنا كلها ليست مشاكل تسلسل ، ولكن مشكلتنا الأساسية هى مشكلة التوازن الإقتصادى أو مشكلة النقص فى العملة الصعبة ، لأننا توسعنا على تنفيذ الخطة الخمسية (فى خمس سنوات) ، ونفذناها واعتمدنا إى حد كبير على المواد الخام الأجنبية ، وعلى مستلزمات الإنتاج الأجنبية ، وسنقضى على هذه المشكلة فى الخطة الثانية بحيث لا تمر سنة ١٩٧٠م إلا وتكون الأمور قد إنتظمت .

رئيس الوزراء :

فى تقديرى أن التنظيم يجب أن يكون متطوراً باستمرار ، وقد وضعنا الأسس لذلك ونحن على استعداد لتقبل أى إقتراحات .

د . أسامة رفعت :

ليس هناك شك - كما أشرت سيادتك فى إجتماع محافظات الوجه القبلى - فى وجود أحزاب وتنظيمات أخرى بجانب التنظيم السياسى ، ليس لها أسم أو مقر ، ولكن أعضاءها يستغلون عدم وضوح الرؤية التى يعانى منها الكثير من المواطنين فى الجمهورية بالنسبة لمضمون الإشتراكية العربية ، وأنا أصر على تسمية اشتراكيتنا بالإشتراكية العربية .

السيد الرئيس :

عندما تقول أصر ، فإنك تعبر عن عقدة نفسية ، كان أسهل لنا أن تقول اشتراكية عربية فى مبدأ الأمر ، ولكن فى كلامى لم أقل ذلك ، لأن الإشتراكية فى الدنيا كلها من ناحية المفهوم الإجتماعى هى الكفاية والعدل ، غير إننا نختلف فى التطبيق ، وفى تصورى أننا متقدمون فى التطبيق الإشتراكى عن بولندا ، وقد اجتمعت مع « أوحاب » وتكلمت معه عن الملكية الزراعية ، وليس معنا هذا إننا شيوعيون أو أنه سيدخل معى ضمن الإشتراكية ، ولكنه يسير فى خط إشتراكى بتطبيق معين ، وأنا أسير فى خط إشتراكى بتطبيق آخر ، وعندما تقول الإشتراكية العربية يكون شأنك تماماً شأن الملك فيصل عندما يقول الحلف الإسلامى ، ليس لدينا ما نخفيه بكلمة الإشتراكية العربية ، نحن واضحون كل الوضوح ، وأمامنا الميثاق ، وليس هناك داع للدخول فى صراع وحوار دون مبرر .

ثم إن اشتراكيتنا متطورة ، ومعنى ذلك بلك بساطة أنها ستوصلنا فى يوم ما إلى منع استغلال الإنسان للإنسان منعاً كاملاً ، هل نحن وقد واتتنا الفرصة نستطيع أن نقصر فى حق الذين لم تواتهم الفرصة ، نحن ننظر إلى هؤلاء ونعمل على القضاء على استغلال الإنسان للإنسان ، وهذا يتمشى مع العدل والدين لأن الله لم يخلقنا لكى يستغل أحدنا الآخر .. هذه هى الإشتراكية والسبيل الوحيد الذى يوصلنا إليها هو زيادة إنتاجنا ودخلنا القومى وتنظيم أنفسنا ، أما ذكرت لك أن أملى قبل وفاتى أن أرى البلد بها أزمة خدمة ، وليس معنى هذا إنتهاء استغلال الإنسان للإنسان .. وإنما معناه أن مرحلة من مراحل الإستغلال قد إنتهت .

أنا شاعر بأزمة عمال التراحيل ، وما يشوبها من استغلال ولكنى الآن غير قادر على حلها ، ولكن العملية المتطورة توصلنا إلى الحل فما الذى يخيفنى من التطور ؟..

د . أسامة رفعت :

ليس هناك خوف ، ولكن يهمنى فى مجال التوعية أن الجماهير تشعر بأن لاشتراكيتنا طابعاً معيناً ، ولن يوفى الشأن إليها فى أننا سننحرف إلى الشيوعية ، ولو نظرنا إلى جمال عبد الناصر

كمفكر إشتراكى نجد أنه قد أضاف مفاهيم جديدة مثل الإيمان بالدين وعدم تقبل مبدأ صراع الطبقات .

السيد الرئيس :
لا ، الصراع الطبقى موجود فى الميثاق .

د . أسامة رفعت :
ولكننا لا ننص على أننا طبقة « البلوريتاريا » .

السيد الرئيس :
لا ، هذا موضوع آخر .

د . أسامة رفعت :
إذا تكلمنا عن محافظة الجيزة كمركز خطير للتجمعات الطلابية ولهيئات التدريس ، فإن طبيعة التوعية تختلف ، ويجب أن يعلم الجميع أن هناك قيادة نضع مذهباً جديداً وليست ملتزمة بتطبيق المذهب القديم ، ومع أن جميع الإشتراكيات لها عناصر عامة مشتركة إلا أن لكل إشتراكية طابع خاص ، ولذلك عندما أقول الإشتراكية العربية فلأنى مقتنع بأن إشتراكيتنا مميزه ، ذات مذهب جديد أو هى تطوير كامل للمذهب بفكر جديد وأسلوب جديد .

السيد الرئيس :
مثلا ، تغير أسم الجمهورية العربية إلى « إسم مصر » ، وأنا من الذين عز عليهم جداً اسم « مصر » ، كدولة ، فماذا تسمى الإشتراكية حينئذ ؟.. إشتراكية مصرية ؟..

د . أسامة رفعت :
المسألة أننا نريد أن تشعر القاعدة الواسعة بأن عندنا صياغة جديدة للفكرة الإشتراكية .

السيد الرئيس :
تقصد فى التطبيق الإشتراكى .

السيد المشير عبد الحكيم عامر :
أعتقد أنه لا شأن للقاعدة الواسعة ، وهى لا تدخل فى مثل هذه المناقشات ، ويهمها أولاً مشاكلها الواقعية والعملية ، وإنما هذه التفسيرات المعقدة تثار بواسطة المثقفين الذين يعتنقون مبادىء أخرى ويحاولون أن يقولوا - كما سمعتم طبعاً - إن الإشتراكية التى تعتنقها

مرحلية ، وإننا سوف ننتقل بعد ذلك إلى مرحلة تالية ، ولكن كلام الرئيس قاطع ، فإشتراكيتنا ليست مرحلية ، ولا هى ماركسية لينينية ، وهذا يحسم الموضوع .

السيد الرئيس :

يمكن أن أقبل كلامك ببساطة ، ولكنى أريد أن أقنعك ، وأقول بصراحة إن إشتراكيتنا متطورة بهدف الوصول إلى الكمال .

السيد المشير :

ويقول البعض من المثقفين وغيرهم أنها انتقام ، كما يدعى بعض الناس ؟.. وإن سلاح التأميم فى مجتمعنا جعل للإنتقام ؟.. أبداً ، هى عدالة كاملة .

محمد أحمد إدريس :

عدم إستطلاع رأى الجماهير بشكل فى حد ذاته نوعاً من البيروقراطية نجده واضحاً حتى فى مشروع قانون التعاون الجديد فقد أعطى هذا القانون السلطة للجهة الإدارية وجعلها فوق سلطة الجمعية العمومية ، فكيف يمارس المواطنون حقهم فى الإدارة الديمقراطية .

وقد دعانا هذا إلى دعوة إخواننا الفلاحين أعضاء المكاتب التنفيذية فى مختلف المحافظات لزيارة الجيزة فى آخر مارس لدراسة مشروع قانون التعاون وتبادل الرأى فيه ، ثم نرفع ما يستقر عليه رأينا إلى قيادة التنظيم ، وكذلك بالنسبة لبعض الموضوعات الأخرى مثل علاقة المالك بالمستأجر ، وموضوع ديون بنك التسليف وغير ذلك .. ومن خلال تجربتنا فإن الجمعيات المشتركة أصبحت لا لزوم لها . والجمعيات النوعية لم يمسها أى تنظيم وظلت كما هي بالمفهومن التقليدى للتعاون ، وما زالت بمنأى عن أى تطور ، بمعنى أنها مازالت تحت

سيطرة الأفراد ، ونقترح فى هذا الشأن أن تقصر العضوية عل يالجمعيات المحلية للحد من سلطة الأفراد وبخاصة فى المشروعات الإقتصادية العامة مثل جمعية تربية الماشية .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الجمعيات والتعاون كله ، كنت قد طلبت من السيد على صبرى أن نعقد إجتماعاً للتعلونيين لبحث كل هذ المواضيع ، وأظن أنه كانت هناك اجتماعات تسوية مفيدة للتعاونيين منذ سنة ١٩٥٨م ثم توقفت هل لدى الأخ زكريا تعليق على هذا ؟ ..

رئيس الوزراء :

توجد موضوعات تفصيلية كثيرة هى محل دراسة الآن ، ولكن ما أود قوله هو أننا يجب أن نفكر فى الإنتاج فى نفس الوقت الذى نفكر فيه فى توزيع العائد ، فمثلاً جمعية تربية

الماشية فى الواقع تعتبر مسألة تخصصية يقوم بها أشخاص معينون ، ونحن يهمنا فى هذه المرحلة زيادة الثروة اللحمية ، فهل يؤدى إقتراح السيد محمد إدريس إلى زيادة إنتاج اللحوم ؟ ..

محمد أحمد إدريس :

قمنا بتجربة فى الجيزة على نطاق صغير وعند تقييمها ثبت نجاحها على أساس الزيادة فى إنتاج اللحوم ، وليس على أساس الكسب المادى .

رئيس الوزراء :

الدولة على إستعداد لكى تترك الجمعيات التعاونية فى هذه المسئولية ، ومن معلوماتى الخاصة ، أنه لو حدث إهمال فى موضوع تربية الماشية بالذات ونفق خمسة أو ستة رؤوس فإن ذلك يضيع المكسب كله .

السيد الرئيس :

هناك نقطة يمكن وضعها فى الإعتبار ، وهى إن الجمعيات التعاونية تحتاج إلى تطوير ، فما زال كبار الملاك مسيطرين عليها بصرف النظر عن تحديد نسبة الـ ٤ على ٥ ، فكبار الملاك لهم نفوذ ويستطيعون وضع رجالهم فى مجالس إدارات الجمعية التعاونية ، وربما كان هذا هو الذى أثر على فكرة الديمقراطية التى تكلمت عنها . فلن تكون هناك ديمقراطية حقيقية بهذا الشكل ، ونحن فى مرحلة انتقال من رأسمالية إلى اشتراكية ، وما زال لكبار الملاك فى عدة قطاعات تأثير كبير على الأوضاع والمشاكل ومنها الجمعيات التعاونية ، وفى رأيى أن يناقشوا الموضوع مع الأخ على صبرى ومع الأمانة لأن عنده فكرة واضحة عن هذا الموضوع .

أمين الفلاحين :

الموضوعات التى تعرض لها الأخ إدريس كانت موضع دراسة تقدمت بها والحلول المقترحة لها للسيد الأمين العام .

وبالنسبة لتجاهل الإدارة للديمقراطية فى الجمعيات – التعاونية ، فإن قانون التعاون الجديد يتعرض لكل هذه المشاكل ويؤخذ رأى القاعدة الآن على مستوى المكاتب التنفيذية فيه ، وفيما قد يكون به من ثغرات .

وقد حدد القانون نسبة لا تقل عن الثلث تكون بالتعيين داخل مجلس الإدارة ، ومسئوليتنا نحن أن نضع أيدينا على القيادات السليمة فى القرية ، على أساس أنه عند إجراء الإنتخابات يكون دور التنظيم السياسى دافعاً للقوى النظيفة فى الدخول إلى الجمعيات التعاونية ، وتحري

العمل لمصلحة الجماهير .

أما باقى الموضوعات التى أثارها الأخ محمد إدريس بانلسبة للجمعيات النوعية ، فهى كما أشار السيد رئيس الوزراء لها طبيعة خاصة ، ولكن المسألة المهمة هى أن بعض كبار الملاك يحصلون على قروض لتربية الماشية ، ولكنهم يستخدمونها فى أغراض خاصة ، والواجب هو تشديد الرقابة والمتابعة بالنسبة لهذه القروض .

السيد الرئيس :

هل إنتهى كلام الجيزة ؟..

أمين الجيزة :

نشكر سيادتكم على هذه المناقشة الحقيقية ونستأذن فى ترك الفرصة لإخواننا أعضاء المكتب التنفيذى للقاهرة حتى نشترك معهم .

السيد الرئيس :

لكى نعطى القاهرة حقها ، نؤجل الإجتماع للساعة السابعة مساء غد ، وأعضاء مكتب الجيزة يحضرون أيضاً ليسمعو أعضاء مكتب القاهرة ..

وشكراً !

الإجتماع الثانى
للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بأعضاء المكاتب التنفيذية لمحافظتى القاهرة والجيزة

السيد الرئيس :

مساء الخير ...

هل لدى إخواننا أعضاء الجيزة تعليق على مناقشات أمس ؟ .. إذن يتكلم إخواننا أعضاء القاهرة .

أمين القاهرة :

إننا نعتبر لقاءنا مع سيادتكم لحظات العمر ، لذلك رجوت أن يحضر معى زملائى أمناء أقسام القاهرة وقد تفضلتم سيادتكم مشكورين بالموافقة .

لقد اتخذ المكتب التنفيذى للقاهرة من توجيهات سيادتكم فى مؤتمر المكاتب التنفيذية الأول دليل عملى له ، وكان واضحاً أننا فى عملنا السياسى يطالبون بواجبات رئيسية :

١ - بناء التنظيم الكفء .
٢ - تعميق أسلوب العمل السياسى .
٣ - دفع العمل السياسى ، وحل مشاكل الجماهير .

فكانت خطة العمل ملتزمة التزاماً واعياً بهذه الواجبات الأساسية الثلاثة ، وبدأنا تنفيذها عملياً من منتصف فبراير وقدر لها خمسة شهور تقييم بعدها العمل والنتائج ، وعلى أساسها تضع خطة المرحلة التالية ، إن خطتنا ليست جامدة ، إنها قابلة للتعديل وفقاً لممارسة العمل ، كما أنها تتفرع على مستوى الأقسام .

أولاً - بالنسبة لبناء التنظيم الكفء :

١ - فيما عدا قسمى الخليفة والأزبكية ، فقد تم تشكيل مكاتب الأقسام فى حدود ٥٠٪ من عدد القيادات المقررة لكل قسم على أن يتم إكتشاف القيادات الباقية من خلال العمل السياسى اليومى .

٢ - تم إعداد خرائط التنظيمية لجميع أقسام القاهرة وعددها ٢١ قسماً ، كما تم تقييم بعض القيادات الموجودة وتشمل ٨٧٦ وحدة للإتحاد .

٣ - إقترحنا ممارسة تجربة الجماعة القيادية على مستوى الوحدات ، وقد وافق السيد الأمين على ذلك ، وتشكل الجماعة القيادية من لجنة الإتحاد واللجنة النقابية وأعضاء

مجلس الإدارة المنتخبين وقيادات الشباب والعناصر الأخرى النشيطة ، وفى تقديرنا أن هذا يقضى على التناقض الموجود فى هذه الوحدات ، كما يعطى فرصة للقيادات الصالحة التى تبرز من العمل السياسى أن تظهر وتعمل ، كما أن العمل خلال هذه الجماعة سيكون عن طريق واجبات محددة تساعد على إكتشاف القيادات الصالحة وتنحية العناصر السلبية .

٤ - قمنا ببناء شبكة إتصال داخلية لكافة مراتب التنظيم ، عن طريق الإجتماعات الدورية المنتظمة ، وتنظيم إتصال تليفونى عاجل مع مكاتب الأقسام ليلا ونهاراً ، كما طلبنا إعداد خرائط بمواقع الإتصال بالجماهير ، مع تحديد قوة التنظيم فى كل موقع وتقييمه فكرياً وحركياً .

٥ - تكوين فرق لشباب العمال ، فبالإتفاق مع منظمة الشباب سيجرى تدريب العمال فى الوحدات الإنتاجية والخدمات فى إحياء القاهرة إبتداء من ١٩٦٦/٣/١٣م .

٦ - أما بالنسبة للنقابات المهنية ، فقدتم مبدئياً اختيار ضباط إتصال فى كل النقابات من داخلها ، ويجرى السعى ديمقراطياً لإنجاح العناصر المناضلة الواعية فى مجالس الإدارة ، كما يتم الإعداد لدورة تثقيفية للمهنيين تمهيداً لتطوير النقابة بهدف رفع مستوى المهنية فنياً ورفع مستوى الخدمة للجماهير ، والقضاء على الأوضاع الطبقية ، وإذابة الفوارق داخلياً .

هذا فى مجال التنظيم ، وقبل أن أنتقل إلى المجال الثانى اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أن أطرح أمام سيادتكم سؤالين نشعر أننا فى حاجة إلى توضيح وتوجيه من سيادتكم بالنسبة لهما :

السؤال الأول :

أ - توضيح شكل العلاقة التنظيمية بين الإتحاد الإشتراكى والمنظمات الجماهيرية ، وما هو الإتجاه السليم لتطوير هذه العلاقة التنظيمية ؟ ..

ب - أعتبر الميثاق أن المنظمات الجماهيرية مثل « النقابات العمالية » والمهنية وروابط المثقفين ، « قاعدة طليعية » ، ونأمل فى تحديد المضمون التنظيمى لكلمة « قاعدة طليعية » وهل يعنى ذلك إن المنظمات الجماهيرية ستسند إليها واجبات طليعية ؟ ..

السؤال الثانى :

تدعيماً لشبكة الإتصال فى المرحلة الحالية - وهى مرحلة بناء التنظيم - ألا ترون سيادتكم تخصيص مسئولين للتنظيم يقولون ما يشبه واجبات ضباط الإتصال فى الجيش ؟ ..

السيد الرئيس :

رأيي بالنسبة للنقطتين اللتين أثرتهما ، أنه لا يمكن أن تكون العلاقة بين النفايات والإتحاد الإشتراكى مثل العلاقة بين منظمة الشباب والإتحاد الإشتراكى لسبب بسيط ، هو أن منظمة الشباب جزء من الإتحاد الإشتراكى والنقابات ليست كذلك ، هل قامت النقابات بالدور الطليعي الذى نص عليه الميثاق ؟ .. لا ، لأنه لا يوجد تلاحم بين الإتحاد الإشتراكى والنقابات .. فلكى توجه النقابات لتكون قاعدة طليعية فعلاً يجب أن يكون أعضاؤها الذى يبرزون فيها أعضاء حركيين نشطين فى الإتحاد الإشتراكى ، وإذن فيجب أن نجند فى داخل هذه النقابات الأفراد الذين تستطيع توصيلهم إلى النقابة ، وإلا ستحد إن النقابات مستقلة عنك ، ونحن نعلم أن الإنتخابات التى تتم فى النقابات لا يحضرها سوى مئات قليلة فى الوقت الذى يكون فيه الأعضاء عشرة آلاف أو أكثر ، فالحل الوحيد أن يكون لنا تنظيمات داخل هذه النقابات ، وعن طريقها تتكون النقابة ، وبذلك تستطيع عن طريق العضو الحركى العامل فى الإتحاد الإشتراكى ، الذى هو فى نفس الوقت عضو فى النقابة ، أن تحرك النقابة وتجعلها فعلا طليعية .. أظن أنكم تسيرون بهذا الشكل ؟ ..

أمين القاهرة :

هل يسرى على نقابات العامل نفس النظام ؟..

السيد الرئيس :

طبعاً ..

وبالنسبة للموضوع الآخر ، فقد تكلمت عنه فى أول اجتماع هنا ، إن الإتصال بالمستويات الأدنى يجب أن يشمل الجميع ، ولا أستطيع أن أخصص له واحداً فقط ، فإذا خصصنا له ضابط إتصال يقوم وحده بالإتصال فكأنى سأعزل الآخرين عن الإتصال ، ولن نستطيع أن نقول إن عندنا وحدات أساسية أو وحدات مختلفة طالما أننا لا نعرف أعضاء الوحدات الأساسية بالاسم ، ونعرف المتحمس منهم والمتزمت الذى يعوزه الوضوح ، هذا الكلام سبق أن قلته فى أول إجتماع ، وقلت أيضاً أن القائد لا يعطى تعليمات ثم يتركها بل عليه أن يحاول الإتصال والتفسير ، وبالذات القائد أى الأمين ، فيجب أن يتصل شخصياً بالوحدات الأدنى وإلا وجد نفسه معزولاً وسط أكوام من الأوراق والملفات ، ولا يعرف شيئاً عن الذين يعمل معهم .

ثم إذا قسمنا المسئوليات فى المكتب وفقاً لتقسيم الأمانة ، فإن ممثل الشباب فى مكتب القاهرة يجب أن يتصل بالشباب فى الإنسان فى الوحدات الأساسية ، وكذلك بالنسبة لممثل

الدعوة والفكر . وأيضا بالنسبة لممثل العمال .. الخ فلن نستطيع تخصيص ضابطاً اتصال واحد .

كذلك أو أن أوضح مهمة ضابط الإتصال فى الجيش ، فمهمته أن يعطى صورة تفصيلية ، ولكن هذا لا يمنع قائد التشكيل وإركان الحرب وهذه القيادة من الإتصال بكل الناس فى القيادات الأخرى ثم إن تعيين ضابط الإتصال يجرى عادة فى وقت الحرب أكثر منه فى الأوقات العادية .

وبالنسبة للعمال والشباب الذين هم فى الحرس الوطنى ، يجب أن نضعهم فى اعتبارياً ونعطيهم واجباً سياسياً ، ففى تقديرى إننا عن طريق الحرس الوطنى نختار الشباب ، ويمكن لقائد الحرس الوطنى أن ينسق علمه مع الأمانة ، لأن واجبه فى الحقيقة سياسى ، وكذلك بالنسبة للفتوه أيضاً .

السيد المشير عبد الحكيم عامر :

نحن نقوم بتوعية هؤلاء جميعاً أثناء التدريبات العسكرية ولديهم الإمكانيات ، ونخصص لهم فى الميزانية أموال تنفق عليهم ، ويمكن الإستفادة بكل ذلك فى التنظيم .

أمين القاهرة :

ثانياً – فى إتجاه العمل التقيفى لتعميق أسلوب العمل الجديد : لقد بدأنا من أول مارس نقيم حلقات نقاشية لأعضاء المكاتب التنفيذية حول موضوعات متكاملة ، تخدم الأهداف المرحلية التنظيمية .

ثالثاً – دفع العمل السياسى لحل مشاكل الجماهير :

تستهدف الخطة لحل مشاكل الجماهير الإلتحام الكامل بين مكاتب الإنسجام والجماهير ، ويغرض حل مشاكلها ، وكسب ثقتها فى الإتحاد الإشتراكى واستعادة سمعته كمنظمة سياسية ، وقد بدأت مكاتب الأقسام فعلاً فى تلمس المشاكل الحقيقية للجماهير ، ثم إتصلنا بالسلطة التنفيذية وقد تم عقد مؤتمر فى الأسبوع الماضى إستمر خمسة أيام تقريبا ، حضره الأمناء والأمناء المساعدون لأقسام القاهرة جميعا ، وجميع رؤساء المصالح والإدارات الخاصة بالقاهرة ، ونوقشت فيه مشاكل الأقسام كلها ، وأمكن حل جزء كبير منها ، وكان للأخ سعد زايد محافظ القاهرة فضل كبير لنا لنا إبداء من روح التعاون التى سادت المؤتمر ، وقد خرجنا منه بثلاثة مكاسب رئيسية :

١ – اشعار الموظفين بواجبهم نحو حل المشاكل بعقلية سياسية .
٢ – يعتبر هذا المؤتمر نوعاً من ممارسة الرقابة الشعبية دون اصطدام مع المسئولين فى الجهاز التنفيذى .
٣ – تحمل الاتحاد مسئولية المشاركة فى حل المشاركة بشكل عملى وتوضحت للأعضاء أبعاد وقدرات العمل .

وشنعقد المؤتمر القادم فى مايو بعد ذلك كل شهرين بصفة دورية ، وسنرفع للأمانة العامة نتيجة تقييم هذا المؤتمر .

بعد هذا العرض ، أرجو أن تسمحوا لى بممارسة النقد الذاتى فيما يتعلق بنشاط مكتب القاهرة :

أ – لم نتمكن إلى الان من الوصول إلى القاعدة الشعبية ، وإن كنا قد وصلنا إلى قيادات الأقسام وإلى الجماعات القيادية فى ثلث وحدات القاهرة ، ونرجو بعد استكمالها أن نعمل إلى القواعد الجماهيرية .

ب – لم نمارس الرقابة-الشعبية للان إلا من خلال المؤتمر الذى عقد مع الجهاز التنفيذى ، وحن ننتهز فرصة وجود سيادتكم معنا لكى نتحقق من مفهوم الرقابة الشعبية فى شكلها النهائى .

جـ ربما نكون قد اندفعنا نحو حل مشاكل الجماهير ، دون أن نتعمق فى الأسلوب السياسى ، ونعطى مسئوليات للجماهير لتعبئتها حول مشاكل الإنتاج والإسراف ، خاصة فى الوحدات الإنتاجية .

د – لم يبذل حتى الآن الجهد المناسب لتنظيم النشاط النسائى على مستوى الأقسام باستثناء شرق القاهرة .

وفى ختام حديثى أرجو أن أقدم المسئولين عن عن مناطق القاهرة ليذكر كل منهم فى دقائق مثالاً من العمل السياسى داخل منطقته .

السيد الرئيس :

بالنسبة للراقابة الشعبية ، عندنا طريقان :

أولاً: المجالس الشعبية التى نص عليها الميثاق ولم تنفذ حتى الآن .

ثانياً: عن طريق الاتحاد الاشتراكى ، فمثلاً أعضاء مجلس المحافظة المعينون سيتولى الاتحاد

الاشتراكى ، تعيينهم من الأعضاء الحركيين ، وعن طريقهم نستطيع أن نوجه مجلس المحافظة ونتفاهم مع المحافظة .

كذلك عن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات التنفيذية أو الإنتاجية المختلفة ، نستطيع أن تعرف الإنحرافات الموجودة والأعمال غير السليمة ، وتبلغ الأمانة العامة بها دون أن يكون لك أى احتكاك بمدير المصنع ، وبعد ذلك نستطيع أن نتفاهم مع السلطة التفيذية ونقوم هذا الانحراف .

ولكن قبل أن ندخل فى هذا العمل ، يجب أن نجمع من داخل الاتحاد الاشتراكى أكبر عدد من المسئولين عن الأجهزة التنفيذية والوحدات الإنتاجية .. الخ ، ونشعرهم بالرسالة الواجب عليهم أداؤها ، وبعد ذلك سترتكز العملية على دعوة رجال يؤمنون بها ..

هذه هى الطريقة التى أتصورها للرقابة الشعبية ، ولا أتصور أن الاتحاد الاشتراكى فى أى مرحلة من المراحل يقيم رقابة على المحافظ ، أو على الإنتاج ، أو شىء من هذا القبيل ، ورقابة الاتحاد الاتحاد كما أوضحتها لا تكون قاصرة على الأجهزة التنفيذية ، ولكن على كل الأعمال المضادة فى البلد ، فمثلاً وصلعنا معلومات من التنظيم السياسى عن نشاط الإخوان المسلمي ، وعن المشتركين فى تنظيمهم فى منطقتى دمياط والمنصورة ، وذلك قبل كشف كل عمليات الإخوان .

أمين القاهرة :

أقدم الأخ شوق عبد الناصر المسئول عن شرق القاهرة ، ليتكلم عن العمل السياسى فى منطقته .

مسئول شرق القاهرة :

أحمل إلى سيادتكم تحيات إخوانى أعضاء الاتحاد الاشتراكى بمنطقة شرق القاهرة بأقسامها مصر الجديدة والزيتون والمطرية والوايلى ، وبوحداتها التى يبلغ عددها ١٩١ وحدة منها ١٤ وحدة سكنية .

بدأنا العمل باجتماع عقدناه مع المكاتب التنفيذية ، ووضعنا فى اعتبارنا أنه لكى ينجح العمل السياسى ، لابد أن نتبع الأسس التالي :

١ - يجب أن نرتبط ارتباطاً شخصياً بالقيادات الوثيقة الاتصال بأكبر عدد ممكن من القواعد الجماهيرية .

٢ - يجب أن نكسب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء .

٣ – ألا يكون العمل السياسى محتكراً لفئة معينة .

٤ – أن نعمل فى المنطقة بأقسامها الأربعة ككل ، بغض النظر عن حدودها .

٥ – القيام بلقاءات متبادلة ودورية بين المكاتب التنفيذية وبين لجان الوحدات ، بهدف استكمال التنظيم .

وقد وجدنا ترحيباً وتحمساً من الجماهير للعمل السياسى ، وليس المهم أن نبدأ العمل ، ولكن المهم هو الاستمرار فيه ، ولذلك وضعنا خطتنا على أساس الترتيب والتركيز ، على أن نسير بهدوء وبإصرار ضماناً للاستمرار فى العمل .

ورغم ثقة الجماهير بالنسبة للقطاع العام ، إلا أن هناك بعض التناقضات أود عرضها ، فإن بعض الأفراد الذين طبقت عليهم القوانين الاشتراكية أو الذين وضعو تحت الحراسة يعملون الآن رؤساء وأعضاء مجالس إدارات للشركات ، وقد يؤدى هذا إلى أن تدار هذه المؤسسات الاشتراكية بعقلية رأسمالية احتكارية ، مع أن المفروض أن تدار بعقلية اشتراكية وبطريقة رأسمالية ، كما ذكرتهم سيادتكم أمس

السيد الرئيس :

أنا قلت إدارة رأسمالية وهذا يعنى التخلص من البيروقراطية .

مسئول شرق القاهرة :

هناك موضوع آخر يثير قلق الناس وتشاؤلهم ، وهو موضوع الانقلابات التى حدثت فى أفريقيا والمديرة بمعرفة الدول الاستعمارية ضد دول عدم الانحياز ، ويربطونها بمحاولات الانقلاب فى أندونيسيا ، ويرجو الناس مزيداً من الحرص والرقابة على الرجعيين وقد أن ذكرتم سيادتكم أن هذا العام هو أخطر أعوام النضال بالنسبة للأمم المتحررة ، كما يجب ألا ننسى أن الاستعمار كان وراء مؤامرة الإخوان الأخيرة .

هذا ما أردت عرضه ، وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، فإن المؤامرات لم تتوقف طوال الأربعة عشر عاماً الماضية ، وسنستمر طالما نحن مصممون على سياسة مستقلة غير تابعة لأى منطقة من مناطق النفوذ ، وأعتقد أن أحداث انقلاب هنا بواسطة الجيش عمل مستحيل ، ولهذا لاحظنا أن « الإخوان المسلمين » ابتعدوا عن الجيش حتى لا تكشف مؤامراتهم ، ونحن لا نكشف هذه العمليات فى الجيش بواسطة المباحث أو المخابرات ، وقد انكشفت كل العمليات بواسطة أفراد الجيش أنفسهم ، و لم يكن لها خطورة جديدة ،

وقد سبق أن انفق الإنجليز سنة ١٩٥٧م الأموال لإحداث انقلاب ، ونعلم أيضاً أن السعوديين والحلف المركزى قاموا بتمويل الإخوان المسلمين لإحداث انقلاب ، وقد كان فيصل يماصل فى موضوع اليمن على أساس ما كان يأمله فى مقدرة الإخوان المسلمين على تغيير الأوضاع .

والحقيقة أن دول عدم الانحياز تمر بفترة عصيبة للخلاف الصينى السوفيتى ، وذلك بسبب أن الاستعمار استغل هذا الانقسام فى المعسكر الآخر لتحقيق نجاح سريع ، مطمئنا إلى أنه لن تحدث له مواجه على نمط الإنذار الروسى سنة ١٩٥٦م عندما تعرضنا للعدوان .

ومما أضعف دول عدم الانحياز أيضاً ، أن أمريكا تغير يومياً بالطائرات على فيتننام الشمالية وهى دولة شيوعية ، و لم يحدث رد فعل و لم يتقدم منقذ ولا مجيب ، وإذن ففى الإمكان أن تتعرض دول عدم الانحياز لنفس الشيء ، وإن كان رأى الصينيين مثلاً فى هذا الموضوع – وهو ما ستظهر حقيقته على المدى الطويل – أن الأمريكيين وقعوا هناك فى مأذق لن يستطيعوا الخروج منه .

كذلك دخلت أغلبية دول عدم الانحياز ف مشاكل اقتصادية نتيجة للضغط الاقتصادى . وبالإضافة إلى ذلك حدث انكماش فى الاتحاد السوفيتى بعد سحب الصواريخ الروسية من كوبا ، وفى نفس الوقت تشجعت الدول الغربية وخصوصاً أمريكا على أساس أن تقوم بتصفية مواقع المقاومة بقدر الإمكان ، وكانت أول نتيجة لذلك عملية الكونغو حينما دخلوا بطائراتهم وبالجنود البلجيكيين لتصفية الموقف .

ومن الواضح الآن أن الاستعمار يريد أن يضعف الدول النامية أو دول العالم الثالث ، أو ما نسميه بدول عدم الانحياز وذلك حتى يدخل ف روع العالم النامى كله أو مقاومة النفوذ الاستعمارى أمر صعب ، ولهذا فالضربة التى لقيها نيكروما تعتبر ضربة قومية بالنسبة أن المتاعب والمشاكل تعترض كينيا وأوغندا ونجد أيضاً أنهم بالنسبة للسودان أوادوا تثبيت أوضاعهم وأيضاً بالنسبة لليبيا وتونس والمغرب .

وإذا نظرنا إلى آسيا نجد أن أساسه الصين قد أثرت فعلاً على معسكر عدم الانحياز ف آسيا ، أو بالنسبة لأن أندونيسيا كانت قد انحازت إلى الصين انحيازاً كاملاً قبل العمليات الأخيرة ، ثم لقد أدى ضغط الغرب على كمبوديا إلى انحياز ها للصين تقريباً ، ووجدت بورما أن الأفضل لها أن تترك الأمور الخارجية وتنكب على معالجة مشاكلها الداخلية ، أى أن دول عدم الانحياز تمر بفترة قلقة فعلاً .

وبعد الانقاب الذى تم ضد نيكروما ، قمنا مع يوغوسلافيا بدعوة بعض دول عدم الانحياز

إلى الاجتماع فى القاهرة أو فى مكان اخر هذا الشهر ، لبحث الهجوم الاستعمارى والضغوط العنيفة التى تتعرض لها دول عدم الانحياز ، وحتى الآن لم تتأكد من موافقة كل الدول على عقد هذا المؤتمر ، فالهند مترددة ، وعهادة فهى تتخذ موقف التردد إلى أن تتحقق أن عدداً من الدول قد وافق ، وحينئذ تبدى وافقتها .

أما بالنسبة لنا ، فبعد سقوط نيكروما وانقلاب حزب البعث فى سوريا ، تذكر كل التلغرافات الخارجية أن هاتين العمليتين تعتبران نكسة للجمهورية العربية المتحدة لأنها كانت فى سبيل إقامة علاقات مع سوريا ، وهذا كلام غير صحيح ، فلم يحدث بيننا وبين السوريين أى كلام فى هذا الموضوع ، وبالنسبة لنيكروما فإنه كان يتبع سياسة متحررة ، ويتعبرون سقوطه نكسة لنا لأن النظام الجديد هناك سيكون داخل النفوذ الاستعمارى ، ولن تكون علاقتنا به قوية .

يصاحب ذلك موضوع الحلف الإسلامى الرجعى الموجود فى الشرق الغربى أساساً ثم فى الدول العربية إجمالاً ، وفى رأيى أن ذلك كله يسير فى نفس المخطط الاستعمارى ، والغرض منه تجميع الدول العربية وعزل مصر تحت ستار الإسلام ومقاومة الإلحاد والمبادىء الهدامة ، وفى رأيى أن الرجعية لن تستطيع أن تكسب شيئاً بالسير فى الحلف الإسلامى ، لسبب بسيط جداً ، وهو أن خطوات الرجعية منسقة دائماً مع الاستعمار ، سواء بحلف إسلامى أو بدونه ، وواجبنا أن نكون متيقظين ، ونوضح للناس الأمور ، وأعتقد أن لدى الناس قابلية لتفهم الحقائق .

أما بالنسبة لمجالس الإدارات ، فلا ما نعم من إعادة النظر فى هذا الموضوع على أساس استبعاد المنحرفين فوراً ، ولكن هناك رغبة للاستفادة منهم فى النواحى الفنية فى شركات أخرى غير شركاتهم ، وفى رأيى أن الكثير منهم يعمل ، ولم تحدث انحرافات كثيرة ، وإذا كانت هناك انحرافات فى مناطقكم أبلغونا عنها تفصيلا .

أمين شئون الأعضاء .

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، هل يمكن تنظيم القوى التقدمية العربية التى أشير إليها فى الميثاق ، وكيف ننظمها وهل يكون ذلك بطريقة وهل يك ن ذلك بطريقة سرية أو بطريقة علنية أو بتشكيل أحزاب ؟..

السيد الرئيس :

نحن نعمل على قدر الإمكان فى هذا الموضوع ، ولكن الحقيقة أن الفردية متفشية جداً فى العالم العربى .

تجد فى العراق عدة تنظيمات تطلق على نفسها تنظيمات قومية ، كل ثلاثة أو أربعة يشكلون حزباً ، والجميع يرفعون شعاراً واحداً هو إسقاط حكم عبد السلام عارف ، وهو لا يريد التفاهم معهم وهم كذلك لا يريدون التفاهم معه ، أو مع بعضهم البعض ، وقد رأينا توحيد الجهود بقدر الإمكان ، ولكن هذه الأحزاب لم تتطور بعد .

وكنت قد تكلمت فى موضوع الحركة العربية الواحدة ، وحصلت محاولة مع سوريا ، ولكنها لم تكن ناجحة بدليل أن الأحزاب عندما إنضمت إلى بعضها البعض حدثت تناقضات وصراعات فى الداخل ، ولكن ستأتى ظروف تحتم الالتحام ، وفى رأيى إلا يكون الالتحام مفتعلاً ، إذ أن ذلك سيؤدى إلى متاعب كثيرة ، وقد تعبنا مع السوريين الذين لجأوا إلينا بعد الانفصال ، فلا يريد واحد منهم أن يعمل مع الآخر ، كل منهم يريد أن يكون زعيماً ويعرض بالآخرين .

أمين شئون الأعضاء :

الشعوب فى الدول العربية متعطشة للانتظام معاً .

السيد الرئيس :

علينا أن ننتهى من تنظيم أنفسنا أولاً .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

يمكننا أن نضع مقاييس وقواعد منطقية عملية لمن ستختارهم وعلى ضوء هذه المقاييس نختار هيئة تأسيسية للحركة العربية الواحدة ويكون ميثاقنا نواة لها . ونستطيع أن نواجه بها أى تكتل استعمارى أو غيره ، وإذا لم تبدوا سيادتكم فى عمل الهيئة التأسيسية فلا يمكن أن تقوم حركة عربية واحدة ، فالإجماع فى الدول العربية أن سيادتكم ظاهرة كونية يجب الاستفادة من وجودها .

السيد الرئيس :

وبعد ذلك « يغرقونا » ؟ العملية ليست بهذه البساطة ، فالجماهير التى تؤيدنا فى العالم العربى ضخمة جداً ، فلوعينا الهيئة التأسيسية ، فكأننا أخذنا قلة ولفظنا الأغلبية ، وستدخل فى هذه العملية تيارات وعوامل لا أول لها ولا آخر ، ورأيى أنه لم يحن الوقت للقيام بها ، ويجب أولاً أن تدخل الجماهير والقيادات العربية فى المعركة العربية ، وتقتنع بحتمية كسب المعركة ، وقد قرأت ما كتبته أنت بعد عودتك من مؤتمر المحامين العرب فى القدس ، كما إستمعت إلى الأحاديث الرائعة التى قيلت لى من كل من قابلتهم ، ولكن عند الإختيار للجنة التأسيسية فكل من لم يقع عليه إختيارك ، سيكون ضدك ، فإذا بدأنا الآن فكأننا نساعد

القوى الرجعية على تفتيت الجماهير العربية القومية الموجودة فى كل مكان ، ولكن قد تحكم علينا المرحلة فى وقت ما أن ندخل فى عملية بهذا الشكل .

وقد بدأنا مع الطلاب العرب بطريقة سرية ، وعندنا فى مصر وفى أوروبا مجال كبير للطلاب العرب ، وهم صغار فى السن لا يتطلعون إلى زعامة ولا قيادة أو ما شابه ذلك ، وبعد عشر سنوات سنجد بينهم النواة التى نستطيع الإعتماد عليها فى جمع الجماهير القومية الموجودة .

وطبيعى أنك سمعت كلامك من عبد الله الرياوى ، لأن كلامك اليوم مشابه لكلامه ، وكذلك السامرائى وغيرهما ، ولكن التنفيذ صعب ، وقد يسبب لنا مشاكل كبيرة ، وهم يطلبون أن أقوم بالعمل ورأيى أن هذه العملية عسيرة .. ومن يريد أن يعمل فليتفضل .

مسئول جنوب القاهرة :

منطقة جنوب القاهرة مملوءة بالمصانع ، ولذلك حتمت علينا طبيعة المنطقة أن ننزل دائما للمصانع واحداً واحداً .

وتم ذلك فعلاً فى عدد كبير من المصانع .. وبالتحامنا بالجماهير د زت قضية أو عرضها أمام سيادتكم ، ففى بعض الوحدات الإنتاجية الكبيرة خلل وصل إلى حد الإنحراف ، وقد ثبت ذلك لجميع أجهزة الرقابة فى الدولة ، إلا أن تأخر البت فيه يعكس أثراً سيئاً على القاعدة .

السيد الرئيس :

أذكر لنا الموضوع بالتفصيل .

مسئول جنوب القاهرة :

فى مصنع النصر للسيارات يوجد عجز فى البضائع يقدر بمليون جنيه ثابت بأشرطة تسجيل وتقارير المحاسبين ، ويقال تعليلاً لذلك أنها بضائع فى الطريق .

كذلك تجد هذا المصنع يتعامل مع المقاول بالقطاع الخاص بطريقة تثير الشبهات ويعطيه نقوده فوراً ، فى الوقت الذى لا يصرف للقطاع العام إستحقاقاته إلا بعد إتخاذ الإجراءات القانونية ، وهناك سرقات تحدث وثابتة بالمستندات ، وعندنا بيانات عن الأشخاص رفعناها لكافة المستويات فى الدولة ولم يتخذ فيها أى إجراء .

وإدارة الشركة القومية لإنتاج الأسمنت لا تعامل موظفيها بحزم .. وفى مصنع النشا والجلوكوز بطره ، ضبطت بضاعة مشتراه بثمن مبالغ فيه ، ولم يتخذ أى إجراء ضد المسئولين ، ولما كانت المصانع متقاربة فإن هذه الأعمال تترك صدى لدى جميع العاملين

بالمصانع فى المنطقة .

كذلك توجد تساؤلات من العمال بالنسبة للعلاوات الدورية ، والأرباح .

رئيس الوزراء :

بالنسبة للنقطة الأولى الخاصة بمصنع النصر للسيارات ، حقيقة أكثر من مرة ، وصلت إلينا هذه المعلومات ، والموضوع قديم وقد مضى عليه أكثر من سنتين ، وتغيرت قيادته ، وفى تقديرى أن حل المشكلة يأتى عن طريق إعادة تقييم القيادات الموجودة فى وحدات الإنتاج ، بحيث نضع شخصاً نطمئن إليه فى كل وحدة من الوحدات لمباشرة العمل ، على أن نختار القيادة التى تستطيع وضع حد للمشكلة نهائياً .

السيد الرئيس :

أنه يقول أن هناك سرقات ، وليس من المعقول إذا ثبت ذلك أن تترك دون مسألة .

مسئول جنوب القاهرة :

عندنا كل الأسماء ، ونحن على أتم إستعداد لمعاونة الجهاز التنفيذى معاونة كاملة .

السيد الرئيس :

هل توجد أدلة على السرقة ؟ ..

مسئول جنوب القاهرة :

لدى كشف بالجرد المخزنى والجرد الدفترى ، ويتضح منه أن هناك رساللات بضائع كاملة غير موجودة .

السيد الرئيس :

أين ذهبت ؟ ..

مسئول الجنوب القاهرة :

لا أدرى ، ولكن هناك « ورش » فى شارع الفلكى تعتمد فى وجودها على السرقات من شركة النصر للسيارات ، ويمكن لأى واحد التثبت من ذلك .

رئيس الوزراء :

ربما كان فى كلامك الآن شىء جديد ، فأنا لا أعلم شيئاً عن الرسالات المفقودة ، ولكن عندى تقارير عن كيفية التعامل مع القطاع الخاص وإن هناك تلاعباً ، وطبعاً أحلنا ذلك للتحقيق ، ولا أعلم نتيجته بعد ، ولكن فى كثير من الأحوال نجد أن من يقوم بهذه الأعمال

يكون حريصاً على إعداد دفاعه مقدماً بحيث لا يمسه التحقيق ، وبالنسبة للبضائع المفقودة ، فإن هذا الموضوع يدخل فى إختصاص الجهاز المركزى للحاسبات ، أيضاً ، ثم يحال بعد ذلك إلى النيابة مباشرة إذا ثبتت الوقائع ، وإذا سمح السيد الرئيس فإنى سأطلع على ما لديه من معلومات جديدة .

وبالنسبة للعلاوات الدورية والأرباح ، فإنت تعلم أن الجمعية العمومية يجب أن تعتمد الميزانية ، وترى مدى تحقيق الشركة للأهداف ، ثم تقرر صرف الأرباح على مستويات معينة ، وكذلك العلاوات ، حسب الميزانية ووفقاً للائحة العاملين .

مسئول جنوب القاهرة :

ثقتنا كبيرة جداً فى قياداتنا ، ونحن نضع تحت تصرفها كل ما لدينا من معلومات .

السيد الرئيس :

إعط ما لديك للأمين العام .

رئيس الوزراء :

فى رأيى أننا مهما وضعنا من أنظمة ، فلابد من الإعتماد على الأشخاص ، ربما لم نتمكن من اختيار قيادات سليمة فى الماضى ، ولكن يجب إجراء محاولة جديدة لتعيين قيادات يمكن الإعتماد عليها بعد التجربة الطويلة التى مرت بنا .

مسئول غرب القاهرة :

منطقة غرب القاهرة تشمل أقسام السيدة زينب وقصر النيل وعابدين والأزبكية وبولاق ، وبها ٣٨٠ وحدة أساسية بين جماهيرية وسكنية .. وتتركز فى هذه المنطقة معظم وزارات الحكومة ومصالحها ومؤسساتها ، وكذلك معظم البنوك ودور النشر ، والمناطق السياحية الهامة ودور اللهو والمسرح ، وكلها أماكن تجمعات جماهيرية ، وقد بدأنا بمسحها تنظيمياً ، ووضنا شبكة مواصلات سريعة بين الوحدات والقيادات .

وبالنسبة للمشاكل ، فإننا نقدر أن واجبنا هو المشاركة مع الجهاز التنفيذى فى حلها ، وقد تمكنا بالفعل من حل كثير منها ، ولكن هناك مشاكل ليست على مستوى المحافظة ، فمثلاً توجد فى تلال زينهم وفى السيدة زينب مدينة من الأكشاك والخيام البالية ، يقيم بها حوالى ٨٠٠ أسرة ممن هدمت منازلهم ، وعجزوا عن أن يجدوا مساكن - هذا بالإضافة إلى مائة أسرة أخرى تعيش فى كهوف أو مقابر مجاورة لتلال زينهم ، وإنى أرفع الأمر للسيد الرئيس راجياً أن تقام فى مكان الخيام مدينة سكنية لهم ضمن مشروع ناصر للإسكان فى السنة المقبلة .

الموضوع الأخير يمس قطاعاً ضائعاً فى الشعب ، وهم الأرامل واليتامى والعجزة الذين لا عائل لهم ولا مصدر للرزق إطلاقاً ، وكان قد صدر قرار جمهورى بتنظيم معاشات لهم على مدى خمس سنوات ولكن الإعتماد وقدره ٦٠٠ ألف جنيه من ميزانية وزارة الخزانة عام ١٩٦٦/٦٥م ونخشى أن يتكرر الحذف ، فباسم هؤلاء أرجو أن تمس سدكم الكريمة هؤلاء الناس . فتدخل الفرحة إلى قلوبهم .

السيد الرئيس :

هل كان إعتماد ال ٦٠٠ ألف جنيه لهذه الفئة فى الدولة كلها أم للمستحقين فى قسم السيدة زينب فقط ؟..

مسئول غرب القاهرة :

للدولة كلها .

رئيس الوزراء :

هل هذا المشروع خاص بالضمان الإجتماعى ؟..

مسئول غرب القاهرة :

نعم .

السيد الرئيس :

موضوع الإسكان لا أدرى لماذا سموه مشروع ناصر وفى الحقيقة لدينا فى القاهرة مشكلتان أساسيتان متفاقمتان ، مشكلة الإسكان ومشكلة المواصلات ، ويجب علهما ، وما زالت خطة السنة القادمة تحت الدراسة ، وسننتظر الإعتماد الذى نستطيع تخصيصه للإسكان ، ولكن إذا أمكنكم إنشاء جمعيات تعاونية للإسكان ففى ذلك مساعدة لنا ، وكل زيادة فى المدخرات تمكننا من زيادة المبانى والواقع إننا إذ لم نجد حلاً لعدم التوازن الإقتصادى ، عندنا – وهو نتيجة لزيادة الطلب عن العرض – فإن مشاكل الغلاء عندنا وستختفى السلع وتكون هناك سوق سوداء ، وعلى هذا الأساس إذا شجعنا الإدخار واستثمرنا المدخرات فى بناء مساكن ، على أن تكون لكل مدخر الأولوية فى الحصول على مسكن بالترتيب ، فإننا بذلك نقدم مساعدة كبيرة فى هذا الشأن ، ونحن لن نستطيع فى فترة قصيرة إن نقضى على كل المآسى الموجودة فى المجتمع ، ففى القاهرة - وليس الأمر قاصراً على زينهم – توجد مئات البيوت من الصفيح فى الشرابية وكذلك عند مدخل الإسكندرية مئات البيوت من الصفيح ، وتوجد عائلات تعيش فى حجرة واحدة ، فضلا عن أن باب الهجرة مفتوح للقاهرة حتى تجاوز عدد سكانها أربعة ملايين ، وسيزيد العدد باستمرار ، وسنحاول دائماً أن نزيد المساكن

فى منطقة الأخ عاطف فى الخطة القادمة للإسكان فنستفيد من المساحات الخربة فى منطقة الموسكى ما لم تكن موقوفه أو حكراً .

مسئول وسط القاهرة :

ثمن المتر من الأرض فى منطقة الموسكى مرتفع جداً ، ولو أمكن بناء عمارات عالية فإن الإرتفاع الرأسى يعوض غلاء الأرض ، أما فى المناطق ففيها مساحات واسعة من الأرض .

السيد الرئيس :

فى هذه الحالة يمكن البناء فى الدراسة ، فيستفيد منها الذين فى الموسكى .

مسئول شمال القاهرة :

منطقة شمال القاهرة التى تتكون من أقسام شبرا والساحل وروض الفرج ، بها عدد ١١٣ وحدة جماهيرية و ١٥ وحدة سكنية ، والمشكلة الظاهرة فى هذه المنطقة هى تزايد السكان ، إذ يبلغ تعدادها مليون نسمة .

وبالنسبة لعمل المكاتب التنفيذية فى هذه الأقسام ، فقد قمنا بتنفيذ خطة العمل التنظيمى التى وضعها المكتب التنفيذى للمحافظة . وهى الوصول إلى القاعدة الشعبية تمهيداً لإختيار القيادات ، وقد تم تحقيق ذلك فى ٢٥٪ من الوحدات ، أمى اننا وصلنا إلى تكوين الوحدات الجماعية بالإشتراك مع اللجان النقابية وأعضاء مجالس الإدارة المنتخبين ووحدات الإتحاد الإشتراكى وبعض العناصر النشطة .

وفى أثناء التحامنا بالجماهير ، برزت لنا مشكلة سوق الخضر والفاكهة ، ولها ثلاثة وجوه : أولها يتعلق بالعاملين بالسوق والثانى بالمستهلكين ، والأخير بتجار التجزئة .

وخرجنا بفكرة تكوين جمعية تلمساونية لتسويق الخضر والفاكهة ، وتم ذلك فعلاً ، وشكل مجلس إدارتها من العاملين أنفسهم الذين هم فى نفس الوقت من المساهمين ، ونأمل أن تصل السلعة إلى المستهلك بالثمن المحدد دون تلاعب .

أمين القاهرة :

الأخ عاطف عبده سعد المسئول عن منطقة وسط القاهرة .

مسئول وسط القاهرة وهى تتكون من ستة أقسام ، الجمالية وباب الشعرية والدرب الأحمر والخليفة والموسكى والظاهر ، وتتشابه طبيعة هذه الأقسام لأن تاريخها يرجع إلى أكثر من ألف عام ، وكثير من مساكنها آيل للسقوط ، وهناك مناطق لم تصلها المرافق العامة مثل المجارى والكهرباء ، هذا هو الوضع فى المنطقة التى ستتحرك عليها تشكيلات الإتحاد

الإشتراكى موزعه على ١٤ وحدة سكنية و ٧٩ وحدة جماهيرية .

وقد تم الإتصال باللجان فى هذه الوحدات ، كما تم التعرف على العناصر القيادية تمهيداً لربطها بالمكاتب التنفيذية فى هذه الأقسام .

قمنا بحل أكصر المشاكل بالمنطقة فى اللقاء الذى تم مع المكتب التنفيذى والسيد المحافظ والمسئولين عن المحافظة ، أما بقية المشاكل فإن حلها يأتى عن طريق التعاون لأنها تتعلق بصغار المراقبين .

أمين الجيزة :

أستاذ سيادة الرئيس فى طرح سؤال عامر بخاطرى بسبب ما آثاره الزملاء من مشاكل .

السؤال يدور أساساً حول شعار الحل الذاتى الذى أطلقه الإتحاد الإشتراكى فى تنظيمه الجديد ، ونرجوا أن تتفضلوا مشكورين بتوضيح كامل لهذا الشعار ، فى ضوء التوجيه الذى تفضلتم بتوجيهه إلى مكاتب الوجه القبلى ، أن يكون عملياً سياسياً ولسنا موظفين .

السيد الرئيس :

الكلام الذى ذكرته لإخواننا فى الإجتماع الأخير ، كان نتيجة لما لاحظته من أنهم يتجنبون الدخول فى بعض المواضيع التى أشعر أنها تدور بخاطر الناس فى كل مكان ، فكان طابع الإجتماع تنفيذياً أكثر منه سياسياً ، ولهذا ذكرت هذا التعليق ، ولكنى أذكر أيضاً – إن لم تخنى الذاكرة – إنى قلت إن القيادة هى معرفة مشاكل الجماهير وإيجاد حل لها ، بشرط ألا يقتصر عملنا على المشاكل ، وإنما يجب أيضاً أن نكون سياسيين ، ونتلمس المواضيع التى يتكلم فيها الناس لنأخذ أفكارهم وآراءهم ونرتبها ثم نعيدها إليهم ثانية ونفسرها لهم .

وتكلمت أيضاً فى هذا الإجتماع عن الحلول الذاتية فى المناطق المختلفة ، على أساس أن يقوموا بأنفسهم بحل أى مشكلة يستطيعون ، أو يحلونها بالإشتراك مع الأجهزة التنفيذية ، وفى رأيى أن هذا يسهل من عملهم السياسى أيضاً ، ذلك لأنه إذا إقتصر الكلام على السياسة فلن ننجح ، وكذلك إذا إقتصر العمل على حل المشاكل فلن ننجح أيضاً ، فيجب أن نمارس المهتمين فنعمل كسياسيين قادرين على التأثير فى الجماهير والتأثر بها ، وفى نفس الوقت ننشط على أساس أن تحس الجماهير أننا نعرف مشاكلها ونجد الحلول لها .

وقلت أيضاً فى هذا الإجتماع أن كثيراً من المشاكل التى أثاروها كان من الممكن إبلاغها للأمين العام والتفاهم على حلها ، على أن يركزوا كلامهم فى مثل هذا الإجتماع على الأمور السياسية الكبرى .

وفى رأيى أن الحلول الذاتية على المستويات المختلفة قد تربك لنا الأمور ، فموضوع الجمعيات التعاونية مثلا أو تجارة الجملة قد يستطيع مكتب تنفيذى إيجاد الحلول المناسبة لها فى المحافظة ، مع أن هذه المشاكل يجب أن تحل على مستوى الجمهورية كلها .

ولذلك أرى أن يسبق العمل بالحلول الذاتية لمشكلة من هذا النوع تنبيه عنها ، بحيث يكون هناك توحيد فى العمل فى جميع البلاد حتى نتلافى ما قد يحدث من تناقضات فى هذ الحلول ، وتجارة الجملة مسألة ملحة .. ومنذ سنة أو سنتين ونحن ندرسها ولكننا لم نتخذ فيها إجراء بعد ، ثم رأيت أن بعض المكاتب التنفيذية فى محافظات الوجه القبلى قد تدخلت فى تنظيم تجارة الجملة ، ومع أنى لا أعلق على هذا ، إلا أنى شعرت بنوع من القلق .. حقيقة أنهم قد تمكنوا من تحقيق بعض الفوائد على المستوى المحلى ، ولكن ماذا سيحدث على المستوى المركزى الكبير ؟.. هل تستطيع الجمعيات الإستهلاكية أن تقوم بعملية تجارة الجملة ؟.. لا أتصور أن العملية ستكون بهذا الشكل ، هذا الموضوع لم أعلق عليه ، ولكن عندما فكرت فى الأمر بعد ذلك رأيت أنه حل وقتى ليس منه ضرر .

وفى رأيى بالنسبة لما ذكر اليوم عن الجمعيات التعاونية الحرفية أن ينظم هذا الموضوع على مستوى أكبر ، أى بين أمانة الإتحاد الإشتراكى والأجهزة التنفيذية .

هناك عمليتان نستطيع القيام بالحلول الذاتية فيهما ، الاول عملية المساكن التى تكلمت عنها ، وهى عملية يسيره جداً ، فيمكن تشكيل أى جمعية تعاونية ، والقوانين التى تنظم ذلك موجودة .

العملية الثانية – ولو أنى لا أنصح بالبدء بها الآن وأنصح بتأجيلها لفترة قليلة ، ولكن أرجو أن نفكر فيها – هى عملية الصناديق الإجتماعية بالنسبة للأحياء المختلفة ، ولها أيضاً قانون ينظمها ، ولكن السبب فى تأجيلها هو الخوف من احتمال حدوث تلاعب فيها ، ولكن بعد إكتمال تنظيمات الإتحاد الإشتراكى تستطيع أن ننشىء فى الأحياء المختلفة صناديق إجتماعية ، تستفيد منها العائلات المحتاجة التى تكلم عنها الأخ عاطف والأخ عبد الحميد مصطفى ، والغى طلبنا من الحكومة رعايتها .

أما المشاكل التى لم يوجد لها حل ذاتى ، والتى لم يتيسر للأمانة حلها ، وترون أن تحاط بها علماً فلا مانع من إثارتها فى الإجتماع ، فمثلاً الوصف الذى ذكره الأخ عبد المجيد مصطفى من مساكن زينهم ، والوصف الذى قاله الأخ عاطف عن الجمالية فأنا أعتبر أنه ليس هناك ما يمنع من الألمام بمثل هذه الأمور ، فقد تكون لدى فكرة عن بعض المشاكل الموجودة ، ولكن مهما حاولت فلن أستطيع أن ألم بكل صغيرة وكبيرة .

وبالنسبة للمصرية هل انتهت مسألة المجارى بها .

أمين المكتب التنفيذى للمطرية :

إنتهت هذا العام .

السيد الرئيس .

كنت ألاحظ من سنتين أو ثلاث أن الشوارع مسدودة ، والمجارى محفورة و لم يكن هناك عمل ، فعملية بهذا الشكل تأخرت ثلاث سنوات فى مثل هذا المكان ، يمكن أن نبحث عن أسباب التأخير .

إن موضوع الحل الذاتى قد يكون موضوعاً متطوراً ، لأنك عندما تتصل بالناس ، وتتصل بالأجهزة التنفيذية ، مثل ما حدث فى التجربة التى باشرتموها فى القاهرة ، فقد توفروا علينا كثيراً من المجهودات بالنسبة للمشاكل التى يتيسر حلها دون تدخل منا .

وكما قيل اليوم فإن المشاكل فى ازدياد مطرد ، لأنه كلما ارتفع مستوى المعيشة زادت المشاكل عادة ، فمثلاً الذى يسكن فى حجرة يتطلع إلى السكنى فى ثلاث ، ومن يسكن فى الباطنية يتطلع إلى السكنى فى الظاهر ، ومن يسكن فى الظاهر يتطلع للسكنى فى الزمالك .. الخ .

وبالنسبة للشقق المفروشة ، هل تؤجر المساكن الشعبية مفروشة ؟ ..

مسئول شمال القاهرة :

المساكن الشعبية لا تؤجر مفروشة ، ولكن المساكن المتوسطة مثل مساكن المنيل قد تؤجر مفروشة .

أمين القاهرة :

السيدان فاروق غلاب ، والدكتور رفعت المحجوب لهما الإستفسارات فى مواضيع سياسية .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

إن شاه إيران يعمل على طمس عروبة منطقة الخليج العربى فيعمل على توطين مجموعات غير عربية هناك بمساعدة الإستعمار والأمراء الرجعيين ، وأرى أن تتصل الجمهورية العربية المتحدة بهؤلاء الأمراء ، وتوضح لهم خطورة هذا العمل ، ومن لا ينتصح منهم تتولى أجهزة الإعلام كشف أمره أمام الشعب العربى فى المنطقة .

السيد الرئيس :

بالنسبة لإمارات الجنوب العربى ، الحقيقة أن سياسة إغراق هذه المنطقة بالإيرانيين سياسة إنجليزية أصلاً ، وكذلك فإن إيران لها أطماع فى هذه المناطق بإعتبارها غنية بالبترول ، وأرى أن وسائل الإعلام عندنا تتولى هذا الموضوع ، وبخاصة ركن الخليج فى صوت العرب .

وبالنسبة للجنوب ، أظن أن هناك جهوداً تبذل لتوحيد الحركات التحررية ولو أنهم سببوا لنا كثيراً من المتاعب ، وبالنسبة للخليج فقبل أن نعمل على توحيد الكفاح يجب أن نوجده أولا ، فلا يوجد الأن كفاح مسلح فى منطقة الخليج ، بإستثناء منطقة ظفار ، وما يقال عن كفاح عمان غير صحيح ، فالمهم أولاً إيجاد المناضلين الذين يمكنهم القيام بكفاح مسلح ، ثم بعد ذلك نوحد الحركة ، وفى الحقيقة هناك قمع كبير للحركات الوطنية فى هذه المنطقة ، ولكننا نسير فى هذا الطريق خطوة فخطوة .

السيد الرئيس :

الحديث بيننا وبين السعودية مستمر بالنسبة للجنة السلام ورأيى أنه لا فائدة فى مؤتمر حرض ، إلا إذا كان هناك إتفاق على الأسس بيننا وبين السعودية ، وبغير ذلك فلا فائدة من إجتماع مؤتمر حرض ، إلى أن نرى مدى ما تصل إليه مع السعودية فى المفاوضات الجارية ، وإذا إنعق مؤتمر حرض دون الإتفاق على الأسس ، فقد يستمر شهراً ثم يفشل ، وما دام فشله محققاً فلا داعى لإ تماعه ، وفى نفس الوقت نحن نعدل إوضاع قواتنا فى اليمن ؛ بما يمكننا من تخفيض جزء كبير منها ، ونستطيع البقاء هناك مدة أطول ، لأن الملك فيصل فى تصورنا يعتقد أن لنا قوات كبيرة فى اليمن ، وإنها تكلفنا أكثر مما نطيق إقتصادياً ، مما يضطرنا إلى التسليم والإنسحاب من اليمن دون قيد أو شرط ، وهذا نفس ما يعتقده الإنجليز ، وهذا ما دعانى إلى القول بأننا سنظل فى اليمن إلى ما بعد سنة ١٩٦٨م ، بحيث إذا كان الإنجليز يشجعون الملك فيصل ، على بقائنا فى اليمن فنشرعهم بأن بقاءنا فى هذه المنطقة خطر على مصالحهم ، وكل ما أستطيع قوله الآن ، أن موقف السعودية غير واضح .. هل تريد الإتفاق أولا تريده ؟ .. ولكنى أشعر أن السعودية خائفون من إستمرار وجود الجيش فى اليمن ، فهم لا يخافون من الجمهوريين الميمنين ولا يخافون من الثورة اليمنية بقد خوفهم من الوجود المصرى فى اليمن ، وكذلك الإنجليز فإنهم يخافون من الوجود المصرى فى اليمن لما له من تأثير على الجنوب ، وعلى منطقة عدن ، وبالتالى سيؤثر مستقبلاً على منطقة الخليج .

أمين القاهرة :

باسم إخوانى أعضاء المكتب ، وأمناء الأقسام ، نتقدم بالشكر لسيادتكم على الوقت

الطويل الذى أمضيتموه معنا . ونأسف لأننا إستغرقنا يومين كاملين من وقتكم الثمين ، نكرر الشكر ووفق الله خطاكم .

د . أسامة رفعت :

النقطة التى أثارها الدكتور رفعت المحجوب حول النقد وحرية الفكر تصادفها بشكل واضح فى الجامعة ، والرد عليها موجود ، ونحن نذكره فى جميع المناسبات ، كدليل على حرية الرأى والفكر هو الحوار الذى دار فى اللجنة التحضيرية بين سيادتكم وبين السيد خالد محمد خالد ، كذلك الندو ، التى عقدتها سيادتك مع منظمة الشباب فى حلوان ، وأرى أن تذاع بالتليفزيون بين الحين الآخر .

كذلك هناك ندوات نقيمها فى الجامعة ، وتشجيعاً للشباب على حضورها يستحسن دعوة أحد السادة أعضاء الأمانة أو أحد السادة أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بصفته ضيف شرف ، فإن مجرد الإحساس بحضوره سيزيد من إقبال الطلاب على هذه الندوات .

وبالنسبة للطلاب فى الخارج ، أرى ضرورة النظر فى إعادة تشكيل المكاتب الخاصة بالمبعوثين ، إذ يجب اختيار المستشارين الثقافيين من التنظيم السياسى .

السيد الرئيس :

على كل حال فنحن ما زلنا فى البداية ، وكلما امتد بنا الوقت فى التنظيم ، سنلمس نتائج عملية وواقعية فى كل ميدان من الميادين ، وأرى أن من المهام الأساسية للقيادة فى المحافظات والمكاتب التنفيذية ، أن نكشف الناس الذين يصلحون لسد الفراغ الموجود فى مختلف النواحى ، ولا تقلق ولا نشكو لأن ذلك لن يفيدنا ، وإنما العمل هو الذى يفيدنا .

وإن شاء الله نراكم فى الإجتماع القادم ، وأرجو أن تفتحوا أمامنا مجال الكلام ، فقد تعرضنا اليوم لمشاكل باب الشعرية والجمالية ورغم إنها مواضيع هامة ، إلا أنى أقول إن إجتماعاتنا أساسا سياسية إذ عندما يكون لدى الناس وضوح من الناحية السياسية . فإنهم يستطيعون تفهم سبب بعض المشاكل الموجودة ، مثل المبانى الآيلة للسقوط ، وعدم قدرتنا على إعادة بنائها ، وإذا لم يكن لدى الناس وعى سياسى ، فلن تستطيع إقناعهم بما تقول .

أشكركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

التنظيمات السياسية فى مدركات عبد الناصر

إن إقامة ديمقراطية سليمة معناها أننا لا نمكن ديكتاتورية رأس المال ولا ديكتاتورية الإقطاع من أن تتحكم فينا تحت اسم الديمقراطية .. ديمقراطيتنا السليمة .. كل الفئات ديمقراطية الشعب العامل كله .. هذه الديمقراطية ستكون لكل الشعب ليست ديمقراطية لفئة قليلة لأن ديمقراطية الإقطاع ورأس المال هى ديمقراطية فئة قليلة من الشعب .. هى الأقلية التى تحكم وتتحكم فى الأغلبية .

(اللجنة التحضيرية ٢٥/١١/١٩٦١م)

سنقيم حياة نيابية على استخراج ثرواتنا وعلى استثمارها وعلى رد عادية الفقر عن الفقراء والصغار من أبناء أمتنا .. حياة نيابية تحررنا من التبعية والعبودية والإنقياد للأقوياء الذين يريدون أن يتحكموا فى مصائرنا وأن يقودونا وراءهم ، ومع ذلك فإننا لن نعيد الحياة القديمة التى ترعرع فى ظلها الإقطاع ونما فى عهدها الإحتكار وسيطر بفضلها رأس المال على الحكم .. إن الحياة النيابية كانت بورصة الأحزاب تزايد فيها وتناقض وتساوم فيها وتتجر فى أرزاق الشعب وأقواته .

نريد أن نقيم تنظيماً شعبياً ليحمى هذه الثورة التى لها عشر سنوات .. ونريد أن نهدم أوضاع آلاف السنين ونقيم أوضاع جديدة قد تحتاج إلى عشرات أو مئات السنين ..

وحينما نقول الشعب فإننا نعنى من هو الشعب الذى لمصلحته تقوم الإشتراكية .

(المؤتمر الوطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١م)

نريد أن نقيم مجتمعاً جديداً .. وهذا المجتمع نبنى اقتصادنا فيه على أساس من العدالة الإجتماعية لأجل الشعب الذى قاسى من ديكتاتورية رأس المال ومن ديكتاتورية الإقطاع ومن الإستغلال بكل معانيه .. من هو الشعب الذى قاسى .. من هو الشعب صاحب المصلحة الأصيلة فى الإشتراكية .. نجد العمال .. الفلاحين .. بعد ذلك توجد الطبقة المتوسطة يدخل ضمن الطبقة المتوسطة الرأسمالية الوطنية .. يدخل ضمن الطبقة المتوسطة النجار .. الراجل الذى يعمل فى محله هو وأولاده ، يدخل أيضا ضمن هذه الطبقة المهنيون .. الأطباء .. المهندسون .. المحامون .. المحاسبون .. إننا نقول ونوضح لهذه الطبقة المتوسطة أن مصالحها مرتبطة مع مصالح الشعب ومصالح العمال والفلاحين أكثر مما هى مرتبطة مع مصالح الطبقة الإقطاعية الرأسمالية ..

(المؤتمر الوطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١م)

سنعمل اشتراكية .. الاشتراكية حياة ، والاشتراكية عدالة اجتماعية ، والعدالة الاجتماعية معناها أننى أخذت من الغنى وأعطيت الفقير وأعدت توزيع الثروة .. فى إعادتى لتوزيع الثورة من هو الشعب ؟ هو عبارة عن جميع الفئات التى تساند الثورة الاشتراكية وتساند الثورة الاجتماعية والبناء الاشتراكى ، إذن أما نيجى النهاردة ونقول كل الحرية للشعب وكل الديمقراطية للشعب لازم أحدد وأفرز وأفصل وأخصص إيه هى قوى الشعب العاملة ، إيه هو الشعب ، مين هو الشعب اللى الثورة الإجتماعية تصل من أجله ومين هم أعداء الشعب ؟ أعداء الشعب هم جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الإشتراكية والثورة الإجتماعية واللى هدفها طبعاً القضاء على هذا النظام الإشتراكى والعودة إلى نظام رأسمالى أو مستغل أو نظام مبنى على أساس ديكتاتورية رأس المال .

(الإجتماع الأول للجنة التحضيرية)

وطبعاً عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة إن القوى الرجعية اللى بتمثل الحزب الرجعى الموجود فى البلد هى القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس اللى مصالحهم الحقيقية مع الإشتراكية .

التنظيم السياسى فى مصر هو الإتحاد الإشتراكى يمثل تحالفاً لقوى الشعب العاملة يضم داخله أكثر من طبقة ولكنه يسعى بالكفاية والعدل نحو تذويب الفوارق بين الطبقات .

إن الإتحاد الإشتراكى العربى هو تنظيم سياسى يسعى إلى أن يحقق ويضمن وضع سلطة الدولة فى يد تحالف قوى الشعب العاملة وفى خدمتها .

(مؤتمر الإنتاج ١٨/٣/١٩٦٦م)

قوى الشعب العاملة التى تحالفت .. العمال .. والفلاحين .. الجنود .. المثقفين .. الرأسمالية الوطنية .. هى التى قضت على التحكم الإقطاعى وتحكم رأس المال وهى التى قضت أيضاً على الإستعمار وعلى الإحتلال البريطانى وهى التى ضحت وهى التى قدمت أرواحها .

(العيد الثالث لبدء بناء السد العالى ٩/٢/١٩٦٣م)

هناك فرق بين التناقض اللى بيكون بين الأصدقاء والناس الأقربين إلى بعض التصادم اللى هو بين الأعداء .. هذا التناقض بنعبر عنه أنه تفاعل ، حيستمر التفاعل .. فالتناقض بين الفلاحين والعمال سيستمر والتناقض من جانب بين الفلاحين والعمال والمثقفين أيضا سيستمر ، والتناقض مع الرأسمالية الوطنية سيستمر .. لكن كل دول بعض بيتصارعوا مع تحالف الإقطاع ورأس المال المستغل .

برضة القوى اللى إحنا قلنا عليها قوى الشعب العاملة ما هياش قوى متصادمة .. ما هياش أحزاب يعنى .. ولكن برضه رغم هذا! حيبقى فيه نواحى طبقية هذه النواحى الطبقية اللى بتمثل التناقص اللى علينا إننا نحله بالوسائل السلمية .

(مباحثات الوحدة الجلسة الختامية ١٩٦٤/٤/٩م)

إيه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ إحنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة : مين اللى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين اللى كان بيشتغل ويأخذ نتيجة عرقه الثانى ؟ .. العامل والفلاح .. الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح إذا ما زرعواهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة ؟.. العمال هم اللى بيشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو اللى بيحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح وإذا العمال ما اشتغلوش مش حيقدر يدور المصنع .. العمال هم اللى تسببوا فى الأرباح ، إذن العمال والفلاحين باعتبارهم العنصر الإنسانى أو القوى البشرية فى الإنتاج كانوا يقاسون من الإستغلال وكانوا محرومين إلى أقصى حدود الحرمان كانوا محرومين من حرية الخبز ..

لا يمكن المساواة بين واحد مش لاق يتعشى وبين واحد عنده .. ألف جنيه .. علشان كده قلنا حرية الخبز وهى ضمان حرية تذكرة الإنتخابات .. لأن اللى مش لاق يتعشى حيبيع صوته بعشرة قروش أو خمس قروش .. لكن إذا كان مطمئن على يومه وعلى غده وعلى مستقبله وأصبح حراً وسيد نفسه موش ممكن يبيع صوته .. الحاجة اللى تخلى الواحد يبيع صوته لحد ثانى إذا قدرنا نقضى على هذه الحاجة نبقى حققنا فعلاً الديمقراطية السياسية .. لازم نعمل لتوفير عمل لكل واحد نعطى ضمانات لكل فرد الحرية مش أبداً البطاقات كما كان قبل ذلك .. لا يمكن أن تكون هناك حرية أو ديمقراطية فى البلد إلا إذا كان الفرد قبل ذلك حراً .. الفلاح مش ممكن يكون حر وهو يقاسى من الإقطاع بيعمل فيه كيف يشاء ، والعامل أيضا لا يمكن أن يكون حر حينما يكون صاحب العمل قادر على أن يقطع عيشه فى أى وقت ..

هذه هى الحرية والديمقراطية الحقيقية ، أما الديمقراطية التى عشناها قبل ذلك بعد دستور ١٩٢٣م حتى ١٩٥٢م فهى ديكتاتورية تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، وهى تحكم الطبقة الواحدة طبقة أصحاب المصالح وطبقة الرأسماليين المستغلين والإقطاعيين ، علشان كده هل فيه فلاح دخل البرلمان ؟

أنا إتكلمت فى هذا الموضوع باعتبر ده هو أساس الديمقراطية بل أنا باعتبر أهم نقطة فى الميثاق هى النقطة بتاعة الـ ٥٠٪ ..

(جلسة المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢م)

إن هذا التنظيم الشعبى يتمثل فى إقامة الإتحاد الإشتراكى العربى الذى يجب أن تتوفر له عدة خصائص تستمد ملامحها من التجربة والأمل ومن ظروف النضال الوطنى فى مرحلته المعاصرة الخطيرة .

أولاً : إن الإتحاد الإشتراكى العربى يجب أن يكون هو الإطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة .

ثانيا : إن الاتحاد الإشتراكى العربى يتخذ الميثاق دليله فى العمل بإعتباره حصيلة التجربة وأصل ونتيجة لأرادة شعبية حرة ..

ثالثا : إن الإتحاد الإشتراكى العربى هو بناء جماهيرى كامل تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطياً وتقوده بآمالها ليكون أداتها بعد ذلك فى قيادة العمل الوطنى .

رابعاً :إن الإتحاد الإشتراكى العربى هو التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

خامساًإن الإتحاد الإشتراكى العربى يتحتم عليه أن يكون الدرع الحامى لضمانات الديمقراطية السليمة .. وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية وضرورة توفر مبدأ القيادة الجماعية وصيانة ممارسة حق النقد والنقد الذاتى والإلحاح فى نقل سلطة الدولة إلى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجيا وكلما كان ذلك ممكناً .

(جلسة المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٣م)

نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو أى مسايرة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقى هذا الشعب لا يشترك فى العمل السياسى ولكن عليه أن يكون تابعاً .. معنى هذا استبعاد الغالبية من أبناء الشعب .. معنى ذلك أنه مهما اختلفت الشعارات ومهما زيفت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن إرادة الشعب الواحد المتحد .

وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التى كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلاً هنا فى مصر بعد ثورة ١٩١٩م – كانت الثورة الوطنية والأحزاب وطنية ، وبعد هذا كيف تنابذت الأحزاب واختلفت .. ففقد الشعب وحدته ونتج عن هذا إن ثورة ١٩١٩م لم تعط ثمارها كاملة وبقيت الإنجليز لغاية ١٩٥٦م موجودين هنا فى بلدنا لأن الأحزاب تركت الهدف الذى قامت من

أجله ثورة ١٩١٩م وبدأت تصل إلى أهدافها الخاصة فى الحكم والسيطرة وطبعاً كان كل واحد بيعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الإستعمار البريطانى أو عن طريق السفير البريطانى أو طريق القصر كان تعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب ليحمى مصالحه ويحمى نفسه من النظام .

كان من الواضح أن تعدد الأحزاب لم تكن له إلا نتيجة واحدة وهى تسهيل النفوذ الأجنبى .. طبعاً فى هذه التجربة من حياتنا وفى المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه سيكون وسيلة لتغلغل النفوذ الأجنبى فى الوقت الحاضر إلى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بنيناها والتى تعبىء الشعب .. وكان لابد أن تدخل التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا فى نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة ، تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل وبحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن الأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

ولكن إذا عملنا حزبين معنى ده إيه ؟.. معناه إن إحنا بنقسم القوى الإشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين ..

طبعاً احنا من أجل الترابط .. قلنا بنقيم الإتحاد الإشتراكى .. الإتحاد الإشتراكى يجب أنه يجمع القوى الإشتراكية الثورية فى كادر سياسى أو فى تنظيم سياسى فى داخل الإتحاد الإشتراكى . وبهذا نستطيع فعلا أن نقيم بنيان للتنظيم السياسى .. ودى عملية سايرين فيها دلوقت .. وفى نفس الوقت لابد أن نحل المتناقضات إللى بتقابلنا بالعمل السياسى .

إحنا من أجل ترابط قوى الشعب العاملة قلنا بنقيم الإتحاد الإشتراكى ولكن اشترطنا أن هناك تنظيم سياسى جديد .. إذن موش ممكن الإتحاد الإشتراكى كإتحاد إشتراكى حايكون فى قوة تنظيمية زى الحزب فى تعدد الأحزاب أو الحزب الواحد ولكن وجود التنظيم السياسى فى داخل الإتحاد الإشتراكى هو اللى حايخلى الإتحاد الإشتراكى قوى .. إذن لا سبيل إلا تحالف قوى الشعب العاملة فى تنظيم واحد هو الإتحاد الإشتراكى العربى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى مع تجميع كل القوى الإشتراكية .. مع تطهير الإتحاد الإشتراكى بإستمرار من القوى الإنتهازية أو القوى الرجعية التى تسللت داخل الإتحاد الإشتراكى .

(الهيئة البرلمانية – ١٦ مايو ١٩٦٥م)

يعنى هذا أن التنظيمات السياسية التى سبقت الإتحاد الإشتراكى مثل الإتحاد القومى ما أقدرش أقول إنه فشل أو حتى هيئة التحرير فشلت . فالأولى قامت بدور مهم ، الاتحاد القومى قام بدور ، إحنا بنمر بمراحل كل مرحلة لها ظروف مختلفة .. هيئة التحرير طالما إحنا كنا بنقول إن إحنا عايزين نحل مشاكلنا فى إطار من الوحدة الوطنية وإن الإتحاد القومى قام بدوره زى ما إحنا النهاردة ننتقل إلى مرحلة جديدة .. مرحلة الثورة الإجتماعية بنعوز تنظيم نفسنا على أسا جديد ..

(اللجنة التحضيرية – ٢٥ نوفمبر ١٩٦١م)

الفصل الثانى عشر

عبد الناصر وقضية فلسطين

تحليل شامل للمدركات



عبد الناصر وقضية فلسطين
« تحليل شامل للمدركات »

كان (فعل) عبد الناصر تجاه فلسطين دون « قوله » أو كلامه المعن أو حتى مدركاته بمراحل كثيرة ، فلقد قال عبد الناصر ، وأعلن كثيراً عن فلسطين ، والصراع مع إسرائيل ، إلا أن فعله العسكرى المباشر كان هزيلاً للغاية ، بل كان مفجعاً (هزيمة ١٠٦٧م ، رغم كل التحذيرات الدولية والداخلية ، ورغم علمه المسبق بطبيعة خصمه بل وبطبيعة صراعه الحضارى والقومى معه . من هنا فإننا نتصور أن الإتيان بهذا التحليل الشامل لمدركات عبد الناصر إتجاه الصراع مع إسرائيل يمثل فى الوقت نفسه إدانة لقصور « عبد الناصر وفعله العسكرى إتجاه هذا الصراع » إذ .. هل يعقل أن تكوةن كل هذه المدركات موجودة للخصم ثم نهزم منه هذه الهزيمة الموجعة (١٩٦٧م) .

إن معنى ذلك فى تقديرنا كلمة واحد : « العجز » ، مضافة إلى « الإدراك الزائف للقضية برمتها » .

وحتى نكون منصفين وموضوعيين كما إختطفا منذ بدء العمل فى هذه الموسوعة ، فشننا سوف نأتى بالمدركات دون إخلال أو تجميل لأكثر من معانيها (وهى فى الغالب معان عظيمة وجليلة لا خلاف عليها نظرياً .. إذ هل يختلف أحد على المستوى الحضارى أو المصرى ، أو حتى القومى للصراع مع الكيان الصهيونى .. لا أظن .

* لهـــذا .

* ولغيره فإننا سوف نمحور حديثنا فى هذا الفصل حول ما يلى :

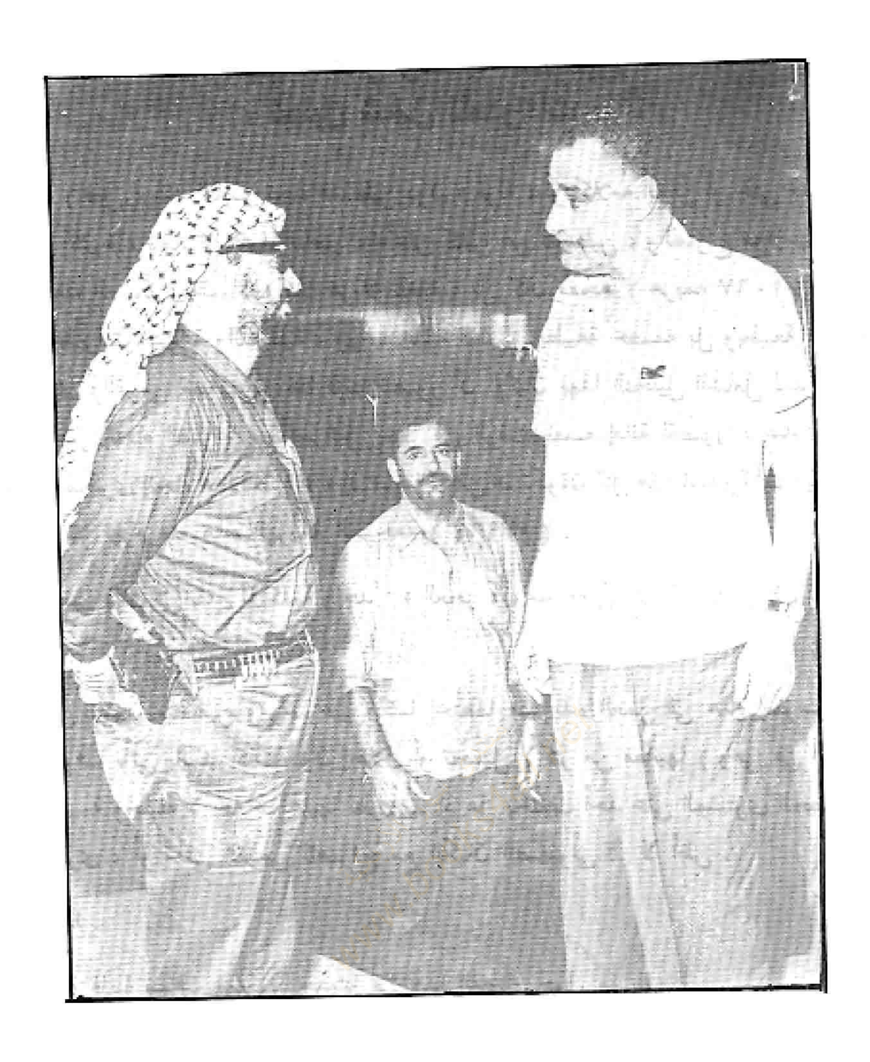
أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته .
ثانياً : تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين : النصوص الكاملة .
ثالثاً : مدركات عبد الناصر لدى الصراع العربى والإسرائيلى .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته :

يمكن بلورة مركات ثورة يوليو لطبيعة الصراع العربى - الصهيونى وتحديد عبد الناصر بعد متابعة لوثائق الثورة المختلفة ، حو ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : إن الصراع العربى - الصهيونى صراع مصيرى بالأساس .



فى الجناح الذى كان يقيم فيه فى فندق هيلتون أثناء اجتماعات القمة يستمع إلى ياسر عرفات ينقل إليه آخر ما وصله من أنباء القتال بين السلطة الأردنية والفدائيين

المستوى الثانى : قومية الصراع :-

عندما حوصرت القوات الفلسطينية خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس ١٩٨٢م داخل بيروت وأسقطت إسرائيل عليها ما يقرب من المليون قنبلة ، وشنت المئات من الغارات (فى يوم ١٢ أغسطس ١٩٨٢م شنت إسرائيل ٢٢٠ غارة ، وأسقطت ٤٤ ألف قنبلة خلال ١١ ساعة فقط) ، وعندما إكتملت صورة الهزيمة العربية فى ١٧ مايو ١٩٨٣م بتوقيع الإتفاق اللبنانى - الإسرائيلى ، وعندما اكتمل المشروع الصهيونى - أو كاد - داخل الضفة الغربية وقطاع غزة بالجولان ولبنان ، عندما حدث كل هذا .. كانت الأنظمة العربية على إمتداد الوطن ، ترفع مقولة خطيرة ، وهى أن القضية - قضية الصراع العربى - الصهيونى - قضية فلسطينية بالأساس والخطورة أنها لم تكتف « برفع المقولة » بل بتطبيقها علمياً من خلال سلوكيات إقليمية ذات دلالة هامة . فى هذا الإطار من تدهور النظرة العربية لطبيعة الصراع ، تأتى رؤية ثورة يوليو لتقدم لنا نموذجاً - نتصور ، أننا فى أشد الحاجة إليه فنحن نعيش سيناريو الحقبة الصهيونية ، فالصراع العربى الإسرائيلى من وجهة نظر ثورة يوليو وبالإضافة إلى مصيريته ، هو صراع قومى ، صراع بين أمة عربية ذات أهداف وطموحات مشروعة وبين مجموعة من العصابات الصهيونية كمقدمة للإستعمار العالمى ، وإن القضية لم تكن قضية أبناء فلسطين فحسب ، وإن كانوا ، هم الطليعة والمقدمة فى عملية المواجهة السياسية والعسكرية مع إسرائيل ، فالقضية قضية كل أقطار الوطن العربى ، وهنا يقول عبد الناصر (إن أى عدوان فى العالم العربى ، يعتبر عدواناً على كل بلد عربى ، ونحن باعتبارنا الجمهورية العربية المتحدة التى أخذت على نفسها واجب الطليعة فى هذا لن نتخلى عن هذا الواجب) ويرى (أن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية) وإسرائيل تدرك هذه الحقيقة ومن ثم فهى تقف ضد الوحدة العربية مفهوماً وسلوكاً (كانت إسرائيل أيضاً تعادى الوحدة بل كانت إسرائيل تعادى وحدة الكلمة بين العرب ، كانت إسرائيل تحاول أن تفرق بين العرب ، حتى تستطيع أن تهاجم فى الشمال وتجمد فى الجنوب ، أو تهاجم فى الجنوب وتجمد فى الشرق) .

المستوى الثالث : حضارية الصراع :-

لقد أكسبت ثورة يوليو الصراع العربى - الصهيونى سمة هامة ، أثبتت التطورات الأخيرة التى تعيشها قصة الصراع اليوم صحتها ، تلك هى طبيعة الصراع الحضارية ، حيث الصراع مع إسرائيل ليس فقط مع مجموعة من العصابات الصهيونية القادمة من أوربا والأمريكتين ، ولكنه صراع مع « الجذور » التى تنتمى إليها هذه العصابات وهى الجذور

المستوى الأول :- مصيرية الصراع :- [1]

تجمع وثائق الثورة ، وتحديداً وثائق عبد الناصر ، على أن هذا الصراع الذى تجرى أحداثه فوق أرض فلسطين ، كان ولا يزال ، صراع وجود ، صراع بقاء بين الأمة العربية من جانب وقوى الاستعمار من جانب آخر .

يقول عبد الناصر أن الأرضية الأصلية وراء الصراع العربى الإسرائيلى هى فى الواقع - وعلى وجه الدقة - أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى وبين الإستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى فلقد كان سلاح الإستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربيت عالميتين ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية فلقد لجأ الإستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن إستغل فى ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة « الصهيونية » وهكذا سلم وطناً من أوطان الأمة العربية غنيمة مستباحة للعنصرية الصهيونية المدججة بالسلام لكى يتم تكريس تمزيق الأمة العربية وليتحقق تخويفها بإستمرار عن طريق إيجاد قاعدة فى قلبها لتهديدها فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية فى صراع محكوم فيه تاريخياً ، ولقد زاد من حدة التناقض بين الأمة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية بقيادة الفلاحين والعمال العرب الأمر الذى دفع الإستعمار إلى مغامرات عنيفة ومخيفة عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م والتى عرفت بحرب الأيام الستة التى هى فى الواقع مقدمة لحرب لم تنته حتى الآن ، هذه هى أرضية الصراع العربى - الإسرائيلى التى هى فى الواقع أرضية التناقض بين آمال الأمة العربية وحقوقها المشروعة وبين أطماع الإستعمار ومخططاته ومؤامراته وكأن عبد الناصر يقرأ بهذا التحليل ، المستقبل العربى ، محدداً حقيقة التناقض وهو ما تحاول « الحقبة الصهيونية » فى مرحلة ما بعد لبنان أن تفعله ، والجسد العربى لا يزال يبحث عن مخرج ، تافهاً ، فى الدائرة المفرغة التى أدخله إليها مفهوم السلاح الأمريكى .

إن الصراع المصيرى ، مفهوم إدركه جيداً الجانب الإسرائيلى ولم يحاول الجانب العربى أن يفهمه أو يحاول تطويره .

---

(١) انظر تفصيلاً لهذه الرؤية فى : رفعت سيد أحمد - ثورة يوليو وقضية الصراع العربى الإسرائيلى - مجلة الموقف العربى - العدد ٣٩ - ص ٦٧٤ .

التى تشكل الوجه الحقيقى للصهيونية السياسية ، وحيث تمتد هذه الجذور لتصل إلى جوهر الحضارة الغربية ، إلى الطبيعة العنصرية التى قامت عليها هذه الحضارة وإلى الوجه العدائى الذى ميزها فى نطاق تعاملها مع غيرها من الحضارات وتحديداً الحضارة العربية الإسلامية ، وإلى الطبيعة الأنانية والفردية التى ميزت نظرتها إلى الإنسان العربى فهو لديها دائماً « متخلف » دائماً « مهزوم » دائماً « همجى » دائماً « غير متحضر » وفى حاجة إلى من يقوده ويؤكد لديه هذا الواقع ، مع دائمية أن يظل فى إطار دور « التابع » من هنا كان لابد من زرع الكيان الصهيونى كإمتداد لما يسمى « بالحضارة الغربية » وإن كان فى جانبها السىء لقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة ، وأدرك ما تعنيه من دلالات هامة تمثلت فى حتمية أن يظل القرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب أحد طرفى الصراع تقدم له دائماً ما يبقيه على قيد الحياة داخل جسد الطرف الثانى (الطرف العربى) وهى الحقيقة الت لم يستطع أن يدركها اليوم الذين يعيشون مرحلة ما بعد لبنان ١٩٨٢م ، وهذه الطبيعة الحضارية « الخاصة » للصراع تحددها الثورة حين تقول من خلال قائدها ، (إن إسرائيل تقوم فى خدمة الأمبريالية والإستعمار بدور القاعدة وبدور المخفر ، الأمامى ، وبدول العازل الذى يحول دون وحدة الأمة العربية ، ويهددها كلما تحركت ، وبدور الأدارة التى تشتتد تركيزها على المستقبل وتمتص طاقاتها بالإستنزاف أولاً بأول ، ولقد باعت الصهيونية نفسها للإستعمار الذى كان يسيطر على العالم العربى ، وربما لم يكن الأمر يحتاج إلى وقفة جديدة فإن الصهيونية العنصرية بحكم طبيعتها الرجعية تقف منطقياً على الجانب المعادى للحرية ويرى عبد الناصر أيضاً (إن الإستعمار قد سلك فى سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكن له عملاء يتسترون بالوجوه الوطنية ليكونوا أكثر فاعلية فى خدمته ، وإنما أقام لنفسه بين الدولة العربية دولة عميلة تتكلم بإسمه ، وتسر على نهجه وتكون رأس جسر لأغراضه ، وحرية فى قلب قارتنا تسعى للسيطرة بما تقدمة من قروض واستثمارات لتسيطر على إقتصادياتها بالإحتكارات الإستعمارية) ، ويؤكد ما يعنيه أكثر حين يقول (حينما نعالج قضية فلسطين لا يمن أن نتصور أننا نعالج قضية سهلة ، إنها قضية إسرائيل ومن وراءها ، وهى بوضوح أكثر ، قضية أمريكا) .

من هذا العرض السابق يتضح لنا كيف أدركت ثورة يوليو طبيعة الصراع العربى الصهيونى حيث هذا الصراع صراع مصيرى وقومى وحضارى ، ومن لا يفهمه على هذا النحو فإنه لا يستطيع أن يدرك طبيعة العدو الذى نحارب وطبيعة صراعنا الطويل معه .

ولعل رؤية ثورة يوليو للصراع تتضح أكثر حين ننتقل بالحديث إلى حيث مستويات تعاملها مع الصراع بأطرافه المختلفة ، أو بعبارة أدق ، كيف أدارت الصراع وكيف تفاعلت مع أحداثه .

ومستويات إدارة الصراع :-

من خلال خبرة الصدام مع إسرائيل وقوى الرجعية والولايات المتحدة ، من خلال الصدام مع هؤلاء - الذين أسماهم عبد الناصر بأطراف الصراع - تشكلت عند ثورة يوليو على المستويين الفكرى والحركى قناعة مؤداها أن عملية إدارة الصراع - العربى الصهيونى عملية معقدة ، وإن تعقد هذه العملية يعنى تواجد عدة مستويات فى إدارتها ، وهذه المستويات متداخلة ومتصلة ، ولا يمكن فهم إحداها دونما فهم ما سبقها ، ويقول عبد الناصر محدداً هذه المستويات إننا نخوض معركة معقدة متشابكة تجرى على أرض وعرة متفجرة ، وليس هناك طريق واحد تستطيع أن نسلكه لتحقيق أهداف أمتنا العربية وإنما هناك طرق متعددة نحو هذه الأهداف وإستعدادها لإستعادة أراضينا الضائعة بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسى لإستعادة ما ضاع منا .. إن الإستعداد بإمكانيات القتال لا ينبغى أن يعطل إستعدادنا بإمكانيات السياسة ... ولكن عبد الناصر رغم ذلك لم يقل إن هذه الحرب هى « آخر الحروب » تحت دعاوى السلام ولكنه قال وفى نفس الخطاب السابق ولكن الخطر أن نجعل الإستعداد للسياسة يعطل بالإستعداد للقتال ، ذلك أنه فى نهاية المطاف تبقى حقيقة واحدة على ساحة الشرق الأوسط ، حقيقة لا شريك لها ولا بديل وهى ضرورة إستعادة أرضنا وتطهيرها إلى آخر شبر تطهيراً كاملاً ونهائياً) .

* إن مستويات إدارة الصراع عند قائد يوليو تتدرج من المستوى السياسى بتنويعاته المختلفة الدبلوماسية ، الإعلام ، الثقافة ، المستوى الإقتصادى كالمقاطعة الإقتصادية ، المستوى العسكرى (والذى لم يحدث بالفعل طيلة العهد الناصرية) .

إن الإدراك كان واعياً ، تلك حقيقة هامة أما الفعل فلقد كان دون ذلك بكثير .

ثانياً - تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين :

النصوص الكاملة ، سوف نورد هنا نصوصاً كاملة لمقولات عبد الناصر بشأن قضية فلسطين اخترناها من مجموعة خطب وأحاديث وهى تمثل مجتمعة رؤية إدراكية هامة بالنسبة له إتجاه قضية فلسطين « حرب ١٩٦٧م » على الرغم من أنها لم يوازيها فعل عسكرى مباشرة ترى ماذا تقول المدركات :

(١) من خطاب الرئيس فى نادى فلسطين بالإسكندرية بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٥٣م .

إنى أشعر شعوراً عميقاً إن المأساه التى حلت بنا جميعاً فى فلسطين لم تكن إلا نتيجة للطمأنينة التى نزلت على نفوسنا بعد الخطب النمقة والاجتماعات الحاشدة ، كنا نستمع

للخطب ونشعر بالطمأنينة بعد هذه الخطب ، فكانت هذه الطمأنينة هى السبب الأول والسبب الأساسى لكارثة فلسطين ، وأنا متألم كثيراً أن أقول أن هذه الطمأنينة ما زالت فى النفوس كانت الأمة العربية تشعر بما يحدث فى فلسطين وكنا نحن نشعر بذلك ، وكان رجال السياسة العرب عقب الحرب العالمية يشعرون بما سيؤول إليه أمر فلسطين فماذا فعلوا ؟ لم يفعلوا إلا الخطب وبعدئذ حلت الكارثة .

هذه هى الحقيقة الواقع ، فنحن الأمة العربية السبب فى ضياع فلسطين ، وقادتنا هى السبب الرئيسى فى ذلك ، فمنذ إن انتهت الحرب العالمية الأولى ، وبعدما إنتهى الإستعمار من إستجداء العرب ، وتخلص الإنجليز من الأتراك نقضوا عهودهم وأخلفوا ما وعدوا به فى أول الحرب كل منا كان يفكر بأنه سيأتى اليوم الذى يحقق فيه الإستعمار أغراضه . فماذا فعلنا لهذا الأمر بعد الحرب العالمية بدأ الإنجليز فى تقسيم البلاد العربية وبث روح التنافر والتفرقة بين أبناء البلد ، فماذا فعلنا إزاء هذا ؟ إننا لم نفعل شيئاً وأخذ كل بلد يفكر فى نفسه .

ثم أعلن وعد بلفور الذى هو بداية الطريق نحو نهاية فلسطين ، أعلن هذا الوعد ولم تفعل إلا الخطب والإجتماعات وإدخال الطمأنينة إلى القلبو ، فكان الإنجليز دائما يظهرون ثباتهم ، وكانت اتجاهاتهم نحو اليهود ظاهرة واضحة ، والأمة العربية كانت تستمع وتتقدم بطلبات ولكن طلباتهم كانت ترفض فماذا فعلنا بعد هذا الرفض ؟ كنا نقول فى إجتماعاتنا وخطبنا سنلقى اليهود فى البحر وبعد إنتهاء الخطب يذهب كل منا إلى بيته حتى بدأت الحرب العالمية الثانية ، وأخذ الإستعمار ينفذ خطته فى سبيل تحقيق أغراضه .

وأعلنوا مبادىء العالم الحر ، وقالوا أن لكل دولة أن تقرر مصيرها ، أخذنا ننتظر لنرى مدى تحقيق هذه الدعوة وكسبنا أنهم لم يفوا بعهودهم فى الحرب العالمية الأولى .

ووقف العرب ينتظرون فكانت النتيجة أن أصحاب مبدأ العالم الحر ، بدءوا عملهم بنكبة فلسطين التى لم يكن مثلها فى تاريخ البشرية وبعد هذا رفرف الإستعمار على رؤوس العرب ، ولم يعمل غير هذا ؟ فمن المسئول ؟ ومن الذى دفع اليهود وشجعهم على إحتلال فلسطين والقضاء على الشعب العربى فيها ، إنها إنجلترا ولكننا نتناسى هذا ، فعندما حاربنا فى فلسطين منعت إنجلترا السلاح عن العرب ، فى حين إن اليهود كان يأتيهم السلاح من كل مكان ، وإن اليهود لو اعتمدوا على أنفسهم وقتئذ لما نجحوا بتاتاً وإنما كانت إنجلترا تدفعهم فهى السبب الأول فى نكبة فلسطين ، يتناسى العرب هذا ويقولون أنه إسرائيل واليهود ولكنهم يخشون أن يقولوا إن السبب إنجلترا ، إن لدينا قوة كاملة لا تخلبها قوة عسكرية . فعندنا

البترول الذى يمون الجيش الأوروبى فى بلاد الغرب ز فلو منعه العرب عنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، فنحن العرب نستطيع أن نعاملهم بنفس معاملتهم ونكمل لهم الصاع صاعين ، نحن العرب نستيطيع أن نشعرهم بأنفسهم ونقف فى سبيلهم ، ونفهمهم أنهم إذا اعتدوا على مصالحنا اعتدينا على مصالحهم .

إن العرب إنخدعوا وراء الكلام المعمول ، فأخذ العرب بهذا إن الأمة العربية إذا ظلت ناقمة ترفرف عليها الطمأنينة فستضيع دولة وراء أخرى ويقضى علينا الإستعمار .

إن إسرائيل التى يسندها الإستعمار ، ولا يريد لهذه المنطقة أية حرية ، ويعتبرها مزرعة لمصالحه الخاصة كما هى خطة الإستعمار فى القضاء على الأمة العربية جميعاً ، وهى ليست خطة قصية الأجل بل خطة طويلة تهدف إلى القضاء على العروبة كلها .

إن العملية ليست عملية فلسطين ، إنما هى عملية العرب وعندما طعنت فلسطين طعن كل منا فى شعوره ووطنه ، حصل ما حصل فى حرب فلسطين ١٩٤٨م ، ورأينا المآسى فليس لدينا دبابات وإسرائيل لديها الدبابات والسلاح ولكن لدينا السلاح الوحيد الذى يمكن أن نمنعه عنهم وهو سلاح البترول .

لقد تعاقدنا معهم على شراء دبابات فمنعوها عنا ، منعوا بلجيكا وسويسرا والسويد من أن يبيعوا لنا السلاح فى حين أننا دفعنا عشرة ملايين من الجنيهات ثمنا للسلام و لم يصل إلينا ، لأن إنجلترا يهمها أن تقوى إسرائيل وتضعف الأمة العربية .

نحن يمكننا أن نقضى على الغرب إذا إتجهنا إلى العمل وحدة ، وتركنا الخطب واتجهنا إلى مقام الإستعمار ، لأنه سبب النكبات وهو الذى دبر نكبة فلسطين ، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعاً .

(٢) من خطاب الرئيس بالجامع الأزهر فى عيد الثورة الثانى بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٤م :

إن مصر والدول العربية سترد كل اعتداء يقع من جانب إسرائيل ، إن مصر توجه كلمة صريحة للعالم الغربى بصدد عدوان إسرائيل المتكرر على حدود البلاد العربية ، إن مصر تريد أن تقول : إن الموقف فى الشرق العربى ينذر بالإنفجار ولن يخسر منه الشرق العربى بقدر ما يخسر منه الذين يكلفون إسرائيل بالدعاية ويطالبون لها حبل الصبر . إن آلام أهل فلسطين المشردين وعذابهم كفيل وحده بالقضاء على كل حجة تساق للدفاع عن إسرائيل وتبرير عدوانها المتكرر ، فإن كرامة الأمم المتحدة تفرض على زعماء تلك الهيئة أن يعملوا شيئاً فى سبل تنفيذ قرارات تلك الهيئة التى داستها إسرائيل ، ومصر حينما تقول ذلك إنما تعبر عن

أربعين مليوناً من العرب .

(٣) من حديث أدلى به الرئيس إلى نائب مدير وكالة اليونايتدبرس بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٤م :

لقد توفرت الأدلة لدى الرأى العام العالمى أخيراً إن إسرائيل تشن الغارات الإرهابية على القوى العربية فضلا عن قطعها كل المواصلات البرية بين مصر والدول العربية شرق السويس ونحن نعتقد أنه ينبغى لمصر والبلاد العربية أن تحصل على هذه المواصلات البرية الحيوية لتجارتها ورخائها ومشروعاتها الدفاعية - وقد أدرك الجميع أن الدفاع عن هذه المنطقة يقع على كاهل شعوبها أولاً - فقد تجلت أهمية إنشاء هذه المواصلات البرية بين مصر والبلاد العربية لصالح الدفاع عن الشرق الأوسط ومن الجلى أن العرب سيواصلون دعم مشروعاتهم الدفاعية بغض النظر عن إسرائيل وقد احتلت إسرائيل المنطقة الواقعة جنوبى فلسطين والممتدة من خليج العقبة بالرغم من أن الأمم المتحدة والدول العربية لم تعترف بأن لإسرائيل حقا فى هذه المنطقة .

وهذا الإحتلال إنتهاك صارخ لإتفاقية الهدنة وإستمراره يحد من سلطة الأمم المتحدة ولست أرى حلاً عاجلاً لهذا الموقف إلا إذا رغم الرأى العام العالمى والضغط الدولى إسرائيل على إن تتخلى عن هذه المنطقة التى لم تنلها بناء على مشروع التقسيم أو وفقاً لأى شرط فى أى وقت .

ولكن إسرائيل ما برحت تتحدى الأمم المتحدة ، وتواصل غاراتها الوحشية على القوى الأمامية التى أثارت سخط الرأى العالمى ووقفت الحكومة الأمريكية إلى توجيه اللوم إلى إسرائيل وهذا الإجراء له دلالته إذ يذكرنا ما للصهيونيين من نفوذ فى الكونجرس وسيطرة على وسائل النشر والإذاعة فى أمريكا .

(٤) من خطاب الرئيس فى الكلية الحربية بتاريخ ٣ مارس ١٩٥٥م :

إنى أذكر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨م وكانت الهدنة قائمة وهجم اليهود هجوماً غادراً على مواقع الكتيبة السادسة فى عراق المنشية ولكنهم هزموا شر هزيمة - صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال وبعودة اليهود إلى مواقعهم وانتظرنا تنفيذ قرارات مجلس الأمن فماذا كانت النتيجة ١٩٤٨م ، لقد عزز اليهود مواقعهم وتمكنوا من خطوطهم لم تنتصر إسرائيل ١٩٤٨م وإنما الذى انتصر هو مجلس الأمن وهم حلفاء إسرائيل هؤلاء الذين عملوا على تثبيت اليهود فى هذه البقعة المباركة وعملوا على إزالة القومية العربية منها - واليوم ونحن فى عام ١٩٥٥م أقول لإسرائيل ومن يهددون باسمها - لقد كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى

فى سنة ١٩٤٨م فهى تهددنا الآن معتمدة على هذه الخرافة – اليوم أقولها – إن الجيش المصرى لن يختلف عن الجيش قبل ذلك – إن الأساليب التى ساعدت على هزيمتنا فى الماضى قد اختفت ولن تعود أبداً – إننا سندافع عن الشرق وسندافع عن الوطن وسنرد العدوان بالعدوان – إننا اليوم إذا دخلنا المعركة نستطيع تعويض ما فات إذا دخلنا المعركة اليوم فسندخلها ونحن نعلم تمام العلم إننا ندافع عن الواجب والشرف والوطن – لقد سمعت أمس تهديد إسرائيل – وأنى أقول لها نحن شعب لا ينسى الإساءة مطلقاً ولكن الإساءة تزيدنا عزماً وصلابة – وإننا لم نهزم مطلقاً فى فلسطين ١٩٤٨م ، وإنى كنت فرداً فى هذا الجيش من أول يوم فى المعركة حتى آخر يوم فرأيت بعينى كيف كان اليهود ينسحبون منهزمين ولست أنسى معركة ١٦ أكتوبر عام ١٩٤٨م فى عراق المنشية حين واجهنا اليهود وهم متفرقون فى القوة والعدد وكنا نحن فى موقع منعزل محاصر وتمسكنا بالشرف وتمسكنا بالواجب وتمسكنا بالوطن ، فهزمنا المعتدين فرأيت العسكرى اليهودى وهو يفر مذعوراً لمجرد رؤيتنا رأيتهم يهزمون رغم دباباتهم ومدرعاتهم التى تركوا بعضها فى الميدان .

إننا اليوم فى عام ١٩٥٥م ونختلف تماماً عن عام ١٩٤٨م إننا اليوم لن نضيع فريسة للغدر والخيانة .

(٥) من خطاب الرئيس فى قطاع غزة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٥م إننا لن ننسى مطلقاً المؤامرات التى دبرت للقضاء على القومية العربية فى فلسطين وإننا لن ننسى فلسطين أبداً وإذا كنتم يا أهل فلسطين قد إعتبرتم هذه المؤامرات موجهة إليكم فنحن أهل مصر نعتبرها موجهة إلينا أيضاً .

إن المؤامرات التى انتهت بهذا النصر للصهيونية العالمية لم تنته بعد ونحن العرب أمة واحدة يجب أن نتجه إلى المستقبل لنحمى قوميتنا التى إستطاعوا أن ينفذوا إليها ويحلوا محلها فى أرض عربية حبيسة قوميات غير عربية – إن هذه المؤامرات لا تنتهى وما زالت تعمل ونحن فى مصر نقف لها بالمرصاد وكل ما أطلبه منكم المثابرة والإتحاد والعمل وأن نأخذ من اليهود عبرة ودرساً حتى نستطيع رد العدوان ونحافظ على قوميتنا .

(٦) من خطاب الرئيس فى إفتتاح الموسم الثقافى بتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٥م .

إن النفوذ اليهوى والصهيونى له هناك تأثير كبير جداً وإننى كنت أعتقد إنها ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أى شيء .

قلنا وما زلنا نقول أن تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة لن يتم مطلقاً إلا إذا أعطيت الدول

العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لإقامة جيش عربى خالص يدافع عنها .

(٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ٨ يوليو ١٩٥٥م :

إن إسرائيل تتسلح بواسطة من خلقوها وتعاون بأموال كبيرة من جهات متفرقة وقد قامت بارتكاب أكبر جريمة فى التاريخ الحديث فقضت على شعب فلسطين وقومية فلسطين تحت سمع الأمم المتحدة ومساعدتها ونحن لم نرج مساعدة من الدول العظمى أو الأمم المتحدة لأن اسرائيل طفلها المذلل ولن نطلب المساعدة بل نعتمد على أنفسنا وعلى جيشنا القوى الذى يمثل ٢٢ مليوناً .

نحن هنا نكون جيشاً تعداده ٢٢ مليوناً يحمى مصر والدول العربية والقومية العربية إننا لن نؤمن بالتخدير الذى يستورد لنا من الأمم المتحدة ، إننا شعب أقوى من شعب إسرائيل وجيشنا أقوى من جيش إسرائيل وسترد العدوان بالعدوان ، وبعد حادث ٢٨ فبراير وإعتداء إسرائيل الغادر لن نخدع بنداءات السلام .

(٨) من خطاب الرئيس بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٥م :

إن الحديث عن سياستنا الخارجية لا يكمل إلا إذا تحدثنا عن فلسطين ومجرد ذكر فلسطين يعيد إلى ذهن كل عربى بل إلى ذهن كل إنسان حسر أكبر جزيمة دولية إرتكتب فى تاريخ الإنسانية كلها فالتاريخ كان يشهد من حين إلى حين توزيع أو انتقاص أراضيها ، ولكن لم يشهد التاريخ مثل هذه المحاولة الفاجرة التى يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية فى فلسطين وإحلال إسرائيل وهى دولة ملفقة تضم أجناساً مختلفة يتكلمون لغات متباينة ويمثلون قارات مختلفة ولم يكن الصهيونيون وحدهم ولا جميع الإسرائليين فى العالم قادرين على أن يرتكبوا هذه الجريمة ولو كانت أموال العالم تحت أمرهم - فإن مقارنة هذه الخيانة لا تحتاج إلى مال فقط بل إلى إفتراء على مقدسات الأمم والأفراد والمقدسات التى لا يحاول إنسان فى وجوب إحترامها وعدم المساس بها ولهذا فإن إسرائيل لا تمثل للعرب ولا تمثل للكتلة الأسيوية الأفريقية ولا تمثل للمنبر العالمى عدوا حربياً أو عسكرياً ضدنا وضد هذه المنطقة من العالم بل تمثل شيئاً آخر ، مثل محاولة السيطرة علينا من خلال هذه الدولة تمثل الضغط الأجنبى عل يالعرب تمثل السعى فى تفريق كلمتهم وإشاعة الفرقة بينهم والحلولة بينهم وبين أن يجتمعوا ويتفقوا أو يستفيدوا من تراث بلادهم وما فى بطون أراضيهم من معادن أو خبرات وما فى مركزهم الجغرافى .

إن حيث فلسطين بدوره يجرنا إلى سياستنا العربية عامة وقد أعلنت هذه السياسة فى العام الماضى وأعلنها فى هذا توكيداً لتزداد وضوحاً فى ضمائركم وليزداد العالم فهما لها – إن سياستنا تهدف إلى جمع شمل العرب بجعلهم أمة واحدة بل أسرة واحدة – لقد كان جيلنا إلى تحقيق هذا الهدف هو أن نلتزم ميثاق فى جامعة الدول العربية وأن نحترمه ونجعل الغامض فيه واضحاً والضعيف قوياً وقد كان ميثاق الضمان الجماعى تكميلاً وتتويجاً وتدعيماً إلى ميثاق جامعة الدول العربية كما يؤثر إلى توحيد خطط جيوشنا وتنسيق العمل بينها .

(٩) من خطاب الرئيس فى القوات المسلحة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥م :

إن جيش إسرائيل قد إستطاع أن يأخذ أسلحة من انجلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وإيطاليا ومن دول أخرى متعددة كان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائماً من يمونه بالسلاح وكنا نقرأ فى الصحف الأجنبية أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعه وقد قرأت فى الشهر الماضى كثيراً من المقالات تحصل هذا المعنى أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم جيش مصر ، إن جيش إسرائيل يستطعي أن يهزم العرب إن جيش إسرائيل متفوق السلاح هذا ما كانوا يقولونه فنقول لهم إذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون السلاح .

(١٠) من خطاب الرئيس فى طلبة الكلية الحربية بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٥٥م :

إنى أحب اليومن أن أعلن باسم مصر للرأى العام العالمى حقيثة هذه الخديعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضى والإعتداء الوحشى اليهودى المدبر الذى وصفه مجلس الأمن ، بأنه إعتداء مدبر وحشى على جنود آمنين مطمئنين ، لقد كان هذا الإعتداء نقطة تحول ، لقد كان هذا الإعتداء الذى دبر بن جوريون (والذى شكر من أجله أفراد الجيش الإسرائيلى لتنفيذهم هذا الإعتداء الوحشى ، لقد كان هذا الإعتداء ناقوس الخطر الذى جعلنا نبحث وندقق فى تعرف السلام ومعنى السلام وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هذه المنطقة ، فوجدنا أن هناك تحيزاً لإسرائيل نستطيع أن نثبت على من يقو بهذا ، إنهم يعملون على منع السلاح عنا ، فى نفس الوقت الذى يعملون فيه على تموين إسرائيل بالسلاح ، فقد إستطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة تثبت أن أمريكا وإنجلترا تعدان إسرائيل بالسلاح ، إن هذه الوثيقة الرسمية تقول إن أهم المعدات الثقيلة من الاسلحة العسكرية التى أمدت بها القوات الإسرائيلية مصدرها أمريكى وبريطانى .

وقالت هذه الوثيقة الرسمية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا وإسرائيل لبيعها طائرات ودبابات وإن أمريكا سلمت من جانبها إلى إسرائيل ١٢ طائرة هذا ما حوته الوثيقة وهو غير ما سلمته فرنسا نفسها إلى إسرائيل وقد قرأنا فى الجرائد الإسرائيلية أن فرنسا قد تعاقدت

مع إسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وعدداً من طائرات المستمر .

هذا هو التوازن كما يفهمونه وهذا هو السلام حسب فهمهم ، التوازن إن إسرائيل تسلح ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب ، التوازن هو أن تقول صحفهم أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة ، التوازن هو أن تقول صحفهم سواء فى أمريكا أو إنجلترا إن إسرائيل تستطيع أن تحشد ٢٥٠ ألف جندى أكثر مما تستطيع الجيوش العربية أن تحشد . التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهى تشعر بالزهو والفخار أن جيش إسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

هذا هو التوازن الذى يموهون علينا به اليوم وهذه هى الخدعة الكبرى التى يحاولون اليوم أن يخدعوا بها الرأى العام العالمى .

(١١) من حديث الرئيس مع مراسل جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ٦ أكتوبر ١٩٥٥م :

الآن نستطيع أن نقابل النفاثات الإسرائيلية بطائرات ميج أن موقف إسرائيل من العرب كان يتسم بطابع العدوان أما ما يسميه اليهود عمليات أخذ الثأر فهى عمليات كان يضع خططها مجلس الوزراء فى إسرائيل .

لقد فرح بن جوريون لأنهم قتلوا ٢٩ من رجالنا فى حادث الإعتداء الإسرائيلى على غزة - وإنى أعرفه أن الحادث لم يثر الخوف فى نفوس المصريين بل أنه فقط دق ناقوس الخطر .

(١٢) حديث الرئيس فى صحيفة نيويورك بوست الأمريكية بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٥٥م :

إن الشعوب العربية تقف كتله واحدة ضد مؤامرات الصهيونية التى تأصلت جذورها فى أمريكا - وإن جميع الشعوب العربية تشعر بأن الولايات المتحدة تقع تحت سيطرة وتوجيه المنظمات الصهيونية القوية وتساعد إسرائيل ضد البلاد العربية .

إن النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة يقف حائلاً بين العرب والأمريكيين وأن كل فرد فى الدول ليشهر بأن جميع الجهود التى يبذلها العرب فى الولايات المتحدة ستذهب بسبب هؤلاء الصهيونيين .

(١٣) وجه الرئيس فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٥م تحذيراً إلى أمريكا :

وقد قررت مصر إزاء الخطر الذى يهددها نتيجة تفوق إسرائيل أن تتسلح حتى يمكن أن تدافع عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلى - فإن قادة إسرائيل حينما شعوا أنهم استطاعوا أن يزودوا جيشهم بالأسلحة الثقيلة والطائرات فى الوقت الذى حرمت فيه الدول العربية

مع تسليح جيوشها إنتهجوا سياسة العدوان بل تعادوا فيها وقد قال زعيمهم بن جوريون أنه يريد فرض وإجبار العرب على قبول الأمر الواقع ، وإن معنى فرض السلام هو العدوان بل إن فرض السلام ليس له إلا معنى واحد وهو شن الحرب على العرب .

(١٤) من تصريحات الرئيس إلى مندوبى الصحف ووكالات الأنباء بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥م :

من الواضح أن المستر إيدن لم يتقدم بأى مقترحات حتى يؤيد مصر وكل ما فى الأمر أنه منذ ١٩٤٧م أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى مقررات الأمم المتحدة التى صدرت فى ١٩٤٧م ثم أهملت ولم يشر إليها قط طوال الأعوام الثمانية الماضية وقد إعتبرت الإشارة إلى هذه المقررات بواسطة رئيس وزراء بريطانيا اعترافاً بحق شعب فلسطين الذى إغتصبت دياره حينما كانت بلاده تحت الإنتداب البريطانى وقد حاول العرب فى الأمم المتحدة أن يبحثوا قرارات الأمم المتحدة التى اتخذت تأييداً لحق شعب فلسطين ١٩٤٧م ، ولكن لم تستجب الأمم المتحدة إليهم وقد استطاع العرب أن يحصلوا على قرار جماعى فى مؤتمر باندونغ على تأييد المؤتمر الأسيوى لحقوق شعب فلسطين العربى والدعوة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ولكن رغم هذا فإن الأمم المتحدة والدول الكبرى فيها أهملت هذا القرار ولم تشأ إثارة أى موضوع يتعلق بحقوق شعب فلسطين العربى التى أهدرت فى عام ١٩٤٨م ولكنها رغم هذا تخلت عن حقوق شعب فلسطين العربى وتركت فلسطين فى ١٩٤٨م وتركت شعب فلسطين تحت رحمة العصابات الصهيونية المسلحة ولم تحاول أن تذكر أن هناك قرارات اتخذت فى الأمم المتحدة بشأن هذه الحقوق – وإذا أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى أن هذه القرارات أهملت فإن هذا يدل على أن حقوق العرب لم تهدر كما تصورت بعض الدول الكبرى ولكن آن الآوان لها أن تبعث من جديد .

إن مشكلة فلسطين تخص الدول العربية جميعاً ولا يحق لأية دولة من الدول العربية أن تنفرد بالتصرف وأن مصر تتمسك بحقوق شعب فلسطين العربى والأمر لا يحتاج إلى مفاوضات فقد اتخذت الأمم المتحدة قرارات ١٩٤٧م بشأن فلسطين كما إتخذت قراراً آخر ١٩٤٩م بشأن حق شعب فلسطين ولكى تحافظ الأمم المتحدة على هيبتها واحترامها كما ينبغى أن تعمل على تنفيذ هذه القرارات طوال الأعوام الثمانية الماضية فى دورامت الأمم المتحدة المختلفة ولكن الأمم المتحدة تنكرت لقراراتها وأهملت حق شعب فلسطين العربى – الذى جرد من بلاده واغتصبت أملاكه – معتقدة بذلك أنها تتلافى المشاكل وقد حان الوقت لتتنبه الأمم المتحدة والدول الكبرى التى تسيطر عليها إلا أن تناسى هذه القرارات وإهمالها وإهدار حقوق

شعب فلسطين لن يساعد ، على قيام السلام الذى يريدونه على حساب فلسطين وحقوق شعب فلسطين .

(١٥) تصريح الرئيس لمندوب الأهرام السياسى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٥م :

إن مصر قد اتخذت موقفاً سليماً حتى الآن رغم الاعتداءات المتكررة من جانب إسرائيل والآن قد ظهر للعالم أجمع أن إسرائيل هى المعتدية دائماً ، أصبح من الواضح أنه لا جدوى من سياسة السلام - حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد بينما يتمادى الجانب الآخر فى العدوان وقد أبلغت مصر الأمم المتحدة ومجلس الأمن موقفها إزاء إعتداءات إسرائيل وقد أشارت المتذكرة إلى أن العدوان الإسرائيلى على سوريا يعتبر عدواناً على مصر طبقاً للإتفاق

الثنائى كما أشارت إلى تكرار الإعتداءات الإسرائيلية على الحدود المصرية منذ فبراير ١٩٥٥م وقالت إن الحكومة المصرية مضطرة إلى معالجة الأمور بنفسها وهى لن تتوانى فى إستعمال قواتها المسلحة سواء البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على سلامتها وإقرار السلام فى المنطقة بعد أن عجز مجلس الأمن فى منع تكرار هذه الحوادث .

(١٦) من خطاب الرئيس فى الإحتفال بإعلان الدستور بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦م :

نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعاً حتى لا يتكرر ما فات لقد ضاعت قطعة من أرضنا لقد محيت قومية العروبة من فلسطين لأننا خدعنا ولأننا تبعنا الإستعمار وأعوان الإستعمار وكانوا يقولون هنا فى مصر ما لكم وللعرب وكانوا يقولون للبلاد الأخرى ما لكم ولمصر ولكننا بعد أن تنبهنا نعلن أننا مع العرب جميعاً من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى من أجل الحرية ومن أجل الإستقلال ومن أجل الحق فى الحياة

(١٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٦م :

إنى أشعر كما تشعرون بما يقال هنا وهناك من أن الشرق الأوسط يمر بمرحلة ينتابها التوتر والتهديد وخطر الحرب والعدوان ، إن هذا الخطر ليس جديداً علينا - إننا دائماً نشعر بالتهديد والعدوان - إن التهديد كان قائماً منذ عام ١٩٤٨م وقبل ١٩٤٨م وبعد عام ١٩٤٨م .

إننا حينما نسمعهم اليوم يتكلمون عن هجوم الربيع فإننا لا نفزع كنا نشعر به قبل سنة ١٩٥٠م وكنا نشعر به يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥م حينما قامت إسرائيل بعدوانها الغادر على غزة وكنا نشعر به أيضا بعد ٢٨ فبراير ١٩٥٥م .

تبجح إسرائيل :

إننا كنا دائماً ننظر إلى الهجوم وننتظر العدوان وإننا كنا دائماً نشعر وحدنا بهذا العدوان – لقد كانت إسرائيل تتبجح بقواتها وقد كانت إسرائيل تتبجح بالإمدادات التى كانت تحصل عليها ولم يكن هناك أبداً أى شعور خارجى بهذا التهديد وهذا العدوان – إننا اليوم حينما نسمع بما يسمونه بهجوم الربيع ، لا نفزع أبداً فإننا كنا ننتظر هذا الهجوم دائماً إننا كنا نشعر ، بالتهديد وكنا نشعر بهذا إننا نحتاج إلى السلام ولم نفزع ولمنجد طلبنا للرحمة ولكننا كنا نؤمن بعزمنا وكنا نؤمن إننا لم نمكن العدوان وإننا لن نمكن التهديد التى أقول هذا اليوم وأقول أيضاك إن مصر التى ارتبطت مع الدول العربية وإن مصر التى أعلنت إنها جزء من الأمة العربية ستقوم بالتزامها فى هذا السبيل وستتعاون مع أية دولة عربية فى صد العدوان والإعتداء .

(١٨) من حديث الرئيس إلى صحيفة الأوبزيوفر بتاريخ ٢٦ ١٩٥٦م :

لم أدرك أن إسرائيل مسألة حيوية للدول الغربية إلا قبيل ذهابى إلى مؤتمر باندونج فالغربي يريد حماية إسرائيل قبل كل شى ولو نجحت خطة الغرب لأصبح العالم العربى بأسهر متجهاً بنظرة إلى الشمال ولتركت مصر معرضة للخطرالحقيقى المنبعث من إسرائيل ولم نكن نفكر كثيراً فى خطر إسرائيل حتى أخذت تعتدى على حدودنا وغرقنا إن السلام يأتيها عن طريق فرنسا وكنا نريد استغلال مواردنا فى سبيل مشروعاتنا الداخلية وحدها ولكن اضطررنا إلى شراء الأسلحة حتى نستطيع مواجهة خطر إسرائيل .

(١٩) من كلمة للرئيس بتاريخ ١٢ مايو ١٩٥٦م :

إن المؤتمر الصهيونى الذى اعقد فى إسرائيل ، طالب بتحرير الوطن الإسرائيلى الذى يحلمون به من النيل إلى الفرات من العرب – إن العرب فى رأيهم دخلاء غاصبون ، إن فلسطين فى رأيهم أرض يحتلها العرب من غير وجه حق ، أن مديرية الشرقية فى رأيهم أيضاً بلد يحتله العرب أيضا بغير وجه حق ، إن سوريا والأردن والعراق بلاد يحتها العرب كذلك فى رأيهم من غير حق ، ذلك منطقهم ، وتلك خطتهم ، من هنا تبدو أهمية القوة العربية العسكرية اليوم .

وتزداد هذه الأهمية خطورة إذا ذكرنا مع الصهيونية العالمية وشرورها أطماع الإستعمار وخططه البعيدة المدى إن الإستعمار يعتبر القومية العربية خطراً عليه وعلى موارده .

(٢٠) من خطاب الرئيس فى الجبهة الشرقية بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥٦م :

كنا نريد تقوية جيشنا ولم نشأ أن يشغلنا عن ذلك أى إعتبار فرعى وتركناهم يقولون ما يشاء لهم سوء النية ولم يسكتوا ، بدءوا يسلحون إسرائيل ، أقول بصراحة الغرب بدأ يسلح إسرائيل أعطاها الطائرات والدبابات والمدافع بدأ الغرب يسلح إسرائيل من غير ضجة . ومن غير ثورة ، من غير صخب ، فى صمت وسكون فتلسمت إسرائيل من فرنسا ٢٤ طائرة إخرى من طائرات (ميستير) إننى أود أن أقول لكم شيئاً عن طائرات (الميستير) إن إنتاج هذه الطائرات خاضع لمنظمة حلف الأطلنطى وجيوش هذا الحلف هى وحدها التى تستعملها ، وإسرائيل الآن البلد الوحيد خارج حلف الأطلنطى الذى أعطيت له هذه الطائرات ، إننى لا أقول إن فرنسا هى التى أعطت إسرائيل السلاح وحدها ، وإنما أعتبر أن الغرب كله تآمر فى هذا مع فرنسا لمصلحة إسرائيل ضد العرب إنهم يتحدثون عن إعادة التوازن بين العرب وإسرائيل بعد إن اختل هذا التوازن كما يدعون حين إستطاعت مصر أن تسلح جيشها ، أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين أربعين مليوناً من العرب وبين مليون ونصف مليون فى إسرائيل ، بل أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين ٢٣ مليوناً من المصريين ومليون ونصف فى إسرائيل ، إننى أعلن أمامكم من هنا إن الجيش المصرى سوف يظل أقوى جيش فى المنطقة ، وإن التفوق سيظل معه سواء رضى الغرب أو لم يرضِ سواء رضيت إسرائيل أو لم ترض .

نحن اليوم لا نواجه إسرائيل وحدها ، وإنما نواجه إسرائيل والإستعمار ، وطالما كان هناك إستعمار لا يمكن أن يكون سلام ، لأن الإستعمار معناه الاستغلال والسيطرة والتحكم ، ونحن لا نقبل إستغلالاً ولا سيطرة ولا تحكماً ، إذن فهناك حرب بيننا وبين الإستعمار برغم إرادتنا ، لأننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا ، والدفاع عن إستقلالنا ، وشرفنا وحريتنا وكرامتنا طالما كان هناك استعمار فلن نشعر بإطمئنان ، وسنظل دائما على حذر لن يكون هناك سلام بالنسبة إلينا إلا بعد أن نبنى قوة مسلحة نعتمد عليها . يحسب كل فرد حسابها ويقدرها ك للتقدير ، وبالنسبة لإسرائيل كلنا نعرف

ما هى الأسباب التى من أجلها خلقت إسرائيل لا من أجل وطن قومى لليهود فحسب ، ولكنها خلقت لتكون عاملاً من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم ، خلقت إسرائيل لإضعافنا وإثارة المتاعب فى طريقنا .

لقد أعطوا السلاح لإسرائيل وحينما حصلنا على السلاح ، قامت الدنيا وقعتد وملئوا الدنيا صياحاً وضجيجاً حول اختلال ميزان القوى وبعد ذلك كله ما زالوا يسلمون لإسرائيل السلام ، وكل هذا لا يؤثر فى سلام الشرق الأوسط ولا يؤثر فى قوى الشرق الأوسط ،

وحينما كانت إسرائيل تعتدى علينا ، كانوا هم يسلحوا إسرائيل تسلحاً يريدون به أن يتساوى تسليح إسرائيل مع تسليح الدول العربي مجتمعة ، ولم نقل لهم شيئاً أو لم تنقلب الدنيا رأساً على عقب ولم يتأثر السلام ولكن حينما أحسوا بأننا تسلحنا وإننا سنقابل العدوان بالعدوان بل بأشد منه كان ذلك فى نظرهم هو الذى سيقلب السلام فى الشرق الأوسط ، وحينما تتكلم إسرائيل عن الوطن القومى لليهود والأرض المقدسة الت يتمتد من النايل إلى الفرات لا يزعج هذا القول أحدا .

ولكن حينما نتكلم عن فلسطين وعن حق العرب فى بلادهم ، يكون هذا الأمر شيئاً مزعجاً يهدد السلام العالمى .

(٢١) من حديث الرئيس مع صاحب مجلة باينز الهندية بتاريخ ١٠ مارس ١٩٥٧م :

إن إسرائيل تمثل خطراً حقيقياً للتوسع والتهديد الإستعمارى والمطامع الصهيونية التى تهدف إلى تحويل المناطق الواقعة بين النيل والفرات إى أرض مقدسة لليهود كما يزعمون ..

إن إسرائيل لم تقنع بخرقها قرارات الأمم المتحدة بل تريد اغتصاب غزة والعقبة وعلينا لذلك أن نتخذ إجراءات فعالة للمحافظة على سلامتنا ضد الخطر الصهيونى .

(٢٢) من حديث الرئيس مع مندوب التليفزيون البريطانى بتاريخ ١ يلويو ١٩٥٧م .

إن مرور السفن الإسرائيلية من القناة لا يمكن فصله مطلقاً عن مشكلة فلسطين . إننى لا أفهم لماذا يتأجج الإهتمام عندكم كالنار بمشكلة مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس بينما مشكلة حق اللاجئين الفلسطينيين فى وطنهم تقابل بالبرود وقد قررت الأمم المتحدة عودتهم إلى بلادهم ومع ذلك فإن إسرائيل إتنكرت وما زالت تصر على إنكار هذه الحقيقة .

(٢٣) من خطاب الرئيس فى إفتتاح مجلس الأمة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٧م :

إن معركة الدفاع عن الشرق الأوسط أو معركة الأحلاف العسكرية المفروضة من الخارج ، لم تلبث إن قادتنا إلى إشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل ، هذه الإشتباكات التى بدأت بالغارة الإسرائيلية الشهيرة على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥م ، وقبل الغارة على غزوة لم تكن نشغل أنفسنا كثيراً بخطر إسرائيل . كنا فى ذلك الوقت نعتبر خطر إسرائيل ، هو مشكلة سباقنا مع القوقت لبناء وطننا ، كنا نعتبر أن خطر إسرائيل فى حقيقة الأمر هو ضعف العرب ولولا هذا الضعف ما قامت إسرائيل ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربى بقعة من أقدس بقاعة وأظهر أراضيه .

إن دخان الغارة على غزة من فبراير الجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هى إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وإنما إسرائيل فى حقيقة أمرها رأس حربة للإستعمار ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل ومن الإستعمار وهى الصهيونية العالمية .

(٢٤) من خطاب الرئيس بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٥٧م :

إن هذا الشعب يعرف هدفه ويعرف طريقه ، فى غزة حارب شعب فلسطين فى ظروف مريرة قاسية ، حارب الشعب وهو يعلم أن الجيش المصرى ينسحب ليجابه هجوم بريطانيا وفرنسا ، حارب الشعب الفلسطينى فى غزة ، وخان يونس ورفح ، وأثبت هذا الشعب المقاتل أنه متمسك بحقه فى الحياة ، بحقوق شعب فلسطين التى أهدرتها الدول الكبرى متمسك بحقه فى وطنه ، حارب شعب فلسطين فى وطنه ، وهو يعلم أن الجيش المصرى انسحب ، ولكنه حارب دفاعاً عن شرفه ودفاعاً عن كرامته ، حارب لأنه لم يستطع أن يرى اليهود يدخلون بلاده بدون أن يحاربهم ويقاتلهم ، ففى خان يونس كانت معركة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين فى غزة ، وأثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه المحن ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى . ولكنه تمسك بقوميته وعروبته ، وتمسك بقوته وتمسك بالصبر وبقدرته على القتال .

(٢٥) من حديث الرئيس إلى الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٨م :

إن الأمم المتحدة تنظر إلى حدود إسرائيل كخطوط الهدنة ، فليست هناك حدود فاصلة متفق عليها ، كان مشروع التقسيم ١٩٤٧م اخر قرار إتخذته الأمم المتحدة بشأن حدود إسرائيل .

ولاحظت أنه كلما دار الحديث فى الموضوع قصر على إسرائيل ناسين حقوق شعب فلسطين ، لذا أحب أن أقول أنه إذا أريد مناقشة موضوع إسرائيل ، فالمنطق أن نذكر أولاً حقوق شعب فلسطين وإنى أقول أنه لا يمكن أن يكون سلام فى هذه المنطقة طالما أهملت حقوق شعب فلسطين . إن جرائد نيويورك دائمة الحديث عن حقوق كثيرة تطالب بها إسرائيل ولكنها لا تتعرض قط لموضوع حقوق عرب فلسطين فى الرجوع إلى أراضيهم . وفى إسترجاع أملاكهم التى اغتصبت منهم منذ عشر سنوات على وجه التقريب .

إن هذه المشكلة ذات وجهين ، أحدهما إسرائيل والآخر عربى ، وتدأب إسرائيل على القول بأنها تواجه تهديدات العرب وإن العرب يرغبون فى إكتساحها وإلقائها فى البحر وما شابه ذلك ، وإسرائيل لها النفوذ والقدرة على نشر هذه الأقوال فى بلدكم ، ولكن يجب أن نتجاهل

إن هناك مليوناً من الشعب العربي يعيشون كاللاجئين على خطوط الهدنة وذلك لأنهم طردوا من بلادهم ، واضطروا حرصاً على حياتهم إن يتركوا ديارهم وأراضيهم وكل ما تمتلكه أيديهم .

هذه هي المشكلة الرئيسية ، أما بالنسبة لمصر فقد كان خطر إسرائيل واضحاً أمام أعينا منذ عام ١٩٥٥م ، إننا نواجه تهديداً من قبل إسرائيل وإننا نشعر بالخوف من أطماعها في التوسع ، الذى أعلنه الإسرائيليون فى إنتخاباتهم عام ١٩٥٥م إذ صرح بعض قادتهم وقتذاك بأنهم يحاولون بل يعملون جاهدن على تحقيق هدفهم فى الحصول على الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات ، وهذا يعنى دون شك أنهم يرغبون فى ضم الأراضى المصرية إلى إسرائيل ، هذه هى الحقيقة المجردة .

ثم حدث فى أوائل عام ١٩٥٥م أن بدأت إسرائيل سياستها العدوانية وكثر الحديث فى الخطب الإنتخابية عن فكرة التوسع ، وعن الإبقاء فى الحالة التوتر ومنذ ذلك الحين بدأت أحذر القادة العسكريين من العالم أجمع طالبين السلاح حتى لا نصبح لاجئين كما حدث لشعب فلسطين ، إننا قد نواجه غزواً خارجياً وقد حدث ما توقعناه فقد واجهنا الغزو الإسرائيلى ١٩٥٦م ولم تكن المسألة فى الواقع مسألة غزو فحسب ، إذ أن بن جوريون ألقى خطاباً فى الكنيسب فى فبراير ١٩٥٦م أعلن فيه إضافة أجزاء معينة من الأراضى المصلية إلى إسرائيل ولكنه لم ينجح فى أغراضه السياسية بإستعمال القوة وكان الإنسحاب ، وكانت هذه سياسة إسرائيل ، وهذا ما دعانا إلى تقوية جيشاً حتى لا نتحول إلى شعب من اللاجئين .

(٢٦) من خطاب الرئيس لإعلان الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ١ فبراير ١٩٥٨م :

كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يفرقوا بيننا ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يقسموا الأمة العربية ، إلى أمم صغرى ، يتحكمون فيها ويسيطرون عليها ، وكنا نشعر أن كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الأخرى ، وكنا نشعر أنه لابد من أن تتضامن ولابد من أن نتحد ولابد أن نتازر ونتاخى حتى ندفع أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن العربى .

(٢٧) من خطاب الرئيس فى رجال الجيش فى سوريا بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٨م :

إن بريطانيا حينما كانت تعد العرب بحرية بلادهم ، إذا ساعدوها فى التخلص من العثمانيين ، كانت فى نفس الوقت تتآمر مع الصهيونية العاملية لتعطيها قطعة عزيزة من الوطن وهى

فلسطين . سار الإستعمار مع الصهيونية العالمية . فقامت الحزب فى فلسطين ١٩٤٨م ، وهبت الأمة العربية فى كل بلد عربى تنادى ، لابد أن نعاون إخواننا فى فلسطين ، ولابد من أن نساعدهم فى الحرية والتغلب على الغزو الصهيونى ، هذا الغزو الذى كان يجد فى الإستعمار العون الأكيد ، فقامت الأمة العربية تفرض إرادتها ودخلت الجيوش العربية فى ١٩٤٨م لتعاون عرب فلسطين فى البقاء على أرضهم والمحافظة على حريتهم فماذا كانت ا لنتيجة ، حدثت مأساة ١٩٤٨م وهزم العرب هزيمتهم المفتعلة .

إن الأمة العربية حينما تنظر إلى الماضى تذكر مآسى فلسطين ١٩٤٨م وحرب فلسطين وإن الإستعمار الصهيونى العالمية قد تحالفوا عليكم وعلى قوميتكم ، الإستعمار ، والصهيونية العالمية قد تحالفوا على قوميتكم ليمحوها ويقيموا بدلا منا قومية صهيونية .

(٢٨) من خطاب الرئيس عقب عودته من سوريا بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٥٨م :

بعد حرب فلسطين وبعد خروجنا من مأساة ١٩٤٨م ، كان من السهل جداً على أى واحد يفكر تفكيراً حراً أن يعرف ما هى الوسيلة التى نستطيع أن نحمى بها الأمة العربية من السيطرة والتحكم الأجنبى والعدوان ، ما هى الوسيلة التى تجمعنا وتحمينا ضد الأطماع الأجنبية ، كانت هذه الوسيلة ، بنظرة بسيطة إلى تاريخنا تتضح لكل واحد فى الوحدة والتضامن .

(٢٩) من حديث الرئيس مع مندوب شركة كولمبيا بتاريخ ٦ إبريل ١٩٥٨م :

فى سنة ١٩٥٥م كانت هناك إنتخابات عامة فى إسرائيل وكانت المعارضة تخوض المعركة على أساس ما يسمونه (أرضهم الموعودة) من النيل إلى الفرات أى تشمل جزءاً من مصر وتبتلع الأردن كله وسوريا ولبنان وتضم إليها أجزاء من العراق

أما الحكومة الإسرائيلية فقد كانت تخوض المعركة على أساس أنها ستنتهج سياسة ترمى إلى فرض تسوية بالقوة المشكلة إسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة فى إسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة فى إسرائيل سياسة عدوانية ، المعارضة تدعو إلى الحرب للتوسع ، والحكومة تدعو إلى الحرب لفرض تسوية بالقوة لمشكلة فلسطين ، فهل يمكن بعد هذه الشواهد أن نتغافل عن وجود الخطر الصهيونى الذى يهدد الكيان العربى كله ، بأن يتحول إلى شعب من اللاجئين ليس هذا وهماً وإنما هذا حدث فعلاً لشعب من أكرم الشعوب العربية ، وهو شعب فلسطين - لهذا يجب أن - ننتبه للخطر ويجب أن نعمل فعلاً على الإستعداد له ولا نترك هذه المسئولية لأحد غير شعوبنا .

إن المشكلة بين العرب وإسرائيل كانت أولا حقوق شعب فلسطين المنهوبة وقد أضافت إليها إسرائيل مطامعها التوسعية فهى تستقبل فى العام الواحد أكثر من مائة ألف مهاجر فهل تستطيع إسرائيل بمواردها أن تستوعب هذا العدد ، أن نتيجة ذلك ستكون أعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع .

(٣٠) من خطاب الرئيس فى الإتحاد السوفيتى بتاريخ ٣٠ إبريل ١٩٥٨م :

إن الإستعمار أقام إسرائيل فى قلب العالم العربى يتمكن من تهديد العرب وإجبارهم على إلتماس الحماية من الكتل الإستعمارية وأن الغرب زود إسرائيل بالسلام ، بينما ضمن به على العرب..

(٣١) من خطاب الرئيس بحلب بتاريخ ١٥ مايو ١٩٥٨م :

لقد إستخدمت إسرائيل فى العدوان ، لتكون رأس جسر العدوان على بلادنا ، فقد بدأت الحرب علينا بالهجوم من إسرائيل بعد تحريش من بريطانيا وفرنسا لإحتلال بلادنا وإخضاعها ، إن إسرائيل فى هذا العدوان كانت تمثل رأس جسر للعدوان إقامة إسرائيل فى هذا المكان من العالم بين أرجاء العالم العربى ، إنما يهدف إلى تهديد العرب وتفتيت القومية العربية ، حتى يرتمى العرب فى أحضان الدول الإستعمارية ويطلبوا منها الحماية من إسرائيل .

لقد قامت حروب بين الدول فواجهت الحرب وواجهت العدوان ولكن المأساة التى واجهتنا فى بلادنا العربية لا يمكن أن تقارن كأى حرب أو عدوان فإن هذه المأساة هى عبارة عن إبادة شعب عربى وطرده من وطنه وإغتصاب أرضه .

لقد قامت حروب فى العالم وفى جميع الأرجاء فى آسيا وأفريقيا ، ولكنها لم تنته مثلما إنتهت هذه الحرب بإخراج شعب فلسطين من أرضه ، وإقامة شعب آخر مكانه والإستيلاء على أملاكه واليوم تحتفل إسرائيل بمرور عشر سنوات على إقامتها ، إن هذا الإحتفال إنما هو إحتفال على أشلاء ودماء مليون عربى كانو يقيمون فى هذه البلاد وطردوا من بلادهم ، إن هذا أبشع أنواع السيطرة ، وأبشع أنواع الإستعمار ، والعالم يتكلم عن السلام وعن حقوق الإنسان ، ولكنى يتناسى دائماً حقوق مليون عربى ، أخرجوا من بلادهم ، ووفرت الوسائل للمعتدين ليعيشوا ويستولوا على أموالهم .

عندما خرجت قوات الإحتلال من بلادنا ، بدأت إعتداءات إسرائيل على حدود ، حتى ننضم إلى الأحلاف ، ونطلب من الدول التى تنادى بالأحلاف فى الشرق الأوسط ، أن تحمينا من عدوان إسرائيل ، ففى عام ١٩٥٥م أعلن حلف بغداد فرفضنا الإنضمام إليه

وصممنا على سياستنا وتمسكنا بها ، فكانت النتيجة أن وقع علينا العدوان من إسرائيل ، ولم تكن إسرائيل إلا منفذة لسياسة الإستعمار التى نتعامل معه .

(٣٢) من خطاب الرئيس فى أجتماع مجلس إتحاد الدول العربية بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٥٨م :

لقد كانت الصحوة الكبرى التى نبهت العرب فى كل مكان هى محاولة القضاء على القومية العربية وإقامة قومية صهيونية بين أرجاء العالم العربى ، أقاموا القومية الصهيونية وأوحوا لها بأنها تستطيع أن ترتفع على حساب القومية العربية وأعلنت القومية الصهيونية التى أحتلت أرض العرب فى فلسطين أن وطنها المقدس يمتد من النيل إلى الفرات ، ووجدت القومية الصهيونية بين أعداء القومية العربية من مساعدوها ومسلحوها ومنعوا السلاح عن العرب ، حتى تستطيع أن تقضى على القومية العربية ، التى لم يستطيعوا أن يحطموها ، والتى لم يستطيعوا أن يقضوا عليها ، وبدأت القومية العربية تحس بالخطر ، تتكاتف وتتازر ضد الخطر الصهيونى وضد الخطر الإستعمارى أفراداً وجماعات كل منهم يعمل على التضامن والوحدة وعلى الاتحاد حتى تثبت أركان القومية العربية لتحمى أرضنا وتحمى بلادنا ضد أطماع الطامعين وضد جشع المستعمرين وضد أطماع الصهيونية العالمية .

واليوم يعيد التاريخ نفسه .. إننا ندافع عن أوطاننا وعن بلادنا ، ولكن إسرائيل التى تمثل الصهيونية العالمية تجد فى الاستعمار حليفها الذى يمدها بالسلاح ، إن بريطانيا قد مدت إسرائير بالسلاح ، وأمريكا قد أمدت إسرائيل بالسلاح لأى سبب يمدون إسرائيل بالسلاح ، إسرائيل قامت فى هذه المنطقة لتمثل رأس جسر الإستعمار ، وما حرب ١٩٥٦م والعدوان الثلاثى إلا الدليل الأكبر على أن إسرائيل خلقت فى هذا المكان لتهدد القومية العربية وتقضى عليها إذا وجدت الفرصة واعتقدوا فى ١٩٥٦م أن الفرصة قد سنحت فهجمت إسرائيل على بلادنا لتقضى على القومية العربية وأزرها الإستعمار ليقضى على القومية العربية ، وكانوا يعتقدون أنهم إذا قضوا على القاهرة إنهارت القومية العربية ونسوا أن القومية العربية أشعلت فى كل بلد عربى ، وإنطلقت فى كل مكان عربى

(٣٣) من خطاب الرئيس بميدان الجمهورية بتاريخ ٢١ فبراير ٥٩ :

هذه الأخطار التى تقابلنا أخطار التفرقة وأخطار الدس والمؤامرات والوقيعة بين البلاد العربية طبعا فيه خطر آخر على الطريق كلنا نشعر به وكلنا نحمي به خطر من عشر سنين يهدد قوميتنا ويهدد البلاد كلها ، وهو خطر إسرائيل التى قامت على العدوان ، وإسرائيل التى بدأت سياستها على فرض السلام وكلمة فرض معناها حرب يعنى السلام بالحرب ،

يعنى فرض الصلح على الدول العربية بالأعتداء على الدول العربية وإجبارها وإذلالها حتى تقبل الصلح ، هذا الأمر طبعاً حينما كان قارة إسرائيل ينادون بأنهم لابد أن يفرضوا السلام على العرب ، بالأمس قال بن جوريون لازم نصطلح مع أقوى دولة عربية وهى الجمهورية العربية المتحدة ولابد أن يسود السلام مع الجمهورية العربية المتحدة لأنه يشعر أنه إذا استطاع أن يفرض السلام مع الجمهورية العربية المتحدة بعد ذلك تكون القضية سهلة وهينة بالنسبة له وطبعاً فى ١٩٥٦م وجد فرصة العمر ليهاجمنا ومعه دولتين تعتبران من الدول العظمى ، ولم يستطع بن جوريون أن يفرض السلام أو الصلح .

فعملية فرض السلام وعملية إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار طبعاً خطر على طريقنا للوصول إلى أهدافاً ويحتاج منا أولاً إن نتضامن ، ويحتاج إلى وحدة الصف العربى ، يحتاج إلى أن تقوى ، ويحتاج إلى أن تعمل ، ويحتاج إلى أن نصنع بلدنا ، ويحتاج إلى أن نعتمد عل أنفسنا .

فى الأيام الأخيرة أو فى الأشهر الأخيرة ، بدأت تصل أخبار من إسرائيل عن الهجرة الجديدة ، صرح بن جوريون فى يوم ١١ فبراير قال بن جوريون مشيراً إلى الهجرة بأنه يأمل فى أن يصل عدد من المهاجرين لا إلى آلالاف بل إلى عشرات الآلاف وقال إنه يعتمد على أن يفتح الهجرة من البلاد الشرقية فى يوم ٨ طبعاً عقد إجتماع فى أمريكا فى ميامى لجمع تبرعات لإسرائيل وفى يوم ٨ وصل خبر يقول بدأت أمس حملة جمعية النداء الموحدة للحصول على مبلغ ٣٠٥ مليون دولار لإعادة توطين آلاف اليهود فى إسرائيل ، وبن جوريون بعث برسالة فى هذا الإجتماع قال أن نسبة الهجرة ارتفعت فى الأشهر القليلة الماضية ومن المتوقع أن ترتفع فى المستقبل .

وهناك أخبار نشرت بعد ذلك قالت إن ابن جوريون أعلن أنه يصل إليه يهود من رومانيا مهاجرون وأنه يريد يهود الإتحاد السوفييتى وأنه يسعى لأجل أن يرفع الإتحاد السوفييتى الهجرة وفى يومن ٢٩ يناير صرح بن جوريون فقال إذا إستطعنا أن نستوعب الهجرة الجديدة من بلدان شرق أوروبا التى يتراوح عددها بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف نسمة فإن الأمل سيصبح قوياً بأن نفتح أبواب الهجرة أمام المركز اليهودى الكبير فى العالم القديم وهناك أخبار أخرى جاءت فى وكالات الأنباء إن الحركة الصهيونية فى أوروبا تأمل أن يسمح الإتحاد السوفييتى قريباً بهجرة يهود روسيا البالغ عددهم ٣,٥ مليون .

وفى يوم ٢٨ يناير تنبأ دافيد بن جوريون بأن ما بين ٢٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف يهودى سيأتون إلى إسرائيل فى موجة الهجرة ، وقال إن معظم المهاجرين الجدد سيأتون من رومانيا

ودول شرق أوروبا الأخرى وبالرغم من أنهم لن يأتوا من الإتحاد السوفييتى ، وقال إن ١٠٠ ألف يهودى سيصلون فى سنة ١٩٥٦م وما يزيد عن ذلك فى العام القادم ، هذه الأخبار هى التى طلعت من إسرائيل ، تتكلم عن الهجرة والهجرة من أوربا الشرقية .

وإن الأمر فى أن الإتحاد السوفييتى موافق على فتح باب الهجرة الثلاثة ونصف مليون يهودى وأخبار أمريكا أن الجمعيات الصهيونية هناك ، تقيم إجتماع ولكى تجمع ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عملية الهجرة لإسرائيل .

طبعاً فيه حقيقة عرفناها ، هى أنه حصلت فعلاً هجرة من رومانيا ، وصلت إلى حوالى ٤ آلاف أو ٢٥٠٠ فى الشهر ويظهر أن هناك محاولة لهذا ، إن هذا الموضوع نعتبره موضوعاً يهم الأمة العربية كلها ، لأن إسرائيل لأجل أن تعيش بوضعها الحالى يلزمها أن تأخذ معونة من أمريكا وألمانيا وكل سنة حوالى ٧٠٠ مليون دولار ، يعنى بمعدل أكثر من مليون دولار فى اليوم .

وطبعاً إذا زادت الهجرة إلى إسرائيل مع إقتصادها المنهار ، لن تستطيع إسرائيل أن تكفى ، هم فى العشر سنين التى مضت بعد إستيلائهم على فلسطين أحضروا مليون يهورى ، وبن جوريون يقول أنه يريد أن يحضل من مليون إلى ٢ مليون فى العشر سنين الآتية ، من أين يعيشوا .

إن من يقرأ ميزانية إسرائيل يجد أن ثلاثة أرباعها إعانات من الخارج إعانات تفرض على الأمريكان ورجال الأعمال بالإرهاب والضغط وطبعاً إعانات أخرى حكومية ورسمية وإعانات معفية من الضرائب ، فلما يأتى بمليونين آخرين فى هذه المنطقة التى تحتلها إسرائيل فكيف يعيشون لن يكون أمامهم إلا التوسع ليعيشوا على حساب تشريد الأمة العربية ، وعلى حساب تشريد مناطق من العالم العربى كما شرد عرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨م ، إن تمويل التهجير يأتى من أمريكا ، وإسرائيل لها سياسة معروفة وهى أنه لابد أن نقيم دولة إسرائيل الدولة المقدسة التى تمتد من النيل إلى الفرات وتأخذ جزءاً من لبنان وسوريا والعراق والأردن وجزءاً من مصر لغاية الشرقية ، لابد أن تأخذ هذا الكلام بجد ولا نضحك عليه أبداً ، إن وعد بلفور كان سنة ١٩١٧م والوطن القومى لليهود أعلن سنة ١٩١٧م فظلوا من سنة ١٧ يعملون لسنة ١٩٤٨م ، حتى إستطاعوا أن يحققوا هذا الوعد ، واستطاعوا أن يقيموا وطناً قومياً واستطاعوا أن يحصلوا على التأييد والأموال .

فإذا كانو اليوم يتحدثون على دولة إسرائيل وملك إسرائيل المقدس من النيل إلى الفرات ، فإنهم لا ينظرون فى تحقيق هذا الكلام اليوم أو يحققونه غداً ، لكنهم يعملون على أساس

الأيام القادمة التى تحقق لهم هذا ، ويعملون على أساس إن الفرص قد تسنح لهم ليحققوا هذا ، ولهذا .. يجب علينا أن نستعيد لمجابهة هذا الخطر ومجابهة الخطط الصهيونية التى تهدف إلى تصفية القومية العربية وتعمل من أجل إقامة قومية إسرائيلية فى هذه المنطقة من العالم .

هذه هى الظروف التى تقابلنا هذه هى الظروف التى تمر فيها مؤامرات للتفرقة والوقيعة والدس ، وفى نفس الوقت محاولات لتقوية إسرائيل ومعاونات لإسرائيل .

(٣٤) من خطاب الرئيس فى اللاذقية بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٩م :

إن الذين تآمروا علينا فى الحرب العالمية الأولى هم بريطانيا وفرنسا ، الذين قدموا وعد بلفور للصهيونية لإعطاء فلسطين العربية لإسرائيل ، واستغل الإستعمار حرب فلسطين ليثير الأحقاد بين البلاد العربية وكان يقول أنه لا نتيجة للتعاون مع البلاد العربية ولكن فى حرب فلسطين لم تكن لنا إرادتنا وسيادتنا وكنا نشرع أننا غرباء فى بلادنا ، ولكنكم أيها الأخوة صم واستمر كل فرد يعمل على الدعوة وينادى بوحدة الصف والتضامن العربى .

(٣٥) من خطاب الرئيس فى الوفود اللبنانية بتاريخ ٨ من مارس ١٩٥٩م :

إستطاع الشعب العربى بكفاحه وإتحاده أن يحمى القومية العربية وخرجت القومية العربية من المعركة منتصرة وإستطاع العرب أن يستمروا فى البقاء فى هذه المنطقة التى وجدوا فيها ، إستطاع العرب أن يهزموا خطط أعداء القومية العربية التى كانت تتجه إى إبادتنا وإلى تفرقتنا والخلاص من قوميتنا وإقامة قوميات جديدة بأرضنا ، حتى أتى عام ١٩٤٨م وبدأت المحاولات مرة أخرى فبدأت الصهيونية العالمية يؤازرها أعداء القومية العربية فى وضع خططها موضع التنفيذ من أجل القضاء على القومية العربية ، وتحقيق أحلام القومية الصهيونية فى هذه الأرض الطاهرة فقلم الشعب الأعزل يكافح فى سبيل قوميته ، لم تكن هذه الأفعال إلا بداية لأول الطريق تخطط التى وضعت ضد القومية العربية سنة ١٩١٧م بوعد بلفور بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين واستمر أعداء القومية العريقة فى العمل ضدها من أجل تحقيق الوطن القومى لليهود .

بدأ هذا فى سنة ١٧ بل قبل سنة ١٩١٧م واستمروا فى العلم منذ سنة ١٧ حتى سنة ١٩٤٨م ثلاثين سنة من العمل المتواصل وكان الشعب العربى فى هذا الوقت يقاسى من الإحتلال ويقاسى من الإستعمار لم يسكت أبداً على هذا بل كان يكافح ليتحرر ويستقل ، ولما حدثت مأساة سنة ١٩٤٨م هب العالم العربى كله يحمى قويمته ، لأن كل فرد من أبناء الأمة العربية كان يشعر أن تهديد القومية العربية فى أى بلد عربى ، إنما هو تهديد للقومية

العربية فى جميع البلاد ، وإن إقامة قومية صهيونية فى فلسطين إنما هو تهديد لقوميتنا فى جميع البلاد العربية . أعلنت الصهيونية أنه لابد من إقامة وطن لإسرائيل . وطن إسرائيل المفدى يمتد من النيل إلى الفرات .

(٣٦) من خطاب الرئيس بعد مشاهدته مناورة الجيش الأول بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩م :

إن إسرائيل كانت تخشى دائماً أن يتقدم الشعب السورى لأنه حينما يتقدم فسيكون أشد خطورة عليها واليوم أصبحت سوريا مع مصر وحدة راسخة متينة وأصبحت إسرائيل لا تستطيع أن تضرب فى الشمال وتهرب أو تضرب فى الجنوب وتهرب لأن أى عدوان على الشمال أو على الجنوب هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة .

(٣٧) من خطاب الرئيس فى دمشق فى حفل وضع حجر الأساس لمدينة الضباط بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩م :

فى سنة ١٩٥٦م قبل الوحدة وقبل العدوان الثلاثى على مصر قرأت مقالاً فى المجلة العسكرية الإسرائيلية وكان عنوان هذا المقال (إلى دمشق) وكان المقال يقول : إننا إذا أردنا أن نهزم العرب فليس أمامنا إلا أن نتجه إلى دمشق وأن الغلطة الكبرى التى إرتكبها الصليبيون حينما إحتلوا البلاد العربية هى عدم إحتلالهم سوريا كلها وإخضاعها بواسطة الصليبيين وكانت الغلطة الكبرى التى مكنت العرب من أن يتحدوا ويتخلصوا من الإستعمار الصليبى .

وقال الجريدة العسكرية الإسرائيلية أن الشعب السورى شعب خطر ، إن إسرائيل كانت تخشى دائما أن يتقدم الشعب السورى .. صناعياً واجتماعياً لأنه حين يتقدم يكون أشد خطورة على إسرائيل . ولهذا نادى صاحب المقال فى المجلة العسكرية قائلاً إلى دمشق .

(٣٨) من خطاب الرئيس فى وفد غزة بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٩م :

وأنتم هنا أيها الأخوة من فلسطين التى بذلت ، بذلت الكثير بذلت الدماء بذلت الأرواح وبذلت الغالى والنفيس . إن هذا البذل أيها الأخوة لم يضع هباء .. وإن هذا البذل .. وهذه المحنة التى قابلناها والتى قاسيناها إنما كانت الشرارة التى أوقدت نار العمل .

(٣٩) من خطاب الرئيس فى حفل تكريم الضباط الخريجين بالكلية الحربية بتاريخ ٢٥ إبريل ١٩٥٩م :

ليست المأساة وليست الكارثة التى حلت بنا هى إستيلاء الصهيونية على فلسطين . ولكن هناك التهديد المستمر للتوسع . التهديد المستمر للتوسع ، التهديد المستمر للتوسع من النيل إلى الفرات . وهذا لا يمكن أن يحدث على مرحلة واحدة ولكنه يحتاج إلى مراحل وسنين .

إذن فهذا خطر جاثم على الجمهورية العربية المتحدة وعلى لبنان والأردن والعراق وبهذا تنمحى القومية العربية ونحل محلها القومية الصهيونية .

هذه هى الأخطار التى نتعرض لها نتيجة انفصال الدول العربية وفرقتها فى سنة ١٩٤٨م ، ونتيجة تنكرها لرسالة القومية العربية فإذا قارنا ذلك بانتصارنا فى القرن العاشر والثالث عشر ضد الغزو الصليبى الاستعمارى وضد غزو التتار نعرف الفرق ، نعرف أن بقاءنا على أرضنا والمحافظة على عروبتنا وعلى حريتنا وفى إتحادنا وتضامننا هو فى فهمنا للقومية العربية فلا يمكن للأطماع والأحقاد أن تفرق بيننا ولكن هذا لا ينسجم مع مصالح الصهيونية العالمية لأن الصهيونية وإسرائيل تعتقد أن وحدة العرب أو وحدة العرب العسكرية إنما تعنى بالنسبة لهما عدم تمكنهما فى المستقبل بأى حال من التوسع فى البلاد العربية . وإنما تعنى لهم خلق مجتمع عربى قوى على حدودهم فلا يمكن أن تتحقق أطماعهم أو أن يضعوها موضع التنفيذ أو أن ينتهكوا حقوق شعب فلسطين . الذى طرد من أرضه سنة ١٩٤٨م ، ولا يزال يصمم على استعادة حنونه فى بلده وأرضه وأملاكه التى اغتصبت اغتصاباً . لهذا دأبت الصهيونية العالمية بكل وسيلة من الوسائل على حرب القومية العربية وعلى عدم تمكينها للبلاد العربية من التضامن أو الاتفاق العسكرى وكانت تستغل فى هذا كل ما يمكن أن تستغله فى تحقيق أهدافها .

(٤٠) من مقال للرئيس فى مجلة لايف الأمريكية بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٥٩م :

تقوم إسرائيل بدور هام فى المناورات التى تجرى بشأن الشرق الأوسط . والسائد بين العرب القول بأن إسرائيل إداة الاستعمار الغربى أو العكس . وأظن أن هذا القول ينطوى على حق كبير . بدليل أنه حدث فى خريف ١٩٥٦م أن دبر الإسرائيليون والإنجليز والفرنسيون عملاً عدوانياً ليس له مثيل . والآن تقوم فرنسا بتزويد إسرائيل بكل أنواع السلاح ومن الواضح أن الدول الغربية تؤيد العدوان الإسرائيلى . ففى الوقت الذى وقع فيه العدوان على السويس أظهرت الولايات المتحدة إنها كانت ضد العدوان الثلاثى علينا ومع ذلك فإنى أعلن إن إسرائيل كانت تلقى تأييداً عظيماً من الولايات المتحدة ومن الكونجرس ، وعن طريق الحركة الصهيونية المنظمة بين الشعب الأمريكى .

والآن ها نحن نواجه مناورات إسرائيلية جديدة فقد حدث فى مايو الماضى إن أرسلت إسرائيل سفينة شحن دنمريكة بعد إن إستأجرتها . وكان إسرائيل تعلم جيداً ماذاً تفعل ولماذا تفعله فكانت تذيع من راديو إسرائيل تحركات السفينة ساعة بساعة . وتحدد موقعها وتتسائل فى شوق . هل ستنجح فى المرور من القناة وكان تصرف إسرائيل ينطوى على إستفزاز لنا .

والواقع إن إسرائيل كانت تعلم إننا سنمنع تلك السفينة من اجتياز القناة لا من سياستنا المرسومة منذ سنة ١٩٤٨م تقضى بعدم السماح لسفن إسرائيل بالمروز من القناة سواء كانت سفنا ترفع العلم الإسرائيلى أم سفنا تابعة لدول أخرى ومؤجرة لإسرائيل لنقل بضائعها .

وبالرغم من هذا فإنه عندما رفضنا السماح لتلك السفينة بالمرور من القناة ، قامت فى إسرائيل صيحات إحتجاج ودهشة . إن حرية الملاحة ليست هى الأساس فى هذه المشكلة ، وإنما الأساس قضية فلسطين ، ففى أثناء حرب فلسطين وقبلها ، شرد الإسرائيليون حوالى مليون عربى من أبناء فلسطين وجعلوهم هم وأبناءهم من اللاجئين رغم سلسلة القرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة بضرورة عودة اللاجئين إلى بلادهم وديارهم .

وضرورة دفع تعويضات لهم عما فقدوه وخسروه من متاع وممتلكات .

ولكن إسرائيل تريد استخدام قناة السويس لنقل البضائع والمنتجات التى تنتجها فوق أرض شرعت منها ملاكها الأصليين .

إننا نرفض السماح لإسرائيل باستخدام القناة لأننا فى حالة حرب تحكم علاقتنا مع إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨م وهذه الحالة تخول لنا كل الحق بموجب اتفاق القسطنطينية المعقود ١٨٨٨م فى حماية بلادنا وحماية القناة من الأعمال العدوانية التى تقوم بها سفينة إسرائيلية .

(٤١) من خطاب الرئيس فى الاحتفال بالعيد السابع للثورة بميدان الجمهورية بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٩م :

ليس من الممكن أن أتكلم عن القومية العربية من غير أن أتكلم على إسرائيل لأن وجود إسرائيل وفكرتها تهديد للقومية العربية فى فلسطين وإحلال القومية الصهيونية محلها ثم التوسع والقضاء على القومية العربية فى هذه المنطقة .

إن إسرائيل لا زالت تمثل التهديد ضد الشعب العربى فى كل بلد عربى ، ولا زالت مؤامراتها مستقرة فى كل وقت نضد مصر ولبنان والعراق والأردن وسوريا ، وضد كل البلاد العربية ، ولا يمكن إلا أن تكون تهديداً وخطراً ، لماذا ؟ لأنها عبارة عن جسم دخيل فينا يرد أن يفرض وجوده فكلما تهدأ المنطقة ترى إسرائيل خلقت أزمة ومشكلة لتخلق توتر دولياً لتتسبب فى عزلة الدول العربية .

(٤٢) من خطاب الرئيس فى حفل إستعراض القوات المسلحة فى الإسكندرية بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٩م :

أمس رأينا وقرأنا تهديدات إسرائيل من قائد الحملة الفاشلة موشى ديان الذى قاد الجيش الإسرائيلى فى سنة ١٩٥٦م . يقول أنهم يريدون أن يغزوا قناة السويس . قناة السويس التى تخصنا ، كيف تمر إسرائيل واليهود منها ، إن إسرائيل لن تستطيع أن تفرض علينا إرادتها أو مشيئتها . إسرائيل التى هى عبارة عن جريمة ، أو عمل إجرامى (رأس جسر) للعدوان قام وسط الأمة العربية .

(٤٣) من خطاب الرئيس فى حفل توزيع الأراضى بأدفينا بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :

إننا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقبل أو نرضى الجريمة التى حلت بأخوة لنا فى فلسطين وإذا كان الرأى العام العالمى يرضى بهذه الجريمة ضد شعب فلسطين فإننا كعرب علينا إلتزامات تجاه إخواننا أهل فلسطين ، فلا نقبل هذه الجريمة ولا نرضاها وإننا ننادى دائماً بحقوق شعب فلسطين فى بلده وأرضه .

(٤٤) من خطاب الرئيس فى الإحتفال بمرور ٥٠ عاماً على طرد الإنجليز من رشيد بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :

فى معركة فلسطين قام الشعب العربى يحارب الاستعمار الصهيونى قام الشعب العربى ببذل دمه ولكن خدع الشعب العربى فحل بنا ما حل قمنا بعد هذا وامنا أنه لابد أن نستقل ولابد أن نتحد ونتضامن حتى لا تكون الفرقة سبيلاً لهزيمتنا فى المستقبل كما هزمنا فى فلسطين .

هذا سبيلنا للمحافظة على قوميتنا ، هذه القومية التى آمنا بها والتى تعرضت للأخطار فى فلسطين ، بفعل القومية الصهيونية ممتازة مع الإستعمار .

واليوم نحن نعرف نفسنا لن ترهبنا إسرائيل ولن يرهبنا من يؤيدون إسرائيل ومن يساعدون إسرائيل لأننا نؤمن بأنفسنا ونعرف قوتنا فى هذا الإيمان ؛ وكما هزمنا الدول الكبرى وإسرائيل لفى الماضى فإننا بعون الله نستطيع أن نهزم إسرائيل ومن يعاون إسرائيل فى المستقبل ، إننا نعرف طريقنا ونعرف سبيلنا ونعرف أنفسنا ونعرف أن هزيمة فلسطين لم تكن أبداً بالهزيمة بل كانت مؤامرة من الإستعمار على الشعب العربى ليبث بين صفوفه الانقسام وروح الهزيمة والتفرقة وإن الأمة العربية اليوم قد كشفت نفسها وإننا حينما نعلن عن سياستنا وإننا نجابه إسرائيل إنما نعلن عن هذه السياسة ونحن على ثقة من أننا على إستعداد من أن نضع هذه السياسة موضع التنفيذ .

إننا حينما أعلنا إن إسرائيل لن تمر من قناة السويس إنما كنا نعنى هذا ، ونعنى إن إسرائيل

لن تمر من القناة وإننى لا أستطيع بأى حال من الأحوال أن أنسى هؤلاء الذين تكلموا فى الأمم المتحدة فى الأيام الماضية وقالوا كلمات عابرة عن حرية الملاحة فى قناة السويس واحب أن أرد بكلمات عابرة أيضا أين هى حقو شعب فلسطين ؟ ولماذا انتهكت حقوق شعب فلسطين ؟

إن مرور إسرائيل لا يعتبر بأى حال من الأحوال ضمن حرية الملاحة فى القناة . إن مشكلة إسرائيل وعبور سفنها فى قناة السويس إنما هى جزء من مشكلة فلسطين وشعب فلسطين الذى حرم من حقوقه فى الحرية والحياة .

إننى أريد أن أسأل هؤلاء الذين تكلموا عن حرية الملاحة فى قناة السويس .. أمريكا مثلا .. أمريكا هى عضو فى لجنة من أجل حقوق شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلاده .

هذه اللجنة تألفت فى سنة ١٩٤٨م موجودة حتى الآن . هل يستطيع وزي الخارجية الأمريكى أن يقول لنا ما عمله بهذا الخصوص ؟ والذى تم ممن أجل حقوق شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلده ؟ طبعاً هذه الكلمات العابرة التى قالتها أمريكا عن اللاجئين لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تعبر عن الحق والعدل وإنما الحق والعدل ينحصر فى كلمة واحدة هى حق شعب فلسطين فى بلده . هذا الحق الذى شكلت من أجله لجنة بواسطة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م . وكانت أمريكا ضمن هذه اللجنة .

الدول الكبرى :

هذا الحق الذى إنتهك ، هذا الحق الذى تغمض الدول الكبرى عينيها عنه ، لأنها لا تريد أن تراه . ولأنها تريد أن تتجاهله وتريد أن تجامل الصهيونية العالمية وتجامل إسرائيل . إن حرية الملاحة وفق إتفاقية سنة ١٨٨٨ م مطبقة فى قناة السويس . ولا يحق لإسرائيل الدولة المعتدية المغتصبة لفلسطين . الدولة التى اعتدت علينا سنة ١٩٥٦م والتى شردت فلسطين . لا يحق لها أن تدخل سفنها المياه الإقليمية لبلدنا بأى حال من الأحوال .

هذه كلمتنا أقولها صريحة واضحة وحينما أقول ذلك إنما أعرف أن الشعب العربى فى كل بلد عربى يعرف نفسه ويعرف العوامل التى سببت الهزيمة فى الماضى . ويريد أن يجعل من هذه العوامل عوامل نصر فى المستقبل . هذه سياستنا وهذا هو طريقنا . إننا حينما نقول هذه السياسة لا نخشى العدوان ولا نخشى الإستفزاز لأننا نملك الجيش الوطنى القوى الذى صممنا على بنائه وبنيناه .

نحن أفراد الجمهورية العربية المتحدة علينا مسئولية كبرى علينا أن نحمى القومية العربية والوحدة العربية حتى لا تسقط القومية العربية تحت هجمات الصهيونية التى تمثل حرباً صليبية جديدة ضد القومية العربية وخلق ملك لإسرائيل من النيل إلى الفرات . وذلك على الطريقة التى اغتصبوا بها فلسطين والتى عاملوا بها فلسطين .

(٤٢) من خطاب الرئيس فى مصنع الكاوتشوك بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥٩م :

إن هذا العواء وهذه السفسطة لا يمكن أن تؤثر فينا . لأن الجريدة المأجورة لإسرائيل لا يمكن إلا أن تقول ما تريده إسرائيل . وما تدفع ثمنه إسرائيل وهذه الجريدة سنة ١٩٤٨م كانت ضد إقامة إسرائيل وضد الصهيونية .

ولكن إستطاعت الصهيونية بالضغط والإرهاب ثم استطاعت الصهيونية بعد ذلك بالترغيب أن تجعل هؤلاء الناس يتحولون عن الرأى الذى أعلنوه ونتيجة هذا . نتيجة هذا الضغط ونتيجة الترغيب ودفع الأموال أصبحوا اللسان الناطق للصهيونية فى الولايات المتحدة وهم بهذا إنما يعملون ضد مصلحة الشعب الأمريكى .

وإننا نرجو للشعب الأمريكى أن يستطيع أن يكشف هؤلاء الذين قاموا بين ظهرانية مأجورية لدولة أخرى . يعملون ضد مصلحة أمريكا بل يعملون ضد مصلحة الإنسانية جمعاء .

هؤلاء الناس الذين إستأجرتهم الصهيونية فى أمريكا لتخدع بهم الشعب الأمريكى ولتجعل منهم سلاحاً ترفعه ضد دول العالم التى تريد أن تبنى نفسها وتريد أن تحمى نفسها .

وكلنا يعلم إن إسرائيل منذ إن قامت هذ هالمنطقة كانت هى العدوان المجسم والعدوان الغاشم المبنى على كل شيء إلا الشرف والمبنى على الغدر والخيانة وهذه الصحف التى تنادى بما ينادى به إسرائيل إنما هى صحف تعمل ضد الشعب الذى تصدر بين أرجائه وتعمل ضد الإنسانية جمعاء .

(٤٦) من خطاب الرئيس فى معسكر الفتروة بأبى قير بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩م :

قد نجح الإستعمار إلى حد ما فى تنفيذ خطته . فاستطاع أن يقيم إسرائيل وإستطاع الإستعمار أن يحقق جزءاً من هدفه فقامت إسرائيل فى قلب الوطن العربى . قامت إسرائيل لتفصل العرب .. عرب آسيا عن عرب أفريقيا . لتقضى على القومية العربية فى فلسطين كمقدمة للقضاء على العرب على قوميتهم فى المنطقة الممتدة من النيل إلى الفرات ، هذا ليس حدثاك أو تخميناً أو إستنتاجاً ولكنه قيل بواسطة قادة إسرائيل لأنهم تكلموا عن تحقيق ملك

إسرائيل الذى يمتد من النيل إلى الفرات الذي يجمع جزءاً من مصر وسوريا ولبنان والأردن وجزءًا من العراق وجزءًا من المملكة العربية السعودية هذا هو ملك إسرائيل .. وفتحت إسرائيل الهجرة بل ساعدت على الهجرة بكل الوسائل وهى تجمع الأموال من كل بلاد العالم لمساعدة الهجرة وزيادة عدد السكان ، ولم يكن أمامهم بعد هذا إلا التوسع على حساب العرب وعلى حساب القومية العربية .

(٤٧) من خطاب الرئيس فى معسكر الكشافة بالأسكندرية بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩م :

فى الماضى لم تكن إسرائيل والآن إستطاعوا أن يضعوا إسرائيل فى قلب العالم العربى وأس جسر للعدوان إسرائيل التى قامت على العدوان وساعدتها فى هذا الدول الاستعمارية فهى دائماً ستمثل الخطر لأن إسرائيل دائماً ستزيد ستحاول أن تتوسع على حساب الوطن العربى من أجل إبادة القومية العربية وستبقى إسرائيل منتظرة الفرصة المواتية المناسبة فإذا وجدت الفرصة ستقضى علينا .

ونأخذ من هذا مثلاً فى سنة ١٩٥٦م فإن إسرائيل حينما وجدت الفرصة لم تتردد بل اقتنصتها حينما وجد التجاوب بينها وبين فرنسا وبريطانيا وحينما صدر الإنذار البريطانى الفرنسى للجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت فقد وجدت إسرائيل أن الفرصة واتتها للتوسع .

(٤٨) من خطاب الرئيس فى المحلة الكبرى بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٩م :

إننا ننظر من حولنا فنجد إسرائيل فما هو الغرض من إقامة إسرائيل ، ما هو الهدف من إقامة إسرائيل . هل هو إيجاد وطن قومى لليهود كما قالوا أم هو أساساً القضاء على القومية العربية وتفتيت الأمة العربية وتقسيمها إلى أجواء وفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا .

الواضح أن إقامة إسرائيل لم يكن الهدف منه أبداً إقامة وطن قومى لليهود ولكن كان هو أيضا مؤامرة بين الإستعمار والصهيونية من أجل تفتيت القومية العربية والقضاء على الدول العربية أكبر مثل على هذا حينما اتفقت إسرائيل مع إنجلترا وفرنسا على مهاجمة مصر فى سنة ١٩٥٦م (العدوان الثلاثى) كان هذا الإتفاق ينص على أن تنضم سيناء إلى إسرائيل وعلى أن تكون بورسعيد والسويس محتلة بقوات فرنسية وبريطانية وعلى هذا الأساس دخلت إسرائيل الحرب مع إنجلترا وفرنسا ويكون لها مكافأتها ونصيبها من هذه الحرب وهى سيناء كلها . وكان أول إثبات على إن إسرائيل لها سياسة عدوانية فى إسرائيل تسكت وتنتظر حتى تواتيها الفرصة المناسبة لتنقض .

أعماهم الحقد :

وحينما وجدت الفرصة إن بريطانيا وفرنسا أعماهم الحقد ويريدون إخضاعنا دخلت معهم على أساس عندما تنتصر الدولتان الكبيرتان - وكانت إسرائيل تؤمن بأنها منتصرة لأنها دخلت الحرب مع إنجلترا وفرنسا - أن تضم إليها سيناء ..

إذن الغرض هو القضاء على العالم العربى وتفتيت العالم العربى ، اليوم ونحن نضع هذا المجتمع موضع التنفيذ علينا أن نبنى الجيش الوطنى القومى الذى يدافع عن البناء وعلينا جميعاً أن نكون على استعداد لنحول السلام لندافع عن وطننا وعلينا أن نؤمن إننا سنقابل أى عدوان بأشد منه ، وإننا إذا تعرضنا لعدوان سيحارب الشعب حرباً شاملة . ضد المعتدين - إننا لن نتهاون فى الدفاع عن جمهوريتنا ولا فى الدفاع عن جميع أرض الوطن العربى لأن أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى عدوان علينا وأى حدث فى أى بلد من البلاد العربية لابد أن يؤكد علينا .

اليوم قالت وكالات الأنباء إن إسرائيل تريد أن تشكونا إلى الأمم المتحدة حينما تعقد الجمعية العمومية العامة فى سبتمبر . وطبعا هذا كلام يدعو إلى الإستغراب .

إسرائيل التى انتهكت جميع قرارات الأمم المتحدة بعد إن انتهكت حقوق الإنسان . إسرائيل التى ارتكبت أكبر جريمة فى التاريخ البشرى ، إسرائيل التى أبادت الشعب العربى فى فلسطين وقضت عليه بمؤازرة الدول الإستعمارية لقد حدثت حروب وغزوات ولكن هذه الحروب وهذه الغزوات لا يمكن أن تقف إلى جانب الإبادة التى تبيتها إسرائيل للعرب . وتبيتها لباقى العرب بعد إن نفذتها فى فلسطين .

كيف تجرؤ إسرائيل على أن تشكونا إلى الأمم المتحدة وهى التى لم تنفذ أى قرار للأمم المتحدة من سنة ١٩٤٨م إلى الآن . إسرائيل لم تنفذ أى قرار فى صالح شعب فلسطين ومن أجل حقوق شعب فلسطين بل تحدث هذه القرارات علناً .

واليوم تريد إسرائيل أن تفرض علينا قبول سياستها بإستخدام قناة السويس وتقول إنها ستشكونا إلى الأمم المتحدة .

إسرائيل تريد إبادتنا :

إذا كانت إسرائيل لم تنفذ أى قرار من قرارات الأمم المتحدة بعد إن إنتهكت حقوق شعب فلسطين وبعد إن إرتكبت أكبر جريمة فى التاريخ ، ثم بعد إن قامت بالعدوان علينا سنة ١٩٥٦م مع إنجلترا وفرنسا وبعد إن كانت تتكلم عن السلام قبل العدوان بسبعة أيام كان رئيس وزرائها يتكلم عن السلام والوئام والصلح مع العرب ، وبعد سبعة أيام قامت الحرب ، وبعد هزيمتهم فى الحرب ظهر إنهم كانوا مدبرين العدوان قبل الخطبة بحوالى شهر

إسرائيل تخدعنا وتريد إبادتنا وتريد أن تفرض علينا استخدام قناتنا إن إسرائيل لن تستطيع أن تمر فى قناتنا وقبل أن تذهب إلى الأمم المتحدة فعلينا أن تضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ .

(٤٩) من رد الرئيس على أسئلة المغتربين فى الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٥٩م :

إننا نعتبر إسرائيل تهددنا تهديداً حقيقياً ليس ذا مجرد إحتمال دائماً تلك هى النتيجة المؤكدة التى أثبتتها الحقائق وعلى سبيل المثال فإن فى إسرائيل الآن حزباً رسمياً ممثلاً فى البرلمان الإسرائيلى بسبعة عشر مقعداً يعلن دائماً أن سياسته هى أن يمتد ما يسمونه بالوطن الإسرائيلى من النيل

ديسك ١٢٨ - فايل ناصر ٢٥٣

إلى الفرات . فإذا مما نظرنيا إلى مشكلة هجرة اليدهو إلى إسرائيل على هذا الضوء وجدنا نذر الخطر تزداد . وذلك أنه لكى تستوعب إسرائيل هذا العدد من اليهود فإنه يجب عليها أن تتوسع وقد أعطتنا تجربة العدوان الثلاثى دليلاً قاطعاً على هذا الخطر . ذلك أن إسرائيل بعد أن تآمرت مع بريطانيا وفرنسا فى أعقاب تأميم قناة السويس . ودبروا فيما بينهم مؤامرة العدوان على مصر كان إتفاقم فيما إذا نجحت خطة العدوان أن تنتزع منطقة سيناء وتضم إسرائيل بينما يكون نصيب بريطانيا وفرنسا منطقة قناة السويس . ولما تقرر بسحب الجيش المصرى من سيناء لم تلبث إسرائيل أن أعلنت بالفعل ضم سيناء إلى أراضيها .

وإذا كانت المؤامرة كلها لم تنجح وتبددت أحلام المتآمرين الثلاثة فإنه ليس معنى ذلك إن إسرائيل لا تنتظر فرصة أخرى .

إذن فموقفنا من ذلك واضح محدد إننا سندافع عن بلادنا .

إن قضية لاجئى فلسطين هى نقطة سوداء فى حضارة القرن العشرين فلأول مرة فى التاريخ يشرد شعب بأكمله ويطرد من دياره بالقوة . وإننا لنرى أنه لا مفر من أن تعود إلى شعب فلسطين حقوقه التى قررتها الأمم المتحدة وذلك بأن يعود اللاجئون إلى بلادهم وإلى أملاكهم ، وإننا لنأمل أن تدرك شعوب العالم حقيقة ألا يتكرر ما حدث فى سنة ١٩٤٨م وحينما أقرأ فى بعض الصحف الأمريكية الإفتتاحية المغرضة التى تتساءل لماذا يحاول جمال عبد الناصر أن يبنى جيشاً كبيراً فإن الرد الذى يجول فى خاطرى على الفورهو : إنن أبنى الجيش حتى لا نتحول نحن أيضا إلى شعب من اللاجئين .

(٥٠) من حديث للرئيس لمدير وكالة الأسوشيتدبرس بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٩م :

إن القرارات الخاصة بفلسطين كل لا يتجزأ ، حق اللاجئين فى العودة وحقهم فى ممتلكاتهم أو فى التعويض عنها إن المسألة واضحة وسهلهة ، ونحن نطلب حقوق شعب فلسطين وإسرائيل ترفض . ونحن نطلب وضع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ وإسرائيل تحصى الأمم المتحدة ثم تطالب إسرائيل بحق المرور فى قناة السويس متجاهلة حقوق العرب ثم تصر على مطالبها وتثير الضجة فى الأمم المتحدة . فهل يمكن أن تكون قرارات الأمم المتحدة واجبة التنفيذ على فريق وغير ملزمة لفريق آخر ، إننا لو قبلنا مرور سفن إسرائيل فى القناة فمعنى ذلك أننا قبلنا أن تحصل إسرائيل على كل مطالبها ، وأن يخسر العرب كل حقوقهم ثم إننا نمنع سفن إسرائيل تطبيقاً لحقوقنا المكفولة بالإتفاقيات الدولية وفى مقدمها إتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ وهذه الإتفاقية تعطينا هذا الحق فى حالة الحرب وتوفيراً لأمن الأقليم الذى تمر القناة فى أراضيه ومن الواضح أن حالة الحرب وما زالت مستمرة وستبقى ما دام عدوانها على أراضينا العربية باقياً .

إن الهدنة فى رأينا لم تنه حالة الحرب . فالعدوان الإسرائيلى على الأرض العربية فى فلسطين ما زال قائماً ونوايا إسرائيل العدوانية ما زالت قائمة إن النقطة الوحيدة هى أن توضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ . ولا يمكن أن يفرض علينا وحدنا طاعة الأمم المتحدة فى الوقت الذى يقبل فيه من غيرنا أن يضرب بها عرض الحائط . ولقد كانت مشاكلنا مع إسرائيل راجعة إلى قبولنا تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ودعنى أذكرك شخصياً بما رأيته حينما كنت ضابطاً فى فلسطين .

إن القوات الإسرائيلية لم تتمكن من احتلال ما احتلته من الأراضى العربية إلا لأن الدول العربية قبلت وحدها إن تنفذ بقرارات وقف القتال الصادرة من الأمم المتحدة فى حين لم تكن هذه القرارات بالنسبة لإسرائيل إلا فرصة آمنة لمواصلة العدوان وقد أضعف مركزنا وقتها أننا وضعنا ثقتنا فى الأمم المتحدة وتصورنا فيها المقرسة على رد المعتدين وعلى تنفيذ قراراتها . أما الآن فنحن كما قلت على استعداد لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشرط أن تلقى الإحترام من غيرنا كما تلقاه منا ، إن الأمم المتحدة أقوى مما كانت فى كسنة ١٩٤٧م وهيبتها أوسع احتراماً ونحن على استعداد أن نقدم كل عون للأمم المتحدة لكى تضع قراراتها موضع التنفيذ ولو شاءت الأمم المتحدة أن تؤلف لجنة أو هيئة تكون مهمتها وضع القرارت موضع التنفيذ فإننا نرحب بالتعاون مع هذه اللجنة أو الهيئة .

حاول الاستعمار أن يفتت الأمة العربية ويفتت القومية العربية وكان سلاحه الرئيسى أن يبث العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة العربية ثم يستخدم الوطن العربى ضد الوطن العربى

والبلد العربى ضد البلد العربى وبهذا يدب اليأس فى النفوس والقلوب وبهذا تتفتت الأمة العربية والقومية العربية .

وكان الإستعمار يرى أنه ينجح فى تفريق الأمة العربية وكان هذا هو السبيل الذى مكن الصهيونية من أن تنفذ بين أراضنيا وأن تقيم بين أرجاء القومية العربية . قومية غربية علينا ، قومية صهيونية ، وكان الإستعمار والصهيونية فى الماضى يعتقدون أنهم سينجحون فى سياستهم المعتمدة على تفتيت الأمة العربية، وتفتيت القومية العربية وبهدا تتساقط القومية العربية ثم تتساقط البلاد العربية بلداً بلداً ووطناً بعد وطن . ثم تتسع الصهيونية لتنتشر من النيل إلى الفرات وتحل محل القومية العربية فى هذه المنطقة العربية وقومية صهيونية عملية للإستعمار ورأس جسر للإستعمار .

وكانت معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م نجاحاً للاستعمار ثم نجاحاً للصهيونية لأن الإستعمار ثم نجاحاً للصهيونية ومؤامرات الصهيونية لأن الإستعمار إستطاع أن يفرق الدول العربية والقومية العربية . ولكن القومية العربية إنتصرت لأن معركة فلسطينة سنة ١٩٤٨م كانت الشرارة التى إشتعلت فى القلوب ، وكانت النذير الذى إرتفع فى كل بلد عربى ، فلابد من أن نتحد لمدافع عن إنفسنا وندافع عن كياننا بل لنحافظ على بلادنا ونحافظ على قوميتنا بعد سنة ١٩٤٨م حاول الإستعمار أن يستغل المأساة التى حلت بنا فى حرب فلسطين ليبث فى قلوبنا روح الضعف والهزيمة ولكن القومية العربية النابضة فى كل قلب عربى كانت شعلة إشتعلت بحرب فلسطين ، ولو أنه إنتصر فى سنة ١٩٤٨م على شعب فلسطين وحوله إلى شعب من اللاجئين.ولكن القومية العربية قد إنتصرت أيضا فى جميع أرجاء الأمة العربية لأن كل عربى فى كل بلد عربى يشعر فى قرارة نفسه لابد من أن يتحد مع أخيه العربى ولابد من أن يتضامن مع أخيه العربى حتى يحافظ على أمة العرب من الزوال ، وحتى يحافظ على القومية العربية من التفتت والضياع وحتى يحافظ على أبنائه وعلى نفسه ووطنه .

كانت مأساة فلسطين نصراً للعرب ، لأنها أشعلت نار القومية العربية التى كانوا يعملون دائماً على أن تخبوا وعلى أن تنتهى وكانت مأساة فلسطين هى الشعلة التى أثارت الضمير فى كل بلد عربى .

(٥١) من حديث الرئيس عن الموقف مع إسرائيل بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠م :

نحن نعلم إن إسرائيل تحاول الآن أن تجد تسوية ولكن التسوية التى نريدها إسرائيل هى على حساب حقوق عرب فلسطين إن هذه التسوية لن تتم ونحن واثقون من ذلك . بل ..

لن تكون التسوية نهاية طريق العدوان بل ستكون بداية لخطوات - عدوانية جديدة لتحقيق حلم إسرائيل المجنون فى وطن يمتد من النيل إلى الفرات وهكذا فإن تصور أية تسوية سيكون معناه الإستسلاك للأمر الواقع كما تريده إسرائيل ثم فتح طريق العدوان أمامها من جديد .

وليست المسألة بالنسبة لنا فى الجمهورية العربية المتحدة مسألة شروط إنما هى مسألة حقوق . حقوق عرب فلسطين الذين حرموا من البيت والوطن وأمان . ثم شرودوا خارج ديارهم ثم إن المسألة تمتد إلى ما هو أعمق فإننا يجب أن نقرر هل الأمر الواقع يقرره العدوان . أم أن المبادىء المتمثلة فى ميثاق الأمم المتحدة يجب أن تكون هى أساس كل أمر واقع .

إن الذين يرون مثل هذا الرأى يتحدثون عن المشكلة من بعيد ، ولكنهم لا يلمسون أخطارها كما نلمسها نحن ، لأن أية مفاوضات فى هذا الطريق مستحيلة للأسباب الآتية :

أولا : العدوان الإسرائيلى على الأراضى العربية وعلى الحقوق العربية قائم و لم تبد بادرة توحى بندم قادة إسرائيل على ما فعلوه أو إستعدادهم للرجوع عنه .

ثانياً : ألا نثق بقادة إسرائيل وسجلهم معنا ظاهر ومعروف لقد كانت الدعوة إلى السلام مقترنة دائما فى عرفهم بالإستعداد للحرب ، وقبل العدوان الثلاثى على مصر بأيام قليلة القى رئيس وزراء إسرائيل فى الكنيست الإسرائيلى بياناً قال فيه : أنه على إستعداد لأن يطير لمقابلتى من أجل السلام ، وكان فى ذلك الوقت مشغولاً إلى قمة رأسه بالتحضير للعدوان المشهور ضد بلادنا .

بل هناك أيضا الطريق الثالث ، وهو الطريق إلى المطق والحق وطبيعة الأشياء وذلك هو طريق ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها . ذلك هو الطريق الواحد المفتوح .

(٥٢) من خطاب الرئيس فى اللاذقية بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٦٠م :

إن الوحدة العربية هى إقلاق للأعداء الأمة العربية وإقلاق للصهيونية ولقد رأينا كيف إن الصهيونية وإسرائيل شعرت بالجزع لأن الاتحاد كان يجمع مصر وسوريا . ثم كيف ، شعرت إسرائيل بالخطر والجزع حينما حصل التضامن ين سوريا ومصر والأردن وقامت قيادة عربية مشتركة لقد عبر عن هذا أعداء القومية العربية بل عبر عن هذا إيدن فى مذكراته وقال : إن الوحدة العربية إنما هى تهديد لمناطق النفوذ بل هى تهديد لإسرائيل التى إغتصبت أن نمنع تكرارها فى الحاضر أو المستقبل والتى علينا أن نستردها ونقضى على ما حدث فى الماضى ونعيد الحق إلى نصابه بوحدتها وبقوتنا وبتضامننا وباتحادنا ويرفع راية القومية العربية إننا نستطيع أن نسير فى هذ الطريق لنؤمن مستقبلنا ولنؤمن وجودنا .

(٥٣) من خطاب الرئيس فى الحسكة بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٠م :

إن هذا الشعب الذى صمم على أن يصلح أخطاء الماضى فتوحد وسار بقوة ليصلح أخطاء الماضى والذى صمم على أن يمحوا عار فلسطين فوحد جبهته حتى تقف ضد أطماع الصهيونية وضد توسع الشيوعية وحتى نؤمن حقوق شعب فلسطين .

(٥٤) من خطاب الرئيس بدمشق بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٠م :

إننى أيها الأخوة حينما وصلت إلى بلدكم اليوم وإلى مدينتكم العزيزة ورأيت نهر الفرات تذكرت حلم إسرائيل وأطماع إسرائيل وما نادى به قادة إسرائيل بلا حياء ، بناً ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات ولكن حينما رأيت وجوهكم ورأيت قطعة عزيزة من بلدنا هى تهديد لكل أطماع الطامعين فى بلادنا .

نحن نكافح فى سبيل تحقيق أهداف القومية العربية ونحن نسير فى طريق الكفاح من أجل تدعيم وحدتنا . ثم من أجل تدعيم قوميتنا . ثم من أج لالتضامن أو الاتحاد أو الوحدة مع أى شعب عربى إننا نشعر أن هذه أهداف عزيزة علينا . فى تحقيقها بقاؤنا أحراراً وفى تحقيقها تدعيم لقوتنا وفى تحقيقها قضاء على امال إسرائيل فى التفرقة بين أبناء الأمة العربية . ثم ضربها واحداً واحداً وفى تحقيقها قضاء على أحلام إسرائيل فى التوسع بل فى تحقيقها ضمان لحقوق شعب فلسطين التى إغتصبت والتى ترفض إسرائيل أن تعترف بها . إن إسرائيل قد أغتصبت حقوق شعب فلسصين وإننا نعلنها عالية مدوية إننا نصمم على حقوق شعب فلسطين .

هذه هى المآسى التى قابلتنا فى الماضى والتى علينا عزيمتكم أصبح أشد قوة وأشد إيماناً بأننا سنحطم أحلام إسرائيل وأطماعها . وما دامت فى أرض العرب هذه القلوب وهذه النفوس القوية فلن تستطيع إسرائيل أن تحقق أطماعها إننى أؤمن اليوم من كل قلبى بأن أحلام إسرائيل وأطماعها هى أحلام العصافير التى تضيع فى الهباء وتذهب فى الهواء إن إطماع أسرائيل قد ذهبت إلى غير رجعة .

إن علينا واجباً كبيراً وهو تحقيق حق شعب فلسطين فى وطنه وفى أرضه . شعب فلسطين الذى اغتصب الإستعمار والصهيونية بلده و لم يكن هذا الاغتصاب إلا مقدمة لتحقيق ملك إسرائيل من النيل إلى الفرات .

(٥٥) من خطاب الرئيس فى حلب بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠م :

بالأمس كانت هناك تصريحات من العجوز وزيرة خارجية إسرائيل محاولة تهديد الجمهورية العربية المتحدة وتقول إن إسرائيل لن تسكت على منع سفنها من المرور فى القنال ، وأنا أقول

لهما ولسيدها بن جوريون ولشعب إسرائيل أن سفن إسرائيل لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تمر فى القنال .

وإذا وصلت هذه البضائع إلى بور سعيد أو أى ميناء فى الجمهورية العربية المتحدة فهى حق لشعب فلسطين الذى تآمر عليه الاستعمار وتآمرت عليه الصهيونية واعتقدوا أنها عملية سهلة للقضاء على شعب فلسطين .

نحن اليوم بعد أحد عشر عاماً من هذه المأساة ، نجد أن شعب فلسطين لازال هو شعب فلسطين . يعمل ونعمل معه جميعاً لاسترداد حقوقه فى أرضه وبلده وفى وطنه . فإن حقوق شعب فلسطين حقوق عربية قبل أن تكون فلسطينية وإننا نشعر أن واجبنا الرئيسى وواجبنا المقدس هو أن نستعيد حقوق شعب فلسطين . وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين صفوفكم وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين قلوبكم والوحدة العربية والقومية العربية نستطيع السير فى طريق الحرية والتحرير لتعيد حقوق شعب فلسطين ، ولهذا فإن الصهيونية والاستعمار يعملان بكل وسيلة من الوسائل للقضاء على فكرة للقومية العربية والوحدة العربية .

(٥٦) من خطاب الرئيس فى دمشق بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠ :

إن الأيام قد تغيرت والوقت الدى مر بنا ٢٩٤٨م قد ضى إلى غير رجعة فرغم رأس الجسر الذى وضعه الاستعمار بين أراضينا ورغم قيام إسرائيل ورغم مؤازرة الاستعمار لإسرائيل أعلن الشعب العربى للعالم أجمع أن الفقة الجغرافية التى أقامها الاستعمار بين أراضينا لم تفرق بين القلوب والأرواح . بل جمعت بين القلوب والأرواح وأن المأساة التى حلت بنا فى ١٩٤٨م ولم تضعف عزيمتنات ولم تجعل لليأس فرصة ليسيطر على نفوسنا وقلوبنا . فقد كانت هذه المأساة مأساة ١٩٤٨م التى تآمر علينا فيها الاستعمار والصهيونية للقضاء عل القومية العربية فاحتلت إسرائيل فلسطين وعاونها الاستعمار وظنوا أنهم يثون الرعب والضغط والخوف فى نفوسنا . وظنوا أنهم بهذا قد قسموا العالم العربى وأن الوحدة التى قامت منذ مئات السنسن لن تقوم لها قائمة أخرى ظنوا أنهم بوجود إسرائيل التى فصلت بين الحدود سيفصلون بين القلوب والأرواح والدماء التى امتزجت من مراحل القومية العربية وظنوا أنهم سيمكنهم ن يفصلوا هذه الأمة العربية ، فبتت إسرائل . وأعلنت أن ملك إسرائيل لابد أن يمتد من النيل إلى الفرات وأعلن زعماء إسرائيل فى حملاتهم الانتخابية أن إسرايل لابد أن تمتد وأن القومية العربية لابد أن تندثر . وأعلنوا هذا وهم يعتقدون أن إيمان هذا الشعب قد ضاع . وأن قوة هذا الشعب قد ضعفت وأن زحفه المقدس قد توقف – كانوا يعتقدون أن ألاعيبهم ومؤامراتهم وطردهم لأبناء فلسطين سببت الرعب فى نفوسهم – وكانت

المجازر الوحشية التى رأيناها لأول مرة فى التاريخ الحديث فى فلسطين ، هذه المجازر كانت تجد من الدول الكبرى الإهمال بل كانت تجد التأييد .

وكان من الواضح أن هناك مؤامرة كبرى ليست على فلسطين وحدها ، ولكن على القومية العربية والأمة العربية ، وأن أعداء العرب وجدوا أن الوقت قد حان ليقضوا على القومية العربية من ربوع الأمة العربية . وكانت إسرائيل هى رأس الجسر الذى وضعه الاستعمار حتى ينفذ منه إلى قلب الأمة العربية ، وإلى قلب وطننا لكن هذا الشعب لم يضعف . ولم يتفتت ، ولم ترهبه المجازر ولم يرهبه الإرهاب . ولم ترهبه مجازر إسرائيل سواء فى دير ياسين أو فى البلاد العربية الأخرى ، بل كانت هذه المجازر هى الشرارة التى أشعلت النار فى النفوس ، وفى القلوب وهى الشرارة التى جعلتنا نصمم على أن نعجل بالوحدة ، لأننا كنا نؤمن جميعاً أن طريق الوحدة هو طريق القوة وهو طريق الحياة وكنا نعتقد أن لابد من أن نتحد حتى نحمى أنفسنا من أطماع إسرائيل ، إسرائيل التى قالت أن حدودها تمتد من النيل إلى الفرات ، وظن الاستعمار ، بعد ما حدث فى عام ١٩٤٨م ولكن إرادة هذا الشعب العربى هذه الإرادة القوية ارتفعت عالية لتحطم نفوذ الاستعمار وتقضى عليه .

وأنا أقول لهم باسم الشعب العربى إنكم إن تجاهلتم حقوق شعب فلسطين أو تناسيتم حقوق شعب فلسطين ، فإننا لن نتجاهل حقوق شعب فلسطين ، أو نتناسى حقوق شعب فلسطين رن هذه الحقوق هى حقوق أمتنا نحن العرب الذين وجدنا فى هذه المنطقة . نحن العرب الذين أرادت الصهيونية أن تقضى علينا وعلى قوميتنا وأن تقضى على عروبتنا .

إننى أقول أننا لن ننسى أو نتجاهل هذه الحقوق . كما لا ننسى أو نتجاهل أطماع إسرائيل فى بلادنا ، ولن ننسى أو نتجاهل أطماع الاستعمار ، أن الشعب العربى يؤمن بأن القوة هى السبيل للوقوف فى وجه أطماع إسرائيل والقوة هى السبيل فى الحصول على حقوق شعب فلسطين .

(٥٧) من خطاب الرئيس فى عاصمة الإقليم الشمالى بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦١م :

إن إسرائيل التى استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تدق مسماراً فى قوة الوحدة العربية وتسلب حقوق شعب فلسطين إلى الأبد . كانت إسرائيل وأعداؤنا جميعاً يعتقدون هذا لأنهم أعلنوه وأعلنوه ثم صدقوه . ولأنهم نسوا أن هذا الشعب الخلاق ، هذا الشعب الواعى لا يمكن أن يخدع فكما استطاع أن يقضى على ألاعيب الاستعمار ففى الماضى استطاع أيضاً أن يقضى على هذه المؤامرات فى الحاضر ويستطيع بعون الله أن يقضى على كل مؤامرة فى

فلسطين .

ولهذا ، إننا اليوم فى هذا الأسبوع ، ننظر من حولنا فى العالم ونجد هناك ثورة عارمة ، نجد هناك التصريحات التى تعلن أن الموقف يتدهر فى الشرق الأوسط ، وفى البلاد العربية ، ثم نجد هناك التصريحات ثم نجد حشداً ، لقوى إسرائيل ، وتعبئة لقواتها . ثم نجد أن هؤلاء الذين ناصبونا العداء أفاقوا من سكرتهم رنهم كانوا قد تصوروا أن هناك من يمكنه أن يقضى على قوميتنا وعروبتنا . إننا اليوم حين نسمع هذه التصريحات من هذه الدول وهى تعلن أن الوضع فى العالم العربى وفى الشرق الأوسط وضع متدهور فإننا نؤمن أن هذه الدول قد استطاعت أن تعرف ما غاب عليها . وقد استطاعت أن تعرف قوة هذا الشعب . وصلابة هذا الشعب وإيمان هذا الشعب وتصميم هذا الشعب .

إن هذه الدول التى تعلن وتصرح بأنها تؤيد ما تدعيه إسرائيل من حقوق ، وتتناسى شعب فلسطين فى زحفنا المقدس ، إذا كانت هذه الدول تدعى أنها تعلن ما ينطوى على العدالة والحق فأين حقوق شعب فلسطين فى تصريحاتهم .

لقد تناسوا أو وتجاهلوا حقوق شعب فلسطين التى قررتها الأمم المتحدة ولكنهم قرروا وأعادوا الحقوق المزعومة لإسرائيل فى قناة السويس وفى أرض العرب ، وأنا باسم الشعب العربى الذى آلى على نفسه أن يسير فى زحفه المقدس ، أعلن أن هذه الدول إذا كانت قد تناست قرارات الأمم المتحدة وإذا كانت قد تناست حقوق شعب فلسطين فإننا لن ننسى أبداً حقوق شعب فلسطين .

(٥٨) من خطاب الرئيس فى حفل القوات المسلحة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٦٠ :

إن إسرائيل لم تكتف بما حصلت عليه و لم تكتف بما قامت به ضد إخواننا فى فلسطين . ولكنها أعلنت فى تبجح وأعلنت بأعلى صوتها أن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن لابد من هجرة متدفقة إلى إسرائيل حتى تسطيع إسرائسل بهؤلاء أن تحقق الملك الذى كتب عنه فى تاريخهم .

وهو ملك إسرائيل الذى يمتد من النيل إلى الفرات . وكان هذا يعنى احتلالهم لجزء كبير من سوريا والأردن وجزء من العراق ومصر ومن لبنان والسعودية . وهذا يعنى أن الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسعى لتقضى على القومية العربية ولعروبة المنطقة قضاءً كاملاً .

(٥٩) من حديث للرئيس مع الصحفيين الألمان بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٦٠ :

لقد أعلنا موافقتنا وإصرارنا على منع بواخر إسرائيل وبضائعها من المرور فى القناة لأن

هذا لا يعتبر جزءاً من مشكلة حرية الملاحة فى القناة بل هو جزء من مشكلة فلسطين ومنذ ١٩٤٨م حتى الآن أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات بشأن الموقف بين العربي وإسرائيل . لقد حرم اللاجئون من وطنهم ومن ممتلكاتهم ولكن إسرائيل أغفلت ذلك وأخذت تطالب بالمرور فى قناة السويس و لم تقتصر إسرائيل على إغفال أمر اللاجئين بل أعلنت أنها لن توافق على قرارات الأمم المتحدة ولن تقوم بتنفيذها . وإذن فنحن نعتقد أن المسألة ليست مسألة حرية المرور فى القناة وإنما هى المشكلة الفلسطينية برمتها . إن إسرائيل تريد الحصول لنفسها على كل شيء وأن تحرم العرب من كل شيء .

(٦٠) من خطاب الرئيس فى مؤتمر الاتحاد القومى بدمشق بتاريخ ٤ مارس ١٩٦٠ :

إن الصهيونية وإسرائيل والاستعمار حاولوا بكل طريق أن يقضوا على القومية العربية وكان لعدوان الثلاثى هو الوسيلة الرئيسية للقضاء على القومية العربية ولكن القومية العربية ، انتصرت وهزم الغزاة وكان هذا هو تهديد آخر ، بل تهديد أشد وأخطر لأطماع إسرائيل ولاغتصاب إسرائيل لحقوق شعب فلسطين وأرض فلسطين ولهذا فإننا حينما نرى اليوم الحملة المسعورة التى توجه إلينا نشعر بالطمأنينة نشعر بالثقة فى أنفسنا لأن حالتنا أصبحت غير ما ك نا عليه فى ١٩٤٨م ولن يقبل الشعب العربى مرة أخرى أن يعيش عام ١٩٤٨م .

فإن إسرائيل وعصابات إسرائيل والاستعمار حينما احتلوا هذه البقعة الغالية من أرضنا العربية احتلوها بالغدر والخديعة . أن إسرائيل لم تحارب فى هذه الأيام أو فى هذه الأشهر معركة فاصلة واحدة . ولكننا كنا نحارب إسرائيل ونحارب الخداع والاستعمار .

إن الشعب العربى الذى عاش مأساة ٤٨ لن يقبل مرة أخرى أن يعيش هذه المأساة وأنه أخذ من دروس الماضى عظة لنفسه . وأنه اليوم يعتمد على نفسه وقوته فإذا كانت إسرائيل اليوم تحاول بحملتها المسعورة أن تقضى على القومية العربية وتؤمن ما اغتصبته من عرب فلسطين . ولتنعم بنتيجة الضحايا الذين سفكت دماءهم . وقتلتهم وقتلت أطفالهم . فإن إسرائيل تسير فى طريق الوهم والأحلام لأن الشعب العربى يعلم ما هى إسرائيل وما هى نوايا إسرائيل .

إذا كانت أسرائيل تستطيع أن تتصور أنها بهذه الحملة المسعورة ستقضى على وحدة الصف العربى بعد أن فشلت فى القضاء على القومية العربية فإن ردنا على هذا ، أن الشعب العربى يسير فى زحفه المقدس ليحقق الأهداف الكبرى التى كافح من أجلها وبذل من أجلها الأرواح والدماء لقد سمعنا أصواتاً ترتفع من لندن وباريس وواشنطون . بعد ما ظهر أن هذا الشعب

مصمم على ثورته . سمعنا هذه الأصوات ترتفع لتقول هناك فى الشرق الأوسط . وأن هناك موقفاً منهاراً .

ونحن نقول لهم . نعم هناك أزمة فى الشرق الأوسط منذ ١٩٤٨م ، منذ أن اغتصبت إسرائيل حقوق شعب فلسطين وتنكرت لقرارات الأمم المتحدة التى اعترفت فيها بهذه الحقوق وقررت بأن لشعب فلسطين الحق فى أن يعود إلى أرضه .

وإذا كانت هذه الدول الكبرى تتناسى حقوق شعب فلسطين وتتذكر دائماً ما تنادى به إسرائيل وتستجيب له . فنحن نقول إننا لن ننسى حقوق شعب فلسطين . ولن ننسى التهديد الذى يوجه إلينا من إسرائيل ، هنا فى الجمهورية العربية المتحدة التى تحمل عبء المعركة كلها . والتى بذلت من عام ١٩٤٨م حتى الآن الآلاف من الشهداء فى سبيل القضية وفى سبيل العروبة .

ترتفع هذه الأصوات من هذه العواصم . ونقول لابد من مساعدة إسرائيل . وليس هذا استجابة لإسرائيل . بل تسلم الدعوات لرئيس وزراء إسرائيل ليعطى شهادة فى الحقوق وما هى هذه الحقوق ؟ كيف يعطى شهادة فى الحقوق - من جامعة أمريكية - وهو أكبر مجرم للحرب قام فى هذا القرن ؟.

كيف تعطى شهادة دكتوراه شرفيه فى الحقوق للرجل الذى قتل الآلاف من الرجال والنساء والأطفال بغير ذنب جنوه ؟ والرجل الذى انتهز الفرصة التى مكنتها له بريطانيا التى كانت مسئولة عن شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى فانسحبت وتركت الشعب العربى يقابل عصابات إسرائيل لتقتل منه الرجال والنساء والأطفال ، وتغتصب القرى والأملاك بطريقة لم تحدث فى التاريخ لقد قالوا عن هتلر أنه مجرم حرب . فماذا « فعل هتلر ؟ هل قضى على شعب دولة بأكمله كما قضى بن جوريون على شعب دولة بأكمله ؟» .

ولكننا لا نستغرب هذا لأن إسرائيل وقادة إسرائيل جميعاً جينما قتلوا الشعب العربى فى فلسطين ، كانوا يقومون بالقتل تساندهم الصهيونية العالمية ، بل ساندتهم أمريكا ورئيس أمريكا فى هذا الوقت - وكانت الأموال تسلم لإسرائيل وكانت نتيجة هذه الأموال التى تسلمتها إسرائيل هى الزيادة فى سفك الدم العربى واغتصاب حقوق العرب فى فلسطين إننا نرى فى العالم من حولنا ونسمع هذه الأنباء التى تعلن أن بن جوريون سيزور أمريكا ليستعدى بها على العرب ، ونحن نقول لأمريكا إذا كانت إسرائيل والصهيونية قد استعمرت أمريكا وسيطرت عليها وعلى مقدراتها فإننا آلينا على أنفسنا أمام الله أننا سنبذل كل شىء : الأرواح والدماء ولن نكون تحت سيطرة أمريكا ولا تحت سيطرة إسرائيل .

فليعطوا مجرم الحرب الشهادة الشرفية فى الحقوق . فهذا يجعلنا نعلم ما هى قيمة الحقوق فى أمريكا وما هى قيمة حقوق الإنسان فى أمريكا .

وهذا ما يجعلنا نؤمن أن علينا أن نقوى من أنفسنا وأن علينا أن نعتمد على الله وعلى أنفسنا لنحارب كل المعارك التى تجابهنا لنحافظ على الاستقلال ولنحافظ على الحرية التى حصلنا عليها بالدماء والأرواح .

لقد ظهرت فى لندن وواشنطن أصوات أخرى . ظهرت هذه الأصوات التى تعلن عن التصريح الثلاثى ، فما هو التصريح الثلاثى بالنسبة لنا ؟

وقد أعلن التصريح الثلاثى عام ١٩٥٠ وعادوا اليوم ليعلنوه مرة أخرى ، ولماذا لم يعلن فى العام الماضى لأنهم كذبوا وصدقوا أنفسهم أن الأمة العربية قد تفككت وأنهم فى الطريق إلى السيطرة عليها .

كانت إسرائيل تصدق أكاذيبها وتشعر بالاطمأنان . والفرصة فى هذه الاحتفالات أثبتت للعالم أجمع أن وحدة الأمة العربية أشد قوة مما كانت لأن الشعب العربى ، مؤمن من كل قلبه وروحه ونفسه على أن يسير فى زحفه المقدس ، فهبت الدول الكبرى تعلن التصريح الثلاثى لأنها شعرت أن هذا الزحف المقدس إنما يستهدف حقوق شعب فلسطين فى بلدهم وأرضهم لأنهم شعروا أن لابد لهم من أن يحموا إسرائيل ، ولذلك أعلنوا التصريح الثلاثى .

أما التصريح الثلاثى بالنسبة لنا فليس إلا العدوان الثلاثى ، ونحن لم نشعر بالتصريح الثلاثى فى الماضى ، وإنما قابلنا العدوان الثلاثى ، فالتصريح الثلاثى فى فهمنا وإيماننا لا ينتج عنه إلا عدوان ثلاثى كما حدث فى عام ١٩٥٦م . ففى عام ٥٦ كان هناك التصريح الثلاثى ، ولكننا رأينا العدوان الثلاثى ولا يمكن لنا بأى حال من الأحوال أن نطمئن إلى هذه التصريحات لأنها تعبر عن النوايا العدوانية التى تستهدف أمتنا العربية ثم تستهدف جمهوريتنا لأننا رفضنا أن ندخل فى مناطق النفوذ وأردنا أن تكون سياستنا سياسة مستقلة تنبع من أنفسنا وضميرنا وصممنا على أن نظهر الأرض الطيبة .

إننا جميعاً نسمع أن فرنسا تسلح إسرائيل بالطائرات نشعر بالثقة والاطمئنان . وقد قالت الأنباء اليوم أن فرنسا ستسلم إسرائيل مزيداً من الطائرات . أن هذا يطمئننا على قوتنا وعلى مكانتنا وعلى وجودنا ، وأننا اليوم سمعنا أن بريطانيا ستسلم إسرائيل غواصات ، إن هذا لا يرينا ، لأننا نعلم من هم أعداؤنا ولأننا نستعد لنقابل هؤلاء الأعداء . إننا حينما نسمع هذا نشعر أننا استطعنا أن نحقق فى هذه الشهور القلائل القوة الكبرى التى تزعج إسرائيل

والصهيونية ومن هم وراء إسرائيل ووراء الصهيونية .

أما بن جوريون بالنسبة لنا فهو مجرم حرب . قتل أخوة لنا فى فلسطين ، وبعد عام ١٩٤٨م ، كان يقوم بغارات على القوى العربية ويشفى غليله بالدماء العربية . وما للغاراة الفاشلة التى قاموا بها على قرية التوافيق إلا مثل للسياسة التى اتبعها بن جوريون فى الماضى . فقرية التوافيق قرية هؤلاء يسكنها عرب عزل . وكان بن جوريون يعتقد أنه يستطيع أن يقتل هؤلاء العزل وبهذا يشفى غليله من سفك دماء العرب ، ولكن الغاراة خابت لأن الخسائر حافت بهم ، لأن الجيش الأول تنبه إلى فكرتهم ، فدحر الخطة وقضى عليها بأن سحب العزل من التوافيق ونصب الكمائن للإيقاع بالغدر الصهيونى والغدر الإسرائيلى . وكانت النتيجة أن وقعت العصابات الإسرائيلية بين نيران الجيش الأول فانسحبت تجر أذيال الفشل والعار .

إننا ننظر من حولنا ونسمع تصريحات رجال إسرائيل ، واليوم هناك تصريح يقول آن إسرائيل تريد الصلح مع العرب وتريد نزع السلاح .. أن هذا الكلام يهدف إلى التغرير بالرأى العام العالمى لأن إسرائيل اغتصبت حقوق عرب فلسطين ، ولأن إسرائيل لم تمتثل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين ولأن إسرائيل رغم هذا كله تتبجح وتقول أنها تريد تمر ببضائعها وسفنها من قناة السويس لأن إسرائيل تريد أن تخدع الرأى العام العالمى .

وردنا على ذلك واضح بسيط : إننا لن نتنازل عن حقوق شعب فلسطين ، وإننا لن نقبل عن حقوق شعب فلسطين بديلا ، وأن بن جوريون قبل العدوان الثلاثى على مصر بسبعة أيام ، وقال وأعلن أنه يريد أن يتفاوض مع مصر ليضع أسس السلام . وكان فى هذا الوقت قد وضع أسس الغدر والخيانة والعدوان مع انتونى أيدون ومع موليه فى باريس كانت النية قتلا ، وكان الكلام الذى أعلنوه للخداع كلام عن السلام ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يقوم السلام طالما كانت نية إسرائيل هذه النية ، وهى القضاء على العرب أجمعين عرلى فلسطين ، والعرب بين النيل والفرات ، ولن يعد السلام إلا إذا عادت الأرض إلى أصحابها .

(٦١) من خطاب الرئيس فى معسكر قطنه بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٠م :

فى السابع من مارس ١٩٥٧م ، انسحبت إسرائيل من غزة وكانت هناك المحزنة ومندبة فى مجلس نواب إسرائيل وكان بن جوريون يسحب قواته ويبكى ويتباكى معه نوابه . لأنهم كانوا قد ضموا قطاع غزة إلى إسرائيل وأعلنوا أن غزة التى تمثل الجزء الباقى من فلسطين العربية لابد أن يتكون من حق إسرائيل ثم أعلنوا أنهم لنويتنازلوا عن غزة ولن يتركوها أبداً ثم عادوا بعد هذا وانسحبوا من غزة وأعلنوا أنهم لن يقبلوا بأى حال من الأحوال أن تكون هناك صلة بين غزة الباقية من فلسطين وبين مصر . وأنهم سيمنعون أى صلة بالقوة أو بالحرب

وكان الهدف من هذا أن تبقى غزة منطقة تحت سيطرتهم وسيطرة الدول التى دفعتهم إلى العدوان أو أن تبقى غزة ليدولوها ويجعلوها منطقة دولية . فإذا كانت منطقة دولية تستطيع إسرائيل أن تضعها تحت سيطرتها أو نفوذها . وبهذا خطوة فخطوة تكمل إسرائيل خططها فى الاستيلاء على قطاع غزة .

ولكننا لم نقبل هذا وأعلنا أن هناك حقاً لنا بناء على رغبة الشعب الفلسطينى . فى أن نكون على صلة بقطاع غزة . صلة أبدية لتحمى قطاع غزة من العدوان ولتتضامن مع الشعب العربى الفلسطينى . ولنحمى مصر العرب اللى نسعى إليه جميعاً . وهو مصير العزة والكرامة ، ولنسير فى طريق الكفاح يداً بيد ، ودخلت القوات المصرية قطاع غزة وكانت هذه طامة كبرى على إسرائيل . لأنها كانت تشعر أن هذا يعنى بالنسبة إليها نهاية أطماعها ونهاية سياستها وأهدافها فى إبادة سكان غزة من القطاع البقاى من فلسطين العربية وعادة الأمور إلى ما كانت عليه .

واليوم ونحن نلتقى فى هذا المكان نذكر فى هذا اليوم السابع من مارس ١٩٥٧م اليوم الذى انسحبت فيه إسرائيل مرغمة من قطاع غزة بعد أن أعلنت أنها ضمت هذا القطاع إلى إسرائيل وفى هذا اليوم لابد لنا أن نذكر كيف كافح سكان قطاع غزة من الفلسطينيين الشرفاء ضد العدوان الإسرائيلى وكيف قاتل رجال خان يونس وقتلوا واستشهدوا بل كيف نكلت إسرائيل بالشباب الذين كانوا هناك فى هذه المنطقة وجمعتهم لتقتلهم ولتدفنهم بدون أن تخطر أهلهم .وبدون أن تخطر أى فرد من أهل القطاع بل بدون أن تخطر الأمم المتحدة . فكان الغدر الإسرائيلى . وكانت الخيانة الإسرائيلية التى لم تكن غريبة علينا والتى لم تكن جديدة علينا . ولكن هل أثر هذا القتل وهل أثر هذا الغدر فى شعب فلسطين العربى . هناك قطاع فى غزة ؟ لا ، لم يتأثر شعب فلسطين لأنه يؤمن بأنه لابد أن يسترد حقوقه . ويؤمن بأنه رغم الكارثة التى حلت به فى ١٩٤٨م أن الأمة العربية تستطيع أن تعيد لنفسها القوة والحياة . وتستطيع أن تعاونه على أن يسترد حقوقه فى أرض وطنه .

إن عبء الدفاع عن قضية فلسطين أطماع إسرائيل وتهديد إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل وفى نفس الوقت المحافظة على حقوق شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين يقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة .

(٦٢) من حديث للرئيس مع الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٠م :

لقد أعلنا موقفنا من ذهه المسألة فى مناسبات متكررة ومازال رأينا كما هو فى منع السفن الإسرائيلية والبضائع الإسرائيلية من المرور فى القناة . أن هذه المسألة جزء من مشكلة فلسطين

وليس لها ارتباط بحرية الملاحة فى القناة .

لقد انتهكت إسرائيل حقوق شعب فلسطين واستولت على أملاكه وأراضيه وفى رأينا وتصورنا أن البضائع الإسرائيلية هى فى الواقع من ممتلكات العرب الذين أرغموا على الخروج من وطنهم .

وإنكم كما تعلمون أن إسرائيل ترفض دائماً تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار وحقهم الثابت فى ممتلكاتهم وأراضيهم وبذلك فإننا نعيد إلى أصحاب الحق جزءًا ضئيلاً من حقهم هذه هى المسألة بكل بساطة وللأسف أن الشعب الأمريكى لم تتح له الفرصة للاطلاع على الحقيقة الكاملة فإن معظم الصحف فلأ أمريكا لا تنشر إلا وجهة النظر الإسرائيلية وهو تصور المسألة على أنها أمر يتصل بحرية الملاحة بل لقد قالوا أن جمال عبد الناصر يزج بقناة السويس بعد تأميمها فى الأهداف السياسية للجمهورية العربية المتحدة وليس ذلك صحيحاً ، فإن الخطر على بواخر إسرائيل قائم منذ ١٩٤٨م .

(٦٣) من تصريحات للرئيس فوق جبال الهيمالايا بتاريخ ٢ أبريل ١٩٦٠م :

إن مشكلة إسرائيل ليست جديدة أنها مشكلة مزمنة وترجع إلى عشرات سنوات . إذ أن مليون عربى قد طردوا من ديارهم وسلبت ممتلكاتهم ، وأن إسرائيل ترفض تطبيق قرارات الأمم المتحدة التى اتخذت فى هذا الشأن فى عام ١٩٤٨م ، وتنص على أن العرب يجب أن يعودوا إلى ديارهم وأن إسرائيل تهدف إلى التوسع على حساب المنطقة المنزوعة من السلاح . لذلك كانت الاشتباكات .

(٦٤) من حديث للرئيس عن أزمة الباخرة كليوباترا بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٠م :

إن مسألة مرور السفن الإسرائيلية بقناة السويس تعد جزءًا من المشكلة الفلسطينية ويرجع تاريخها إلى عام ١٩٤٨م وقد عرضت هذه المشكلة على الأمم المتحدة وعلى مجلس الأمن واتخذت عدة قرارات بشأنها ومن هذه القرارات قرار يقضى بوجوب عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم ودفع التعويضات لهم عما حل بهم من خسائر بعد أن طردوا من بلادهم ، وحرموا من ممتلكاتهم ومن كل شيء فى وطنهم ولكن ماذا حدث بعد هذه القرارات . لقد رفضت إسرائيل تنفيذ أى منها وأعلنت أنها لن تسمح لأىّ عربى من عرب فلسطين بالعودة ، أما العرب فقد أصروا على ضرورة تنفيذ هذه القرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة ولكن إسرائيل لم تكتف برفض كل قرارات الأمم المتحدة بل طالبت أيضاً باستخدام خليج العقبة مع أن مياهه مياه إقليمية عربية حقا وطالبت أيضاً باستخدام قناة السويس ولكن الصحافة

الأمريكية أغفلت حقوق عرب فلسطين . وراحت تبرز مطالب إسرائيل ومنها كما قلت رغبتها فى استخدام قناة السويس ، إن السلع والممتلكات التى تريد إسرائيل استخدام قناة السويس من أجلها هى ملك للعرب ، لأن إسرائيل حرمت عرب فلسطين من ممتلكاتهم ومن أراضيهم ومن كل شيء .

إننا نعد ممتلكات إسرائيل ممتلكات لعرب فلسطين الذين حرموا من أراضيهم وممتلكاتهم وقد صودرت شحنات كانت فى طريقها إلى إسرائيل ومن هذه الشفينة كانت تحمل شحنة لحم مستورد من أريتريا وقد صودرت هذه الشحنة لأننا نعدها ملكاً للعرب استولت إسرائيل عليه .

إن المسألة ليست عناوين أنما هى مسألة امتلاك وملكية ونحن نعد ما ت ملكه إسرائيل ملكاً للعرب اغتصبته إسرائيل منهم بالقوة بغير حق .

وأن مشكلة فلسطين فى نظرنا هى أولاً مسألة حقوق العرب الفلسطينيين ومادامت هذه الحقوق لم ترد إليهم ومادامت إسرائيل تصر على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بهذه الحقوق ، فإننا لن نسمح لسفنها باستخدام قناة السويس .

أن الغرض من إنشاء كيان فلسطين هو مواجهة نشاط إسرائيلى لتصفية المشكلة الفلسطينية وإضاعة حقوق شعب فلسطين . وأما الجيش الفلسطينى فالغرض منه فى الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين . وذلك أمر طبيعى ومنطقى ومن هذا يتضح أنه ليس من أهدافنا على الإطلاق أن نثير أية متاعب أو صعوبات أو أن نتخذ أى إجراء – ولاسيما فيما يتعلق بمشكلة فلسطين – من شأنه الإضرار بأى دولة ، من الدول العربية .

لقد ألفت الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٩م لجنة توفيق مكونة من فرنسا ، وتركيا والولايات المتحدة وقد عقدت اجتماعات فى لوزان اشترك فيها مندوب إسرائيل ومندوبو الدول العربية وبحث الجميع فى كيفية تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ثم قبلت إسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة وفى اليوم التالى رفض مندوب إسرائيل الأستمرار فى الاشتراك فى اجتماعات هذه اللجنة . أن المسألة فى الأصل مسألة حقوق عرب فلسطين . وإسرائيل تحاول بكل الطرق والوسائل وبكل أنواع الدعاية أن تجعل العالم ينسى أن ثمة شيء اسمه « حقوق عرب فلسطين » وهم المليون عربى الذين طردوا من بلادهم وحرموا من كل شيء . أن إسرائيل تحاول أن تركز جهودها ونشاطها على رغبتها فى استخدام قناة السويس .

نحن على استعداد للتعاون من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين وقد وافقت كل الدول العربية على هذا فى مؤتمر باندونج كذلك وافقت كل الدول الأسيوية والأفريقية على ذلك . ولقد أوضحنا هذا بالتصريحات التى أدلينا بها فى الهند فى البلاغ المشترك الذى صدر عقب زيارتنا للهند . وكذلك البلاغ المشترك الذى صدر عقب زيارتنا للباكستان أما الإسرائيليون سيرفضون قرارات الأمم المتحدة .

قبل العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦م بسبعة أيام صرح بن جوريون بأنه يسعى للسلام وبأنه يود أن يجتمع معلاً للتفاوض بشأن عقد تسوية ولكنه كان قد أدلى بهذا التصريح فى الوقت الذى كان يتآمر فيه مع بريطانيا وفرنسا لشن عدوان وهجوم على بلادنا . وبالأمس قال مندوب إسرائيل فى يوغوسلافيا شيئاً عن هذا القبيل ومعنى هذا أن الإسرائيليون يحاولون بكل بساطة تضليل الرأى العام العالمى .

إنهم يقولون أنهم على استعداد للتفاوض مع العرب بقصد الوصول معهم إلى تسوية . ولكن بشرط واحد أنه يجب ألا يكون للعرب أية شروط فما معنى هذا هذا ؟ معناه أن الإسرائيلين يريدون أن نتناسى فعلاً كل قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين .

(٦٥) من خطاب الرئيس فى يوم انتصار العمال العرب بتاريخ ٧ مايو ١٩٦٠ .

أننا اليوم نواجه تحالف الصهيونية والاستعمار ، أننا نواجه معركة كبرى ندافع فيها عن مصيرنا ، وندافع عن وجودنا وندافع فيها عن قوميتنا ونجابه فيها دول الاستعمار وهى تستخدم إسرائيل وتسلح إسرائيل لتعتدى عليكم وعلى قوميتكم وهى الطريقة الجديدة التى يحاولون بها أن يقضوا على قوميتنا - واليوم نحن نستمع إلى الأنباء التى تقول أن أمريكا سلحت إسرائيل وأمدتها بالسلاح أن هناك اتفاقية سرية بين إسرائيل وأمريكا وعقدت فى ١٩٥٢م نتذكر ما حدث فى سنة ١٩٦٦م حينما عقدنا اتفاقية لشراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا حينما ثارت أمريكا ودول الاستعمار ضدنا و حينما هددنا بالحرب الوقائية وبالحرب الشاملة وحينما هددنا أيدن كما قال فى مذكراته بأنه لابد أن يقضى على أية قوة نامية وكانت إسرائيل تمثل رأس جسر الاستعمار .

كنا نحارب بالأسلحة التى حصلنا عليها . اليوم نرى أمريكا وهى تسلح إسرائيل فلا يمكن لنا بأى حال من الأحوال أن ننسى الهدف . الهدف من هذا هو حريتنا وإرادتنا واستقلالنا أن السلاح هو نفس السلاح . إسرائيل رأس جسر للاستعمار .. حينما نرى هذا نشعر أن علينا أن نقوى أنفسنا ونتحد جميعاً لنحافظ على قوميتنا واستقلالنا وكرامتنا وأن علينا مسئولية

كبرى هو مواجهة إسرائيل والاستعمار وبكل قوة ففرنسا تسلح بالغواصات والدبابات ولكننا نتساءل ماذا سينتج عن هذا هل سيتمكنون اليوم أن يقضوا على قوميتنا وعروبتنا ونحن نذكر المعارك التى مرت بنا طوال هذه السنين ونأخذ من هذه المعارك الدروس والعظة ونؤمن فى قرارة أنفسنا أننا كما - هزمناهم فى الماضى سنهزمهم فى الحاضر بإذن الله .

هذه معركتنا التى نجابهها اليوم . معركة عميقة . معركة كبيرة معركة أطرافها الاستعمار والصهيونية فى هذه الأسابيع جابهنا معركة تتجه إلى تهديدنا وتتجه إلى إرهابنا تحالفت فيها الصهيونية والاستعمار والدوائر الرجعية فى جميع أنحاء العالم ، ورأينا الحملات تتجه إلينا الحملات الصحفية التى تهددنا والتى تقول أنه لابد من حرية إسرائيل فى قناة السويس نذكر هذه الثورة التى حدثت فى سنة ١٩٥٥م ، ونقارنها بما كان يحدث فى سنة ١٩٥٢م أمريكا تسلح إسرائيل سراً اتفاقية لتسليح إسرائيل بين أمريكا وإسرائيل . سلاح بت يتدفق على إسرائيل السلاح لإسرائيل حلال أما السلاح لنا فهو حرام .

لقد طالبنا أمريكا سنة ١٩٥٢ بأن تمدنا بالسلاح . وكانت هناك اتفاقية وقعت بين مصر وأمريكا قبل الثورة . مثل اتفاقية إسرائيل مع أمريكا ولكن هل رضيت أمريكا أن تمدنا بأى قطعة من السلاح - لقد رفضت أمريكا أن تعطينا أى قطعة من السلاح من سنة ١٩٥٢ - لأنها تعلم أن هذا السلاح هو سلاح نحمى به استقلالنا وليس بالسلاح الذى يكون السبيل إلى التفريط فى هذا الاستقلال .

إننا نجابه اليوم معركة الاستعمار والصهيونية ضد بلادنا وضد قوميتنا استمرار للمعارك الماضية واستمرار لمعركة ١٩٤٨م وكلنا نذكر كيف أنه سنة ١٩٤٨م خاضن الدول العربية كلها الحرب لكى يتحد الشعب العربى فى فلسطين الذى كان فى حماية بريطانيا والذى تخلت عنه وتركته لإسرائيل واليهود ليقتلوه ويغتصبوا أرضه .

وكلنا نذكر أن الأمة العربية والشعوب لاعربية لم تجد من يمدها بالسلاح وكيف أن العصابات الصهيونية وجدت فى دول الاستعمار الموزرد الرئيسى للسلاح . وكان هذا السلاح يوجه إلى صدر العرب ليقتلهم وكان هذا السلاج يوجه إلى استقلالنا لكى يتحكموا فينا .

ومنذ أيام قليلة جرى فى مجلس الشيوخ الأمريكى حديث ومناقشة طويلة فإن ضمير أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى استيقظ فجاء ليتكلموا عن حرية الملاحة فى قناة السويس . هؤلاء الناس خرجوا وقد استيقظ ضميرهم فجأة وقالوا أننا لابد أن نتخذ إجراء من أجل حرية

الملاحة فى القناة لإسرائيل . لماذا لأن هؤلاء الشيوخ فى مجلس الشيوخ الأمريكى يقفون مع الحرية بكل معانيها .

وأنا أسأل هؤلاء الناس فى مجلس الشيوخ الأمريكى الذين يتحدثون عن الحرية . حرية الشعوب . أين حرية جنوب أفريقيا .

هؤلاء الناس الذين تكلموا فى مجلس الشيوخ الأمريكى ولبثوا الثوب الأسود ووجهوا الإهانات للعرب جميعاً وإلى الجمهورية العربية المتحدة إنما كانوا يخدعون الشعب الأمريكى تحت اسم حرية الملاحة لأنهم كانوا يعبرون عن الأهداف الصهيونية . ولماذا وإذا كانوا حقاً يتكلمون عن الحرية فكان الأولى بهم حينما يتكلمون عن حرية الملاحة فى قناة السويس أن يتكلموا أيضاً عن حق شعب فلسطين . وعن حرية شعب فلسطين فى العودة إلى بلدهم . ولكن عملاء الصهيونية حينما يتصنعون أن ضميرهم قد استيقظ وحينما يتصنعون أنهم يتكلمون عن الحرية ، إنما يريدون بهذا أن يخدعوا الشعب الأمريكى ويخدعوه عن الطريق الذى ينساقون فيه وهم انما يعملون من أجل الصهيونية ومن تحقيق الأهداف الرجعية إنهم قد اجتمعوا منذ أيام وضللوا الشعب الأمريكى ولطموا الخدود على حرية الملاحة فى قناة السويس من أجل إسرائيل .

لقد قامت بعض الأصوات فى مجلس الشيوخ الأمريكى لتفضح عملاء الصهيونية . قامت هذه الأصوات ولكنها كانت أصوات ضعيفة . لأن الصهيونية فى أمريكا تحاول أن تستبعد الشعب الأمريكى وتخضع أمريكا وتجعل من نفسها قوة فوق دستور أمريكا . ففى ١٩٤٨م وقف أحد الوزراء فى أمريكا ليجابه الصهيونية وهو وزير الحربية فى هذا الوقت واسمه فورستا – ولكن الصهيونية استطاعت أن تقضى عليه . وأن تدفعه إلى أن ينتحر بأن يقذف بنفسه من أعلى طابق فى إحدى عمارات أمريكا .

أنا أريد من مجلس الشيوخ الأمريكى الذى يتكلم عن حرية الملاحة فى القناة والذى استيقظ ضميره فجأة والذى يتكلم عن الحرية . لكى يخدع شعب أمريكا أن يجيب على هذا السؤال إذا اعتدت دولة أجنبية على أمريكا وأخذت جزءًا من أمريكا بالقوة كما حصل فى فلسطين لأن إسرائيل أخذت جزءًا من أرضنا بالقوة هل تسمح أمريكا لسفن هذه الدولة بأن تسير فى قناة بنما ، مع فارق واحد هو أن قناة السويس قناة عربية فى أرض عربية وفقاً لقوانين المعاهدات الدولية ووفقاً لجميع الاتفاقات التى نصت على حرية الملاحة فى قناة السويس ، فإن كل الاتفاقات تقول أن قناة السويس هى قناة عربية وأنها قطعة من الأرض العربية وأن لنا الحق فى أن نتخذ جميع الإجراءات لنحافظ على أمتنا وعلى سلامتنا .

هذا هو ردنا على عملاء الصهيونية فى أمريكا وعلى هؤلاء الشيوخ الذين واجهوا إلينا الإهانات وهددونا والذين لمست ضمائرهم أموال الصهيونية ووسائل الصهيونية فقاموا ليهددوا ويوجهوا إلينا الإهانات . إننا نقول لهم إذا كنتم حقاً تعنون الكلام عن الحرية فإننا نريد أن نسمع منكم فى مجلس شيوخكم الكلام عن الحرية أجمع نريد أن نسمع منكم فى مجلس شيوخكم القرارات التى تمس المسائل التى تتعلق بالحرية فى كل أنحاء العالم ، وإلا فأنتم لستم إلا عملاء للصهيونية اتخذتم من حرية الملاحة وسيلة لتنفذوا أساليب الصهيونية .

إننا نقول لهؤلاء الشيوخ فى بلادهم إذا كانت إسرائيل والصهيونية تسيطر على مجلس الشيوخ فى أمريكا ، وإذا كان الشعب الأمريكي يرضى لنفسه أن يخضع تحت وطأة الصهيونية لأن الصهيونية تمتد على الإغراء والرشوة ولأن الصهيونية تتحكم فى رزقة ورقابة . ولأن الصهيونية تقيم بين ربوعه جمعيات صهيونية وإذا كان الشعب الأمريكى يرضى لنفسه وهو هذا الشعب الغنى أن يخضع للصهيونية فنحن هنا . نحن الشعب العربى لن نخضع لأمريكا ولن نخضع للصهيونية بأى حال من الأحوال لأننا نعلم أن لنا كرامة ندافع وعنها ولنا حرية نبذل من أجلها الدماء والأرواح لنحرر بلادنا .

وإننا على استعداد لأن نعطى الشعب الأمريكى المثل الكبير يحمى الشعب الصغير حريته وكيف يحمى استقلاله .

إننا على استعداد لأن نعطى هذا المثل . وإنا نأمل بأن نهيب شعب أمريكا الذى سيطرت عليه الدوائر الرجعية والصهيونية ليقضى على الصهيونية التى تتحكم فيه .

إننا حينما نتكلم اليوم عن هذه التهديدات التى وجهت إلينا ، فإنما ننظر إليها بازدراء واحتقار لأن هؤلاء العملاء الذين أهانونا والذين رفعوا أصواتهم يتكلمون عن حرية الملاحة فى القناة لا يستحقون منا الاحترام لأن الوسيلة التى اتبعوها إنما هى تعبير عن الصهيونية تسير فى هذا المجلس كما سارت فى سنة ١٩٤٨م وأن الصهيونية فى أمريكا فى سنة ١٩٤٨م لم تسيطر على المجلس فقط .

ولكنها سيطرت على رئيس أمريكا فى هذا الوقت أكبر عميل للصهيونية .

(٦٦) من خطاب الرئيس فى المؤتمر العام للاتحاد القومى بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٠م :

علينا أن نذكر دائماً وجود إسرائيل وأن ندرك دائماً أن إسرائيل ليست أمامنا وحدها . وانما هى رأس جسر للاستعمار ومركز أمامى لأطماع الصهيونية العالمية فى وطننا .

وعلينا أن ندرك أن استعادة حقوق شعب فلسطين ليس مجرد أمنية قومية وإنما هو ضرورة

حيوية لسلامة الأمة العربية كلها وهو الطريق الوحيد لقهر الخذذ الصهيونية وأحلامها التوسعية وانه ان الحق علينا أن ندرك أن كل تقدم يحرزه الأمة العربية وكل فاعلية تعطيها من نفسها لعقائدها سوف تجعلها فى المركز القوى . وسوف تجعلها أكثر قدرة وتمكنا على مواجهة إسرائيل وما يساندها من قوى الاستعمار والصهيونية .

(٦٧) من خطاب الرئيس فى المهرجان الرياضى بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٦٠ .

حينما تركت فلسطين بعد أن سلحت الصهيونية وسجلت إسرائيل لتقضى على القومية العربية وتفتتها كانت انجلترا هى التى خلفت إسرائيل ، ووضعتها فى قلب فلسطين . التى تولت الأمانة عليها بناء على توصية الأمم ولا يوجد من يستطيع أن يصدق أو يستطيع أ ن يفكر أن انجلترا التى أقامت إسرائيل ستساعدنا لنحمى أنفسنا ضد عدوان إسرائيل . أو ستساعدنا لنعيد حقوق عرب فلسطين .

لقد قال الجمهورى فى بيانه اليوم : أنه سيعمل على أن تمر مراكب إسرائيل فى قناة السويس . والله إذا كانوا هم رضوا بأن تركبهم إسرائيل وتسيطر عليهم وتقضى عليهم . فنحن لن نرضى بل سندافع لآخر فردمنا - سندافع لآخر قطرة من دمائنا فى سبيل حقوقنا . حقوق العرب . حقوق عرب فلسطين التى اغتصبت . لا بيان الحزب الجمهورى ولا بيان الحزب الديمقراطى ولا بيان الجرائد . لهم أن يقولوا ما يقولون ولكن هذه السيارة فى هذا البلد ملك لكم أنتم . ملك لهذا الشعب فقط . وليست ملكاً لحزب الجمهورى الذى يريد أن يكسب أصوات اليهود فهذا الكلام انتهى من زمن بعيد .

كلام واضح :

أن سياستنا نرسمها ونقولها على المفتوح لأن الشعب هو الذي ينفذ هذه السياسة أو يضعها موضع التنفيذ نحن حافظنا على استقلالنا وثبتناه وأعلنا عالياً بأننا سنستعيد حقوق فلسطين . ولا يمكن أن نضيع هذه الحقوق بأى حال من الأحوال لو كان عند الجزب الجمهورى إنصاف لتكلم عن حقوق فلسطين أو ت كلم عن قرارات الأمم المتحدة لشعب فلسطين ولكنهم يلمسون هذه القرارت وينسونها .

ويظنون - فقط - أن هذا الكلام يفيد من يمشى مع اليهود . ولكنهم إذا نسوا هذا الكلام فنحن لا ننساه . هذا كلام واضح مكشوف فأن حقوق شعب فلسطين لابد أن نحصل عليها . والشعب العربى يجند نفسه من أجل حقوق شعب فلسطين ويعبىء قواه من أجل استعادة هذه الحقوق .

(٦٨) من حديث الرئيس إلى مندوب التليفزيون البريطانى بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٠م
لقد رفضت إسرائيل أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة وأهملت جميع الحول الخاصة باللاجئين الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من ممتلكاتهم . فالمشكلة الحقيقية هى عرب فلسطين . الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من وطنهم . فى سنة ١٩٤٨ وقد تجاهلت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين وتجاهلت كل شىء يختص بحقوق عرب فلسطين . ومضت فى التحدى إلى أقصى حد محتمل وهناك أيضاً الخوف من سياسة إسرائيل العدوانية فإن إسرائيل تستقبل مزيداك من اليهود الخارج ونحن نعتقد ونشعر أن المساحة التى تحتلها إسرائيل الآن يمكن أن تهيىء لها حياة طيبة . وعندئذ سيتحولون إلى التوسع . وقد نشرت مراراً تصريحات كثيرة على لسان زعماء إسرائيل تقول أنهم سيتوسعون من النيل إلى الفرات .

(٦٩) من خطاب الرئيس فى الأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ :
لابد أن تتحمل الأمم المتحدة مسئوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربى وذلك هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب وأن الأمم المتحدة تعلم من سوء أحوالهم ما يكفى لرسم صورة محزنة للظلام الذى يحيط بمليون من البشر طردوا من أراضيهم وديارهم وسلبوا كل ما كانوا يملكون . ولست أريد هنا استدرار الدموع على أحوال اللاجئين من شعب فلسطين وإنما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وأن التعلل بالأمر الواقع لخطيئة كبى ترتكب فى حق المبادىء فلو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السرق لنسترد منه ما سرق ولنقتص منه بحكم القانون وما ذنبه ؟ ذلك أن سرقته تصبح بعد إتمامها أمراً واقعاً .. أن الأمر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج يجب على المجتمع الدوليتقويمه وتلافيه .

(٧٠) من خطاب الرئيس فى عيد النصر الرابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠ :
يقولون اليوم أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . وردنا على هذا أن هذا الكلام يزيد العرب إصراراً على التمسك بالقومية العربية والوحدة العربية فإذا كانت إسرائيل تستطيع أن تصنع قنبلة ذرية فإننا نستطيع أن نصنع القنبلة وإذا كانت إسرائيل تنشر هذه الدعاية من أجل تخويفنا فإننا نخرج من هذا بنتائج كثيرة وهذه النتائج قائمة على شواهد فى سنة ١٩٥٥ طلبنا من الغرب تسليحنا فرفض وفرض شروط علينا وإسرائيلكانت تأخذ السلاح والفوس وعندما اعتدوا علينا سنة ١٩٥٦م لم يعتمدوا على السلاح الذى أخذوه بل استغلوا طيارين من فرنسا لأجل أن يحاربوا بهم . ولكن هل عجزنا أن نحصل على السلاح ، لم نعجز و لم نمكن إسرائيل بأى حال من الأحوال أن يكون لها التفوق علينا . سيكون لنا دائماً التفوق مهما صرفنا سيكون لنا التفوق الأرضى دائماً والتفوق الجوى .

زمن فرض الإرادة ولى :
إذا تأكدنا من أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . فيكون معنى ذلك بداية الحرب بيننا وبين إسرائيل . إننا لا نمكن إسرائيل من العمل على إنتاج قنبلة ذرية لابد أن نهاجم قاعدة العدوان ولو جندنا أربعة مليون حتى نقضى على قاعدة العدوان ولكن هل تستطيع إسرائيل إنتاج قنبلة ذرية يقولون أن فرنسا تقوم بمساعدة إسرائيل .

ننظر إلى الذين يقولون بفرض صلح على العرب ونقول لهم يمكن أن تفرضوا صلحاً . تصرفوا فى واشنطن وتصرفوا فى لندن كما تشاؤون ولكن فى القاهرة لا يمكن أن تفرضوا أى شيء الذى خطب والذى تكلم سواء الحزب الجمهورى أو الديمقراطى إننا نقول لهم متأسفين ولا يستطيع أحد أن يفرض إرادته لأن زمن فرض الإرادة ولى وانتهى .

إن هذه الدعاية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن دول الاستعمار تهيىء الجو وتعده لتسليح إسرائيل بأسلحة ذرية . وتقول أن إسرائيل أنتجت أسلحة ذرية . أنا لا أستبعد على الدول التى لم يكن عندها أى ذرة من الشرف فى سنة ١٩٥٦م أن تتواطأ مع إسرائيل ويتفقوا معها اتفاقاً سرياً لأجل الهجوم علينا ونرسل إليهم جيشاً إلى سيناء حتى يمكن أن يواجهونا بعد هذا . فإنا لا نستبعد على هذه الدول أن تتواطأ مع إسرائيل وتعطيها أسلحة ذرية . طبعاً معركة مع الاستعمار ومعركة مع الصهيونية . وهناك تحالف بين الصهيونية والاستعمار . ولكننا سنحصل على القنبلة الذرية والأسلحة الذرية بأى ثمن . لأن الموضوع موضوع حياد أو سلام . ولكنه أصبح موضوع مصير وإننا سنحصل على القنبلة الذرية بأى ثمن كان .

أعلنا سياسة الحياد وعدم الانحياز ونحن نحرم من السلاح وإسرائيل تأخذ السلاح من الغرب أننا لا نفرط بأى حال من الأحوال فى مبادئنا ولكن إذا إسرائيل تتحالف مع الاستعمار تتحالف مع الاستعمار ضد حياتنا وضد مصيرنا فلا يمكن أبداً أن نقبل بأن نكون شعباً من اللاجئين فلابد من اتباع كل وسيلة لنحافظ على بلدنا ثم نقضى على عدونا . هذا هو الكلام وهذا هو الرد وهو كلام واضح كلام لا توجد فيه تورية . ولكن كله وضوح . لن نخاف من تهديد إسرائيل ولا من حملات إسرائيل . ولن يرهبنا تهديد الاستعمار وتهويش الاستعمار بل نشعر بأننا أشد تصميماً وعزماً على استعادة حقوق شعب فلسطين العربى الذى حاربه الاستعمار والصهيونية لاغتصاب بلده منه .

(٧١) من خطاب الرئيس فى مؤتمر المحامين العرب بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦١ :
حينما نتكلم عن فلسطين . ونقول إننا نريد تحرير شعب فلسطين ونرد له حقوقه السياسية

والاجتماعية فقد اغتصب حقوق شعب فلسطين السياسية والاجتماعية وطرد هذا الشعب من أرضع وبلده ، وأن الاستعمار كان يستطيع أن يخطط وأن يرتب وأن يسيطر ولكننا دخلنا التجربة والآمال التى جاشت فى صدورنا لم تتحقق وخرجنا من هذه المحنة ولم نوضع فى سراديب التيه بل خرجنا من هذه المحنة أشد عزماً وأيماناً فى العمل على تحقيق هدفنا . وهو أن الحق الحق ويوضع فى نصابه . لقد استطاع الاستعمار أن يغتصب فلسطين ويعطيها للصهيونية ولكن هذا الدرس درس فلسطين محنة فلسطين سنة ١٩٤٨م هو نتيجة التجربة التى دخلنا فيها . واليوم عندما نعلن إننا نشارك شعب فلسطين وإننا ننسى الهدف الأصلى الأصيل وإننا سنعمل على وضع هذا الهدف موضع التنفيذ لا يمكن أن ترهبنا محاولات الاستعمار ولا مساعدات الاستعمار لإسرائيل . اليوم مثلاً أعلم أن بريطانيا أخذت تسلح إسرائيل بالدبابات الحديثة هل هذا يفزعنا . إننا حينما نتكلم عن إسرائيل ومن خلف إسرائيل . فإن إسرائيل لا تمثل الصهيونية وحدها بل تمثل الصهيونية والاستعمار . وأن إسرائيل التى أقاموها بين ربوع الأمة العربية ليست إلا رأس جسر للاستعمار الذى يتربص بنا حتى يجد الفرصة فينقض علينا ليقضى على القومية العربية فقد حدث هذا فى عام ١٩٥٦م ولكن الاستعمار الذى تحالف ضد الأمة العربية والقومية العربية لم يستطع أن يحقق أهدافه .

(٧٢) من خطاب الرئيس فى المؤتمر الشعبى بدمياط بتاريخ مايو سنة ١٩٦١م :

إن مأساة سنة ١٩٤٨م كانت نكسة وكان سلاح الاستعمار فيها الغدر والخيانة . الغدر بالعرب لأن بريطانيا كانت هى الدولة المسئولة عن فلسطين كانت الدولة التى خذت على عاتقها سلطة الانتداب على فلسطين . فماذا كانت النتيجة تآمرت بريطانيا مع الصهيونية فكان وعد بلفور بإعطاء فلسطين للصهيونية وكانت خطة بريطانيا فى القضاء على شعب فلسطين ولكن الأمة العربية حينما رأت الخيانة هبت كلها فى سنة ١٩٤٨م لتقاتل من أجل قطعة عزيزة على قلبها هب الشعب العربى فى كل مكان يحمل السلاح .

(٧٢) من خطاب الرئيس فى العيد العاشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦١ :

إسرائيل التى أقامها الاستعمار فى قلب العالم العربى للقضاء على القومية العربية ، لضرب الأمة العربية وتمنع الأمة العربية من أن تصحو وتبنى نفسها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً . ولكن هل منع إسرائيل الأمة العربية من تحقيق طريقها حقنا الاستقلال والحرية والوحدة العربية بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وفى نفس الوقت نسر فى طريق تحقيق الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، هل خوفتنا إسرائيل ؟ دفعتنا إسرائيل لأن نبنى الجيش الوطنى القوى . عل أخافنا من هو وراء إسرائيل ؟ هل أخافنا الاستعمار الذى أقام إسرائيل والذى يحمى إسرائيل ؟ هل أخافنا الذين يقولون أن إسرائيل خلفت لتبقى ؟ لم تخوفنا لأننا لازلنا نؤمن بقوة وشدة بحق

شعب فلسطين فى بلده وفى أرضه ، ولا يمكن أن يدفعنا هذا إلا إلى التصميم وشدة التصميم .

(٧٣) من حديث الرئيس للتليفزيون الأمريكى كولمبيا بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦١م ..

إنما نرى دائماً ثمة خطرين فى وجود إسرائيل - الخطر الأولى يتمثل فيما تعرض له الشعب العربى فى فلسطين - فى محاولة إبادته وطرده من بلاده . وفى حرمانه من ممتلكاته بل ومن كل شيء .

الخطر الثانى : فتمثل فى التهديد الموجه إلى الأمة العربية وذلك أمر يسهل التأكيد منه خلال قراءة الجرائد الإسرائيلية والخطب التى ألقيت طوال الخطة الإنتخابية الإسرائيلية فى الفترة الماضية ولقد بات أمراً واضحاً إن إسرائيل تتطلع إلى التوسع بل لقد كان المضوع الرئيسى خلال الحملة الإنتخابية هو ذلك اللوم الذى تبادلته الأحزاب فيما بينها لأن الظروف لم تنتهز لإحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن ، أو إحتلال قطاع غزة أو إحتلال جزء من سوريا .

أنى أتوقع الهجوم من إسرائيل فى أى يوم الآن أو غداً أو بعد غداً ، إنهم يحشدون قواتهم المسلحة ويتلقون المساعدات من الغرب كما يتلقون الأسلحة الحديثة من فرنسا بصفة رئيسية .

هذه وجهة نظرنا القائمة على الحق والعدل ولكن السؤال الذى يجب أن يطرح إيضاً هو ما هى وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية والرد أن حكومة إسرائيل ترفض هذا المنطق القائم على الحق والعدل .

إنهم يقولون أنهم لن يسمحوا لأى عربى بالعودة والغريب أنهم فى مقابل هذا يدعون إلى الهجرة اليهودية من الخارج إلى فلسطين . هذه وجهة نظرهم المتناقضة والخطيرة فى نفس الوقت .

(٧٤) من خطاب الرئيس فى عهد الوحدة بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٦٢م .. إن التخلف هو الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لإسرائيل على أرضنا إلى الأبد والخطر الإسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة - العسكرية الفاصلة إذا تمكنت الأمة العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الإستعمار عليها والذى يحاول الرجعية أن تفرضه الآن .

(٧٥) من الميثاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مساء ٢١ مايو ١٩٦١م ..

إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم

على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإسرائيلية الإستعمارية ضد النضال والشعوب . وليس تعقيب سياستنا للتسلل - الإسرائيلي فى أفريقيا غير محاولة لحصر إنتشار سرطان أستطرى مدمر .

(٧٦) من خطاب الرئيس إلى أعضاء المجلس التشريعى بغزة بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٢م ..

أرجو من الله أن يجمعنا دائماً فى مناسبات أسعد .. يجمعنا وقد عادت حقوق الشعب الفلسطينى إلى شعب فلسطين وقضية شعب فلسطين هى قضية كل عربى حر .. والشعب هنا فى الجمهورية العربية المتحدة يشعر كما يشعر أبناء فلسطين نحو فلسطين .. حينما كنت أتكلم - عن فلسطين والقضية الفلسطينية والوحدة العربية كان الشعب يخرج من صوابه .. هذا هو الشعب العربى فى كل مكان من الوطن العربى .. ولكن الظروف التى مرت بها أمتنا تسببت فيما حدث عام ١٩٤٨م الظروف التى لم تكون ولدة سنة ١٩٤٨م فقط وإنما من الحرب العالمية الأولى ومن - وعد بلفور ومن المفاوضات والمساومات المختلفة التى حدثت حتى عام ١٩٤٨م .

وعندما ذهبت فى أول يوم وهو يوم ١٦ مايو دخلت إلى رفح لم يكن هناك جيش ليقاتل .. وربما كانت الجيوش العربية دخلت لتنقذ التقسيم وهذا هو المهم فى أن الجيش المصرى كان يسير على الساحل حتى أسدود لينفذ الخطة الموجودة للتقسيم .. وأنا أعتبر أن سبب النكبة فى عام ١٩٤٨م هم العرب أكثر من اليهود .

وفى عام ١٩٤٨م ضاعت منا بمواقع بدون قتال والذين كانوا موجودين فى الفالوجة أو عراق المنشية أوبيت جبرين ... وبيت جبرين ضاعت - بدون قتال ... والخط الموجود على ذكرين ودير الدبابات ودير إيمان وبير الجمال وكل هذه المناطق ضاعت بدون قتالى ولم تطلق فيها رصاصة واحدة .. والدوايمة أيضا ضاعت بدون قتال .. فلم يحدث فى كل هذه المناطق أى قتال ... وكل هذا إستولى عليها اليهود بلا قتال وهم يدعون الآن أمام العالم أنهم حاربوا وكسبوا معركة ١٩٤٨م .

وفى سنة ١٩٤٨م حاربنا وحوصر جزء من الجيش المصرى فى الفالوجا وعراق المنشية ولقد رأيت الفلسطينين فى عراق المنشية .. وكان معنا الشيخ خالد مختار فى عراق المنشية وقد إستشهد أبناؤه أمامى ولم يكن يلتفت لأحد من أبنائه وقد أريق فى هذا اليوم الدم الفلسطينى والدم المصرى وقد بلغ عدد الذين أستشهدوا ١٥٠ شهيداً من الكتيبة المصرية وقتل أيضاً عدد كبير من الفلسطينين المناضلين ودخل اليهود وأستولوا على ثلثى عراق المنشية ولكن لم يتمكنوا من الصعود وإستطعنا أن نعيد - الإستيلاء على مواقعها ونكبد اليهود فى

هذا اليوم ... يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م .. خسائر بلغت حوالى ٤٠٠ قتيل وقمنا بدفنهم وأنا ذهبت بعد إنتهاء الحرب وبعد الهدنة إلى عراق المنشية فى يناير سنة ١٩٥٠م – ودخلت بواسطة رجال الهدنة لأطلع اليهود على مقابر هؤلاء الجنود – لأنهم لم يستطيعوا معرفتها وطلبوا من رجال الهدنة أن يرسلوا أحد المصريين ليريهم هذه المقابر .. وقد أوفدنى الجيش المصرى لأعين لهم – المقابر لأننا كنا نتبادل الحديث وقد ذهبت معركة ١٩٤٨م هباء .. ولم تحارب إسرائيل فى هذه المعركة وإنما الذى حارب فيها هو الإستعمار ولم تكن فى معركة ١٩٤٨م أحراراً ولم تكن إرادتنا ملكاً لنا .

وقد دخلنا حرب ١٩٤٨م ولم نكن لدينا دبابة واحدة ولم يكن لدى اليهود أيضاً دبابات ولكن بعد فترة استطاع اليهود الحصول على دبابات وعلى قاذفات لهب وحصلوا على أسلحة من الدول الغربية ونحن كانت ذخيرتنا تنقص بإستمرار ولا نستطيع أن نستعيض عنها .

وقد ضحك اليهود علينا بالخديعة واليهود ليسوا إسرائيل فحسب وإنما هم إسرائيل ومن وراء إسرائيل .... وهذا هو العدو الذى يجب أن نعمل حسابه بإستمرار فى عام ١٩٤٨م .. كما نحن العرب المسئولين – عن هذه النكبة وليس نتيجة ١٩٤٨م فحسب وإنما نتيجة ١٩٤٨م وما قبلها .

والقائد الذى على غير استعداد ويحاول إيهام الناس أنه مستعد والقائد الذى لا يثق فى النصر ويحاول أن يوهم الناس بأن النصر قريب المنال يكون خائناً فى حق بلده ووطنه ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم﴾ فلابد من أن نعد أنفسنا لا نتكلم ولا نعمل مزايدات سياسية ، ولا نغرق الناس فى الأوهام والآمال ونحن لسنا على إستعداد . فلابد من الإستعداد والإستعداد ليس بالقوة فحسب وإنما الإستعداد بالقوة – والأخلاق .

وإذا تحدثنا عن حقيقة شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين فسبيلنا إلى ذلك هو الأخلاق ليس بالنسبة إلى فلسطين فقط أو بالنسبة لقطاع غزة ولكن بالنسبة لجميع الدول العربية ، والشعب العربى مستعد للتضحية بالمال والروح والدم .

وقلت إن إسرائيل ستكون مستعدة لتحويل نهر الأردن فى ١٩٦٣م ومن الضرورى أن نستعد ونضع الخطط وندبر أنفسنا منذ عام ١٩٥٩م ويجب أن نبحث الناحية السياسية والناحية الفنية منذ ذلك الحين وشكلنا لجنة لبحث هذا الموضوع – وكانت تهدف إلى حرمان إسرائيل من موارد المياه العربية لأن هناك مياهاً تضيع من سوريا وتذهب إلى نهر الأردن ونحن نستطيع أن نحمل هذه – المياه لاستخدامها فى أراضينا وبهذا نحرمُ إسرائيل من المياه العربية .

إن هذا هو أول عمل فى تتبعة أعمال سياسية ، ثم نفكر فى النواحى العسكرية . وإذا كنا سنقوم بعمليات عسكرية لابد أن تكون على إستعداد للقيام بها .. وإذا لم نكن على إستعداد يجب أن نعمل حسابنا حتى - نكون على إستعداد بحيث لا ندخل فيحدث لنا ما حدث فى عام ١٩٤٨م .

فعندما إتخذ قراراً يجب أن أكون على ثقة من أننى سأستطيع فرض رأيى على قواتى وأستطيع فرض قواتى على بن جوريون وعلى الذين وراء بن جوريون وإلا أكون مقامراً بمصير بلدى - وأدخل فى نكبة ثانية تشابه نكبة سنة ١٩٤٨م وأرى أنهم واصلوا إلى دمشق وسيقوم الجيش السورى - والقوات السورية بمواجهة ولكن دمشق على بعد ١٠ كيلوا من إسرائيل بدلا من أن يأخذ اليهود من الوطن العربى نجد هناك أساليب وهناك خططاً كلنا نعرفها ... ويجب أن نتبع الخطط لكل ذلك .

فلو حسبنا فى عام ١٩٤٧م لما حدث لنا ما حدث منها سنة ١٩٤٨م ولكن أحداً ام يحسب حساباً لشىء ففى مصل . قرروا الحرب قبلها بأسبوع أو عشرة أيام ولم يكن فى حدود فلسطين لواء واحد عبارة عن ثلاث كتائب موجودة فى العريش و لم يكن هناك ذخيرة معدة ولا خطوط إمدادات .

فالحرب هى دفاع وانسحاب وهجوم والقائد المظفر يعرف متى يهجم ومتى ينسحب ، أما لو فرضت عليه الظروف الإنسحاب وهجم أصبح قائداً من غير جنود وسيودى بجيشه وبهذا لم يفد نفسه ولا بلده .

وبالنسبة لهذه القضية يجب أن تعرف متى تقف ومتى تهجم ومتى - ننسحب ولكن فى كل هذه الحالات ينبغى أن تستعد باستمرار ونقوى أنفسنا مادياً ومعنوياً وإن شاء الله ربنا يوفق العرب ووحدة العرب أساس كبير والوحدة العسكرية التى كونت فى عام ١٩٥٦م وهى القيادة المشتركة بين سوريا والاردن ومصر وقف بن جوريون وأعلن أن هذه القيادة وضعت إسرائيل كالبندقية داخل كسارة البندق وقد أعلن هذا الكلام فى الكنيست .

هذه هى القيادة العسكرية الموحدة فما بالنا بوحدة الأمة العربية والشعوب العربية .

(٧٦) من حديث الرئيس لصحيفة الصنداى تايمز الإنجليزية فى يونيو ١٩٦٢م ..

فى مايو ١٩٤٨م إنتهت بريطانيا انتدابها فى فلسطين وأحسسنا - أن قضية فلسطين لا يمكن أن تستخدم من أجل أهداف سياسية أو أهداف شخصية وقد قلت أن هذه القضية هى

أصعب قضية فى العالم .. ومن يقول أنه وضع خططاً لحلها إنما يخدعكم فأمامنا قضية معقدة ويجب أن نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية .. القوى المعنوية أساسها الأخلاق والوحدة . وحدة الكلمة ووحدة الصف .

والقوى المادية أن نعمل كل ما يمكن عمله حتى لا نصاب كما أصبنا – فى عام ١٩٤٨م .

نحن فى عام ١٩٥٦م تعرضنا لعدوان انجليزى فرنسى إسرائيلى وأنا لم أتردد أن أصدر الأوامر بالإنسحاب لأن واجبى يحتم على هذا ... والموقف العسكرى يحتم على أن أصدر قراراً بسحب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القنال وأترك أهل العريش وغزة والطور .

ومعنى هذا أننى أصدرت أمراً بعدم القتال حتى أجنب أهالى غزة ويلات القتال الذى لس له هدف عسكرى . وقد قاتلوا فى خان يونس وبعض المناطق الأخرى وكانت خطتنا التى نتجت عن هذا ألا يقاتلوا وأن يسلم هذا الجزء .

فهذه هى روح العرب وخصائصهم فنحن لا ننسى حقوقنا وسبيلنا إلى هذا أن نتحد ولا نختلف ونكون يداً واحدة فأى خلال لن يصيبنا منه إلا البلاء والضرر لأولادنا وينبغى أن يضحى كل واحد بجزء من نفسه فى سبيل أن نتحد ونجمع الشعب الفلسطينى وهذه مسئوليتكم فيجب أن تذهبوا إلى كل بلد فى فلسطين وتتحملوا المسئولية وتعملوا وتجمعوا الأموال لإنشاء المدارس ولا تعتمدوا على أموال الإغاثة لأنها ستنتهى يوماً ما ويجب أن تطلبوا الأموال وتصنعوا ونحن مستعدون للتعاون معكم على أن هذا حق لكم وليس مساعدة ، لأنكم ضحيتم عام ١٩٤٨م من أجل الأمة العربية كلها .

فحقوق فلسطين تتطلب العمل الدائم المتواصل والاتحاد الكامل والإستعداد وعليكم أن تتصلوا بالفلسطينيين فى كل بلد للعمل من أجل قضيتكم وأولادكم ويجب بأن تقضوا على الخلافات بينكم لا من أجل جمال عبد الناصر وإنما من أجل فلسطين ومن يستخدم هذه القضية من أجل موضوع شخصى يكون قد خرج على المبادىء الأخلاقية وخرج عن الأهداف أصعب القضايا فى العالم لأنها ليست إسرائيل وحدها وإنما إسرائيل ومن وراء إسرائيل ولكن الله أكبر من وراء إسرائيل ونحن مؤمنون وبهذا الإيمان نستطع أن نحقق هدفنا .

ومن الطبيعى أن الوحدة العربية كانت علاملاً مساعداً وكانت بالنسبة لبن جريون البلاء الأكبر .. وربما البعض يسمع إذاعة إسرائيل ويسمع – ما تردده محطة إسرائيل باستمرار ..

فمن عملى اليومى قراءة ما تذيعه محطة إسرائيل ، وما تذيعه محطة إسرائيل هو بذر الشقاق بين العرب ... ومحاولة تفتيت العرب لأن هذا يمكن إسرائيل من أن تؤدى تقوى ويجدوا

الأمل فى حل قضاياهم .

خسرنا فعلا فى عام ١٩٤٨م خسارة ولكن هذه الخسارة نبهت الشعب العربى ... والأمة العربية بالواجب عليها نحوكم لتحقيق أهدافكم - فى إستعادة حقوقكم فى فلسطين ... وسيحاول الإستعمار والصهيونية - بكل الوسائل تفتيت الأمة العربية لأن الوحدة العربية هى السبيل الذى - يمكننا من أن نحقق هدفنا فى إستعادة حقوق فلسطين . وكنت أذهب إلى غزة لأشترى للجنود جبنة وزيتون بنفسى لأن لم تكن لدينا تعيينات وطوارىء وهذا هو طعام الجنود الذين سيذهبون للقتال وجيش بهذا الحال كان الأفضل إلا يحارب وكان من الأكرم لهم أن يرفضوا الدخول فى الحرب أو يتركوا الشعب الفلسطين ونمده بالسلاح والذخيرة ليقاتل .

ولكن الشعب الفلسطينى رأى ٧ دول عربية دخلت للقتال وأطمأن وأعتبر أن السبع دول بسبعة ملوك ورؤساء وسبعة أركان حرب - ستستيطع الدفاع عن فلسطين ولكن خاب أمله .

وهذا هو الكلام الذى يجب أن نفهمه ونعمله ولابد أن نستمد ونترك - الكلام وضحك السياسيون والمتاجرة بقضية فلسطين .

وعلينا نحن نتمسك بالقيم والأخلاق ونعمل ونستعد وننبذ - الأساليب والقيم التى يقوم بها تجار السياسة فعلام نختلف ؟.... لابد أن نتحد ولابد أن ننهى الخلاف لأن أمامنا قضية من أصعب القضايا .. ومن يقول لكم أن قضيتكم سهلة فانما يخدعكم قضي فلسطين جميعاً بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما أعتبرناه إنتهاكاً صارخاً لعدالة الدولية وحدها والكرامة الإنسانية .

أن وضع إسرائيل فى منطقتنا وضع لاسبيل إلى قبولة بتاتاً إلا فليس فى إمكاننا أن نتراجع عن إصرارنا بالإعتراف بحقوق عرب فلسطين إعترافاً كاملاً وأن ترد إلى المليون عربى اللاجئين فى قطاع غزة دورهم التى شردوا منها ، إن كل تفكير فى إجراء مفاوضات الصلح مع الإسرائيليين ضرب من المحال حتى ولو كانوا على استعداد لأن يقدموا تعويضات مالية من نوع ما محال أن نشترى وطن إنسان أو أن تباع روحه أو حقوقه الإنسانية الجوهرية .

(٧٧) من خطاب الرئيس فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر بتاريخ ٢ يوليو ١٩٦٢م .

أما نضالنا فى فلسطين سنة ١٩٤٨م لماذا انتكس ؟ لأننا دخلنا المعركة بدون أن نستعد .

وقال البعض إنها نزهة .

هذا هو السبب نكستنا سنة ١٩٤٨ ولهذا فأنا حينما تكلمت مع ممثلى شعب فلسطين منذ أيام قلت لهم أن علينا أن نستعد وعلينا ألا نتحرك أى خطوة إلا إذا كنا على أستعداد وكفانا لما لسناه فى سنة ١٩٤٨م ... قلت لهم أن النضال أن يكون شعب فلسطين – هو الطامعة ويجب علينا أن نعزز هذه الطليعة بجميع الإمكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة .

قلت هذا ونحن نعرف مسئولياتنا ونقبلها برضى وطيب خاصر .

قلت صراحة لممثلى شعب فلسطين أن المسئولية تقع عليهم كطليعة ولكن لابد لهم من الإستعداد . وقلت لهم أن علينا أن نعزز موقفنا .. علينا أن تستعد فى جميع الميادين . الميادين المادية والميادين الروحية والميادين العسكرية ونحن هنا علينا أن نعزز قدرتهم بحشد كل إمكانياتنا المادية والمعنوية والسياسية والعسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة ووضعها موضع الإستعداد الكامل حتى نضمن النصر وحتى لا تتكرر مأساة ١٩٤٨م .

(٧٨) من خطاب الرئيس فى العيد العاشر للثورة فى ٢٢ يوليو ١٩٦٢م ..

إن القوات المسلحة مستعدة أن تحمى أمانى الشعب العربى وآماله .

القوات المسلحة التى خاضت المعارك فى سنة ١٩٤٨م فى فلسطين وأستشهد أبناؤها فى فلسطين لن تتخلى عن العروبة أبداً لأننا نشعر أننا جزء من الأمة العربية ، جزء من الشعب العربى .

القوات المسلحة وهى تشعر بالقوة وهى تشعر بالفخار تشعر إن علينا واجباً نحو شعب فلسطين ونحو حقوق شعب فلسطين .

(٧٩) من خطاب الرئيس فى العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٣م ..

إذا هاجمت إسرائيل على الأردن لابد أن تحارب . كل دى – أعمالنا إحنا قمنا بها ماكفرناش بالوحدة العربية ماكفرناش بالأمة العربية ماكفرناش بالقومية العربية ما قلناش واحنا مالنا بالعرب تعبونا العرب دوخونا الكلام اللى كانوا بيقولوه لنا الإنجليز فى سنة ١٩٤٨م بعد حرب فلسطين . ليه لأن إحنا عرب وإحنا قاعدة القومية العربية و لم نكفر بالقومية العربية ولا بالوحدة العربية وسنعمل دائماً من أجل القومية العربية والوحدة العربية وكل واحد فينا حيسلم العلم الثانى المسألة مش مش شخصية مش بتاعة عبد الناصر ولا بتاعة عبد الحكيم

عامر ولا بتاعة فلان أو علان رسالة بتاعة الشعب بتاعتكم أت بتاعة كل واحد من أبناء هذا الأمة لأن هذه الرسالة هى الرسالة الطبيعية ..

(٨٠) من تصريحات الرئيس فى المؤتمر الصحفى الدولى الثالث بتاريخ أول أكتوبر ١٩٦٣م ..

لابد أن نفهم مشكلة إسرائيل وكل واحد لا يتأثر بالدعاية التى تحاول إسرائيل أن تخدع بها شعوب العالم .

فمشكلة إسرائيل لم يحدث مثلها فى التاريخ . بريطانيا كانت قائمة بالإنتداب فى فلسطين . الشعب الفلسطينى كان يمثل ٩٠٪ أو أكثر من سكان فلسطين الإسرائيليون يمثلون ١٠٪ تحالف الإستعمار مع الصهيونية على طرد الشعب الفلسطينى من فلسطين وأعطاء هذه - البلاد لإسرائيل لإقامة دولة مبنيت على الدين دولة اليهود - يمكن الإعتراف بالأمر الواقع .

هناك أكثر من مليون عربى طردوا من فلسطين وسلبوا أملاكهم وتعرضوا للعدوان وتعرض أولاهم ونساؤهم للقتل لأنهم طردوا تحت الإرهاب فى سنة ١٩٤٨م و ١٩٤٩م اتخذت الأمم المتحدة قرارات عن طريق مجلس الأمن تنص على عودة الفلسطينين إلى بلادهم أو تعويضهم عن أملاكهم التى اغتصبت وضرب بهذا الكلام عرض الحائط بل أكثر من هذا أن الأمم المتحدة قررت أيضا فى أواخر ١٩٤٨م أن تقيم لجنة للتوفيق بين العرب وإسرائيل وأجتمعت فى لوزان وتتكون اللجنة من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وتتبع الأمم المتحدة وبعد إجتماع واحد رفضت إسرائيل أن تحضر هذه اللجنة وأعلنت أنها لن تسمح لأى فلسطين أن يعود إلى بلده ..

النهاردة الموجود فى إسرائيل حوالى ٢,٥ مليون إسرائيلى و ٢٠٠ ألف عربى يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية من مناطق مقفلة خاضعة للحكم العسكرى هناك تمثل عنصرى ضدهم ولا يستطيعون أن يعملوا فى الأعمال التى يريدونها ولا يستطيعون أن يتحركوا من مكان إلى آخر تحت الحكم العسكرى فهل هذا عدل وإذا تصور أى واحد منكم من يسأل من أمريكا أو بريطانيا أو سيلان فى جنوب بريطانيا طردنا الإنجليز الموجودين هناك وجاء غرباء عن إنجلترا وأحتلوا نصف انجلترا أو جزء من انجلترا وطردوا الإنجليز وأخذوا أملاكهم . هل هذا الأمر الواقع يرضى به الإنجليز ويتنازل عن أملاكه وحقه فى بلده ووطنه - وبالنسبة للأمريكى هل ولاية كاليفورنيا إذا حدث فيها نفس الشىء إذا جاءت الصهيونية و أخذت كاليفورنيا وطردوا الأمريكيين عن كاليفورنيا هل يقبلوا هذا الوضع والأمر الواقع وهل يمكن أن نعتبر هذا عدل . شعب فلسطين فى بلده وفى وطنه . كيف يتحقق هذا لا أستطيع أن -

أقول لكم كيف . ولكن هذه المنطقة من العالم ولها حدود كبيرة جداً وسكان هذه المنطقة لم يسكنوها من ٢٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة بل سكنوها من آلاف السنين .

(٨١) من خطاب الرئيس فى حفل إستقبال الأبطال بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٣م ..

إننا ضد العدوان فى الوقت الذى نحاول فيه أن نحل هذه المشكلة بكل الوسائل السليمة . ونحن نتحمل مسئوليتنا .. والمسئولية لا تتجزأ مهمتنا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة .. معمة هذا الشعب . فى هذه القلعة المناضلة من أجل الحرية ومن أجل الإستقلاق ومن أجل المبادىء والمثل العليا ما زالت أساسية .

ونحن نتعرض لأننا نتحمل هذه المسئوليات نتعرض لأساليب مختلفة .. إسرائيل مثلاً .. ما بثها جمشى أبداً .. اللى بيسمع أذاعة إسرائيل أو بيقرأ إذاعة إسرائيل .. كل الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . على شعب الجمهورية العربية المتحدة على الجيش المصرى ، على القوات المسلحة المصرية راديوا إسرائيل بيوجه كل عدائه لنا .

راديوا إسرائيل بيوجه حملاته لنا .. إمبارح رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول بيعمل حملة على مصر مبنية على الكذب .. حملة على بنائنا للصواريخ . حملة بنائنا للطائرات . حملة لأننا نستخدم فنيين ألمان ويقول أن مصر قاعدة العدوان ومصر هى اللى بتعمل أسلحة . وهو بهذا يريد أن يخدع الناس . عايز يستقل العالم كله . من هى قاعدة العدوان ؟ من هى قاعدة الإستعمار فى هذه المنطقة ... ؟ إسرائيل كانت دائماً قاعدة العدوان .. سنة ١٩٤٨م كانت إسرائيل قاعدة للعدوان .. إسرائيل التى تريد التوسع والتى تريد أن تستولى على حقوق العرب . وفى سنة ٥٤ وفى سنة ١٩٥٥م إسرائيل هى التى هاجمت على غزة ونشلت الشعب الفلسطينى السالم فى غزة فى سنة ١٩٥٦م إسرائيل اعتدت على مصر متواطئة مع بريطانيا وفرنسا ومع هذا يريد رئيس وزراء أسرائيل أن يضلل الرأى العام العالم . وأعتبر أن الرأى العام العالمى دا كله مشغل ويصدق كلامه حينما ينادى أن مصر هى قادة العدوان .

إننا نعمل وأنتم النهاردة كنتوا فى المركب الصبح .. وإنتوا جايين من معركة الشرف فى اليمن .. كنتم بتقولوا فلسطين .. فلسطين دا النداء إللى بينادى بيه كل عربى لأن فيه عدوان حصل على فلسطين . ثم هناك عدوان تعرضنا له نحن وتعرضت له البلاد العربية الأخرى من إسرائيل محاولات الصهيونية فى العالم له ضد مصر . فى أمريكا الصهيونية علشان أحنا ساعدنا اليمن بتحاول تركز حملاتها ضد مصر . ولكننا سنسير فى طريقنا . سنتحمل مسئوليتنا على أساس أن سلامة الثورة العربية لا تتجزأ وأن ضرب أى ثورة عربية متحررة معناه ضرب باقى الثورات العربية والمتحررة .

مهمة هذا الشعب الأساسية ... وإننا نعلم ما تبيته لنا إسرائيل وما تبيته للأمة العربية كلها .. إن إحنا سنبنى نفسنا وسنقوى نفسنا علشان نقوم بواجبنا ونسير فى طريق الواجب .

لابد من عودة حقوق شعب فلسطين .. هذا هو نداء رفعة العالم العربى دائماً مهما مضى من الوقت لابد لنا من أن نعيد حقوق شعب فلسطين إلى شعب فلسطين ولابد أن تكون قادرين على أن نتصدى لقاعدة العدوان فى إسرائيل .

(٨٢) من خطاب الرئيسى فى بازرت بتونس بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٦٣م ..

واليوم وأنا أسمعكم تنادون فلسطين .. فلسطين .. كنت أشعر بنفس الشعور الذى لمسته فى كل زيادة لفلسطين ، فلسطين تستدعى منا أن نقوى أنفسنا .. وفلسطين تستدعى منا أن ندافع عن قوميتنا وفلسطين تستدعى منا أن نقضى على الآثار التى أقامها الإستعمار ليفرق بيننا ويقسمنا إلى شعوب متفرقة .. فلسطين تستدعى دفاعاً عن القومية العربية .. فليست الوحدة العربية إلا أن تكون إرادة الشعب العربى الذى فرقه الإستعمار والذى فرقه الغاصب .

وبهذا تكون الإرادة هى الإرادة القومية . هى الإرادة الحرة . هى الإرادة العزيزة .. وأننى أقول لكم أننى أشعر أن الوحدة العربية قائمة حقاً بين الشعوب العربية فحينما كنتم هنا تتعرضون لرصاص الإستعمار كان إخوانكم فى مصر وفى كل بلد عربى يهيمن وهم يشعرون أن هذا الرصاص قد صوب إلى قلوبهم .. هذه هى الوحدة العربية .

(٨٣) من خطاب الرئيس فى عيد النصر السابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣م

أنا بدى أقول حاجة لازم نعرفها كلنا فلسطين سنة ١٩٤٨م لا يمكن تتكرر أبداً تانى . فلسطين سنة ٤٨ كانت متاجرة سياسية إحنا كنا موجوديه فى فلسطين وكان عندنا أسلحة ماهاش ذخائر وكان الجيش المصرى بيقابل الجيش الإسرائيلى فى ميدان المعركة .

كل حاجة بنعملها النهاردة بتقوى بها بلدنا .. صناعتنا الثقيلة كلها خطوات فى سبيل فلسطين .. وبنقول فلسطين طبعاً لا يمكن إحنا ننساها ولا يمكن أن نتخلى عنها ولكن لا يمكن أيضاً إن إحنا نعالج موضوع فلسطين بالطريقة اللى اتعالجت بها سنة ١٩٤٨م بالمزايدات والبعد عن المسئولية . فى سنة ٦٠ فى وقت الوحدة أنا طلبت من مجلس الوزراء إن إحنا نبحث ماذا يمكن عمله من سنة ٦٠ لغاية سنة ١٩٦٤م لإسرائيل وبالنسبة لمشروع تحويل نهر الأردن من الناحية الفنية والسياسية على أساس ترك الناحية العسكرية لتقريرها وبعد هذا وصلنا فى هذه الأيام إلى قرارات .

نحن نعتقد أن السلام لا يمكن أن يقوم إلا إذا كان قائماً على العدل ونعتقد أن الفلسطينيين

طردوا من بلادهم بواسطة إسرائيل وعاونها الإستعمار ..

ونعتقد أن إنجلترا لم تقم بالواجب الذى كان يجب أن تقوم به حينما قامت بالحماية على فلسطين ولكنا تآمرت مع الصهيونية ضد العرب ومكنتها من أن تحصل على السلاح وتقتل العرب الذين كانوا موجودين فى فلسطين وبهذا اغتصبت فلسطين وطردت أهلها :

فن رأيى أن هذه المشكلة لن تنتهى أبداً إلا إذا تحقق العدل . وكيف يتحقق العدل ؟ إننى على ثقة أن الأمة العربية لن تقبل هذا بأى حال من الأحوال .

فى القرن ١٢ والقرن ١٣ تعرضت هذه المنطقة إلى حملات استعمارية تحت إسم الحملات الصليبية . واحتلت مناطق فى فلسطين ولبنان ومصر وسوريا واستمر العرب يحاربونها ٧٠ سنة حتى إستطاعوا أن يتخلصوا كلية من هذا الإستعمار ، وأنا على ثقة أن العرب لن يقبلوا أبداً أن يطرد شعب فلسطين ويحرم من حقه فى بلده وأرضه والعرب مصممين على يعود الحق .

إن الأنهار التى تنبع من البلاد العربية عربية لأن المياه مياه عربية يجب أن تمنع عن إسرائيل نهر الحصبانى اللى بينبع من لبنان ونهر بنياس اللى بينبع من سوريا وأيضاً نهر اليرموك اللى بيصب فى إسرائيل فى المنطقة الإسرائيلية . وقلنا بعد كده بنبحث النواحى العسكرية .

إحنا فى الجمهورية العربية المتحدة نرى أن إجتماع على مستوى رؤساء أركان الجيش ما ينفعش .. إجتماع على مستوى مجلس الدفاع ما ينفعش ... حتى تجابه إسرائيل اللى تحدثنا الجمعة اللى فاتت واللى رئيس أركان حربها وقف وقال إن إحنا حنحول إليه غصب عن العرب ... والعرب بيعملوا اللى يعملوه بأقول أنه لابد من أن يتم إجتماع للملوك والرؤساء العرب فى أسرع وقت ممكن بصرف النظم عن الخصام والخناق . اللى متخاصمين معاهم إحنا مستعدين نقعد معاهم واللى متخانقين معاهم علشان فلسطين مستعدين نقعد معاهم وبعدين مصر تستطيع فى المواقف اللى تستلزم الشجاعة أن تكون شجاعة ومصر كانت دائماً شجاعة .

وفى سنة ١٩٤٨م لما تخلى عننا الكل وقفنا وحاربنا برضه ، وأنا إتحاصرت فى فلسطين فى شمال النقب وما سلمناش .. حاربنا برضة . قعدنا نحارب باستمرار علشان هذه الحرب شرف العرب ... شرف بلدنا وشرف جيشنا .

أنا أقترح اجتماع للملوك والرؤساء العرب وحابعت للجامعة العربية لتدعوا لهذا الإجتماع فى أقرب وقت ممكن .. نقعد نتكلم فيه كلام جد وبعدين مش عيب نطلع نقول والله إحنا

النهاردة ما نقدرش أبداً نستخدم القوة .. وحنقولكم بالصدق وحنقولكم كل كله ما نقدرش النهاردة نستخدم القوة لأن ظروفنا لا تناسب أصبروا علينا . معركة فلسطين ممك تكون مستمرة ومعركة الأردن جزء من معركة فلسطين أو نقول والله إحنا قادرين إذا حولو نهر الأردن حنمنع هذا التحول بالقوة ولكن متى حنقول كلام جوه فى الأودة ونطلع نقول كلام تانى .. أنا عن نفسى الكلام اللى حيتقال فى الأودة حطلع أقوله برة الأودة .

(٨٤) من حديث للرئيس مع رئيس تحرير مجلة ليتز بتاريخ ٦ فبراير ١٩٦٤ ..

يبدو أنه ليس هناك مفر من نشوب حرب فانية فى فلسطين أن - إسرائيل مصممة على أن تواصل التحدى ليس ضد العرب وحدهم وإنما ضد الإنسانية والمجتمع الدولى كله أيضاً ، أن الأمم المتحدة على سبل المثال أصدرت منذ سنوات قرارات تقضى بعودة اللاجئين من شعب فلسطين إلى بلادهم ولكن إسرائيل رفضت ذلك القرار تحديا طوال سنوات عديدة . ولما عادت الأمم المتحدة خلال الدورة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأكيد قرارها القديم بحق اللاجئين فى العودة بتأييد من دولة العالم كلها إلا إسرائيل بالطبع - فإن حكومة إسرائيل أعلنت فى وجه الدنيا كلها أنها ترفض وأنها مصرة على التحدى ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يمضى إلى الأبد بغير رادع أو حساب .

وقبل أى اعتبار آخر يجب أن يدرك العالم أن شعبنا العربى ظل يعيش فى فلسطين طوال آلاف السنين الماضية .. فإن فلسطين هى أرضه ووطنه وجزء من حياته وتاريخه وثقافته ، وأستطيع أن أقول أيضا جزء من روحه ووجوده . من لحمة دمة وعظمة . أن هذا الإرتباط التاريخى المقدس بين الشعب العربى وأرضه فى فلسطين هو الذى مزقه الإستعمار الصهيونى بعنف وحشية عن طريق الإحتلال غير المشروع لفلسطين وما عقبه من إخراج مليون عربى من ديارهم بالقوة . كيف نستطيع أن نتساهل إزاء هذه الجريمة التى ارتكبت ضد شريعة الله وقوانين البشر وكانت تحدياً وإنتهاكاً للأمم المتحدة ذاتها .

الشىء الذى لن نفهمه بعض الناس - وخصوصاً أصدقاؤنا الأجانب - هو عاطفة الشعب العربى إتجاه الأرض التى تمتد فيها جذوره حياته العميقة متشعبة ... هو ببساطة - استحالة الفصل بين الأرض - والإنسان الذى اتخذ من هذه الأرض وطنا له عبر آلاف السنين .

فمثلاً حدث منذ أيام حين سألنى أحد الأمريكيين : ولكن لماذا ؟ فرددت عليه بسؤال من نوع سؤالة « هل تقبلوا أن تنتزع منكم ولاية كاليفورنيا ؟ وتعجب عندما أجاب » نعم . إذا أصبح ذلك ضرورياً وعندئذ أوضحت له الفارق : « أن صلة الأمريكى بأرضة عمرها ٣٠٠ سنة فقط . أما هنا فى فلسطين فإن شعبنا عاش آلاف السنين فقد اقترن وجوده بأرضه الطيبة وارتبط بها بمشاعر التعلق بالمنبت فالفلسطينيين - وهذه هى الحقيقة المبسطة - لا يستطيعون الإستقرار خارج فلسطين وليس أمامنا - بديل آخر سر عودتهم إلى أرضهم السليمة .

سيعودون .. ولقد جاء وقت فى الماضى إستطاع فيه الإستعمار المستتر بالصليبية احتلال أرضنا فى فلسطين لمدة سبعين عاماً طوالاً ولكن العرب واصلوا القتال من أجل أرضهم إلى أن استعادوها فى النهاية وليس لدى شك من أن التاريخ سوف يعيد نفسه .

لقد كنا دائماً فى حرب مع إسرائيل .. وكانت إسرائيل دائماً المعتدية إن جميع الإعتداءات الماضية مثل حرب السويس ع التى شهدتها بنفسك ونقلت أخبارها - كانت من تدبير إسرائيل وطالما توجد إسرائيل فوق يتحتم علينا أن ننتظر الحرب فى أى وقت . والحقيقة أن الصهيونيين لا يكتفون باغتصاب فلسطين فحسب وإنما يعدون العدة أيضا لإقامة إمبراطورية من الأرض المنهوبة تمتد من النيل إلى الفرات ومن هذا المنطلق القائم على العدوان المستمر . قلت لك أننى أرى احتمال الحرب قائماً فإن العرب لا يملكون مواجهة العدوان عليهم بقبوله - أو السكوت عليه وإنما لابد من الدفاع عن أراضيهم وحياتهم .

وهذا هو السبب فى إننا نستعد الآن - بلك الوسائل التى تهيئها إمكانياتنا - لإتخاذ خطوة تحبط مشروعاتهم - وليس مصدر - قلقنا هو الحياة التى سرقوها والأرض التى يعتزمون إستعمارها عن طريق إستجلال مهاجرين غرباء عليها فإن هذه الأعمال - رغم شرعيتها ليست بالخطر الكبير لكن ما يهمنا هو ألا نسمح لهم بأن يفووا ويدعموه قبضتهم على الأرض التى اغتصبوها من العرب عن طريق سلب المياة العربية وسرقة الأرض العربية والإستمرار فى تمزيق الجرح الذى أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم .

سوف تجىء الحرب القادمة لمقاومة العدوان وردعه لما أتوقع أن يحدث فى أى وقت - وعلينا أن نعد للأسوأ . وفى الوقت ذاته فإننا نعد الآن لتنفيذ مشروع عربى مضاد بهدف إلى إحتجاز أو تحويل مياه روافد نهر الأردن للإستفادة ، بها قبل أن تصل إلى بحيرة طبرية ولكن ذلك لن يووفهم لأنه سيكون الهزيمة الثانية لأطماعهم فى استعمار صحراء النقب عن طريق إستخدام المياه العربية .

أما الهزيمة الأولى فكانت في عام ١٩٥٤م عندما أعدوا خطة تحويل مياهنا من المنطقة المنزوعة السلاح . ولكن المقاومة العربية التى – دعمها الضمير الدولى فى الأمم المتحدة أوقفتهم . لذلك فقد نقلوا مكان تنفيذ خطتهم إلى موضع جديد داخل ما يسمونه الأرض الإسرائيلية ، وهم يعدون الآن معدات التحويل فى الموقع الحالى شمال بحيرة طبرية ، ولكن المشروعات العربية المضادة ستفسد عليهم تدبيرهم مرة أخرى وأنا أتوقع هجوماً من جانبهم ضد الدول العربية .

الحدث المرتقب :

ويجب أن نعد أنفسنا لمثل الحدث المرتقب فأن إسرائيل – قبل كل شيء – تشكل خطراً كبيراً علينا فى كل وقت نظراً لأطماعها فى الإنتعاش على حسابنا وينكشف ذلك تماماً بنظرة إلى ميزانية تسليحها الضخمة التى زادت هذا العام بنسبة ٣٥٪ مما كانت عليه فى العام السابق ولقد زاد خطرها الآن إلى درجة جعلتنا نبادر إلى إستخدام المياه وروافد نهر الأردن ، وإحباط مشروعها الأسطورى ويتحتم علينا أن نكون مستعدون لانتقامها . وهذا هو السبب الذى جعلنى أقترح الدعوة لعقد مؤتمر للأقطاب العرب .

لقد كان هذا المؤتمر أول مؤتمر عربى فى نوعه وضخامته وسيكون الأول فى سلسلة من اجتماعات مماثلة ... فقد قررنا العودة إلى الاجتماع فى أغسطس من العام الحالى بمدينة الإسكندرية كما إتفقنا على أن نجتمع مرة كل سنة فى نطاق جامعة الدول العربية التى بعثت الآن فى شكل يكاد أن يشبه شكل اتحاد كونفدرالى غير مقيد وذلك عن طريق وقوف العرب فى جبهة واحدة لمواجهة الخطر المشترك . وكل ذلك لصالح القضية العربية .

تأتى بعد ذلك إلى المكاسب الملموسة التى حققها المؤتمر .. وأولها إننا قررنا تنفيذ خطة تحويل مضادة لاستخدام مياه منابع نهر الأردن – لصالح الدول العربية التى تقع هذه المياه داخل أراضيها . ونملك حق الإستفادة منها . وقد نظمت المشروعات وأعدت الأموال اللازمة لهذا الهدف وسيبدأ تنفيذ الخطة فى وقت قريب جداً .

وسيترتب على ذلك أن نواجه مشكلة إليه أكبر وهى رد الفعل الإسرائيلى – لأننا حالما نشرع فى إنجاز مشروعنا للتحويل المضاد ستتجه إسرائيل إلى إستخدام القوة .. وقد سبق أن هددت فعلا بشن هجوم علينا ونحن نعرف أن قيادتها العسكرية أعدت خطة لمهاجمة الدول العربية الواقعة على ضفاف نهر الأردن والتغلب عليها الواحدة بعد الأخرى عن طريق توجيه حملات ضخمة مركزة على أن كل دولة على التوالى . وكان علينا أن نواجه هذه الإستراتيجية وأن نقمعها قبل أن نخطوا أية خطوة أخرى .

ومن أجل هذا الهدف كان أوجب واجباتنا هى الوحدة وخصوصاً الوحدة العسكرية لجميع قوات الدفاع العربية واتفقنا على تنفيذ هذه الوحدة الدفاعية عن طريق إقامة قيادة عسكرية موحدة ومقر عام مركز يقوم بمهمة تنسيق العمل بين الجيوش العربية وإدارة للتوجيه وصندوق مشترك لتمويل نفقات الدفاع وكان هذا هو أخطر قرار للمؤتمر لأنه كان من الواجب علينا مواجهة العدو كلنا مجتمعين وقد خضنا معارك حرب فلسطين الأخيرة وتعلمنا من دروسها المريرة فقد هزمنا بسبب الفرقة وانعدام التنسيق وضعف التنظيم والتوجيه من جانب القيادة والفساد والتقصير .. لقد جاءتنا الهزيمة من الداخل بسبب عدم التنظيم ونحن لا نريد أن تكرر أخطاء عام ١٩٤٨م .

فإننا عندما نقرر ضم مصادرنا وتعبئتها فى جبهة واحدة نتوقع أن يتلو ذلك ضم سائر الإمكانيات الأخرى فنحن نحتاج إلى التعاون الإقتصادى بل وإلى التعبئة الإقتصادية . فإذا هاجمتنا إسرائيل ... تحتم على الدفاع العربى بالضرورة أن يقف على مستوى الحرب الشاملة التى قد تتضمن توقيع عقوبات لا على إسرائيل وحدها وإنما على الذين يساندونها فى العدوان وحلفائها .

نحن ندرك تماما قوة العرب الإقتصادية والإستراتيجية ولكنى أوثر لهذه القوة أن نبحث عن حساباتها الدقيقة ومن ثم فلا أريد أن أصدر أى تهديدات ما ، أما ما تسأل عنه بخصوص إعداد تقدير سليم لقوة العرب لهذا هو ما يقوم به خبراؤنا الآن بطريقة سديدة صائبة وأتوقع أن تسفر دراساتهم عن نتائج طيبة فى أغسطس القادم عندما يعود مؤتمر (٨٥) من خطاب الرئيس فى حفل تكريم خروشوف بتاريخ ٩ مايو ١٩٦٤م ..

إن شعبنا يدرك أن هناك قاعدة إستعمارية وسد أرضه فى إسرائيل فرض الإستعمار وجودها تمزيقاً لوحدة الأرض العربية وأنقضاضها عليها بالتهديد إذا أقتضى الأمر .

وأنه لمن سوء الحظ أن تقوم فى هذا العصر دولة عل العنصرية وأن يستخدم هدف تصحيح أخطاء النازية ضد اليهود بإقامة نازية صهيونية جديدة ضد الشعب الفلسطينى وعدواناً عليه . ويحاول الإستعمار بكل جهده أن يريد إمكانيات العدوان فى قاعدته بتمثل ذلك فى تسهيل الهجرة إليها وتمويلها وإغداق التبرعات عليها بغير حساب وتدعيم مشروعاتها التوسعية . كما نرى فى مشروع تحول نهر الأردن .

(٨٦) من خطاب الرئيس فى حفل القوات المسلحة لخروشوف بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٤م ..

جنبنا إسرائيل وهى قاعدة للإستعمار تأخذ مساعدات كل سنة ما يقرب من ٤٠٠ مليون دولار وبتأخذ أسلحة بأثمان رمزية علشان قناة السويس بدأ العدوان علينا بهجوم إسرائيلى

إخترق الحدود المصرية .

إذن إحنا يجب أن نحتفظ بجيش وطنى قوى ونحتفظ بجيش قادر على أن يتصدى للعدوان مش إسرائيل ولكن لمن هم وراء إسرائيل .

(٨٧) من خطاب الرئيس فى حفل القوات المسلحة بيوم الجلاء بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٦٤م ..

نسمع اليوم فى أمريكا وفى بريطانيا حرب الأعصاب . حملات موجهة ضدنا حينما زار رئيس وزراء إسرائيل أمريكا كانت هناك حملات ضد مصر ضد الجمهورية العربية المتحدة أن مصر تحصل على كميات كبيرة من السلاح ، أن مصر تحصل على صواريخ . إن مصر تعمل الطائرات . أن مصر تزيد فى قواتها المسلحة واستمرت هذه الحملات حتى أصبح من يقرؤها يعتقد أن إسرائيل ليست عندها قوات مسلحة ، ولا تحصى على سلاح . والحقيقة أن إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار فى هذه المنطقة العربية لتقسم البلاد العربية . إسرائيل تحصل على السلاح من أمريكا ومن فرنسا ومن بريطانيا . حصلت على الصواريخ من لمريكا حصلت على الدبابات . وحصلت على الطائرات من فرنسا . حصلت على الدبابات والغواصات من بريطانيا .

إن هذه الحملات التى توجه ضدنا فى أمريكا وفى بريطانيا وفى البلدان الغربية إنما الغرض منها أن تفت من عزيمتنا .

ولكنا نعلم .. نعلم بالتفصيل ما هو تسلح إسرائيل . ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نستجيب لما يقوله الحكام سواء فى أمريكا أو فى بريطانيا من أننا نكتفى بالقدر الذى حصلنا عليه لأننا لا يمكن أن ننسى درس سنة ١٩٤٨م وفى سنة ١٩٤٨م أعلن الغرب وأعلنت الأمم المتحدة – حظراً على التسلح لنا ولإسرائيل .

نفذ هذا الحظر علينا فقط ولكنه لم ينفذ على إسرائيل . وفى سنة ١٩٤٨م استطاعت أن تحصل على الأسلحة التى لم تكن متوفرة – عندها حينما بدأت حرب فلسطين . حصلت على الدبابات ولم تستطيع نحن أن نحصل على دبابة .

الأقطاب العرب إلى الأقطاب العرب إلى الإجتماع فى الإسكندرية .

ومن الضرورى فى الوقت ذاته التحقق من أنه إذا هددتنا حليفات إسرائيل بأى إجراء – كما فعلت بعضها أثناء حرب السويس – فإننا سنكون أيضاً قادرين على الرد الرادع .

إن من مصلحتنا أن نعرف مدى القوة العسكرية والقدرة الإقتصادية التى فى حوزتنا . وعندما يحل شهر أغسطس ستكون بين أيدينا تقديرات سليمة ودقيقة لكافة قدراتنا . إلا أن الأهم من ذلك كله هو الوحدة فكما قلت لك مراراً : أن كل شيء يتوقف على وحدة

العرب ولست أقصد الوحدة الدستورية فلقد تقوم المصاعب فى وجه تحقيقها الفورى ولكنى أقصد وحدة العمل التى قد تكون مقدمة إلى وحدة الهدف .

أقصد التضامن القومى العميق الواسع النطاق الذى يكفى لمواجهة العدو ومحاربته فى آن واحد .

ولقد كان أول واجب لنا إزاء هذا الهدف هو وقف خلافاتنا الداخلية وتصفية منازعاتنا وإستئناف علاقاتنا الودية . وكانت هذه المهمة بين ما تحقق من نتائج المؤتمر .

ونحن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ننسى دروس الماضى وعبرة . ولا يمكن أيضا بأى حال من الأحوال أن ننسى إن إسرائيل رأس جسر للإستعمار . فإذا أردنا أن نبنى وإذا أردنا أن نطمئن على سلامة هذا الوطن لابد لنا أن نواجه العدوان وليس عدوان إسرائيل ولكن إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .

(٨٨) من خطاب الرئيس فى الإحتفال بالعيد الثانى عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٤م ..

الحق العربى للشعب الفلسطينى إننى بإرادة التغيير العربية من إسرائيل . إسرائيل قاعدة الإستعمار التى إغتصب فلسطين وأخرجت شعب فلسطين .

اللى بيحصل النهاردة فى فلسطين هو نفس اللى بيحصل فى جنوب أفريقيا هو نفس اللى بيحصل فى مناطق من أفريقيا يريد المستوطنون أنهم يستولوا على كل شىء ثم بتخلصوا من المواطنين الأصليين الأفريقيين بالقتل . إسرائيل قاعدة للإستعمار أوجدها الإستعمار فى هذه المنطقة لتكون دائماً ركيزة ليه ، إسرائيل اللى بتعملة بالنسبة لشعب فلسطين هو التخلص من شعب فلسطين . استبدال الشعب الفلسطينى أو قتله بالشعب الإسرائيلى .

ولكن الفول إن أراده التغيير العربى . إرادة الثورة العربية أقوى من الإستعمار الذى خلق إسرائيل وأقوى من إسرائيل . ولابد أن يعود الحق العربى للشعب الفلسطينى لأنه أقوى من إرادة الإستعمار . وأقوى من إسرائيل .

ملاحظـــة :

واستمر عبد الناصر فى تصوراته ... واستمر فى مدركاته حتى عام ١٩٦٧م .. حين أعلن أن هذه الهزيمة قدر .

* وهل بعد كل هذه المدركات الرائعة ... تكون الهزيمة قدر ؟ نعم أمرنا الله أن نؤمن بالقدر ، ولكن فرق شاسع بين القدر كما أمرنا به المولى سبحانه وتعالى وهو قدر قائم

على عمل ووعى ، وبين قدر عبد الناصر الذى قام كله على كلام رائع ومدركات رائعة ولكن وللأسف بلا فعل عسكرى أو سياسى مباشر ومنتج . المؤلف) .

(٨٩) إن الشعب الفلسطينى خرج ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه .
(خطاب فى ١٩٦٨/٧/٢٣)

(٩٠) ظهرت المقاومة الفلسطينية واستطاعت المقاومة أن تحرك الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين ، إلى شعب من المقاتلين ، وإستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم .

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣)

(٩١) إن البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق ، ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، وأصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا أن ننكر دور جماهير الشعب الفلسطينى ، الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت الإحتلال يناضل نضالاً مستمراً .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣م)

(٩٢) ليس هناك معيار أو فى ، ولا أدق ، من الموقف الذى يتخذه أى فرد أو أى جماعة ، أو أى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، وتدعيم جهودها .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣م)

(٩٣) إن العدو سيحاول دائماً أن يفرق بين أبناء المقاومة الفلسطينية ، وبين أبناء الشعب الفلسطينى :

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣م)

(٩٤) نرى محاولات الإستعمار وأعوانه فى الوقيعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، والمصير الواحد ، وكنا نرى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الإستفزازى الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك إن إخواننا يرون من ذلك مثل ما نرى . وإن وعيهم بضرورات الموقف أشمل وأعمق . بحيث يعطى لنفسه القدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها .

(خطاب فى ١٩٧٠/٦/١١)

(٩٥) إن واجب الأمانة ، يقتضينا الآن أن نحدد موقفنا على النحو التالى .. ولقد كان ذلك موقفنا دائماً .

أولاً : المقاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات فى مقدمتها تعتبر من أهم الظواهر الصحية ، فى نضالنا العربى .. وهى التجسيد العملى للتحول الكبير الذى طرأ على الشعب الفلسطينى تحت ضغوط القهور وحوله من شعب لاجئين إلى شعب مقاتلين .

ثانيا : إننا لا نتغافل عن بعض الأخطاء التى يمكن أن تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، لكننا نعتقد أن الأمة العربية عليها من موقف المحبة .. وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح .

ثالثاً : كل القوى فى أمتنا العربية ، وكل الأطراف بل وكل الأفراد عليهم أن يدركوا إلى أعماق الأعماق ، أنه ليس أمامنا جميعاً بديل عن القتال من أجل الحق الذى نطلبه ومن أجل السلام الذى نسعى إليه .. ولا يمكن أن يكون الحق تفريطاً .. ولا يمكن أن يكون السلام إستسلاماً .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شىء غير الإقتتال .

القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الأرض .
والأقتتال رصاص طائش يعرض الأخ لسلاح أخيه
القتال شرف .. والإقتتال جريمة .

(خطاب فى ١١/٦/١٩٧٠م)

* ورغم هذه الرؤية الرابعة إلا أن النتيجة على أرض الواقع كانت صفراً .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لحل الصراع العربى الإسرائيلى :

يرى د. مجدى حماد فى دراسته (عبد الناصر وقضية السلام) تحليل للإدراك – مجلة الوحدة العدد ١٦ عام ١٩٨٦م .

إن محاولة تجميع وتركيز وتنقية المكونات الصلبة والأصلية لإدراك عبد الناصر لمنهج حل الصراع العربى – الإسرائيلى ، ينبغى وضعها فى الإطار الشامل لإدراكه لمختلف إبعاد الصراع ، وتمكن الإشارة فى هذا الصدد إلى عدة جوانب :

أولاً – إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع العربى – الإسرائيلى ، وإدراجه لذلك الصراع فى الإطار الأساسى للصراع العربى – الغربى وتحديده للأبعاد الحضارية والأيديولوجية كمحدد لطبيعة ذلك الصراع ، وبالتالى كمحدد لإدارة عملياته ولأمكانيات حله ، فبالنسبة لطبيعة الصراع ، كانت وجهة نظر عبد الناصر المحددة والثابتة تتلخص فى أن الأرضية

الأصلية وراء الصراع العربى الإسرائيلى هى فى الواقع ، وعلى وجه الدقة أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى ، وبين الإستعمار الراغب فى السيطرة ، وفى مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى كان سلاح الإستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربين عالميتين ، ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية ، لجأ الإستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن استغل فى ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة الصهيونية المدججة بالسلاح ، لكى يتم تكريس تمزيق الأمة وليتحقق تخويفها بإستمرار ، عن طريق إيجاد قاعدة فى قلبها لتهديدها ، فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية فى صراع محكوم فيه تاريخياً .

وهكذا يتحدد الطرف الأساسى . فى الصراع ، كما تحدد أدواته فى ممارسة الصراع ، وتتحدد بالتالى الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ، ولا شك أن كل ذلك يحكم منطق واجهته وهكذا تأتى إلى عملية إدارة الصراع .

ثانياً : إدراك عبد الناصر أن عملية إدارة الصراع تتطلب ناحيتين هامتين – محاولة تغيير معادلة القوة فى ذلك الصراع لصالح الطرف الذى يسعى إلى ذلك ، وهو ما يتوقف على سلوك الطرف الآخر ، ومن ناحية أخرى – محاولة الإستجابة الدائمة والسريعة للظروف المتغيرة فى البيئة أشمل البيئة الخارجية للصراع ، وعلى ذلك يمكن من هذه الناحية الإشارة إلى ثلاثة أبعاد :

(١) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة إسرائيل وعناصر ضعفها ، سواء فى ذلك قوتها العسكرية أو بنيتها الإقتصادية والإجتماعية ونظامها السياسى ، فضلاً عن إرتباطها الوثيق بالإستعمار العالمى ، وهو إدراك بتميز فى جوهره بالتعبير عن أن محصلة ميزان القوى فى المنطقة تميل لصالح إسرائيل مقارنة بالدول العربية مجتمعة .

(٢) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة الطرف العربى وعناصر ضعفه سواء فى ذلك الخصائص الموضوعية للواقع العربى : التخلف والتبعية التجزئة ، أو للآثار التى ترتبت على إعلان بعض الدول العربية وفى مقدمتها مصر ، دخولها مرحلة الثورية الإجتماعية ، وإنعكاس تلك الأثار على الواقع العربى إلى درجة بلغت فى بعض الأحيان إن عداء بعض الدول العربية لمصر كان يفوق عداءها لإسرائيل ويضاف إلى ذلك إدراك عبد الناصر لمنهج العرب فى تناول قضاياهم الكبرى وفى مقدمتها القضية الفلسطينية .

(٣) إدراك عبد الناصر لخصائص البيئة الدولية وبصفة خاصة أثار ظاهرة الإستقطاب الدولى والحرب الباردة المترتبة عليها – من ناحية ، وإتجاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى وضع

مسألة أمن إسرائيل ضمن التزاماتها الرسمية الأساسية - من ناحية ثانية ، فضلا عن اعتراف الإتحاد السوفياتى وجميع القوى الكبرى فى العالم . بجانب عدد كبير من الدول على مختلف دراجاتها .. واتجاهاتها - بحق إسرائيل فى الوجود .

ثالثها : إدراك عبد الناصر لخبرات الحرب فى سياق الصراع العربى - الإسرائيلى سواء حرب ١٩٤٨م أو حرب ١٩٥٦م أو حرب ١٩٦٧م ويعتبر آخر إدراكه لخبرات محاولة حل الصراع بالقوة المسلحة . فعلى الرغم من أن المبادرة والمبادأة فى هذه الحروب الثلاث جاءت من الطرف الإسرائيلى ، إلا أنها كانت فرصة حقيقية لاختبار وتقدير العناصر الثلاثة لإدارة الصراع . قوة الطرف الإسرائيلى ، قوة العرب ، البيئة الدولية .

رابعها : المحددات الشخصية لعبد الناصر وخاصة إدراكه العميق المبنى على التجربة المباشر ، لخطورة « قرار الحرب » ويدخل فى تكوين ذلك بطبيعة الحال الجوانب الثلاثة السابقة ، طبيعة الصراع إدارة الصراع ، خبرات الصراع ، ولا يعنى ذلك بأى معنى من المعانى أن أعمال عبد الناصر تكشف عن ميل أو إتجاه للإستسلام للأمر الواقع ، وإنما هى ، على العكس من ذلك ، تؤكد الإتجاه إلى رفض الأمر الواقع ومحاولة لتغييره ولكن على أن يتم ذلك بالوسائل السلمية ما دامت هناك إمكانية لنجاحها . وعلى أن يأتى إستخدام القوة بعد إستنفاذ جميع الوسائل السلمية ، وعلى أن يكن ذلك لغاية محددة .

ب - حدود التسوية الممكنة فى مدركات عبد الناصر :

إن إدراك عبد الناصر يتميز بالإتجاه إلى رفض إستخدام القوة الأسلحة فى الإطار الراهن ، لأزالة إسرائيل - من ناحية ، وبالإتجاه إلى رفض منطق السلام الإسرائيلى ، من ناحية ثانية ، وإن نقطة التوازن بين هذين الحدين هى المقياس الذى يستند إليه فى تقدير قوة الردع العربية من ناحية ثالثة . ومن هنا التساؤل : ما هى إذن الوظيفة السياسية لقوة الردع العربية فى إطار هذا الإدراك ؟ فى واقع الأمر تكشف الأعمال الكاملة لعبد الناصر عن تحديث هذه الوظيفة فى تحقيق تسوية الصراع العربى - الإسرائيلى تهدف إلى معالجة الجوانب المادية لذلك الصراع ممثلة فى حقوق الشعب الفلسطينى ثم فى الأراضى العربية المحتلة بعد حرب عام ١٩٦٧م ، فى محاولة لتجميعد الخطر الاسسرائيلى فى حدود قرار التقسيم الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧م وبإعتبار أن مواجهة الوجود الإسرائيلى ذاته هى عملية الأجل الطويل .

وطبيعة الحال قد يبدو قول هذا الإفتراض عسيراً ، إذا وضع فى مقابلة غزارة الأدب الناصرى بمفاهيم رفض التسوية ، رفض الصلح ، رفض المفاوضات الشائعة فى هذا الأدب

بخصوص ، التعامل مع العدو الإسرائيلى . وفى واقع الأمر ، يعتبر تأصيل هذه الفرضية محاولة جد دقيقة ، مثلها فى ذلك مثل فرضية ، عدم إستخدام القوة المسلحة لإزالة إسرائيل ، غير أن محاولة التأصيل هنا تبدو أكثر يسراً بإستخدام المنهاج السابق الإعتماد إليه بخصوص هذه الفرضية الأخيرة وبصفة خاصة التميز بين مفهوم « الفعل » ومفهوم « رد الفعل » .

وهكذا يحتاج الأمر إلى التدقيق فيما يستتر خلف مفاهيم الرفض الشائعة فى أعمال عبد الناصر لتحديد إتجاهاته الحقيقية وراءها . وفى حقيقة الأمر لا يعبر رفض التسوية أو الصلح أو المفاوضة أو الاعتراف ، فى إدراكه ، عن رفض لهذه المناهج من حيث المبدأ ، إن لم يكن الرفض بخصوصها صادراً عن مفهومن « رد الفعل » بقد ما كان الرفض لها فى حقيقته أما إحالة إلى سلوك إسرائيل أو تصريحات قادتها أو تحليل بنيتها الإجتماعية ككيان إستيطانى – من ناحية أو تعبير عن عدم إمكانية الثقة فى الطرف الإسرائيلى ، من ناحية أخرى ، بل أن الرفض فى هذه الحالة كان فى جوهرة تعبيراً عن رفض إسرائيل أكثر منه تعبيراً عن رفض مصرى أو على لهذه المفاهيم .

وفى الواقع يمكن تركيز الأسس الصلبة لإدراك عبد الناصر لمنهج التسوية على النحو التالى : كان بد الناصر منذ البداية ، وحتى النهاية ، يقبل بنهاج التسوية السلمية للمشكلات المادية الناجمة عن قيام إسرائيل ، وكانت إشارته المتكررة فى هذه الناحية ، أن قبول إسرائيل وتنفيذها لقرارات الأمم المتحدة (خاصة قرارات نوفمبر ١٩٤٧م وقرار نوفمبر ١٩٦٧م) كفيل بتغيير البيئة النفسية للصراع ، بحيث يكون هناك مبرر للثقة بها وبالتالى للصلح معها .

وكبداية عملية لذلك ، يمكن القول أن عبد الناصر بدأ يقبل منذ البداية ، وحتى النهاية أيضاً ، بمنطق « وجهى العملة » حيث لم تعد هناك مشكلة واحدة وإنما أصبح هناك مشكلتان وبالتالى يمكن تمثل الحل – ليس فى تجزئة الحق – وإنما فى تجزئة الأرض فعندما سئل : هل أنتم على استعداد للإعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة ؟ كانت إجابته :

إن المسألة فى رأيى ليست مسألة الإعتراف أو عدم الإعتراف بإسرائيل ، إن المشكلة ، كما أراها ، ليست إسرائيل ، وإنما فلسطين إن الذى نهدف إليه هو أن نعيد إلى أهل فلسطين حقوقهم وبيوتهم وأراضيهم

وعندما سئل : ما أريكم فيما يتردد فى بعض الدوائر من أن هناك مساعى تبذل لعقد صلح دائما مع إسرائيل ؟ أجاب :

أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ؛ وهو ما عبر عند عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات : « إن أفضل ضمان فى الواقع لحرية الملاحة لا يمكن أن يكون عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات » .

وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، الوصول إلى نهاية مرحلة « الصراع المسلح » فى مواجهة العدو الإسرائيلى ، حيث تستنفذ القوة المسلحة حدودها وإمكانياتها الممكنة والمتمثلة ، كما تقدم فى مواجهة الآثار الناجمة عن قيام إسرائيل ، الأرض والشعب دون أن تمتد إلى مواجهة وجود إسرائيل فى ذاته ، وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، فى نفس الوقت فتح الباب واسعاً لمرحلة الصراع غير المسلح ، حيث تجرى محاولة تغيير البنية العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً ، وحيث يصبح فى مقدور حركة الثورة العربية أن تواجه أعداء الأمة العربية تقدمها : الإستعمار ، إسرائيل ، الرجعية العربية وهذا هو المعنى الحضارى والأيديولوجى للمواجهة ، كما رآها د . مجدى حمادة ولكن يبدو أن عبد الناصر لم يستطع هذا ، أو ذالك لأجل حل المسألة العسكرية أو سلمياً أو حضارياً ، وكانت نهايته الفعلية فى هزيمة ١٩٦٧م .

« لقد سمعنا بأن هناك مساعى ، ولكن لم يفاتحنا أحد فى ذلك ، وموقف مصر فى هذا الشأن لم يتغير ، فنحن لن نعقد صلحاً مغ إسرائيل إلا بعد أن تقوم إسرائيل باحترام قرارات هيئة الأمم المتحدة وتنفيذها ، وبعد أن تحترم شروط الهدنة التى تنقضها كل يوم .

ومعنى ذلك فى غاية الوضوح ، إن الحاجة إلى إستخدام القوة المسلحة تنتهى فى إستجابة إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بخصوص الأرض والشعب ، وهذا تحديد من جديد لما سبق تسميته بحدود استخدام القوة ومعنى الحرب فى إدراك عبد الناصر بل إن حالة السلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تقتضى أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ، وهو ما عبر عنه عبد الناصر بل أن حالة السلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تتقضى

الفصل الثالث عشر

الإنكسار المر

١٩٦٧

الموت الحقيقي لعبد الناصر



الإنكسار المر : ١٩٦٧
الموت الحقيقى لعبد الناصر

* كانت هزيمة (٥ يونيو ١٩٦٧م) هى النهاية الفعلية لأسطورة جمال عبد الناصر السياسية ، ولأنها كذلك ، فلقد كثرت من حولها الروايات ، وحيكت من حولها المؤامرات والتفسيرات وأفتى كل صاحب رأى برأيه ، وأحاطه بهالة من القداسة ، دون أن يستطيع مداراة توظيفه السياسى لهذا الرأى ، فالكل - تقريباً - انطلق من مصالحها بعينها ، ومن قناعات مسبقة ، ولم تخضع كل هذه الآراء والروايات للتحيل الهادىء الرصين لأظهار الحقيقة ، ولعل رواية محمد حسنين هيكل فى .. (حرب الثلاثين عاماً : الإنفجار ١٩٦٧م) هى الأقرب لتلك (الحقيقة الغائبة) ، وذلك لأن هيكل استند فيما رواه على وثائق دولية دامغة .

* ولعل (الحقيقة الغائبة) التى نبحث عنها بشأن هزيمة ١٩٦٧م تتحدد فى جملة واحدة وهى أن (١٩٦٧م) كانت محصلة أخطاء التجربة الناصرية برمتها من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى ٤ يونيو ١٩٦٧م ، إن المثل يقول (الأعمال بخواتيمها) ، و ١٩٦٧م كانت هى (خواتيم) التجربة الناصرية (مهما حسنت فيها الرؤية والقول) ، ومع بداية هذه الموسوعة ، يدفعنا إلى استعراض أمين وشامل لكافة الرؤى بشأن (خواتيم) التجربة الناصرية ١٩٦٧م والتى مثلت بحق الموت الحقيقى لعبد الناصر ، وليس موت ١٩٧٠م ، وفى سبيل لإستعراض نقدى لهزيمة ١٩٦٧م نعالج المحاور التالية :

أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل يوم ١٩٦٧/٦/٥م .

ثانياً : واقعة الحرب / الهزيمة : التفاصيل العامة .

ثالثاً : رؤية عميل أمريكى للهزيمة .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها .

خامسا : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - اللواء طيار / عبد الحميد الدغيدى) .

سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧م .

سابعاً : التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :



الكل تراجع .. الكل تخلى ... وسقط عبد الناصر

أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل ١٩٦٧/٦/٥م :

كانت الظروف المحيطة بالحدث ، والسابقة له ، تؤكد أن نظام عبد الناصر بات مطلوباً تهذيبه ، وبات خارجاً عن ملعبه ، ولابد من إعادته إلى هذا الملعب ، لكى يناور ويتبادل الركلات داخل الملعب ، وليس خارجه من هنا إتفقت الإرادات الدولية (على إختلافها) على أهمية الإيقاع بعبد الناصر والإتيان به صاغراً إلى محراب قداستهم ، وفى سبيلهم لذلك ، أعدوا المسرح ، وهيئوا المكان لإستقبال (واقعة ١٩٦٧م) .

ترى كيف كانت تفاصيل (الحفل الدولى) الذى أعد المسرح له عالمياً وعربياً ومصرياً لإستقبال يوم ١٩٦٧/٦/٥ أنها تنحصر فى الآتى :

(١) هبوط حدة الحرب الباردة وتغلغل العملاقين فى الشرق الأوسط كمنطقة تنافس من خلال تحسن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية والتى تميزت بسلسلة من الإتفاقات وصفقات الأسلحة فى ١٩٦٢م و١٩٦٤م و١٩٦٦م وقد أكد كيندى منذ ١٩٦٢م بأن الولايات المتحدة وإسرائيل حليفتان فعلاً وعزز جونسون هذه العلاقة الخاصة بتشكيل جهاز خاص للمشاورات المشتركة على مختلف المستويات ين الدولتين .

وفى مقابل ذلك كان الفتور يسود العلاقات المصرية - السوفيتية بسبب الموقف السلبى للإتحاد السوفيتى من الوحده مع سوريا وبسبب عدم موافقة مصر على طلب سوفيتى بإقامة قاعدة إستطلاع جوى عام ١٩٦٦م وأخيراً الضغط السوفيتى لدفع مصر لعقد إتفاقية دفاع مشترك مع سوريا وتأييد السوفيت لنبأ إن إسرائيل تنوى فعلاً مهاجمة سوريا وأن هناك حشود عسكرية على الحدود السورية ثبت أنها وهمية بعد ذلك[١] .

(٢) تزايد الخلافات بين الدول العربية والإتهامات المتبادلة كان له أثره فى عدم فعالية المواقف العربية وإستنزاف قدرة مصر فى الصراعات الناتجة عنها مثل حرب اليمن بحيث أصبحت غير قادرة على ممارسة الصراع على نحو سليم مع إسرائيل كما ترتب على عدم وضوح الهدف من التحرك العربى فى مواجهة إسرائيل - عقد إتفاقية دفاع مشترك مصرى أردنى فى ٣١ مايو وانضمام العراق إليها يوم ٤ يونيو - أدى إلى انعدام وجود إستراتيجية عربية مخططة لمواجهة إسرائيل[٢] .

---

(١) محمد حسنين هيكل : نحن وأمريكا . القاهرة . دار العصر الحديث ، ١٩٦٧م ، ص ٦٧ - ٦٩

(٢) لواء محمد خليل : الأمن القومى العربى - مصدر سابق . ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٣) توتر الحدود الأردنية الإسرائيلية السورية – الإسرائيلية منذ بداية عام ١٩٦٧م وتدعيم نظام سوريا للمقاومة الفلسطينية وتبنى مفهوم الحرب الشعبية لتحرير فلسطين بما أدى إلى تهديد إسرائيل بضرب سوريا وبالتالى قيام عبد الناصر بحشد القوات المصرية فى سيناء لردع إسرائيل من الهجوم على سوريا حيث سبق لمصر أن قامت بتحريك مشابه عام ١٩٦٠م عندما حشدت إسرائيل قواتها على حدود سوريا فقامت مصر فى ١٨ يناير بدفع ثلاث فرق إلى سيناء كتحرك ردعى ولهذا أسرعت إسرائيل بسحب قواتها فوراً إلى الجنوب .

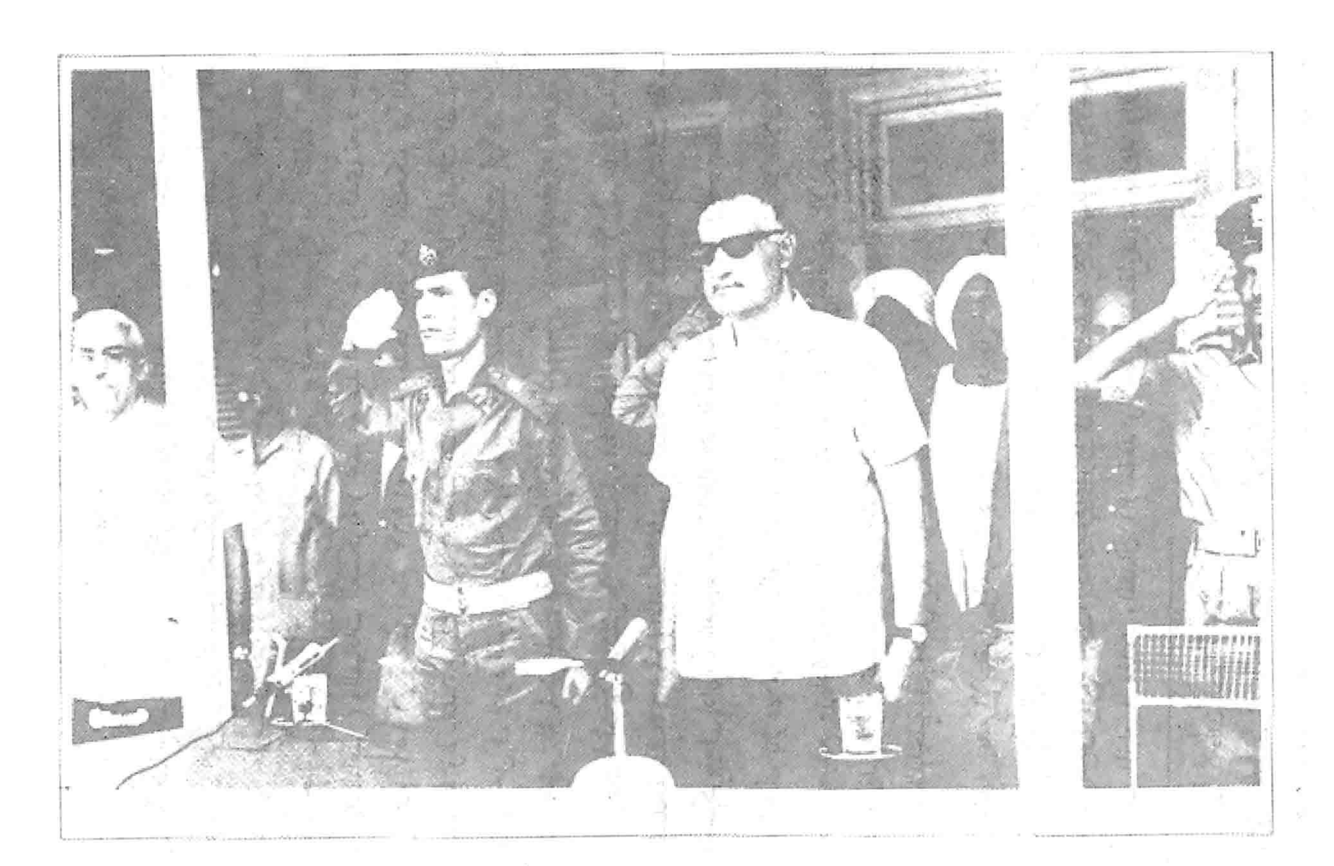
أما عن الأوضاع المصرية داخل المنطقة العربية ، فيمكن القول بأن مصر فى الفترة السابقة للأزمة بدأت فى التراجع أن تكون فى بؤرة السياسة العربية حيث أصيبت إمكانات مصر وقدراتها السياسية بضربة كبيرة نتيجة انهيار الوحدة المصرية – السورية ١٩٦١م بما يعنى بداية تقليص دورها ونفوذها فى العالم العربى وبداية العجز عن تحقيق أمن مصر فى مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة .

ولهذا الإدراك سارعت القيادة المصرية للتدخل بشكل مكثف فور أن أتيحت لها الفرصة فى اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢م .

(٤) إن الإنفصال المصرى – السورى قد أدى إلى فقدان القيادة المصرية لتوازنها بما قادها لمناصرة ثورة اليمن ١٩٦٢م وبالتالى مواجهة السعودية كما أن تأكيد مصر على الثورة الإجتماعية فى أطروحاتها القومية ووضع شرط الإشتراكية كشرط أولى لتحقيق الوحدة قد أدى إلى إنقسام الأمة العربية بين معسكر رجعى ومعسكر ثورى تقدمى وحتى بعد وصول قيادة قومية للحكم فى سوريا فإن مصر لم تقبل التلاقى معها إلا بعد تدخل الإتحاد السوفيتى عام ١٩٦٦م حيث زاد الضغط السوفيتى على القيادة المصرية لكى تلتزم بالدفاع عن النظام السورى واضطرت مصر لعقد إتفاقات دفاع مشترك مع سوريا .

وقد صدق تقدير القيادة المصرية للإدراك السورى حيث عملت سوريا على تصعيد الموقف مع إسرائيل ودخلت معها فى مواجهات متعددة فى وقت لا تملك فيه القيادة المصرية سوى التردد وعدم تأييد ذلك التصعيد السورى العسكرى بسبب تورطها فى اليمن ومشاكل التنمية الإقتصادية داخلياً .

(٥) إن الأسابيع الأخيرة التى سبقت الحرب كانت شاهداً على أن هناك قيادات عربية دفعت القيادة المصرية دفعاً نحو مواجهة لا أمل فى الفوز فيها وسدت أمامها فرص التراجع



بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ بأيام

وتمت هزيمتها ، حيث وصلت الخلافات العربية إلى درجة أن أكثر النظم العربية قد أغفلت خطورة محاولاتها لحصار مصر وأثر ذلك على سلامة كل منها وأخطأوا فى تقدير أهمية مصر فى المنطقة العربية .

(٦) إن الأوضاع الداخلية لمصر لم تكن تشجع على مواجهة إسرائيل حيث تسبب إنهماك مصر فى اليمن إلى إنهاك القوة العسكرية المصرية مادياً وبشرياً حيث كانت أفضل الفرق المصرية تحارب فى اليمن (الفرقة الرابعة) وحوالى ٥٠ ألف جندى من مجموع ١٩٠ ألف جندى مصرى كانوا فى اليمن ، كما ظهر بوضوح الصراع بين القادة السياسية (عبد الناصر) والقيادات العسكرية (مجموعة عبد الحكيم عامر) والذى تعود جذوره إلى عام ١٩٥٧م وتعمق عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم فى القوات المسلحة ولم يعد من حق أحد - حتى عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة - أن يتدخل فى إدارة القوات المسلحة إلا من خلال عامر فقط والسبب أن عبد الناصر كان يخشى لو تمت المواجهة الشاملة أن يتم تحرك عسكرى مضاد يقوده عامر .[١]

وهكذا أصبح الرئيس - حسب رواية أحمد حمروش - لا يتدخل فى القوات المسلحة منذ ١٩٦٢م وتعاظمت طموح القادة العسكريين السياسية وتدخلت المؤسسة العسكرية فى إدارة ، العديد من القطاعات الإنتاجية والإدارية والسياسية .

كما أنه بالرغم من أن الهيكل الإقتصادى المصرى كان يتطور بتأثير الإنطلاق السريع نحو التصنيع وزيادة التوسع فى القطاعات الصناعية والإتجاه نحو الإشتراكية والتأميم إلا أنه قد عاد إلى تضخم نقدى ومشكلات إجتماعية وإقتصادية أثرت على مدى تماسك الجبهة الداخلية فى مصل .

(٧) فى مقابل عدم الإستقرار والتماسك داخل مصر وداخل الجبهة العربية ، يبرز لنا الموقف السياسى الإسرائيلى فى صور متماسكة لم تشهدها من قبل حيث كان لإئتلاف حزب العمل المكون من ماباى وأحدوث هاعفورا (٤٥) أغلبية ٧٥ مقعدا ويتحالف معه أحزاب المابام ٨ مقاعد والمفدال ١١ مقعد والأحرار المستقلون ٥ مقاعد والأحزاب

---

(١) راجع بصدد ذلك الصراع كلاً من :

- أمين هويدى . حروب عبد الناصر . بيروت . دار الطليعة ١٩٧٧م .
- أحمد حمروش . قصة ثورة ٢٣ يوليو - مجتمع جمال عبد الناصر . بيروت المؤسسة العربية [illegible] والنشر ١٩٧٨ . الفصل الثامن .
- د . محمود حمدى . مصدر سابق .

المؤيدة للتحالف مع العرب ٤ مقاعد .

وكان الحزب القومى الدينى (مفدال) يمثل مركزاً هاماً فى عملية توازن القوى فى داخل الإئتلاف وقد ضغطوا فى آخر مايو لتكوين حكومة وحدة وطنية تضم حاجال ٢٦ مقعد وراف ١١ مقعد وضم دينا وزيراً للدفاع .

كما تم التغلب على التفوق الكمى العربى بنظام دقيق للإنذار المبكر وخطوط داخلية للمواصلات وقدرة عالية على التعبئة والتدريب وارتفاع درجة الروح المعنوية لدى القيادة والجنود كما تم توثيق العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية بشكل أفضل من ذى قبل .

أما عن لماذا صعد عبد الناصر هجومه السياسى على إسرائيل رغم علمه بهذه الظروف فيمكن إجماله فى الآتى :

أ - تصاعد نبرة الإنتماء العربى لمصر بحيث أصبح الإلتزام المصرى بحركة الوحدة العربية من أهم الملامح السياسية الخارجية لمصر . وبالتالى سعى مصر لإستعادة مكانتها القيادية فى المنطقة والتى تعرضت للإهتزاز عقب الإنفصال السورى وحرب اليمن .

ب - إن مصر كانت تتفوق - أو على أقل تقدير تتعادل - إزاء إسرائيل فى التوازن الإستراتيجى الكمى ، ولهذا فإن التحرك الردعى لن يؤكد أى مخاطر حقيقية .

جـ الخبرة التاريخية حيث تم تكرار تلك التجربة من الحشد فى ١٨ يناير ١٩٦٠م لوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية وقد حققت أهدافها حيث سارعت إسرائيل لتعزيز الجبهة الجنوبية مما أغرى القيادة المصرية بتكرارها فى مايو ١٩٦٧م .

د - إن ناصر قد افترض أن ترفض الأمم المتحدة أى ، سحب لقوات الطوارىء وبالتالى يتم تحقيق الهدف الردعى دون أن يخلق ذريعة للحرب وهو احتلال شرم الشيخ وإغلاق مضايق تيران ، ولكن عندما قرر يوثانت سحبها بما أجبر مصر على إرسال قوات مصرية لشرم الشيخ وفرض الحصار[١] .

لكن عندما خرج الموقف عن إمكانية تصرف ناصر فقد كان لديه تصور كامل بإحتمالية قيام الحرب . حيث قرر عبد الناصر فى إجتماع اللجنة التنفيذية العليا أن

---

(١) راجع . محمد السيد سليم . التحليل السياسى الناصرى . دراسة العقائد والسياسة الخارجية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ١٩٨٣ ص ٣١٢ .

حشودنا فى سيناء يجعل الحرب محتملة بنسبة ٥٠٪ ، أما إذا أقفلنا المضايق فالحرب مؤكدة مائة فى المائة[١] .

كما أنه أكد فى اجتماع ٢ يونيو على عدة أسس هامة :

أن إسرائيل ليس أمامها إلا أن تسلم بالأمر الواقع أو تشن حرباً علينا وعلى الدول العربية المتاخمة .

كما أشار إلى أنه لا يستبعد الإحتمال الأخير ، بل يتوقعه مائة فى المائة ولا سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين موشى ديان وزيراً للدفاع وكذلك بعد الإتفاق الذى تم مع العراق على إرسال قواتها للأردن .

وأن استراتيجيتنا - وقد تحولت إلى استراتيجية دفاعية بحته - تلزمنا أن نكون فى حالة يقظة تامة وأن إسرائيل لو قامت بعمليات هجومية واسعة فلن يتأخر ذلك عن ٤ - ٥ يونيو .

حيث لابد لإسرائيل من أن تقوم بهجومها قبل وصول قوة الجيش العراقى للأردن وقبل أن تتخذ مواقعها فى الجبهة .

وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد دفاعناوقواتنا الجوية حتى يتم شلها وإخراجها من المعركة وطلب من العسكريين الإستعداد لتلقى هذه الضربة وتقليل خسائرها إلى الحد الأدنى حتى يمكننا توجيه ضربة رادعة ضد القوة الجوية للعدو[٢]

كما أن عبد الناصر وقد لاحظ تجمع قوات العدو أمام مثلث رفح - العريش - أبو عجيلة بثلاث مجموعات عمليات فأوصى بتقوية الدفاع فى اتجاه رفح وغزة .

ورغم ذلك ، ورغم هذا الفهم إلا أن الضربة كانت قاسية ومؤلمة وفادحة فى آن واحد .

ثانياً : واقعة الحرب :

كانت الهزيمة بمثابة التدشين الفعلى لنهاية التجربة الناصرية ، ولقد أحسن محمد حسنين هيكل عندما لخص هذه الحرب فى كتابه (الإنفجار ١٩٦٧م) بقوله :

---

(١) د. مصطفى علوى . سلوك مصر الدولى . رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى كلية الاقتصاد . جامعة القاهرة عام ١٩٨١م . ص ١٠٥

(٢) لواء محمود خليل - مصدر سابق .

(ما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م ، كانت معركة الستينات ضمن الصراع الهائل فى الشرق الأوسط وعليه - قد بدأت وانتهت بهزيمة مؤلمة لمصر وللأمة العربية كلها) .

والحقيقة أن الذى يتابع مجرى الصراع فى الشرق الأوسط وعليه منذ بدأت إسرائيل تقوم بدور رئيسى فيه ، وبهدف استنزاف طاقة مصر والأمة العربية وتطويع إرادتهما ، لا يستطيع إلا أن يلاحظ أنها كانت معركة متجددة تفرض نفسها على إمتداد الحُقب الأربع التى تلتها نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان الصراع فى الشرق الأوسط وعليه قد أصبح أظهر معالم الحرب الباردة التى احتدمت مواقعها بين القوتين الأعظم اللتين إستطاع تحالفهما أن يحقق النصر ضد ألمانيا النازية ، ثم أصبح خلافهما بعد النصر - مع إستحالة الحرب بينهما فى عصر القوة النووية إطاراً لفترة من أخطر فترات التاريخ الإنسانى وأحفلها بالتوتر والقلق ، ثم التنفيس عن هذا التوتر والقلق بما اصطلح على تسميته بالحروب المحدودة على ساحة عريضة تمتد من شاطىء شرق آسيا على المحيط الهادى إلى شواطىء غرب أفريقيا على المحيط الأطلسى .

وفى الحروب المحدودة فى الشرق الأسيوى فإن المعارك توزعت على ساعات متفرقة من كوريا إلى فيتنام إلى الحدود الهندية الصينية ، ثم إلى الحدود الهندية الباكستانية . وأما فى الشرق الأوسط - وبسبب الدور الخاص لإسرائيل فإن المعارك تركزت كلها فى نفس المواقع واحدة بعد واحدة . حقبة بعد حقبة فوفقا لما يقول هيكل :

* فى الأربعينات كانت معركة فلسطين ١٩٤٨م وبها قامت إسرائيل تنفيذا لأساطير تاريخية ومطامع دولية .

* وفى الخمسينات كانت معركة السويس ١٩٥٦م وقد انتهت بإندحار العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا - مع إسرائيل وكان إندحار هذا العدوان راجعاً بالدرجة الأولى لتصادمه مع الموازين العالمية والإقليمية والوطنية فى تلك اللحظة من التاريخ .

* وفى التسينات كانت معركة سيناء الأولى سنة ١٩٦٧م - وقد توقفت والجيش الإسرائيلى واقف على خط المياه عند قناة السويس بعد مشاهد دامية وملتهبة بالنار ، جاءت نتيجة مطلوبة لسنوات متعاقبة من الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أثناء حكم الرئيس « ليندون جونسون » (١٩٦٣ - ١٩٦٨م) . وكان وصول الجيش الإسرائيلى إلى خط المياه نتيجة مطلوبة وإن لم يكن

نتيجة نهائية لأن المعارك ما لبثت إن إستؤنفت بما عرف بعد ذلك بمعارك الإستنزاف من سنة ١٩٦٧م إلى سنة ١٩٧٠م .

* وفي السبعينات كانت معركة سيناء الثانية سنة ١٩٧٣ – وقد استطاع الجيش المصرى فيها أن يعبر بقوته إلى الضفة الشرقية من قناة السويس فى جهد بطولى عظيم .

* وفى الثمانينات كانت معركة لبنان الذى كان قد أصبح وحده جبهة وحيدة مفتوحة على إسرائيل التى ظنت أنه فى مقدورها – بالتعاون مع بعض العناصر فى التركيبة الداخلية اللبنانية المعقدة – أن تحكم إغلاقها . ثما إضطرت إلى انسحاب جزئى منها بعد أن أدركت أنها ليست نوع المعارك التى أعد من أجلها الجيش الإسرائيلى .

* وعند مشارف التسعينات ومع بداياتها كانت هناك معركة الإنتفاضة الفلسطينية ، وهى ما زالت دائرة فى الأرض المحتلة حتى هذه اللحظة .[١] .

ويرى هيكل أن معركة الستينات ١٩٦٧م – تبقى أخطر معارك الحرب فى الشرق الأوسط وعليه – كما أنها أكثرها إثارة وأشدها ضراوة وأبعدها تأثيراً وأحفلها بالمفاجآت . وبالتأكيد فلقد كانت المفاجأة الكبرى والحاسمة فيها هى قصر المدة التى استغرقتها المعركة ، والتى لم تزد فى الواقع عن ثلاث ساعات ونصف الساعة . من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م .

وبالنسبة لواقعة الحرب فلقد كانت هذه المدة القصيرة (ثلاث ساعات ونصف) هى لحظة الزمن التى استغرقتها الضربة الجوية الإسرائيلية والتى جاءت ضربة قاضية ، ففى الساعة الثامنة بالضبط من صباح ٥ يونيو قامت موجة أولى من الطائرات الإسرائيلية عددها ١٧٤ طائرة بمجموعة من الغارات المتزامنة على كل قواعد العمق المصرى فى وادى النيل ابتداء من قاعدة «أبو صوير» على الضفة الغربية لقنال السويس ، وحتى مطار « الأقصر » فى جنوب الوادى . ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت بالدرجة الأولى على المطارات المتقدمة فى سيناء . ثم جاءت موجة ثالثة من ١٥٧ طائرة تكتسح ما بقى من حطام على المطارات والقواعد المصرية .

أى أنه بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات – كان مصير معركة سنة ١٩٦٧م قد تقرر فعلاً ، وأصبح ماثلا ذلك كله – حتى توقف القتال رسمياً يوم ٩ يونيو – مجرد تفاصيل لا تغير من الصورة النهائية للمعركة شيئاً ، ولا تنقص فيها أو تزيد . ذلك أن ضربة

---

(١) هيكل : الانفجار ١٩٦٧م – ص ٧٠٩ .

الطيران الإسرائيلي أدت مباشرة إلى نتيجتين :

الأولى : أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها ، وهذا هو الهدف الأول لفكرة الحرب الخاطفة منذ دعا إليها أساتذة الإستراتيجية الإنجليز ، وفي مقدمتهم « ليدل هارت » – إلى أن طبقها الجنرالات الألمان من أمثال « جودريان » و« مانشتاين » و«روميل» في الحرب العالمية الثانية ، وخصوصاً في مراحلها الأولى حينما سقطت هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج في ظرف ساعات ، وسقطت بولندا في ظرف أيام ، واستسلمت فرنسا في ظرف أسبوعين وأصبح حصنها الدفاعي الشهير خط « ماجينو » طللا من أطلال الماضي قبل أن تتاح له فرصة الحياة ولو يوماً واحداً !

والواقع أن الخمائر الأولى لفكرة الحرب الخاطفة بدأت من حروب الثورة الفرنسية على لسان « دانتون » حينما لخص إستراتيجية فرنسا بقوله : السرعة ، ومزيد من السرعة ، والسرعة دائما ، الجرأة ، ومزيد من الجرأة ، والجرأة دائما ،وكان ذلك ما طبقه « نابليون » بالمدفعية والخيالة قبل أن يطبقه الجنرالات الألمان بقوة الإقتحام الهائلة التي يمثلها تعاون الطيران مع المدرعات .

ولم يكن الهدف من السرعة والجرأة احتلال المواقع فحسب – وإنما شل تفكير القيادة على الناحية الأخرى وإرباكها وافقادها لأعصابها وتوازنها من اللحظة الإفتتاحية للمعارك .

والنتيجة الثانية : أن الجيش المصري أصبح في وضع عسكري لا يطاق ، فبدون غطاء من طائراته فوقه ، ومع سيطرة كاملة على الأجواء للعدو ، وفي صحراء مكشوفة – فإن القتال لا يعود قتالاً ، وإنما يتحول إلى قتل مهما كانت شجاعة الرجال !

وكان هذا هو الوضع الذي دعا « عبد الحكيم عامر » إلى القرار بالإنسحاب فجر يوم ٦ يونيو وهو قرار منطقي من ناحية المبدأ ، وإنما جاءت المصيبة في طريقة اتخاذه وأسلوب تنفيذه . ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة كانت قد حققت أثرها على القائد العام وأفقدته أعصابه وتوازنه .

والمحزن أنه في اليوم الأول من القتال كانت الخسائر المصرية في كل قطاعات الإشتباك مع العدو في حدود ٢٩٤ شهيداً – وبعد قرار الإنسحاب يوم ٦ يونيو ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيو وصل عدد الشهداء الى ٦٨١١ شهيداً .

وبالطبع فإن جزءاً من هذه الخسائر كان ضرورياً لحماية انسحاب القوات ، ولكن هذا الانسحاب كان في معظمه حالة من الفوضى ، وخلال هذه الفوضى ومضاعفاتها وقعت

أفدح الخسائر .

كانت الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م هى نفسها خطة سنة ١٩٥٦ - والخطط فى العادة لا تتغير لأنها محكومة بالجغرافيا ، وإنما تتغير أساليب القتال والتحركات وملابسات الخداع والمفاجأة إلى آخره .

(وعلى سبيل المثال فإن خطة غزو فرنسا سنة ١٩٤٠م كانت هى نفسها خطة الجنرال « شليفن » أثناء حرب السبعين - لكن الطيران والدبابات كانت هى التى قامت سنة ١٩٤٠م بمهمة المدفعية والخيالة فى خطة سنة ١٨٧٠[١]) .

ولم تكن الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م مجرد إستلهام لخطة سنة ١٩٥٦م ، وإنما كانت إعادة لها بالنص خصوصاً بعد أن تمكنت إسرائيل[٢] من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطانى أثناء الغزو الثلاثى بواسطة « جيمس إنجلتون » (المخابرات المركزية الأمريكية) بالترتيب مع إدارة ' أم . آى . سكس » (المخابرات البريطانية) أثناء فترة الإعداد لضربة «اصطياد الدناك الرومى» .

كان « عزرا وايزمان » - قائد الطيران الإسرائيلى الذى انتقل ليصبح مديراً للعمليات سنة ١٩٦٧م - هو الذى إستلم الخطة البريطانية ، وقال فى مذكراته أنه لسنوات كان يعيش مع « الخطة » (دون أن يحدد فى مذكراته مصدرها) ويحلم بها ويتمثل تفاصيلها ويدرب رجاله عليها . وقد تولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها لملاءمة الأوضاع المستجدة . ثم تسلم الخطة منه نائبه وخلفه فى قيادة الطيران الجنرال « موردخاى هود » .

كانت الخطة ببساطة هى ضرب ١١ قاعدة جوية مصرية فى نفس الوقت ، وهى : « العريش - بير جفجافة - بير تمادا - جبل لبنى - أبو صوير - كبريت - إنشاص - القاهرة - غرب القاهرة - بنى سويف - الأقصر » .

ويكون الضرب بموجتين : الأولى تركز على قواعد وادى النيل البعيدة . والثانية تركز على قواعد سيناء ، القريبة .

وكان الهدف الأهم هو (قاعدتى ، بنى سويف ، والأقصر) ففيهما تتمركز الطائرات المصرية القاذفة وهى الخطر الأكبر الذى كانت تحسب له إسرائيل .

---

(١) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

(٢) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

وبعد الضربة الجوية كان على سلاح الطيران الإسرائيلى أن يكرس جهده لمعاونة القوات المدرعة الزاحفة على سيناء .

وبالفعل فإن الضربة الجوية استغرقت جهد ٤٩٢ طائرة، وبعدها فإن الطيران الإسرائيلى قام بقرابة ألف طلعة لمساندة القوات المدرعة .

وكان قائد قوات الجبهة الجنوبية - الجبهة مع مصر - هو الجنرال « أشعيا جافيش » وكانت تحت أمرته ثلاث مجموعات من الجيوش.

* مجموعة القطاع الشمالى (رفح - القنطرة) تحت قيادة الجنرال « إسرائيل تال » .

* مجموعة القطاع الأوسط (القسيمة - الجفجافة) تحت قيادة الجنرال « أريل شارون » .

* مجموعة القطاع الجنوبى (العوجة - متلا) تحت قيادة الجنرال « ابراهام يوفى » .

والحاصل أنه بعد نجاح ضربة الطيران الأولى أصبح دور كل هذه القوات ثانوياً ، ولم يعد هدفها هدفاً عسكرياً وإنما أصبح مطلبها سياسياً - وقد حدده الجنرال « ديان » وزير الدفاع الإسرائيلى على النحو التالى (مذكرات ديان فيما بعد الحرب) :

١ - تدمير أكبر حجم ممكن من السلاح السوفيتى فى المنطقة (لأن ذلك يرضى الولايات المتحدة فى جانب تأمينه لإسرائيل) .

٢ - تحطيم معنويات الجيش المصرى وإذلاله حتى لا يقبل مرة أخرى أن يقاد إلى معركة ضد إسرائيل مهما كانت الظروف .

٣ - الوصلو بالهزيمة العسكرية إلى حد الإهانة حتى لا تعود مصر مهما كانت دعاويها إلى مكان الصدارة فى العالم العربى (الآن وإلى المستقبل المنظور) .

٤ - الجمع بين هذه العوامل كلها معاً بحيث تؤدى إلى إسقاط النظام و« جمال عبد الناصر » على رأسه ، بحدوث ردة فعل غاضبة لدى الجماهير المصرية والعربية .

٥ - بتحقيق ذلك - فإن إسرائيل تستطيع أن تفلت بهدفها الأكبر فى العملية كلها وهو الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس - دون أن تتعرض لأى ضغط من جانب الولايات المتحدة . ذلك لأنها سوف تعطى ل « جونسون » كل ما أراده ، وبالتالى فهو لا يستطيع أن يحرمها فى المقابل من كل ما تريده !

كان التخطيط الدولى لخطة « اصطياد الديك الرومى دقيقاً . وكان التنفيذ الإسرائيلى للدور

المقرر لها فيه على درجة عالية من الكفاءة - بصرف النظر عن أحكام التاريخ التى فرضت نفسها فيما بعد وأكدت للكل أن ما حققته إسرائيل ليس هو النصر الذى تنتهى معه كل الحروب ، وفى كل الأحوال فإنه ليس هو النصر الذى يستطيع أن يحقق لها السلام الإسرائيلى الدائم الذى كانت تتصوره فى متناول يدها فى تلك الأيام من سنة ١٩٦٧م .

ويرى هيكل فى كتابه الهام أنه وفى مقابل ذلك كان التخطيط المصرى معرضاً ومكشوفاً ، ومن المحقق أن مصر - سواء قدرت ذلك قيادتها السياسية أو لم تقدره - كانت فى وضع لا يسمح لها مهما فعلت بالإنتصار فى معركة الستينات ، وهنا تجىء المسئولية التى يتحملها « جمال عبد الناصر » .

ولقد يقال أن المؤامرة كانت أكبر من طاقته وأكبر من طاقة مصر ، وإنها كانت يجب أن تطاله ويطالها مهما فعل أو فعلت ، ولكن مثل هذا القول لا يعفيه ، وإن كان من الحق أن توضع أحداث سنة ١٩٦٧م فى سياقها التاريخى بالنسبة للعصر وظروفه وأحكامه داخل منطقة الشرق الأوسط وخارجها ، ومع ذلك فليس هناك شك فى أن (جمال عبد الناصر) مشى إلى الفخ الذى نصب لإصطياد الديك الرومى ووقع فيه ، وربما كان مما يحسب له بعد الوقوع فى الفخ أنه تمالك نفسه بسرعة وعاد يضع نفسه والأمة وراءه من مرحلة الصمود وإزالة أثار العدوان .

ولم يتهرب « جمال عبد الناصر » من مسئوليته ففى خطابه إلى الأمة يوم ٩ يونيو قال بالنص إنه «برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها» .

ومن الغريب أنه فى إدارته للأزمة وقع فى خطأ كان هو دائم التحذير منه ، فكثيراً ما كان يستشهد بمقولة شهيرة ل « ونستون تشرشل » (الذى قاد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية) يحذر فيها « من خوض أى حرب جديدة بنفس أسلوب الحرب السابقة » .

والحاصل أن « جمال عبد الناصر » وقع فى هذا الخطأ ذاته ، فقد قاد أزمة سنة ١٩٦٧ متأثراً بالمناخ الذى قاد به أزمة سنة ١٩٥٦م قبلها بأحد عشر عاماً ، وكانت كل الظروف مختلفة .

ولهذا كانت الضربة موجهة ، وكانت بمثابة الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر قبل الموت الجسدى بثلاث سنوات .

ثالثاً : رؤية عميل أمريكى للهزيمة :

فى كتابه الهام والذى آثار – ولا يزال – ردود فعل صاخبة ، يرى مايلز كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية فى المنطقة ، فى كتابه (لعبة الأمم[1]) ، ما يلى بشأن هزيمة ١٩٦٧م :

«لقد تعثر ناصر وانجرف نحو درك الحرب إنجرافاً ، ولم تكن إسرائيل قد تهيأت لها قلباً وقالباً بل وكانت مضطربة وحيرى ، وأما أجهزة مخابرات السوفييت فلم تكن تتمتع بالكفاءة اللازمة ولم يكن تخطيط الروس ، وتقديرهم سليمين قديرين بل وكانا ضعيفين ، وكانت أمريكا هى الأخرى عاجزة عن فعل أى شىء ، سوى أننى أود أن أضيف هنا قائلاً : أن ناصراً لم يتورط فى الحرب تورطاً ولم يدفع لها دفعاً ، ولم تكن إسرائيل مضطربة حيرى بل كانت للصدام متوقعة وللحرب متشوقة . لقد أمسك ناصر بزمام الأمور جيداً وظل لها مخططاً ، وبالعناية بها منفذاً ، حتى لحظة تنازل نائب الرئيس زكريا محيى الدين – وبالنيابة عن ناصر نفسه – عن مطالب مصر فى مضائق تيران ، إستجابه لنداء الأمم المتحدة ، بسماحة نفس ورحابة صدر . غير أن الإسرائيليين لم يكونوا راغبين فى ترك ناصر يجنى ثمار تلك الواقعة فوجهوا لمصر الضربة القاضية فى نفس الصباح الذى كان مقرراً فيه مغادرة زكريا القاهرة قاصداً نيويورك مع أنهم كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً أن يمسكوا عن الحرب حتى يصل زكريا إلى هناك . ولسنوات غير قليلة بقى الإسرائيليون يتدربون على إنقاضهم ذلك ، ولو لم ينفذوه يومها فما ، كانت الفرصة لتسنح لهم مرة أخرى أو تتوفر لهم ثانية ظروف مثلى» .

ويقول كوبلاند فى موقع آخر من كتابه :

وها أنذا أساهم بتقديم ما شاهدته بأم عينى فى القاهرة ، فقد كنت جاهلاً لما كان يجرى يومها فى تل أبيب أو واشنطن ولم يكن علمى بمجريات الأمور فى موسكو إلا عن طريق أصدقائى من المصريين . وهذا ما علمته .

---

(١) رغم تحفظنا على العديد من المعلومات والتقييمات التى قدمها (كوبلاند) فى تقريره المخابراتى المرفق ، إلا أن هذه المعلومات بات لها وجهتها وأهميتها الآن ، وبعد أن كشفت أجهزة المخابرات الغربية (الأمريكية تحديداً) بعض وثائقها بشأن هذه الحرب ، وبعد أن نقل عنها بعض الكتاب المصريين (أمثال محمد حسنين هيكل وجلال كشك وغيرهم) العديد من الحقائق ، باتت رؤية كوبلاند هامة ، لأنها كانت صادقة فى بعض ما أوردته رغم زيفها فى البعض الآخر . (المؤلف) ..

يقول :

(١) كان شغل ناصر وضباطه الشاغل قبل الحرب بشهرين خراب اقتصاد البلاد وانهياره ، ففى بداية تلك السنة (١٩٦٧م) قام فريق من الباحثين يعملون لشركتى باحصاء أدق الأرقام التى توفرت عن مقدار العملة الصعبة والذهب المخزون فى مصر عام ١٩٥٢م يوم قام ناصر بانقلابه ، ثم أضافوا إليه مجموع المساعدات الأجنبية (من قروض وهبات) التى تلقتها الحكومة ، وأضافوا إليه أيضاً مجموع ما ادخرته مصر من ثمن الصادرات بين منتصف ١٩٥٢م وحتى نهاية عام ١٩٦٦م ، وأنقصوا من المجموع الحاصل النفقات والمصروفات (الخارجية وثمن الواردات) فكانت النتيجة أن معدل عجز مصر التجارى قد بلغ حوالى أربعمائة مليون دولار سنوياً وقد إستنفذ تقريباً كل تلك الواردات بما فيها قروض إستدانتها الحكومة وعجزت عن آدائها .

وعلى حد قول البروفسور لاكور فإن احتياطى مصر قد تدنى حتى أضحى حوالى أربعين مليوناً من الدولارات كذهب مخزون وستة وأربعين مليوناً من الدولارات بشكل عملات صعبة . ولو أن إمرءاً حاول أن .. يبحث حثيثاً فى القاهرة عن تلك الستة والأربعين مليون دولار ، لما كان له - لدهشته - أن يعثر على أكثر من مليونين أو ثلاثة يجب دفعها لتسديد ثمن مشتريات طارئه لا مناص منها . فكم من معامل أغلقت أبوابها لنقص فى قطع التبديل التى لا تكلف أكثر من بضعة ألوف من الدولارات . وأوقفت يومها شركة الطيران العربية المتحدة أربعاً من طائراتها الكوميت السبعة لنقص فى قطع الغيار مع أن هذه الشركة تعتبر أحد مصادر العملة الصعبة فى مصر .

ولو أن الحكومة المصرية باعت يومها كل ما تبقى لديها من ذهب ما كان ليكفيها هذا لأكثر من شهر واحد تسدد به ثمن ما اعتادت عليه من واردات وتدخر منه دراهم معدودات .

وفى التقارير الاقتصادية الربع سنوية للسفارة الأمريكية فى القاهرة تجد رأياً أن الحكومة المصرية كانت مفلسة فعلاً قبل عام من الزمن (أى فى أوائل ١٩٦٦م) . وأما الساخرون من بين المراقبين الأجانب الذين حنكتهم الظروف ومرستهم الأحداث فقد قالوا يومها : « لقد إعتدنا على سماع هذا النغم القديم أعواماً ، ولكن مصر دائماً تجد منطلقاً لها ومخرجاً من هذه الأزمات ، غير أن هذه المرة كان من الواضح جداً أن الجمهورية العربية المتحدة قد هوت إلى الحضيض ، وعندما أدرك السوفييت أن مساعدات الغرب قد نضبت والمنافسة بينهم وبين الأمريكيين قد انتهت بدؤا بتقديم المساعدات شيئاً فشيئاً ، وبمقادير قليلة وحسب ما

يرونه من ظروف مناسبة وأحوال ملائمة .

(٢) وكنت أعتبر ولسنين عديدة - والقول لكوبلاند - أن نظام ناصر أكثر النظم حصانة ضد الإنقلابات فى العالم العربى ، ولا أزال أرى ذلك . إلا أنه فى اذار / مارس / ونيسان / ابريل عام ١٩٦٧م بدا بدون أدنى شك أن ناصراً قد وصل إلى طريق مسدود ، أنه كان وضباطه بذلك عالمين . وبدا يومها فى مصر أن « الإستغراض الكبير » قد انتهى ، قررت حكومتنا (وكانت قد قدمت ليومها أكثر من خمسمائة مليون من الدولارات كمساعدات منذ انتهاء الأزمة اللبنانية ١٩٥٨م) ، إنها لن تقدم مساعدات جديدة إلا على أساس من طرق استثمارها والإستفادة منها وليس على أساس من الضغط السياسى ، ولو جمح الخيال ما جمح فلن ينجح هذا الأسلوب الجديد فى مصر . ولقد عبر « وورد اليوت » وهو محام من واشنطن ويكتب فى مجلة « السياسة العامة » التى تصدر عن جامعة هارفرد) عما يجول حقيقة فى عقول كل موظف غربى يعمل فى « ديون المساعدات » وكل أصحاب البنوك الغربيين عندما قال : « إن إصرار ناصر على القفز إلى مسرح السياسة العالمية ليلهو هناك قد كلف المصريين نفقات باهظة كان يمكن إستغلالها بشكل إجدى فى مجالات أخرى . وعلى كل دولة تساعد مصر أن تدرك أنها بذلك تقدم دعماً لناصر لتحقيق أطماعه وآماله خارج بلاده ، كما تساعده على ضم ممالك جديدة لعرشه الغزير بها .

والناحية الهامة هى أن كبار المسئولين المصريين فى الجهاز الحاكم فى الجمهورية العربية المتحدة . أدركوا أخيراً تلك التحولات فى مواقفنا ووجهات نظرنا . ولا شك أنه خطر لبعض أصدقاء ناصر المخلصين (مع إننى كنت أعتقد باستحالة قيام أى إنقلاب ضده) أن يجعلوا منه « سوكارنو » ولو على مضض منه (كما عبر عن ذلك (سى سلوز بيرجر) . فقد وقعت أندونيسيا فى معضلة مشابهة لوضع مصر فكان الحل لها هناك أن رفعوا سوكارنو إلى مستوى رئيس مجلس إدارة وإستلم أمناء عامون توجيه أمور البلاد وشئونها وأعادوا بناء البلاد ثانية بعدما تردت الحالة فيها حتى بلغت حد الإفلاس . وقد علمت من مصادر موثوقة لدى أن مثل هذه الفكرة قد بحثت جدياً للخروج بالبلاد من مصاعبها ومصائبها وأن رجالاً لا يشك بولائهم لناصر قد تكفلوا بوضعها قيد التنفيذ ، ولا أستبعد أن يكون أحدهم قد بلغ حداً من التهور والطيش لأن ينقلها لناصر ويبلغه إياها . ومن خلال معرفتى بناصر فإننى كنت واثقاً أن مشروعاً كهذا لن ينجح أو يرى بصيصاً من نور .. فناصر لن يرحل بتذمر أو شكوى ، ولن يتقوض نظامه وينهار إلا بضربة عنيفة وضجة مدوية ، ويومها ستنازل الآلهة أعداءها وتدور رحى حرب ضروس لا تبقى منهم أحداً ولا تذر لهم على الأرض دياراً .

(٣) ولم يعد ضباط ناصر يكترثون بما يفكر العرب بالنظام الناصرى – والقول لكوبلاند – وأخذ حرصهم على سمعته يقل رويداً رويداً . إلا أنهم أضحوا فى قلق متزايد إزاء الصورة التى أخذ العالم المتحضر يرسمها عنهم وهى شبيهة بقصة أفيلين واه المسماة « المؤذى الشرير » ولكن ناصراً كان حريصاً على أن لا يفقد ماء وجهه أمام العرب – والعرب على الأقل – أو يبدو من الخاسرين . وقبل أيام من فرارى من القاهرة فى وجه الكارثة التى بدأت تلوح يومها فى الأفق سألت أحد أشد اتباع ناصر على الظهور بمظهر زعيم كبير بين جملة أفراد خاسرين ؟ ولم يستطع أن يجيبنى بأكثر من : من كل قلبى ، أتمنى لو كنا ندرى ذلك .

وكان هذا مهما لناصر ، ولهذا فعندما استفزه السعوديون والأردنيون معلنين أنه لم يبد أى تأثر بغارات الإسرائيليين المتزايدة على سورية والأردن ، وتحرك ناصر وأشغل نفسه بدعاية إذاعة مضادة وأهمل مسائل بلاده الاقتصادية الهامة . وغالب اعتقادى أن وصم الأردنيين له خاصة بالجبن والإختفاء خلف قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة قد دفعه إلى إغلاق مضائق تيران فى وجه الإسرائيليين . وعلى هذا يعلق البروفسور لاكور قائلاً : « لقد كان من واجب السوريين وناصر أن يعلموا أن إطلاق التهديد من موقف الضعف أمر خطير » ، سوى أننى أعتقد أن السوريين وناصراً يجهلون خطر مثل تلك السياسة بل وتجاهلوها بنجاح لسنوات عديدة خلت . (وحتى بعد الهزيمة النكراء التى حلت بهم فى حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧م ، فما زالوا يتحدثون بلهجة القوى المنتصر . ولا يقع اللوم عليهم فى هذا فلهجتهم تبدو طبيعية بل ومفيدة أحياناً .)

(٤) وأخيراً – والقول لا يزال لكوبلاند – فهناك مشكلة سوريا ، ففى السابع من نيسان (أبريل) عام ١٩٦٧م كانت بعض الطائرات السورية تحلق فوق منطقة مجردة من السلاح فرأت بعض الجرارات الإسرائيلية تحرث وتزرع . فاغتنمت الطائرات السورية الفرصة وانقضت على الجرارات تصليها وابلاً من رصاصها وقنابلها ، ولم لا فالسوريون لا يقوون إلا على أمثالها قصفاً ولا يجيدون لغيرها نزالاً . ومهما كان فقد كان الإغراء يومها طاغياً ، فدمرت الجرارات عن بكرة أبيها وقتل من المزارعين نذر غير يسير ، ولكن لم تكد غارة السوريين تنتهى حتى ظهرت فى الجو بضع طائرات من الميراج الإسرائيلية ولحقت بالطائرات السورية إلى دمشق وأسقطت ستا منها فإنتثر حطامها فى ضواحى المدينة وفى الجوار ، وتألم السوريون من ذلك ، وأطلقت صحفهم والحكومة صيحات الحرب والثأر ، وأخذت الإذاعة السورية فى الأسابيع التالية تدعو إلى الحرب علناً وإلى التحرير جهاراً بشكل يجعل كل من

لا يعرف السوريين أن يظن بهم خيراً وأنهم على مهاجمة الإسرائيليين لا محالة مصممون . وهكذا أعطى السوريون الإسرائيليين كل ما أرادوه من أدلة وبراهين ليظهروا أنفسهم بمظهر المدافعين عن أنفسهم والمنادين بالسلام . (وكان السوريون مدفوعين بالإتفاقية العسكرية التى وقعوها مع المصريين فى تشرين الثانى (نوفمبر عام ١٩٦٦م) .

وعقد المصريون هذه الإتفاقية وهم يظنون . والروس معهم ، أنهم يحسنون صنعاً . إلا أن سعيهم قد ضل ولم تخفف شيئاً من مغالاة السوريين ، بل وكان أثرها عكس ما توقعوا تماماً . فقد ظن السوريون أن الجيش المصرى رهن إشارتهم ، فاندفعوا تحت حماية الاتفاقية يزأرون ويزمجرون ، ولولاها لبدأ حماسهم فى تلك الفترة متهوراً حتى فى منظارهم أنفسهم ، وأضحى جلياً فى بداية أيار (مايو) ، أن السوريين وليس ناصراً قد أخذوا يندفعون إلى حافة الحرب .

«ومع أننى – والقول لكوبلاند – كنت فاقداً أى ، إتصال مع السوريين يومها ، فقد أخبرنى أصدقائى من المصريين الذين كانوا على صلة بهم أن الأوائل قد ضمنوا أن النصر سيكون حليفهم فى الحرب القادمة ، شريطة أن يكون المصريون معهم فيها ، هذا عن السوريون ، وأما عن المصريين فإنى أعتقد ، خلافاً لكتاب كثيرين ، أنهم لم يلمسوا من أنفسهم القوة الكافية لهزيمة إسرائيل ، لقد أخبرنى ناصر نفسه ، وقبل أسبوع واحد من الحرب ، عن محادثة جرت بينه وبين المشير عامر عنفه فيها قائلاً : « إنك – عزيزى عامر – متخلف ما لا يقل عن عشر سنين عن العصر الذى أنت فيه ، كيف ستلحق هزيمة بجيش حديث وحسن التدريب مثل الجيش الإسرائيلى وجيشك لم يتمكن لسنوان أن يخضع شراذم اليمنيين من المدمنين على المخدرات ! « وأزيد على هذا أن النظرة الآنفة الذكر لم ينفرد بها ناصر وحده بل أبدى كبار ضباطه شكا كبيراً فى قدرة الجيش المصرى على العمل وكفاءته فى القتال ، ولا أزال أذكر ما خاطبنى به أحدهم قائلاً : « إن إستطاعت مصر الإفلات من هذه الأزمة بنصر ديبلوماسى فستدع السوريين يخوضون غمار الحرب لوحدهم أن يقوما ليومها مصرين على ذلك دون تراجع أو خوف » .

كان الضباط المصريون يعلمون ، ويعلم الأمريكيون المقيمون فى القاهرة ، وأنا من بينهم ، وكذلك كان يعلم ، كل المراقبين من ذوى الإطلاع أن فرصة ناصر فى إحراز نصر ديبلوماسى مؤزر تعادل فرصة خسارته .

وقد أقلق خطاب ناصر فى ٢٩ آيار (مايو) عام ١٩٦٧م كثيراً منا حيث قال فيه : « لقد باتت استعداداتنا كاملة ، ونحن الآن مهيئون لمواجهة إسرائيل ... ولقد أصبحنا قادرين على معالجة قضية فلسطين بأكملها ... » وكذلك قوله : سوف نقرر نحن وليس هم زمان المعركة ومكانها . وصحيح أن أشكول رئيس وزراء إسرائيل قد صرح فى ١١ آيار (مايو) بما لا يقل فحوه خطورة عن ذلك ، غير أن عبارة ناصر أضافت حجة للإسرائيليين فوق الحجة التى وهبهم إياها السوريون ليقوموا بالضربة الأولى ، بل لعلها جعلت من المحتم عليهم فعل ذلك، وعندما غادرت القاهرة فى تلك الأثناء عائداً إلى لندن ، أخبرت أصدقائى من المصريين قبل سفرى بإننى أراهن حتى الدولار الأخير الذى امتلكه بأن ناصراً سوف يواجه هجوماً صاعقاً كذاك الذى وقع على بيرل هاربر . قلت ذلك وأنا أعلم أن بعثة زكريا محيى الدين إلى نيويورك قد قررت أن تكون صباح الخامس من حزيران (يونيو) وأن الإسرائيليين قد قطعوا على أنفسهم عهداً للرئيس جونسون أنهم لم يقوموا بتسديد أية إضرار لمصر قبل أن يرى العالم زكريا محيى الدين فى نيويورك ويسمع منه ما يريد أن يقوله . وكما قلت سابقاً فلقد كانت فرصته خمسين بالمئة ، لا تزيد عن هذا أبداً . ولكن ناصر قامر وغامر ولعله قد خسر الرهان .

ولامرىء أن يسأل : هل ربحت إسرائيل الحرب ؟ إننى أرجع هنا - والقول لا يزال لكوبلاند - إلى قول أندريه بوفر » وهو استراتيجى فرنسى عظيم يعرف النصر فيقول : « هو أما أن تحطم عدوك تماماً أو تجعله فى موقف يقبل ما تمليه عليه من شروط الإستسلام » . فإذا أخذنا بهذا التعريف وجدنا الإسرائيليين لم ينتصروا حقا وذلك حينما نراقب الكلام الذى جرى بينهم وبين العرب فى أعقاب الحرب . كما أن موقف ناصر فى بلاده ، بعد الحرب أصبح أشد صلابة من موقفه لو لم تقع الحرب ، وإذا اتضح هذا لم يعد لأحد أن يسأل : ماذا سيكون موقف ناصر لو تكررت المأساة ؟ أن الجواب على هذا السؤال فى رأيى واضح لكل من قرأ هذا الكتاب بإمعان وغاص بين سطوره .

وتنتهى رؤية كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية بما احتوته من حقائق وتقييمات لا شك بعضها مغرض ، ولكن بعضها الآخر صائباً وفقاً لما نشره الناصريون أنفسهم فيما بعد .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها :

نورد هنا رؤية متكاملة للأصوليين الإسلاميين من أعضاء (جماعة الجهاد الإسلامى) المعروفة فى مصر ، وهى رؤية علمية ورصينة واستقت بياناتها من مصادر علمية وسياسية

مختلفة ، ولم تكتف بالإدانة فقط كما تفعل باقى الرؤى الإسلامية منذ وفاة عبد الناصر وحتى اليوم وبخاصة (الإخوان المسلمون) ، ترى ماذا يقدم الجهاديون من رؤى . إن (أسامة حميد[1]) الذى إعتمدناه (مرجع التقليد) بالنسبة للرؤية الإسلامية الأصولية ، يقدم لنا تحليلاً رائعاً - رغم اختلافنا معه - لهزيمة ١٩٦٧م وما تلاها ، ونحن نقدم هنا التحليل كاملاً كما قدمه (أسامة) دون تحريف أو تدخل .

بداية يرى أسامة :

تمثيلية التنحى :

بدأت الصحف - إزاء الهزيمة المخزية - تختلق قصصاً وهمية عن تدخلات أمريكية وبريطانية (على غرار التدخل فى العدوان الثلاثى) وحفلت البيانات العسكرية بعد ذلك بقصص عن مؤامرات أمريكية وضمنت البيانات فى كل مرة عبارة « بما لا يدع مجالاً للشك » - وفى هذا الوقت قال عبد الحكيم عامر لعبد الناصر « احنا الاثنين ضحكنا على الشعب واحنا الاثنين لازم نمشى »[2] .

وهكذا - مع بداية إنكشاف حجم الزيف - تجمع طوفان من الناس أمام بيت عبد الناصر يسألون عن مصير ذويهم (صباح ٩ يونيو) وحسب شهادة الجيار « فقد احتاج الأمر إلى قدر كبير من الذكاء لإستدراج هذا الطوفان بعيداً نحو ميدان العباسية » .

سارع عبد الناصر - والقول لأسامة حميد - طالباً من هيكل استخدام قدراته الفائقة فى الشعوذة للإلتفاف حول وعى الناس قبل أن يتعاظم - وهكذا كتب هيكل بيان التنحى الشهير مستفيداً من عدة نقاط :

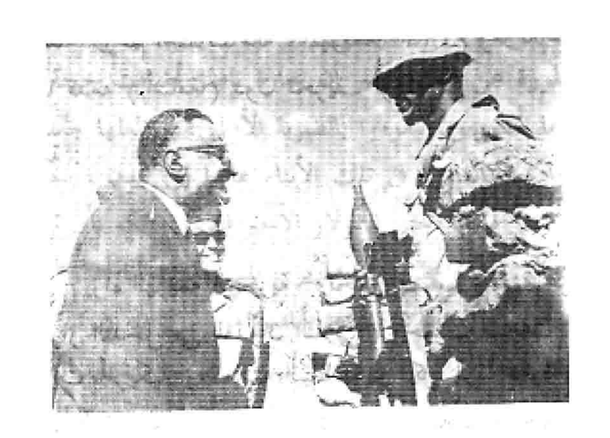
١ - لم يكن قد مر على بدء الحرب سوى ٤ أيام و لم تكن الناس تعرف الحجم الحقيقى للكارثة .

٢ - تعبئة المخزون الهائل لدى الشعب المصرى فى تحدياته للغرب - عن طريق إظهار عبد الناصر كما لو كان قد تعرض لمؤامرة - وهكذا حفل بيان التنحى بسلسلة من الأكاذيب :

---

(١) جدير بالذكر أن أسامة حميد اتهم فى قضية اغتيال السادات وتشكيل تنظيم الجهاد عام ١٩٧١م وقضى بالسجن ٣ سنوات ، ثم دخل المعتقل بعد ذلك ٩ مرات نتيجة نشاطه السياسى والفكرى التابع لتنظيم الجهاد (المؤلف) .

(٢) شهادة الجيار ، فى تحطيم الآلهة ص ١٥٩ .





مع الجنود على جبهة القناة .. يستمع منهم ويتحدث إليهم

ــ إن قوى الإستعمار تتصور أن عبد الناصر هو عدوها .
ــ المؤامرة كانت أكبر وأعتى .
ــ وجود أدلة على خطة لغزو سوريا (لم تكن هناك أدلة) .
ــ السلاح الجوى اليهودى عمل بقوة تزيد على ٣ أضعاف قوته « بلا مبالغة أو إنفعال[١] .
ــ لقد جاءوا من الغرب وليس من الشرق أو من الشمال (جاء اليهود من الشمال فى الحقيقة) .

٣ - تنفير الناس من خليفة عبد الناصر - فعلى خلاف الدستور رشح زكريا محيى الدين وهو وجه قبيح فقد عمل كوزيراً للداخلية قبل ذلك وكان معروفا بولائه للغرب - وعلى حد تعبير عبد الحكيم عامر « إن الجنين فى بطن أمه سيثور رافضاً زكريا » .

٤ - ألمح عبد الناصر إلى أنه غير مسئول بأن قال « إننى مستعد لتحمل المسئولية » .

٥ - بعد ذلك قدم برنامج عمل للمرحلة القادمة وكأنه لا ينوى الإستقالة فعلاً - ثم شبه ما حدث بحرب السويس (أى أزمة سيمكن تجاوزها) .

٦ - إنتهى البيان بصيغة درامية لإستغلال عواطف الشعب المصرى « إن قلبى كله معكم وأرجو أن تكون قلوبكم كلها معى» !!

إنفجرت الجماهير متظاهرة ضد ما إعتبرته مؤامرة أمريكية وهتف الناس حنحارب - حنحارب - اليهود أعداء الله ، بالروح بالدم حنكمل المشوار[٢] وفى يوم ١٠ يونيو توجهت الجماهير لإحراق مبنى السفارة الأمريكية فتصدت لها الشرطة وفى نفس اليوم أعلن عبد الناصر عدوله عن التنحى « نزولاً على إرادة الجماهير » التى لا يستطيع تحدى إرادتها على حد تعبيره ورقص أحد أعضاء مجلس الأمة طرباً !

---

(١) قالت الصحف أن ألف طائرة اشتركت فى الحرب - بينما ذكر ديان فى مذكراته أن الموجة الأولى قام بها ١٨٣ طائرة يهودية كانت تخطط لتدمير ١٠٠ طائرة لكنها دمرت ١٩٧ ، طائرة + ١٦ محطة رادار + ٦ مطارات أما الموجة الثانية فقامت بها ١٦٤ طائرة هاجمت ١٤ مطاراً ودمرت ١٠٧ طائرات .

(٢) فيما بعد قام مرتزقة السلطة بتحريف الهتاف إلى (بالروح بالدم نفديك يا جمال) وكأن الشعب المصرى قد خلق ليفدى شخصاً . (والقول لأسامة حميد) .

حسم الصراعات على السلطة :

يقول الأصوليون الإسلاميون فى هذا الصدد أن عبد الحكيم عامر كان قد طلب من عبد الناصر أن يتنحى معه - ولربما أدى ذلك إلى مظاهرات لتأييد عبد الحكيم عامر - لكن عبد الناصر كان قد قرر إنتهاز تلك الفرصة لتصفية الثنائية التى حكمت مصر وفى هذا الإطار قام عبد الناصر بإعتقال كل الضباط دفعة ١٩٤٨م (دفعة شمس بدران وزير الحربية والذى شكل تنظيماً سرياً لحماية عبد الناصر تحول إلى مركز قوة لشمس بدران نفسه) ثم انتهز عبد الناصر فرصة تخطيط عبد الحكيم للإطاحة به فإعتقله وبعدها بأيام قتل عبد الحكيم[١] كما اعتقل صلاح نصر مدير المخابرات وكذلك قادة الطيران والصاعقة وتقرر تقديمهم ككباش فداء للنكبة وفى خطابى ١٩٦٧/١١/٢٣م ، ١٩٦٨/٣/٣م ، أعلن عبد الناصر أنه سرح ٣٠٠ من المخابرات وأعلن « سقوط دولة المخابرات » « لقد سقطت طبقة عسكرية كانت تعتقد أنها الوريث الشرعى لحكم هذا الوطن والتصرف فى مقدراته » - « ماكانش ناقص غير إنى أعمل مخابرات على المخابرات » .

كانت هناك أيضا مراكز قوى فى الإتحاد الإشتراكى لكنها لم تكن تمثل خطراً مباشراً مثل خطر عبد الحكيم عامر ومن المثير للسخرية أن التنظيم الطليعى الذى أنشأه عبد الناصر لتأمين نظامه تحول بدوره إلى مركز قوة بيد على صبرى وشلته (سامى شرف - شعراوى جمعه - عبد المجيد فريد ..) - وهكذا أصبح الإتحاد الإشتراكى كله مركز قوة - فى البداية حاول جمال عبد الناصر التقليل من خطورة الظاهرة وحاول احتوائها مفسراً نشأة مراكز القوى » بأنه من طبيعة الأمور وطبيعة النفوس أن تظهر فى مراحل مختلفة من نضالنا - إن العمل السياسى لا يقوم به الملائكة - ودعا بيان ٣٠ مارس إلى بناء الإتحاد الإشتراكى على الإنتخاب الحر من القاعدة إلى القمة وحاول عبد الناصر أن يقنع بغدادى بالإشراف على الإنتخابات (لكى يطيح بمراكز القوى) لكن الأخير رفض - وأسفرت الإنتخابات عن تقوية نفوذ هذه القوى بأكثر مما كانت .

حاول عبد الناصر إنشاء تنظيم آخر يضرب به الإتحاد الإشتراكى - وفى إبريل ١٩٧٠م أعلن عن إنشاء « اللجان العامة للمعركة » لكنها من أول يوم تحولت إلى مركز قوة جديد .

كانت هذه القوى قد أرادت تقدير قوتها من خلال إشراك بعض عناصرها ومحاولة توجيه المظاهرات المعادية لعبد الناصر فى اتجاه معين - ولكنها عرفت حجمها الحقيقى

---

(١) راجع ملابسات مقتل عبد الحكيم عامر فى : تحطيم الآلهة : فصل بعنوان إعدام عبد الحكيم عامر .

وأفلت الزمام من يدها .

ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

وهكذا لم يجد السادات صعوبة كبيرة فى الإطاحة بهم فيما عرف إصطلاحاً بحركة التصحيح (١٥ مايو ١٩٧١م) وفى ذلك يقول جمال سليم[١] فقيادة الإتحاد الإشتراكى لا تمثل شيئاً وإن كان ولابد أن تمثل شيئاً فإنها تمثل ضعفها وتفككها وتمزقها بدليل أنها سرعان ما هوت عند أول ضربة وجهتها إليها مجموعة السادات فى ١٥ مايو » .

محاولة توريط روسيا فى الصراع مع اليهود :

.يقول الأصوليون الإسلاميون فى هذا الصدد أنه بسبب جو اليأس الرهيب الذى سيطر على عبد الناصر بعد النكبة - لم يجد مفراً من أن يرهن إرادة مصر لروسيا نظير قيام الأخيرة بالإنغماس أكثر فى الصراع ومن ثم الضغط على أمريكا - ولكن الروس أفهموا عبد الناصر بأن لعبته هذه أصبحت (قديمة) وإن كان هذا لم يعن تخلى الروس عن دعم عبد الناصر لأنه حتى ذلك الوقت لم تكن قواعد اللعبة فى المنطقة قد أقروها مع أمريكا وكان يهمهم الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من نفوذ .

بعد خطاب التنحى بإسبوعين جاء إلى القاهرة وفد روسى رأسه رئيس الإتحاد السوفيتى نفسه وفى مباحثاتهم مع عبد الناصر عرض عليهم :[٢]

- إعلان الإنحياز المطلق لروسيا (وقال عبد الناصر أنه لا يوجد شىء فى الحقيقة يسمى عدم الإنحاز) ووصل الأمر إلى إعلان عبد الناصر إستعداده لإدانة الصين أعتقد أن الصين متطرفة فى موقفها وهى بذلك تخدم مخططات الأمريكان » .
- إعطاء قواعد للروس من بور سعيد إلى السلوم (وفيما بعد إلى غزة) وفى مقابل ذلك طلب منهم :
  - تولى الروس مهمة الدفاع الجوى عن مصر
  - حماية نظام عبد الناصر (لأنه تقدمى) من غزو يهودى قد يحدث بسبب كل هذه التنازلات للروس . لكن الروس ردوا على عبد الناصر بما يلى :
  - رفضهم انحياز مصر لهم - لأن مصر المنحازة ليس لها قيمة أصلاً ولن تستطيع جر

(١) جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو . م. س. ذ - ص ٨ .

(٢) راجع بالتفصيل : مذكرات محمود رياض ، من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية (١٩٦٧ - ١٩٧٠) ، لعبد المجيد فريد (أمين عام رئاسة الجمهورية) نشرته مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ١٩٧٩ .

غيرها وراءها .

ـ رفضهم التصدى لهجوم يهودى محتمل .

* محاولات يارنغ ٦٧ - ١٩٧١م .

* المباحثات الرباعية ٦٩ - ١٩٧١م .

* المباحثات الثنائية ٦٩ - ١٩٧١م .

* مبادرة روجرز ١٩٧٠م .

* مبادرة السادات ٤ فبراير ١٩٧١م .

* المفاوضات عن قرب ١٩٧١م - ١٩٧٣م .

ورغم كل التنازلات التى قدمت كان لابد من الإستمرار فى السياسة الشكلية المعادية لأمريكا حتى أن السادات صرح فى ١٩٧٣م ماذا سأقول لشعبنا يوم ما نعيد العلاقات مع أمريكا(١) وبعد ذلك بخمسة أشهر أعاد العلاقات مع أمريكا !!

كان عبد الناصر قد برر قبوله لقرار ٢٤٢ بحالة الإنهيار التام الذى أصاب الجيش ولكنه لم يلبث أن ظهر على حقيقته وثبت أن أشد النظم العربية التى قيل عنها أنها شعبية لم تتحمل حرب الإستنزاف لأكثر من عام ، وهكذا جاء نداء عبد الناصر إلى نيكسون .

ففى أول مايو ١٩٧٠م وفى شبرا الخيمة أعلن عبد الناصر أنه ليس هناك نزاع مباشر بين مصر وأمريكا وأن الشعب المصرى متحضر وعمره ٧٠٠٠ سنة ثم وجه نداءه إلى نيكسون :

١ - إذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب .

٢ - إذا لم يكن فى طاقة أمريكلان أن تأمر إسرائيل فنحن على إستعداد لتصديقها إذا قالت ذلك ولكن عليها قطع مساعداتها لإسرائيل « وإلا » فإن العرب سيخرجون بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهو أن الولايات المتحدة تريد لإسرائيل أن تواصل احتلال أراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالإستسلام .

يبدو أن عبد الناصر لم يكن قد توصل إلى تلك الحقيقة .

وبناء على ذلك كانت مبادرة روجرز وقام هيكل - والقول لأسامة حميد - بالشعوذة المطلوبة فأفتى بأن إسرائيل ستضطر ، إلى قبول المقترحات الأمريكية - ولكن القبول سوف يمزق التحالف الحاكم فى إسرائيل !

---

(١) مركز الدراسات بالأهرام : مصر وأمريكا ص ٦٦ .

محاولة إحباط المد الجماهيرى :

عن هذا الجانب يقول أسامة حميد ممثلاً للإسلاميين الأصوليين .

كانت هزيمة ١٩٦٧م آخر مسمار فى نعش العلمانية فى مصر - وبدأ المد الشعبى بعدها فى التصاعد ووصل اليوم إلى مرحلة أصبح تطويقه شبه مستحيل - ونظراً لأن عبد الناصر كان قد قضى على كل بديل محتمل - فقد كان عليه أن يقوم بنفسه بدور الملتف حول وعى الجماهير - وفى هذا الإطار قام بما يلى :

١ - التحليل الخاطىء للأحداث والإستخفاف بالعقل :

فسر عبد الناصر أسباب الهزيمة (خطاب فى ١٩٦٧/٧/٢٣) بأنها مصداق للحكمة القائلة : لا يغنى حذر من قدر ومن الغريب أنه - فى نفس الخطاب - تباهى بأنه كان يعرف ميعاد العدوان (يوم الإثنين ٥ يونيو وأن الضربة الأولى ستوجه إلى الطيران - ومن الغريب أيضاً أن نفس قائد الجيش (عبد الحكيم) ونفس قائد الطيران (صدقى) كانا هما المسئولان عن هزيمة ١٩٥٦م بل أن خطة غزو سيناء سنة ١٩٦٧م هى بحذافيرها خطة ١٩٥٦م - فأين الحذر إذن ؟

٢ - الترويج لمقولة أن هناك قوى فى أمريكا وإسرائيل تريد السلام :

يقول هيكل (بصراحة ١٩٦٧/٦/٣٠م) تبقى فى أمريكا عناصر وقوى ينبغىألا نكمل من الإتصال بها ولا نسمح للمد الصهيونى الرهيب أن يغرقها تحت أمواجه العالية ووصل الأمر إلى مدح القوى التقدمية فى إسرائيل ووسط عبد الناصر أحمد حمروش ليتباحث مع تلك القوى (راجع اعترافات حمروش بجريدة الأهالى عدد ١٩٨٥/١١/٢٠م)

٣ - توجيه الإعلام لتثبيط الدعوة للحرب الشعبية(١) :

كتب هيكل سيلاً من المقالات عن عدم جدوى المقاومة والحرب الشعبية (مثلاً بصراحة ١٩٦٨/٨/١٦م) وفى ١٩٧٠/٩/٤م كتب هيكل « شعار الحرب الشعبية مطروح بعصبية » وبعد إستعراضه لجغرافيا المنطقة أفتى « الحرب الشعبية شعار مشكوك فى نتائجه » وقدم البديل كالآتى :

ـ ليس هناك شيء اسمه حل سلمى (لأن العدو يحتل أرضنا) .

---

(١) راجع : نجوى حسين أحمد خليل : رؤية الصحافة المصرية لأبعاد الصراع العربى الإسرائيلى : تحليل ، مضمون لجريدة الأهرام (١٩٦٧ - ١٩٧٣) ماجستير فى الإعلام من جامعة القاهرة ١٩٧٩م .

ـ ليس هناك شيء اسمه حل عسكرى (لأن القوى الكبرى لن تسمح بذلك) .
ـ هناك متاح أو موجود واحد أمامنا وهو الحل السياسى بالمعنى الأصيل لهذا التعبير وهو تسخير كل طاقات الدولة الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والدولية لتحقيق كل ما نقد على تحقيقه .

وقال إن قبول مصر لقرار ٢٤٢ يعطيها أساساً قانونياً ودولياً يشد إليها تأييد قوى ضخمة فى العالم كله .

بل ووصل الأمر إلى أن كتب هيكل بكل وقاحة : (بصراحة ١٠/١٠/١٩٦٩م) أنه أبلغ أنطونى ناتج الوسيط بين مصر وإسرائيل (إن مصر مستعدة ألا تعيد بناء قواتها المسلحة إذا انسحبت إسرائيل .

وقامت أجهزة الإعلام والثقافة بدورها بعملية التخريب اللازمة لدرجة أن إحدى المسرحيات (وطن عكا) لعبد الرحمن الشرقاوى دعت إلى « الإلتقاء مع الأصوات الحرة فى إسرائيل » و « ليحيا الإنسان صديقاً للإنسان » أما مسرحية (ياسين ولدى) لفايز حلاوة فقد دعت إلى معاداه العرب لأنهم سبب الكوارث التى ألمت بمصر[1]

أما عبد الناصر فقد شارك بنفسه فى محاربة فكرة الحرب الشعبية - ولكن على استحياء - وتكشف قراءاتنا لإجتماعات المؤتمر القومى للإتحاد الإشتراكى (١٤ - ١٨ سبتمبر ١٩٦٨م) عن حقائق مذهلة[2] فقد أصر جميع المتكلمين على الحرب الشعبية وتشكيل جيش شعبى فرد عبد الناصر ماعنديش أسلحة - الأسلحة محدودة والأسلحة حتجيلنا على مدة لكن أحد الأعضاء رفض تلك السخافة : بندقية ومدفعين ممكن يدرب عمال مصنع بالكامل فلم ينبس عبد الناصر ببنت شفة .

ورداً على المظاهرات الجماهيرية رفع عبد الناصر شعار (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة)[3] (مارس ١٩٦٨م) فلما استؤنفت المظاهرات (فى نوفمبر ١٩٦٨م) رد عبد الناصر (خطاب ٢/١٢/١٩٦٨م) مش احنا بس اللى عندنا المظاهرات ممنوعة - فى انجلترا المظاهرات ممنوعة - ورداً على المظاهرات أنشىء الأمن المركزى (١٩٦٩م) .

---

(١) راجع : صاف نازكاظم : الخديعة الناصرية - دار الاعتصام ١٩٨٤م .

(٢) راجع المحاضر فى : وثائق عبد الناصر (٦٧ - ٦٨) مركز الدراسات بالأهرام

(٣) استخدم هذا الشعار لتبرير ممارسات كثيرة - فمثلاً فى أغسطس ١٩٦٩م فصل ١٨٩ من رجال القضاء فيما عرف بمذبحة القضاء .

كان الرد الشعبى على التزييف الناصرى حاسماً جداً - وبعد أن أفاقت الجماهير من ذهولها بعد الكارثة - انفجر الشارع فى فبراير ١٩٦٨م « عبد الناصر يا دجال - اليهود ع القنال » - « لا صدق ولا الغول عبد الناصر هو المسئول » بل إن أعضاء منظمة الشباب التى أنشأها عبد الناصر لتخريج مضللين محترفين (وبلغ عددهم ٣٠,٠٠٠) هؤلاء الأعضاء تظاهروا أيضا ضد عبد الناصر .

حاول عبد الناصر أولا احتواء أثر المظاهرات قائلاً : « طالبت المظاهرات بإلغاء الإتحاد الإشتراكى ومنظمات الشباب وحل مجلس الأمة وإطلاق الحريات وحرية الصحافة - العمال والطلبة ضللوا » - وفى الحقيقة لم يكن ما حدث إلا أن العمال والطلبة قد ثابوا عن ضلالهم القديم ولذلك أعلن عبد الناصر (خطاب ١٩٦٨/٣/٣م) ، إغلاق الجامعة « لكى تهدأ النفوس وكل واحد يرجع لعقله » .

ورغم تراجع عبد الناصر (شكلياً) بإصداره بيان ٣٠ مارس الذى دعا إلى الحريات وسيادة القانون (ولم ينفذ بالطبع) - فقد انفجر الموقف من جديد فى نوفمبر ١٩٦٨م فى المنصورة والإسكندرية والقاهرة وبعد فشل الشرطة استدعى الجيش للتدخل لولا هطول الأمطار وخفوت المظاهرات - ثم أغلقت الجامعة شهرين .

وقد اقترنت الثورة الجماهيرية بسلسلة من الأعمال الهجومية ضد رموز السلطة (أقسام الشرطة بالذات) فيما عرف فى صحف تلك الفترة باسم (الحوادث المؤسفة) .

ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

أنه ورغم إتباع عبد الناصر جميع أساليب التهدئة مع اليهود - فقد قام الأخيرون بمهاجمة مدن القناة - وبسبب الضغط الشعبى[1] والإعتداءات اليهودية - لم يكن أمام عبد الناصر

---

(١) يقول أسامة حميد : فى الحقيقة أن الضغط كان يأتى من الجيش أيضاً - فقد صرح عبد الناصر (خطاب ١٩٦٩/٣/٣٠م) « لقد مررنا بوقت كنا فيه نحاسب (يقصد نحاكم) الجندى من جنودنا على الجبهة إذا رأى العدو وأطلق عليه ناراً » .

لكن هذا لم يمنع من اندفاع الجنود لقتال اليهود لو أتيحت لهم فرصة وكمثال على ذلك - فقد قام النقيب أحمد شاكر عبد الواحد القارح باعطال أجهزة الاتصال فى لنش الصواريخ الذى يقوده وأغرق المدمرة إيلات (١٩٦٧/١٠/٢١م) وكانت أول مرة فى التاريخ تتغلب قطعة بحرية صغيرة على مدمرة باستخدام صاروخ سطح مما قلب الموازين البحرية .

لكن عبد الناصر - عندما بدأ حرب الاستنزاف - حرص على أن يؤكد أنه كان مدفوعاً لذلك « لم نكن نحن الذين بدأنا فعلاً بإطلاق النار - أيام إسرائيل ما كانت بتضربنا بعد سنة ٦٧ - وبتضرب السويس والاسماعيلية والمدنيين » . خطاب ١٩٧٠/٧/٢٣ .

مفراً من عمل شيء فكانت حرب الإستنزاف (يوليو ١٩٦٩م - يوليو ١٩٧٠م) - وقد كفلت هذه الحرب تهدئة الجبهة الداخلية مؤقتاً - لكن خسائرها كانت فادحة فقد ردت إسرائيل على عبور وحدات مصرية إلى شرق القناة بأكثر من ألف غارة جوية وفى أواخر ١٩٦٩م كان الطيران اليهوى يلقى على مصر ألف طن من القنابل يومياً وفى فبراير ١٩٧٠م قصف مصنع بأبى زعبل فقتل ٧٠ أوصيب ١٠٠ وفى أبريل قصفت مدرسة فقتل ٤٦ طفلاً وأصيب ٤٠ - ولما كان عبد الناصر لا قبل له بهذا النوع من الحروب لأنه لا يستطيع تعبئة الشعب لحرب حقيقة فقد وجه نداءه المشهور إلى نيكسون وأوقف إطلاق النار بعد ذلك .

تلك هى رؤية الإسلاميين الأصوليين والتى رغم خلافنا معها إلا أنها رؤية علمية وجديرة بالحوار معها .

خامساً : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - عبد الحميد الدغيدى) :

* لكى يكتمل أمام أعيننا مشهد الهزيمة ، نعرض فيما يلى لشهادات ثلاثة من المسئولين عنها ، كل يحاول فيها الدفاع عن نفسه رغم مسئوليتهم جميعاً عنها . إنهم جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، واللواء طيار عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية إبان الهزيمة . فماذا لديهم ليقولونه :

(١) عبد الناصر :

بداية نقرأ نبوءة عبد الناصر عن الحرب وهى نبوءة تؤكد إدانته ولا تنفيها ، إنها تؤكد مسئوليته لأنه كان يعلم ورغم ذلك وقع فى فخ الهزيمة ؟ إنه يقول فى خطاب له بقاعدة عسكرية مصرية يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧م ما يلى بإختصار :

إن إسرائيل تحشد على حدود سوريا قوات مسلحة كبيرة يبلغ قوامها حوالى من ١١ لواء إلى ١٣ لواء وأن هذه القوات وزعت على جبهتين - جبهة جنوب طبرية وجبهة شمال طبرية ، وأن القرار الإسرائيلى الذى اتخذ فى هذا الوقت كان ينص على القيام بعمل عدائى ضد سوريا إبتداء من ١٧ مايو . يوم ١٤ مايو أخذنا إجراءاتنا وبحثنا هذا الموضوع واتصلنا بإخواننا السوريين ، والسوريين كان عندهم أيضاً هذه المعلومات ، وعلى هذا الأساس سافر الفريق فوزى إلى سوريا لتنسيق الأوضاع بين مصر وسوريا وقلنا لهم إن إحنا أخذنا قرار أنه إذا حصل هجوم على سوريا فإن مصر هتدخل المعركة من أول دقيقة - ده الوضع اللى كان موجود يوم ١٤ ، وبدأت القوات تتحرك فى اتجاه سيناء لأخذ أوضاعها

الطبيعية - بيولوا إمبارح فى وكالات الأنباء ان هذه التحركات لابد أنها كانت نتيجة لخطة محكمة موضوعة من السابق ومترتبة وأنا بقول إن ترتيب الحوادث مش زى الكلام اللى أنا بقوله لكم دلوقت مكانش عنده تفكير أبدا قبل يوم ١٣ على أساس أن إسرائيل كما لم تتصور لم تكن تجرؤ أنا تقوم بأى عمل ضد أى بلد عربى وإسرائيل لم تكن تجرؤ أن تقوم وتعلن هذه التصريحات الوقحة .

بعد كده فى يوم ١٦ طلبنا سحب قوات الطوارىء الدولية بواسطة جواب الفريق فوزى ثم طلبنا بعد هذا ، سحب قوات الطوارىء الدولية كلها - وبدأت حملة كبيرة فى العالم تتزعمها أمريكا وإنجلترا وكندا يعارضون طلب مصر بسحب قوات الطوارىء الدولية من مصر . وعلى هذا الأساس فهمنا أن هناك محاولات لأن تتحول قوات الطوارىء الدولية إلى قوات تخدم أهداف الإستعمار الجديد .. من الواضح إن إحنا حينما قبلنا وجود قوات الطوارىء الدولية لقينا ان هذه القوات دخلت مصر بموافقتنا ولا يمكن أن تستمر إلا إذا إستمرت موافقتنا .
ولغاية امبارح فيه كلام كثير جداً على قوات الطوارىء الدولية وفيه حملة على السكرتير العام للأمم المتحدة لأن الرجل أخذ قرار أمين وقرار نزيه و لم يقبل الضغط الذى تعرض له من أمريكا ومن بريطانيا ومن كندا لكى يجعل من قوات الطوارىء الدولية شىء ينفذ خطط الإستعمار .

من الطبيعى وأنا بقولها النهاردة بصراحة إن قوات الطوارىء الدولية إذا كانت تحولت من واجبها الأساسى إلى واجب تحقيق أهداف الإستعمار كنا هنعتبرها قوات معادية وكنا هنجرها من سلاحها بالقوة ونحن قطعاً قادرين على أن نقوم بهذا العمل .

أنا بقول هذا الكلام النهاردة لا لأحط من قدر قوات الطوارىء الدولية ولكن لأقول لأصحاب أفكار الإستعمار الجديد اللى عايزين الأمم المتحدة تحقق أهدافهم إن مفيش دولة بتحترم نفسها ، مفيش دولة بتعتبر إستقلالها إستقلال كامل تقبل هذه الأساليب بأى شكل من الأشكال ، وفى نفس الوقت بأقول إن قوات الطوارىء الدولية أدت واجبها بشرف وأدت واجبها بأمانة وأن الأمين العام للأمم المتحدة رفض أن ينساق وراء هذه الضغوط وأصدر أمره فى الحال بالإنسحاب لقوات الطوارىء الدولية .

وعلى هذا الأساس نحن نشيد بقوات الطوارىء الدولية اللى قعدت عندنا عشر سنين فى خدمة السلام ولما وجدت أن قول الإستعمار الجديد تريد أن نحرفها عن هدفها لم تقبل وهى تغادر أرضنا نكرمها أكبر تكريم ونحييها أكبر تحية .

دلوقت قواتنا وصلت إلى سيناء ، جموع قواتنا ، واحنا فى خالة تعبئة كاملة سواء فى قطاع غزة أو فى منطقة سيناء إحنا بنلاحظ إن الكلام كتر النهاردة عن السلام .. والسلام.. والسلام الدولى .. والأمن الدولى وتدخل الأمم المتحدة .. إلى آخر هذا الكلام اللى طالع فى الجرايد كل يوم الصبح – طيب يوم ١٢ مايو لما صرح رئيس وزراء إسرائيل وصرح كبار القادة الإسرائيليين بأنهم حيحتلوا دمشق وإنهم هيسقطوا الحكم السورى وإنهم هيضربوا سوريا ضربة كبيرة وانهم هيحتلوا جزء من أراضى سوريا محدش اتكلم عن السلام ومحدش اتكلم عن الأمم المتحدة ومحدش اتكلم عن الأمن وكان باين إنهم موافقين على الكلام اللى قالواه الإسرائيليين واللى قالوه القادة الإسرائيليين – النهارده فيه كلام عن السلام يعنى ايه السلام وكان فيه كلام عن السلام طبعاً بنقول ان احنا أيضاً بنعمل من أجل السلام ولكن هل معنى السلام أن نتجاهل حقوق شعب فلسطين نتيجة لمضى الوقت ؟ هل معنى السلام أن نتنازل عن حقوقنا نتيجة لمضى الوقت ؟ بيقولوا النهارده وبيتكلموا عن تواجد الأمم المتحدة فى المنطقة من أجل السلام ، هل تواجد الأمم المتحدة فى المنطقة من أجل السلام معناه أن نغمض عن كل شيء ؟ الأمم المتحدة اتخذت قرارات عدة لصالح شعب فلسطين لم تنفذ إسرائيل منها أى قرار وبعدين طبعاً أمريكا ما حصلش فيها هيصه ولا واحد اتكلم .

النهاردة السناتورات الأمريكان بيتكلموا وأعضاء مجلس النواب بيتكلموا والجرايد بتتكلم وكل الدنيا بتتكلم علشان إسرائيل علشان اليهود أما العرب يفقدوا أى شيء وقرارات الأمم المتحدة اللى فى صالح العرب لم ينفذ منها أى شيء فمعنى ده إيه ؟ محدش بيتكلم أبداً – طب فين الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق شعب فلسطين ؟ فين الأمم المتحدة بالنسبة للمآسى اللى حصلت من سنة ١٩٤٨ لغاية دلوقتى ؟ أبداً الكلام عن السلام بيكون موجود بس حينما تتعرض إسرائيل للخطر أما إذا ضاعت حقوق العرب وضاعت حقوق شعب فلسطين مايتكلمش حد عن السلام ولا يتكلمش حد عن الحقوق ولا يتكلمش حد عن أى حاجة .

إذن واضح أن هناك تحالف بين الدول الغربية الكبرى الممثلة أساساً فى أمريكا وبريطانيا مع إسرائيل . تحالف سياسى وهذا التحالف السياسى يدفع هذه الدول تدفعها وتمدها بالمعدات العسكرية .

إمبارح وأول إمبارح كل العالم بيتكلم على شرم الشيخ وعلى الملاحة فى خليج العقبة وعلى ميناء ايلات .. النهارده الصبح أنا سمعت راديو لندن بيقول ان عبد الناصر سنة ٥٦ تعهد بفتح خليج العقبة وطبعاً هذا الكلام لا نصيب له من الصحة .. هذا الكلام نقلاً عن جريدة بريطانية اسمها الديلى ميل . هذا الكلام لم يحدث .. عبد الناصر لا يمكن أن يفرط فى حق



من حقوق الجمهورية العربية المتحدة وزى ما قلت احنا لا يمكن أن نفرط فى حباية رمل من أرض بلدنا أو تراب بلدنا .

دلوقتى انتم أخذتم مسئولية ، القوات المسلحة احتلت امبارح شرم الشيخ وبعدين ما هو معنى احتلال القوات المسلحة لشرم الشيخ معناه تأكيد حقوقنا وتأكيد سيادتنا على خليج العقبة .. خليج العقبة يمثل المياه الإقليمية بتعتنا .. المصرية . ولا يمكن بأى حال من الأحوال إن احنا نسمح للعلم الإسرائيلى أن يمر فى خليج العقبة – بيهددوا بالحرب .. اليهود .. بنقول لهم أهلاً وسهلاً احنا مستعدين للحرب قواتنا المسلحة وشعبنا كلنا مستعين للحرب ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نتنازل عن حق من حقوقنا .

هذه المياه بتاعتنا وقد تكون الحرب فرصة علشان اليهود عشان إسرائيل وعشان رابين يختبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا إن الكلام اللى كتبوه على معركة سنة ٥٦ واحتلال سيناء كان كله كلام هجص فى هجص وكلام تخريف فى تخريف .

طبعاً هناك الاستعمار وهناك إسرائيل وهناك الرجعية عندنا الرجعية بتشكك فى كل شيء والحلف الإسلامى يتمثل الآن أساساً فى ٣ دول : المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية وإيران وقاعدين يقولوا إن الحلف الإسلامى ده هدفه تكتيل المسلمين ضد إسرائيل . أنا عايز من الحلف الإسلامى يخدم قضية فلسطين بشىء واحد بس انهم يمنعوا إمداد إسرائيل بالبترول – البترول النهارده اللى بيوصل لإسرائيل اللى بيوصل لإيلات هو بترول جاى من إحدى دول الحلف الإسلامى البترول جى من إيران إلى إيلات . ومن اللى بيمون النهارده إسرائيل بالبترول ؟ الذى يمون اليوم إسرائيل بالبترول هو الحلف الإسلامى إيران – ده الحلف الإسلامى حلف استعمارى ومادام حلف استعمارى معنى هذا أنه مع الصهيونية لأن الصهيونية هى الحلف الأساسى للاستعمار أما العالم العربى المعبأ النهارده وفى أعلى ذرى التعبئة والعالم العربى بيعرف كل هذه الأمور وهو اللى بيستطيع إنه يتعامل مع عملاء الاستعمار ومع حلفاء الصهيونية ومع الطابور الخامس .

بيقولوا إنهم عايزين ينسقوا خططهم معانا ، لا نستطيع أن ننسق خططنا مع أعضاء الحلف الإسلامى أبداً لأن معنى هذا إن إحنا بندى خططنا لليهود بندى خططنا لإسرائيل وإحنا النهاردة فى معركة جديدة إحنا لما قلنا إن إحنا مستعدين ندخل المعركة كنا نعنى أننا سندخل المعركة فعلاً إذا تعرضت سوريا أو أى دولة عربية أخرى للعدوان . النهاردة القوات المسلحة موجودة فى كل مكان .. الجيش معبأ ، والقوات المسلحة كلها معبأة والشعب كله معبأ ، الشعب كله من وراكم يدعو لكم بالليل والنهار ويشعر وأنتم أبناؤه أنكر فخر لأمته وفخر

للأمة العربية – الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى خارج مصر يشعر بهذا الشعور نحوكم ونحن ، على ثقة إنكم ستؤدوا الأمانة . كل واحد فينا مستعد يموت ولا يضحى برملة من أرض بلده وإن ده أشرف شيء لنا أشرف شيء إن إحنا ندافع عن بلدنا وبعدين مش هتخوفنا حملات الصهيونية ولا حملات الرجعية إحنا إستقلينا وذقنا طعم الحرية وبنينا جيش وطنى قوى وحققنا أهدافنا وبنبنى بلدنا والنهاردة فيه حملة نفسية وحملة تشكيك ولكن إحنا كل ده نتركه ورانا ونسير فى طريق النصر والله يوفقكم .

يعد هذا الخطاب الشهادة الحية كانت الهزيمة التى يعتبر عبد الناصر المسئول الأول عنها .

(٢) شهادة عبد الحكيم عامر :

لم يمهل القدر عبد الحكيم عامر ليقول شهادته ، فلقد قتل قبل أن يفكر جيداً فيما سيقوله ، ورغم ذلك كانت هناك وثيقة هامة تكشف عن شهادة عبد الحكيم عامر ننقلها هنا بأمانه ، وهى شهادة كانت عبارة عن (بيان سياسى) كان عبد الحكيم عامر يريد إذاعته من الإسماعيلية فى حالة هروبه ، فماذا يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب نائب أول رئيس الجمهورية
ونائب القائد الأعلى

عبد الحكيم عامر (يتحدث إليكم) (وهذه العبارة الأخيرة بين القوسين مشطوبة فى الوثيقة ، وإن كان يمكن تمييزها من الظهر) .

إن الأحداث المتلاحقة التى يمر بها الشعب المصرى الكريم منذ شهر مايو جعلته يعيش أقسى مراحل كفاحه الطويل على أبواب الإطاحة بمكاسبه الثورية بين الأمل فى الحفاظ عليها واليأس من بلوغ ذلك ، وساعده فى الوصول إلى هذه المرحلة غموض الرؤية أمامه والمراهقة الفكرية التى يعيشها نتيجة إخفاء الحقيقة وضياعه بين التفسيرات العديدة التى تقدم إليه ، والكلمات المحفوظة عالية الرنين والتى تشيع فيه روح التردد الذى يصاحب دائماً البعد عن الحقائق .

إن المرحلة التى يعيشها شعبنا الكريم توجب على أن اتقدم بتوضيح الأمور لرفع كابوس الكتمان عن المواطنين . فليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخدع الجماهير ، وإنما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صاحبة الحق صورة كاملة لكل الأحداث التى تمس حقها فى كفاحها وفى ثورتها ... حتى لا تعيش حياتها فى فراغ الخداع

والتضليل والتردد ، فليس هناك شعب يستطيع ان يبدا تقدمه من فراغ ، وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .. وحتى لا تعيش الجماهير إسيرة الإرهاب المعنوى الذى يعرقل حقها فى التجربة .. والخطأ على طريق كفاحها الطويل ، وعلى أساس من ثقتها فى نفسها وفى قدراتها .

أن تقييم الأحداث تقييماً حقيقياً وصريحاً يعيد للجماهير الثقة فى نفسها ويعيدها إلى طريق الكفاح والجهاد باطمئنان كامل وتقدير عميق لمسئولياتها بلوغاً لأمالها .. ولتبدأ العمل على أسس صحيحة ومبادىء راسخة نابعة عن حق الشعب فى إشراكه إشراكاً كلياً وبدون قيود فى الأحداث القادمة واتخاذ القرارات السليمة التى تستلزمها طبيعة هذه المرحلة .

وسأبدأ اليوم بالكلام عن تدخل السياسة وتأثيرها على المعركة العسكرية يوم ٥ يونيو ، وكيف دفعنا إلى المعركة :

ويلزمنى الآن أن أرتب الحوادث على ضوء تقديرى لها ومتطوراً مع النتائج التى ترتبت على هذه الحوادث .

التهديد بغزو سوريا :

ــ يوم ١٣ مايو وردت معلومات من الإتحاد السوفيتى إلى رئاسة الجمهورية عن طريق سفيرنا بها تفيد بأن إسرائيل حشدت حشوداً ضخمة أمام الجبهة السورية بغرض الهجوم عليها والإستيلاء على دمشق بغرض تغيير نظام الحكم التقدمى بها .

ــ كما أكدت هذه المعلومات للسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة الذى كان يزور موسكو فى مطلع شهر يونيو وطلب منه إبلاغ هذه المعلومات إلى القاهرة ثم تأكيدها فور وصوله .

ــ كما حددت معلومات الإتحاد السوفيتى موعداً للهجوم الإسرائيلى على سوريا ما بين ٥/١٧ إلى ١٩٦٧/٥/٢١م .

ما ترتب على تبليغات الإتحاد السوفيتى :

ــ بناء على هذا التبليغ المؤكد طلبنى الرئيس جمال عبد الناصر وأخطرنى بمضمون هذه المعلومات ، وأشار إلى أن الإتحاد السوفيتى يرى أن نتخذ الخطوات الوقائية من جانبنا لإيقاف إسرائيل عن تنفيذ نواياها ضد سوريا مع تجنب العمليات الحربية بقدر الإمكان .



يصعد إلى سيارة يمضي بها إلى مناورة عسكرية

ـ وتقرر فى هذا الإجتماع البدء فورا فى حشد جزء من قواتنا المسلحة إلى سيناء تنفيذاً لإحدى خططنا الدفاعية السابق التصديق على العمل بها هذا العام ، وذلك لضيق الوقت المتيسر بين ٥/١٤ يوم الإجتماع و ٥/١٧ اليوم المتوقع لبدء الهجوم الإسرائيلى .

ثم التفكير فوراً فيما يتخذ لتحقيق الهدف الذى إستحدث نتيجة المعلومات السوفيتية .

وقد بدأت القوات المسلحة بتنفيذ المرحلة الأولى للعملية ، واتخذت إماكنها بأسرع وأدق وأنجح ما تكون عليه القوات من نظام وتدريب .

بعض الملاحظات الهامة :

ارتباط القوات المسلحة بالهدف السياسى :

وأريد هنا أن يعلم الجميع بأن لكل دولة إستراتيجيتها السياسية التى يتحدد معها واجب القوات المسلحة لفترة معينة . فإما أن يكون واجبها عمليات هجومية أو عمليات دفاعية وذلك حتى يمكن إعداد القوات المسلحة مسبقاً للتحضير لأسلوبها القتالى المحدد وما يتطلبه من إعداد وتجهيز للقوات والجبهات . وقد كان واجب القوات المسلحة هذا العام هى الخطة الدفاعية فى شبه جزيرة سيناء وذلك بالنسبة لأفرع القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية .

فكرة الخطة على ضوء الهدف السياسى :

كان الهدف السياسى لعملية الحشد العسكرى فى البداية هو تشتيت القوات الإسرائيلية ، وسحب جزء كبير من حشودها من الجبهة السورية ، وهذا لا يتحقق بإتخاذ أوضاع دفاعية صرفة لأن العمليات الدفاعية لا إجبار فيها لتحرك العدو ، ولذا كانت العمليات الهجومية واجبة التفكير من جانبنا لإجبار العدو لمقاتلة قواتنا فى الزمان والمكان الذى نختاره حتى نحقق مفاجأة العدو ويكون لدينا حربنا المناورة والعمل بقواتنا .

الخطة العسكرية :

وقد إختبرت أنسب الخطط الهجومية لتحقيق هذا الهدف ، وأختير لها إسم العملية « فجر » التى تحقق عزل النقب الجنوبى مع تثبيت الجبهة الوسطى أمام العوجة . وفى نفس الوقت تقوم بتدمير العدو المتاخم للحدود بين العريش ورفح حتى نجذب جزء من قواته لتخفيف الضغط عن قواتنا المهاجمة حتى يتم الإستيلاء على الخط المحدد والإتصال بالحدود الأردنية .

كما تقوم قوات الصاعقة بتدمير القوات والمنشات الإسرائيلية بمنطقة ميناء إيلات . كما تدفع قوات صاعقة أخرى داخل إسرائيل من الحدود الأردنية للقيام بعمليات الإغارات للإزعاج .

وأختير لتنفيذ هذه الخطة ما يناسبها من الخطط الجوية والبحرية لتحقيق الحماية وسرعة النصر .

تفقد القوات المتحركة :

وتوجهت يوم ٥/٢١ إلى سيناء حيث تفقدت القوات واطمأننت إلى تمام إستعدادها وقدرتها على القتال بروح عالية .

مؤتمر القادة :

وأصدرت توجيهاتى للقيادات ذات الإختصاص لتنفيذ الخطة « فجر » وبدأت فعلاً هذه القيادات فى التحضير لهذه العملية .

وحددت يوم ٥/٢٥ للإستماع إلى قرار قائد المنطقة الشرقية بحضور قائد الجبهة وقادة الأسلحة .

كما أخطرت الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الميعاد .

عرض قرار قائد المنطقة الشرقية :

ــ يوم ٥/٢٤ حضر قائد المنطقة الشرقية وتواجد قائد الجبهة وقائد القوات الجوية والبحرية ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكبار ضباط هيئة العمليات الحربية .

وقد حضر الرئيس جمال عبد الناصر وبصحبته السيد / زكريا محيى الدين .

ــ بدأ قائد المنطقة الشرقية فى عرض قراره .

ــ ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يصدق على القرار لإعتبارين هما :

* لم يقتنع الرئيس بتصورنا لأعمال العدو المنتظرة واستبعد هجومهم على الجبهة المصرية . بل كان توقعه أنه ليس أمام إسرائيل إلا مهاجمة قطاع غزة وفصله والمساومة به على فتح خليج العقبة .

* لا يمكن السماح للقوات المصرية أو العربية بالبدء بالعمليات الهجومية إلا إذا بدأت إسرائيل .

وذلك تنفيذاً للوعود التى أعطاها الرئيس جمال عبد الناصر للجهات السياسية وما أوضحه للصحافة العالمية .

ــ وبناء على هذين العاملين أصدر الرئيس « جمال عبد الناصر » بصفته رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة توجيهاً كما يلى :

* على القوات العربية إتخاذ الأوضاع الدفاعية وعدم القيام بأى أعمال تعرضية ما لم يبدأ العدو بعمليات داخل الحدود العربية ولفت النظر إلى وجوب تقوية دفاعات غزة والتركيز ومنع سقوط منطقة رفح .

*** تعليق :**

ــ ولن أتعرض للتعليق على هذا التوجيه . وأرجىء ذلك للحديث عن المعركة من الناحية الحربية .

ــ ولكن كل ما أود ذكره هنا - حتى لا يغفله التاريخ - أن كل ما توقعناه فى دراستنا لأعمال العدو جاءت مطابقة تماماً لما قام به العدو فى هجومه على قواتنا يوم ١٩٦٧/٦/٥م .

*** ما ترتب على توجيه السيد / الرئيس :**

ــ ونتيجة لما ذكر إضطررنا لإتخاذ الأوضاع الدفاعية إنتظاراً للهجوم الإسرائيلى ، وزادت أعباء الدفاع عما كان مخططاً . وزادت تحركات الوحدات وتغيرت واجباتها السابق تدريبها عليها .

(ولن أطيل فى هذه النقطة لأنها تتعلق أساساً بالمعركة من ناحيتها الحربية) .

*** الإجتماع الثانى للرئيس بالقادة :**

ــ طلب الرئيس جمال عبد الناصر الإجتماع بقادة القوات المسلحة ، وذلك بمناسبة تعيين موشى ديان وزيراً للحربية فى الحكومة الإسرائيلية .

ــ وأوضح رئيس الجمهورية والقائد الأعلى بأن تعيين موشى ديان يؤكد قيام إسرائيل بالهجوم . وأن الحرب مؤكدة .

ــ ناقش الرئيس القادة فى الموقف . وطلب الفريق أول صدقى محمود الكلمة[*] قائلاً : « إذا أخذ العدو الضربة الأولى منا فستكون ضربته معجزة لطائراتنا ولذا أرجو أن نعطى فرصة الضربة الأولى وتكون من جانبنا .

ـ ولكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض أن نقوم بالضربة الأولى قائلاً أن الوضع السياسى لا يمكنا من ذلك .

* **التدخل السياسى لخداعنا :**

ـ لم تكتف العوامل السياسية بالتداخل فى أعمالنا العسكرية لتغيير سياستنا القتالية يوم ٦/٢٤ ولكن توالت الأحداث وسيطر النفوذ السياسى بألاعيبه وخداعه واشتركت الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى فى الوصول إلى ما أخرجنا عن تحقيق أهدافنا .

وفيما يلى بعض ما حدث :

* أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الإتحاد السوفيتى بأنها تطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ضبط النفس وعدم البدء فى العدوان . وخصوصاً وإن إسرائيل لن تبدأ بالعدوان .

* قابل السفير الروسى الرئيس جمال عبد الناصر الساعة ٣,٣٠ يوم ٥/٢٧ وأبلغه أن الولايات المتحدة الأمريكية علمت بأن ج . ع . م . ستقوم بالهجوم على أسرائيل وإنهم ينصحون بعدم البدء بالعدوان . وينصح الإتحاد السوفيتى هو الآخر بذلك ولا سيما أن إسرائيل لن تعتدى .

* قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة السيد / زكريا محيى الدين لزيارتها للتفاهم بشأن الموقف فى الشرق الأوسط ، وحدد لذلك يوم ١٩٦٧/٦/٧م أى بعد بدء العدوان بثمان وأربعين ساعة .

موقف الإتحاد السوفيتى :

ـ ثبت أن المعلومات التى أرسلت من الإتحاد السوفيتى يوم ٥/١٣ عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا لم تؤكد من الجانب السورى . بل لقد دهش السوريون لإتخاذ هذه الإجراءات التى لا داعى لها ، وذلك كما جاء فى المعلومات التى أدلى بها أحمد سويدان وزير الدفاع السورى للفريق أول محمد فوزى أثناء زيارته لسوريا . وقد ذكر له الوزير السورى أنه لا حشود إسرائيلية على حدود سوريا .

ـ ونتيجة لذلك كلف وزير الحربية فى ج . ع . م أثناء زيارته للإتحاد السوفيتى يوم ٥/٢٥ بتأكيد معلومات الحشود أمام الجبهة السورية . وبحث الغرض مِّن إعطاء هذه المعلومات .

ــ وقد ذكر له اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الإتحاد السوفيتى أن المعلومات التى سلناها لكم دقيقة وصحيحة ولا تقبل أى شك .

ــ كلف الوزير شمس بدران بشرح الموقف السياسى الخاص بـ ج . ع . م للإتحاد سوفيتى ومعرفة موقفهم بالنسبة لنا فى الظروف التى تمر بها البلاد من أزمة الشرق لأوسط .

ــ وقد قال كوسيجين فى هذا المجال إكتفوا بما كسبتم سياسياً ولا تطوروا المعركة عسكرياً وهذه نصيحتى .

ــ كما أوضح وزير الحربية المصرى أنه إجتمع بكوسيجين وجردنيف وأنهم سوف يدخلون الحرب معنا إذا كان هناك حرب .

وإن الأسطول السوفيتى يوجد الآن فى البحر الأبيض المتوسط قرب شواطئكم وبه مدمرات والغواصات مسلحة بالصواريخ وأسلحة لا تعلموها .

واختتم وزير الحربية السوفيتى حديثه قائلاً ... أريد أن أؤكد لكم أنه إذا حدث شىء وإحتجتم لنا ... فبمجرد إرسال إشارة لنا نحضر لكم فوراً فى بور سعيد أو فى أى مكان .

ــ كلف الوزير شمس بدران بدراسة الحصول على أسلحة عاجلة مضادة للطائرات مع باقى الأسلحة التى سبق التعاقد عليها ، ومنها طائرات مقاتلة .

ــ ووافقت السلطات السوفيتية على جميع الطلبات ووعدوا بشحنها فوراً وبالطائرات عن طريق مرور طائراتها فى المجال الجوى ليوغوسلافيا ، وطلبوا من ج . ع . م أن تتصل بالرئيس تيتو للسماح لطائراتهم بالمرور . وفعلاً تم الإتصال بالرئيس تيتو ووافق على طلب ج . ع . م بمرور أى أعداد من الطائرات السوفيتية وفى أى وقت .

ولم تصل الطائرات السوفيتية فى الأوقات المحددة .

وإستدعينا السفير السوفيتى فذكر لنا أن يوغوسلافيا لم تعط الإذن بعد لمرور الطائرات . وأعدنا الإتصال بالرئيس تيتو فما كان منه إلا أن اجتمع بوزير الدفاع اليوغسلافى بحضور السفير المصرى والسفير السوفيتى ، وقرر وزير الدفاع فى هذا الإجتماع أنه أصدر تعليماته بالأذن بمرور الطائرات وبمجرد تصديق الرئيس تيتو مباشرة .

ــ طلبنا من الإتحاد السوفيتى ما لديه من معلومات عن قوة إسرائيل نظراً لعلمنا بما لديهم من أقمار صناعية ومقدرة الأسطول السوفيتى من معرفة ما وصلهم من إمدادات

ومعرفة نشاطهم الجوى وحشودهم البرية .

ــ فما كان من الملحق العسكرى السوفيتي إلا أن ذكر عدد الدبابات التى لدى إسرائيل ولم تفرق عن معلوماتنا كثيراً . ولم يذكر شيئاً فيما عدا ذلك مما يفيدنا فى مقاتلة العدو الذى قام بمفاجأتنا .

ــ أثناء المعركة وفى يوم ٦/٦ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجلس الأمن بمشروع إيقاف إطلاق النار كما طلب الإتحاد السوفيتى وأضاف سحب القوات الإسرائيلية . ووافق مجلس الأمن على المشروع الأمريكى وكانت قواتنا ما زالت فى النطاق الثانى وبعض وحدات النطاق الأول متمسكة بمواقعها .

ــ قابلنى السفير السوفيتى وطلب منى الموافقة على إيقاف القتال والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى خليج العقبة دون حمل أعلام الدولة على السفن .

ــ وما كان إلا أن أخبرت السفير السوفيتى بأننا نوافق على وقف إطلاق النار ، وإنما نريد ضمان الحكومة السوفيتية بأن ينفذ القرار فى ميعاده فوراً ولا سيما وأن قرار مجلس الأمن صدر بالإجماع . ورجوته الرد بضمان حكومته قبل صباح الباكر . ولكن السفير ذهب ولم يعد . واتصلت بالسفير ولكن كان جوابه عن عدم الرد فى الميعاد أن حكومته لم ترد عليه .

ــ ونتيجة لكل ذلك .. اضطررنا لإصدار أمر الإنسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال .

* **موقف الولايات المتحدة الأمريكية :**

ــ زودت أمريكا إسرائيل بكل المعومات التفصيلية عن كل حشودنا ومواقعنا الدفاعية مستغلين أقمارهم الصناعية وبالإستكشاف الجوى ورادارات الأسطول السادس بالبحر الأبيض المتوسط .

ــ قاموا بحماية إسرائيل جوياً أثناء قيام قواتهم الجوية بضرب المطارات العربية وأثناء هجومهم البرى .

ــ إستغلوا وجود الأسطول السادس بالبحر الأبيض واعتبر احتياطى استراتيجى للدولة الإسرائيلية .

ـ إلتقاط الإشارات الشفرية العربية وحلها أولاً بأول وإرسالها إلى القوات الإسرائيلية المهاجمة والتداخل بالشوشرة على المحطات اللاسلكية العربية وإيقاف الإتصال بين الوحدات العربية أثناء المعركة مما ساعد على شل إدارة المعارك فى أكثر المناطق الدفاعية .

ـ مساعدة إسرائيل فى المحافل الدولية والوقوف بجوارها ضد العرب وتكتيل الدول المشتركة فى هيئة الأمم المتحدة للتصويت فى صالح إسرائيل وضد أى مشروع آخر يقدم من أى جانب .

* وأخيراً فإننى حاولت عدم التعرض للنواحى العسكرية البحتة إلا بما يجعل الموضوع السياسى مفهوماً ، وأعدكم بإذن الله أن أشرح بالتفصيل ظروف المعركة وكيف دارت ، وكيف قضى على مطاراتنا فى الساعات الأولى من المعركة ، وكيف أدى جنودنا البواسل دورهم فى المعركة بإيمان وشرف الرجال واستشهد منهم الكثيرين وكتبوا بدمائهم صفحات مشرفة للقوات المسلحة فى تاريخها المشرف منذ قامت بدورها الخالد من أجل هذا الوطن ولمجد هذا الوطن .

وعلى سبيل المثال فقد إستشهد قائد الفرقة الموجودة فى رفح فى أول ساعات المعركة وكذلك استشهد مساعده وهما برتبة اللواء . هذا بخلاف قادة الألوية اللذين إستشهدوا أو جرحوا .. وكثيرون غيرهم قدموا صفحات الفخار تضحية وبذلا فى معركة سيطر فيها العدو بطيرانه وصمدت قواتنا بشرف وكرامة وأدت واجبها الذى كلفت به خير أداء .

والله المـــــوفق

(٣) شهادة اللواء طيار / عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية :

ماذا لديه ليقول ؟

لقد كان القائد الأعلى للقوات المسلحة (المشير عبد الحكيم عامر وكذا القائد العام وطاقم قيادته وقائد جيش الميدان بطاقم قيادته وكذا أغلب قواد الفرق وبعض الألوية جميعهم غائبين عن مراكز قيادتهم) . كلهم ذهبوا فى زفة مع المشير . كنت مدعواً - أو مأموراً بالذهاب إليها - ولكنى رفضت .. لقد طلبوا منى الإنضمام للقادة الذين سيلتقونه صباح ٥ يونيو فى مطار تمادة .

كان الهدف تفقد قوات الجبهة .. ولكن الطائرة التى كانت تقل الجميل إضطرت للعودة إلى القاهرة لعدم إمكانها الهبوط فى أى مطار فى سيناء أو منطقة القناة حيث كانت كلها تقصف بالطائرات الإسرائيلية ، وكان ذلك أخطاراً لهم ببدء الحرب .. وفى نفس الوقت

كان الفريق مرتجى قائد مراكز القيادة المتقدم واللواء أحمد إسماعيل رئيس أركانه والفريق صلاح محسن قائد الجيش الميدانى يتجمعون فى مطر تمادة ليكونوا فى إستقبال المشير عامر عند وصوله بعيدين عن مراكز قياداتهم وقد قامت الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة المطار أثناء وجودهم فيه .

رفضت مقابلة المشير :

قالوا لى إن لم تقابل المشير معنا فسوف نحاكمك . وقلت لصدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى كيف تغيب عن الميدان .. إنك بهذا تكون «صفراً» .. ليس صفراً على الشمال وإنما صفراً تحت الصفر » وسألته : ماذا يحدث إذا وقع شيء .. وأنا قائد للمعركة .. فرد صدقى محمود « إذهب وقابل المشير » .. ورفضت بحسم .. لم أذهب للمشير .. ولا لحسين الشافعى .. نائب رئيس الجمهورية .. وكان قد إستقل وطاهر يحيى رئيس وزراء العراق ويرافقهما عدد من كبار المسئولين طائرة حربية قصدوا بها منطقة القناة .. ولدى هبوطهم مطار فايد .. فوجئوا بقصف جوى مركز ..

لم أذهب إلى زفة المشير .. لأننى أعرف أنه لا توجد حرب فى التاريخ تدار بدون قادة ..

لكننى فيما بعد عرفت أن هناك حرباً واحدة فى التاريخ حدث لها ذلك وهى حرب ٦٧ .. وكنت القائد الوحيد الذى ظل فى ميدانه بقواته .. وكنت غير مطمئن ويساورنى شك وريبة .

أما الواقعة الثانية والتى كانت كفيلة أيضاً بتحقيق الهزيمة فهى واقعة « العنب » !

والقصة أن الفريق عبد المنعم رياض قائد القوات الأردنية المسلحة كان اتفق مع اللواء الجوى مصطفى الحناوى مساعده لشئون القوات الجوية على شفرة معينة .. تنطلق من منطقة عجلون إلى القاهرة فى حالة رصد تحركات مغيرة من إسرائيل .. ومنطقة عجلون هذه تقع فى الأردن .. بإرتفاع ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر .. وفيها جهاز رادارى متقدم يقول بكشف معظم مناطق إسرائيل .. وفى مقدوره أن يرصد قيام أية طائرات إسرائيلية فى إتجاه مصر والإبلاغ عنها قبل أن تصل هذه الطائرات إلى أهدافها .. وهو ما يعطى وقتاً للإستعداد واتفق « رياض » مع « الحناوى » على كلمة سر تنطلق من الأردن إلى قيادة الدفاع الجوى المصرى إذا إنطلقت ، طائرات إسرائيل .

وكانت كلمة السر « عنب » .. وبالفعل فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧م رصدت محطة

عجلوا قيام سرب جوى إسرائيلى بالتوجه إلى مصر .. وبعث عبد المنعم رياض بالإشارة المنتظرة .

وأنا لم أعرف أن عبد المنعم رياض أرسل الإشارة إلا أثناء المحاكمة وعندما جاء إلى المحكمة سألته :

ألم نتفق على أنك تبعث لنا بإشارة تخطرنا فيها بتحرك القوات الإسرائيلية ؟

فقال : نعم .

قلت : لماذا لم ترسلها لى ؟

فقال : بعثتها .. وكررتها ثلاث مرات ..

ويبدو أن هناك من الفوضى ما جعل أحداً يغير من تردد ذبذبات محطة إستقبال الإشارة .. دون أن يخطر أحداً بذلك وسألت رياض فى المحكمة (التى كانت تنظر فى الإتهامات المنسوبة لى) وما رأيك لو كانت هذه الإشارة (كلمة السر) وصلتنى .. فرد من فوره «كانت غيرت مجرى التاريخ» .

لقد فوجئت – رغم استعدادى الكامل للصد وقدرتى على الردع – بالعدو الجوى يدمر الممرات التى تقلع منها وتهبط عليها طائراتى التى ستتولى الصد والردع .. هناك كارثة أخرى وقعت وهى أن مقر القيادة العليا للقوات المسلحة فى مركز العمليات كان مغلقاً صباح يوم العدوان بالضبة والمفتاح .. وكانت الضبة والمفتاح فى يد الفريق فوزى .

وسوف نتوقف طويلاً عن دور الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة . لقد تجاهل عامر وفوزى (وسوف نستشهد على كلامنها من حيثيات حكم المحكمة العسكرية الأولى التى حكمت ببراءتى الأولى) تحذير السيد رئيس الجمهورية للقادة العسكريين ، فقد حذر جمال عبد الناصر فى مؤتمر القيادة العليا للقوات المسلحة مساء يوم ١٩٦٧/٦/٢م بأن إسرائيل ستبادر بالعدوان على مصر .. ورجح عبد الناصر يوم ٥ يونيو على أنه اليوم الذى ستهاجم فيه إسرائيل القواعد الجوية كان تحذير عبد الناصر واضحاً .. لكن ماذا حدث .

فى يوم ٥ يونية كانت هناك تحركات للمشير .. ولنائب رئيس الجمهورية .. الأول إلى سيناء والثانى إلى القناة .. والمنطقتان كلتاهما تحت قيادتى تأتمران بأمرى وكنت مسئولاً عن أى إهمال أو خطأ وتحركات جوية كثيرة أخرى كانت تستلزم تقييد المدفعية أتوماتيكياً كما تنص الأوامر الجوية فى كل أنحاء العالم خوفاً على سلامة الطائرات

الصديقة .. ومن أجل تلك التحركات الكثيفة الفردية فى هذا اليوم المحدد للهجوم كانت مدفعية القناة مقيدة ومدفعية سيناء مقيدة وكان العدو - ما من شك - على علم تام بتلك التحركات التى تستلزم تقييد المدفعية .

هذا من جانب ومن جانب آخر .. وهو من أغرب « وأريب » ما حدث أن إنذار الرئيس بتوقع الضربة يوم الاثنين ٥ يونيو لم يخطر به من كان يجب إخطارهم به .. قبل أى أحد .. وهم قائد الجبهة المصرية الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى وقائد الجبهة الأردنية الفريق عبد المنعم رياض وقائد الجبهة السورية وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى عن منطقة القناة وشبه جزيرة سيناء وهو أنا .. أفلا يدعو ذلك إلى الريبة .. وإلى طرح علامات استفهام كبيرة تفوح منها روائح كريهة ؟

على أن هناك ما ينبغى أن نتوقف عنهد قليلاً .. ويقودنا إلى ما قدمه فوزى لأمته .. والبداية كانت قبل عشرة أيام من الضربة الجوية .. حيث وضعت مؤامرة استهدفتنى .. بعد تحذيرى للرئيس عبد الناصر من أن القرارت التى تؤخذ ليست صحيحة .. وهذا ثابت . وقد نشره السادات بوثائق وصور فى جريدة مايو في مقالات بعث بها إلى الصحيفة عام ١٩٨١ .. ونشرت قبل وأثناء وبعد إغتياله .

لقد حاول الوشاة أن ينقلوا إلى رئيس أركان القوات الجوية - وتطوع بالمهمة رئيس فرع الأمن - إننى لا أنفذ أمر القتال الخاص بالمظلات .. ولكن رئيس الأركان (القوات الجوية) استطاع أن يتأكد من كذب هذا الإدعاء .

حتى عبد الناصر :

لكن الرئيس جمال عبد الناصر - وهذا يستحق وقفة - قال فى أجهزة الإعلام أن سبب هزيمة ١٩٦٧م يعود إلى عدم قيام القوات الجوية بإخراج مظلات جوية بعد إنذاره لها فانكشف الجيش وحدث ما حدث .

كبش الفداء :

ويبدو أن جمال عبد الناصر وتابعيه قرروا أن أكون أنا كبش الفداء ..

ولكى نرد على ما قاله عبد الناصر فإننا نستشهد بكلام اللواء على منير عضو اليمين الثانى للمحكمة العسكرية العليا الأولى التى حاكمت قادة الطيران .. والذى ألف كتاباً بعنوان من هزيمة يونيو ١٩٦٧م إلى العبور العظيم عام ١٩٧٣م .. قال :

لكى تتضح الصورة فمن الأفضل أن أذكر التهم والجنايات التى إتهم بها قواد الطيران وأطبقها على الفرسان الثلاثة فوزى وصلاح وصادق الأمر الذى سيضع النقط فوق الحروف ومن ثم يكتب التاريخ الصحيح .

لقد أقيمت على الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى التهم الآتية وهى :

١ - عدم قيامه بإنشاء الدشم الكافية والمناسبة لحماية الطائرات .. الخ ، وهذه الجناية وهذا الإدعاء لابد أن يقام على الفريق أول فوزى رئيس الأركان والفريق صلاح محسن قائد جيش الميدان إذ أنه يقع تحت بند تجهيز مسرح العمليات والذى ثبت بالإجماع أنه لم يكن مجهزاً للحماية أو الحركة أو المرونة وما تسبب عن ذلك من زيادة ضخمة فى عدد القتلى والأسرى وتدمير كل نوعيات السلاح والإستيلاء على كميات منه كبيرة بدون إطلاق النار وعرضها فى معارض العدو .. إعلاناً عن الخزى والعار .

٢ - لعدم إصداره الأوامر الصريحة بإحتلال مراكز العمليات بالأطقم الكاملة .. الخ ، وتفادياً للتكرار فإن نفس الإتهام مقام على رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى وهنا يبرز الظلم والغدر والأفك والبهتان لأن الفريق فوزى ومعه الفريق صلاح محسن والأول هو الضابط الآمر بتشكيل المحكمة وهو الذى ألغاها وهو المهيمن عليها ارتكب جناية أكبر على مستوى إستراتيجى أعظم وهى أن مركز قيادة عملياته - كان مغلقاً كما أن الفريق صلاح محسن استدعى من مراكز العمليات قوادها ونوابهم ونواب نوابهم وهو وطاقمه بالكامل كانوا غائبين عن تلك المراكز والتى منها فقط وليس من أى مكان آخر تقاد القوات ويسيطر عليها وتدار رحى القتال .

ويشير حكم المحكمة العسكرية الأولى إلى مسئولية الفريق فوزى والتى تفوح منها روائح كريهة (!!!) حيث تقول الحيثيات ما نصه :

فتحت القيادة العليا للقوات المسلحة فى مراكز العمليات يوم ٦/٣ ثم عادت إلى أماكنها العادية فى السلم صباح يوم ٦/٤ رغم أن تلك المدة كانت داخلة فى توقيت تحذير السيد الرئيس (عبد الناصر) بتوقع ضربة العدو . هذا نص ما دونته المحكمة ، أما الشاهد (القاضى) على منير فيقول فى ص ٦١ ، ٦٢ :

وداع عند الفجر :

اشترك القادة فى توديع المشير عامر عند إقلاع طائرته صباح يوم ٥ يونيو ثم عادوا

إلى أماكنهم رغم أنه كان عليهم أن يعودوا إلى مراكز القيادات الميدانية التى أمر رئيس الأركان بفتحها فى الساعات الأولى من صباح يوم ٣ يونية أى بعد تلقى إنذار رئيس الجمهورية وتوقعه الضربة الجوية الإسرائيلية فى خلال ثلاثة أيام وكانوا قد تواجدوا فيها فعلاً ثم كانت المأساة أن رئيس الأركان نفسه الفريق فوزى ألغى هذا الأمر وطلب إلى القادة العودة إلى الوضع العادى .

هل حدث من فجر التاريخ إلى يومنا هذا وقائع تدعو إلى الريبة وإحداث تنطق بالخيانة مثل ما حدث من إغلاق مركز القيادة ؟ التساؤل لا يزال للواء طيار عبد الحميد الدغيدى .. لذى أضاف :

إن تلك الجريمة (إغلاق مركز القيادة – وغياب القادة – دون غيرها) والتى اقترفها فوزى ومحسن هى أكبر جناية تشهدها أمة .. وعقوبتها هى الإعدام ولذلك ما من شك كانت هى المشنقة الكبرى التى تلتف حول رقاب الاثنين ، وبمسك بطرفها الرئيس جمال عبد الناصر .

أما الجناية الثالثة المقامة على قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فهى :

عدم إنشائه دفاعاً ذا فاعلية للمراقبة والإنذار بالهجوم الجوى المنخفض للعدو ورغم علمه باحتمال هذا الهجوم مما ترتب عليه عدم وصول إنذار مبكر للقواعد المختلفة وعدم أركان صد الضربة الجوية المعادية . وهذه الجريمة على وجه أشد وأكثر يجب أن تسند إلى فوزى ومحسن فهما مسئولان تماماً عن منطقة الأمان ومهمتهما الأولى هى الإبلاغ والإنذار عن أى اختراق جوى للمجال الجوى ومسح العمليات والذى اخترقته طائرات إسرائيل وتعمقت فيه بأعداد هائلة ، وإنساق متعددة وعلى فترات زمنية متتابعة ولم تبلغ القوات الجوية باختراق واحد ولم تنذرها منطقة الأمان كذلك .

نقطة رابعة وأساسية لابد أن أشير إليها وهى بيت القصيد تقول .. لأنه – صدقى محمود فى فترة توليه القوات الجوية والدفاع الجوى بجهة القاهرة وبصفته قائداً للقوات الجوية والدفاع الجوى تسبب بإهماله فى عرقلة فوز القوات المسلحة وذلك بإعطائه تقديرات عسكرية وتقارير غير سليمة للقيادة العليا للقوات المسلحة عن موقف وإستعداد وكفاءة القوات الجوية وعن قدرتها على تلقى الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بتوجيه ضربة جوية مضادة للعدو رغم عدم إمكان تنفيذ ذلك لعدم كفاءة وسائل الدفاع الجوى ووجود نقص بها مما ترتب عليه أنه بنى تخطيط الدولة العسكرى على تقديرات غير صحيحة . الأمر الذى أدى إلى فشل المعركة وهزيمة القوات المسلحة أما التناقض ما بين الأعلى والأسفل

فهو واضح بليغ كالنور والظلام والنهار والليل .

إحتلال الأرض .. أولاً :

وتشير قرارات المحكمة إلى نقطة هامة فى نكسة يونيو ١٩٦٧م أن هناك اختلافاً طرأ فى توقع عبد الناصر لسير العدوان فالذى حدث أن إسرائيل لم تبدأ بالضربة الجوية فى يونيو ١٩٦٧م وإنما بدأت بضرب الجيش .

فى حوالى الساعة الخامسة والربع صباحاً بدأت القوات الإسرائيلية فى التحرك .. وأخذت فى طريقها لإحتلال منطقة « أم بسيس » .. ثم تعمقت داخل أرضنا بحوالى ١٢ كيلومتراً .. دون أن تفاجأ بأى مقاومة جوية تذكر .. ومن هنا قررت إسرائيل شن ضربة جوية مركزة وخاطفة ..

السبب فى هذا القرار أن طائرات المجهود الجوى لم تعترض إسرائيل خلال تعمقها فى الحدود المصرية ... ولم يطلب قائد الجيش هذه الطائرات فى مواجهة تقدم قوات العدو .. مع أنها قاعدة عسكرية معروفة .

قرار مناسب .. فى وقت غير مناسب :

وعندما حللت إسرائيل هذه النقطة تأكدت أن طائرات المجهود الجوى أصبحت معدة ضمن القوات الجوية التى سوف تفاجئها الضربة الجوية ومن ثم اضطرت إسرائيل للقيام بضربتها الجوية فى وقت غير مناسب بالنسبة لها لأن الضربات الجوية تبدأ من أول ضوء .. وسبقتنا فيه قبل أن نسبقها . ويقول اللواء الدغيدى :

حتى الساعة السابعة والنصف .. بل وأقل منها بكثير .. كان ممكنا صد القوات الإسرائيلية .. لولا القادة الغائبون عن مراكز العمليات .. وفى ظل هذا لم تجد القوات المسلحة سبيلاً إلا أن تهرول غرباً وتنجو بنفسها من موت محقق . فالعدو يطاردها .. والنيران تلاحقها ولا أحد يقودها .. أو يسيطر عليها .

إن قرار القوات الجوية والدفاع الجوى بخصوص صد الضربة الجوية المركزة وخططه معلومة ومصدق عليها قبل المعركة بشهور ..

ولكن المحكمة العسكرية تقول فى حيثيات حكمها ص ٩٣ فقرة (هـ) تحت عنوان تصديق القيادة العليا للقوات المسلحة على خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية يقول :

تبين للمحكمة أن المسئولين بالقيادة العليا للقوات المسلحة كانوا على علم تام بأوجه النقص المتعددة فى عناصر الدفاع الجوى كما أن خطة الدفاع الجوى كان قد صدق عليها نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بعد مناقشتها مناقشة طويلة فى مؤتمر حضره جميع المسئولين المختصين فى القيادة العليا .

بـــــراءة :

براءة حكمت بها المحكمة للقوات الجوية والدفاع الجوى بأنها قررت وخططت وصدق نائب القائد الأعلى على قرارها وخططها التى بينت فيها أوجه النقص المتعددة فى عناصر دفاعها الجوى وكانت نسبة الخسائر أكثر شيء إحتدم حوله النقاش .

وقد ثبت للمحكمة أن إدارة المخابرات الحربية لم تقدم إلى القوات الجوية أية معلومات عن قنبلة الممرات التى استخدمها العدو والتى كان لها بلا جدال تأثير كبير على سير المعركة وعدم إمكان صعود الطائرات .

كما ثبت للمحكمة أن المعلومات التى أرسلتها بخصوص مدى عمل الطائرات الميراج على الإرتفاع المنخفض (٣٠٠) كم كان لها تأثير عند وضع خطةالدفاع الجوى فاستبعد إمكان وصول هذه الطائرات إلى قواعدنا فى القتال والمنطقة المركزية مع أنها إستطاعت ذلك فعلاً يوم ٦/٥ ، وهذا يعنى أن اللواء صادق تسبب أولاً فى عدم إمكان إقلاع الطائرات للصد والردع ومن ثم تدمرت كقطع حديد على الأرض ، وتسبب ثانياً فى تدمير الغالبية الساحقة مما دمر من طائرات على إتساع مصر كلها فى منطقة الضباط وكان بها ٩٠٪ من مجموع طائرات الوطن والباقى تدمر بسبب تقارير المخابرات الكاذبة .

وهكذا .. فإن الجريمة التى أسندت للمتهم ارتكبها على قدر أكبر بكثير الفريق فوزى والفريق صلاح محسن واللواء صادق مدير المخابرات الحربية ومن العدل إنهم أكبر المتهمين .

أبقت جناية للفريق صدقى قائد الطيران وهى كسابقتها أسندت إليه بعد شهرين من المحاكمة وهى عدم توفير الإنذار المبكر مما أدى إلى عدم إعتراض طائراتنا لطائرات العدو والفارق بين الإنذار والإعتراض كبير لأن الإعتراض مستحيل ؟

إنتهت شهادته والتى تروى مع سابقتيها قصة أفدح هزيمة حاقت بمصر ولا زالت تدفع ثمنها .

سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧م .

فى هذه الجزئية ، وإكمالاً لحديث الوثائق ، نقدم تقرير لجان التحقيق العسكرية عن مدى إستعداد قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والطيران لحرب ١٩٦٧م ، وكيف أن الهزيمة كانت تحصيل حاصل ، وكانت أمراً مؤكداً :

(١) تقرير لجنة التحقيق العسكرية العليا لبحث أوضاع الطيران المصرى التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧م : النص النهائى لقرار المجلس (اللجنة) :

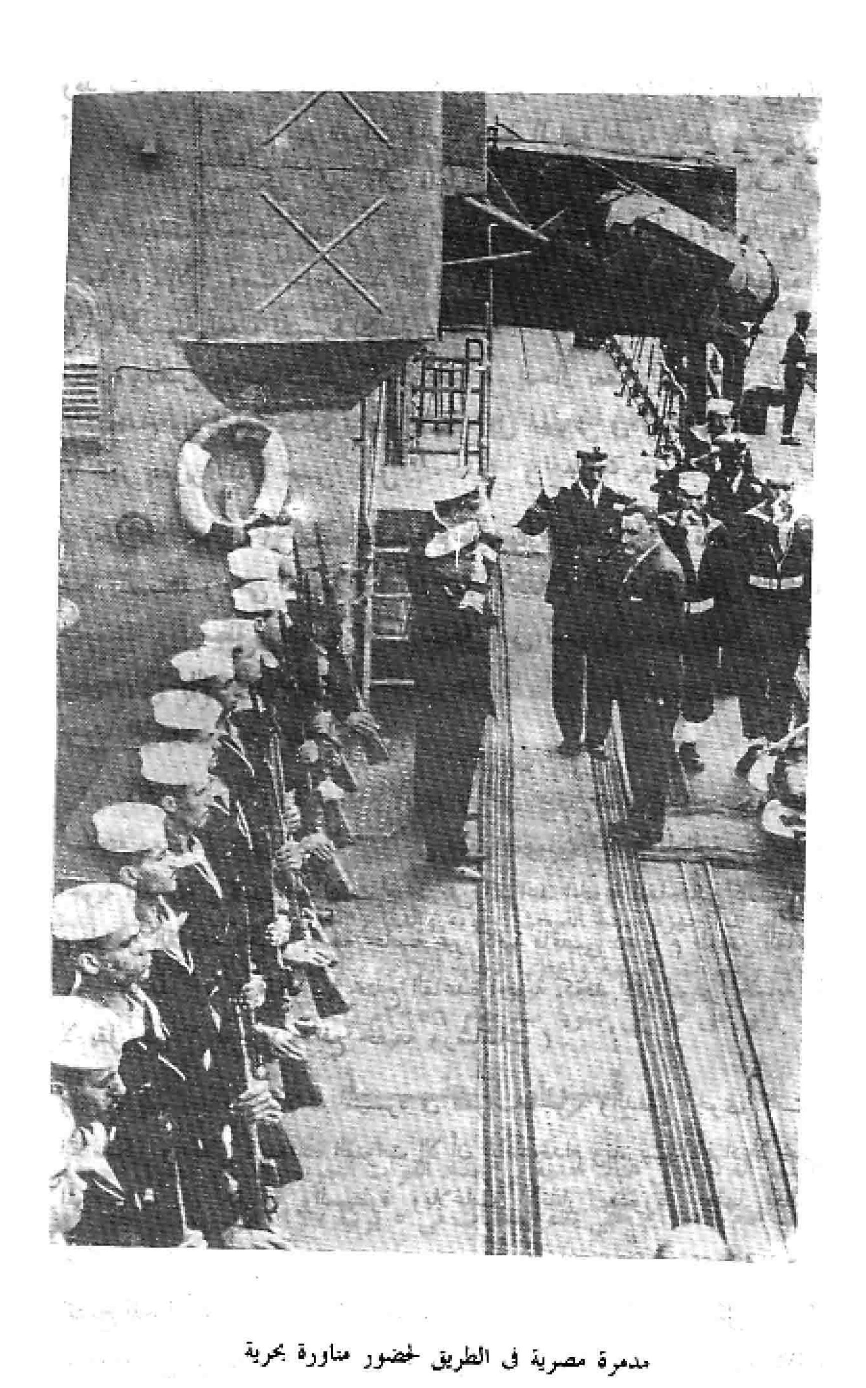
ثبت للمجلس وكان برئاسة اللواء حسن مطاوع بعد الإطلاع على أقوال المسئولين فى القوات الجوية والدفاع الجوى وعلى الأوامر والتعليمات والوثائق وبعد الإتصال بالمسئولين عن الميزانية فى القوات المسلحة والقوات الجوية الآتى :

١ - بالرغم من جميع المحاولات السابق ذكرها بخصوص إنشاء الدشم الخراسانية إلا أن القوات الجوية عندما أعلنت حالة الطوارىء يوم ١٩٦٧/٥/١٤م لم يكن لديها سوى دراوى ببعض القواعد الجوية بعضها كان منشأ والبعض الآخر كان جارى إنشاؤه بشكاير الرمل قبل بدء العدوان بحوالى ٣ أيام ولذلك واجهت القوات الجوية العدوان يوم ٦/٥ بدون دشم خراسانية توفر الوقاية الكافية للطائرات ضد تأثير الضربة الجوية المفاجئة .

٢ - بالرغم من إنشاء عدد ١١ ممر وقاعدة جوية فى الفترة من عام ١٩٥٦م حتى بدء إعلان حالة الطوارىء يوم ١٩٦٧/٥/١٤م علاوة على القواعد الجوية التى كانت موجودة قبل عام ١٩٥٦م إلا أن هذا العدد لم يكن يتناسب مع حجم القوات الجوية الذى تضاعف بعد عمليات ١٩٥٦م مع عدم الإهتمام بإنشاء ممرات الهبوط التبادلية لإستخدامها فى الحالات الإضطرارية عند تدمير الممرات والقواعد الأساسية وكذا فى الإنتشار ومفاجئة العدو عند قيامه بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية .

٣ - إتضح للجنة أن القوات الجوية لم تنظر لموضوع الإخفاء والتمويه بجدية إلا إبتداء من عام ١٩٦٤م وبالرغم من المحاولات التى بدأت فى صورة مشروعات بعد هذا التاريخ فإن العمليات بدأت والقواعد الجوية والمعدات الفنية بدون أى نوع من الأخفاء والتمويه .

٤ - هناك ثغرة فى الكشف الرادارى على الإرتفاعات المنخفضة جداً أقل من ٥٠٠ متر واتجهت القوات الجوية نحو الحصول على رادار مثل ب - ١٥ لتغطية هذه الثغرة



مدمرة مصرية فى الطريق لحضور مناورة بحرية

وقد ثبت للقوات الجوية فيما بعد أن هذه الأجهزة لا تحقق هذا الغرض على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تهتم القوات الجوية بنقط المراقبة الجوية بالنظر وتحسين وسائل الإتصال والتدريب لكى تكون ذات فاعلية فى الإنذار الجوى عن الأهداف التى تطير على ارتفاعات منخفضة جداً ولم يبدأ التفكير فى إعادة استخدامها بعد إلغاءها فى عام ١٩٥٨م ، إلا فى وقت متأخر منذ عام ١٩٦٤م ولم تكن هناك جدية وإعطاءها الأهمية إذ أنها الوسيلة الفعالة المتيسرة للإنذار بالضربة الجوية المفاجئة بدليل أنه بعد العمليات مباشرة وبنفس المواصلات التى كانت قائمة مع إدخال بعض التحسينات عليها وحسن الإستخدام والإشراف أمكن توصيل البلاغ إلى الجيوش فى فترة من ١ -١,٥ دقيقة كما ظهر بتقرير اللواء حسن كامل .

٥ - لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بجهاز الدفاع الجوى فالصواريخ والمدفعية م ط المتوسطة (وهى أسلحة الإشتباك ضد الأهداف الجوية التى تطير على إرتفاعات منخفضة ومتوسطة وعالية) كانت تشكل أعلى نسبة فى جهاز الدفاع الجوى بينما أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً على الإرتفاع أقل من ٥٠٠ متر كانت نسبتها أقل ومستوى تدريبها ضعيف .

وبذلك لم تكن هناك سياسة مرسومة نحو خلق جهاز دفاع جوى متوازن فى أسلحته ومتكامل لكى يكون قادر على صد الهجمات الجوية المعادية وخاصة الضربة الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية بصفة خاصة غير كافية فأقصى دفاع م ط عن القاعدة كان بفوج واحد ٥٧ مم فقط بينما تحتاج القاعدة الجوية كحد أدنى لتوفير الحماية لها بعدد لا يقل عن ٢ فوج (مدافع خفيفة ورشاشات) .

٦ - ولو أن شبكات المواصلات المتيسرة فى القوات الجوية والدفاع الجوى كانت تشمل اللاسلكى والخطى ومتعددة القنوات إلا أن الإستخدام وتدريب الأفراد لا يحقق نجاح المواصلات فى القيادة والسيطرة وبلاغات الإنذار بصورة تجعلها فعالة فورية ومستجيبة .

٧ - اتضح للجنة أنه رغم تصور قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى لشكل الضربة الجوية المفاجئة على الوجه السليم إلا أنها لم تقم بإجراء أى مشروع لتدريب كافة عناصر الدفاع الجوى على صد هذا النوع من الهجوم وكذا تدريب أطقم مراكز العمليات على المستويات المختلفة على التصرف الواجب اتباعه فى حالة حدوث الضربة الجوية

المفاجئة .

كما أن مستوى التدريب الذى وصلت إليه القوات الجوية والدفاع الجوى من نتائج تحليل المشروعات وكذا التفتيشات التى أجريت كان دون المستوى الذى يؤهلها للإشتراك بكفاءة فى العمليات الهجومية أو فى عمليات الدفاع الجوى وتأكيداً لذلك فقد فشلت أجهزة الدفاع الجوى فى صد واعتراض العدو من الطائرات التى اخترقت النطاق الجوى للجمهورية العربية المتحدة .

٨ – لم تتخذ خطوات إيجابية لتأهيل الأفراد ، الرئيسيين فى مراكز العمليات وإعدادهم. لتنفيذ واجباتهم فى معركة الدفاع الجوى .

٩ – اتضح للجنة بعد الإتصال بالمسئولين عن شئون الميزانية بالقوات المسلحة وبالمسئولين عن الشئون المالية والإدارية بالقوات الجوية الآتى :

(أ) أنه بعد اعتماد الميزانية يمكن للقوات الجوية فى حالة طلب تنفيذ بعض المشروعات ذات الأهمية التقدم للجهات المختصة بطلب تجاوز اعتماداتها مقابل وفر فى الإعتمادات الأخرى أو أن تقوم بنفسها بإعادة توزيع اعتمادات الأعمال الجديدة بما يتراءى لها .

(ب) حدثت تجاوزات فى إعتمادات القوات الجوية فى كثير من السنوات الأخيرة. وتم تسوية هذه التجاوزات بمعرفة الجهات المختصة .

(جـ) لو أن أجهزة قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى أصرت على عمل الدشم الخرسانية والممرات الفرعية وأعطتها العناية اللازمة والإصرار الكافى لكان من الممكن تدبيرها ولو على مراحل سنوياً منذ عام ١٩٥٦م .

قـــرار اللجنـــة

يرى المجلس أنه لم تكن هناك جدية فى إعداد القوات الجوية والدفاع الجوى للعمليات والقتال وأنه منذ عام ١٩٥٦م حتى بدء العمليات فى ٥ يونية ١٩٦٧م لم يمكن خلق جهاز دفاع جوى متكامل وقادر على الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة بكفاءة ضد العدو ورغم الإمكانيات التى أعطت للقوات الجوية للإعداد وللقيام بمهامها على الوجه الأكمل وذلك بأنه كان هناك تقصير فى إعداد الدشم الخرسانية والإهتمام بالإخفاء والتمويه لتوفير الحماية للطائرات رغم أن ذلك كان ممكناً على مدى ١١ عاماً تقريباً وكذا التقصير فى إنشاء ممرات الهبوط التبادلية وإنشاء شبكة مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها وضعف

مستوى التدريب فى مراكز العمليات بالمناطق والقواعد الجوية وكل هذه من الإجراءات التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة .

ويقول قرار اللجنة فى هذا الصدد :

بعد الإطلاع على الخطط والوثائق وأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى واللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى واللواء طيار محمود بركة رئيس شعبة العمليات ، والعقيد طيار محمود شاكر عبد المنعم ، والعقيد طيار حازم خلوصى من شعبة عمليات الدفاع الجوى ثبت للجنة الآتى .

أولاً : إن جهاز الدفاع الجوى بحالته قبل بدء العمليات كان غير قادر على صد الضربة الجوية المفاجئة لإسرائيل وليس كما جاء بأقوال قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى قرر أنه فى مقدور القوات الجوية صد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى وإن تقديره للخسائر المتوقعة من ١٥٪ - ٢٠٪ تحدثها إسرائيل وبعدها تستطيع قواتنا التعامل مع إسرائيل وحقيقة الأمر أن جهاز الدفاع الجوى لم يكن قادراً على تلقى الضربة المفاجئة وصدها للأسباب الآتية :

١ - الخطأ فى التخطيط لعمليات الدفاع الجوى :

أ - لم تبن الخطة على آخر موقف لقوة العدو الجوية فقد كانت الأعداد مختلفة والغريب أن خطة الدفاع الجوى استبعدت عدد ٥٠ طائرة سكاى هوك للعدو بينما خطة الدفاع الجوى الموضوعة لتنفيذ العمليات الهجومية (خطة فهد - ١) أدخلت فى اعتبارها هذا العدد رغم أن الخطتين تم عرضهما بواسطة رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى على رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى وتوقيعها منهما بتاريخ ١٩٦٧/٥/١٩م كما هو مبين فى هذه الخطط .

ب - لم يدخل فى الخطة أى اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من إرتفاعات منخفضة جداً وكان التخطيط مبنى على أساس الهجوم الجوى للعدو وسيتم على إرتفاعات ٥٠٠ متر فما فوق رغم تصور أسلوب الهجوم المتبع فى الضربة الجوية المفاجئة لدى جميع المسئولين عن وضع الخطط .

وبذلك أغفل هذا الإحتمال فى التقدير ولم يدخل فى الإعتبار الإجراءات اللازمة لمواجهة الضربة الجوية المفاجئة وتقليل آثارها .

جـ - الخطأ فى تقدير إمكانيات العدو وقدرته على ضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية فى وقت واحد علماً بأن مدى طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

د - الخطأ فى مقارنة القوات الجوية :

كان هناك تفوق عددى ونوعى لقوة إسرائيل الجوية كالآتى :

(١) جاء فى الخطة أن نسبة التفوق هى ١ : ١,٣ لصالح قواتنا الجوية بينما الحقيقة أن النسبة هى ١ : ١,٥ لصالح إسرائيل أى أن التفوق لصالح إسرائيل وليس لصالحنا ولم يبرز ذلك فى الخطة .

(٢) أغفل فى التقدير إحتمال قيام العدو بضربة جوية مفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً وهذا كان من أكثر العوامل إحتمالاً لأن العدو سوف يستغل الثغرة الموجودة لدينا فى التغطية الرادارية وعدم كفايات الدفاعات م ط على هذه الإرتفاعات وبذلك نجد أن مقارنة القوات تتأثر بهذا العامل لأنه على أحسن الظروف والأحوال لن يمكن لقواتنا الجوية إستخدام سوى طائرات حالات الإستعداد الأولى والثانية من واقع يوميات الإستعداد هذا على افتراض إقلاعها جميعها من قواعدها قبل مهاجمتها وبذلك تكون النسبة ١ : ٣ لصالح العدو أى أن العدو كان متفوقاً على قواتنا الجوية وقد أغفل ذلك فى الخطة .

هـ - لم يؤخذ فى الاعتبار أن جميع مطارات الجمهورية فى مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى احتياطات لتأمين الضربة المضادة .

٢ - عدم كفاية الدفاعات م ط وخاصة عن القواعد الجوية :

أ - أغلب القواعد الجوية مدافع عنها بواسطة فوج م ط خفيف من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات للقاعدة الجوية الواجب وهذا الدفاع يعتبر ضعيف جداً عند استخدامه فى صد الضربة الجوية المفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً .

ب - ترك قاعدة كبريت بدون دفاعات م ط بينما كان يوجد فوج ٥٧ مم تم توزيعه على سرايا الرادار فى سيناء بواقع سرية ٥٧ مم لكل سرية رادار والتى كان يدافع عنها بسراية رشاشات .

جـ - قاعدة إنشاص كانت، بدون رشاشات م ط ولم يكن بها سوى ٢ سرية ٥٧

مم ، ٢ سرية ٨٥ وهو عيار غير ملائم للإشتباك ضد طائرات ذات سرعات عالية وعلى إرتفاع ٣٠ متر وكذلك الحالة بالنسبة لقاعدة غرب القاهرة .

د - لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بمعنى عدم كفاية أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً ، ولم تعط العناية الواجبة للرشاشات م ط إلا فى وقت متأخر جداً حال دون إيجاد وحدات وأفراد مدربة جيداً على استخدام هذا السلاح فى التعامل مع الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة .

٣ - عدم وجود تغطية رادارية على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تكن هناك شبكة مراقبة جوية بالنظر ذات كفاءة ويمكن الإعتماد عليها فى التبليغ فوراً وبدون تأخير إلى مراكز العمليات عن أى اختراقات لنطاقنا الجوى على الإرتفاعات المنخفضة جداً ، وهى الوسيلة الفعالة الوحيدة لتغطية ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض بسبب عدم وجود الأجهزة الألكترونية المناسبة .

٤ - عدم وجود دشم خراسانية تحت الأرض لتوفير الوقاية للطائرات وكذا لم يكن هناك إخفاء وتمويه فى القواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى الأخرى بصورة فعالة وإيجابية .

٥ - عدم وجود ممرات هبوط تبادلية بالعدد الذى يتناسب مع حجم قواتنا الجوية ويسمح بتمركزها منتشرة فى أوضاع تقلل من تأثير الضربة الجوية المفاجئة وتجعلها قادرة بعد ذلك على القيام بالضربة المضادرة .

٦ - ضعف مستوى التدريب لجميع عناصر الدفاع الجوى وقد أثبتت ذلك المشروعات التعبوية التى أجريت وتقارير التفتيش التى قامت بها هيئة التفتيش والتدريب للقوات المسلحة فى إبريل ١٩٦٧م كما ثبت من واقع الأقوال عدم تفهم الأفراد لواجباتهم وخاصة فى جميع مراكز العمليات - ولم تكن هناك مشروعات بأهداف حقيقية تمثل الضربة الجوية المفاجئة على القواعد الجوية من ارتفاعات منخفضة جداً لتدريب الأفراد على أسلوب التصرف وكذا ملاقاة نواحى النقص وابتكار الوسائل التى تحقق التبليغ الفورى عند وقوع هجوم على القواعد الجوية - جميع هذه الأسباب السابق ذكرها كانت لا تمكن القوات الجوية من صد الضربة الجوية المفاجئة التى تقوم بها إسرائيل بنسبة خسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ ، تحدثها إسرائيل فى قواتنا الجوية ولهذا كان التقدير خاطىء وكان يجب توضيح هذه الحقيقة بالتفصيل عند عرض الخطة على الضابط المصدق وخاصة تفوق العدو على قواتنا

الجوية وعدم توفر الوسائل التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً وتوضيح عدم قدرة قواتنا الجوية بحالتها الحاضرة على تلقى الضربة الجوية المفاجئة وأن قبولها حتى من قوة إسرائيل فقط سيسبب خسائر فادحة بها .

ثانياً ثبت للجنة أن القوات الجوية بحالتها قبل بدء العمليات كانت فى موقف يجعلها غير قادرة على تلقى الضربة من إسرائيل وحدها ثم القيام بالضربة المضادة وليس كما جاء بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود وما ورد بخطة فهد - للأسباب الآتية :

١ - الخطأ فى تصور القيام بالضربة المضادة بعد تلقى الضربة الجوية المفاجئة وتعليق آمال كبيرة على قدرة جهاز الدفاع الجوى فى صد هذه الضربة بنسب خسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ تتحول بعدها قواتنا الجوية إلى القيام بالعمليات الهجومة وهذا يغاير الحقيقة لأن الخسائر المتوقعة ستكون عالية لعدم وجود دشم وإخفاء وتمويه ودفاعات م ط قوية وعدم وجود شبكة مراقبة جوية بالنظر فعالة ويعتمد عليها وقد أثبتت العمليات يوم ٥ يونية صحة ذلك فقد قام العدو بتدمير ما يقرب ٧٥٪ من قواتنا الجوية فى الساعات الأولى .

٢ - عدم وجود معلومات تفصيلية عن العدو وتسليحه وتمركزه فى المطارات والدفاعات م ط لدى العدو سوف لا يحقق النسبة المطلوبة من الخسائر من غاراتنا على قوات العدو الجوية بالدرجة التى تقعدها عن العمل .

٣ - إستخدام القاذفات نهاراً سوف لا يكون ممكنا بدون حراسة لأن مدى المقاتلات لا يسمح بذلك .

٤ - لم يؤخذ فى الاعتبار أن جميع مطاراتنا فى مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى ، احتياطات لتأمين طائرات الضربة المضادة وتبين الخطأ فى تكديس طائرات الضربة المضادة فى قاعدة أبو صوير الأمر الذى ترتب عليه تدميرها جميعاً بضربة واحدة فى أول هجمة و لم يعاد تمركزها لتتناسب مع الأوضاع الدفاعية .

٥ - كانت تمركز الطائرات (التى تمثل حوالى ٣٠٪ من القوة الضاربة) فى سيناء مجازفة لأنها ستكون معرضة للتدمير فى أول ضربة بسبب عدم وجود وسائل إنذار كافية تسمح بإقلاع الطائرات فى الوقت المناسب لهذه الأسباب كانت فكرة قبول تلقى الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بالضربة المضادة غير سليمة و لم تبن على تقدير صحيح .

ثالثاً : اتضح للجنة أن التصميم على المبادأة من جانبنا وقيام القوات الجوية بالضربة الأولى كانت نتائجها مشكوك فيها وغير مضمونة للأسباب الآتية :

١ - النقص فى المعلومات التفصيلية عن تمركز القوات الجوية للعدو وعدد طائراته فى كل قاعدة وتسليحه ودفاعاته م ط والدشم وتأمين وصول هذه المعلومات حتى قبل بدء هجومنا .

٢ - مدى إمكانيات العدو سواء مباشرة أو غير مباشرة على معرفة وقت هجومنا بوسائل الإستطلاع الإلكترونى فى اللحظة المناسبة وبذلك تضيع ميزة المفاجأة .

٣ - واضح من خطة الدفاع الجوى لعملية فهد - ١ (البند ثالثاً - فقرة (١٤) إن نسبة الخسائر فى الطائرات الإسرائيلية فى حالة قيامنا بالعمليات الهجومية قدرت - بحوالى ١٠٪ وهذه النسبة ضئيلة وبذلك كان يمكن للعدو بالقوة الباقية من قواته الجوية وهى ٩٠٪ أن يحدث خسائر فادحة فى قواتنا الجوية عند قيام العدو بالضربة المضادة .

٤ - أن فكرة نقل المعركة الجوية إلى أرض العدو كانت ستكلفنا فقد الطيارين والطائرات بدون تحقيق الهدف وإحراز نجاح معقول لأن أساس النجاح فى المعركة مبنى على مقدار المعلومات التى لدينا عن العدو وهذا كان غير متوفر لدى القوات الجوية بالقدر الذى يسمح بإحراز النجاح مثل ما كان لدى العدو من معلومات كافلة عن قواعدنا وعناصر دفاعنا الجوى إتضح ذلك عندما حصلنا على خريطة عن ج . ع . م مع أحد قادة الأسراب الذى سقطت طائرته فى القتال يوم ٥ يونيه وواضح عليها المعلومات التفصيلية والتلقين الكامل الذى كانت من نتائجه النجاح الذى أحرزه العدو فى الساعة الأولى من المعركة .

رابعًا: اتضح للجنة أن عناصر الدفاع الجوى لم تكن فى أقصى درجات التيقظ والإنتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ولم يستفيد قائد القوات الجوية من التحذير وتوقع الهجوم فى خلال فترة زمنية محددة يومين أو أكثر الذى تلقاه من السيد الرئيس فى الاجتماع الذى عقد بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م ولم يتخذ الإجراءات التى ينبغى إجراءها فى مثل هذا الموقف كأخطار كافة الأجهزة والتشكيلات والوحدات والقواعد واحتلال الأطقم الكاملة فى جميع مراكز العمليات وتكثيف المظلات الجوية خاصة على الحدود الشرقية والساحل الشمالى لسيناء وزيادة نشاط الإستطلاع الجوى .

خامساً: إتضح للجنة أن قائد القوات الجوية بمجرد قبوله تلقى الضربة الجوية من إسرائيل ثم التحول إلى العمليات الهجومية للقيام بالضربة الجوية وذلك بعد الإجتماع الذى حضره السيد الرئيس بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م لم يتخذ إجراءات سريعة نحو إعادة النظر فوراً فى تمركز القوات الجوية على ضوء هذه التوجيهات لإتخاذ الأوضاع الدفاعية السليمة التى تمكنها من تلقى الضربة الأولى بأقل خسائر وبقيت أوضاع التمركز كما هى واكتفى بتخفيف مطارات العريش والسر وتمادا بسحب ٦ طائرات من كل مطار وتمركزها فى كبريت التى كانت بدون دفاعات م ط وبدون غرفة عمليات وحتى كانت النية متجهة إلى إعادة تمركزها ثانية فى القواعد التى سحبت منها محافظة على الروح المعنوية للطيارين وبقيت قاعدة أبو صوير كما هى مكدسة بعدد ٣٠ طائرة اليوشن ٢٨ معرضة للتدمير من أول ضربة علماً بأن تنفيذ خطة فهد - ١ كانت متعذرة بعد تلقى الضربة .

القـــــرار

١ - يرى المجلس أن جهاز الدفاع الجوى لم يكن قادراً ولا مستعداً لتلقى الضربة الجوية المفاجئة وصدها على عكس ما جاء فى قرار قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى يتضح منه أن فى مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة برغم المصاعب الموجودة والمعروفة فى جهاز الدفاع الجوى وقيادة القوات الجوية .

٢ - الخطأ فى التخطيط لعمليات الدفاع الجوى :

أ - الخطأ فى تقدير قوة العدو حسب المعلومات المتوفرة فعلاً مما ترتب عليه إستخلاص نتائج غير صحيحة فى مقارنة القوات وبالتالى أدى إلى خطة غير واقعية .

ب - عدم إدخال أى إعتبار للضربة الجوية المفاجئة من الإرتفاعات المنخفضة جداً رغم علم كافة المسئولين من أن هذا هو الأسلوب المنتظر لهجوم العدو وأنه يمثل أشد الخطر الذى تتعرض له القوات الجوية فى الجمهورية العربية المتحدة .

جـ - الخطأ فى تقدير مدى عمل القوات الجوية المعادية الأمر الذى استبعد معه إمكان قيامه بضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية فى وقت واحد بينما مدى عمل طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع قواعدنا الجوية على الارتفاعات المنخفضة جداً وهذا ما يتمشى مع تصور أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

٣ - تقدير تأثير الدفاع عن القواعد الجوية بالمدفعية الميسورة والأنواع الموجودة منها بأكثر

من حقيقة وكفاءته القتالية بسبب ما اتضح للمجلس من أن عدد المواسير والرشاشات م ط المتوفرة للدفاع عن القواعد الجوية يقل كثيراً عن الحد الأدنى اللازم لتوفير وقاية معقولة لها .

٤ – عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سد ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر وإيجاد جهاز يعتمد عليه للإنذار الجوى بالنسبة للطيران المنخفض .

٥ – الخطأ فى تصور إمكان تلقى الضربة الجوية المفاجئة للعدو وصدها بنسبة خسائر قليلة تتراوح بين ١٥ – ٢٠٪ رغم نواحى النقص الواضحة فى استعداد جهاز واستكمال إجراءات الوقاية فى القواعد الجوية تقوم على أثرها القوات الجوية فوراً بالضربة المضادة .

٦ – يقرر المجلس النقص الواضح فى المعلومات التفصيلية اللازمة عن العدو وتسليحه وتمركزه فى القواعد الجوية والدفاعات م ط لديه ونواياه وتدريبه ونواحى النقص فى معداته وأجهزته ومدى المعلومات المتوفرة لديه عن قواتنا وتمركزها والتوقيت الدقيق والأسلوب التفصيلى المنتظر لعدوانه الأمر الذى يعد حيوياً وضرورياً لنجاح القوات الجوية والدفاع الجوى فى تحقيق مهامها .

٧ – يقرر المجلس أنه قد إتضح له أن التخطيط الموضوع للمبادأة من جانب القوات الجوية كانت نتائجه مشكوكاً فيها وغير مضمونة للأسباب الموضحة فى الباب الثانى .

٨ – يقرر المجلس أن عناصر الدفاع الجوى جميعها لم تكن وقت بدء العدوان فى أقصى درجات التيقظ والانتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ، الأمر الذى جعل الضربة المفاجئة مذهلة وشل تفكير الجميع .

٩ – يقرر المجلس أن مستوى التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات بين القوات الجوية والبرية والبحرية كان ضعيفاً الأمر الذى ساعد على إتمام المفاجأة التى أحرزها العدو رغم وجود شواهد برية بنشاط العدو البرى مما يوحى بأن هجومه المنتظر قد أصبح وشيك الوقوع وكان يؤدى هذا إلى إنذار القوات الجوية فى الوقت المناسب ليقظتها واتخاذ الإجراءات اللازمة لملاقاة ضربته الجوية المنتظرة ، وكذلك عدم وضوح الموقف البرى لدى القوات الجوية لاتخاذ القرارات ، التسليمة لإنقاذ وسحب القواعد الأمامية المعرضة والأجهزة والمعدات الفنية فى الوقت المناسب .

١٠ - يقرر المجلس أن القوات الجوية لم تتخذ الإجراءات السريعة لإعادة تمركز قواتها وإتخاذ الأوضاع السليمة التى تتناسب مع المهمة الجديدة بتلقى الضربة الأولى عقب المؤتمر الذى تم فى القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م .

سابعاً : التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة :

الآن بإمكاننا أن نقول أن هزيمة ١٩٦٧م لم تكن (قدراً) كما أراد أهل الحكم فى مصر أن يروجوا بعدها ، بل كانت واقعاً ، نحن الذين خلقناه بضعفنا وصراعنا وفساد أهل الحكم منا ، فضلاً عن مساندة ظروف وملابسات دولية فى أحداث كل ذلك ، وفقاً لرؤية الراحل العزيز د . فاروق يوسف فى كتاب عن (القومية العربية) .

فلقد أعطت حرب السويس ١٩٥٦م لإسرائيل درساً قررت على أثره ضرورة الاعتماد على قوتها الذاتية فى الحرب المقبلة ضد العرب وعدم اشتراكها مع أية قوة عالمية فى القيام بذلك . ومن هنا بدأت إسرائيل تخطط لحرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس تقوية جيشها بدرجة كبيرة والحصول له على أحدث الأسلحة المتطورة وتدريبه تدريباً عالياً حتى تتمكن من موازنة التفوق العددى العربى تفوق كيفى إسرائيل . وكان هدف إسرائيل من هذه الحرب هو تحطيم القوة والإرادة العربية وفرض السلام الإسرائيلى على العرب بما يتمشى مع مصالحها .

بدأت إسرائيل بمحاولتها لتحويل مجرى نهر الأردن لاستغلال مياهه فى التوسع الزراعى على حساب العرب . فتحركت مصر ودعت لعقد مؤتمر قمة عربى لمواجهة - ذلك . وانعقد مؤتمر القمة الأول فى يناير سنة ١٩٦١م ، الذى وضع خطة مضادة للخطة الإسرائيلية للتحويل واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذها بإقامة منظمة التحرير الفلسطينية . ومن ثم بدأ التوتر بين العرب وإسرائيل يظهر بشكل واضح . وفى سبتمبر سنة ١٩٦٤م عقد مؤتمر القمة الثانى الذى أعلن أن هدف العرب هو تحرير فلسطين وقرر حشد الطاقات العربية من أجل ذلك . ثم عقد مؤتمر القمة الثالث فى سبتبمر سنة ١٩٦٥م الذى أقر ميثاقاً للتضامن العربى ووحدة الصف العربى . إلا أن كل ذلك فى الحقيقة كان حبراً على ورق لم ينفذ منه شيء يذكر وكان ضرروه أكثر من فائدته لأنه إستخدم فى الدعاية ضد العرب .

فى الجانب الإسرائيلى فإنه عن طريق جهد سياسى مكثف وعمل دعائى ذكى تمكنت إسرائيل من الحصول على ما تريد من العالم العربى مستغلة فى ذلك القرارات ذات الكلمات الرنانة التى صدرت بها قرارات مؤتمرات القمة العربية والتصريحات غير الواعية لبعض القادة العرب ، وسوء العلاقات بين الدول العربية التقدمية وكل من ألمانيا الغربية والولايات

المتحدة الأمريكية ، وقد تمكنت من الحصو لعل ما تريده من الأموال من ألمانيا الغربية بحجة تعويض اليهود عن جرائم النازى والحصول على ما تريده من السلاح من ألمانيا الغربية ثم من الولايات المتحدة الأمريكية مستغلة فى ذلك عقدة الذنب لدى الألمان والعطف لدى الأمريكيين .

وق اختارت إسرائيل عام ١٩٦٧م ليكون عاماً لعدوانها على البلاد العربية ويرجع ذلك الاختيار لعدة أسباب . أولها إستكمال إستعداد إسرائيل العسكرى مع انشغال القوات المصرية الخاصة فى حرب اليمن . وثانيها : تأكد إسرائيل من الدعم الأمريكى غير المحدود لها ، وتدهور العلاقات الأمريكية مع الدول العربية التقدمية وثالثها : تفكك الصف العربى بسبب حرب اليمن وما ترتب عليها من نزاعات ومهاترات بين الدول العربية وعدم فاعلية مؤتمرات القمة العربية ، ورابعها : تهيئة الرأى العام العالمى وإقناعه بوجهة النظر الإسرائيلية نتيجة للدعاية الإسرائيلية التى استخدمت قرارات مؤتمرات القمة العربية مادة لها والتصريحات المتهورة لبعض الزعماء العرب . وخامسها : كانت إسرائيل تعانى من مشاكل الإقتصادية وعجز مالى كبير وكانت الحرب هى الوسيلة الوحيدة لخلاصها من تلك المشاكل .

إتجهت إسرائيل إلى سوريا لتكون ذريعتها لعدوانها على البلاد العربية وخصوصاً أن سوريا هى أحد الدول الثلاث التى تعمل لتحويل مجرى نهر الأردن فى أراضيها لتفسد المشروعات الإسرائيلية فى هذا الخصوص ، كما أن سوريا تساعد الحركات العدائية ضد إسرائيل ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك أطماع إسرائيل الخاصة بالهضبة السورية ذات الموقع الاستراتيجى للتحكم فى الأراضى الإسرائيلية والمهدد لأمن إسرائيل .

فى أوائل عام ١٩٦٧م بدأت إسرائيل بالتهديد بغزو سوريا واحتلال دمشق ثم قامت فى أبريل بهجوم كبير على سوريا ، وفى مايو أعلنت إسرائيل حالة الطوارىء الجزئية مما اضطر مصر إلى المسارعة لمساعدة سوريا بحشد قواتها فى سيناء ، ثم طلبت فى ١٦ مايو من الأمم المتحدة تجميع قواتها التى تحتل نقط المراقبة على الحدود المصرية فى قطاع غزة حتى لا يؤدى وضعها فى الأراضى المصرية إلى أى مزايا لإسرائيل . ولكن الأمم المتحدة قررت سحب قوات الطوارىء بالكامل من المنطقة . وبانسحاب قوات الطوارىء من شرم الشيخ دخلتها القوات المصرية فأعلنت مصر فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧م عدم السماح بمرور السفن الإسرائيلية وتلك التى تحمل بضائع استراتيجية لإسرائيل فى خليج العقبة .

وهنا قررت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ضرورة الإسراع بشن الحرب قبل أن تتمكن القوات المصرية من التحصن فى مواقعها الجديدة واستغلال ميزة المبادأة والقضاء على القوات



خارجا من خندق تحت الأرض فى جبهة القناة عام ١٩٧٠

المصرية الضخمة فى سيناء بضربة مفاجئة . إلا أن الحكومة الإسرائيلية كانت تطلب التمهل حتى تحصل على تأكيدات من واشنطن. وفى يوم ٣٠ مايو تم توقيع ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وكان رد إسرائيل هو تكوين حكومة إئتلافية دخلتها كافة الأحزاب السياسية الإسرائيلية وبدأت الدعاية الصهيونية تنشط لجمع التبرعات والمتطوعين من الدول الغربية . وفى يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧م عقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتماعاً قرر فيه القيام بالحرب فى اليوم التالى .

وفى يوم ٥ يونيو قامت إسرائيل بضربة جوية مفاجئة ومركزة ضد القواعد الجوية والمطارات المصرية مما أفقد القوات والقيادة المصرية توازنهما وأصبحت قراراتها ارتجالية غير مخططة مما ساعد على أن تنفرد إسرائيل بعد ذلك بكل دولة من دول المواجهة الثلاث لتصل إلى الحدود التى تجدها مناسبة لها ، فاختارت إسرائيل سيناء وأصبحت بينها وبين باقى الأراضى المصرية قناة وخليج السويس . واحتلت الضفة الغربية وأصبح نهر الأردن بينها وبين باقى الأراضى الأردنية . كما احتلت المرتفعات السورية وأصبح الطريق إلى دمشق مفتوحاً أمامها .

ولم تكن سبب النكسة هو عبقرية الإنسان الإسرائيلى أو كفاءته ولو أنه لا يمكن إنكار أن قراراتهم كانت مبنية على خطط علمية محكمة ومدروسة . ولكن السبب الحقيقى وراء النكسة كان القيادة العسكرية المصرية غير المسئولة فى سلوكها وتصرفاتها ، والخطط العربية الفاشلة المرتجلة والجبهة العربية الممزقة . أى أن جزءاً رئيسياً من أسباب النكسة يرجع إلى الوضع فى مصر بصفة خاصة والوضع العربى بصفة عامة .

ولقد كانت للحرب نتائج خطيرة بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى . فأولاً تم تحطيم القوة العسكرية لثلاث دول عربية من ضمنها الدولة العربية الكبرى مصر ، وبذلك أصبح لإسرائيل تفوق عسكرى ساحق على العرب . وثانيا : وصلت إسرائيل إلى وضع جغرافى ممتاز وعمق استراتيجى كاف بعد احتلال مساحة من الأرض وتبلغ أضعاف مساحتها الأصلية وإلى حدود تمثل موانع طبيعية شبه آمنة هى غرباً قناة السويس وخليج السويس وشرقاً خليج العقبة ونهر الأردن وشمالاً المرتفعات السورية . وعلى ذلك قامت نظرية الأمن الإسرائيلى ابتداءاً من يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس هذه الموانع الطبيعية وعلى القدرة الدفاعية الإسرائيلية عند هذه الحدود .

أما بالنسبة للعرب فقد كان تأثير الحرب عليهم عكسياً . فلم تعد فى يدهم المبادأة وترتب على الحروب مشاكل اقتصادية ونفسية رهيبة خصوصاً بالنسبة لمصر التى صمد شعبها بالرغم من الآلام التى كان يعانى منها . إلا أنه كانت للنكسة أيضاً جوانبها الإيجابية فقد حطمت

بعض أجزاء القيادة المصرية المتحجرة وبذلك فتحت الطريق لبعض الكفاءات الجديدة للدخول إلى القيادة كما أضعفت مراكز القوى ومهدت للقضاء عليها فيما بعد. وأدرت إلى إدراك العرب لحقيقة أبعاد التهديد الصهيوني ونواحي تقصير العرب في مواجهته . ومن هنا عمل العرب على إمتصاص النكسة وتقوية الجيوش العربية والتضامن العربي من أجل المصير المشترك ورفض شروط إسرائيل .

بعد الحرب نقلت القضية إلى الأمم المتحدة بناء على طلب الإتحاد السوفيتي . وقد كان هناك مشروع قرار يهدف إلى إنسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو سنة ١٩٦٧م . إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حالت دون صدور مثل هذا القرار . ثم صدر القرار رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧م الذي نص على الإنسحاب من الأراضي العربية المحتلة في النزاع الأخير ، وإنهاء دعاوى الحرب وإحترام سيادة ووحدة الأراضي والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في العيش في سلام في نطاق حدود آمنة معترف بها وحرية الملاحة في الممرات الدولية وتحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين وضمان الأمن الأقليمي والإستقرار السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح .

ولقد طلب مجلس الأمن من السكرتير العام للأمم المتحدة تعيين ممثل خاص له للذهاب إلى منطقة الشرق الأوسط على أساس هذا القرار الذي وافقت عليه الدول الكبرى والأطراف المعنية بصفة مباشرة . إلا أن المستر يارنغ الذي عين لذلك لم يتمكن من أداء مهمته بسبب عدم تعاون إسرائيل التي فضلت احتلال الارض العربية عن الانسحاب وتحقيق السلام في المنطقة . ولقد شجعت الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل على اتباع هذه السياسة ومدتها بالمال والسلاح والتأييد السياسي اللازم لاستمرارها في موقفها المتعنت .

ولقد حاولت إسرائيل إرهاب العرب عن طريق العنف وما طلت في تنفيذ قرار مجلس الأمن حتى يومنا هذا ١٩٩٢ :

ومن جملة الدروس والخبرات المستفادة من هذه الهزيمة أيضاً ما يلي :

(١) فردية إتخاذ القرار ، حيث تركز صنع القرار في يد عبد الناصر وحده دون أن يلقى معارضة حتى أنه عندما قرر إغلاق المضايق لم يعترض عليه سوى صدقي سليمان ولأسباب اقتصادية بحته لا علاقة لها بالموقف الإستراتيجي المترتب على إغلاق المضايق بصدد إسرائيل .

كما يذكر صلاح نصر أن جهاز المخابرات ومجلس الدفاع الوطني لم يؤخذ رأيهما بصدد إغلاق المضايق . كما أن رأي القيادات العسكرية التي ستخوض الحرب لم يكن

ذو تأثير كبير حيث يذكر حمروش أنه قد عقد مؤتمر عسكرى يوم ١٨ مايو وناقشوا فيه فكرة إرسال قوات تحتل شرم الشيخ وانتهى المؤتمر برفض الفكرة لأن وجود قوات هناك سيترتب عليه أما عدم التدخل فى الملاحة بما يزيد من هجوم الدول العربية ، أو إغلاق الخليج بما يعطى إسرائيل الذريعة للحرب فى وقت ليست فيه مصر على استعداد للمواجهة .

(٢) الصراع بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية بما يعرف « صراع عامر وناصر » والذى بدأ منذ ١٩٥٧م وبلغ ذروته عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم فى القوات المسلحة و لم يعد من حق أحد – بما فى ذلك ناصر – أن يتدخل فى إدارة القوات المسلحة إلا عن طريق عامر فقط . وهو الأمر الذى عجل بالهزيمة الفادحة .

(٣) الارتجالية وعدم التخطيط :

حيث لم يكن هناك استراتيجية عليا للصراع المسلح مع إسرائيل وكان وضع هذه الإستراتيجية من إختصاص مجلس الدفاع الوطنى الذى يرأسه رئيس الجمهورية ثم تنفيذها من اختصاص مجلس أعلى يرأسه وزير الحربية .

ويرى المشير عبد الغنى الجمسى أنه لم يكن لأى من الجهازين القدرة على ممارسة عملية وإن غياب هذه الإستراتيجية أدى إلى التسرع والإرتجال وعدم التنسيق بين القيادات العسكرية بدرجة أن القوات المسلحة كانت تفاجأ بالقرارات المصيرية[(١)] .

(٤) عدم تعاون القيادات المسئولة عن الحرب :

فقد كان هناك صراح بين كل سلاح وبين رئاسة الأركان كما هناك تعدد فى القيادات المسئولة عن الحرب وعدم تعاونها فهناك القيادة العامة فى القاهرة ويتولاها المشير عامر ثم قيادة المنطقة الشرقية ويتولاها الفريق صلاح محسن ثم القيادة الأمامية للجبهة ويتولاها الفريق أول مرتجى ويظهر عدم التعاون بينهما فى عدة مناسبات . منها شهادة اللواء عبد الحميد الدغيدى الذى لم يسمع عن إنذار عبد الناصر يوم ٢ يونيو إلا بعد نهاية الحرب وهو قائد الطيران فى منطقة سيناء .

بل آن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) لم يخطرا به كما تم إهمال إشارة عجلون والتى أرسلها عبد المنعم رياض حينما لاحظت قواته على شاشات الرادار الأردنية إقلاع الطائرات الإسرايلية بأعداد كبيرة .

بل أن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة .

وقد أكد مرتجى إن محتويات هذه الرسالة كانت ستغير مجرى الحرب حيث كانت الأوامر الصادرة إلى الطيران الإسرائيلى تنص على ضرورة العودة مباشرة إذا ما ظهرت له قوات غير متوقعة من الطائرات المصرية فوق سماء سيناء واعتبار ما حدث مجرد اختراق عادى للمجال الجوى المصرى .

إنها دروس هامة وخبرة مستقاة على الصعيد المصرى يضاف إليها غياب التنسيق العربى وغياب الفهم العربى لأبجديات الأمن القومى وحدود الفهم العربى لأهمية أن تبقى مصر قوية وإن قوتها ، قوة لهم . ولكنها مع الأسف الحقائق والدروس التائهة حتى اليوم .

ملحق الفصل الثالث عشر

جدول رقم (١)

المساعدات الأمريكية لإسرائيل ١٩٥١ - ١٩٨٨م (بملايين الدولارات)

السنة	الدعم الاقتصادى	الدعم العسكرى	المجموع
١٩٥١	٠,١	—	٠,١
١٩٥٢	٨٦,٤	—	٨٦,٤
١٩٥٣	٧٣,٦	—	٧٣,٦
١٩٥٤	٧٤,٧	—	٧٤,٧
١٩٥٥	٥٢,٧	—	٥٢,٧
١٩٥٦	٥٠,٨	—	٥٠,٨
١٩٥٧	٤٠,٩	—	٤٠,٩
١٩٥٨	٦١,٢	—	٦١,٢
١٩٥٩	٤٩,٩	٠,٤	٥٠,٣
١٩٦٠	٥٥,٢	,٥	٥٥,٧
١٩٦١	٤٨,١	—	٤٨,١
١٩٦٢	٧٠,٧	١٢,٢	٨٣,٩
١٩٦٣	٦٢,٤	١٢,٣	٧٦,٧
١٩٦٤	٣٧,٠	—	٣٧,٠
١٩٦٥	٤٨,٨	١٢,٩	٦١,٧
١٩٦٦	٣٦,٨	٩٠,٠	١٢٦,٨
١٩٦٧	٦,١	٧,٠	١٣,١
١٩٦٨	٥١,٨	٢٥,٠	٧٦,٨
١٩٦٩	٢٦,٧	٨٥,٠	١٢١,٧
١٩٧٠	٤١,٧	٣٠,٠	٧١,٧
١٩٧١	٥٥,٨	٥٤٥,٠	٦٠٠,٨
١٩٧٢	١٠٤,٢	٣٠٠,٠	٤٠٤,٢

١٩٧٣	١٥٩,٨	٣٠٧,٥	٤٦٧,٣
١٩٧٤	٨٨,٠	٢٤٨٢,٧	٢٥٧٠,٧
١٩٧٥	٣٩٣,١	٣٠٠,٠	٦٩٣,١
١٩٧٦	٨٠٨,٠	١٧٠٠,٠	٢٥٠٨,٠
١٩٧٧	٧٥٧,٠	١٠٠٠,٠	١٧٥٧,٠
١٩٧٨	٨١١,٨	١٠٠٠,٠	١٨١١,٨
١٩٧٩	٨١٥,١	٤٠٠٠,٠	٤٨١٥,١
١٩٨٠	٨١١,٠	١٠٠٠,٠	١٨١١,٠
١٩٨١	٧٨٩,٠	١٤٠٠,٠	١٢٨٩,٠
١٩٨٢	٨١٩,٠	١٤٠٠,٠	٢٢١٩,٠
١٩٨٣	٧١٨,٠	١٧٠٠,٠	٢٤٩٨,٠
١٩٨٤	١٢٠٠,٠	١٤٣١,٠	٢٦٣١,٠
١٩٨٥	٢٧٠٠,٠	١٢٥٠,٠	٣٩٥٠,٠
١٩٨٦	١١٨٠,٠	١٧٠٠,٠	٢٨٨٠,٠
١٩٨٧	١٢٠٠,٠	١٨٠٠,٠	٣٠٠٠,٠
١٩٨٨	١٢٠٠,٠	١٨٠٠,٠	٣٠٠٠,٠
المجموع العام	١٥٦٧٦,٣	٢٥٣٩٣,٣	٤١٠٦٩,٨

ملحق رقم (٢) الفصل الثالث عشر
«هزيمة يونيو فى مدركات عبد الناصر»

[ولم يكن عملنا فى يوم من الأيام سهلاً ولا هيناً فلقد كان علينا أن نواجه ألوان المخاطر السياسية والإقتصادية والعسكرية .. وكان كل انتصار حققناه نتيجة لمشاق ومصاعب صبرنا عليها وتحملنا أعباءها ..

لم يكن قيامنا بالثورة يوم ٢٣ يوليو سهلاً أو هيناً .. وجيش الإحتلال البريطانى يحتل أرض الوطن منذ أكثر من ٧٠ عاماً . ويحكم بالتحالف مع الأقطاع ورأس المال معتمدين جميعاً على ثمانين ألف جندى بريطانى فى منطقة قناة السويس ..

ولم يكن تصدى شعبنا لسياسة الأحلاف وسيطرة مناطق النفوذ التى أريد فرضها عليه سهلاً أو هيناً .. فى وقت لم تكن حركة التحرير الوطنى قد قطعت فيه ما قطعته الآن على طريق الإستغلال ورفض التبعية .

ولم يكن قبول شعبنا لتحدى بناء السد العالى سهلاً أو هيناً .. فى وجه صلافة أمريكية أرادت ، وهى تسحب عرضاً غربياً بالمساهمة فى تمويل السد العالى ، أن تسىء إلى الأقتصاد المصرى ، وأن تصور هذا الشعب وكأنه مفلس غير قادر على تحمل مسئوليات مثل هذا البناء الذى لا يعرف له فى العالم نظير ، بل وأرادت بهذه الصلافة أن تصل إلى حد تضييع ثقة الشعب بنفسه ، وإسقاط نظامه الثورى .

ولم يكن تحمل شعبنا لأهوال معركة السويس سهلاً أو هيناً .. وقد شاركت فى العدوان عليه سنة ١٩٥٦م ثلاث دول بينها إثنتان من الدول العظمى إستعملت فى عدوانها تلك القاعدة التى خلقها الإستعمار .. وزرعها فى قلب الوطن العربى لتقوم دائماً بدورها فى تهديده وإرهابه .. ظاهرة مرة وخفية مرة أخرى ..

كل هذا .. لم يكن سهلاً وهيناً فى هذا الوطن الذى كانت فيه المصالح الأجنبية والإقطاعية تسيطر على مقدراته وهى فى قلب هذا العالم العربى الذى تسيطر عليه المصالح الأجنبية والإقطاعية فما يحدث فى وطننا له صداه فى عالمنا العربى كله . أردنا ذلك الصدى أو لم نرده ..

ولم يكن رضا شعبنا بمسئوليات التضامن العربى ووحدة النضال ووحدة المصير سهلاً أو هينا . فلقد واجهنا ضمن هذه المسئوليات وقوفنا إزاء محاولة غزو سوريا ١٩٥٧م وقبولنا بتبعات الوحدة وتبعات الإنفصال ، ووقوفنا إزاء محاولة ضرب الثورة العراقية سنة

١٩٥٨م .. وصمودنا وراء الثورة الجزائرية من ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م وانتصارنا إلى جانب الثورة اليمنية وتأييدنا لثورة الجنوب العربى] .
(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[إن الإستعمار لم يواجهنا فى هذه المرة صراحة كما فعل فى ١٩٥٦م وإنما بذل جهداً لابد أن نسلم ببراعته .. فى إخفاء دوره وفى تغطية تواطئه ولعله فى النهاية لم يترك شيئاً يدل عليه غير بصمات أصابعه] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[لقد كان موقف شعبنا يوم ٩ ، ١٠ يونيو أكثر مما استحق وأكثر مما يستحق أى فرد ولكنه بالنسبة لى كان يمثل معانى أخرى .. معنى استمرار النضال .. ومعنى استمرار النضال الشعبى .. ومعنى إستعداد الشعب لكل التكاليف والتضحيات .. ومعنى التصميم على المقاومة .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[ليس هناك طريق مختصر أو قصير إلى ما نريد .. أيضاً ليس هناك طريق واحد .. الطريق طويل وشاق .. كذلك فإن هناك عدة طرق لابد أن نسير عليها فى نفس الوقت .

طريق النصر مخاطرة .. وطريق النصر تضحيات .. وطريق الآمال الكبرى بذل كبير ، وإلا فإن الشعوب ترضى على نفسها بالجمود وتقبل بالتخلف لأنها لا تستطيع أن تتحرك ولا تقبل بالمخاطرة ولا تقبل على الحياة حلوها ومرها] .
(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(لم يكن احتلال الأرض هو الهدف ، فى الأصل ، للعدوان الإستعمارى الصهيونى ، إنما احتلال الأرض هدف جزئى يسعى به إلى تحقيق الهدف الأصيل وهو تصفية الثورة العربية عامة .. العدوان حقق الأهداف الجزئية ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى).
(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب .. بل ينبغى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى وتدعيم حركة الثورة العربية) .
(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن الصراع ليس من جبهة القتال وحدها وإنما الجبهة فى كل مكان .. تلك عبرة صدقت فى كل صراع شامل .. وهى أصدق ما تكون فى معركتنا بالذات وبسبب ظروفنا الخاصة

المتميزة ، ذلك لأن العدو يريد أن يغطى حقيقة أن الوقت ليس فى صالحه وذلك عن طريق تركيز وتثبيت تأثيره على كل الجبهات ..

كل الدنيا تريد أن تعيش فى سلام ، واحنا كنا ندرك منذ البداية ونحن نجرب طريق الحل السياسى أن ذلك الطريق صعب مفروش بالأشواك لأن العدو أسكرته نشوة النصر ونحن نعلم أن المبدأ الفصل بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة مبدأ سليم وصحيح فى كل الظروف) .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨م)

لا بديل لهذه الأمة غير النصر وهى تقدر عليه إذا أحسنت الإستفادة من طاقاتها وظروفها وإذا استطعنا أن نؤمن ونبنى جبهتنا الداخلية على أساس المعركة .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨م)

إن التحديات كلها أثبتت صلابة موقف قوى الشعب العاملة وتصميمها وحسمها .. إن فلاحينا فى الحقول كانوا فى خدمة الصمود .. وكان عمالنا فى المصانع وفى الخدمات سنداً هائلاً وراء المواجهة المصيرية ، كما أن الشباب فى هذا الوطن لم يترك لأحد أن يحدد له موقفه برغم كل المحاولات . وإنما حدد هو بوعيه موقفه وسط قوى النضال الوطنى والقومى المقدرة لتبعات المصير والمتمثلة فى شجاعة لنصيبها منه .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٩م)

من أقوال زعماء إسرائيل ، وقادة إسرائيل ، ومذكرات إسرائيل المنشورة ، والتى صدرت بعد سنة ١٩٦٧م .. قالت أنهم كانوا يريدون هذه المعركة .. قبل أن تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل أن تدخل مصر فى مرحلة الإنطلاق .. قبل أن يتم بناء السد العالى .. قبل أن تتم خطط التصنيع .. قبل أن تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الأراضى كانت إسرائيل تريد المعركة قبل أن نكون قد أتممنا ما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى ، وبنائنا الصناعى .. وبنائنا العسكرى .. فعلى هذا الأساس .. نستطيع أن نقول أن ٥ يونيو والهجوم الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧م كان مؤامرة مرتبة ..

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

(إذا سألنا أنفسنا أية كان القصد الحقيقى لعملية العدوان المرتبة التى تعرضنا لها أخيراً .. إذا سألنا أنفسنا هذا السؤال .. الرد يكون القصد الحقيقى كان .. القضاء على الثورة الإشتراكية الموجودة فى مصر ..

وإذن فلكى نستطيع أن نواجه العدوان .. فإنه من الضرورى تدعيم الثورة الإجتماعية فى مصر) .

(جامعة القاهرة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية .. والثورة الاشتراكية .. اللى تصدوا لها بكل الوسائل .. تصدوا لنا بمحاولات الإغتيالات ، وبالإخوان المسلمين والمؤامرات ، وبقطع المعونات ولكن صمدنا .. كل الوسائل فشلت .. وفضل حل واحد هو إسرائيل .. وبعد غزو إسرائيل يحصل شرخ فى النظام) .

(خطاب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

لم يكن إحتلال الأرض هو الهدف الأصلى للعدوان الإستعمارى الصهيونى ، وإنما احتلال الأرض هدف جزئى .. يسعى إلى تحقيق الهدف الأصيل .. وهو تصفية الثورة العربية عامة . العدوان حقق الأهداف الجزئية ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى .

(خطاب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب ، بل ينبغى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى ، وتعميق نظامنا الثورى .. تدعيم حركة الثورة العربية .

(خطاب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

طبعاً هم عايزين يقضوا على نظام الثورة ليه ؟.. لأنهم عارفين أن هذا النظام الثورى لن يكون نظام إستسلام ولكنه نظام نضال .

(خطاب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

إن ٥ يونيو كان صدمة .. ولكن جماهير شعوب الأمة العربية ، أثبتت عملياً وصممت على الرفض .. رفض الهزيمة .. ويجب أن نلح على الرفض .. أنها أثبتت علمياً لكى تفرق بين الرفض الإرادى والرفض الإنفعالى الذى يصدر على العاطفة وحدها .. إن الأمة العربية حينما خرجت تعلن عن تصميمها على القتال كانت تعبر عملياً عن رفضها للهزيمة وعن إستعدادها للتضحية وعن إستعدادها لتقديم دمائها وأرواحها فداء لكرامتها .. وفداء لأراضيها وفداء لشرفها وفداء لوطنها ..

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

إن الأمة العربية ، لم تستسلم ، ولم تخضع ولم تستطع إسرائيل أن تخضع الأمة العربية ولم تستطع أمريكا – الولايات المتحدة الأمريكية – أن تخضع الأمة العربية لأن هذا فوق

طاقة إسرائيل ، وفوق طاقة الولايات المتحدة الأمريكية .

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

(إن شعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما يخوض الآن معركة حياته ومستقبله .. معركة استقلاله وحريته معركة حقه فى التطور السياسى والإجتماعى ..

وهو يخوض هذه المعركة فى مواجهة قوى شرسة وضارية تكره الحياة والمستقبل والاستقلال والحرية وآمال التطور السياسى والإجتماعى .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما ليس لديه بديل عن قبول المعركة فهذه المعركة فرضت عليها فرضاً .. ولم يكن غريباً أن جاءت هذه المعركة سنة ١٩٦٧م .. وإنما الغريب أن هذه المعركة لم تفرض قبل ذلك عليهما .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية كلاهما .. مطالب بالنصر فى هذه المعركة ليس لأن الثأر هو ثأرنا لما حدث فى سنة ١٩٦٧م ، ولكن لأن النصر هو بابنا الوحيد إلى كل القيم الغالية .. قيم الحياة والمستقبل والحرية والتطور السياسى والاجتماعى) .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

هذه هى صورة المعركة التى تخوضها الآن بكل بساطة ، بكل أمانة فى نفس الوقت .. من ذلك كله نستخلص حقائق أساسية .

١ - إننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة .
٢ - أنه لا بديل لنا عن خوض هذه المعركة كضرورة حياة ومستقبل .
٣ - أنه لا سبيل أمامنا فى هذه المعركة غير أن ننتصر ، بما يمنع العدو عن تحقيق أهدافه .
٤ - إن المعركة عنيفة لأن مدى الصراع فيها واسع .
٥ - إن المعركة طويلة لأن القوى التى تخوضها ضدنا تملك وسائل الإستمرار ولن تيأس بسرعة .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

إن النضال شامل لأن الثورة شاملة أن المعركة العسكرية على جبهة القتال ليست بعيدة عن مشاكل التطور .. إن حربنا ضد الإستعمار هى جزء من حربنا ضد التخلف .. إن إستقلالنا الوطنى ليست له دعامة إلا قدرتنا الوطنية .

(المؤتمر القومى العام ٢٣ يوليو ١٩٧٠م)

إن المعركة ليست جبهة القتال ، وإنما المعركة هى الوطن بأسره ، وهى الأمة من المحيط

إلى الخليج .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد إجتزنا مرحلة فى هذه المعركة ، ونحن نعتقد أن وقوفنا برغم كل أنواع الضغوط التى وجهت إلينا عسكرية وسياسية وإقتصادية ونفسية هى خطوات أكيدة على طريق النصر .

إن القوات المسلحة تبذل على الجبهة جهداً هائلاً .

وقوى الإنتاج فى هذا الوطن وبالذات فى الصناعة والزراعة والإقتصاد ، تكلفت بإعطاء الوقود المادى لمطالب الصمود .

وجماهير الشعب كانت دائماً وما تزال منذ يومى ٩ ، ١٠ يونيو هى الطاقة الهائلة وراء كل شىء تم تحقيقه أو يجرى تحقيقه .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

ولكننا نقف الآن على أبواب مرحلة جديدة نستكمل بها الطريق إلى النصر ، وهذه المرحلة الجديدة سوف تكون أصعب المراحل وأشق المراحل وأحفلها بأسباب التضحية والتحمل والاستعداد بقبول مخاطر بغير حدود .

كل من فى هذا الوطن يجب أن يتحول من الآن إلى طاقة قتال .

الوقت قد حان لشىء من توزيع واجبات المعركة محدداً ومخططاً ، وفى هذا تتصل مسئوليتكم بمسئوليات غيرها فى هذا الوطن تحمل رسالة المعركة بكل ما تنطوى عليه .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد جاء توقيت قيام اللجنة وبدء وممارستها لعملها فى أنسب الأوقات فعلا .. بينما المعركة دائرة .. لم تبلغ ذروتها بعد ، ولكن خط وقف إطلاق النار قد سقط تماماً وللإنصاف فإن هذا الخط لم يكن قائماً أبداً ، لأن العدو لم يقبل به .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

(إن مهمة الطائرة والغواصة ليست بعيدة عن مهمة الحقل والمصنع ، إن النضال الشامل والثورة الشاملة هدفهما الإنسان .. أمن الإنسان .. حق الإنسان .. رفاهية الإنسان .. حرية الإنسان .. ولسوف يكون النصر بإذن الله رفيقاً وحليفاً للإنسان العربى المخلص فى نضاله الشامل والمتفانى فى ثورته الشاملة) .

(الدورة الثالثة للمؤتمر القومى ١٩٦٩/٧/٢٣م)

الخاتمة

مات جمال عبد الناصر

ولم تتم تجربته



الخـــاتمـــة

مات جمال .. ولم تمت تجربته

مات جمال عبد الناصر يوم ٢٨/٩/ ١٩٧٠م ، تاركاً خلفه قضايا وصراعات وإنجازات لم تحسم بعد ، مات جمال ، وفى يوم جنازته سار عدة ملايين من البشر ، وأذهلت الجنازة المراقبين .. ولنتأمل بداية كلمات (جان لاكوتير) فى كتابه (عبد الناصر) عام ١٩٧١م ماذا يقول عن تلك الجنازة :

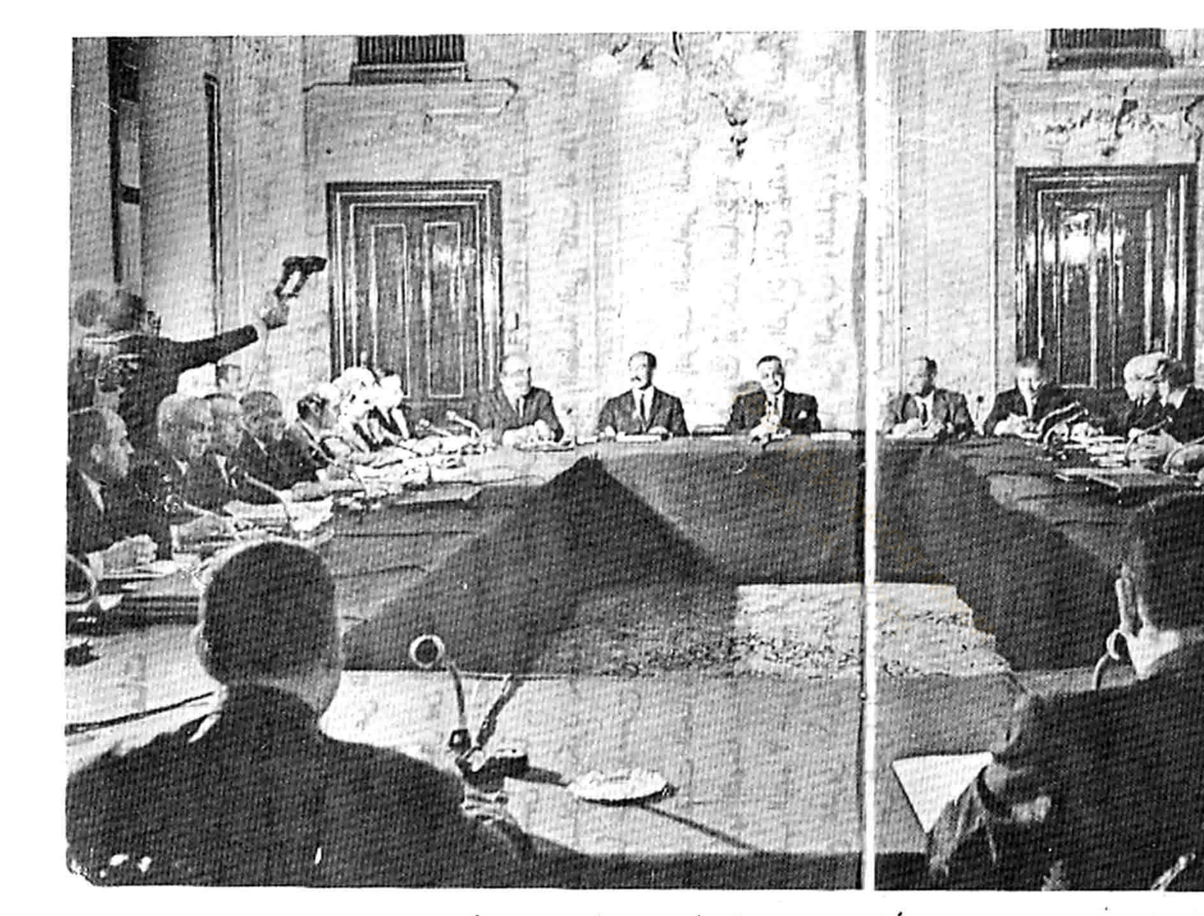
على ضفاف النيل بين الروضة وبولاق ، كنا ملايين من البشر يشهدون آخر رحلة يقوم بها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، الذى توفى قبل ثلاثة أيام عن اثنين وخمسين عاماً ... ملايين من البشر ينتظرون شيئاً ما ، حدثاً خارقاً لم يدخل فى حساب إنسان ، يكون بحجم ناصر ومنجزاته المدينة العظيمة التى كانت له طوال ثمانية عشر عاماً منبراً ومسرح نشاط ..

وهكذا انقلبت الجنازة الرسمية عيداً بدائياً كبيراً إذ إنتزعت الجماهير النعش وحضنته وبدا وكأنها التهمته .. هل هى محاولة رقى ضد الموت أو ضد الغياب ؟ على من بكى هذا الشعب اليتيم ؟ على الزعيم الراحل أم على نفسه ؟ على الفراغ الذى خلفه تاركاً شعبه فى مطلع تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٠م معلقاً بين الحرب والسلم ، بين الشرق والغرب ، بين الحرية الجماعية والتقييد الفردى ، بين الشغب والتعقل) .

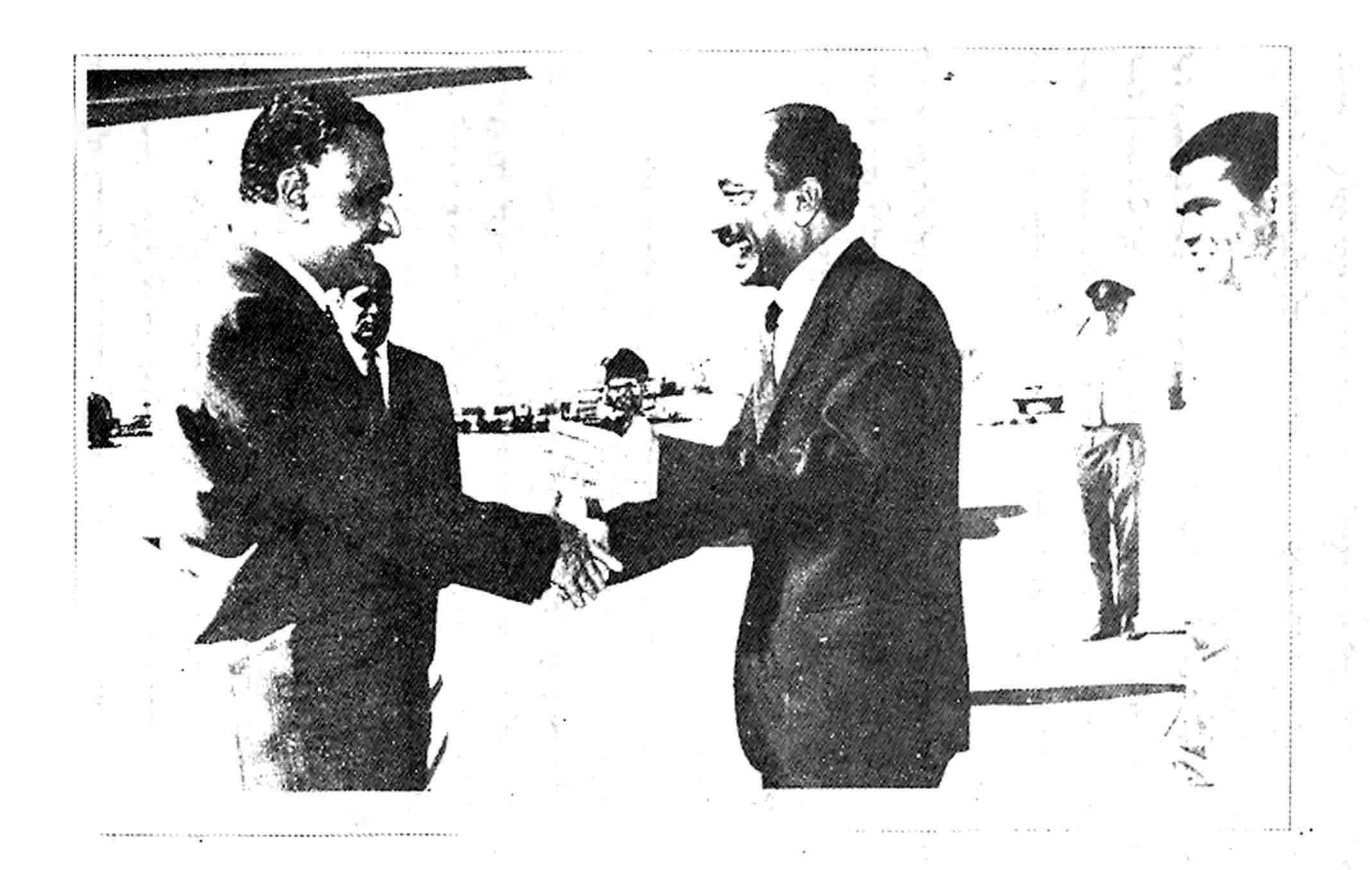
* بلى ...

* لقد كان خروج الشعب المصرى فى جنازة عبد الناصر بهذه الكثافة والعاطفية (مع إستبعادنا لتفسيرات البعض من أعداء عبد الناصر التقليديين الذين رأوا فى الجنازة – حتى الجنازة !!– أمراً مدبراً من أجهزة عبد الناصر السياسية وبخاصة طليعة الإشتراكيين) ، كان خروج الشعب المصرى فى هذه الجنازة .. خروجاً لنعى نفسه .. قبل نعى عبد الناصر ، فلقد كان عبد الناصر (بكل أخطائه الجسيمة وإنجازاته الكبيرة) حلما لم يكتمل ، أو لم يصادف الواقع بعد .. لقد كان وبعد ثمانية عشر عاماً .. مشروعاً .. بكل ما يعنيه « المشروع » من عدم الإكتمال والمحاولة .. ولقد كانت (جنازته) تعبيراً عن هذا وبحق ..

* وكانت جنازته وهذا هو الأهم تعبيراً عن (تجربة حية) لم تمت رغم موت صاحبها ، تجربة اختلط فيه الجيد بالخبيث من العمل ، والحق بالباطل والصدق بالزيف ، والإخلاص



يوم ٣ مايو عام ١٩٧٠ شهد إجتماعاً لمجلس الوزراء لم يكن أحد يدرى أنه الإجتماع الأخير . ومع ذلك فإن التاريخ سوف يرى فى محاضر هذا الإجتماع ما يثير الدهشة . لقد كان الإجتماع كله تقريباً حديثاً منه إلى الوزراء عن الشعب وتوصيات منه للاهتمام بمشاكل الشعب وتوجهات لحل مشاكل الشعب .



السادات .. وعبد الناصر .. الإنقلاب المضاد .. أم الامتداد الطبيعي

بالنفاق .

* وكانت (جنازة عبد الناصر) تعبيراً صادقاً عما سيحدث بعدها من تحولات كيفية ، يرى البعض أنها كانت إمتداداً طبيعياً لجذور زرعت فى الستينات (وبخاصة على صعيد الإقتصاد والمجتمع وقضايا الصراع العربى الإسرائيلى والعلاقات مع الولايات المتحدة) ، ويرى البعض أنها كانت إنقلاباً شاملاً على كل التجربة الناصرية ، على أيدى السادات ، نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، والوحيد من بين الضباط الأحرار الذين لم يختلفوا مطلقاً مع عبد الناصر ، وكان مؤيداً له على طوال الخط حتى فى أخطائه !! .

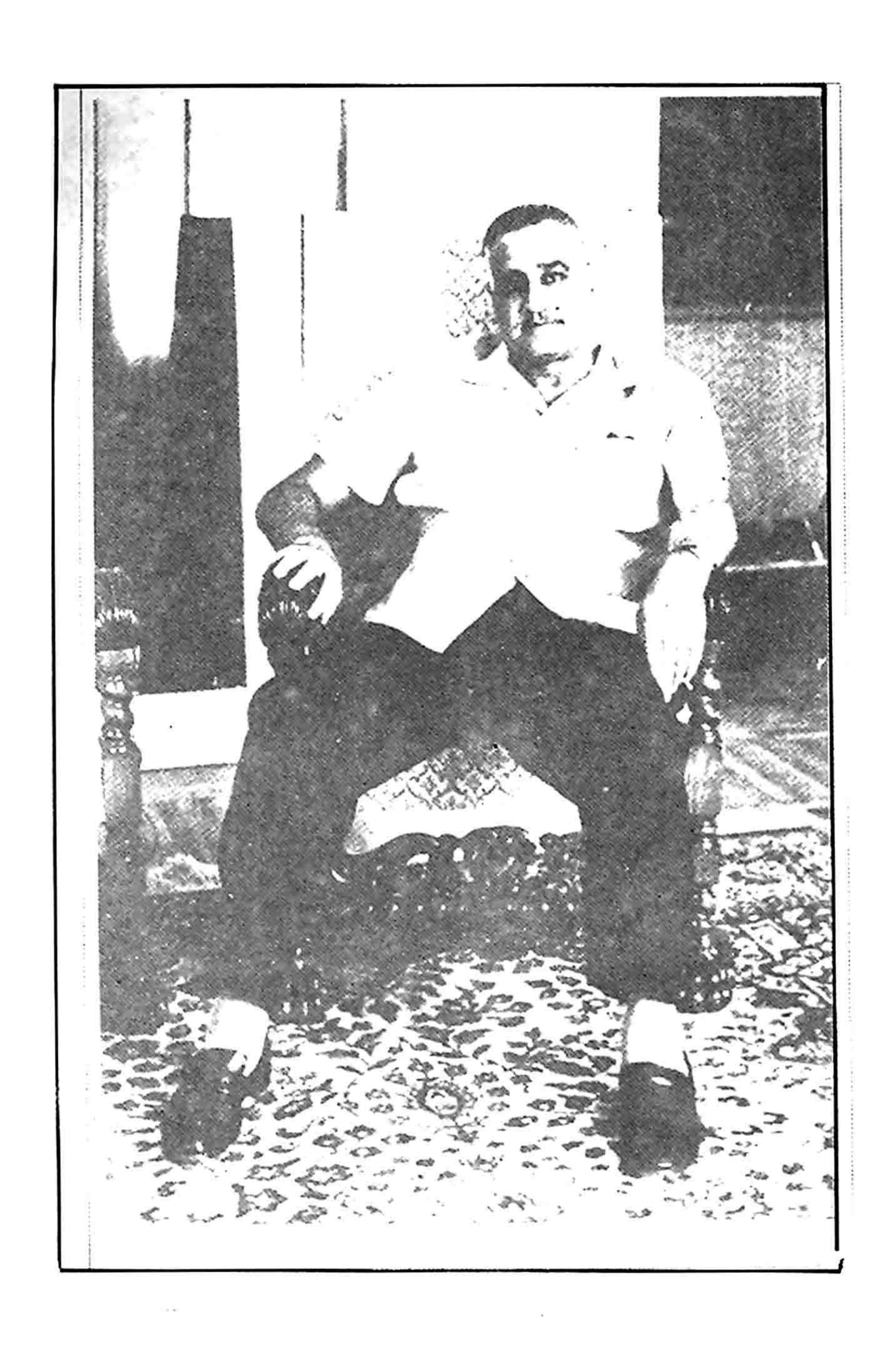
* وأيا ما كان رأى هؤلاء أو أولئك ، فإن (جنازة عبد الناصر) كانت تعبيراً جياشاً عن حجم الكارثة التى ستحدث فى الأيام المقبلة ، فهذا شعب عاطفى ، سريع التأثر ، والتقلب ، سريع الهوى ، ضعيف الحيلة، وهو شعب يحترم الحاكم خوفاً ، وليس حباً ، والحاكم دائماً هو الفرعون الطاغى القاسى المستبد ، ونادراً ما آتى حاكم لهذا الشعب ، عادلاً ورحيماً ، وسبحان الله ، إن النداء القرآنى لنبى الله موسى كان (إذهب إلى فرعون فانه طغى .. الآية) ولم يقل (إذهب إلى مصر) أو إلى (شعب مصر) ، بل إلى (فرعون) ، فهذا شعب يُعرف بحاكمه ، ويُخاطب من خلاله ، وتُفهم شخصيته من خلال فَهم شخصية حاكمه .

* (إذهب إلى فرعون فإنه طغى) ...

* وكانت (جنازة عبد الناصر) نبوّة لذلك « الفرعون الجديد القادم » ، لقد أفهمته أن هذا الشعب ، بلا حول ولا قوة ، وأنه عاطفى شديد الإحساس ، سريع التأثر وبخاصة بـ (الموت) ، وهو أيضاً سريع الاشتغال والثورة وهذا ما لم يفهمه الفرعون الجديد الذى تلى عبد الناصر .

* كانت (الجنازة) التى مشى فيها (السادات) درساً له وخبرة عميقة .. فأعد .. وهو يدفن عبد الناصر ، عدته لكى يدفن معه هذا الشعب ، وتلك الروح المليونية التى هزت أركان القاهرة عشية دفن (الزعيم) أو (الفرعون) فالاثنين لدى التاريخ واحد ، ونسى السادات جزءاً بسيطاً ولكنه هام من الدرس ، وهو عفوية هذا الشعب وثوريته ، وهى العفوية والثورة التى أودت به فيما بعد عام ١٩٨١م .

* لقد قالت (جنازة عبد الناصر) الكثير ، لمن عاشوها ، ولمن أتوا بعدها .. وكان أبرز ما قالته إن عبد الناصر الذى مات بالأمس (وقيل فيما بعد أنه مات مقتولاً أو مسموماً



عبد الناصر قبل وفاته بأيام : المرض بادياً على الوجه الحزين





فى وداع الملك فيصل

ثم .. فى وادع أمير الكويت ... وقد بدأ الألم فى صدره فراح يقبض يده اليسرى ليكتم الألم .



عندما صافح أمير الكويت وانحنى يقبله شعر بشبه دوار فاستند بيده اليسرى على كتف الأمير .. وركب الأمير الطائرة ووقف هو بجوارها ينتظر تحركها فأحس بالألم فى صدره يشتد فجأة ثم احس بالعرق ينصب منه بغزارة .. وجاءته السيارة كطلبه على غير العادة إلى داخل أرض المطار .. وركبها .. وطلب أن ينتظره الطبيب فى البيت ..

وأن هناك شبهة جنائية فى وفاته وهو فى تقديرنا أمر غير ذى دلالة أو قيمة تاريخية تفيد فى مثل هذا العمل الذى تقوم به سيظل مثيراً للجدل وللخلاف بشأن تجربته ، فالتيارات السياسية الداخلة فى علاقة صراع معه (كالشيوعيين والإخوان المسلمين ، والوفديين ، والإقطاعيين والساداتيين ... وغيرهم) وجدت فى جنازته بداية لإعلان الحرب على الثمانية عشر عاماً الماضية ، وإمتشقت كل أسلحتها للإعلان وللإستمرار فى هذه الحرب ، وهى حرب بدأت يوم الجنازة (١/١٠/١٩٧٠م) ولا زالت رحاها دائرة حتى اليوم (يونيو ١٩٩٢) .

* أما التيارات المؤيدة لهذه التجربة (كالناصريين والقوميين ومن شابههم) فلقد أخذوا من إيجابيات التجربة وقوداً لمعاركهم السياسية وبخاصة بعد الموافقة الرسمية لنظام الحكم فى مصر على إنشاء حزب ناصرى بزعامة ضياء داود : أحد الناصرين القدامى ورفض الحزب الآخر الذى تقدم به فريد عبد الكريم ، صارت التجربة وقوداً فى معركتهم ضد (الوفد) والإخوان وغيرهم من الخصوم السياسيين .

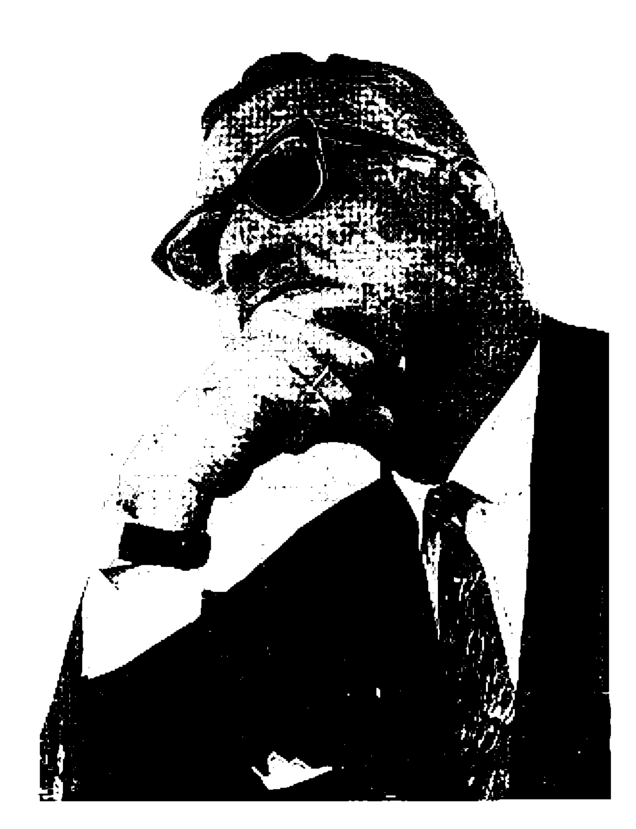
* وعلى الرغم من وجاهة الحجج التى إستند إليها أعداء وأنصار التجربة إلا أننا نأخذ عليهم جميعاً ، وبعد اثنين وعشرين عاماً من المعارك السياسية والإعلامية والفكرية العنيفة ١٩٧٠ - ١٩٩٢ ، مأخذاً أساسياً وهو فساد أسلحتهم - تجربة يوليو بأخطائها وإنجازاتها - وعقم معاركهم ، وذلك لأنهم لم يفهموا طبيعة تلك الأسلحة أو طبيعة المرحلة التى تعبر عنها .. ومن ثم دخلوا بها معارك ، كان منطقياً أن يكون حصادها هو العقم والعلقم معاً .

* ولأن هذه المعارك العقيمة ستستمر ، رغم كل ما قلناه ورغم إنقاداتنا ، ورغم دعوتنا الدائمة لأن تكون أعيننا على المستقبل ومعاركه ، وأن نأخذ من الماضى درساً وعظة وخبرة ، وإلا يستغرقنا بمعاركه الصغيرة ... رغم ذلك فإن تلك المعارك ستستمر لأن العيب ، ليس فى الماضى فقط ، بل فى (العقل) الذى ينظر إلى هذا الماضى .. والمنهج الذى يستخدم فى دراسة هذا الماضى .. إن (التجربة الناصرية) مثلها مثل أية تجربة إنسانية بها الأخطاء والخطايا والإيجابيات أيضاً ، وإذا كنا نبغى مستقبلاً مشرقاً - بالفعل وليس بالقول - لهذه الأمة ، فعلينا أن ننظر إلى هذه التجربة من كافة نواحيها - كما حاولنا أن نفعل فى هذه الموسوعة - بهدف الإستفادة والتعلم ، لخلق المستقبل لا للعيش على أطلال الماضى .... سعيداً كان أو سيئاً .

* تلك هى رسالتنا بشأن تجربة عبد الناصر ... وهى رسالة طموحة ... رسالة تريد المستقبل ، فإذا ما لاقت صدى لدى من يستقبلها ، فإن هذا غاية ما نتمناه ، وإذا لم تجد ذلك الصدى ، فليس لدينا سوى أن نقول اللهم قد بلغنا اللهم فأشهد .. علينا .. وعليهم .

والحمد لله .

قائمة المراجع



(قائمـــة المراجـــع)

باللغـــة العربيـــة :

أولاً : الوثائق والقوانين :

(١) الميثاق الوطنى (القاهرة وزارة الإرشاد القومى ١٩٦٢) .

(٢) بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأخبار ، ١٩٦٨م) .

(٣) بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين فى الأهرام بتاريخ ١٥ يناير ١٩٥٤م .

(٤) بيان السيد / كمال الدين حسين أمام مجلس الأمة عن التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشئون العامة ، أغسطس ١٩٥٧م) .

(٥) حطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر :
الأجزاء من الأول إلى الخامس (القاهرة ، وزارة الإرشاد القومى ، مصلحة الإستعلامات ، د . ت) .
الأجزاء السادس والسابع (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣م) .

(٦) قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م والمذكرة الإيضاحية للقانون : (مضابط مجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلة ، المجلد الرابع ، الجلسة ٢٨ بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦١م) .

(٧) قانون الغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس الملية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ (وزارة العدل ، النشرة التشريعية ، سبتمبر ١٩٥٥ ، القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٥) والمذكرة التفسيرية للقانون .

(٨) الكتاب الأبيض : القضية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٤ (القاهرة ، المطبعة ، الأميرية د . ت) .

(٩) نشرة الإشتراكى الإعداد من ٤ - ٧١ خلال الفترة ٦/٢/١٩٦٥ - ٦/١/١٩٦٨ ، (نشرة غير دورية ، تصدر عن أمانة الدعوة والفكر بالإتحاد الإشتراكى العربى) ولقاءات جمال عبد الناصر مع طليعة الإشتراكيين القاهرة والجيزة .

(١٠) المسح الإجتماعى الشامل لمصر ١٩٥٢ - ١٩٨٠م المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة .

(١١) النصوص الكاملة لمحكمة الشعب للإخوان المسلمين ١٩٥٤م .

(١٢) النصوص الكاملة لمحاكمة سيد قطب عام ١٩٦٥م .

(١٣) بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء خلال السبعينات .

ثانياً : الكتب :

١ - د . أحمد أحمد بدوى : رفاعة رافع الطهطاوى (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩) .

٢ - د . أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه (الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧) .

٣ - أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الأجزاء كاملة ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤م) . كذلك الطبعة الجديدة من نفس الكتاب (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨١م) .

٤ - مجتمع عبد الناصر ، قصة ثورة يولوي ، الجزء الثانى (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥م) .

٥ - أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ - ١٢٩٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ - ١٨٨٢ الميلاديتين الجزء الأول (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٨م) .

٦ - أحمد لطفى السيد : قصة حياتى (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢ .

٧ - السيد ياسين (أشراف) الثورة والتغيير الاجتماعى : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٧) - وكتابه (صفحات مجهولة) وكذلك : يا ولدى هذا عمك جمال وكذلك : كتابه أسرار الثورة المصرية طبعة ١٩٥٧م .

٨ - أنور السادات : البحث عن الذات ، قصة حياتى (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٩م .

٩ - جابر رزق : مذابح الإخوان فى سجون ناصر (القاهرة ، دار الإعتصام ، ١٩٧٧م) .

١٠ - جاكوب لاندو : تاريخ الأحزاب والحياة البرلمانية فى مصر ، ترجمة سامى الليثى

(بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤م) .
١١ - جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة (القاهرة ، المطبعة العالمية ، د .ت) وكذلك مذكراته التى كتبها فى مجلة المصور المصرية عام ١٩٥٢م .
١٢ - د . حامد ربيع : محاضرات فى النظرية السياسية غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الإقتصاد ، ١٩٨١م).
١٣ - حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة ، دار الشهاب ، د . ت) .
١٤ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨١م) .
١٥ - حسن حنفى وآخرون : الثورة العربية ، مائة عام (دار الموقف العربى ، ١٩٨١م) .
١٦ - حسن العشماوى : الإخوان والثورة (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٨م) .
١٧ - ريتشارد ميتشل : الإخوان المسلمون ، مترجم (القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧م) .
١٨ - د . زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المعاصرة ١٩٢٨ - ١٩٤٨م (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٨م) .
١٩ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده (القاهرة ، مركز وثائق مصر المحاصرة ، ١٩٨٢م) .
٢٠ - زينب الغزالى : أيام من حياتى (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٨م) .
٢١ - سامى جوهر : الصامتون يتكلمون . (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٠٧٥م) .
٢٢ - د . سعد الدين إبراهيم (تحرير) : مصر فى ربع قرن (بيروت ، معهد الإنماء العربى ، ١٩٨١م) .
٢٣ - سلامة موسى : حرية الفكر وإبطالها فى التاريخ (القاهرة ، مطبعة دار الهلال ، ١٩٢٧م) .
٢٤ - د . سيد عويس : رسائل ألى الإمام الشافعى : ظاهرة إرسال رسائل إلى ضريح الإمام الشافعى دراسة سوسيولوجية ، ط ٢ (القاهرة ، الكويت ، دار الشايع للنشر ، ١٩٧٨م) .
٢٥ - الإزدواجية فى التراث الدينى المصرى : دراسة ثقافية إجتماعية تاريخية (القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١م) .
٢٦ - الإبداع الثانى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢م) .

٢٧ - سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢م) .
٢٨ - سيد قطب - معالم فى الطريق (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٢م) .
٢٩ - طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥ - ١٩٥٢م (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣م) .
٣٠ - الديمقراطية والناصرية (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥م) .
٣١ - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م) .
٣٢ - طه حسين : فى الأدب الجاهلى (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٧م .
٣٣ - طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر (القاهرة ، مطبعة المعارف ، د . ت) .
٣٤ - د . عاصم الدسوقى : مجتمع علماء الأزهر فى مصر ١٩٨٥م - ١٩٦١م (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠م) .
٣٥ - د . عبد الباسط حسن محمد : أصول البحث الاجتماعى (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٣م) وكتابه : تاريخ الحركة الوطنية .
٣٦ - عبد الرحمن الرافعى : مصر محمد على (القاهرة ، د . ن ، ١٩٣٠م) .
٣٧ - د . عبد العظيم رمضان : الإخوان المسلمون والتنظيم السرى (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٨٢م) .
٣٨ - تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨م إلى ١٩٣٦م (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م) .
٣٩ - عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤م : (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٦م) .
٤٠ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٣م) .
٤١ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، (القاهرة ، مطبعة المختار الإسلامى د . ت) .
٤٢ - عبد اللطيف البغدادى : (مذكرات البغدادى الجزء الأول والثانى ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨٠م) .
٤٣ - عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨٠م) .
٤٤ - عبد الله العروى : الأيديولوجية العربية المعاصرة : ترجمة محمد عيناتى (بيوت ، دار الحقيقة ، ١٩٧٠م) .

٤٥ - د . على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ، أصول الفكرة الإشتراكية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥م) .
٤٦ - د . على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر (القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧م) .
٤٧ - على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢م) .
٤٨ - عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم على عهد عباس الأول وسعيد (الإسكندرية ، مطبعة صلاح الدين ، ١٩٣٤م) .
٤٩ - د . فاروق يوسف أحمد : دراسات فى علم الإجتماع السياسى ، الجزء الأول ، (القاهرة ، مكتبة عين شمس ١٩٧٧م) .
٥٠ - لويس شيخو اليسوعى : الأدب العربى فى القرن ١٩ ، الجزء الثانى (بيروت ، د . ن ، ١٩٢٦م) .
٥١ - ليونارد بانيدر : الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط ترجمة خيرى حماد (القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦م) .
٥٢ - د . مارلين نصر : التصور القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) (دار المستقبل العربى - القاهرة ، ١٩٧١م) .
٥٣ - د . محمد الجوهرى : علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨م) .
٥٤ - د . محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة فى المشرق العربى ١٩٣٠م - ١٩٧٠م (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠م) .
٥٥ - د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، الجزء الثانى ، (القاهرة ، مطبعة الآداب ، ١٩٥٤م) .
٥٦ - محمد رجب البيومى : الأزهر بين السياسة وحرية الفكر (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨١م) .
٥٧ - محمد طلعت عيسى : البحث الاجتماعى مبادئه ومناهجه (القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣م) .
٥٨ - د . محمد عمارة : الأعمال الكاملة للأستاذ محمد عبده (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) .

٥٩ – الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م) .
٦٠ – الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) .
٦١ – تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢م) .
٦٢ – محمد مصطفى عطا : الدعوة التحريرية الكبرى (القاهرة ، دار المعارف ، د . ت) .
٦٣ – مناهج « الدين » و « التاريخ » للمرحلة الإبتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة (١٩٥٢م – ١٩٥٤م) ، (المصدر – وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢م ، ١٩٥٤م) .
٦٤ – مناهج مادتى الدين والتاريخ للمرحلة الإبتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة ٦٨ –١٩٦٩م (المصدر – وزارة التربية والتعليم ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٧٠) .
٦٥ – د . هشام شرابى : مقدمة لدراسة المجتمع العربى (بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧م) .

مراجع أخـــرى

٦٦ – جان لاكوتير : عبد الناصر – دار النهار – بيروت ١٩٧١م .
٦٧ – محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم – دار النهار – بيروت – ١٩٧١م .
٦٨ – أنور الجندى : جمال عبد الناصر والثورة – القاهرة دار الجمهورية – ١٩٥٥م .
٦٩ – محمد جلال كشك : ثورة يوليو الأمريكية – القاهرة ١٩٨٨م .
٧٠ – محمد جلال كشك : كلمتى للمغفلين – القاهرة ١٩٨٩م .
٧١ – محمد جلال كشك : الناصريون قادمون – القاهرة ١٩٥٥م .
٧٢ – فتحى رضوان : كتاب (أخى المواطن) – القاهرة ١٩٥٥م آ
٧٣ – فتحى رضوان : ٧٢ شهراً مع عبد الناصر – القاهرة ١٩٨٦م .
٧٤ – اليعازر بعيرى : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى – ترجمة : أنور الرفاعى – سينا للنشر – القاهرة – ١٩٩٠م .
٧٥ – صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسيرة والمصير – دبى – ١٩٨٩م .
٧٦ – صلاح نصر : الحرب النفسية – دار الوطن العربى – بيروت – ١٩٨٨م .
٧٧ – أسامة حميد : موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية بدون ناشر – القاهرة ١٩٨٦م .

٧٨ - د . لطيفة محمد سالم : فاروق وسقوط الملكية فى مصر (١٩٣٦م - ١٩٥٢م) مكتبة مدبولى - القاهرة - ١٩٨١م .

٧٩ - محمد حسنين هيكل : ملفات السويس - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦م .

٨٠ - محمد حسنين هيكل : الانفجار ١٩٦٧م - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٠م .

٨١ - موسى صبرى - السادات الحقيقة والأسطورة - القاهرة - ١٩٨٥م .

٨٢ - عبد الله إمام - حقيقة السادات - القاهرة - ١٩٨٦م .

٨٣ - د . رفعت سيد أحمد : الدين والدولة والثورة - القاهرة - ١٩٨٩م .

٨٤ - د . رفعت سيد أحمد : النبى المسلح (جزاءات) دار رياض الريس - لندن - ١٩٩٠م .

٨٥ - صلاح العقاد : قضية فلسطين : المرحلة الحرجة ١٩٤٥م - ١٩٦٥م - معهد البحوث العربية - القاهرة - ١٩٦٧م .

٨٦ - د . طه حسين : تقديم : العدوان الثلاثى على مصر - القاهرة ١٩٥٧م .

٨٧ - فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع هيكل : بيروت - ١٩٧٥م .

٨٨ - د . فاروق يوسف : السلام وأزمة الهوية مصر - القاهرة - ١٩٨٥م .

٨٩ - د . فاروق يوسف : القومية العربية والصهيونية العالمية - ١٩٧٨م .

٩٠ - عادل حسين : نحو فكر عربى جديد - القاهرة - ١٩٨٥م .

٩١ - صلاح ذكى أحمد : القاموس الناصرى - القاهرة ١٩٨٥م .

٩٢ - مصطفى كامل السيد المجتمع والسياسة فى مصر (١٩٥٢م - ١٩٨١م) القاهرة - ١٩٨٣م .

٩٣ - د . محمود عبد الفضيل : التحولات الإقتصادية والاجتماعية فى الريف المصرى ١٩٥٢م - ١٩٧٠م القاهرة - ١٩٧٨م .

٩٤ - عادل الجيار : سياسات توزيع الدخل فى مصر - مركز الدراسات - الأهرام - العدد (٥٥) - القاهرة .

٩٥ - جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر - مكتبة مدبولى - ١٩٨٢م .

٩٦ - مهندس حسين السرجانى : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها الإسكندرية - ١٩٩٢م .

٩٧ - سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية القاهرة - ١٩٨٤م .

٩٨ - د . ميلاد حنا : نعم أقباط لكن مصريون - القاهرة مكتبة مدبولى - ١٩٨٠م .
٩٩ - د . أنيس صايغ : فى مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر - بيروت - ١٩٦٥م .
١٠٠ - أمين هويدى : حروب عبد الناصر - بيروت - دار الطليعة - ١٩٧٧م .
١٠١ - محمد السيد سليم : التحليل السياسى الناصرى - بيروت - ١٩٨٣م .
١٠٢ - د . عبد العظيم رمضان : تحطيم الآلهة (قصة حرب يونيو ١٩٦٧م) - القاهرة - ١٩٨٤م .
١٠٣ - د . صلاح العقاد : مأساة يونيو ١٩٦٧م - حقائق وتحليل - القاهرة - ١٩٧٥م .
١٠٤ - نيقولا ميكافيللى : الأمير ، بيروت - ١٩٨٥م .

ثالثاً : الدوريات :

١ - المجلة الاجتماعية القومية : عدد خاص عن المرأة لعام ١٩٧٧م (القاهرة ، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية) .
٢ - الكاتب : العدد رقم ٨٥٠ بتاريخ سبتمبر ١٩٧٣م (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
٣ - المستقبل العربى : العدد رقم ٢٤ بتاريخ فبراير ١٩٨١م (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) .
٤ - عمر عز الرجال : دور وزارة الخارجية فى صنع القرار - مجلة اليقظة العربية - السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ .
٥ - د . بنسعيد الخطاب القومى والمصطلح السياسى الناصرية نموذجاً - مجلة الوحدة - عدد ١٦ - سنة ١٩٨٦م .
٦ - مجلة الموقف العربى - عدد يونيو ١٩٨٣م - القاهرة .
٧ - مجلة اليقظة العربية - عدد مايو ١٩٨٦م - القاهرة .
٨ - مجلة مصر المعاصر - عدد إبريل - ١٩٨٠م .

رابعاً : الصحف والمجلات :

١ - صحيفة السياسة : بتاريخ ١٩٢٤/٣/٢١ (أصدرها حزب الأحرار الدستوريين - ١٩٢٤م)
٢ - صحيفة الأهالى : بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢٦م (يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدى) - والأهالى بتاريخ ١٩٨٦/٣/١٩م .

٣ - **صحيفة الأهــرام :**

مجلد عام ١٩٥٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٥١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٥٢م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٥٤م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٥٨م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٥٩م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٢م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٥م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٦م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٧م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٦٨م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

ـ صحيفة الوفد المصرية مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢م .

ـ صحيفة أخبار اليوم مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢م .

مجلد عام ١٩٧٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

مجلد عام ١٩٧١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .

٤ - صحيفة الجمهورية : بتاريخ ١٨/٢/١٩٦٦م .

٥ - صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ٢٧/٧/١٩٤٥م (يصدرها حزب مصر الفتاة) .

٦ - صحيفة الهدف الكويتية : بتاريخ ٣٠/٦/١٩٧٧م .

٧ - مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى حتى السنة الرابعة (١٩٥٨م ١٩٦٢م) .

٨ - مجلة التصوف الإسلامي : مارس ١٩٨٣م (تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) .

٩ - مجلة الدعوة : الأعداد من مايو ١٩٧٨م حتى ١٩٨١م (تصد عن جماعة الإخوان المسلمين) .

١٠ - مجلة الدوحة : بتاريخ مارس ١٩٨٣م (وزارة الإعلام بدولة قطر) .

١١ - مجلة المصور : بتاريخ ٢٣/٦/١٩٨٣م (القاهرة دار الهلال) .

١٢ - نشرة المعلومات ، الخاصة بأرشيف جريدة الأهرام خلال عامى ١٩٦٥م ؛ ١٩٦٦م .

خامساً : الرسائل الجامعية :

١ - انعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعى للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠م) .

٢ - عبد الهادى عبد الحكيم الخطيب : الدور السياسى لحركة الإخوان المسلمين فى المجتمع المصرى فى ١٩٣٦م - ١٩٥٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠م) .

٣ - لواء دكتور محمود خليل : الأمن القومى المصرى والعربى وحرب أكتوبر - كلية الدفاع الوطنى - القاهرة ١٩٨٦م) .

٤ - عثمان سعيد الخليس : العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦م - ١٩٧٣م - رسالة دكتوراة - كلية الإقتصاد - ١٩٧٩م .

٥ - حمد بن عبد العاطى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة اليومية المصرية ١٩٥٢م - ١٩٦١م - ماجستير بكلية الإعلام جامعة القاهرة - ١٩٨٦م .

٦ - نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر - رسالة ماجستير - من معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٥م .

٧ - محمد عبد المولى الزعبى : الجمهورية العربية المتحدة تجربة الوحدة العربية ١٩٥٨م - ١٩٦١م ماجستير فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٦٨م .

٨ - أحمد حمد الله السمان : توزيع الدخل فى مصر (١٩٥٢م - ١٩٨٠م) رسالة دكتوراة فى الإقتصاد جامعة القاهرة - ١٩٨٢م .

٩ - فايز بكتاشى : الناصرية أيديولوجية سياسية - رسالة دكتوراة من جامعة السربون - باريس - ١٩٧٧م .

١٠ - بيلى إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الإقتصادية لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينات - دكتوراة فى الإقتصاد - جامعة الفاهرة ١٩٨٢م .

١١ - د . مصطفى علوى : سلوك مصر الدولى : رسالة دكتوراة فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٨١م .

سادساً : المقابلات :

مقابلة مع الأستاذ فتحى رضوان حول قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

المراجــع الأجنبيــــة

- A - BOOKS:

1- Abdel Maleck, Anouar, Anthologie de la litterature Arabe Contemporaine (Paris: Editions du seuil, 1965).

2- Abu Lughod, Ibrahim. Arab Rediscovery of Eutope (Princetion: Princeton University Press. 1963).

3- Adaems, Charles, Islam and Madernism in Egypt (London, Oxford University Press, 1933).

4- Ahmed. Jamal, Muhammad. The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism (London, Oxford University Press, 1960).

5- Appelfaum, Richard. P. Theories of Social Change (Chicago, Mstkham Publishing Compeny, 1971).

6- Baer, Gabriel. Studies in the Social Hidtory of Egypt. (Chicago, The University of Chicago Press, 1969).

7- Berger, Morrcee, The Arab World Today (New York: Doubleday and Co., 1962).

8- Berger, Morrceem Islam in Egypt Today (Cambridge University Press, 1970).

9- Dawisha, A.I., Egypt in the Arab World, The Elements of Forigen Polivy (London, Macmillam, Press, 1974).

10- Esposito, John. L. (Ed), Islam and Development (Syrecuse University Press, 1980).

11- Gibb H.A.R. and Bowen, Harold. Islamic Society and the West (London: Oxford University Press, 1950) 2 Vol.

12- Heyworth - Dunne, J, An Introduction to the History of Education in Egypt. (2nd ed. Ltd., 1968).

13- Hourani, Albert, Arabic Thought in the Liberal age (London, Oxford University Press, 1962).

14- Issawi, Charles. Egypt in Revolution (London: Oxford University Press, 1963).

15- Khadduri, Majid, Political Trends in the Arab World (Baltimore, The John Hopkins Press, 1970).

16- Safran, Nadav, Egypt: In Search of Political Community (Combridge: Harvard University Press, 1961).

17- Sharabi, Hisham. Arab Intellectuals and the West Sormative Tears 1875-1914 (Baltimore: The HopkIns Press, 1970).

18- Smith, Donald, E. Religion and Political Modernisation (New Haven, Yole University Press, 1974).

19- Vatikiotis, P.H. The Modern History of Egypt (London: Weidenfeld and

Nicolson, 1969).
20- Aatikiotis, P.J. Nasser and His Generation (London, Croom helm, 1978).
21- Von Grunefanm G.E. Modern Islam (New York: Vinlage Books, 1964).

B - Unpublished Paper:

1- Dessouk, Ali. E. Hillal. The Limets of Instrumetalism. Islam in Egypts Foreign Policy, Unpublished Paper Presented at Conference on Idlam In Foreign Policy Held at The Roval Institute of International Affairs (London, October, 1982).



فهـــرس المحتـــويـــات

رقم الإيداع المحلى	٩٦٠٢ / ٩٢
الترقيم الدولى	٩٧٧ - ٥٣٤٠ - ٠٥ - ١

هذه الموسوعة الفكرية والسياسية

* بالوثائق والتحليل العلمي الدقيق ، يتناول الكاتب والباحث المصري المعروف الدكتور / رفعت سيد أحمد قصة حياة جمال عبد الناصر كاملة من الميلاد إلى الموت (١٩١٨ ـ ١٩٧٠) ؛ على كافة الأصعدة السياسية والإجتماعية والعسكرية والإنسانية ، فيتعرض للنشأة الأسرية ، والتشكيل العقلي والسياسي في مرحلة الصبا والشباب ، ثم تكوين تنظيم الضباط الأحرار ، فثورة يوليو بمقدماتها وأحداثها الكبرى ؛ فالتحولات السياسية والإجتماعية التي صاحبت الثورة ، وبخاصة صدام عبد الناصر مع أكبر قوة سياسية في مصر (الإخوان المسلمين خلال عامي 1954 ، 1965) ، وتتناول الموسوعة أيضاً موقف عبد الناصر من الشيوعيين ، ومن أمريكا ومن الوحدة العربية والإسلامية ، وتفاصيل هزيمة يونيو 1967 وانعكاساتها على شخصية عبد الناصر وسياساته .

* والموسوعة ، تقدم أيضاً الصورة النادرة (أكثر من مائة صورة) ، والوثيقة المتميزة عن عبد الناصر ، وعصره ، وهي تقدم رؤية نقدية لكافة الرؤي الإسلامية والقومية والغربية التي تناولت جمال عبد الناصر .

* أنها موسوعة فكرية وسياسيه شاملة ، لاغني عنها للباحثين والمتخصصين ، والقارىء المهتم بالحقبة الناصرية ؛ مكتوبة بلغة ومنهج علمي رصين .

الناشر